

عَافِي حَاجَوِي



تَحْلِيلُ الشَّعْرِ

نُبْدَةُ الشَّعْرِ الْعَبَّاسِي
مِنْ بَشِيرٍ إِلَى الْخَيْرِ

تجدُّد الشعر

زبدة الشعر العباسي، من بشار إلى البحتري

عارف حجاوي



تجدُّد الشعر

الفهرسة أثناء النشر - إعداد دار المشرق

حجاوي، عارف

تجدد الشعر: زبدة الشعر العباسي، من بشار إلى

البحثري/ عارف حجاوي.

٧٦٦ ص.

١. شعر. أ. العنوان.

892

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر دار المشرق»

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المشرق
الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٧

دار المشرق

القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashriq.books@gmail.com

أبواب الكتاب

٧	مقدمة .
١٥	بشار بن بُرْد (٩١هـ - ١٦٧هـ) .
٨١	أبو العتاهية (١٣٠هـ - ٢١١هـ)
١٤١	العباس بن الأحنف (١٣٣هـ - ١٩٢هـ)
١٦٩	مسلم بن الوليد (١٣٥هـ - ٢٠٨هـ) ..
٢٠١	أبو نواس (١٤٠هـ - ١٩٩هـ)
٢٩٣	دُعبل الخزاعي (١٤٨هـ - ٢٤٦هـ)
٣٢١	ديك الجِنَّ الحِمَاصِيَّ (١٦١هـ - ٢٣٥هـ)
٣٤٣	عليُّ بن الجَهْم (١٨٨هـ - ٢٤٩هـ)
٣٩٩	أبو تمام (١٨٨هـ - ٢٣٢هـ)
٥٨١	البُحْثَرِيُّ (٢٠٦هـ - ٢٨٤هـ) .
٧٣٩	فهرس القوافي العام

مقدمة

يضم هذا الكتاب ألفاً ومئتي قطعة. تكون القطعة بيتاً وتكون قصيدة كبيرة، أو أي شيء بينهما. هي أشعار انتخبناها من دواوين عشرة شعراء حملوا الشعر العربي وانطلقوا به عالياً كي يحلق في مدار جديد.

البدء ببشار الشاعر المتهتك المتمرد، وكل شعرائي متهتكون متمردون، جزئياً أو كلياً، وانتظر أسطراً وستري. ظل بشار «يتخيل» أنه يحن إلى دين أجداده عبدة النار «الأرض مظلمة والنار مشرقة/ والنار معبودة مذ كانت النار»، هذا رغم نشوئه في أحضان العربية التي لم يعرف لغة غيرها. كان بشار رغم عماء شهبانياً - ومن قال إن الأعمى أبعد عن الشهبانية من أخيه المبصر؟ -، وعبر بشار عن شهبانيته في أشعار كثيرة نقلنا منها الكثير. يحدثنا عن فتاته: «تقول وقد خلوتُ بها: / تكلمْ واكفني يدك».

والمتهتك الثاني مجن سنوات قلائل ثم انعكس انعكاسة غريبة أنتجت لنا أطرف دواوين الشعر العربي. هذا أبو العتاهية. عاش طويلاً، وعاش وهو في مطلع كل صباح، ومطلع كل قصيدة، يذكر الموت. كان يعشق الحياة عشقاً أنساه أن يعيشها. سوف يلومني بعض القراء لأنني أخذت من أشعار العتاهي كثيراً، ولكنني كنت وأنا أطلع ديوانه أقف حيال معانيه الموتية وقفاتٍ اندهاشية كثيرة. . من أين يأتي هذا الشاعر بكل هذا الدفق من المعاني في موضوع واحد شديد الضيق. الحياة عامرة بالمعاني، والموت معنى واحد. أبو العتاهية يرى موتاً في الحياة «ما ارتد طرف امرئ بلحظته/ إلا وشيء يموت في جسده»، وهو يمر بالمقابر ويقول لنفسه «معقول! أمن المعقول؟ أيعقل أن هؤلاء كانوا ذات يوم بشرًا؟» هذا ما أترجمه أنا عنه لا ما قاله فعلاً. . قال: «ألا تعجبون لأهل القبور/ كأنهم لم يكونوا بشرًا».

ونستريح عند شاعر صحب هارون الرشيد في حله وترحاله، فهو حاضر في مجلسه، ومرافق له ضمن الحاشية. لكنه قصر شعره على الغزل. هذا شاعر عذري في زمن غير عذري. حتى عندما اصطحبه الرشيد معه إلى خراسان فقد تملل وقال شعراً في ذلك، فأعطاه الرشيد مالا وأذن له بالعودة إلى بغداد. نسيت أن أذكر لكم اسمه، هو العباس بن الأحنف. تعجبني للعباس أبيات بالعشرات انتخبته لك ضمن ما انتخبته. ولكنني أذكر لك بيتاً ترنمت به قديماً، وبيتاً أترنم به اليوم كثيراً. بيت اليوم هو «وحدثني يا سعد عنها فزدني/جنونا، فزدني من حديثك يا سعد». والبيت القديم كنت قرأته في إذاعة لندن، البي بي سي، أيام عملت بها. كنت أنشدته مترنماً ممتلئاً بمعناه: «يا من تهادى قلبه في الهوى/سال بك السيل ولا تدري»، وصادف أن كنت في القاهرة أحضر معرض الكتاب، وجاء من أقصى المعرض رجل يبحث عني، وعندما وجدني قال لي: «يا من تهادى قلبه في الهوى/ساال بك السيل ولا تدري» وأنشد البيت مثلما كنت أنشدته، ثم انصرف هازأ رأسه.

ثم تقلب الصفحة إلى فصل يضم أشعار مسلم بن الوليد. هذا الشاعر الذي فتح ورشة لصناعة الشعر وبدأ يصوغ الأبيات مقتنصاً فيها ما استطاع من المحسنات. لم أستطع أن أحبه من النظرة الأولى، غير أنني وقفت ببيت له، أطلت الوقوف، وأطلت التعجب: «يا ليت ماء الفرات يخبرنا/أين تولت بأهلها السفن». ومضيت أحرث ديوان مسلم، وأفك معمياته، وأرهقني. وسعدت بما جنيت منه، ثم شقيت بشرح ما اقتنصته مثلما تشقى وأنت تحل مربع الكلمات المتقاطعة اللغزي. وهذا النوع، عنيت «اللغزي» مشهور في اللغات الأوروبية. يقول لك، مثلاً: مدينة فيها العدل وفيها وحل، ١١ حرفاً. وعليك أن تقول في مخك إن العدل هو «القسط» وإن الوحل «طين»، فالمدينة إذن «القسط ن طين ية».

كان صديقي الشاعر محمد مسعد، جاراً لي في الأيام الخوالي، وكنا نتبادل مربعات الكلمات المتقاطعة، نقطع بها أياماً طويلة من أيام الانتفاضة الفلسطينية الأولى. ذات يوم ثرت به ثورة عارمة، فقد كتب لي «ارتعاش»، وكان علي أن أحزر أن المقصود هو الزعيم الهندي «راجيف غاندي». فكأن الارتعاش يجب أن يوحى بالرجفة ثم براجيف. وعندما أصبحت ذات سنة رئيساً لتحرير الصحيفة الرسمية للبلد، كنت أقعد، بعد «تسكير» الصفحة الأولى،

أرتب الكلمات المتقاطعة لنشرها في الأعداد المقبلة. ولما قررنا أن نجعل للفائزين جوائز ساق القدر إليّ عدداً من مهووسي هذا العيث فسعدت بهم أيما سعادة، ولم أكن أضع اسمي بالطبع على هذه الألغاز، فقد كنت أصطنع وقاراً لا بد منه. غير أن خلف وقاري، في كل شؤون حياتي، عبثاً كامناً لن أعفيك منه في أي صفحة من صفحات هذا الكتاب.

عمن كنا نتحدث؟ عن مسلم بن الوليد. قد لخصته لك تلخيصاً وشرحته شرحاً احتسبت تعبي فيه.

ثم نأتي إلى أبي نواس. فهل اقتبسنا شيئاً مما أفحش فيه؟ نعم، قد فعلنا. أشياء لا شيئاً واحداً. كان عصرهم ذاك - عصر هارون الرشيد - عصر استرخاء الدولة، كان «يوم الزينة» في حياة الأمة العربية الإسلامية. وابتلي صاحبنا بالخمير، وبما هو أوبق منها. وحدثناك عنه بحب. قد مات أبو نواس واختلطت عظامه بتراب الأرض، وظل العرب يصرون على التغني بشعره، فعاش. وحقق ديوانه تحقيقاً سمتازاً سليم قهوجي، وأفدنا من تحقيقه ومن شرحه. والديوان ينطلق بالقصيدة الهمزية المشهورة: «دع عنك لومي فإن اللوم إغراء/ ودواني بالتي كانت هي الداء». وقد جعلها قهوجي عشرة أبيات مسقطاً منها بيتاً وجده فاحشاً. نحن لم نسقط البيت.

هذا الكتاب، وكثير مما أكتب، واقع تحت الاتهام بالخروج. الشعر خروج وتمرد. وما كان منه متصالحاً مع المجتمع فهو الشعر الضعيف. لي صاحب يذكر الشاعر الصالح فيترحم عليه، ويذكر الفاسق فيستنزل عليه اللعنة. أنا مخلوق خلقة أخرى. والسلام.

بعد أبي نواس يأتي دُعل الخزاعي. وأنا أرتب الشعراء حسب سنة المولد، لا الوفاة كما درج بعض الدارسين، فالسنوات الأولى من حياة الشاعر هي التي يختمر فيها شعره. عاش دُعل خمساً وتسعين سنة، عاش خمسين منها وهو.. «أحمل خشبتي على كتفي ولا أجد من يصلبني عليها». كيف لا وهو قد هجا ستة خلفاء ونصفاً. هجاهم بالترتيب من الرشيد إلى المتوكل. فأما النصف فهو إبراهيم بن المهدي الذي نصب نفسه خليفة فيما بين مقتل الأمين وقدم المأمون إلى بغداد. ونال نصيبه من لسان شاعرنا. استقبل دُعل تنصيب الخليفة المعتصم بقوله «ملوك بني العباس في الكتب سبعة/ ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب// كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة/ خيار إذا عدوا وثامنهم كلب»،

ومات المعتصم وقام الواصل، فاستقبله دعبل بقوله «خليفة مات لم يحزن له أحد/ وآخر قام لم يفرح به أحد». ومن صناعة دعبل البيت المشهور «لا تعجبي يا سلم من رجل/ ضحك المشيب برأسه فبكي».

ظل يعجبني بيت آخر لدعبل، عن قبيلته خزاعة: «كانت خزاعة ملء الأرض ما اتسعت/ فقص مر الليالي من حواشيها». وكنت في كل مرة أقلب الكتب باحثاً عن هذه القصيدة ناسياً من قالها، فقد عشت ردىاً من الزمن قبل غوغل، ثم ها أنذا أقيد هذه القصيدة تقييداً. ولعل القارئ يحس إحساساً دفيناً بأنني كتبت هذا الكتاب لنفسى لا له. إحساس صادق. أنا منذ سنين كثيرة أألم الشعر الجميل كي أتس به، وفي هذا الكتاب فصول كتبتها قبل بضع سنين وأخرى كتبتها قبل بضعة أسابيع، وإنما أسعى في إخراج هذا للناس كي يزيد أنسى بمشاركة محبي الأدب إياي، وكي أزيد حياتي عرضاً، عاجزاً عن زيادتها طويلاً. ولعل القارئ أن يظن أن من بعض أسباب طباعتي لهذا الكتاب أن أضع اسمي على غلافه وأسمي نفسي مؤلفاً. صدق ظنك. أرى القارئ يحدس ببراعة ويعرف كل شيء قبل أن أقوله، تبارك الله.

يمكنني أن أنشر هذا الكتاب على الإنترنت، لكنني أريد الحصول على «مصادقية الورق». فما زال الكتاب الورقي هو الكتاب.

يأتيك بعد دعبل الشاعر الذي قتل زوجته، وهو ديك الجن الحمصي. ولأنه ارتكب هذه الجريمة أسطره الناس، وسار ذكره صاعداً تلال السنين هابطاً وديانها حتى وصل إلينا. ووصل إلينا من شعره ما يشهد له بالشاعرية، وبالوحشية، وبالرق، وبقلة الدين. قتل زوجته شاكاً فيها ثم رثاها بحرقه «لو كان يدري الميت ماذا بعده/ بالحى حل، بكى له في قبره». ولا نظن زوجته «ورد» بكت له في قبرها، ولكننا - نحن ذكور هذا العالم الناطق بالعربية - نبكي لأمهاتنا وبناتنا وأخواتنا لما يصادفن من شبه الوأد.

ولئن سمع كثيرون باسم ديك الجن فلعل من سمع باسم علي بن الجهم قلة من الناس. هذا رجل مشاكس، شديد الفخر بنفسه وبعائلته، يمدح بعنف ويرثي بعنف، ويتوجع لما أصابه بعنف. وقد لقي الحبس والصلب والضرب واستصفاء الأموال، وظل يقول شعراً من أعلى الشعر. يعرف له الناس «عيون المها بين الرصافة والجسر/ جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري»، لكن له قلائد غيرها لا تقل عنها بحال، وله من الشعر ما يفوق هذه القصيدة جمالاً.

شرحنا شعره شرحاً وافياً.. ولعلك تلاحظ أننا فيما أوردنا لأبي العتاهية لم نشرح إلا قليلاً، ذلك أن شعره كالماء. شعر ابن الجهم كالخمر المعتقد.

الشعراء هم الذين يصنعون اللغة. المعنى لجبران. وشعرائي العشرة في هذا الكتاب هم الذين حفروا في ساحة العربية آباراً، وبنوا فيها قصوراً، وجعلوها لغة عامرة كبيرة، وحملوا كلماتها بالمعاني. والشاعر الذي قرر أن يفكك اللغة العربية ثم يبنينا من جديد، مثلما فكك ستالين مليون مصنع ثم أعاد تركيبها شرقاً أمام زحف هتلر، هو أبو تمام.

هو صاحب «السيف أصدق أنباء من الكتب»، وصاحب «ما الحب إلا للحبيب الأول». وأبو تمام قد صعد فوق كتفين عاليتين: كتف مسلم وكتف أبي نواس، وتعلمق في شعره، وجهر كتفيه كي تحملا بعد حين المتنبّي.

وكان لأبي تمام تلميذ نابه التقى به قليلاً. والتلميذ النابه لا يحتاج من أستاذه إلى دروس.. يحتاج فقط إلى الإلهام وإلى أن يرى الأستاذ عالياً في السماء حتى يشرب إليه، ويزاحمه بين النجوم. التلميذ هو البحتري.

كأستاذه كان البحتري معجباً بشعره، يصفه في شعره. يقول «إذا ما بنيت بيتاً تبخترت.. كأني بنيت ذات العماد». وكان أستاذه أبو تمام جعل قوافي القصيدة يغار بعضها من بعض، فهذه قافية استقرت مستريحة في نهاية البيت، وتلك أخرى تريد أن تقعد مكانها، ويكاد الأمر يصل إلى الاقتتال «تغاير الشعر فيه إذ سهرت له/ حتى كأن قوافيه ستقتل».

عاش البحتري ثمانين سنة، ضعف عمر أستاذه. وجاد في أخريات سنيه بقصيدته السينية التي وصف فيها إيوان كسرى. وهي قصيدة تستمد بعض جمالها من أن شاعرنا قالها لا يمدح أحداً ولا يطلب عليها عطاء من أحد. ذهب إلى الإيوان مع ولده وقعد هناك، ورأى وتعجب مما رأى، وقال قصيدة لم تعرف العربية سينية أجمل منها. والطريف أن البحتري بعد حين مدح أحد الأمراء الفرس بقصيدة أحاله فيها على قصيدته في مدح إيوان كسرى، كأنما ندم على أن فوت تلك القصيدة دون أن يضمناها مدحاً يجر عليه بعض المال (قد مدحنا إيوان كسرى وجئنا/ نستثيب النعمى من ابن ثوبة).

هؤلاء شعرائي العشرة الذين جددوا الشعر العربي ونقلوه من البداوة إلى الحضارة. وبقيت فيهم من البداوة بقية، فالناقة ظلت وسيلة المواصلات

المهمة، وبلاد العرب التي قيل فيها هذا الشعر، العراق والشام، كانت، وما زالت، صحراء. لقد نقل هؤلاء اللغة العربية والشعر العربي نقلة قوية، ولكنهم أضمرُوا حيناً للشعر القديم وظلّوا، في القصيدة بعد القصيدة، يتلمظون باللغة القديمة، ويدخلونها في أشعارهم. مثلما ظللنا نفعل حتى اليوم. فالفصحى ضاربة الجذور على عمق ألف وخمسمئة سنة، وفي هذا مشكلتها، وفيه جمالها.

في هذه الحقبة العباسية من تاريخ أدبنا العربي أخذنا عن بلاط كسرى مفهوم «الخدمة». فصار الشاعر إذا سخر منه الخليفة طأطأ رأسه ورأى في هذا تأديباً لا عار فيه ولا شئار، وصار الشاعر إذا اقترب من الخليفة بعض الاقتراب اجترأ على الوزير. لكنه يمدح الوزير، ويخلط في قصيدته المدح بالعتاب وبقليل من شبه الهجاء. فإذا ابتعد الشاعر عن البلاط فهو ماجن متهتك، أو غاضب متهور. شعراؤنا العشرة فيهم العربي وفيهم نصف العربي، وكلهم أبناء هذه اللغة الكبيرة، كلهم خلقوها خلقة جديدة، وحرصوا ألا ينسفوها نسفاً، بل خلقوها من جوفها.

هذا كتابي الثاني من أصل خمسة كتب أعرض فيها للشعر العربي من امرئ القيس إلى إيليا أبو ماضي. فأما الكتاب الأول واسمه «أول الشعر»، فمضيت فيه إلى آخر دولة بني أمية. وسيأتي الكتاب الثالث ليصف عَصراً تألّق فيه الشعر وتوهج كالنجم الذي يسطع بقوة وهو يفنى. وفني الشعر بضع مئات من السنين، ثم انطلق من تحت رماده ليحيا من جديد، وليكون كتاب رابع يبدأ بالبارودي ويضم، فيما يضم، شوقياً وحافظاً والرصافي والزهاوي. ثم يأتي آخر الشعر العمودي فيصاح إيليا أبو ماضي ويدوي الجبل وأبو ريشة والشابي وعرار وغيرهم كثيرون. ثم يقف الشعر العمودي وقفة طويلة. . وما زال يقفها. ولم أعرض للشعر الحديث لأنه حديث لم تغربله السنين. قلت لنفسي: ليكن هذا الكتاب بأجزائه الخمسة حفل تأبين للشعر العمودي.

كلمة شكر

عرفت الصديق الأديب محمد عبد العزيز الهجين قبل نحو سنتين، وصار كلما التقيت به أهداني كتاباً. وصرت لا أذكر له كتاباً إلا وجدته قد قرأه أو قرأ عنه. وعندما علم أنني بصدد إنهاء كتاب لي باسم «أول الشعر» تصدى لموضوع النشر، وظل يعجلني في إرساله حتى لقد أنساني أن أذكره بكلمة شكر في مقدمة الكتاب. وصنع الصنيع نفسه في هذا الكتاب «تجدد الشعر». أقول له إنني على

سفر، فيقول هات الكتاب، وأقول له مساء الخير، فيقول هات الكتاب. لكن، هاإنني أجد فسحة أكتب فيها أن لقائي به، وما أجده فيه من الذوق المرهف والخلق المتين والثقافة العريضة، كان من حسن طالعي.

أَيْتُمَا غلطة تجدها في هذا الكتاب فالمسؤول الأول عنها صديقي الشاعر عمران القفّيني. فقد صحح لي مئات كثيرة من الأغلط في النحو، والإملاء، وفي فهم المعنى، وفي دقة الأسلوب، وفي الترقيم، وجعل هذا كله في رسالة من خمس وعشرين صفحة كبيرة. كما أثرى الكتاب بنظرات ثاقبة تنم عن تذوق مرهف للشعر. فاما ما أشار إليه من أغلاط فلن تراه، وأما نظراته وآراؤه فقد فرقتها في أماكنها من الكتاب. وفي مقدمتي للفصل الإضافي عن البحري ذكرت شاكرًا جهد اللغوي المدقق الصديق أحمد عبد الرحيم.

ملحة الوداع

كنت راكباً في السيارة بالخرطوم قبل نحو سنتين متوجهاً إلى حفل انتهاء دورة من تلك الدورات الإعلامية التي ابتلي الناس بها. وكتبت على قصاصة أبياتاً لفتيات الخرطوم اللاتي ظللن يخطفن بجمالهن الأخاذ على مدى أسبوع نظر العبد الفقير، وألقيت الأبيات وسط هتاف الفتيات والفتية، وسعداتي بهن وبهم. ثم إن فتاة منهن أخذت القصاصة وصورتها وفسبكتها، ووصل خبري إلى كل مكان قبل أن تحط بي طائرة القفول، فكانت فضيحة صغيرة في المؤسسة الإعلامية التي أعمل بها. وبقيت في الذاكرة أبيات من تلك الأبيات:

مر الزمان على رأسي وخلاني	بغير ستر، وتحت الشمس القاني
يا صاحب الرحل لا تعجل على رجل	قد أنفق العمر في هم وأشجان
ضيعت قلبي في «الخرطوم» في «بحري»	والعقل ضيعته في «أم درمان»
بين الأطباء أضع العمر حجاوي	الخور أنتن، هذا عمري الثاني
أقسمت بالخمس من أنغام سلمكم	أن الجمال بوادي النيل رباني
دع مصر دع سوريا دع شط لبنان	يا صاحب الرحل إن الحسن سوداني

عارف حجاوي

الدوحة ١٠ يوليو/تموز ٢٠١٦

٥ شوال ١٤٣٧

بَشَّار بن بُرْد

(٩١هـ - ١٦٧هـ)

وقف بشار بن برد على الجرف القاري بين حقتين كبيرتين في مسيرة الشعر العربي، لكن قدميه كانتا راسختين في الحقة المقبلة. أكثروا من القول إنه أول المحدثين وإنه رئيسهم وإنه سيدهم. صدقوا.

جاء على رأس زلزال سياسي كبير هو قيام الدولة العباسية، وكان هذا الحدث نعمة مباركة على دارسي الأدب العربي فقد منحهم فرصة ثمينة لتقطيع العصور الأدبية بالسكين. فكأن الله ساق أبا العباس السفاح رحمة لشوقي ضيف.

والحقيقة أن الزلزال العباسي ترافق بشكل طيب مع الزلزال الأدبي، لأنه هو الذي جلبه لا لأنها كانت صدفة.

انظر إلى كبار الشعراء في العصر السابق، الأموي، ترهم عرباً من تميم والأزد وتغلب. وانظر إلى الشعراء الذين جاءوا مباشرة بعد أن أهوى العباسيون بالسكين سنة مئة واثنين وثلاثين: فماذا ترى؟ بشاراً ومسلماً وأبا نواس وأبا العتاهية ثم ابن الرومي.. كلهم من المنوالي. ويختلطون بالعرب.. فهناك ابن الأحنف ودعبل وابن الجهم والبحري.

في العصر الإسلامي والأموي قعد مئات الآلاف من الفرس مئة سنة يدخلون في الإسلام وفي اللغة العربية. تكلم الأجداد بكلمات عربية قليلة، وتكلم الآباء بعربية مرطونة، وجاء الجيل الثالث عربي اللسان.. ومختلط الثقافة والاعتقاد. جاء العصر العباسي - سياسياً - لأن البيت الأموي استهلك قوته العربية الدافعة. وجاء البيت العباسي عربياً مهجناً، يرفع راية الدين عالياً ويلح عليها لأنه يقوم على عصية مزدوجة عربية خراسانية، فلا سبيل إلى جعل

عصبية الدم أساس الدولة. لا تنس أن مؤسس السلطة العباسية الحقيقي، أبا جعفر المنصور، ولد لأم غير عربية.

كان الحكم العباسي اجتثاثاً للعهد السابق.. شكلياً مثّلت هذا الاجتثاث مذبحة نهر أبي فطرس، شمالي يافا بفلسطين، التي ذبح فيها السفاح وجوه بني أمية. وعلى النطاق الأوسع استطاعت راية الدين أن تُظل جموع الخراسانيين الذين برز منهم كثيرون ممن تعربت ألسنتهم، وكان أبو مسلم الخراساني عربي اللسان فصيحاً. قويت شوكة الأعاجم في حضن الثقافة الأدبية العربية، غير أنهم حملوا لهذه الثقافة ولهذه اللغة الكثير من الروح الفارسية.. وحملوا في أعماق عقولهم آثاراً من أديان أجدادهم. وكان في كل هذا ثراء لهذه اللغة ولهذه الثقافة.

نحن في المئة سنة الأولى من العصر العباسي. وسنرى حضوراً قوياً للفرس ولخراسان، وخراسان منطقة تضم في جغرافية اليوم أفغانستان وتضم معظم إيران وتركمانستان ومساحات من دول مجاورة أخرى.. وعندما نقول الفرس فإنما نقولها على التوسع، فثمة مزيج من الأمم في هذه المناطق الشاسعة. وليت أني مؤرخ حتى أدرس لك هذا الخضم البديع من الشعوب التي جمعتها البوتقة العباسية في شرق الدولة. غير أني لست به، فكل ما أعرضه إنما هو صورة عامة.

كان عصرًا حافلاً بالنظم الاجتماعية، فمن الموالى من هو عبد سُبى في حرب، وأخذ يتردد في أسواق النخاسة في البصرة ثم في بغداد، وهناك الإماء اللائي كن من أنصاف البشر يؤخذن لمتعة الأثرياء وذوي السلطان أو للخدمة، أو لهما معاً، فإذا أتقنت الجارية الغناء والشعر فهي نصف بشر يتقن الغناء والشعر، يزيد هذا في ثمنها ولا يزيد في حريتها. ويعشن ويقبلن بوضعهن، مثلما يقبل كل إنسان بوضعه.

رويث عن سجينة سياسية في بلد عربي شقيق، أنها تلقت نصيحة من سجينة سياسية أقدم منها، قالت لها: لا عليك يا أختي، عندما يطلبونك للتحقيق، فلا تقاومي، افتحي رجلك، وفكري في أي شيء آخر، وعيشي حياتك.

كان في سواد العراق أنباط هم أقنان الأرض لسيد الأرض، فإذا كان السيد كسرى فهم أقنان كسرى، وإن كان المنصور فهم أقنان المنصور. وكانت

لهم لغاتهم ولم يندمجوا سريعاً. فأما الفرس ممن كانت لهم ثقافة عريضة قبل الإسلام فقد سهل عليهم أن يصبوا إرثهم الثقافي في اللغة العربية.

أحسن فلهاوزن عندما سمي كتابه عن الدولة الراشدية ودولة بني أمية «الدولة العربية»، فهكذا كانت. فأما الدولة العباسية فهي الإمبراطورية الإسلامية.

بشار بن بُرْد

سُبي يُرجوخ جد بشار من طُخارستان في شمال أفغانستان. سباه المهلب بن أبي صفرة في أواسط العصر الأموي. وظل عبداً، وزوجه أسياده بأمة من إمائهم لينجب لهم عبداً آخرين، وجاءه بُرد، وكأنما أخذ برد من أسياده الإذن بمزاولة مهنة فكان طياناً يعمل في بناء وترقيع البيوت بالبصرة. وتزوج أمة لعلها كانت رومية. وأنجب بشيراً وبشراً وبشاراً. وولد بشار أعمى. فنال بشار الحرية، ولعل أخويه تحرراً أيضاً، إما بالمكاتبه ودفع مال أو لأنهما كانا يشكوان، كما ذكر القدماء، من علل خلقية كأخيها الأعمى، قيل كان أحدهما أعرج والآخر أبر مقطوع اليد. وعملا في الجزيرة. وزعم بشار أن أجداده كانوا من سادة الفرس، وانتمى لكسرى من جهة أبيه ولقيصر من جهة أمه الرومية. بخ بخ. صدقناك.

وتزوج بشار، وكانت له جارية أو أكثر. وكان عماه قبيحاً، وجسمه كبيراً. وكان ذا شخصية. نشأ مدلاً بين نساء بني عُقيل بعد أن حرره القوم من الرق. والأعجمي الفقير لا بد له من ولاء. لا بد أن يلتصق بقوم من العرب. نظام اجتماعي مكين في العصر الأموي، وكان مولد بشار وطفولته وشبابه في العصر الأموي. وقد ظل لهذا النظام أثر في العصر العباسي. إلى أن قويت شوكة الفرس فيما بعد.

تربى بشار بين النساء لأنه أعمى، وسمع كلامهن، وسرعان ما تبين أن هذا الصبي الكفيف رجل بمشاعره، ليس فيه ليونة ولا خنوثة. فبعثته العقليات إلى الرجال يعتنون بشأنه.

في سيرته الذاتية «بيت النار» يقول ابن بلدي نابلس الشاعر علي الخليلي إن أمه كانت تصطحبه إلى حمام السوق طفلاً. وذات مرة تحسس بيده فخذ امرأة، فصاحت بأمه: الولد كبير، لا تأتي به معك من بعد. أو كما قال رَجُلُهُ، الكتاب ليس بين يدي الآن.

ولعل بشاراً ارتحل مع بعض بني عقيل إلى مضاربهم في البادية. كان لسانه فصيحاً. لم يعرف كلمة من لغة أجداده، بل هو عربي اللسان، فصيح، عقيلي النشأة، كأحسن ما يكون الفصيح العقيلي العامري.

ولكنه يعرف من هو: هو مولى، وأصله من طخارستان.

سمع بشار وهو في العاشرة في مجالس بني عُقيل في البادية أن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز قد مات. وبعد عمر تولى يزيد الثاني، والدولة في أحسن حال. ورجع بشار إلى البصرة، وكانت مسرح شعر وأدب، بلغ بشار الخامسة عشرة وبدأ عهد هشام بن عبد الملك الطويل. وسمع بشار قصائد جرير في مدح الخليفة، وأعجبه في شعر جرير أكثر من المدح تلك الخفة والفكاهة ولا سيما في أبيات الهجاء. أحب جريراً لأنه ينطلق من أسرة متواضعة ضمن قبيلة تميم، ويتنطح لهجاء أصحاب النسب العالي وخصوصاً الفرزدق، ويزعم أنه أعلى منهم شرفاً، ويرميهم بكل فرية. وكان جرير يأتي البصرة وربما مكث فيها زمناً. وكان عشرات الشعراء يتناوشون جريراً بالهجاء ويرد عليهم، ويفحهم لكنه أيضاً يرفع ذكرهم. وجرب بشار حظه فهجا جريراً، ولكن جريراً استصغره ولم يرد عليه. وظل بشار يتألم لهذا الإهمال نفسياً، لكن الألم الحقيقي كان لضياح الفرصة: فلو رد جرير عليه لأثبت بشار قدمه الشعرية في العصر الأموي بشهادة موثقة، ولكان من شعراء عصر الاحتجاج. لكن القدر شاء أن يكون لبشار تصنيف آخر: فهو رئيس المحدثين وسيدهم. وكفاه. غير أنه كان يرى أوائل النحويين يستشهدون على قواعدهم هذه التي بدأوا يضعونها بأبيات لجرير وللفرزدق، ولا يستشهدون بأبياته هو. ذلك أنه استطاع أن يبقى على قيد الحياة ولحق بالعصر العباسي، وهو مولى، وهم قرروا قاعدة أخرى غير نحوية: هي أن العصر الذي يمكن فيه الاحتجاج بالشعر هو العصر الأموي، وأن كل ما جاء بعده محدث فسدت فيه اللغة. ولكن بشاراً عاش أربعين سنة في العصر الأموي قال فيها شعراً عظيماً رددته الناس. لا، هو مولى. ولم يسلم النحاة من لسانه، فتنازل بعضهم و«تمثل» بشيء من شعره.

تطاول العصر الأموي ومدح بشار فيه القادة، ووصل في نهايته إلى مدح آخر الخلفاء، مروان بن محمد. مدحه وكأناً العصر الأموي سيدوم قروناً. ولكن الدعوة العباسية جاءت من خراسان. من موطن أجداد بشار، كي تهزم آخر خلفاء بني أمية.

وأُسرع بشار، وهو الآن في الأربعين من العمر، وكنتم ما استطاع من شعره القديم ولا سيما قصيدة كان قد شمت فيها بمقتل إبراهيم الإمام العباسي. وتهياً لاستقبال العهد الجديد. لكنه لم يحظ عند المنصور، وكان المنصور منشغلاً بتوطيد الأمر لبني العباس، ثم انشغل ببناء عاصمته بغداد. ولعل بشاراً هجاء فعلاً بقصيدة. ثم لعله فعلاً خاف أن تكون في هذه القصيدة نهايته، فاغتنم فرصة إيقاع المنصور بأبي مسلم الخراساني، فنقل القصيدة إلى هجاء أبي مسلم، وغير فيها وبدل. وربما أن القصيدة كلها كانت فعلاً نفاقاً للمنصور بهجاء قتيله أبي مسلم. وصلتنا القصيدة، واقتبسنا منها هنا أبياتاً.

ولما تولى المهدي الخلافة بعد أبيه المنصور استبشر بشار، فالمهدي يحب الشعر ويسمع الشعراء. وبشار أشهر شاعر في البلاد. رحل بشار إلى بغداد، واتصل بالخليفة الجديد ومدحه، ونال إعطياته. ومدح وهجا في بغداد الجديدة.. مدينة عمرها خمس عشرة سنة.. مملة. أين هي من البصرة؟

يستذكر أيامه بالبصرة.. كان له بيت عامر بالأنس وبالأصدقاء. يأتي الرجال فيسمعون منه آخر أشعاره في هجاء غريمه حماد عجرد، ويروون له ما قال حماد فيه. ويأتيه تلميذه الشاعر سلم الخاسر، ويسمع منه آخر القصائد.

ويحدث أن يقول سلم بيتاً جميلاً، بيتاً سار في كل البلاد وفي كل القرون حتى ليزعم صاحب هذه الأسطر أن القارئ، كائناً من كان، قد سمع بهذا البيت، أو بنصفه الأول. قال سلم: (من راقب الناس مات غمماً/ وفاز باللذة الجسور). وفار مرجل بشار غضباً، وحلف ليقاطعن سلماً، وليفعلنّ ويفعلنّ. وجاء الصحب بسلم إلى بشار. فشمته أقذع شتم، قال له: تسرق بيتي وتضعه في كلام سهل حتى يسير بيتك ويخمل بيتي! فأنا قلت: (من راقب الناس لم يظفر بحاجته/ وفاز بالطيبات الفاتك اللهج) وتأتي وتسرق المعنى. لكن، في الواقع ليس مع بشار حق. فالقانون الذي تواضع عليه النقاد هو أن من يسرق المعنى ويضعه في حلة أجمل كان أولى به.

اعتذر سلم لبشار بحرارة، وقال له: أنا تلميزك وخريجك يا أبا معاذ. فرضي بشار. كان طيب القلب، وكان يحب أصحابه وتلاميذه، على شراسة في خلقه وحدة في مزاجه، وعلى سلاطة في لسانه.

يتذكر بشار أيام البصرة الجميلة، هذه المدينة العتيقة، ليست عتيقة جداً ولكنها عتيقة حقاً بالمقارنة مع بغداد. البصرة التي شهد فيها بعينيه، عفواً

بأذنيه، جريراً والفرزدق يتهاجيان في المربد، البصرة التي هواؤها وخم ومستقعاتها ترسل على الناس أسراب البعوض، والتي يشرب الناس فيها الماء عذباً تارة وملحاً تارة، البصرة التي فيها تشكيلة غريبة من القبائل، وفيها النبط وفيها الجواري.

يتذكر كيف كانت تأتيه أمانة جارية بني فلان، وتصحبها عاتكة الفتاة الصغيرة ابنة سيدتها، وتأتيه عبدة جارية بني علان، وفلانة وفلانة من الجواري يأخذن نهار عطلة من الخدمة في بيوت عليّة القوم، ويأتين بشاراً ويجلسن إليه فيسمعهن شعره وأحاديثه التي فيها من الأحماض ما يضحكن ويثير في نفوسهن أموراً لا يحسن ببنات الحرائر أن يشعن بها. كان مجتمع البصرة يتأفف من هذا الضرير الذي تأتيه الجواري.. لكن، لا بأس، هن جوارٍ. فإذا ذكر في شعره بنتاً من بنات الأحرار، كان السخط كبيراً. لكن يقل هذا السخط حين يعلم الناس أنه كذاب في تعشقه الحرائر، ثم لا بأس.. هو أعمى.

جل هذا الشعر الذي قاله في الغزل كان في العصر الأموي. وكان فيه من جزالة الشعر الأموي، ومن ألفاظه، ولكن.. كان فيه أيضاً كل ما في نفس بشار المتوقدة من بوهيمية ومن خيال جامح ومن شهوانية ومن قلة اكتراث بالمعتقدات، ومن حنين لحرية قديمة لم يعرفها لا هو ولا أبوه في ظل دين قديم. كان شعراً عربياً في لغته وجديداً في روحه. شعر بذيء بقدر ما في الطبقة القاسية والعبودية من بذاءة. ولعل قصائده في البنات الصغيرات من الحرائر كانت تعبر عن اشتهاؤ لا يذاء هذا الطهر الذي حرّمه المجتمع منه.

ليس لأنه سليل عبودية زائلة كان بشار بذيثاً، بل هو رجل خلقه الله غير رومني. هو شهواني وكفى. لكنه أيضاً ذو خيال ومقدرة، وعقله يحمل ثقافته العربية المتينة، ويحمل أيضاً تلك الأحاسيس بأنه ضيف على ثقافة العرب، وبأن العمق الثقافي له كائن هناك في ثقافة أسلافه الذين زعم أنهم من سلالة كسرى.

لم يكن مرتاحاً في بغداد رغم أن الخليفة المهدي نفسه سمح له بالدخول إلى جواريه كي يحادثهن، فهو أعمى ولا ضير. ولم يسلم الخليفة من سلاطة لسانه، هجا بادئاً وزير الخليفة يعقوب بن داود، ثم كأن الخليفة حرّمه من الصلة مرة بعد مرة، فهجا الخليفة ببيتين. وأي شعر يقوله بشار، حتى لو همس به همساً في حلقة يونس النخوي، لا بد أن ينبت له جناحان. ف شعر بشار فيه اللسعة التي تجدها في نبيذ العنب ولا تجدها في عصير العنب.

وأوصل الوزير يعقوب بن داود البيتين إلى المهدي. فهلك بشار.

سأل عنه المهدي ف قيل له هو بالبصرة. . قد عاد إليها. فانحدر الخليفة إلى البصرة بسفينته. وجيء ببشار ف ضرب سياط التلف. قال لهم الخليفة اجلدوه حتى الموت. فجلدوه وهو يقول حسّ، ومعناها أحّ بعربية البدو. قالوا له: ألا تقول الحمد لله؟ فقال لهم: أهو تريد فأحمد الله عليه؟

تتعدد الروايات في مقتل بشار ولكنها تجمع على أنه قتل قتلاً. وأن جثته ألقيت في الوحل، فأخذه من أخذه وشيعه. ويقولون إن جنازته كانت مكونة من جارية سنديّة، مشّت خلف نعشه تقول: واسيده! ويقولون إن أهل البصرة تصدقوا عندما علموا بموته، لما كان يلحق بهم من الأذى من شعره ومن سلوكه. كان قد أسن وبلغ الخامسة والسبعين أو نحوها، ولم يعد حديثه مسلماً، كان فقط الشيخ البذيء الذي لا نملك نحن أهل البصرة سوى السكوت عليه لأنه ضرير.

مات بشار، ولكن أهل الأدب ظلوا يتناقلون شعره. قيل جمعه في كتاب، وقيل بل لم يجمعه. ولكن أهل الأدب جمعوا بعد سنين طويلة مختارات من شعر بشار أكثر من مرة، فالأغلب والحال هذه أن يكونوا اختاروا ما اختاروه من ديوان. وفي الخمسينات (بين ١٩٥٠ و ١٩٥٧) نشر الشيخ الطاهر بن عاشور التونسي نصف ديوان بشار. إذن لا بد أنه كان هناك ديوان مكتمل.

وحتى يومنا هذا لم نعثر على النصف الثاني.

المخطوط الذي ورثه الشيخ بن عاشور عن جده كان مرتباً على أبجدية المشاركة ويصل شعر بشار إلى أواسط حرف الراء. ويعلم محبو الشعر القديم أن حرف الراء يقع غالباً في منتصف الدواوين. فلا بد أن الديوان الكامل مجلدان. وكان في نشرة الشيخ الجليل، وهو فقيه كبير ومفسر وعالم بالعربية، غناء، خاصة وأنه ألحق بها ما التقطه من أشعار بشار من كتب الأدب. وجاء بعد الشيخ عاشور من زاد زيادات، وصحح شاعر الفحam - في كتاب من مئتي صفحة - بعض أوهام الشيخ، ونشر الديوان إحسان عباس نشرة فيها بعض تصحيحات استفاد فيها من الفحam وزاد زيادة قليلة.

فهذا ما بأيدينا من شعر بشار بن برد.

وقد ترجم له صاحب الأغاني واعتنى به . فكان لبشار في الأغاني مئات الأبيات .

يمكن القول إن ما وصلنا من شعر الرجل سبعة آلاف بيت، وهذا ليس بالشيء القليل للكشف عن طبيعة شعره وشخصيته . ولا ننس أن ما اقتبسته كتب الأدب، في زمن كان فيه شعره موجوداً بين الأيدي، إنما هو من صفوة شعره . ومن كل هذا اخترنا لك ما سترى بعد هذه الصفحات .

١ أبيات فرائد

وَلَسْتُ بِالْحَاسِبِ بَذْلَ النَّدَى إِنَّ الْبَخِيلَ الْكَاتِبُ الْحَاسِبُ

* * *

وَقَدْ هَمَمْتُ بِحَيِّ نَمِ أَدْرَكْنِي حِلْمِي، فَأَسْكَنْتُهَا مُحَرَّمَةً لَهَا

هل كنت في مجلس استحق فيه أحدهم منك كلمة جارحة، لكنك أمسكتها؟ لا بد أنها ظلت جمره حلقك

* * *

تَرْجُو غَدًا؟ وَغَدٌ كَحَامِلَةٍ فِي الْحَيِّ لَا يَذَرُونَ مَا تَلِدُ

الغد كالمرأة الحامل، وأنت لا تدري ما سيأتي به الغد

* * *

مَا كُلُّ زَلَّةٍ صَاحِبٍ أَغْدُو لَهَا أَتَوَلَّبُ

ستجد أدناه كثيراً من الشعر لبشار في الإغضاء عن هفوة الصديق . لكن أقل كلمة كان يقولها لأصحابه يا ابن الفاعلة . لي صديق لا أقول كلمة إلا فسرهما تفسيراً عجيباً ووئب عليّ يلوم ويعاتب . . شهوة قلبه العتاب، لا يترك صغيرة ولا أصغر منها . . فعلاً أحس أنه يئب على كلامي وئباً . . ووالله إنني لأراعيه مراعاة كرتونة البيض وأنا أحملها من السوبرماركت إلى البيت . . لا فائدة

* * *

إِنِّي مَدَحْتُكَ كَاذِباً فَأَتَّبَنِي لَمَّا مَدَحْتُكَ مَا يُثَابُ الْكَاذِبُ

* * *

فَإِنْ قُلْتَ: «إِنِّي مَاجِدٌ وَابْنُ مَاجِدٍ» فَقَدْ قَالَ خِنْزِيرُ السَّوَادِ: أَنَا الْأَسَدُ

إن مدحت نفسك فلعل الخنزير في سواد العراق يقول: أنا الأسد

* * *

لَا أَشْتَهِي السَّلْوَةَ، إِنِّي أَمُرُّ زَيْنْتُ نَفْسِي بِهَوَى مِنْ هَوَيْتِ

السَّلْوَةُ: نسيان الحبيب

* * *

كَبُرَ تَشَهَّى لَذِيذِ النِّكَاحِ وَتَفَرَّقَ مِنْ صَوْلَةِ النَّاكِحِ

الصَّلْوَةُ: الهجمة. تشبيه كهذا لا يخرج إلا من فم بشار

* * *

وَكَانَ جَوَارِي الْحَيِّ إِذْ كُنْتُ فِيهِمْ قَبَاحًا، فَلَمَّا غَبَّتْ صِرْنَ مِلَاحًا

الجمال نسي.. عجبت للفتيات يقبلن على رقعة بنت جميلة جداً.. تكشفهن

* * *

فِي حُلَّتِي جِسْمُ فَتَى نَاجِلٍ لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ لَهُ طَاحًا

* * *

وَيُعْطِيكَ دُلًّا إِذَا رُغْتَهُ كَمَا ذَلَّ لِلْقَدَمِ الْمُرْبُودِ

يهجو حماد عجرد. رعته: أخفته. المرید: سوق بالبصرة كان يرتاده أهل الأدب

* * *

يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَوْرِدُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الرِّحَامِ

* * *

إِذَا ابْتَسَمَتْ جَادَتْ جُفُونِي بِوَابِلٍ مِنَ الْعَيْثِ أَجْرَتْهُ بُرُوقُ الْمَبَاسِمِ

كان في مبسمها برقاً لبياض أسنانها.. وبعد البرق يأتي وابل المطر، والمطر دموع شاعرنا

* * *

إِذَا حَسَرَ الشَّبَابُ فَمْتُ جَمِيلاً فَمَا اللَّذَاتُ إِلَّا فِي الشَّبَابِ

حسر: انحسر وتلاشى، مت جميلاً: انسحب من حلبة العشق بكرامتك

* * *

إِذَا أَنْشَدَ حَمَّادٌ فَقُلْ أَحْسَنَ بَشَّارُ

يتهم حماد عجرد بسرقة معاني شعره

* * *

وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى أَدَى يَضِيْمُكَ فِيهَا صَاحِبٌ وَتَرَاقِبُهُ

بضمك: يظلمك. تراقبه: تراه

* * *

دَعَانِي شَيْقِنَاقُ إِلَى خَلْفِ بَكْرَةٍ فَقُلْتُ اتْرُكْنِي فَالْتَفَرُّدُ أَحْمَدُ

شيقناق: شيطان من شياطين الشعراء، وبار لا يريد أن يكون رديفاً على الناقه وراء شيطان شعري، يريد التفرد

* * *

وَيَكَادُ يُظْلَمُ حِينَ يُغَشَى بَيْتُهُ مِنْ لَيْنِ جَانِبِهِ وَلَيْنِ حِجَابِهِ

هذا الممدوح يكتظ عليه طالبو المعروف، فكأنهم يظلمونه، ويستقبلهم ببشاشة للين جانبه، أي طيبته، ولين حجابيه، أي سهولة الدخول عليه وسماحة حاجبه

* * *

الْأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ

بقية من مجوسية الأجداد الذين عبدوا النار

* * *

مَتَى تَأْتِ الْكَرَامَةُ مِنْ كَرِيمٍ فَمَا لَكَ عِنْدَهُ إِلَّا الْهَوَانُ

الكريم بغضب على من يرفض معروفه.. . ولأ سيما إن كان المعروف رمزياً. فإذا دعاك زعيم إلى غداء وقلت له إنك شبعان، فسوف ينتظر فرصة يهينك فيها. رج وكل

* * *

مَتَى يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْمًا نَعَامَهُ إِذَا كُنْتَ نَبْنِيهِ وَعَبْرُكَ يَهْدِمُ؟

* * *

أَعْمَى يَقُودُ بَصِيرًا لَا أَبَالَكُمُ قَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَتِ الْعُمَيَانُ تَهْدِيهِ

فصة البيت أن رجلاً جاء يسأل عن مكان فلم يستطع أحد من الجلوس أن يدلّه، فقام بشار وأمسك بيده وأخذه إلى المكان

* * *

مَا قَامَ أَهْرُ حِمَارٍ فَاْمَتَلَا شَبَقًا إِلَّا تَحَرَّكَ عِرْقٌ فِي اسْتِ تَسْنِيمٍ

خطر البيت، الذي يحتاج إلى نقطة، ببال بشار.. . وإذا بتسليم يدخل، فجعله بشار في القافية. وغضب تسليم فقال له بشار: قعدت في طريق القافية

* * *

عَرَّضَنُ لِلذِّي تُحِبُّ بِحُبِّ ثُمَّ دَعَاهُ يَرْوُضُهُ إِبْلِيسُ
بيت أغضب ولالة الأمر كثيراً . فهموا معناه . الرجل يرمي كلمة ، ويترك الفتاة مع كلمته ومع
إبليس ، وبعد حين تلين الفتاة . رأيت فتيات يصنعن ذلك مع الرجال . لكن الرجل ليس في حاجة
إلى إبليس . هو إبليس .

* * *

يا صاح لا تَجْرِ في لُومِي وتأنبيي ما كُلُّ مَنْ لَمْ يُحِبِّ قوماً بِمَغْلُوبِ

٢ نُتِفَ

كثرت النتف - والنتفة هي البتان لا ثالث لهما - في شعر بشار لأن نصف ديوانه
ضاع ، والتقط الناس الأبيات المفردة في كتب الأدب وألحقوها بنصف الديوان
الموجود . وكتب الأدب كثيراً ما تقتبس بيتين بيتين حتى تبرز حرارة القافية

إِنْ عَمَرَا فاعْرِفُوهُ عَرَبِيٌّ مِنْ زُجْجَاجِ
مُظْلَمِ النُّسْبَةِ ، لَا يُغْفَرُ إِلَّا بِالسُّرَّاجِ
عمرو يدعي أنه عربي قح ، لكنه عربي من زجاج ما أسهل أن ينكسر . ونسبته ، أي نسبه ، مظلم غير
واضح . . أهو عربي أم نبطي أم فارسي . . ويحتاج نسبه إلى مصباح

* * *

خَلِيلِيٍّ مِنْ كَعْبٍ أَعَيْنَا أَحَاكُمَا عَلَى دَهْرِهِ إِنْ الْكَرِيمَ مُعِينُ
وَلَا تَبْخَلَا بُحْلَ ابْنِ قُرْعَةَ إِنَّهُ مَخَافَةٌ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ
شبيه بهذا ما يصنعه المدير عندما يدخل عليه موظف محتج على حرمانه من العلاوة . . يكتسي
وجهه بالحزن ، ويسبق الموظف إلى الشكوى من سوء الأحوال

* * *

مِنْ حُبِّهَا أَتَمَنَى أَنْ يُلَاقِيَنِي مِنْ نَحْوِ بَلَدِهَا نَاعَ فَيُنْعَاها
كَيْمَا أَقُولَ فِرَاقَ لَا لِقَاءَ لَهُ وَتُضْمِرُ النَّفْسُ يَأْساً ثُمَّ تَسْلَاهَا

* * *

قَالُوا الْعَمَى مَنْظَرٌ قَبِيحٌ قُلْنَا بِفَقْدِي لَكُمْ يَهُونُ
تَاللَّهِ مَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ نَأْسَى عَلَى فَقْدِهِ الْعُيُونُ

* * *

تَمُرْكُمُ يَا سَهِيلُ دُرٌّ ، وَهَلْ يُظْ مَعَ فِي الدَّرِّ مِنْ يَدَيِّ مُتَعَتِّ؟
يهجو سهيلاً ، فتمره كأنما هو اللؤلؤ . وهل يطمع المرء في لؤلؤ من يدي صاحب عتو وتجبر؟

فَاخْبُنِي يَا سَهِيلُ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ مِرْ نَوَاةً تَكُونُ قُرْطاً لِيَبْنَتِي
فَاعْطِنِي نَوَاةً لَا تَمْرَةً لَتَكُونَ حَلَقاً فِي أُذُنِ بَنَتِي

* * *

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمُ فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الرِّزْقِ وَالْعُودِ
يعقوب هذا كان من خاصة المهدي، ولعله كان فعلاً بين الرزق، خابية الخمر، والعود، أي كان
يحضر مجالس الطرب. قيل إن البيت تسبب في قتل شاعرنا

* * *

وَالْجِدُّ لَيْسَ بِزَائِدٍ فِي رِزْقٍ مَنْ يَسْعَى، وَلَيْسَ بِنَائِمٍ عَنْ نَائِمٍ
وَيَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ عِنْدَ تَمَامِهِ مَوْتَ الطَّبِيبِ الْفِيلَسُوفِ الْعَالِمِ
الجد بالكسر المثابرة، فهي لا تزيد رزق الساعي. والرزق نفسه لا ينام عمن ينام عن السعي بل
يأتيه رزقه. كل شيء مقدر، والموت مقدر علينا كلنا

* * *

طَرَقْتَنَا ذَاتُ الْبَنَانِ الْأَحْمَ حَبَّذَا النُّومُ لِلْخِيَالِ الْمُلِمِ
لَوْ سَقَتْنِي سُمًّا لَقُلْتُ دَعُوهَا لَا يَضُرُّ الْحُورَ وَطَآءُ أُمِّ
طرقتنا، أي جاءتنا ليلاً ذات البنان الأحمر، أي الأنامل المسودة من الحناء، وما أجمل النوم في
انتظار طيفها الملم، الزائر. ولو سقتني سماً فلن أتضرر. فالحوار، الجمل الصغير لا يضره أن
تدوس عليه أمه.. معنى قديم سرقه بشار

* * *

وَدَعَجَاءِ الْمَحَاجِرِ مِنْ مَعْدٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا ثَمَرُ الْجَنَانِ
إِذَا قَامَتْ لِمَشْيَتِهَا تَثَنَّتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ زَرَانِ
رب دعجاء المحاجر، واسعة العينين، من شعب معد، ذات حديث حلو، وتثنى إذ تقوم كأن
عظامها من خيزران

* * *

رُبَّمَا يَثْقُلُ الْجَلِيسُ وَإِنْ كَانَ نَ خَفِيفاً فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ
قد يكون الجليس ثقیل الظل وإن كان خفيفاً في الميزان، أي تافهاً

كَيْفَ لَا تَحْمِلُ الْأَمَانَةَ أَرْضٌ حَمَلَتْ فَوْقَهَا أَبَا سُفْيَانَ

الآية حَمَلَتِ الْإِنْسَانَ الْأَمَانَةَ بَعْدَ أَنْ أَبْتَهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ. وَبِشَارٍ يَتَعَجَّبُ كَيْفَ أَبَتْ
الْأَرْضُ حَمْلَ الْأَمَانَةِ وَقَدْ حَمَلَتْ هَذَا الثَّقِيلَ الْبَغِيزُ الْمَكْنَى بِأَبِي سُفْيَانَ

* * *

يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالْأَذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحِبَانَا
قَالُوا يَمَنْ لَا تَرَى تَهْذِي فَقُلْتُ لَهُمْ الْأَذُنُ كَالْعَيْنِ تُؤْتِي الْقَلْبَ مَا كَانَا
الْأَذُنُ تُؤْتِي الْقَلْبَ: تُؤَدِّي إِلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ

* * *

خَلِيفَةٌ يَزْنِي بِعَمَّاتِهِ يَلْعَبُ بِالْذُّبُوقِ وَالصَّوْلُجَانِ
أَبْدَلْنَا اللَّهَ بِهِ غَيْرَهُ وَدَسَّ مُوسَى فِي حِرِّ الْخَيْرِزَانِ

الخليفة: المهدي، وهو في زعم بشار يلهو بلعبة الذبوق والصولجان، وهي مثل البولو... عصا
يحملها رجل فوق فرسه ويلاحق الكرة، وكان لها ميادين خاصة في ذلك العصر. موسى الهادي:
ولي العهد، والخيزران أمه. والحر، بغير شدة: متاع المرأة. ولم يخبرنا لا الطبري ولا صاحب
الآغاني شيئاً عن عمات المهدي. وكثير من المصادر القديمة تؤكد أن هذين البيتين هما، دون
غيرهما، سبب قتل بشار

* * *

أَنْسُ غَرَائِرُ مَا هَمَمَنْ بِرَبِيبَةٍ كَظَبَاءٍ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامٌ
يُحْسِبَنَّ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ زَوَانِيَا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخَنَا الْإِسْلَامُ
أنس غرائر: فتيات أنيسات بريئات، ما نوين علاقة مريبة. لكن حديثهن فيه غنج ولين حتى
ليحسبن المرء زانيات، لكن الإسلام يمنعهن من الخنا، أي الفحش

* * *

مِنْ الْمَفْثُونِ بِشَارِ بْنِ بُرْدٍ إِلَى شَيْبَانَ كَهْلِهِمْ وَمُرْدٍ
فَبِإِنَّ فَتَاتِكُمْ سَلَبَتْ فُؤَادِي فَنُصِفْتُ عَنْدَهَا وَالنُّصْفُ عِنْدِي

رسالة من بشار إلى كهول قبيلة شيان ومردها، أي شباهها الذين لم تنبت لحاهم... نص الرسالة
في البيت الثاني. لو قال «شطرت فؤادي» لكان أليق

* * *

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدي
أَفْذْتُ، وَأَعْدَانِي فَأَقْتَنَيْتُ مَا عِنْدِي

* * *

إِنْ سَلَمَى خُلِقَتْ مِنْ قَصَبٍ قَصَبِ السُّكَّرِ، لَا عَظَمِ الْجَمَلِ
وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلاً غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصْلِ

يفسر القصب، فهو قصب السكر اللين وليس عظم الجمل (والقصب العظم أيضاً،
ألا نسمي اللحم قصباً). والبيت الثاني من فكاهات بشار، ولم يفهم النقاد الغلاظ الطبع الفكاهة
فانتقدوا بشاراً

* * *

كَيْفَ يَبْكِي لِمَحْبَسٍ فِي طُلوْلِ مَنْ سَيَقْضِي لِحَبْسٍ يَوْمَ طَوِيلِ
إِنَّ فِي الْحَشْرِ وَالْحِسَابِ لَشُغْلاً عَنْ وُقُوفٍ بِكُلِّ رَسْمٍ مُحِيلِ

كيف يبكي رجل يحبس نفسه عند أطلال الأحبة، وهو سينتهي إلى حبس طويل يوم الحساب ينسيه
كل رسم محيل، كل طلل متحول إلى خراب

* * *

قُلْ لِّشَهْرِ الصِّيَامِ أَنْحَلْتَ جِسْمِي إِنْ مِيقَاتِنَا طُلُوعُ الْهِلَالِ
إِجْهَدِ الْآنَ كُلَّ جَهْدِكَ فِينَا سَتَرَى مَا يَكُونُ فِي شَوَالِ

ميعادنا يا رمضان هو هلال شوال، فاصنع بنا الآن ما تشاء من جوع ومنع عن اللهو،
وسترى ما نصنع في شوال

* * *

بِشْسِ الْمُرُوءَةِ مِنْ ذَوِي حَسَبٍ جَاعَتْ قَرَابَتُهُمْ وَقَدْ ثَمَلُوا
شَبِعَ الْأَمِيرُ وَجُوعٌ صَاحِبِهِ عَارُ الْحَيَاةِ، فَأَظْعِمُوا وَكُلُوا

يجوع أقرباؤهم فأما هم فيأكلون ويشربون الخمر حتى الثمالة، والحكمة في النهاية موجزة إيجازاً
حلواً: أظعموا وكلوا

* * *

لَمَّا رَأَيْتُ الْحِظَّ حَظَّ الْجَاهِلِ وَلَمْ أَرِ الْمَغْبُوبَ غَيْرَ الْعَاقِلِ
شَرِبْتُ خَمْساً مِنْ كُرُومِ بَابِلَ فَبِتُّ مِنْ عَقْلِي عَلَى مَرَاكِـلِ

لما رأيت الجاهل محظوظاً وغنياً، ورأيت العاقل مغبوتاً، مهضوم الحق، شربت خمس كؤوس
من خمر بابل، وابتعدت عن عقلي مراحل. والمرحلة هي المسافة بين موضع وموضع يتم
فيهما تبديل بغل البريد أو إراحته

* * *

وَمِثْلُكَ قَدْ سَيَّرْتُهُ بِقَصِيدَةٍ فَسَارَ وَلَمْ يَبْرَحْ عِرَاصَ الْمَنَازِلِ

رَمِيتْ بِهِ شَرْقاً وَغَرْباً فَأَصْبَحَتْ بِهِ الْأَرْضُ مَلَأَى مِنْ مُقِيمٍ وَرَاحِلٍ
 مثلك يا هذا قد نشرت مخازيه بشعري فسارت سيرته، فكأنه قد سار بنفسه وهو لم يبرح عراض
 المنازل، ساحاتها، لكن امتلأت الأرض شرقاً وغرباً بذكره، يسمع به المقيم والمسافر

* * *

يَا ابْنَ نَهْيَا رَأْسِي عَلَيَّ ثَقِيلُ واحتمالُ الرأسينِ حَظْبٌ جَلِيلُ
 أدعُ غيري إلى عِبَادَةِ رَبِّبِ نِ، فَإِنِّي بِوَاحِدٍ مَشْغُولُ
 ينهم بشارُ ابن نهيا، حماد عجرد، بأنه يعبد إلهي الخير والشر على دين المانوية، ويزعم بشار أنه
 هو يعبد إلهاً واحداً

* * *

أَتَتْنِي الشَّمْسُ زَائِرَةً وَلَمْ تَكُ تَبْرَحِ الْفَلَكَ
 تَقُولُ وَقَدْ خَلَوْتُ بِهَا: تَكَلَّمْ وَأَخْفِنِي بِدَكَا
 هذه لا يعرف الشاعر يقولها إلا إن سمعها فعلاً من فتاة «حاول معها»

* * *

عَجَزَاءُ مِنْ سِرِّ بَنِي مَالِكِ لَهَا حِرٌّ مِنْ بَطْنِهَا أَزْفَعُ
 زَيْنَ أَعْلَاهُ بِإِشْرَافِهِ وَاَنْضَمَّ مِنْ أَسْفَلِهِ الْمَشْرِعُ
 يصف ما لا يوصف من فتاة من سر بني مالك، من أوساطهم، فهي عجزاء ذات عجيذة كبيرة،
 ولها حر، ذلك الشيء الناتئ عن بطنها والمشرف .. إلخ

* * *

خَلِيلِيَّ إِنْ الْمَالَ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ يَنْلُ مِنْهُ أَخٌ وَصَدِيقُ
 وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ لَهُ فِي الثَّقَى أَوْ فِي الْمَحَامِدِ سُوقُ
 * * *

لَوْ نُكِّحَ اللَّيْثُ فِي اسْتِهِ خَضَعَا وَمَاتَ جُوعاً وَلَمْ يَنْلُ طَمَعَا
 كَذَلِكَ السَّيْفُ عِنْدَ هَزَّتِهِ لَوْ بَصَقَ النَّاسُ فِيهِ مَا قَطَعَا
 معنى دقيق: الإقدام يكون مع الشرف

* * *

إِنْ الْعُرُوقُ إِذَا اسْتَسَرَّتْ فِي الثَّرَى أُنْدَى النَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ الْمَرْزُوعُ

وَإِذَا جَهِلْتَ مِنْ أَمْرِي أَعْرَاقُهُ وَقَدِيمَهُ فَاَنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
الجدور التي استسرت، اختفت عميقاً في الأرض، تجعل النبات يطيب وينع، وكذا الإنسان، فإن
جهلت امتداد أصله فانظر إلى أفعاله فإن كانت حميدة دلت على أن له أصلاً متيناً

* * *

قَالَتْ لِتَرْبِيَّهَا اذْهَبَا فَتَحَسَّسَا مَا بَالُهُ تَرَكَ السَّلَامَ وَأَعْرَضَا
قَدْ ذُقْتُ أُلْفَتَهُ وَذُقْتُ فِرَاقَهُ فوجدتُ ذا عَسلاً وذا جَمَرَ الغَضَا
طلبت من رفيقتيها التحسس، وهو يشبه التجسس، لمعرفة سبب تركه التحية. وقالت لهما: ذقت
قربه وذقت هجره، فقربه عسل وهجره جمر الغضا، والغضا شجر كبير يصير إلى حطب صلب

* * *

إِبْلِيسُ خَيْرٌ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمَ فَتَنَّبَهُوْا يَا مَعْشَرَ الْفُجَّارِ
إِبْلِيسُ مِنْ نَارٍ وَآدَمُ طِينَةٌ وَالْأَرْضُ لَا تَسْمُو سُمُو النَّارِ
قيل إن الناس دسوا البيتين على بشار كي تلتصق به تهمة الزندقة

* * *

يَا خَلِيلِي أَصِيبَا أَوْ ذَرَا لَيْسَ كُلُّ الْبَرْقِ يُهْدِي مَطَرَا
ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ إِلَّا ذَكَرُهُ رُبَّمَا أَبْكَى الْفَتَى مَا ذُكِّرَا

* * *

لَا أَظْلِمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي أَنْ نَجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَغُورُ
لَيْلِي كَمَا شَاءَتْ: فَإِنْ لَمْ تَزُرْ طَالًا، وَإِنْ زَارَتْ فَلَيْلِي قَصِيرُ
لا أقول كالشعراء إن النجوم لا تغرب وإن الليل طويل. فطوله وقصره رهن بزيارة المحبوبة

* * *

وَأَعْرِضْ عَنْ مَطَاعِمٍ قَدْ أَرَاهَا فَأَتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطِوَاءُ
فَلَا وَأَبِيكَ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
انطواء: جوع

* * *

وَعَيَّرَنِي الْأَعْدَاءُ وَالْعَيْبُ فِيهِمْ وَلَيْسَ بِعَارٍ أَنْ يُقَالَ ضَرِيرُ
إِذَا أَبْصَرَ الْمَرْءُ الْمُرُوءَةَ وَالتَّقَى فَإِنْ عَمَى الْعَيْنَيْنِ لَيْسَ يَضِيرُ

* * *

إَرْفُقْ بِعَمْرٍو إِذَا حَرَّكَتْ نَسَبَتُهُ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ قَوَارِيرِ
 إِنْ جَارَ آبَاؤُهُ الْأَنْدَالُ فِي مُضَرٍ جَارَتْ فُلُوسُ بُخَارَى فِي الدَّنَانِيرِ
 عمرو هذا يزعم أنه عربي، ولكن رفقا بانتسابه هذا فهو من قوارير، زجاج. وإن جاز، أي دخل،
 أجداده ضمن قبيلة مضر، فلا غرابة أن تختلط فلوس بخارى بالدنانير دون تميزها عنها

* * *

إِذَا اعْتَذَرَ الْجَانِي إِلَى عِذْرَتِهِ وَلَا سِيَّمَا إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَعَمَّدَا
 فَمَنْ عَاتَبَ الْجُهَّالَ أَتَعَبَ نَفْسَهُ وَمَنْ لَمْ يَلَمْ لَا يَعْرِفُ اللَّوْمَ أَفْسَدَا

* * *

خُلِقْتُ عَلَى مَا فِيَّ غَيْرَ مُخْبِرٍ هَوَايَ، وَلَوْ خُبِرْتُ كُنْتُ الْمَهْدَبَا
 أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى، وَأُعْطَى وَلَمْ أُرَدْ وَقَصَّرَ عِلْمِي أَنْ أَنَالَ الْمُغَيَّبَا

* * *

رَبَابَةُ رَبَّةُ الْبَيْتِ تَصُبُّ الْخَلَّ فِي الرِّيزِ
 لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وَدِيكَ حَسَنُ الصَّوْتِ

بيتان قالهما عن جارتها «ربابة» وكانت تطعمه من بيض دجاجاتها. وسئل بشار عن هذا الشعر
 الخفيف، فقال: هذا عندي أحسن من «قفا نيك»

* * *

طَرَقْتَنِي صَبَاً فَحَرَّكَتِ الْبَا بَ هُدُوءاً فَارْتَعْتُ مِنْهُ ارْتِيَابَا
 فَكَأَنِّي سَمِعْتُ حِسَّ حَبِيبٍ نَقَرَ الْبَابَ نَفْرَةً ثُمَّ غَابَا

ريح الصبا طرقتني، جاءت ليلاً، فطقتني الباب طقطقة خفيفة، فأحسست بخوف.. كان الصوت
 كأنه صوت حبيب نقر الباب نفرة ثم غير رأيه ولم يكررها. مثل هذا المعنى الحضري الرهيف لا
 نجده في الشعر ما قبل بشار.. وعنده من مثل هذه اللقطات الكثير.. بيد أنه فصيح مثين اللغة،
 لذا عدّوه آخر المتقدمين وأول المحدثين

* * *

قُلْ لِلْأَمِيرِ جِزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً لَا يُجْمَعُ، الدَّهْرُ، بَيْنَ السَّخْلِ وَالذُّبِ
 السَّخْلُ غَيْرٌ وَهُمْ الذُّبُّ عَقْلَيْتُهُ وَالذُّبُّ يَعْلَمُ مَا فِي السَّخْلِ مِنْ طَبِيبٍ

كلف الأمير حماد عجرد بتأديب ولده، فها هو بشار يحذره من ميول حماد. والسخل صغير العنز
 وهو غر، بريء، والذئب يعرف ذلك. تكلمة القصة أن الأمير سمع البيتين وصرف حماداً

* * *

إني وإن كان جمعُ المالِ يُعجِبُنِي ما يَعدِلُ المالُ عِنْدِي صِحَّةَ الجَسَدِ
المالُ زَيْنٌ، وفي الأولادِ مَكْرَمَةٌ والسقمُ يُنسِيكَ ذَكَرَ المالِ والولَدِ

* * *

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنسِي صَدِيقُكَ، إن الرأْيَ عَنكَ لَعَارِضُ
وليس أَخِي مَنْ وَدَّني رَأْيَ عَيْنِهِ ولكن أَخِي مَنْ وَدَّني وَهُوَ غَائِبُ
تتوَدد إلى عدوي وتزعم أنني صديقك.. الرأي الصحيح عازب عنك، مجانب لك. وليس أخاً لي
من أظهر المودة في حضوري، بل من بقي على وده وهو غائب عن عيني أيضاً

* * *

وَأَبْنَيْتُ عَمْرًا بَعْضَ مَا فِي جَوَانِحِي وَجَرَّعْتُهُ مِنْ مُرٍّ مَا أَتَجَرَّعُ
ولا بَدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي حَفِيفَةٍ إِذَا جَعَلْتَ أَسْرَارُ نَفْسِي تَطْلُعُ

أبنتُ عمراً، بُحت له، بما في نفسي.. وجعلته يشاركني في مرارة ما أتعرجه من مشكلات،
والمرء لا يستغني عن الشكوى لذي الحفيظة، صاحب المروءة، عندما تفيض مكنونات نفسه
وتتطلع للخروج. لقطة ذكية.. ولا سيما تحميك صديقك بعض مشكلاتك

* * *

خَاطَ لِي عَمْرٌو قَبَا لَيْتَ عَيْنَيْنِيهِ سَوَا
قَلْتُ شِعْراً لَيْسَ يُذَرَى أَمْسَدِيحٌ أَمْ هِجَا

القصة أن عمراً الخياط، وكان أعور، خاط لبشار قباء، ثوباً، وقال له: هذا لا تعرف له وجهاً من
قفا. فقال له بشار سأقول فيك بيتين لا تعرف لهما وجهاً من قفا، أي مدحاً أم ذماً: جعل الله
عينك متساويتين

* * *

تَرَكْتُ عَلَى ابْنِ الْكَسْكَرِيِّ غَضَاةً وَسَيَّرْتُهُ بِالشَّعْرِ شَرَّ مَسِيرِ
وَقَدْ عَنَّ لِي الْخُنْثَى، فَقُلْ لِبَعُوضَةٍ: سَقَطَتْ وَلَمْ أَشْعُرْ، وَطَرَتْ فَطِيرِي

غضضت من الكسكري، طأطأت منه وخفضت رأسه وأذلته، ونشرت سيرته بالشعر. وهو مخنث
وقد عَنَّ لي، تعرض لي.. فقل لبعوضة: وقعت علي ولم أشعر ثم طرت.. فطيري

* * *

وَنَدَمَانِ صِدْقٍ قَدْ وَصَلْتُ حَدِيثَهُ بِأَزْهَرِ مَجَاجِ الْمُدَامَةِ نَبَاحِ

إِذَا فَرَعْتُ كَأْسُ امْرِئٍ خَرَّ سَاجِداً وَصَبَّ لَنَا صَفراءَ فِي طَيْبِ ثَفَاحٍ
استمكمت حديث الندمان، أي النديم، بصوت إبريق أزهر، أبيض ولعله من فضة، وهو مجاج،
نافث باسق، للخمير وله صوت خرير. وكلما فرغت كأس أحدهم ثنى الإبريق رأسه وخر، وقع،
كانه يسجد، وصب خمراً

* * *

صَرَخَ بِإِحْدَى كَلِمَتَيْهِ مِنْ وَخْذِ أَمَانِكَ مِنْ جِهَادِي
صِدْقُ الْبَخِيلِ يَسُرُّنِي وَيَسُوؤُنِي كَذِبُ الْجَوَادِ
أيها الممدوح المتأخر في الدفع: قل نعم أو لا. وعلبك الأمان، ولا تجمعم الكلام.
البخيل الصادق خير من الجواد الكاذب

* * *

وَأَجِيبُ قَائِلَ كَيْفَ أَنْتَ؟ «بِصَالِحٍ» حَتَّى مَلَيْتُ وَمَلَّنِي عُوَادِي
وَمَقَالَ عَاذَلْتِي وَقَدْ عَايَنْتُهَا إِنَّ الْمُرْعَثَ رَائِحٌ أَوْ عَادِ
مللت وأنا أجيب سؤال السائلين عن حالي بكلمة «أنا صالح وبخير». وملل عوادي، زواري،
ومللتهم، ومللت من قول اللائمة، كلما رأيتهما: إن المرعث، لقب بشار، مصبح أو ممس، وعلى
وشك الموت.. أو كما يقول أهل بلدنا: ماؤه على النار، أي الماء الذي سيغسل به

* * *

عَلَيَّ أَلِيَّةٌ، وَعَلَيَّ نَذْرٌ أَمْسَكِ طَائِعاً إِلَّا بِعُودِ
أَتَيْتُكَ زَائِراً فَوَضَعْتُ كَفِّي عَلَى أَبْرِ أَشَدَّ مِنَ الْحَدِيدِ
علي أليّة، أي بمين، ألا أملك إلا بعود. فقد جئتك زائراً فوضعت يدي على ذلك العضو وهو
صلب. والقصة قصة امرأة أكثر بشار من التودد إليها، فدعته إلى بيتها، وأجلست بشاراً وأمسكت
يده ووضعتها - وبشار أعمى - على متاع زوجها. كان عصرهم عصر عبث حقاً

* * *

لَيْتَ حَظِّي مِنَ الْعِبَادِ، وَمِمَّا خَلَقَ اللَّهُ لَذَّةً لِلْعِبَادِ
رَيْقٌ «حُبِّي» أَحْسُوهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ مِ شِفَاءٍ لِقَرْحَةٍ بِالْفُؤَادِ
ليت حظي من الملذات ريق الحبيبة أرتشفه سبعة أيام ليشفي جرح قلبي

* * *

أَغْتَفِينِي مِنَ الْهَوَى أَوْ عِدِّي مِنْكَ مَوْعِدَا

أَطْمَعِينَا كَيْمًا نَعِيْدُ شَوْ وَقَوْلِي لَنَا: «غدا»
تقول فيروز: «تعا، ولا تجي، واكذب علي، الكذبة مش خطية»

* * *

إِنِّي وَعَيْشُكَ يَا عَبَّادُ فَاسْتَمِعِي لَوْ أَبْتَغِيْ فَوْقَ هَذَا الْحَبِّ لَمْ أَزِدْ
مَا هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ أَرْضِكُمْ إِلَّا وَجَدْتُ لَهَا بَرْدًا عَلَى الْكَبِدِ
يا عبدة، وحياتك، لا مزيد على حيي لك

* * *

لَعَمْرُكَ مَا تَرَكْتُ الصَّلَاةَ بِمَنْكَرٍ وَلَا الصَّوْمَ إِنْ زَارَتْكَ «أُمُّ مُحَمَّدٍ»
تَكَادُ إِذَا قَامَتْ لِشَيْءٍ تَرِيدُهُ تَمِيلُ بِهَا الْأُرْدَا فَمَا لَمْ تَشَدَّدْ

* * *

لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ حُبِّكَ يَا قُرَّ -
فَرَّغَ النَّاسُ مِنْ مُعَالَجَةِ النَّاسِ جَمِيعًا، وَأَنْتِ هَمِّي وَرَبِّي
هَ عَيْنِي، أَوْ عَشْتُ فِي غَيْرِ حُبِّ

* * *

دِينَارُ آلِ سَلِيمَانَ وَدِرْهَمُهُمْ كَالْبَابِلِيِّينَ حُفًّا بِالْعَفَارِيتِ
لَا يُوجَدَانِ وَلَا يُرْجَى لِقَاؤُهُمَا كَمَا سَمِعْتَ بِهَارُوتَ وَمَارُوتَ
الدِّينَارَ وَالْدِّرْهَمَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَظْهَرَانِ لِلنَّاسِ أَبَدًا مِثْلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ الْمَلَكَيْنِ اللَّذَيْنِ
يَعْلَمَانِ النَّاسَ السَّحَرِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِمَا، وَحَوَالِيَهُمَا الْعَفَارِيتِ

* * *

أَطْوِي الشُّكَاةَ وَلَا تَصَدَّقْنِي وَإِذَا اشْتَكَيْتُ تَقُولُ لِي: كَذَبَا
عَسَرْتُ خَلَائِقَهَا عَلَى رَجُلٍ لَعِبَ الْهَوَى بِفَوَادِهِ لَعِبَا

أطوي الشكاة: أكنم مرضي بحبها والشكاة هي السقم، وهي لا تصدق أنني لا أشكو، فإن
اشتكت بلساني فعلاً قالت إنني أكذب. خلائقها: طباعها. «ولعب الهوى بفؤاده لعباً» شطر جميل
في بساطته، ما رأيت شيئاً كه في شعر العصور السابقة

* * *

لَا تُفْشِرْ سِرَّ فِتَاةٍ كُنْتَ تَأْلُفُهَا إِنْ الْكَرِيمَ لَهَا رَاعٍ وَإِنْ تَابَا

واسعد بما قال في الجلم ابن «ذي يزن» يلهو الكرام ولا ينسون أحسابا
الكريم يرعى حرمة فئاته حتى لو تاب عن العشق واقترا. ولا أدري إن كان ابن ذي يزن قد قال
شيئاً كهذا ولكنه حلیم، والتقى بوفد قريش وقيل إنه بشر عبد المطلب ببعثة محمد

* * *

عجل الركوب إذا اعتزته نافض فإذا أفاق فليس بالركاب
وتراه بعد ثلاث عشرة قائماً مثل المؤذن شك يوم سحاب

يصف متاع الرجل، والنافض هي الحمى التي ينتفض لها الجسم، فإن انتفض
صنع شيئاً وإن أفاق فهو لا يصنع. والثلاث عشرة هي - فيما أحسب - ركعات
التراويح، وبعدها يكون لهذا الموصوف شأن. والتشبيه في الشطر الأخير خلاب،
ولا سيما حين يأتيك من أكمه، مولود أعمى. ترى مؤذن القرية فوق مثذنته يريد
أن يرفع الأذان وينظر للشمس فلا يراها، فهو يحرك جسمه يميناً وشمالاً يريد أن
يلمح الشمس في ذلك اليوم الغائم

* * *

وئح نفسي، أكلماً دب واشٍ بحديث وثبت للهجر وثبا
ما كذا يصنع المحب فقري، أين منا من لا يقارف ذنبا؟
قري: اهْدأي

* * *

عبيدة هم النفس إن يدن حُبها، وإن تنأ عنها فارق النفس روحها
المحجوبة «عبدة» هي هم نفسي إن دنت، وإن فارقتني فارقتني روحي
فلا هي من شوقي إليها تُريحني ولا أنا من طول الرجاء أريحها
لا تريحني من شوقي إليها، ولا أريحها من طول ما أحفظ برجائي فيها ولا أبأس

* * *

لا يؤيسنك من مخدرة قول نفلظهُ وإن جرحا
لا تيأس من مخدرة، فتاة محجوبة في سترها، إذا أغلظت لك القول وصدتك

عسر النساء إلى مياسرة والصعب يُمكن بعدما جمحا
فالفتاة ستلين، أليس الجمل الصعب يُمكن صاحبه من ركوبه بالترويض، بعد أن يكون جامعاً

٣ سقى الله تلك الأيام

هَجَرْتُ الْآنِسَاتِ وَهُنَّ عِنْدِي كَمَاءِ الْعَيْنِ فَقَدَهُمَا سَوَاءٌ
فَقَدَهُمَا، أَي فَقَدَ الْآنِسَاتِ وَفَقَدَ مَاءَ الْعَيْنِ، سَوَاءٌ عِنْدِي

وَأَطْبَقَ حُبُّهُنَّ عَلَى فُؤَادِي كَمَا انْطَبَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
فَقُلْ لِلْغَانِيَاتِ يَقْرَنَ إِنِّي وَقَرْتُ، وَحَانَ مِنْ غَزَلِي انْتِهَاءٌ
يَقْرَنُ: يَرْعَوِينَ وَيَهْدَانُ

وَإِنْ أَكُ قَدْ صَحَوْتُ فَرَبِّ يَوْمٍ يَهْزُ الْكَأْسُ رَأْسِي وَالْغِنَاءُ
لَنْ كُنْتُ صَحَوْتُ الْآنَ، أَي فَارَقْتُ الْغَزَلَ وَالشَّرَابَ، فَقَدِيمًا كَانَ الْكَأْسُ وَالْغِنَاءُ يَهْزَانِ رَأْسِي
أَرْوَحُ عَلَى الْمَعَارِيفِ أَرْيَحِيًّا وَتَسْقِينِي بِرِيقَتِهَا النِّسَاءُ
كُنْتُ أَغْنَى دَوْرَ الْقِيَانِ، حَيْثُ الْعَزْفُ وَالْغِنَاءُ بِأَرْيَحِيَّةٍ وَيَذِلُّ لِلْمَالِ، وَكُنْتُ أَعَاشِرُ النِّسَاءَ وَأُرْتَشِفُ رِيقَهُنَّ

٤ أَيْنَ يَسْقُطُ الطَّيْرُ؟

يَمْدَحُ عُقْبَةَ بْنِ سَلَمٍ:

حَيِّيًا صَاحِبِيَّ أُمَّ الْعِلَاءِ وَاحْذَرَا طَرْفَ عَيْنِهَا الْحَوْرَاءِ
الْحَوْرَاءُ: الَّتِي سَوَادُهَا حَالِكٌ فِي بَيَاضٍ نَاصِعٍ

إِنَّ فِي عَيْنِهَا دَوَاءً وَدَاءٌ لِمُلِيمٍ، وَالدَّاءُ قَبْلَ الدَّوَاءِ
الْمَلَمُ: الزَّائِرُ

إِعْرِضَا حَاجَتِي عَلَيْهَا وَقُولَا: أَنْسَيْتِ السَّرَارَ تَحْتَ الرِّدَاءِ
السَّرَارُ: الْمَنَاجَاةُ، وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ يَشْمَلُهُمَا رِدَاءٌ وَهُوَ يَنَاجِيهَا

وَمُقَامِي بَيْنَ الْمَصَلَّى إِلَى الْمَنَى بَرَّ أَبْكِي عَلَيْكَ جَهْدَ الْبَكَاءِ
فَاتَّقِي اللَّهَ فِي فَتَى شَفْنِ الْحُبِّ - وَقَوْلُ الْعِدَى، وَطَوْلُ الْجَفَاءِ
حَرَّمَ اللَّهُ أَنْ تَرَى كَابِنِ سَلَمٍ عُقْبَةَ الْخَيْرِ مُطْعِمِ الْفُقَرَاءِ
يَنْتَقِلُ إِلَى الْمَدْحِ. فَقَدْ قَضَى اللَّهُ أَنْ تَكَرَّرَ عُقْبَةُ أَمْرٍ مُحَرَّمٍ

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَبِهُرُ الْحُبُّ - وَتُغَشَّى مَنَازِلُ الْكِرْمَاءِ
يَسْقُطُ الطَّيْرُ: يَحُطُّ، تَغَشَّى: تَزَارُ

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا الْخَوْفِ، وَلَكِنْ يَلْدُ طَعْمَ الْعَطَاءِ

لا، ولا أن يقال «شيمته الجو د»، ولكن طبائع الآباء
 إنما لذّة الجواد ابن سليم في عطاءٍ ومركبٍ للقاء
 لذته أن يعطي الناس مالا، وأن يركب للقاء الخليفة المنصور
 لا يهابُ الوعى، ولا يعبدُ الما ل، ولكن يهينُهُ للثناء
 يهين ماله للحصول على مدح الشعراء

أزيجي له يدُ ثمطرُ النّيف ل، وأخرى سُم على الأعداء
 النيل: العطاء ينيله الأمير مادحيه والمستجيرين به
 قائمٌ باللّواء يدفعُ بالمو ت رجالاً عن حُرمة الخلفاء
 وكان عقبة كثير التقتيل للناس في البحرين وعمان والبصرة
 فعلى عُقبة السلام مُقيماً وإذا سارَ تحت ظلّ اللّواء

٥ الوضأة

علّيني يا عبد، أنت الشفاء واتركي ما يقول لي الأعداء
 عبد: محبوبته عبدة. علّيني، أي صبريني تصبيراً، ببذل بعض الوصل فانت شفائي، واتركي ما
 يقوله لي، أي عني، الأعداء

كلّ حيّ يُقال فيه، وذو الحد سم مريح، وللسفيه الشفاء
 مريح: مستريح

أنا من قد علمت: لا أنقض العهد، ولا تستخفني الأهواء
 نعتت في الصبا فلما اسبكرت خف فدامها وجلّ الوراء
 اسبكرت: طال قوامها، خف قدامها: صار بطنها ضامراً، جل الوراء: العكس

زائها مسفر وتغر نقي مثل دُر النظام فيه استواء
 زائها وجه مسفر بلا قناع وفم نقيه أسنانه بيض مستوية كأنها اللؤلؤ المنظوم في سلك

وحديث كائنه قطع الرو ض فيه الصفراء والحمراء
 وإذا أقبلت تهادى الهوينى إشرابت ثم استنار الفضاء

إذا أقبلت تهادى الهوينى، على مهلها، اشرابت الأعناق، أي ارتفعت لرؤيتها، وبدا في الفضاء
 نور. هذا شيء رأيته بعيني في قاعة فيها نحو مئة شخص، ودخلت سيّدة وضاعة، فكان أن الأنظار
 توجهت نحوها، وتشكل نوع من التناغم والاستقطاب فلم يكن ممكناً للمرء إلا أن يوجه نظره تلك
 الوجهة، فشعرت أن القاعة أضيت بوجه تلك الحسناء

وسألت النساء: أَبْصَرْنَ مَا أَبْصَرْتُ مِنْ حُسْنِهَا؟ فقال النساء: دُونَ وَجْهِ الْبَغِيضِ وَحَسَّةٌ هَؤُلَ وَعَلَى وَجْهِ مَنْ تُحِبُّ الْبَهَاءُ هذا بالطبع سُلخ لقول عمر بن أبي ربيعة: «حسن في كل عين من تود»

٦ يا ماضغ الماء

قال يهجو يحيى بن صالح:

أَلْزَمْتَ عَيْنَكَ مِنْ بَغْضَائِنَا حَوْلًا لَوْ قَدْ وَسَمْتُكَ عَادَتْ غَيْرَ حَوْلًا
قد صرت تنحرف بنظرك عنا بسبب كرهك لنا، فكأنها حولاء؛ لو قد وسمتك، أي طبعك عليك علامة الذل كتلك التي يسمون بها الماشية، لعادت عينك سليمة. سمح هذا البيت بقوله أعمى أَطْلُبُ رِضَايَ وَلَا تَطْلُبُ مُشَاغَبَتِي لَا يَحْمِلُ الضَّرْعُ الْمُقْوَرُّ أَعْبَائِي
الضرع: الضعيف، المقور: المطلي بالقار، يعيره بالسواد

أَنَا الْمُرْعَثُ لَا أَخْفَى عَلَى أَحَدٍ ذَرْتُ بِي الشَّمْسُ لِلدَّانِي وَلِلنَّائِي
المرعث: لقب بشار لقرط كان في أذنه وهو طفل. ذرت الشمس بي: طلعت الشمس إذ طلعت فلم أكن خافياً على أحد

يَغْدُو الْخَلِيفَةُ مِثْلِي فِي مُحَاسِنِهِ وَلَسْتُ مِثْلِي، فَتَمَّ يَا مَاضِغَ الْمَاءِ
المعنى الملموح: يكر الخليفة لاستقبال من هم مثلي وهو في محاسنه وهيبته، وأنت لست من أمثالي..

٧ الدار وسكانها

أَقُولُ وَالْعَيْنُ بِهَا غُصَّةٌ مِنْ عَبْرَةٍ هَاجَتْ وَلَمْ تُسْكَبِ
دمة تفرقت ولم تنزل

إِنْ تَذْهَبِ الدَّارُ وَسْكَائِهَا فَإِنْ مَا فِي الْقَلْبِ لَمْ يَذْهَبِ
يا صاح لا تسأل بحُبِّي لها وانظر إلى جسمي ثم اغنجب

٨ التلابة

لَا تَخْشَ عَدْرِي وَلَا مُخَالَفَتِي كُلُّ امْرِئٍ رَاجِعٌ إِلَى حَسَبِهِ
يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ لِلنَّدَى كَمَا يَخْرُجُ ضَوْءُ السَّرَاجِ مِنْ لَهَبِهِ
يصف نفسه: يخرج الكلام من فمه للندي، للحاضرين في مستداه، كأنه النور الذي يتولد من لهب السراج

تَلَمَّابَةٌ تَغْكِفُ النِّسَاءَ بِهِ بِأَخْذِنَ مِنْ جِدِّهِ وَمِنْ لَعِبِهِ

لعوب والنساء يحفن به ويستمتعن بشعره الجاد وبعثه

يَزِدْجُمُ النَّاسُ كُلَّ شَارِقَةٍ بِبَايِهِ مُشْرِعِينَ فِي أَدْبِهِ

والناس يزدحمون كل مشرق شمي، كل يوم، مشرعين في أدبه، واردين وناهلين

٩ اخضبها على الأقل

وقال يعاتب يعقوب بن داود وزير المهدي:

«يَعْقُوبُ» قَدْ وَرَدَ الْعَفَاةَ عَشِيَّةً مُتَعَرِّضِينَ لِسَيْبِكَ الْمُتَنَابِ

ورد العفاة، الفقراء، يطلبون سيك، عطاءك، المتتاب، الذي يأتيهم ويتابهم

فَسَقَيْتَهُمْ وَحَسِبْتَنِي كَمُونَةً نَبَتَتْ لِزَارِعِهَا بِغَيْرِ شَرَابِ

سقيتهم كما يسقي المرء الزرع، وحسبتي نبتة كمون (والكمون قليل الحاجة للماء) فأنت لا تسقيني

تُعْطِي الْغَزِيرَةَ دَرَّهَا، فَإِذَا أَبَتْ كَانَتْ مَلَامَتُهَا عَلَى الْحَلَابِ

الناقة الغزيرة اللبن تمنح لبنها، وإذا لم تعط فاللوم على الحلاب لأنه لا يحلب جيداً... وأنا لا لوم علي لأنني حاولت معك

طَالَ الشَّوَاءُ بِحَاجَةٍ مَحْبُوسَةٍ شَمَطْتَ لَدَيْكَ، فَمُرْ لَهَا بِخَضَابِ

طال الشواء، المكوث، بهذه الحاجة التي حبستها عندك كما يحبس الرجل ابنته بلا زواج حتى تصبح شمطاء قد اختلط سواد شعرها ببياض، فعلى الأقل هل لك أن تأمر لهذه الحاجة بخضاب من حناء مثلاً، بما أنك لم تحقق الطلب الأصلي

١٠ عدمتك يا قلب

عَدِمْتُكَ عَاجِلاً يَا قَلْبُ قَلْبَا أَتَجْعَلُ مَنْ هَوَيْتَ عَلَيْكَ رَبًّا

رباً: مالكا

كَأَنَّكَ لَا تَرَى حَسَنًا سِوَاهَا وَلَا تَلْقَى لَهَا فِي النَّاسِ ضَرْبَا

ضرباً: ضرباً، مثلاً

فَمَا لَكَ فِي مَوَدَّتِهَا نَصِيبٌ سِوَى عِدَّةٍ، فَخُذْ بِيَدَيْكَ تُرْبَا

لا نصيب في يدك منها سوى الوعود، وخير من ذلك أن تأخذ بيدك تراباً

رَأَيْتُ الْقَلْبَ لَا يَأْتِي بَغِيضًا وَيُؤْثِرُ بِالزِّيَارَةِ مَنْ أَحَبَّا

١١ الغالبة بالدلال

عَلَبَتْكَ «أُمُّ مُحَمَّدٍ» بدلالِها والمُلْكُ يُمَهِّدُ لِلأَعَزِّ الغالبِ
لها الملك والسيطرة عليك لأنها عزيزة غالبة بقوة دلالها

عِلَلُ النساءِ إذا اعتَلَلْنَ كثيرةٌ وسَمَاحُهُنَّ مِنَ العَجِيبِ العَاجِبِ
أعذار النساء كثيرة، وتليتهن الدعوة للوصال شيء عجيب نادر
وَرَضِيَتْ مِنْ طُولِ الرجاءِ بَيَاسِهِ واليَاسُ أَمَثَلُ مِنْ عِدَاتِ الكاذِبِ
رضيت بدل الرجاء باليأس، واليأس أفضل من الوعود الكاذبة

١٢ تردد وتعلق

ألا قلْ لَتَلِكِ المَالِكِيَّةِ أَصْحَبِي وإِلَّا فَمَنْبِئِنَا لِقَاءُكَ، واكْذِبي
أصحبني: أقبلي صحبتي، أو على الأقل امنحيني الأمنيات باللقاء، ثم اكذبي

عِدِينَا، فَإِنَّ النَفْسَ تُخَدِّعُ بِالْمُنَى وَقَلْبُ الْفَتَى كَالطَّائِرِ الْمُتَقَلِّبِ
إذا يشئت نفس امرئٍ مِنْ قَرِينَةٍ تَبَدَّلَ أُخْرَى مَرْكَبًا بَعْدَ مَرْكَبِ
مثلما يبدل المرء ناقته يمكنه أن يبدل الصاحبة

وإِنِّي - لو شَمَّرْتُ - أَوَّلُ ظَاعِنٍ بِرِخْلِي عَنِ جَذْبٍ إِلَى غَيْرِ مُجَذَّبِ
لو نويت فلن أكون أول ظاعن، راحل، عن المكان الجذيب، المقفر، إلى المكان الخصب
ولكنني أغضي جُفُونًا عَلَى الْقَذَى وَأَحْفَظُ مَا حَمَلْتَنِي فِي الْمُعْيَبِ
لكنني لا أنوي الفراق، وأغضض جفوني على القذى، أي أتحمّل دلالك، وأحفظ ما بيننا غير فاضح له

١٣ كأنني غريب

إذا نَطَقَ القَوْمُ الجُلُوسُ فَإِنَنِي أَكْبُ كَأَنِّي مِنْ هَوَاكَ غَرِيبُ
أجلس وسط المتحدثين صامتاً مكباً، مطرقاً، كأنني غريب لما بقلبي من شغل بك

لقد شغلت قلبي «عبيدة» في الهوى فليس لأخرى في الفؤاد نصيبُ
عبيدة: أي حبسته عبدة

يقولون: لو عَزَيْتَ قَلْبَكَ لَارَعَوَى فقلتُ: وهل لِلْعَاشِقِينَ قُلُوبُ
ارعوى: تراجع وثاب إلى رشده

١٤ شد وجذب

بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ يُقَارِبُنِي فِيمَا أَقُولُ وَمَنْ أَقَارِبُهُ
عَجَلُ الْمَلَامَةِ حِينَ أَغْضِبُهُ فَإِذَا غَضِبْتُ يَلِينُ جَانِبُهُ
إِنْ الْمُحِبَّ تَلِينُ شَوْكَتُهُ يَوْمًا إِذَا مَا عَزَّ صَاحِبُهُ
المحب يلين لمحبوبه إذا رآه قد عز، قوي عليه

١٥ حديث مع التراب

ولما فارقننا «أم بكر» وشطّ غُرْبَةً بعد اكْتِنَابِ
شطت: ابتعدت

خَطَطْتُ مِثَالَهَا وَجَلَسْتُ أَشْكُو إِلَيْهَا مَا لَقِيتُ عَلَى انْتِحَابِ
خط في التراب شكلاً شبيهاً بها

أَكَلْتُ لَمَحَةً فِي الثَّرْبِ مِنْهَا كَلَامَ الْمُسْتَجِيرِ مِنَ الْعَذَابِ
كَأَنِّي عِنْدَهَا أَشْكُو إِلَيْهَا هُمُومِي وَالشَّكَاةُ إِلَى الثَّرَابِ

١٦ هجاء بالجملة

قال يمدح روح بن حاتم:

إِذَا لَمْ تَرَ الذُّهْلِيَّ أَنْوَكَ فَالْتَمِسْ لَهُ نَسَبًا غَيْرَ الَّذِي يَتَنَسَّبُ
إذا لم تجد ابن قبيلة ذهل أنوك، أي أحمق، فلا بد أن له نسباً آخر . . فكلهم حمقى

وَفِي جَحْدَرٍ لَوْمٍ، وَفِي آلٍ مِسْمَعٍ صَلاَحٌ، وَلَكِنْ دِرْهَمُ الْقَوْمِ كَوَكْبٍ
وَأَمَّا بَنُو قَيْسٍ فَإِنْ نَبِيذَهُمْ كَثِيرٌ، وَأَمَّا خَيْرُهُمْ فَمُعَيَّبٌ
وَسَيِّدُ تَيْمِ اللَّاتِ عِنْدَ عَدَائِهِ هِزْبَرٌ، وَأَمَّا فِي اللَّقَاءِ فَتَعَلَّبُ
أسد يحمي طعامه وقت الغداء، لكنه في اللقاء، المعركة، ثعلب جبان

وَقَدْ كَانَ فِي شَيْبَانَ عَزٌّ فَحَلَقَتْ بِهِ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ عَنَقَاءُ مُغْرِبٍ
عز شيبان القديم طارت به عنقاء مغرب، طير بخرافي، وزال إلى الأبد

لَقَدْ سَادَ أَشْرَافَ الْعِرَاقِ ابْنُ «حَاتِمٍ» كَمَا سَادَ أَهْلَ الْمَشْرِقَيْنِ «الْمُهَلَّبُ»

١٧ رثاء ابن

وقال يرثي ابنه محمداً:

أَجَارَتْنَا لَا تَجْزَعِي وَأَنْيَبِي أَتَانِي مِنَ الْمَوْتِ الْمُطِلُّ نَصِيبِي
أَنْيَبِي: عودي إلى الصبر والهدوء

كَأَنِّي غَرِيبٌ بَعْدَ مَوْتِ «مَحْمَدٍ» وَمَا الْمَوْتُ فِينَا بَعْدَهُ بِغَرِيبٍ
لَعَمْرِي لَقَدْ دَافَعْتُ مَوْتَ «مَحْمَدٍ» لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا تَرَعَوِي لِطَبِيبٍ
كنت حاولت درء الموت عن ابني لو أن الموت يرعوي، يتراجع، بتدخل الطبيب

فَأَصْبَحْتُ أَبْدِي لِلْعَيُونِ تَجَلِّدًا وَيَا لَكَ مِنْ قَلْبٍ عَلَيْهِ كَنِيبٌ
دَعَتْهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِصَوْتِهَا فَلِلَّهِ مِنْ دَاعٍ دَعَا وَمُجِيبٌ
عَجِبْتُ لِإِسْرَاعِ الْمَنِيَّةِ نَحْوَهُ وَمَا كَانَ لَوْ مُلِّئَتْهُ بِعَجِيبٍ
أسرع إليه الموت، ولو كان بقي لكي أتملاه، وأسعد برؤيته، لكان هذا أمراً عادياً

رُزِئْتُ بُنَيَّ حِينَ أَوْرَقَ عَوْدُهُ وَأَلْقَى عَلَيَّ الْهَمَّ كُلَّ قُرْبٍ
فَقَدْتُ ابْنِي حِينَ أَوْرَقَ عَوْدِهِ، كَبُرَ وَاشْتَدَّ، وَحَسَدَنِي الْأَقَارِبُ

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ لَنَا كَافِيًا مِنْ فَارِسٍ وَخَطِيبٍ
نُؤْمَلُ عَيْشًا فِي حَيَاةٍ ذَمِيمَةٍ أَضَرَّتْ بِأَبْدَانِ لَنَا وَقُلُوبٍ
هذه القصيدة بذرة ستخرج شجرة باسقة عند ابن الرومي عندما سيرثي ولده محمداً

١٨ بنات اليون

يمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك:

فَلَا مَذْهَبٌ عَنْكُمْ لَهُ، شَطٌّ أَوْ دَنَّا، سِوَاكِ، وَفِي الْأَرْضِ الْعَرِيشَةُ مَذْهَبُ
يتنزل قبل المدح: لا مكان لي غيركم شط أو دنا، ابتعد أم اقترُب، مع كثرة الأماكن في هذه الأرض

عَلَى النَّأْيِ مَحْزُونٌ وَفِي الْقَرَبِ مُغْرَمٌ فَيَا كَيْدًا! أَيُّ الطَّرِيقَيْنِ أَرْكَبُ
في بعدكم أنا حزين، وفي قريبكم مغرم، وكلاهما مركب صعب

لَهُ كُلُّ عَامٍ غَزْوَةٌ بِمُسَوِّمٍ يَقُودُ الْمَنَايَا رَأْيُهُ حَيْثُ يَذْهَبُ
يمدح: يغزو كل عام على فرس مسوم، به علامة الحرب، ورأيه، أي رأياته،
تحمل معها الموت للعدو أينما ذهب

كَرَادِيسُ خَيْلٍ لَا تَزَالُ مُغِيرَةً بِهَا الْمَلِكُ الرُّومِيُّ عَانٍ مُعَذَّبٌ

كراديس الخيل، جماعاتها، تظل تشن الغارات وملك الروم عان، مرهق، منها

كَأَنَّ بَنَاتِ «الْيُون» بَعْدَ إِيَابِهِ مُورَّعَةٌ بَيْنَ الصَّحَائِبِ رَبْرَبٌ

بنات ملك الروم اليون يؤخذن أسيرات ويتم توزيعهن بين المقاتلين كأنهن الربرب، قطع الظباء

مَوَاهِبُ مَغْبُوطٌ بِهَا مَنْ يَنَالُهَا صَفَايَا سَبَايَا الرُّومِ بِكْرٌ وَثِيْبٌ

مواهب، هدايا، يسعد بها من ينالها، وهن صفايا، غنائم، من سبايا الروم من بين فتاة بكر وغير بكر

١٩ قصيدة التشبيه المعجز

بمدح مروان بن محمد:

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ رَبَّتَهُ قَالَ إِنَّمَا أَرَبْتُ، وَإِنْ عَاتَبَتْهُ لَانَ جَانِبُهُ

صديقك الحقيقي هو من إذا ربته، صنعت معه ما يريب، جعل الذنب لنفسه وطن أنه هو المخطن، وإن عاتبته على إساءة لان لك

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الذُّنُوبِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ

إن عاتبك الصديق في كل شيء فلن تجد صديقاً أصلاً كي تغير طبعك معه فلا تعود تعاتبه

فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ، فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ تَارَةٍ وَمُجَانِبُهُ

الصديق يذنب مرة ويجتنب الذنب مرة، فإذا أن ترضى بذلك أو تعيش بغير صديق

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى ظَمِئْتَ، وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ

إن لم تشرب مرة بعد أخرى رغم وجود قذى من قشة أو نحوها في الماء فسوف تظماً، وليس في الناس أحد يجد الصفاء في مشربه دائماً

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضِي سَجَايَاهُ كُلُّهَا؟ كَفَى الْمَرْءُ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

سجاياه: خصاله، يكفي البرء نبلاً أن تكون عيوبه قليلة بحيث يمكن عدها

إِذَا رَكَبُوا بِالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْقَنَا وَأَصْبَحَ مَرَوَّانٌ تُعَدُّ مَوَاكِبُهُ

المشرفية: السيوف، القنا: الرماح

فَأَيُّ امْرِئٍ عَاصٍ وَأَيُّ قَبِيلَةٍ وَأَرْعَنَ لَا تَبْكِي عَلَيْهِ قَرَائِبُهُ؟

العصاة من أفراد وقبائل، والأرعن، أي الجيش، الذي يقا تل الخليفة.. كل أولئك ستبكي عليهم أقاربهم عندما يزحف مروان بجيشه عليهم

وَسَامٌ لِمَرَوَانٍ وَمِنْ دُونِهِ الشَّجَا وَهَوْلٌ كَلْجُ الْبَحْرِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ

ورب سام، منتطح مواجه، لمروان ودون مسعاه الشجا، الشوك في الحلق... وسواجه من الهول مثل لج البحر وقد جاشت غواربه، أي ماء النهر العظيم وقد ارتفعت أمواجه... وكانت حروب مروان ضد مخالفه في الشام وفي العراق

أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْمَنَايَا بَنَاتِهَا بِأَسْيَافِنَا، إِنَّا رَدَىٰ مَنْ نُحَارِبُهُ

أم المنايا جعلت بناتها، أي الميمات المختلفات طعنا وضرباً ودوساً، حلالاً للعدو تزوجه بهن بفعل سيوفنا، فنحن الموت لمن نحاربه

وَمَا زَالَ مِنَّا مُمَسِّكٌ بِمَدِينَةٍ يُرَاقِبُ، أَوْ تُغَرُّ تُخَافُ مَرَازِبُهُ

نحن، رغم العصاة والمتمردين في الداخل، نمسك بالمدن والثغور، أي المواقع الحدودية التي يشملها الخوف من المرازب، قادة حفظ الحدود العجم في زمن كسرى

إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَابِيَهُ

إذا صعر الملك المتجبر خده، أمال رأسه تكبراً، نعايته بالسيوف لا بالكلام. والملك في ذلك العصر هو الوالي الذي يملك مقاطعة، وكان عدد من الولاة قد خرجوا على مروان الثاني وتجبروا وفرضوا سيطرتهم على مناطقهم وقضى مدة خلافته وهي خمس سنين يقارعهم

وَكُنَّا إِذَا دَبَّ الْعَدُوُّ لِسُحْطِنَا وَرَاقِبْنَا فِي ظَاهِرٍ لَا نُرَاقِبُهُ

لا نراقب العدو بل نهاجمه

رَكِبْنَا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مُثَقَّفٍ وَأَبْيَضُ تَسْتَسْقِي الدِّمَاءَ مَضَارِبُهُ

نركب وبأيدينا الرماح المثقفة، المقومة، والسيوف البيض التي تطلب نصالها أن تسقى بالدماء

وَجَيْشٍ كَجُنْحِ اللَّيْلِ يَزْحَفُ بِالْحَصَىٰ وَبِالشُّوْكِ وَالْخَطِيَّ حُمْرٍ نَعَالِيَهُ

رب جيش كأنه الليل يزحف بالحصى، بالعدد الكبير، وبالشوك، السلاح، والخطي، الرماح، التي نعالها حمراء... وثعلبة الرمح طرف عصاه التي تدخل في السنان الحديدي

عَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِدْرِ أُمِّهَا تُطَالِعُنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَاتِبُهُ

بكرنا لملاقاته والشمس ما تزال في ستر أمها تنظر إلينا بطرفها كالفتاة الخجول تطل برأسها من جانب الستر، لم تشرق الشمس، ولم يبيل الطل، الندى

بِضَرْبٍ يَذُوقُ الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارُ مَثَالِبُهُ

مشينا لهم بضرب مميت لمن أصابه، ومن نجا بالفرار أصيب بالمثالب، العار

كَأَن مُنَارَ النَّفْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَأَسْيَافُنَا لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

النفع، أي الغبار، الذي أثير فوق رؤوس الأعداء كالليل، وترى خلاله سيوفنا تهوي على رؤوسهم كأنها الكواكب تهوي في السماء. وهذا معنى لبشار غير مسبوق ولا ملحق. وكل شاعر مهم أتى بعد بشار حاول أن يصنع بيتاً يأكل بيت بشار أو يساويه، أو يقترب منه، وظل بيت بشار هذه السنوات الألف والثلاثمئة صامداً

بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفُجَاءَةِ، إِنَّنَا بَنُو الْمَوْتِ خَفَافٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهُ

قتلناهم، ونحن من لا يهاب الموت، وسبائبه، أي راياته، منشورة تخفق فوقنا

فَرَاخُوا: فَرِيقًا فِي الْإِسَارِ وَمِثْلُهُ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَأَدِّ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ

أسر بعضهم، وقتل بعض، وبعضهم رمى نفسه في النهر. وسنرى بعد قليل أن هذا هو بالضبط ما حدث لجيش مروان نفسه عندما هزم على الزاب

وَأَرْعَنَ يَغْشَى الشَّمْسَ لَوْنُ حَدِيدِهِ وَتَخَلَّسَ أَبْصَارَ الْكُمَاةِ كَتَائِبُهُ

ورب أرعن، جيش كبير، يسد الشمس فيغلب لون حديده عليها، وتحرير أبصار الكماة، المحاربين، كتائبه

تَغْصُرُ بِهِ الْأَرْضُ الْفُضَاءُ إِذَا عَدَا تُزَاحِمُ أَرْكَانَ الْجِبَالِ مَنَاجِبُهُ

تمتلئ به الأرض السهلة، ويزاحم الجبال بضخامته

تَرْكُنَا بِهِ كَلْبًا وَقَحْطَانًا تَبْتَغِي مُجِيرًا مِّنَ الْقَتْلِ الْمُطْلُ مَقَانِبُهُ

أصبحت قبائل كلب وقحطان العاصية تطلب من يجيرها منه، حيث القتل مطلق عليهم بمقانب هذا الجيش، أي جماعات الخيل

٢٠ مدح المهدي

فَتَى قَرِيشٍ دِينًا وَمَكْرُمَةً وَهَبْتُ وَدَّيْ لَهُ بِمَا وَهَبَا

أعطيه ودي، يقصد مدحي، مقابل ما يهبه من مال

لَمَّا رَأَنِي بَدَتْ مَكَارِمُهُ نُورًا عَلَى وَجْهِهِ، وَمَا اكْتَابَا

كَأَنَّمَا جِئْتُهُ أَبْشَرُهُ وَلَمْ أَجِئْ رَاغِبًا وَمُخْتَلِبًا

كأنني جئت أبشره ببشره، لا أنني جئت راغباً في ماله ومختلباً له.. أي خادعاً له.. وكان الخلفاء والأمراء يحبون أن يصفهم الشاعر بأنه يسهل خداعهم لكي يعطوا المال، فهذا من صفات الكريم المتغاضي

٢١ وأبي كسرى

هَلْ مِنْ رَسُولٍ مُخْبِرٍ عَنِّي جَمِيعَ الْعَرَبِ
مَنْ كَانَ حَيًّا مِنْهُمْ وَمَنْ تَوَى فِي الثُّرُبِ
جَدِّي الَّذِي أَسْمُو بِهِ كَسْرَى، وَسَاسَانُ أَبِي
أسمو: أرتفع

وَقَبِصَرُ خَالِي إِذَا عَدَدْتَ يَوْمًا نَسَبِي
قيل إن أم بشار سبية رومية

كَمْ لِي وَكَمْ لِي مِنْ أَبِي بِتَاجِهِ مُغْتَصِبِ
معتصب: لاف رأسه

يَسْعَى الْهَبَانِيُّ لَهُ بِأَنْسِيَاتِ السِّدْهِبِ
الهبانق: الخدم، الآنيات: الأواني

لَمْ يُسَقِّ أَقْطَابَ سِقَى يَشْرُبُهَا فِي الْعُلْبِ
أقطاب سقى: أخلاط ماء ولبن، العلبة: إناء من جلد يحلبون ويشربون به

وَلَا حَادَا قَطُّ أَبِي خَلْفَ بَعِيرٍ أَجْرَبِ
حدا: تغنى بالشعر وهو يسوق الجمل

إِنَّا مُلُوكٌ لَمْ نَزَلْ فِي سَالِفَاتِ الْحَقَبِ
نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ بَلَخٍ بَغِيرِ الْكَذِبِ
حَتَّى إِذَا مَا دَوَّخَسَتْ بِالشَّامِ أَرْضَ الصُّلْبِ
الصلب: الصلبان، وكان جل أهل الشام من قبائل عربية مسيحية

سِيرْنَا إِلَى مُضَرٍ بِهَا فِي جَحْفَلٍ ذِي لَجَبِ
في جحفل ذي لجب: في جيش ذي ضجج

حَتَّى اسْتَلَبْنَا مُلْكَهَا بِمُلْكِنَا الْمُسْتَلَبِ
سلبنا ملك مصر بدلاً من ملكنا الذي سلبه العرب

ثُمَّ رَدَدْنَا الْمُلْكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ
نَغْضِبُ لِلَّهِ وَلِلْإِسْلَامِ أَسْرَى الْغَضَبِ
أسرى: أكثر سرواً، والسرو هو الشرف

٢٢ لا أحب الشريك

إِنْ تَكُونِي غَنِيَّةً عَنَّا فَإِنَّا عَنْكَ أَغْنَى، فَيَمُمِّي حَيْثُ شِئْتَ
 إن استغنيت عنا فنحن أكثر استغناء، فيممي، أي اذهبي، حيث شئت

يَا ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ قَدْ كَانَ عَهْدٌ بَيْنَنَا فِي الْهُوَى، وَلَكِنْ نَسِيتَ
 فَادْكُرِي وَدَّنَا، وَذُوقِي سِوَانَا تَذْكُرِينَا وَتُنْدَمِي مَا بَقِيَتْ
 وَإِذَا مَا أَرَدْتَ وَدِّيْ هَنِيئاً فَصِلِينِي بِالصَّبْرِ عَمَّنْ لَقِيتَ
 إن أردت نيل مودتي بهناء فعليك أن تواصليني بأن تصبري عن الآخرين وتهجرهم

أَنْتِ يَأْقُوْتَةُ قَدَرْتُ عَلَيْهَا لَا أَحِبُّ الشَّرِيكَ فِي الْيَأْقُوْتِ

٢٣ لم أستطع الخروج

وَجَارِيَةٌ يَسُورُ بِنَا هَوَاهَا كَمَا سَارَتْ مُشْعَشَعَةٌ كُمَيْتُ
 يسور بنا حبها، أي يثب بنا ويهاجمنا، مثلما تسور الخمر المشعشة، الممزوجة، الكميت،
 الداكنة. فمزج الخمر بالماء يولد في الكأس حركة وبقايع كأن بين الماء والخمر حرباً

يُزَيِّنُ وَجْهَهَا خَلْقاً عَمِيماً وَزَيَّنَ وَجْهَهَا حَسَبُ وَبَيْتُ
 وجهها الجميل يزین خلقها العميم، وجهها هذا مزین بحسبها وبيتها، أي علو نسبها

نَسَجْتُ لَهَا الْقَرِيضَ بِمَاءٍ وَدِّي لَتَلْبَسَهُ، وَتَشْرَبُ مَا سَقَيْتُ
 وَدَسْتُ فِي الْكِتَابِ إِلَيَّ: إِنِّي - وَقَيْتُكَ - لَوْ أَرَى خَلْلاً مَضِيئُ
 دسْتُ لي في رسالتها عبارة دعاء (وقيتك)، وقولها إنها لو رأت خللاً، فرصة أو فرجة،
 لمضت من بيت أهلها وزارتنى

يَقُولُونَ: ائْعَمِي، وَيَرَوْنَ عَاراً خُرُوجِي إِنْ رَكَبْتُ وَإِنْ مَشَيْتُ
 أهلها يقولون: استريحِي، ويرون خروجها من البيت مشياً أو ركوباً عاراً

وَمِنْ طَرَبِي إِلَيْكَ خَشَعْتُ فِيهِمْ كَمَا يَتَخَشَّعُ الْفَرَسُ السُّكَيْتُ
 ومن طربي، لحزني واشتياقي لك، خشعت فيهم، سكت لا أنيس بنت شفة، كأنني الفرس
 السكيت الذي جاء آخراً في السباق

٢٤ التاج الكريه

لَوْتُ حَاجَتِي عِنْدَ اللَّقَاءِ، وَأَنْكَرْتُ مَوَاعِيدَ قَدْ صَامَتْ بِهِنَّ وَصَلَّتِ
 لوت حاجتي: حجبته، وأنكرت مواعيد كانت حلفت عليها بصومها وبصلاتها

وَمَا سُمْتُهَا هَوْنًا فَتَأَبَّى قَبُولُهُ وَلَكِنَّمَا طَالَ الصَّفَاءُ فَمَلَّتْ

ليس السبب أنني سميتها هوناً، عرضتها لما هو مهين، حتى ترفضه، فقط ملّت لطول الصفاء بيننا واشتأقت إلى بعض المناكفة

فَيَا عَجَباً زَيَّنْتُ نَفْسِي بِحُبِّهَا وَزَانَتْ بِهَجْرِي نَفْسَهَا وَتَحَلَّتْ

أزين نفسي، أفتخر، بحبي لها، وتفتخر بهجرها إياي وتتخذ هذا جليةً

فَبَيَّنِي كَمَا بَانَ الشَّبَابُ إِذَا مَضَى وَكَانَتْ يَدٌ مِنْهُ عَلَيَّ فَقَوْلَتْ

فبينني، فارقي، كما فارقني الشباب الذي كانت له عليّ يد، أي نعمة، ثم ولت وذهبت هذه النعمة

فَقَدْ كُنْتُ فِي ظِلِّ الْعَذَارَى مُرَفَّلاً أَحَبُّ وَأُعْطِيَ حَاجَتِي حَيْثُ حَلَّتْ

كنت مدلاً بين البنات مرفلاً، كمن يمشي ويجر ثوبه، وأنال حاجتي فوراً

فَعَيَّرَ ذَاكَ الْعَيْشَ تَاجَ لَبِيسُهُ وَطَاعَةُ وَالٍ حَرَّمَتْ وَأَحَلَّتْ

فغير ذاك العيش تاج الشيب، وأنا أصبحت أنهب الوالي الذي يحرم ويحلل الأشياء

٢٥ امتناع بأمر الخليفة

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَذَيْتُهُ

وَدَعَانِي الرَّشَاءُ الْغَرِيبُ رُ إِلَى اللَّعَابِ فَمَا أَتَيْتُهُ

الرشاء الغريب: الغزال البريء، اللعاب: لعبة الغزل والحب

بَعَثْتُ إِلَيَّ تَسْؤُومَنِي لَعِبَ الشَّبَابِ وَقَدْ طَوَيْتُهُ

تسومني: تطلب مني

وَاللَّهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ مَا إِنْ غَدَرْتُ وَلَا نَوَيْتُهُ

إِنْ الْخُلَيْفَةُ قَدْ أَبَى وَإِذَا أَبَى شَيْئاً أَبَيْتُهُ

وكان الخليفة المهدي منع بشاراً من التمادي في الغزل

٢٦ وصال مقابل الحسنات

تِلْكَ أَسْقَامِي، وَبُرْئِي مِنْ سَقَامِي لَوْ تَوَاتِي

شفائي أن تواتيني، أي تطاوطني

فَإِذَا قُمْتُ أَصَلِّي عَرَضْتُ لِي فِي صَلَاتِي

لِيَتَنِي أُعْطِيتُ مِنْهَا لَيْلَةً فِي حَسَنَاتِي
 لِيَتَنِي لَقِيَتْهَا مَرَّةً مَقَابِلَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي أَنَالَهَا فِي لَيْلَةٍ عَامِرَةٍ بِالْعِبَادَةِ
 بَلَغَتْ بِي مِنْ هَوَاهَا فَوْقَ مَا سَرَّ عُذَاتِي
 هَوَاهَا أَلْحَقَ بِي مِنَ الْأَذَى أَكْثَرَ مِمَّا يَتَمَنَاهُ لِي أَعْدَائِي

٢٧ حديث المسواك

«خُشَّابُ» جُودِي جَهَاراً أَوْ مُسَارَقَةً فَقَدْ بَلَيْتُ، وَمَرَّتْ بِالْمُنَى حِجْجُ
 أَيْتِهَا الْحَبِيبَةُ خَشَابَةُ جُودِي عَلَيَّ بُوصلِكَ سِراً أَوْ جَهْراً، فَأَنَا قَدْ بَلَيْتُ، أَيَّ هَلَكْتُ، وَقَدْ مَرَّتْ
 حِجْجُ، أَيَّ سَنَوَاتٍ، عَلَى أَمْنِيَاتِي بِالْوَصَالِ
 حَتَّى مَتَى أَنْتِ يَا خُشَّابُ جَالِسَةٌ لَا تَخْرُجِينَ لَنَا يَوْمًا وَلَا نَلِجُ
 إِلَّا أَنْتِ جَالِسَةٌ فِي بَيْتِكَ لَا تَخْرُجِينَ لِي وَلَا أَلِجُ، أَيَّ أَدْخُلُ
 لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِنْ كُنَّا كَذَا أَبَدًا لَا نَلْتَقِي، وَسَبِيلُ الْمَلْتَقَى نَهْجُ
 سَبِيلُ الْمَلْتَقَى نَهْجُ: مَنَسَر

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكِ اللَّهْجِ
 يَخَاطَبُ نَفْسَهُ: مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ، أَيَّ التَّفَتِ إِلَيْهِمْ، لَمْ يَحَقُقْ أَمْنِيَّتَهُ؛ وَيَفُوزُ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكِ،
 الْمَقْدَامِ، اللَّهْجِ، الْمَوَاطِبِ الْمَوْلَعِ
 وَقَدْ نَهَاكَ أَنْاسٌ، لَا صَفَا لَهُمْ عَيْشٌ، وَلَا عَدِيمُوا خَصْماً، وَلَا فَلَجُوا
 يَنْهَاكَ عَنْ وَصَالِنَا يَا خَشَابَةُ أَنْاسٌ، وَيَدْعُو عَلَيْهِمْ أَلَا يَصْفُو عَيْشَهُمْ وَأَلَا يَعْدِمُوا خَصْراً،
 وَأَلَا يَفْلُجُوا، أَلَا يَنْجُحُوا

قَالُوا: حَرَامٌ تَلَاقَيْنَا، فَقَدْ كَذَبُوا مَا فِي التَّزَامِ وَلَا فِي قُبْلَةٍ حَرَجُ
 الْإِتِّزَامِ: الْإِضْم

يَا رَبِّ لَا صَبْرَ لِي عَنْ قُرْبِ جَارِيَةٍ نَنَاقَى دَلَالاً، وَفِيهَا إِنْ دَنَتْ غُنْجُ
 تَجَلُّو بِمَسْوَكَهَا عَنْ بَارِدِ رَتْلِ كَذَاكَ خَبَّرَنِي مَسْوَكَهَا الْأَرْجُ
 تَلَمَّعَ بِالمَسْوَكَ صَفَ أَسْنَانِهَا الرَّتْلُ، أَيَّ الْمُسْتَوِيِّ، وَبِالْمُنَاسَبَةِ هَذَا مَا أَخْبَرَنِي مَسْوَكَهَا الْأَرْجُ، الْعِطْرُ

٢٨ أكرمت ثم أمسكت

لَقَدْ زَيْنَ الْإِسْلَامَ مُلْكُ مُحَمَّدٍ وَفِي الْحَرْبِ لِلْأَعْدَاءِ نَارٌ تَأْجُجُ
 زَيْنَتِ الْإِسْلَامَ بِمُلْكِهَا الْخَلِيفَةُ مُحَمَّدُ الْمُهَدِي، وَأَنْتِ نَارٌ مُتَاجِجَةٌ عَلَى الْعَدُوِّ

إِمَامَ الْهُدَى أَمْسَكْتَ بَعْدَ كَرَامَتِي وَقَدْ كُنْتَ تُعْطِينِي وَوَجْهَكَ أَبْلُجُ
أَيُّهَا الْإِمَامُ لَقَدْ أَمْسَكْتَ، اِمْتَنَعْتَ عَنْ عَطَائِي، بَعْدَ أَنْ كُنْتَ أَكْرَمْتَنِي، وَكُنْتَ إِذْ تُعْطِينِي مَسْرُوراً
وَوَجْهَكَ أَبْلُجُ، مَشْرُق

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْمَتْتُ بِي غَيْرَ نَائِمٍ فَنَامَ، وَهَمَمِي سَاهِرٌ يَتَوَهَّجُ
جَعَلْتَ الْحَاسِدِينَ يَسْهَرُونَ غِيظاً، وَالْآنَ بَعْدَ أَنْ أَقْصَيْتَنِي جَعَلْتَهُمْ يَشْتُمُونَ بِي، وَنَامُوا مَسْتَرِيحِينَ،
وَبَقِيَ هَمِي سَاهِراً مَتَوَهِّجاً بِالرَّغْبَةِ

٢٩ مات من يتزوج

وَقَدْ زَادَنِي وَجْداً عَلَيْهَا، وَمَا دَرْتُ، مَجَامِرُ فِي أَيْدِي الْجَوَارِي تَأْجِجُ
زَادَنِي وَجْداً عَلَيْهَا، رَغْبَةً فِيهَا وَحْزناً، تِلْكَ الْمَجَامِرُ الَّتِي تَأْجِجُ وَتَشْتَعِلُ بِالْبُخُورِ بِأَيْدِي الْبَنَاتِ فِي
عَرَسِ الْحَبِيبَةِ

فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا بَكَتْ مِنْ دُنُوِّهِ وَقُلْنَ لَهَا: قَوْمِي أَرْكَبِي، الصُّبْحُ أَبْلُجُ
دَنَا مِنْهَا الْفَرَسُ الَّذِي سَيَحْمِلُونَهَا عَلَيْهِ فَبَكَتْ، وَالْبَنَاتُ يَشْجَعْنَهَا عَلَى الرُّكُوبِ، وَيَقُلْنَ إِنْ الصَّبَاحُ رِيَّاحٌ
وَقَدْ دَنَيْتِهَا كَيْمَا تَخْفُفَ، فَأَعْرَضْتُ تَجَشَّمُ مِمَّا سُمِّنَهَا وَتَعَنَّجُ
قُلْنَ لَهَا «نَفْدِيكَ» كَيْ تَخْفُفَ، تَنْهَضُ لِلرُّكُوبِ، فَامْتَنَعَتْ تَجَشَّمُ، تَعَانِي، مِمَّا سُمِّنَهَا، فَفَرْضْنَ عَلَيْهَا،
وَتَعَنَّجُ، تَبْدِي دَلَالاً

وَمَا زِلْنِ حَتَّى أَشْرَفْتُ لِعَيُونِهِمْ وَعَنَى الْمُعْنَى وَالْيَرَاغُ الْمُفْلَجُ
وَوَظَلَلْنَ يَقْنَعْنَهَا حَتَّى صَعِدَتْ وَأَشْرَفَتْ، ارْتَفَعَتْ، وَبَدَتْ لِعَيُونِ النَّاسِ، وَغَنَى الْمُغْنَى وَعَزَفَ الْبِرَاعُ
الْمُثَقَّبُ، النَّاي

إِذَا رَكِبَتْ مِنَّا يَلْبِلُ فَقُلْ لَهَا: عَلَيْكَ سَلَامٌ مَاتَ مَنْ يَتَزَوَّجُ
يَتَأَسَفُ عَلَيْهَا فَلَا غَرَامَ بَعْدَ الْيَوْمِ..

وَلَوْ مُتُّ كَانَ الْمَوْتُ خَيْراً مِنَ الشَّقَا وَمَا لِي لِقَتِي مِمَّا قَضَى اللَّهُ مَخْرَجُ
وَيَكَادُ لَغِيظُهُ يَرَى الْمَوْتَ أَهْوَى مِنَ الشَّقَاءِ بِفِرَاقِ الْحَبِيبَةِ. أَلَا إِنْ أَغْنِيَتِ الْعَرَسُ أَغْنِيَاتِ حُزْنٍ
وَشَجَنَ لِلْفَتَاةِ وَلِرَجَالٍ كَثُرَ يَتَحَسَّرُونَ. الزَّوْجُ أَنْ تَمْشِيَ بِقَدَمَيْكَ إِلَى سَجَنٍ قَدْ يَكُونُ أَبَدِيّاً.
رَدَدَ مَعِيَ «مَاتَ مَنْ يَتَزَوَّجُ»، الزَّوْجُ نِهَائِي لَا بَدَايَةِ

٣٠ الصديق الحقيقي

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمُرِّ - وَأَيِّنَ الشَّرِيكُ فِي الْمُرِّ أَيْنَا؟

الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْحَيِّ - وَإِنْ غِيبْتَ كَانَ أَذْنًا وَعَيْنًا
 أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غِيبْتَ عَنْهُمْ بَدَّلُوا كُلَّ مَا يَزِينُكَ شَيْنًا
 أَنْتَ تَعَاشِرُ قَوْمًا إِنْ تَغِبَ عَنْهُمْ يَدُلُّوْا حَسَنَاتِكَ سَيِّئَاتٍ وَ«يَحْثُثُونَ فِيكَ»
 وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الرِّجَالِ عَلَيْنَا

٣١ كَأَمَّ الْعُرُوسِ

بَلَوْتُ ابْنَ نَهْيَا فَمَا عِنْدَهُ سِوَى أَنْ سَيَأْكُلُ أَوْ يَسْلُحُ
 بلوت، أي اختبرت ابن نهيا، كنية حماد عجرد، فكل شأنه أنه يأكل ويتغوط
 إِذَا شِئْتَ لَأَقِيَنَّه رَابِضًا عَلَى ظَهْرِهِ رَجُلٌ يَسْبَحُ
 تراه وعلى ظهره رجل
 تَرَاهُ يُسَرُّ بِبَيْتِكَ ابْنِهِ عَلَى أَنَّهُ سُبَّةٌ تَفْضَحُ
 وهو مسرور بأن يكون هذا الشيء مع ابنه أيضاً رغم أن هذا الأمر عار فاضح
 وَمَا كَانَ إِلَّا كَأَمَّ الْعُرُوسِ إِذَا نُكِحَتْ بِنُثْهَا تَفْرَحُ
 قالوا في المثل «فلانة مثل أم العروس: فاضية ومشغولة»، فغلاماً لم يقولوا لنا قط إنها حزينة

٣٢ السعي والحظ

يَعِيشُ بِجَدٍّ عَاجِزٍ وَجَلِيدٍ وَكُلُّ قَرِيبٍ لَا يُنَالُ بِعِيدٍ
 يعيش بحظه العاجز والقوي، وكل شيء قريب لا يستطيع الوصول إليه بعيد في الواقع
 يَفُوتُ الْغَنَى قَوْمًا يَخْفُونَ لِلْغَنَى وَيَلْقَى رِيحًا آخَرُونَ قُوعُودُ
 يفر الغنى من أناس يخفون له، وينهضون لتحقيقه، ويغتني ويربح آخرون قاعدون غير ساعين
 وَلَا يَدْفَعُ الْمَوْتَ الْأَطْبَاءُ بِالرُّقَى وَسَيَّانَ نَحْسٌ يُتَّقَى وَسُعُودُ
 لا يمنع الأطباء الموت بالرقى، الحجب والتمايم، والنحس والسعد سواء فالقدر جار لا يلتفت
 إلى كل ذلك

٣٣ بشار عذرياً

يَا رَبَّ قَائِلَةٍ يَوْمًا لَجَارَتِهَا: إِنَّ الْمُرْعَثَ هَمِّي غَابَ أَوْ شَهِدَا
 تقول لجاراتها إن المرعث، لقب بشار، هو منتهى أمني حاضراً كان أم غائباً

غَابَ الْقَذَى فَشَرِبْنَا صَفْوَ لَيْلَتِنَا حَبِيبِنَا نَلْهُو وَنَخْشَى الْوَاحِدَ الصَّمَدَا
غاب القذى، ما يلوث العين أو الماء من قشة أو نحوها، فشربنا في ليلتنا الصفو من اللقاء،
ونحن حبيبان نلهو ولكننا نتقي الله

قَالَتْ: فَأَنْتَى - بِنَفْسِي - جِئْتَ مُسْتَرِيقًا مِنَ الْعَدُوِّ تَحْطَى الْوَعْرَ وَالْجَدَا
تقول له: كيف جئت خفية، ولم يرك العدو؟ وتخطيت الوعر والجدد، الطريق الممهّد
جَوْرًا أَتَى بِكَ أَمْ قَصْدًا؟ فَقُلْتُ لَهَا: مَا زِلْتُ أَقْصِدُ لَوْ تُدْنِينَ مَن قَصَدَا
هل جوراً جئت، انحرافاً عن الطريق بالصدفة، أم قصدتني قصداً، ويرد عليها بأنه يقصدها،
لكن ليتها تقرب القاصد

لَا تَعْجِبِي لِاجْتِيَائِي اللَّيْلِ مُنْسَرِقًا مَا كُنْتُ قَبْلَكَ رَعِيدًا وَلَا بَلْدَا
لا تعجبي من اجتياي الليل، قطعي المسافة، خفية، فلم أكن قط رعيداً، جباناً، ولا بلداً، متبلداً كمولاً
قَامَتْ تَهَادَى إِلَى أَهْلِ تَرَاقِبُهُمْ مَشْيَ الْبَهِيرِ تَرَى فِي مَشْيِهِ أَوْدًا
ثم إنها قامت تتهادى لتزق الأهل كي لا يكونوا قد رأوا الحبيب المتسلل، ومشت مشي البهير،
المنقطع النفس، الذي في مشيه أود، أي ميل

وَقُمْتُ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا إِذْ خَلَوْتُ بِهَا إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا أَنْ أَمَسَّ يَدَا
وقمت، ولم يجر بيننا إلا الحديث وإلا لمس اليَدَا

٣٤ الدَّمَلُ

يمدح عقبة بن سلم:

يَا طَلَّلَ الْحَيِّ بِذَاتِ الصَّمَدِ

يا طلل القوم في موضع ذات الصمد

بِاللَّهِ حَدَّثْتُ: كَيْفَ كُنْتُ بَعْدِي؟

كيف أصبحت بعد عهدنا؟

أَوْحَشْتُ مِنْ دَعْدٍ وَتَرْبٍ دَعْدٍ

صرت موحشاً بمغادرة دعد وصويجاتها

عَهْدًا لَنَا، سَقِيًّا لَهُ مِنْ عَهْدِ

إِذْ نَحْنُ أَخْيَافٌ بِمَا نُؤَدِّي

كنا أخيفاً، مختلفين..

يُخْلِفَنَّ وَعْدًا وَنَفِي بِوَعْدِ
فَنَحْنُ مِنْ جَهْدِ الْهَوَى فِي جَهْدِ
فَكَانَ الْغَرَمُ مَرَهَقًا لِلْقَلْبِ لِكَثْرَةِ إِخْلَافِهِنَّ الْوَعُودِ
وَاهَاً لِأَسْمَاءِ ابْنَةِ الْأَشَدِّ
حَسْرَةً عَلَى الْمَحْبُوبَةِ الثَّانِيَةِ «أَسْمَاءُ ابْنَةِ الْأَشَدِّ»

قَامَتْ تَرَاءَى إِذْ رَأَتْنِي وَحْدِي
كَالشَّمْسِ بَيْنَ الزُّبُرِجِ الْمُتَنَقِّدِ
قامت تعرض طولها وأنا وحدي، وبدت كالشمس بين الزبرج المنقذ، السحاب المنفرج تبدو من خلاله الشمس

ضَنْتُ بِخَدٍّ وَجَلْتُ عَنْ خَدٍّ
وكالشمس المظلة من بين السحاب بدا منها خد وضنت، بخلت، بالخد الآخر

مَا ضَرَّ أَهْلَ النَّوْكِ ضَعْفُ الْكَدِّ
يغير الموضوع: لا يضر أهل النوك، الحق، ضعف الكد، المثابرة

وَأَفَقَّ حَظًّا مَنْ سَعَى بِجَدٍّ
فالذي يسعى بجد، يبخت، يوافق نصيباً من التوفيق

الْحَرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ
الحر يكفيه أن تلحاه، تلومه، والعبد لا يرعوي إلا بالعصا

وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ
وليس من علاج للملحف، الملح، سوى الرفض الواضح. لكنّ مثلنا يقول: «لُحِّحْ غَلْبَ مُطِيلٍ»
أي أن الملحاح يغلب المماطل

وَصَاحِبِ كَالِدُمْلِ الْمُمِدِّ
رب صاحب كأنه الدمل الممد، الذي حشر داخله المدة، القبح

أَرْقُبُ مِنْهُ مِثْلَ يَوْمِ الْوَرْدِ
أرقبه متخوفاً كما أرقب يوم الورد، يوم رجوع الحنّى

حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي
هذا الصاحب هو كالدمل الذي أحمله في رقعة من جلدي

حَتَّى انْطَوَى غَيْرَ فَقِيدِ الْفَقْدِ

فَإِنْ ذَهَبَ فَلَا أَفْقَدُهُ بِأَسَى

وَمَا دَرَى مَا رَغَبْتَنِي مِنْ زُهْدِي

يفارقني دون أن أكون أشعرته أنا فيه راغب أم زاهد فيه كاره له

اسْلَمَ وَحُيِّتَ أَبَا الْمِلْدِ

يحيى الممدوح عقبة بن سلم، وكنيته أبو الملد

مَا كَانَ مِنْي لَكَ غَيْرُ الْوُدِّ

ثُمَّ ثَنَاءٌ مِثْلُ رِيحِ الْوَرْدِ

كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا يُؤَدِّي

كل امرئ ينال بقدر ما يقدم، والممدوح سخي فهو ينال المدح

وَرُبَّ ذِي تَاجٍ كَرِيمٍ الْمَجْدِ

كَأَلٍ كَسْرَى وَكَأَلٍ بُرْدِ

ورب صاحب تاج ومجد، كأنه من آل كسرى أو آل برد

أَنْكَبَ جَافٍ عَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ

وهذا المتوج أنكب، منحرف، وجاف، مبتعد عن طريق الرشد

فَصَلَّتْهُ عَنْ مَالِهِ وَالْوُلْدِ

وأنت أيها الممدوح الشجاع قتلته وفصلته عن عياله. وقصة القصيدة أن عقبة بن ربيعة بن العجاج الراجز ألقى أرجوزة في مجلس الأمير فائتي عليه بشار بأدب جم. فقال عقبة: هذا شيء لا تحسبه يا أبا معاذ. فقال له بشار: بل أحسن منه ما لا يحسن أبوك وجدك. وأبو عقبة هذا هو ربيعة وجده العجاج وهما من أشهر الرجاز. وانصرف بشار مغضباً، وصنع لليلة أرجوزة طويلة، هي التي اقتطفنا أجملها أعلاه. وغدا بأرجوزته على الأمير، وكان في المجلس عقبة الراجز. كعادته بصق بشار عن يمينه ثم بصق عن شماله، وابتدأ يرتجز. حتى أتم أرجوزته الفاخرة، فأجازه الأمير وخرج عقبة - وكان راجزاً ضعيفاً - خزيان. والرجز بحاجة إلى مزاج مختلف عن القصيد، وإليك رجزاً معاصراً قاله الضعيف عندما كان يعمل في مؤسسة جلبت موظفيها من بعيد، ثم عينت مديراً أخذ يضع الهياكل الإدارية ويقيم الناس، ثم يفصل منهم من يفصل، وبعض المحظوظين من أتباعه يبررون أفعاله. وستر الضعيف الفقير اسم المؤسسة: (جاءوا بنا من آخر الآفاق/براتب حُدد باتفاق/ثم أتاننا قاطع الأرزاق/جاءوا به من جزر الوقواق/فَرَأْنَا والساق فوق الساق/وهيكل الجميع في سياق/ثم إذا بَلَّغْتَ التراقي/جاءوا يطالبوننا بالباقي/وصاحت الغربان غاقٍ غاقٍ/وانعقد الحبل على الخناق/ما الخنجر المغروس في أعماقي/ولا الرصاص عند الاختراق/كنظرة المشنوق للشناق/ويسمون لحظة التلاقي/ويذرفون دموع الفراق/قد خجل النفاق يا رفاقي)

٣٥ القلب فوق الوسائد

ولقد رأيتُ بها الحَرا إذ يَتَّصِلْنَ إلى الحَرائدِ
رأيتُ بالديار الخرائد، الفتيات الناعمات، كثيرات

أيامَ عَبدَةٍ وَسَطَهُنَّ كأنَّها أمُّ الفَرائدِ
وعبدَة وسطهن كأنه أم الفرائد، اللؤلؤة الكبيرة وسط العقد

يَحْسُدُنْ فَضْلَ جَمالِها لا تَعْدِمِي حَسَدَ الحَواشِدِ
يا شوقَها لِفراقِنا وتَقْلُبي فوقَ الوَسائِدِ
لا تُنْجِزِينَ مَواعِدِي وَيَلِي على تِلْكَ المَواعِدِ

٣٦ الصلاة بالحصي

ثم قالتُ: نَلقَاكَ بَعْدَ لَيلٍ والليالي يُبْلِغُ كَلَّ جَدِيدِ
عندها الصبرُ عن لِقائِي، وعندي زَفَرَاتُ يَأْكُلْنَ قَلْبَ الحَدِيدِ
الحديد: الرجل الشديد، وأحب أن أفهمها على أن الحديد هو الحديد

ما أَصَلِّي إِلَّا وَعندي رَقِيبٌ قائمٌ بِالحَصَى يَعُدُّ سُجُودي
منشغل الذهن بها فلا أدري كم ركعة أصلي، لذا فأنا أطلب من بعضهم أن يرقبني ويضع حصاة عند كل ركعة.. ولم يكن بشار يرى الحصى طبعاً، لأنه أعمى، فلا شك في أن صاحبه كان يعد بصوت عالٍ.. كثير من شعر بشار فيه إشارات لا تصلح لضرب

٣٧ الشايع أخو الجائع

يا عَبدَ باهِلَةٍ الذي يَتَوَعَّدُ أَعَلَيَّ تُبْرِقُ إِذْ شَبِعَتْ وتُرْعَدُ؟
أنت يا باهلي كالعبد تهددني وتبرق وترعد وتحس في نفسك القوة عندما تشبع. لا ينجو الشايع من كلام الناس، يحسونه بطراً أشرّاً؛ ولا ينجو الجائع، يقولون: هذا سيختلس. ويفضلون صاحب العز القديم الجديد، من هو من عائلة عريقة، ومن يتمتع بالمال والجاه. أملى مؤسس البنك العربي في مذكراته أنه كان كلما فتح فرعاً لمصرفه في مدينة راح يبحث عن رجل من «أحسن» عائلات المدينة وأعرفها وأغناها لكي يكون مديراً للفرع

عَوَدَتْ نَفْسُكَ أَنْ تُضامَ فَحَلَّها كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِما يَتَعَوَّدُ
عودت نفسك أن تُظلم، فأبق على ذلك، فأنت تستحق ما تعودت عليه

وَأبَى لَكَ الحَسَبُ اللَّئيمُ نَبالَةً وكَساكَ ذِلَّتُهُ أَبْوَكَ القُعْدُودُ

القعدود: الجبان

٣٨ الهائمات بي

أَرْسَلَنَ فِي لُطْفٍ إِلَيَّ أَنْ أُتِنَا غَابَ الرَقِيبُ، وَمَا تَخَافُ وَعِيدَا
أرسلن في لطف، خفية، أن تعال وجالسنا فالرقيب غائب، ولا تهديد

فَأَتَيْتُهُنَّ مَعَ الْجَرِيِّ يَقُودُنِي طَرَبَاءَ، وَيَا لَكَ قَائِداً وَمَقُودَا
جنت تلبية لرسالتهن مع الجري، الرسول، يقودني

لَمَّا التَقَيْنَا قُلْنَ: هَاتِ فَقَدْ مَضَتْ سَنَةٌ نُوْمَلُ أَنْ نَرَاكَ قَعِيدَا
ظللنا سنة نتطلع إلى أن تجالسنا

حَدَّثَ فَقَدْ رَقَدَ الْوُشَاءُ، وَلَيْتَهُمْ حَتَّى الْقِيَامَةِ يَلْبِسُونَ رُقُودَا
قلت: اقترِحن من الهوى، فسألنني طُرَفَ الْحَدِيثِ فُكَاهَةً وَنَشِيدَا
حدثهن بالطرائف وأنشدتهن شعراً

حَتَّى إِذَا بَعَثَ الْأَذِينَ فِرَاقَنَا وَرَأَيْتُ مِنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ خُودَا
الأذين: المؤذن

جَرَّتِ الدَّمُوعُ، وَقُلْنَ: فِيكَ جَلَادَةٌ عَنَّا، وَنَكْرَهُ أَنْ نَرَاكَ جَلِيدَا
فيك جلادة وصبر عن لقائنا، ونريدك أن تكون متشوقاً دائماً غير صابر

٣٩ بعد أن زاغت عينه

إِنْ نَبَتْ عَيْنِي وَكَانَتْ زَلَّةً فَاغْفِرْهَا قَبْلَ أَنْ أَلْقَى الرَّدَى
إن انحرفت عيني ونظرت لغيرك فاغفري قبل أن أموت

حِلْمُ ذِي الْقُدْرَةِ حَظٌّ زَانَهُ وَالْبَلَايَا لَا تُحَاشِي أَحَدَا
الحلم، والسماحة، عند ذي القدرة زين، والخطأ لا يستني أحداً فاغفري خطأي

رَيْمٌ قَدْ تُبِتْ وَطَالَتْ عَبْرَتِي شَهِدَ اللَّهُ، وَدَمَعِي شَهِدَا
وأنا أتوب عن التطلع إلى غيرك

٤٠ الثوب الجديد

بِجَدِّكَ يَا ابْنَ قُرْعَةٍ نِلْتَ مَالاً أَلَا إِنَّ اللَّئَامَ لَهُمْ جُدُودُ
بحظك نلت المال، واللئام ذوو جدود، حظوظ

كَسَوْتُكَ حُلَّةً مِمَّا أَسَدِّي بُروداً لَا تُقَارِبُهَا بُرودُ

كسوتك ثياباً مما أسدي، مما أنسج.. ثياباً ليست كالثياب

مَلَابِسُ لَا تَرِثُ عَلَى اللَّيَالِي وَلَا تَبْلَى وَإِنْ بَلَيْتْ جُلُودُ

فهي لا ترث، لا تهترئ، مع الزمن، ولا تبلى وإن بليت الجلود

جَلَسْتُ أَحْوَكُهَا وَاللَّيْلُ دَاجٌ مُحَبَّرَةٌ تُبِيدُ وَلَا تَبِيدُ

جلست ساهراً في الليل الداجي، المظلم، أخط هذه الحلة المحبرة، المنمقة، التي تُبِيدُ لابسها ولا تبيد هي. إنها قصيدة هجاء

يُورِثُهَا بَنُوكَ بَنِي بَنِيهِمْ إِذَا هَلَكُوا، وَمَنْشَرُهَا جَدِيدُ

يتوارثها أعقابك، وتظل جديدة ذات أثر.. وتخزيكم جيلاً بعد جيل

كَذَاكَ الدَّهْرُ يُبْلِي كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَفْنَى عَلَى الدَّهْرِ الْقَصِيدُ

٤١ نصيحة للقصيدة

شَرِبْنَا مِنْ بَنَاتِ الدَّنِّ حَتَّى تَرَكَنَا الدَّنَّ لَيْسَ لَهُ فَوَادُ

شربنا الخمر من الكؤوس التي هي بنات الدن، خاية الخمر الكبيرة، فلم نترك خمرأ في الدن فكاننا أخذنا قلبه

وَجَدْتُ لِبَعْضِهِمْ جُوداً وَبَعْضُ كَمَاءِ الْبَحْرِ أَكْثَرُ لَا يُرَادُ

لا يُراد: لا يُطلب

وَلَيْسَ الْجُودُ مَنْتَحَلاً وَلَكِنْ عَلَى أَحْسَابِهَا تَجْرِي الْجِيَادُ

الجود ميزة لا يتحلها المرء، يستحدثها، فالجباد، الخيل، تجري في السباق بأحسابها، فالسوابق هي ذات الأصلية

وَجَارِيَةٌ مِنَ الْغُرِّ الْعَوَالِي تُزَفُّ إِلَى الْمُلُوكِ وَلَا تُقَادُ

رب قصيدة هي كالفتاة من الغر الغوالي، الوضيئات الغاليات الثمن، تزف إلى الملوك عروساً، ولا تقاد جارية

تُسْرُكُ بِاللِّقَاءِ وَلَا تَرَاهَا وَيُعْطِي مَالَهُ فِيهَا الْجَوَادُ

هي لا ترى، لأنها قصيدة تسمع، ولكن السخي يبذل فيها المال

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ خَرَجْتُ بِلَيْلٍ مُنَاصِحَةً وَلِلنُّصَحِ اجْتِهَادُ

أنصح قصيدتي التي خرجت وأنا ساهر لها ليلاً..

رِدِّي رَوْحاً فَلَنْ تَجِدِي كَرْوَحَ إِذَا أَرِمْتُ بِكَ السَّنَةُ الْجَمَادُ
اقصدي روح بن حاتم، فليس هناك مثله إذا أرمّت بك، ضاقت بك، السنة الجماد، الشدة والمحل

٤٢ الشوكة المحسودة

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
قَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظاً بِمَا يَجِدُ

ما يجد: ما في نفسه من وجد وغيط

أَنَا الَّذِي وَجَدُونِي فِي حُلُوقِهِمْ لَا أَرْتَقِي صَعْداً مِنْهَا وَأُزْدَرَدُ
وجدوني في حلوقهم كالشوكة لا أصعد ولا أبلع

٤٣ العود المشقوق

أَقْبَيْصَ لَسْتُ، وَإِنْ جَهِدْتَ بِبَالِغِ سَعْيِ ابْنِ عَمِّكَ ذِي النَّدَى دَاوُدَ
يهجو قبيصة بن روح ويمدح ابن عمه داود بن يزيد: يا قبيصة لن تبلغ سعي، همة،
ابن عمك ذي السخاء داود

دَاوُدَ مَحْمُودٌ وَأَنْتَ مُذَمَّمٌ عَجَباً لِذَاكَ، وَأَنْتُمَا مِنْ عُودٍ
وَلَرُبَّ عُودٍ قَدْ يُشَقُّ لِمَسْجِدٍ نِصْفاً، وَسَائِرُهُ لِحُشٍّ يَهُودِي
الحش: الكنيف، أي المرحاض

٤٤ السخي والشجرة

ظِلُّ الْيَسَارِ عَلَى الْعَبَاسِ مَمْدُودٌ وَقَلْبُهُ أَبْدأً بِالْبَخْلِ مَعْقُودٌ
اليسار: الغنى، العباس: هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب

إِنْ الْكَرِيمَ لَتَخْفَى عَنْكَ عُسْرَتُهُ حَتَّى تَرَاهُ غَنِيّاً وَهُوَ مَجْهُودٌ
يخفي الكريم افتقاره، فتراه غنياً وهو متعب في إخفاء فقره

وَلِلْبَخِيلِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ زُرُقُ الْعَيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سَوْدُ
البخيل له علل، حجج، يتحجج لعدم الإنفاق بحجج غير مقبولة عقلاً، كأنها العيون الزرق في
الوجوه السود

إِذَا تَكَرَّهْتَ أَنْ تَعْطِيَ الْقَلِيلَ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ
إذا كنت غير قادر على التوسع في العطاء فامتعت عن العطاء القليل فلن يظهر سخاؤك..
السخاء أن تعطي دائماً وبقدر ما عندك

أُورِقْ بِخَيْرٍ تُرَجِّىَ لِلنَّوَالِ فَمَا تُرَجِّىَ الثَّمَارُ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْعُودُ
 أخرج يا هذا القليل، فالشجرة في بدء أمرها تورق فيرجى منها الثمر، وبلا ورق فلا ثمر
 بُتَّ النَوَالِ وَلَا تَمْنَعُكَ قِلَّتُهُ فَكُلْ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودُ
 أخرج النوال، العطاء، حتى لو كان قليلاً، فما سد حاجة فهو جيد

٤٥ مكيدات النساء

لِحَدِيثِكَ مِنْ كَفَيْكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى أَنْ تَرَى وَجَهَ الصَّبَاحِ وَسَادُ
 تضع خديك كل ليلة متوسداً فكيف متفكراً
 تَبَيْتُ تُرَاعِي اللَّيْلَ تَرْجُو نَفَادَهُ وَلَيْسَ لِلَّيْلِ الْعَاشِقِينَ نَفَادُ
 ترجو نفاذ، انتهاء، الليل.. وليل العاشقين لا ينفذ
 إِذَا قُلْتُ إِنِّي قَدْ لَقَيْتُ شَقَاوَةً بِحُبِّكَ قَالَتْ لِي: وَسَوْفَ تَزَادُ
 قالوا بشار لم يسرق أبداً من غيره، وهذا من جميل بثينة
 (إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي/ من الحب قالت ثابت، ويزيد)
 لَنَا غِلْظَةٌ مِنْهَا وَلَيْنٌ مَقَالَةٌ وَلَوْعَةٌ هَجْرٍ مَرَّةً وَوِدَادُ
 فوالله ما أدري، وكلُّ مُصِيبَةٍ، بِأَيِّ مَكِيدَاتِ النِّسَاءِ نُكَادُ؟
 كل هذا الذي ألقى منها - الغلظة واللين واللوعة والهجر والوداد - مصائب، ولا أدري بأي
 مكيدات النساء نصاب؟

٤٦ ابنتي والأعرابية

تَقُولُ ابْنَتِي إِذْ فَاخَرْتُهَا غَرِيبَةً مُؤَزَّرَةً بِالْوَبْرِ فِي شَوَذَرٍ قَدَدُ
 ابنتي تفتخر عليها فتاة غريبة الشكل مؤزرة بثوب من وبر، وتلبس شوذراً قدداً، خيلاً مقدود
 الأكماء.. قميصاً خفراً
 لَهَا وَالِدٌ رَاعٍ إِذَا رَاحَ عِنْدَهَا بِأَشْوِيَةٍ مِنْ قَلْبِ صَبٍّ وَمِنْ كَبَدُ:
 أبوها راع يروح، يأتي مساءً، ومعه المشاوي من قلب الصب، الحيوان الصحراوي الزاحف،
 وكبد
 أَبِي نَجْلٍ أَمْلَاكِ وَزُورُ حَلِيفَةٍ يَلِينُ لَهُ بَابُ الْهُمَامِ إِذَا وَقَدُ
 تقول لها ابنتي: أبي ابن أملاك، ملوك، وزور خليفة، يزور الخليفة، ويفتح له باب الهمام،
 الزعيم، إذا وفد عليه

٤٧ مدية الهوى

عَرَاءُ كَالْقَمَرِ المشهورِ حين بدت لا بل بدا مثلها حين استوى القمرُ
وضاءة كالقمر، بل هو مثلها إذ استوى في وسط السماء

لَمَّا رَأَيْتُ الهوى يَبْرِي بِمُدَيَّتِهِ لَحْمِي، وَخَلَّانِي الزُّوَارُ وَالسَّمَرُ
مديته: سكينه. الحب يجعله هزيل الجسم نحيلاً

أَصْبَحْتُ كَالْحَائِمِ الحَرَّانِ مُحْتَبَساً لَمْ يَقْضِ وَرْداً وَلَا يُرْجَى لَهُ صَدْرُ
أصبحت كالطائر الذي يحوم حران يريد أن يشرب، ويحبسه عن الماء الصائد، فلا يرد الماء ولا يعود عنه

قَالَتْ عُقَيْلُ بْنُ كَعْبٍ إِذْ تَعَلَّقَهَا قَلْبِي فَأَضْحَى بِهِ مِنْ حُبِّهَا أَثَرُ:
قالت لي قبيلة عقيل وقد تعلق قلبي بالمحوبة وأثرت فيه

أَنْتَى - وَلَمْ تَرَهَا - تَصْبُو؟ فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ الْفَوَادَ يَرَى مَا لَا يَرَى الْبَصَرُ
كيف تصبو، أي تعشق، وأنت لم ترها. . قلت لهم: رأيها بفؤادي

٤٨ إغواء

حَسْبِي وَحَسْبُ الَّتِي كَلِفْتُ بِهَا مَنِّي وَمِنْهَا الْحَدِيثُ وَالنَّظَرُ
يكفيني الحديث والنظر ممن كلفت بها، تعلقت بها

أَوْ قُبْلَةً فِي خِلَالِ ذَاكَ وَلَا بَأْسَ إِذَا لَمْ تُحْلَلِ الْأَزْرُ
وربما قبلة في هذه الأثناء، ولا يضيرني عدم حل الأزور، الثياب

أَوْ لَمَسُ مَا تَحْتَ ثَوْبِهَا بِيَدِي وَالْبَابُ قَدْ حَالَ دُونَهُ السُّتُرُ
ربما لمس ما تحت ثوبها، مجرد لمس، والباب عليه ستائر تحول دون التلصص

وَالسَّاقُ بَرَأَقَةً خَلَاخِلُهَا وَالصَّوْتُ عَالٍ فَقَدْ عَلَا الْبُهِرُ
وبساقها خلخال، ولها صوت إذ علا البهر، تقطع الأنفاس

وَاسْتَرْخَتْ الْكَفُّ لِلْغَزَالِ وَقَدْ قَالَ أَلَهُ عَنِّي وَالدمْعُ مُنْخَدِرُ
كفه مسترخية مع الفتاة، وهي تقول له عني، ابتعد، ودمعها يجري

إِذْهَبْ فَمَا أَنْتَ كَالَّذِي ذَكَرُوا، أَنْتَ وَرَّيْتَنِي مُعَارِكُ أَشِيرُ
أذهب فأنت لست كما قالوا شاعر رقيق، بل أنت معارك فاتك

وَعَابَتِ الْيَوْمَ عَنْكَ حَاضِنَتِي فَاَلَلَهُ لِي الْيَوْمَ مِنْكَ مُنْتَصِرُ
ووصيفتي غائبة وأنت تستغل الموقف فالله يأخذ بحقي منك

يَا رَبِّ خُذْ لِي فَقْدَ تَرَى ضُعْفِي مِنْ قَاسِقِ الْكَفِّ مَا لَهُ شُكْرُ
أَهْوَى إِلَى مِعْضَدِي فَرَضَضَهُ دُو قُوَّةِ مَا يُطَاقُ مُقْتَدِرُ
تقول: هذا الفاسق يمسك معضدي، أعلى الذراع، ويرضه

يُلْصِقُ بِي لَحِيَّةً لَهُ خَشْنَتْ ذَاتُ سَوَادٍ كَأَنَّهَا الْإِبْرُ
حَتَّى عَلَانِي وَإِخْوَتِي غُيِبَتْ وَيُلِي عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ حَضَرُوا
أُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا نَجَوْتُ بِهَا إِذْهَبْ فَأَنْتَ الْمُسَاوِرُ الظُّفْرُ
المساور: المهاجم

كَيْفَ بِأُمِّي إِذَا رَأَتْ شَفْتِي وَكَيْفَ إِنْ شَاعَ مِنْكَ ذَا الْخَبْرِ
قُلْتُ لَهَا عِنْدَ ذَلِكَ يَا سَكْنِي لَا بَأْسَ إِنِّي مُجَرَّبٌ حَزْرُ
قُولِي لَهُمْ بَقَّةً لَهَا ظُفْرُ إِنْ كَانَ فِي الْبَقِّ مَا لَهُ ظُفْرُ
فكاهة سمجة طبعاً. وقد أنفق النوبي صفحات كثيرة وهو يقدم إدانة أخلاقية لبشار على هذه القصيدة، فلئن كان مغتصراً الغرام فليس يغتفر إغواء طفلة

٤٩ الاستدراج

بَكَّرَا صَاحِبَيَّ قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنْ ذَاكَ النَّجَاحُ فِي التَّبْكِيرِ
بكرا بالرحيل قبل الهجير، الحر..

وَيُقَالُ الْأَعْجَازِ قَطَعْنَ قَلْبِي بِحَدِيثٍ لَذٍّ وَدَهْرٍ قَصِيرِ
وَرَضِيَتْ الْقَلِيلَ مِنْهُنَّ، إِنِّي مِنْ قَلِيلٍ لَوَائِقُ بِكَثِيرِ
يطمع بعد نيل القليل بالتدرج إلى الكثير

لَيْسَ كُلُّ الشُّرُورِ يَبْقَى نَعِيماً رُبَّ عَيٍّ يَدِبُّ تَحْتَ الشُّرُورِ
ذَهَبَتْ لَذَّةُ النِّسَاءِ فَلَا أَلْ قَى نَعِيماً إِلَّا حَدِيثَ الذُّكُورِ

٥٠ هجاء الأعراب

سَأَخْبِرُ فَأَخِرَ الْأَعْرَابِ عَنِّي وَعَنْهُ حِينَ بَارَزَ لِلْفَخَارِ
سأخبر المفتخر من الأعراب، ويقصد العرب

أَنَا ابْنُ الْأَكْرَمِينَ أَبَا وَأُمًّا تَنَازَعَنِي الْمَرَازِبُ مِنْ طُخَارِ
أَنَا ابْنُ الْأَكْرَامِ أَبَا وَأُمًّا، وقد تجاوز نسي أجداد من مراب طخارستان، والمرزبان هو القائد
الحدودي في جيوش كسرى، وطخارستان في شمال أفغانستان اليوم

إِذَا انْقَلَبَ الزَّمَانُ عَلَا بِعَبْدٍ وَسَقَلَ بِالْبَطَارِيقِ الْكِبَارِ
البطاريق: قادة الروم، والقادة من غير العرب عموماً

مَلَكُنَاكُمْ فَعَطَّيْنَا عَلَيْكُمْ وَلَمْ نَنْصِبْكُمْ غَرَضاً لِرَّازٍ
كما قد ملكنا العرب قديماً فسترنأ أحوالهم ولم نصبهم غرضاً لمن يزري عليهم ويؤذيهم
(وكان الفرس قد سيطروا في الجاهلية على اليمن، وكانت لهم سطوة في العراق حيث تبعثهم
دولة المناذرة)

أَحِينَ لَبِستَ بَعْدَ الْعُزِّي خَزًّا وَنَادَمْتَ الْكَرَامَ عَلَى الْعُقَارِ..
أعندما لبست الخز، الحرير، بعد أن كنت عارياً، وحين نادمت الكرام على العقار، الخمر..

تُفَاخِرُ يَا ابْنَ رَاعِيَةٍ وَرَاعٍ بَنِي الْأَحْرَارِ؟ حَسْبُكَ مِنْ خَسَارِ
تفاخر أيها الراعي بني الأحرار، والأحرار كلمة وصف بها بقايا الفرس في اليمن عندما جاء
الإسلام، فقد أسلموا ولم يدخلوا تحت نير العبودية

وَكُنْتَ إِذَا ظَمِئْتَ إِلَى قَرَّاحٍ شَرِئْتَ الْكَلْبَ فِي ذَاكَ الْإِطَارِ
كلما ظمئت إلى ماء قراح، صاف، شاركت الكلب في الإطار، الوعاء

وَتُدَلِّجُ لِلْقَنَافِذِ تَدْرِيبَهَا وَتُنْسِيكَ الْمَكَارِمَ صَيْدُ قَارِ
وتدلج، تخرج ليلاً، للقنافذ تدريها، تخدعها لتصيدها، وتصيد فتران الصحراء من اليرابيع

وَتَغِيْطُ شَاوِيَّ الْحِرْبَاءِ حَتَّى تَرَوْحُ إِلَيْهِ مِنْ حُبِّ الْقُتَارِ
وتحسد من يشوي الحرباء حتى لتذهب إليه وانت تشتم القنار، رائحة الشواء

وَفَخْرُكَ بَيْنَ يَرْبُوعٍ وَضَبٍّ عَلَى مِثْلِي مِنَ الْحَدَثِ الْكِبَارِ
وفخر، أنت يا من يصيد الضباب واليرابيع، أي فتران البر، حدث كبير

٥١ الجفون القصار

وقال يفخر بمضر وقتل إبراهيم الإمام العباسي سنة ١٣١هـ:

يُرْوَعُهُ السَّرَارُ بِكُلِّ أَمْرٍ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ بِه السَّرَارُ
هذا العاشق يخيفه السرار، حديث الوحوشة بين الناس، لأنه يظنهم يتحدثون عنه

كَأَنَّ فِؤَادَهُ كِرَةً تَنْزَرِي حِذَارَ الْبَيْنِ لَوْ نَفَعَ الْحِذَارُ

كان قلبه كرة تنزى، تقفز، خوفاً من الفراق

أَقُولُ وَلَيْلَتِي تَزْدَادُ طُولاً أَمَّا لِلَّيْلِ بَعْدَهُمْ نَهَارُ

جَفْتُ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جَفَوْنَهَا عَنْهَا قِصَارُ

لَنَا بِطَحَاءِ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى وَمَا حَازَ الْمُحَصَّبُ وَالْجِمَارُ

لنا، ويقصد قبائل مضر من عرب الشمال ومنهم قريش، وكان ولاء بشار في عُقيل المضرية، بطحاء مكة، سهلها حيث سكن أشرافها، وما ضمه ذلك الموضعان المحصب والجمار

وَمِيرَاثُ النَّبِيِّ وَصَاحِبِيهِ تِلَاداً لَا يُبَاعُ وَلَا يُعَارُ

ولنا إرث النبي وصاحبيه أبي بكر وعمر، وهذا تلاد، إرث

كَأَنَّ النَّاسَ حِينَ نَغِيْبٍ عَنْهُمْ نَبَاتُ الْأَرْضِ أَخْلَفَهَا الْقَطَارُ

الناس بدوننا كنبات الأرض التي أخلفها، تأخر عنها القطار، أي المطر

أَلَمْ يَبْلُغْ أَبَا الْعَبَّاسِ أَنَا وَتَرَنَاهُ وَلَيْسَ بِهِ اتِّئَارُ

أبو العباس السفاح وهو أخو إبراهيم الإمام الذي قتله آخر خلفاء بني أمية، وقد وترناه، جعلنا له ثأراً بقتلنا أخاه، ولكن ليس به اتئار، لا سبيل لأخذه الثأر

فَقَتَلْنَا السَّكْسَكِيَّ بِلَا قَتِيلٍ وَهَلْ مِنْ مَقْتَلِ الْكَلْبِ اعْتِذَارُ

وقتلنا معاوية السكسكي الذي نقضبيعة مروان بن محمد بحمص وقتله فقتل

إِذَا مَا أَقْبَلُوا بِسَوَادٍ جَمْعٍ نَفْخْنَا فِي سَوَادِهِمْ قَطَارُوا

يقبل الأعداء علينا أفواجاً ويظهرون من بعيد كالسواد... ونهزمهم

طَرَائِدَ خَيْلِنَا حَتَّى كَفَفْنَا هَوَادِيَهَا وَلَيْسَ بِهَا أَزْوَارُ

طاروا مطرودين بخيلنا التي تتبعهم، نطاردهم بعد كسرهم إلى أن تكف هوادي الخيل، أي أعناقها، دون أن يكون بها أزوار، أي انحراف عن المضي

لَنَا نَارٌ بِشَرْقِيِّ الْمَعَالِي مُضَرَّمَةٌ وَبِالْغَرْبِيِّ نَارُ

أوقدنا نارنا شرقاً وغرباً، والنار علامة شرف وكرم عند العربي فهو بها يعلن عن وجوده واستعداده للإيواء المستجير وإطعام الضيف

٥٢ لم يأتني خبر

حَسْبِي بِمَا قَدْ لَقِيتُ يَا عَمْرُ لَمْ يَأْتِنِي عَنْ حَبِيبَتِي خَبْرُ

يا ليت شِعْري ماتت فأنثُها أم أهدت صاحباً فأنثحُر
لا أستطيع الهوى وهجرتها قلبي ضعيفٌ، وقلبها حَجَرٌ
لا أستطيع تحمل الهوى وهجرها لي معاً

٥٣ وسم بالنار

أَجَرْنَا الْبَاهِلِيَّ مِنَ الْمَنَايَا فلم يشكر لنا كرم الجِوَارِ
يفأخرنا ونعمتنا عليه وفيهم الباهليُّ من الفَخَارِ
دَنُوتٌ مَعَ الْكِرَامِ وَلَسَتْ مِنْهُمْ، تأخَّرَ يَا ابْنَ بَائِكَةِ الْجِمَارِ
يعير أمه بمعاشره حمار، ولك أن تضع نقطة ليم لك المعنى الخسيس، لا تفعل!

خُلِقْنَا سَادَةً وَخُلِقْتَ كَلْباً ككلب السوء يلحق بالقطارِ
أنت كالكلب الذي يلحق القطار، القافلة

إِذَا أَنْكَرْتَ نِسْبَةَ بَاهِلِيٍّ فَرَفَّعَ عَنْهُ نَاحِيَةَ الْإِرَارِ
إذا تحيرت في نسب شخص من قبيلة باهلة فارع طرف ثوبه

عَلَى أَسْتَاهِ سَادَتِهِمْ كِتَابٌ «مَوَالِيٍّ عَامِرٍ» وَسَمٌ بِنَارِ
على مؤخره سادتهم مكتوب بوسم، كالوسم بالحديدة المحمأة على الإبل لبيان صاحبها: موالٍ
قبيلة عامر. وزعم هارون الرشيد لجلسه أن هذا أمجى بيت

سَعَى لِيَكُونَ مِثْلِي بَاهِلِيٍّ وَكَيْفَ سَعَى بِمَجْدٍ مُسْتَعَارِ
أَرَادَ بِلُؤْمِهِ تَدْنِيَسَ عِرْضِي وَأَيْنَ الشَّمْسُ مِنْ دَنَسٍ وَعَارِ

٥٤ الأسد الجائع

مَا بَالُ حَمَادِ بْنِ نَهْيَا يَشْتَهِي مَوْتِي كَأَنِّي بِأَسْتِهِ بِأَسُورِ
ما لي أرى حماد عجرد يشتهي موتي؟ فكأنني في مؤخرته الباسور

نُبِّئْتُ أَكْبَلَ خُرْئِهِ يَغْتَابُنِي عِنْدَ الْأَمِيرِ، وَهَلْ عَلَيَّ أَمِيرُ
وَلِي الْمَهَابَةُ فِي الْأَحْبَةِ وَالْعِدَى وَكَأَنَّنِي أَسَدٌ لَهُ تَأْمُورُ
التامور: عرين الأسد

عَرِثْتُ حَلِيلَتُهُ وَأَخْطَأَ صَيْدَهُ فَلَهُ عَلَى لَقَمِ الطَّرِيقِ زَيْرُ
وكان هذا الأسد ترك حليلته، زوجته، غرثي أي جائعة، ولم يتمكن من الصيد، فهو على لقم
الطريق، واللقم الطريق الواضح، يزأر متهيناً للاقتراس

وَيَسْرُتْنِي سَبَقُ الْجَوَادِ إِلَى النَّدَى قَبْلَ السُّؤَالِ، فَإِنْ ذَاكَ سُورُ
وَإِذَا أَقْلٌ لِي الْبَخِيلُ عَذَرْتُهُ إِنْ الْقَلِيلُ مِنَ الْبَخِيلِ كَثِيرُ

٥٥ أنا وعبدة والناس

يُزْهِدُنِي فِي حُبِّ عَبْدَةٍ مَعَشْرُ قُلُوبُهُمْ فِيهَا مُخَالِفَةُ قَلْبِي
يزهني في حبا: يقلل حبا في عيني

فَقُلْتُ: دَعُوا قَلْبِي وَمَا اخْتَارَ وَارْتَضَى فَبِالْقَلْبِ لَا بِالْعَيْنِ يُنْصَرُ ذُو اللَّبِّ
وَمَا تُبْصِرُ الْعَيْنَانِ فِي مَوْضِعِ الْهَوَى وَلَا تَسْمَعُ الْأُذُنَانِ إِلَّا مِنَ الْقَلْبِ

٥٦ مدح واصل بن عطاء

تَكَلَّفُوا الْقَوْلَ وَالْأَقْوَامُ قَدْ حَفَلُوا وَحَبَّرُوا خُطْبًا نَاهِيكَ مِنْ خُطْبِ
فَقَامَ مُرْتَجِلًا تَغْلِي بَدَاهَتُهُ كَمِرَجَلِ الْقَيْنِ لَمَّا حُفَّ بِاللَّهَبِ
قام واصل بن عطاء يرتجل ببديهة حارة كأنها تنور القين، الحداد، المحاط باللهب

وَجَانِبَ الرَّاءِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَ التَّصَفُّحِ وَالْإِعْرَاقِ فِي الطَّلَبِ
وتجنب حرف الراء، وكان واصل يلثغ بالراء، في كل كلماته، ولا يشعر أحد بهذا
إلا بعد طول تفكير وتنقيب. هذا عن مدح بشار لواصل بن عطاء، فأما واصل فقد
وصله عن بشار ما يقوله في الغزل الفاحش فقام وخطب خطبة أخرى - وتجنب فيها
الراء - وقال: (أما لهذا المشنف المكني بأبي معاذ من يقتله؟ أما والله لولا أن الغيلة
سجية من سجايا الغالية لدستت إليه من يبيع بطنه في جوف منزله.) فقال المشنف
ولم يقل المرعث، وقال أبا معاذ ولم يقل بشاراً، وقال الغالية ولم يقل الرافضة،
وقال يبيع بطنه لا ييقره، متجنباً الراء في كل كلامه

٥٧ زُرْ غِبًّا تَزِدُّ حَبًّا

لَا تَجْعَلَنَّ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا أَحَبَبْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا
رب: سيد

وَصِلِ الْخَلِيلَ إِذَا شَغِفَتْ بِهِ وَاظْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِبًّا
اطو الزيارة دونه غباً: قم بزيارات متفرقة، ولا تكثر

فَلَذَّكَ خَيْرٌ مِنْ مُوَاصَلَةٍ لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا

٥٨ صحبة أبدية مع الحزن

أُبْكِي الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ حَتَّى إِذَا أَيقَظُونِي فِي الْهَوَى رَقَدُوا
وَأَسْتَنْهَضُونِي فَلَمَّا قُمْتُ مُنْتَضِباً بِثِقَلِ مَا حَمَلُونِي وَدَهُمْ قَعَدُوا
يوقعونني في شرك الحب ثم لا يكملون المشوار معي

لَا أَخْرُجَنَّ مِنَ الدُّنْيَا وَحُبُّهُمْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ
الْقَيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْحُزَنِ مَعْرِفَةً لَا تَنْقُضِي أَبَداً أَوْ يَنْقُضِي الْأَبَدُ

٥٩ إخفاء البكاء

شَكُوتُ إِلَى الْعَوَانِي مَا أَلَاقِي وَقُلْتُ لَهُنَّ مَا يَوْمِي بَعِيدُ
قال لهن إن يومه قريب وسموت عشقاً

فَفَاضَتْ عَبْرَةً أَشْفَقْتُ مِنْهَا تَسِيلُ كَأَنَّ وَابِلَهَا الْفَرِيدُ
نزلت دموعي كأنها الفريد، حبات اللؤلؤ

فَقُلْنَ بَكَيْتَ؟ قُلْتُ لَهُنَّ كَلَّا وَقَدْ يَبْكِي مِنَ الشَّوْقِ الْجَلِيدُ
الجليد: المتماسك

وَلَكِنِّي أَصَابَ سَوَادَ عَيْنِي عُوَيْدُ قَذَى لَهُ طَرَفٌ حَدِيدُ
أصاب سواد عيني عود طرفه حديد، أي حاد

فَقُلْنَ: فَمَا لِدُمْعِهِمَا سَوَاءٌ أَكِلْنَا مُقْلَتَيْكَ أَصَابَ عُودُ
قلن له: دمع عينيك سواء، أي متساو بين المقتلين.. فهل أصاب عود كلنا عينك؟ يا كذاب!
فَقَبَّلَ دُمُوعَ عَيْنِكَ خَبَرْتَنَا بِمَا جَمَعَجَمْتَ، زَفَرْتُكَ الصَّعُودُ
وقبل أن تبكي أخبرتنا بما جمعت، بما قصدت أن تقول ولم تحسن التعبير، زفرائك الصعود،
الصاعدة من صدرك

٦٠ استخفاف

وَأِنَّنِي فِي الصَّلَاةِ أَحْضَرُهَا ضَحَكُهُ أَهْلِي الصَّلَاةِ إِنْ شَهِدُوا
أَقْعُدُ فِي سَجْدَةٍ إِذَا رَكَعُوا وَأَرْقُعُ الرَّأْسَ إِنْ هُمْ سَجَدُوا
أَسْجُدُ وَالْقَوْمَ رَاكِعُونَ مَعاً وَأُسْرِعُ الْوُثْبَ إِنْ هُمْ قَعَدُوا
ولست أدري إذا إمامهم سَلَّمَ كَمْ كَانَ ذَلِكَ الْعَدَدُ

٦١ الحج إلى زرارَة

أَلَمْ تَرَنِي وَيَحْيَى قَدْ حَجَجْنَا وَكَانَ الْحَجُّ مِنْ خَيْرِ التَّجَارَةِ
خَرَجْنَا طَالِبِينَ خَيْرٍ وَبِرٍّ فَمَالَ بِنَا الطَّرِيقُ إِلَى زُرَّارَةِ
زرارة: خمار من الخمارين

فَعَادَ النَّاسُ قَدْ غَنِمُوا وَحَجُّوا وَأَبْنَا مُوقِرِينَ مِنَ الْخَسَارَةِ
عدنا موقرين: محملين

٦٢ أنا وفطمة

عَجِبْتُ فَطْمَةً مِنْ نَعْتِي لَهَا هَلْ يَجِيدُ النَّعْتَ مَكْفُوفُ الْبَصَرِ
بِنْتُ عَشْرِ وَثَلَاثٍ قُسِّمَتْ بَيْنَ غُضَنِ وَكَثِيبٍ وَقَمَرٍ
الغصن قدما المياس، والكثيب مؤخرتها، والقمر وجهها

دُرَّةٌ بَحْرِيَّةٌ مَكْنُونَةٌ مَا زَاهَا التَّاجِرُ مِنْ بَيْنِ الدُّرَرِ
درة بحرية، أي لؤلؤة، كانت مكنونة في الصدفة، فلما رآها التاجر كبيرة وثمينة مازها،
نحاهها جانباً

أَذْرَبَ الدَّمْعَ، وَقَالَتْ: وَبَلَّتِي مِنْ وَلُوعِ الْكَفِّ رَغَابِ الْخَطَرِ
قالت وقد أذرت الدمع وسكبته: وبلي من هذا المولع باللمس الذي لا يبالي الخطر

أُمَّتَا بَلَدَدَ هَذَا لُعْبَتِي وَوِشَاحِي حَلَّهْ حَتَّى انْتَشَرَ
يا أُمي قد خرب هذا الرجل لعبتي وحل وشاحي ونثره

فَدَعَيْتَنِي مَعَهُ يَا أُمَّتَا عَلَّنَا فِي خَلْوَةٍ نَقْضِي الْوَطْرَ
فاتركيني معه قليلاً حتى نقضي غرضنا!

أَقْبَلْتُ مُغْضَبَةً تَضُرُّهَا وَاعْتَزَّاهَا كَجُنُونٍ مُسْتَعِزٍّ
بِأَبِي وَاللَّهِ مَا أَحْسَنَهُ دَمْعُ عَيْنٍ يَغْسِلُ الْكُحْلَ قَطْرَ

٦٣ قناديل السماء

فَأَبْلِغْ بَنِي زَيْدٍ وَقُلْ لِسَرَاتِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ سَرَاءٌ تُوقَرُ
قل لسراتهم، سادتهم، وإن لم يكن فيهم سادة يمكن توقيهم واحترامهم

لِأُمِّكُمْ الْوَيْلَاتُ إِنَّ قَصَائِدِي صَوَاعِقُ، مِنْهَا مُنْجِدٌ وَمُعَوِّرٌ

قصائدي صواعق تصل النجود، المرتفعات، والأغوار، المنخفضات

وَلَوْ قَارَقُوا مَا فِيهِمْ مِنْ دَعَارَةٍ لَمَّا عَرَفَتْهُمْ أُمُّهُمْ حِينَ تَنْظُرُ

يريدون الوصول لمسعاتي، مجدي، وأقرب من ذلك عليهم قناديل السماء أي النجوم التي تزهر، تلمع

يريدون الوصول لمسعاتي، مجدي، وأقرب من ذلك عليهم قناديل السماء أي النجوم التي تزهر، تلمع

٦٤ بكاء صديق زنديق

لَعَمْرِي لَيْتُنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مُشَذِّبٍ طَوِيلٍ تُعْفِيكَ الرِّيحُ مَعَ الْقَطْرِ . .

لئن أصبحت مصلوباً مرفوعاً فوق عود مشذب تعفيك، تمحو ملامحك، الرياح والقطر، أي المطر . .

لَقَدْ عِشْتَ مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ مُبَرَّرًا وَعُوفِيْتَ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ

فإنك عشت ويداك مبسوطتان بالمعروف، ومتفوقاً . . وقد تخلصت بالصُّلب من ضغطة القبر وضيقه

وَأَفْلَتَ مِنْ ضَيْقِ الثَّرَابِ وَعَمِّهِ وَلَمْ تَفْقِدِ الدُّنْيَا، فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرِ

أفلت من التراب، وبقيت في الدنيا، أي فوق الأرض غير مدفون، فاشكر ذلك

فَمَا تَشْتَفِي عَيْنَايَ مِنْ دَائِمِ الْبُكَاءِ عَلَيْكَ وَلَوْ أَنِّي بَكَيْتُ إِلَى الْحَشْرِ

سأبكيك حتى يوم القيامة

فَطُوبَى لِمَنْ يَبْكِي أَخَاهُ مُجَاهِرًا وَلَكُنِّي أَبْكِي لِفَقْدِكَ فِي سِرِّي

مبارك من يبكي أخاه جهراً، غير أنني مضطر لبكائك سراً، لأنك اتهمت بالزندقة وأخاف أن تلصق بي التهمة

٦٥ ثواب على الهجاء

عَلَى وَاسِطٍ مِنْ رَبِّهَا أَلْفُ لَعْنَةٍ وَتِسْعَةُ آلَافٍ عَلَى أَهْلِ وَاسِطٍ

واسط مدينة بالعراق بناها الحجاج

أَيَلْتَمَسُ الْمَعْرُوفُ مِنْ أَهْلِ وَاسِطٍ وَوَاسِطُ مَاوَى كُلِّ عِلْجٍ وَسَاقِطٍ

العلج: الرجل الجلف من غير العرب

وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَنَالَ بِشَتْمِهِمْ مِنَ اللَّهِ أَجْرًا مِثْلَ أَجْرِ الْمُرَابِطِ

المرابط: المقاتل يرباط في بلدة ثغرية حدودية طلباً للأجر

٦٦ من عظم الرقبة

عَبْدَ إِنِّي إِلَيْكَ بِالشَّوْقِ لِقَاقٍ وَكَيْفَ لِي بِالشَّلَاقِ
قيل هذا أول شعر قاله في حبيبته غَبْدَة . . إني إليك: أي مائل إليك

أَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهِي سِحْرَ عَيْنَيْكَ وَأَخْشَى مَصَارِعَ الْعُشَّاقِ

أحبوا هذا البيت ورددوه على مسامعي، وقرأته مرة ومرة، ولا أدري هل أحبه بذوقي أنا أم بذوق
استعرتته من الناس

فَاصْبِرِي مِثْلَمَا صَبَرْتُ فَإِنَّ الصَّبْرَ - جَبَرَ حَظَّ مَنْ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ

إِنِّي مِنْ بَنِي عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ مَوْضِعِ السَّيْفِ مِنْ طُلَى الْأَغْنَاكِ

يفتخر بالقبيلة التي هو من موالها فهو من هذه القبيلة بموضع السيف من الطلى، أي الأعناق.
وأهل الأردن يقولون لمن يحبونه «أنت من عظم الرقبة» أي أنت منا، وسمعتها من أخي جميل
عازر عندما التحقت بهيئة الإذاعة البريطانية، وعرفت الرجل بعدها ثلاثين سنة فما رأيت منه
إلا كل خير

٦٧ شهادة أطراف المساويك

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيقًا غَيْرَ مُخْتَبَرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ

ريقها طيب ولكنها لم تقبل أحداً فلم يختبر أحد ريقها اللهم إلا من رائحة مسواكها

قَدْ زُرْتَنَا مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً عَوْدِي وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدِّيَكِ

زعموا أن الديك يبيض مرة واحدة في العمر

يَا رَحِمَةَ اللَّهِ حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا حَسْبِي بِرَائِحَةِ الْفِرْدَوْسِ مِنْ فَيْكِ

رحمة الله: رحمة الرب، و«رحمة» اسم هذه الفتاة. تورية ساذجة استعملها بعده أبو نواس مشيراً
إلى سلفه في الشعر والتهتك

٦٨ الْأَكْمَةُ

إِذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ أَعْمَى وَجَدْتَهُ وَجَدْتُكَ أَهْدَى مِنْ بَصِيرٍ وَأَجُولًا

وجدك: وحياتك، أجول: أكثر حيلة وتجاوزاً

عَمِيْتُ جَنِينًا وَالدِّكَاؤُ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَعْقِلًا

عمي في بطن أمه أي أنه ولد أعمى، فهذا هو الأكْمَةُ، وهو عجيب الظن أي قوي الحدس ومعدل
العلم أي موطنه

وَشِعْرِ كَنْوَرِ الرُّوْضِ لَاءَمْتُ بَيْنَهُ يَقُولُ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَسهَلَا
إذا أحزن الشعر، توعر وصار معقداً، فشعري يسهل

٦٩ عشق حمار

وأنشد له في الأغاني أنه مات له حمار فرآه في النوم فقال له: لماذا مت، ألم
أكن أحسن إليك؟ فقال الحمار:

سَيِّدِي خُذْ بِي أَتَانَا عِنْدَ بَابِ الْأَصْبَهَانِي
يقول الحمار الذي مات عندما جاء بشاراً في الحلم: سيدي خذ بي، أي خذ بشاري، أتاناً،
حمارة، تقف عند باب الأصهباني

تَيَّمَمْتَنِي بِبَنَانٍ وَبَدَلٌ قَدْ شَجَانِي
تيممتي وولهنني ببناها، إن كان للحمارة بنان، وبدلٌ، أي دلال، قد شجاني، وأحزني

تَيَّمَمْتَنِي يَوْمَ رُحْنَا بِثَنَائِهَا الْحَسَانِ
وبثناياها الحسان، أي أسنانها الجميلة

وَبِثْنُجٍ وَدَلَالٍ سَلَّ جِسْمِي وَبَرَانِي
ولها خذ أسيلٌ مثل خذ الشيفران

سئل بشار: يا أبا معاذ، وما الشيفران؟ فقال هذا من غريب الحمار.. أي من الألفاظ المهجورة
في قاموس الحمير

فَلِذَا مُتُّ، وَلَوْ عِشْتُ تِ إِذَنْ طَالَ هَوَانِي
لهذا مت، ولو عشت لطال هواني، أي ذلي (من هجر الحبيبة وليس لأنه حمار)

٧٠ كَأَنَّ مَا كَانَ لَمْ يَكُنْ

وَلَمَّا رَأَيْتُ الدَّارَ وَخَشَاءَ، بِهَا الْمَهَا تَرَوُدُ وَخَيْطَانُ النَّعَامِ تَجُولُ
وجدت أطلال الدار موحشة وفيها المها، أي بقر الوحش، تروء، أي تتجول، وخيطان النعام، أي
قطعان النعام، تتجول

ذَكَرْتُ بِهَا عَيْشاً فَقُلْتُ لِصَاحِبِي كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ حِينَ يَزُولُ
بدا لي أَنَّ الدهرَ يَقْدَحُ فِي الصَّفَا وَأَنَّ بَقَائِي إِنْ حَيِّتُ قَلِيلُ
الزمن يقدح في الصفا، أي الصخر. أي أن الزمن يأتي على كل شيء فلا شك أنني
لن أبقى طويلاً

٧١ قم يا عمر

وُنُبِّئْتُ قوماً بِهِمْ جِنَّةٌ يَقُولُونَ مَنْ ذَا وَكُنْتُ الْعَلَمَ

قوم بهم جنة، أي جنون، يسألون من أنا، وأنا علم، أي جبل، أي أنتي مشهور

أَلَا أَيُّهَا السَّائِلِي جَاهِداً لِيَعْرِفَنِي أَنَا أَنْفُ الْكَرَمِ

أنا أنف الكرم: قمة الكرم، والأنف هو العلو والشمخ ومنه الأنفة أي الإباء

نَمْتُ فِي الْكَرَامِ بَنِي عَامِرٍ فُرُوعِي، وَأَصْلِي قَرِيشُ الْعَجَمِ

فروعني نمت في بني عامر الذين ربيت فيهم، وأصلي أكرم قوم في العجم، ويقابلون قريشاً عند العرب

فإِنِّي لِأُغْنِي مَقَامَ الْفَتَى وَأُضْبِي الْفَتَاةَ فَمَا تَغْتَصِمُ

أغني مقام الفتى، أسد مسد الفتى في الفتوة والنخوة، وأضبي الفتاة، أغويها، فلا تعتصم، تمتنع
مني لما عندي من الأصل الطيب و.. الجاذبية

دَعَانِي إِلَى عَمْرِ جُودُهُ وَقَوْلُ الْعَشِيرَةِ بَحْرُ خِضَمِ

بحر خضم: متدفق كرمأ

وَلَوْلَا الَّذِي زَعَمُوا لَمْ أَكُنْ لِأَمْدَحَ رِيحَانَةً قَبْلَ شَمِ

لولا ما قالوا عنك لما مدحتك، فأنا لا أمدح رجلاً قبل أن أنال عطاءه، مثلما لا يقول المرء «الله»
قبل أن يشم رائحة الريحانة الزكية

فَقُلْ لِلْخَلِيفَةِ إِنْ جِنَّتُهُ نَصُوحاً، وَلَا خَيْرَ فِي مُتَّهَمٍ:

إِذَا أَبْقَظَتْكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَنَبَّهَ لَهَا عُمَرَاءُ نَمِ

بيت مشهور جداً. أيها الخليفة إذا قلقك من حروبك مع الأعداء فنبه عمر بن العلاء لكي يكفيكم
ونم ناعم البال

فَنِي لَا يَنَامُ عَلَى ثَأْرِهِ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمِ

٧٢ هتكنا حجاب الشمس

أَبَى ظَلَلُ بِالْجَزَعِ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَمَاذَا عَلَيْهِ لَوْ أَجَابَ مُتَيِّمًا

الظل في موضع الجزع أبى أن يتكلم، وماذا كان يخر لو أجاب المتيم الذي وقف به يسأله عن
قوم المحبوبة أين رحلوا؟

وَبِالْفَرْعِ آثَارُ بَقِيْنٍ، وَبِاللَّوَى مَلَاعِبُ لَا يُعْرِفُنَ إِلَّا تَوْهَمًا

وهناك آثار بقيت بالفرع، بالتل، وهناك ملاعب، أي السهول التي تلعب فيها الرياح، في موضع
اللوى.. ولا يعرفها المرء إلا توهماً بغير يقين لأنها تغيرت كثيراً

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِّيَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُمْطَرُ الدَّمَآ

يفخر بقبيلة مضر الكبرى، وولاؤه في بني عُقِيل وهم من مضر، وغضبة مضر تجعلها تهتك حجاب الشمس، فكأن الشمس فتاة انتصرنا على قومها وهتكنا الستر عنها وسييناها، وإلا فإننا نجعل السماء تمطر دماً يسيل من سيوفنا ورماحنا. دع عنك الشرح فهو يقلل أثر البيت: هذا فخر فاخر

إِذَا مَا أَعَرْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

إذا سمحنا لسيد من قبيلة بأن يتولى ولاية وقام يخطب الجمعة فهو يصلي علينا ويسلم، فهو يصلي على النبي، والنبي مضري منا

وَأِنَّا لَقَوُّومٌ مَا تَزَالُ حِيَادُنَا تُسَاوِرُ مَلَكًا أَوْ تُنَاهِبُ مَغْنَمَا

خيولنا دائبة في مساورة الملوك، مهاجمتهم، وانتهاب المغانم

خَلَقْنَا سَمَاءَ فَوْقَنَا يَنْجُومُهَا سِيوَفَا وَنَقْعًا يَقْرَضُ الطَّرْفُ أَقْتَمَا

خلقنا سماء فوقنا من النقع، الغبار في المعركة، الذي يقرض الطرف، أي يؤذي العين، وهو أقتم، مسود، وفي هذه السماء نجوم هي بريق سيوفنا

٧٣ ليل قصير ونوم قليل

لَمْ يَطُلْ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفٌ أَلَمَ

راى طيفها الذي ألم به، أي أتاه، في نومه فصحا

وَإِذَا قُلْتُ لَهَا جُودِي لَنَا خَرَجْتُ بِالصَّمْتِ عَنْ لَا وَنَعَمَ

يقول لها جودي لنا بالوصل، فتخلص من القبول أو الرفض بمخرج آخر هو... الصمت

نَفْسِي بِأَعْبَدَ عَنِّي وَأَعْلَمِي أَنَسِي بِأَعْبَدَ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ

إِنْ فِي بُرْدَيَّ جِسْمًا نَاجِلًا لَوْ تَوَكَّأْتُ عَلَيْهِ لَأَنْهَدَمَ

في ثوبيّ جسم ناحل لو توكأت عليه لسقط. وكان بشار طويلاً عريضاً متيناً، قال له رجل من المدينة: كيف تقول هذا وأنت بهذه الخلقة، ولو بعث الله الريح التي عصفت بقوم عاد وثمود ما حركتك؟ قال له بشار: ما زلت أعرف أنكم تلاءم يا أهل المدينة. أو كما قال. (تعليق عمران القفيني: طبخ المتنبي هذا المعنى على طريقته. وكل «نحول» يقودنا فوراً إلى المتنبي). المؤلف: ستكون لنا مع المتنبي وقفة طويلة في الجزء الثالث الذي نوبنا أن نسميه «تألق الشعر»

خَتَمَ الْحُبُّ لَهَا فِي عُنُقِي مَوْضِعَ الْخَاتَمِ مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ

لها في عنقي ختم بالمحبة مثل الختم الذي في أعناق أهل الذمة، وكانوا يضعون ختماً على من يستوفون منه الجزية. شيء شبيه بجبر الانتخابات

٧٤ الشورى

أَبَا مُسْلِمٍ مَا طَوَّلَ عَيْشِي بِدَائِمٍ وَلَا سَالِمٍ عَمَّا قَلِيلٍ بِسَالِمٍ
قال هذه القصيدة في هجاء أبي جعفر المنصور وكان مطلعها «أبا جعفر..» ثم حولها إلى هجاء أبي مسلم الخراساني الذي قتله المنصور، فغير فيها هنا وهناك أشياء.. هذا ما قالته بعض الأخبار التي جاءت في الكتب القديمة

عَلَى الْمَلِكِ الْجَبَّارِ يَفْتَحُ الرَّدَى وَيَصْرَعُهُ فِي الْمَازِقِ الْمُتَلَحِّمِ
الموت يفتح على الملك الجبار ويصرعه في المعركة عند التحام السيوف

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِقَتْلِ مُتَوَجٍّ عَظِيمٍ، وَلَمْ تَسْمَعْ بِفَتْكِ الْأَعَاجِمِ
نَقَسَمَ كَسْرَى رَهْطُهُ بِسَيُوفِهِمْ وَأَمْسَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْلَامَ نَائِمٍ
كسرى المقتول هو يزيدجرد آخر الأكاسرة، حكم عشرين سنة، وقتل وهو هارب بعد هزيمة جيشه على يد المسلمين. أبو العباس: الوليد بن يزيد الخليفة الأموي المتهتك الذي قتل قتلاً ١٢٦هـ

مُقِيمًا عَلَى اللَّذَاتِ حَتَّى بَدَتْ لَهُ وَجُوهُ الْمَنَايَا حَاسِرَاتِ الْعَمَائِمِ
المقيم على اللذات هو الوليد بن يزيد، ثم رأى وجوه المنايا، الموت، وقد حسرت العمائم وبدت واضحة

وَقَدْ تَرَدُّ الْأَيَّامُ غُرًّا وَرَبَّما وَرَدَّنْ كُلُّوْحًا بِأَدْيَاتِ الشُّكَايِمِ
الأيام تأتي غرأ، أي غراء مشرقة، أو كلوْحًا، كالحة مكشرة، باديات الشكايم، كأنها الحصان يكشر فتبرز شكيمة وهي الحديد التي في فمه

وَمَرَوَانُ قَدْ دَارَتْ عَلَى رَأْسِهِ الرَّحَى وَكَانَ لِمَا أَجْرَمْتَ نَزَرَ الْجَرَائِمِ
ومروان الثاني آخر خلفاء بني أمية دارت عليه رحى الموت، وكان بالمقارنة مع جرائمك نزر الجرائم، أي قللها

فَأَصْبَحَتْ تَجْرِي سَادِرًا فِي طَرِيقِهِمْ وَلَا تَقْيِي أَشْبَاهَ تِلْكَ النَّقَائِمِ
تجري سادراً، مستهتراً، في طريق أولئك القتولين، ولا تقى أن يقع بك مثل تلك النقائم، المصائب

تَجَرَّدَتْ لِلْإِسْلَامِ تَعْفُو سَبِيلَهُ وَتُعْرِي مَطَاهُ لَلْيُوثِ الضَّرَاعِمِ
تجردت، تفرغت للإسلام تعفو سبيله، تمحو طريقه، وتعري مطاه، تُعْرِي ظهره، لكي تفتسه الأسود

فَمَا زِلْتُ حَتَّى اسْتَنْصَرَ الدِّينُ أَهْلَهُ عَلَيْكَ فَعَادُوا بِالسِّيُوفِ الصَّوَارِمِ
ظللت كذلك حتى طلب الدين النصرة من أهله فجاءوك بالسيوف الصوارم

لَحَى اللّهُ قَوْماً رَأْسُوكَ عَلَيْهِمْ وَمَا زِلْتَ مَرْؤُوساً خَبِيثَ الْمَطَاعِمِ
لحى الله، لعن، من جعلوك رئيساً عليهم، وأنت مجرد مرؤوس لا رئيس وخبيث المطاعم، تطعم
الناس الخبيث من الطعام مثلاً يفعل اللثام

أَقُولُ لِبَسَّامٍ عَلَيْهِ جَلَالَةٌ غدا أَرْجِيَّ عَاشِقاً لِلْمَكَارِمِ
مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ الدُّعَاةَ إِلَى الْهُدَى جَهَاراً، وَمَنْ يَهْدِيكَ مِثْلُ ابْنِ هَاشِمٍ
هنا يمدح أبا جعفر المنصور وهو هاشمي، وقيل إن الكلمة في أصل القصيدة «من الفاطميين» .
وابن فاطمٍ» وكانت في مدح العلويين أبناء فاطمة الزهراء

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيِ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِزْ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةِ حَازِمٍ
يحض على الاستشارة، واستشارة من هو نصيح أمين، أو رجل حازم

وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَإِنَّ الْخَوَافِي قُوَّةٌ لِلْقَوَادِمِ
لا تجعل مشاورة الآخرين انتقاصاً لسيطرتك وسلطانك . . فالخوافي، الريشات الداخلية في جناح
الطائر تعطي القوادم، الريشات الظاهرة، قوة . . وكذا المشورة فهي تقوي السلطان الظاهر

وَمَا خَيْرٌ كَفِّ أَمْسِكَ الْغُلُّ أُخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ
لا خير في كف يمسك الغل، القيد، أختها . . فيد واحدة ضعيفة ولا تصفق . . ولا خير في سيف
لا قائم له، لا مقبض . . ولا خير في زعيم لا يقوي نفسه بالمشورة

وَحُلُّ الْهُونَا لِلضَّعِيفِ، وَلَا تُكُنْ نَوْماً فَإِنَّ الْحَزَمَ لَيْسَ بِنَائِمٍ
الهونا: التباطؤ

وَحَارِبٌ إِذَا لَمْ تُعْطَ إِلَّا ظُلَامَةً شَبَا الْحَرْبِ خَيْرٌ مِنْ قَبُولِ الْمَظَالِمِ
حارب إذا لم تعط إلا ظلاماً، ظلماً وانتقاصاً لحقك، فشبا الحرب، والشبا هو حد السنان، خير
من القبول بالظلم

وَأَدْنِ عَلَى الْقُرْبَى الْمُقَرَّبِ نَفْسُهُ وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى امْرَأً غَيْرَ كَاتِمٍ
قرب لك من يقرب نفسه ويريد أن يكون حليفاً، ولا تستشر إلا الكتوم

فَإِنَّكَ لَا تَسْتَظِرُّدُ الْهَمَّ بِالْمُنَى وَلَا تَبْلُغُ الْعَلِيَّابِ بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ
الهم لا يمكن طرده بالأمنيات، والعلباء لا تُنال إلا بمكارم الأفعال

وَمَا قَارَعَ الْأَقْوَامَ مِثْلُ مُشَيِّعٍ أَرِيبٍ وَلَا جَلَّى الْعَمَى مِثْلُ عَالِمٍ
لا يقارع الأقوام وينجح في محاربتهم كمن هو مشيع، ذو حلفاء يشايعونه، وأريب داهية، ولا
يكشف المستور ويتغلغل في بواطن الأمور مثل الذي عرف كل المعلومات

٧٥ فقد

وَفَتَى يَشْرَبُ الْمُدَامَةَ بِالْمَا لِي، وَيَمْشِي يَرُومُ مَا لَا يُرَامُ
رب فتى يشرب الخمر ويقتني ماله فيها، ويطلب من الأمور المستحيل..

كَانَ لِي صَاحِبًا فَأَوْدَى بِهِ الدَّهْرُ رُ وَفَارَقْتُهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ
كان صاحبي وأودى به الدهر، أماته الدهر، فعليه السلام

يَا ابْنَ مُوسَى فَقَدْ الْحَبِيبَ عَلَى الْعَيْنِ مِنْ قَذَاةٍ وَفِي الْفَوَادِ سَقَامُ
يخاطب ابن موسى: فقد الحبيب مثل القذاة في العين، القشة أو الشعرة أو حبة الرمل في العين
هذه هي القذاة

كَيْفَ يَصْفُو لِي النِّعِيمَ وَحِيدًا وَالْأَحْلَاءَ فِي الْمَقَابِرِ هَامُ
هام: موتى، والهامة في الأسطورة العربية شبح يخرج من قبر الميت

نَفْسَتُهُمْ عَلَيَّ أُمُّ الْمَنَايَا فَأَنَامَتْهُمْ بِعُنفٍ فَنَامُوا
نفستهم علي، استكثرتهم علي وحسدتي، أم المنايا فأماتتهم، وشار يجعل للموت أمأ، وقد
جعلها في قصيد سابق تزوج بناتها من الناس

٧٦ وعيد

مَا زَالَ مَا مَنَيْتَنِي مِنْ هَمِّي
ما زال الوعد الذي منيتني إياه من طموحي

الْوَعْدُ غَمٌّ فَاسْتَرَحْ مِنْ غَمِّي
والوعد بالنسبة لك غم يلازمك فاسترح منه بالوفاء به

إِنْ لَمْ تُرِدْ مَدْحِي فَرَاقِبْ دَمِّي
إذا كنت زاهداً في مدحي فراقب، انتظر، ذمي وهجائي

٧٧ لا تُكَ كَالْعِذْرَاءِ

أَرْحَنِي بِأَيَّاسٍ أَوْ بِتَعْجِيلِ حَاجَةٍ وَأَيَّتَ بِهَا لَيْسَ النَّدَى بِمُحَرَّمٍ
أرحني بأن تجعلني أياس من عطائك، أو بتعجيل حاجة كنت وأيت بها، وعدت بها،
والسخاء ليس محرماً بالمناسبة

وَلَا فَبَيِّنْ لِي بِهَا وَجْهَ مَخْرَجٍ كَفَى بَيَانٍ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
وإن لم ترد هذا ولا ذاك، فأفهمني مخرجك من هذا الأمر، ما تبريرك؟ التوضيح يكفيني سواء من
فصيح أم من أعجم عبي

وَلَا تَكُ كَالْعَذْرَاءِ يَوْمَ نِكَاحِهَا إِذَا اسْتَوْذَنْتَ فِي نَفْسِهَا لَمْ تَكَلِّمْ
لا تكن كالعذراء البكر يوم تزويجها يسألونها عن قبولها أو رفضها فلا تتكلم. هذا لعمرى أول سهم
في قصيدة هجاء

٧٨ المقرب نفسه

علي وجه معروف الكريم بشاشة وليس لمعروف البخيل بهاء
كان الذي يأتيك من راحتيهما عروس عليها الدر. . والنفساء
الذي يأتيك من يد الكريم كالعروس المزدانة باللؤلؤ، ومن يد البخيل شيء قميء كالمرأة النفساء
وخير خليليك الذي في لقاءه رَوَّاحٌ وفيه حين شَطَّ عَنَاءُ
خير صاحبيك من تستريح للقياء، وحتى لو شط، أي ابتعد، ففيه لك غناء، أي فائدة

وما القرب إلا للمُقَرَّبِ نفسه ولو وَلَدَتْهُ جُرْهُمٌ وَصَلَاءُ
القريب من المرء هو من يقرب نفسه حتى لو كان بعيداً خافي النسب كأن يكون من قبيلتي جرهم
البائدة وصلاء

ولا خير في وُدِّ امرئٍ مُتَصَنِّعٍ بما ليس فيه، والودادُ صَفَاءُ
سَأَعْتَبُ خُلَانِي وَأَعِذُّ صَاحِبِي بما غَلَبَتْهُ النَّفْسُ وَالْعُلُوءُ
سأعتب أصحابي، أي أرضى عتابهم، وأعذرهم فيما يبدرونهم لأن النفس غلبتهم فأساءوا
وغالوا، أي بالغوا في بعض الأمر

وما لي لا أعفو وإن كان ساءني؟ ونفسي بما تجني يداي نساء
وكيف لا أعفو حتى لو ساءني أمرهم؟ فأناني أشعر بالإساءة التي تجنيها يداي على الآخرين

عَنَابُ الْفَنَى فِي كُلِّ يَوْمٍ بَلِيَّةٌ وَتَقْوِيمُ أَضْغَانِ النِّسَاءِ عَنَاءُ
مشكلة أن أشغل نفسي بعتاب الأصدقاء كثيراً، هذا مثل محاولة المرء تقويم أضغان، أي أحقاد،
النساء. والمرأة - في المجتمع الذي يكتبها - تنفس عن وضعها بمداومة الشكوى وبالتنفيس عن
مشاعر مضطربة

تَزِلُّ الْقَوَافِي عَنْ لِسَانِي كَأَنَّهَُا حُمَاتُ الْأَفَاعِي رِيْقُهُنَّ قَضَاءُ
وعندما أغضب فعلاً فالفصائد تخرج عن لساني كأنها حمات الأفاعي، والحمة إبرة السبع وهي
أيضاً السم نفسه

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

٢	لَعَا زِبْ	٢	سَوَا
١٨	مَذْهَبْ	٥	الأعداء
١٦	يَتَنَسَّبْ	٢	انْطَوَاءْ
١٥	اكتئاب	٧٨	بهاء
١	الشباب	٣	سَوَاءْ
٢١	العَرَبِ	٤	الْحَوَراءِ
١١	الغالبِ	٦	حَوَلاءِ
٩	المُتَّابِ	٢	ارْتِيَابَا
٢	بِالرَّكَّابِ	٢	المهذَّبَا
١	بِمَغْلُوبِ	٢	تابَا
٧	تُسَكَّبِ	١٠	رَبَّآ
٢	حُبِّ	٢	كَذَّبَا
٥٦	خُطْبِ	١	لَهَا
٥٥	قَلْبِي	٢	وُثْبَا
١٧	نَصِيصِي	٢٠	وَهْبَا
١٢	وَكَذِّبِي	٥٧	وهويته رَبَّآ
٢	وَالذِّبِّ	١	أَتَوَثَّبُ
١٤	أَقَارِبُهُ	١	الحاسِبُ
١٩	جَانِبُهُ	١	الكَاذِبُ
١	وَتُرَاقِبُهُ	١٣	عَرِيبُ

٥٩	بَعِيدٌ	١	حِجَابِهِ
١	تَلِدُ	٨	حَسَنَهُ
٤٠	جُدُودٌ	٢٣	كُمَيْتٌ
٤٢	حُسِدُوا	٢	الرَّيْتِ
٥٨	رَقَدُوا	٢	بِالْعَفَارِيثِ
٦٠	شَهِدُوا	٢٦	تُونَاتِي
٤١	فُؤَادٌ	٢٢	شَيْبِ
١	فَانْدُ	٢	مُتَعَتٌ
٤٤	مَعْقُودٌ	٢٤	وَصَلَّتْ
٣٧	وَتُرْعَدُ	١	هَوَيْتُ
٤٥	وَسَادُ	٢٥	فَدَيْتُهُ
٢	أَزِدُ	٢٩	تَأَجَّجُ
٢	الجَسَدِ	٢٧	جَجَجُ
٣٤	الصَّمَدِ	٢٨	نَارُ تَأَجَّجُ
٢	يُعُودُ	٢	زُجَاجُ
٣٦	جَدِيدِ	٢	جَرَخَا
٢	جِهَادِي	١	طَاحَا
٢	دَاوِدِ	٣١	يَسْلُخُ
٤٣	دَاوِدِ	١	النَّايِحِ
٢	عُودِي	١	مِلَاحَا
٢	لِلْعِبَادِ	٢	نَبَّاحُ
٢	مَحْمَدِ	٢	رَوْحَهَا
٢	يُعَدِي	٣٩	الرَّذَى
١	الْأَسَدُ	٢	تَعَمَّدَا
٣٥	الْخَرَائِدُ	٣٣	شَهِدَا
٤٦	قَدَدُ	٢	مَوْعِدَا
٢	مَطْرَا	٣٨	وَعِيدَا
٥١	السَّرَارُ	١	أَحْمَدُ
٤٧	القَمَرُ	١	الْمِرْبَدُ
١	النَّارُ	٣٢	بَعِيدُ

٢	الْعَاقِلِ	٥٤	بَاسُورُ
٢	الْمَنَازِلِ	١	بَشَّارُ
٢	الْهِلَالِ	٦٣	تَوْقَرُ
٢	طَوِيلِ	٥٢	خَبِرُ
٢	الْجَمَلُ	٢	ضَرِيرُ
٧٢	مُتَيَّمَا	٤٨	وَالنَّظَرُ
٢	حَرَامُ	٤٩	التَّبْكِيرِ
٢	نَائِمِ	٥٣	الْجَوَارِ
٧٥	يُرَامُ	٢	الْفُجَارِ
١	يَهْدُمُ	٦٤	الْقَطْرِ
١	الْمَبَاسِمِ	٢	قَوَارِيرِ
٢	الْمُلَمِّ	٥٠	لِلْفَخَارِ
٧٤	بِسَالِمِ	٢	مَسِيرِ
٧٧	بِمُحَرَّمِ	٦٢	الْبَصَرِ
١	تَسْنِيمِ	٢	تَعُوزُ
٧٦	هَمِي	٦١	التَّجَارَةِ
١	الرَّحَامِ	١	إِبْلِيسُ
٧١	الْعَلَمِ	٢	وَأَعْرَضَا
٧٣	أَلَمِ	٦٥	وَأَسِطِ
٢	أَحْيَانَا	٢	طَمَعَا
٣٠	أَيْنَا	٢	أَتَجَرَّعُ
١	الْهَوَانُ	٢	أَرْفَعُ
٢	مُعِينُ	٢	الْمَزْرَعُ
٢	يَهُونُ	٢	وَصَدِيقُ
٦٩	الْأَصْبَهَانِي	٦٦	بِالتَّلَاقِي
٢	الْجَنَانِ	٢	الْفَلَكََا
٢	الْمِيزَانِ	٦٧	الْمَسَاوِيكِ
٢	وَالصَّوْلَجَانُ	٦٨	وَأَجُولَا
٢	فَيْتَعَاهَا	٧٠	تَجُولُ
١	تَهْدِيهِ	٢	تَمِلُوا
		٢	جَلِيلُ

أبو العتاهية (١٣٠هـ - ٢١١هـ)

نشأ إسماعيل بن القاسم في الكوفة وعرف من أهله أنهم من قبيلة عنزة. لكن أقرانه عيروه بأن أصلهم من النبط، أولئك الفلاحين الذين كانوا مرتبططين بالأرض يملكهم من يملكها. لكنه نشأ بين العرب لا يعرف إلا العربية، ولم يكن لأهله شغل في الفلاحة بل كانوا يصنعون الجرار من الفخار. ويقول له أهله إنهم عرب تأخر إسلامهم فسيأهم خالد بن الوليد وألحقهم بعنزة.

ربما كان إسماعيل يقف في السوق يبيع الجرار لأهله، وربما حملها في قفص على ظهره وطاف بها كما زعم بعضهم، على أنه كان يحضر حلقات الفقهاء في مساجد الكوفة. وكان أيضاً يرافق طلاب الملذات من الشباب ويجاريهم بعض المجارة. وكان في هؤلاء شعراء فصحاء ستراهم بعد حين يملأون العراق بشعر عذب متهتك بعد أن ينضم إليهم أبو نواس.

على أن إسماعيل بن القاسم، وشهرته أبو العتاهية، فارقههم سريعاً. ووجدناه يرتحل إلى بغداد تاركاً الجرارَ لأخ له، والتهتك لأهل التهتك، وكان دون الثلاثين. نراه في أوائل الثلاثين من عمره ينثر شعره السهل في بغداد نثراً.. فيقول بعض السامعين إن كلامه نثر لا شعر، وإنهم لو أرادوا لقالوا مئات القصائد من هذا الطراز دونما عناء، ويتعصب له من يعرفون السهل الممتنع، وبعضهم من كبار أهل اللغة كابن الأعرابي، ويقولون إن شعره في غاية الفصاحة.

ويقف أبو العتاهية بباب الخليفة المهدي مع الشعراء، ويؤذن له، ويقول قصيدة يبدأها بالغزل بجارية المهدي، ويتعجب من جرأته بشار بن برد، شيخ الشعراء وكان بلغ السبعين أو نحوها، وكان حاضراً ذلك المجلس.

لكز بشار تلميذه أشجع السلمي في خاصرته، وقال له: أويستنشد الخليفة هذا الكوفي «الملقب» قبلنا؟ لا جرى الله خيراً من جمعنا به.

أنشد أبو العتاهية أبياتاً يتغزل فيها بعُتْبة جارية المهدي. فقال بشار لتلميذه: لا أدري من أي أمرٍه أعجب: من ضعف شعره، أم من تغزله بجارية الخليفة يسمع ذلك بأذنه؟ ثم أخذ أبو العتاهية في أبيات المدح، وقال «أنته الخلافة منقادة/إليه تجرر أذيالها» فما فرغ حتى قال بشار لتلميذه: ويحك يا أخا سُلَيْم! أترى الخليفة طار عن سريره طرباً لما يأتي به هذا الكوفي؟

وانقضى المجلس ولم يخرج أحد بجائزة سوى أبي العتاهية. (ملاحظة: والله عارف أنني قصصت هذه القصة في أكثر من موضع. . أطلب المَعذرة).

ولم يأبه الخليفة المهدي - وكان غيوراً - لذكر أبي العتاهية جاريته عتبه في شعره لأن الجارية إنما كانت جارية زوجته، وليست من حرمة، ولأن الرجل طلبها وألح في طلبها، وسعى المهدي بنفسه في تزويجها منه، ولكن الجارية رفضت بشدة. فكانت القصة معروفة في بغداد.

ثم كانت بين أبي العتاهية وبشار، الذي يكبره بأربعين سنة مودة، وكان بينه وبين أبي نواس الذي يصغره بعشر سنين مودة. ومدح أبو العتاهية القادة، وحمق فهجاً بعضهم هجاء من النوع الذي لا يقوله الشاعر في ذوي السلطان. فأنت تهجو صاحب السلطان بالبخل، وتفتن في ذلك، فيعطيك فترضى، أو يحرمك ويكون بخل بهجاء والسلام. ولكن أبا العتاهية أفحش وأضحك في هجائه لابن معن بن زائدة عبد الله، وأخيه يزيد. وقيل إن عبد الله بن معن بن زائدة أتى بالشاعر وجعل غلماناً يرتكبون فيه الفاحشة. ثم عرض عليه الصلح والمال فقبل شاعرنا صاغراً. تلك قصة من القصص سقناها كما ساقوها، ولا سبيل إلى معرفة نصيبها من الصحة. غير أن الشعر الذي قاله صاحبنا في ابني معن بن زائدة يدل على شهوة قوية كانت في نفس الشاعر للتشفي، وفي هذا الشعر - وقد اقتبسناه لك - شيء ندر وجوده عند أبي العتاهية، وهو الهجو القائم على جعل المهجو أضحوكة.

ومات المهدي وجاء الرشيد، وبقي في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة، وكان يؤثر أبا العتاهية على كل شاعر. قيل حتى على أبي نواس. ودخل أبو العتاهية في مزاج الزهد. وسجنه الرشيد لأنه أمره أن يقول شعراً في الغزل فامتنع. ثم تغزل صاحبنا بزوجه، على سبيل الحيلة، فأطلقه الرشيد وقد عرف أن أبا

العتاهية قد فرغ من أمر الدنيا . فهل كان شاعرنا يهيئ نفسه للآخرة؟ تلك مسألة شغلت الناس بعض الشغل .

رأى الناس شعر أبي العتاهية مليئاً بدم الدنيا، لكنه لا يشي بالشوق للآخرة . فاتهموه بالانحراف عن الدين، فأظهر لهم آياتاً تكذب ظنونهم، فمنهم من صدق ومنهم من أقام على اعتقاده في اعتقاد الرجل . ونحن نظن أن أبا العتاهية كان يسب الدنيا من فرط محبته لها، ومن عدم يقينه بما يكون من ورائها .

مات الرشيد وجاء الأمين فمدحه أبو العتاهية، ثم جاء المأمون فمدحه . . كل هذا وهو على مذهبه في الزهد وكره الدنيا . لكنه كان يجمع الدنيا في أكياس في بيته . وكان بخيلاً .

هذا شاعر قديم . . أقدم من البحتري والمتنبي والمعري . فكيف - وهو الأقدم - كانت لغته سهلة سهولة تجعل الشارح يتحير ماذا يقول؟

استمد أبو العتاهية مفرداته من معجمه الطبيعي، واستمد الشعراء الذين ذكرناهم مفرداتهم من معاجم مستعارة . وفي هذا شيء من إبداع العتاهي، فهو لم يوسّع على نفسه كي يخرج من مضائق الوزن والقافية باللجوء إلى الكلمات الغريبة .

كل واحد فينا له معجمه الذي يكتب منه . وقد يختار بعض الكاتبيين والناظمين أن يكتب بمعجم طبيعي، ثم قد يزخرف عباراته بأن يحشد فيها التشبيهات الغريبة والمجازات، دون أن يخرج عن المفردة السهلة المألوسة . هذا صنعه في زمننا نزار قباني . فأما أبو العتاهية فلم يلجأ حتى إلى غريب التشبيه والمجاز، ولزم البساطة وجعل يدهشك بدقة الفكرة . هذه بضع فكرات دقيقة من العتاهي: «كلما رمشت عينك مات جزء منك»، «نل كل المال، ونل كل الأمان أيضاً . . وآخر هذا كله ماذا؟ الموت»، «انظروا إلى ساكني القبور . . كأنهم لم يكونوا بشراً»، «سيكرومونك يا هذا بعد موتك فلا تحمل همّاً، وغاية ما سينالك من كرم . . أن يهيلوا التراب عليك»، «الله عزيز قوي ذو جبروت . . ونعصيه . . ولكن الصفح عنده مأمول» . هذه أفكار تحتوي على مفارقات، فيها معان لطاف . فإن أرفقت هذا بتلك اللغة السهلة فما هنا عبقرية أبي العتاهية . ويزداد انتباهنا لهذه العبقرية إذ نرى الرجل جعل كل شعره يدور على موضوع واحد هو الموت .

كان أبو العتاهية الفتى فقيراً منشغلاً بمعاشه، يعين أهله في بيع الجرار، ويقول الشعر ويعجب به أصحابه، وبسرعة وصل إلى الخليفة المهدي، وإلى المال. وكل من نشأ في الحاجة أمسك العتاهية، ولم ترض نفسه ببذل المال. ولو ظل يبيع الجرار لما تدفق بهذا الشعر الموتى، فهو بعد الشراء قد عدم الشغل، وقعد. قعد يفكر في الموت، قعد في عصر ازدهار لم يشهد له العرب مثيلاً. كان كأنه يعيش في حفل بهيج لا ينتهي، فيماذا يفكر؟ أشغل نفسه بسعي لا نهاية له في التقرب إلى السلطان؟ لا، فقد نال من القرب ما يكفي وزيادة، وبائع الجرار السابق لا يريد أكثر من أن يكون جليس الخلفاء، بل لقد نال من ذلك أكثر من بغيته. أغرق نفسه في بحيرة من الخمر كما فعل بعض معاصريه من قلقي المثقفين؟ لا، فبائع الجرار السابق ذاق لذة المجون في شبابه ولم يعجبه أن يتخذ طريقة حياة. فأين يجد بالوعة لتصريف القلق؟ لم يجد. فقعد في بيته ممتعاً بأمان من الفقر تضمنه أكياس المال، وقعد يفكر في الموت. وكلنا يفكر في الموت إن عدم التفكير في غيره.

يقول الفقير المذنب، وقد حصل له من الرزق ما وجد معه أماناً، وبنى بيتاً، وكفَى أمر عياله، وراح ينتظر الموت، ويراقب كل عارض يعرض لجسمه. يقول وقد ودَّع دُملاً كان أطل برأسه من جلده:

قد سلَّم اللّهُ، لا طِبُّ ولا جِرْعُ	فالآن شَمَّر، فما في العمر مَتَسَعُ
قد راعك الدَّمَلُ الكذاب آوَنَة	يا رَبِّ دَمَلٍ صَدِيقٍ سوف يَتَّبَعُ
دع الهواجس واغرس كلما بزغت	في أرض عمرك ذكرى ليس تُقْتَلَع
أطل حياتك بالذكر الجميل فكم	تنهوا للصدى، والصوت ما سمعوا
واجعل نشاطك ترساً دون وهمك، قد	يفجأك الموت لا وهم ولا هلع
أما إذا استل داء سيفه وأتى	وأنت للشغل والإنجاز منقطع
فالشغل سيفك فاشهره بلا وجل	سيف لسيف، ولا يعنيك ما يقع
نسعى، وأشغالنا تسعى بنا، شيعاً	وكلنا في ظلام القبر نجتمع
نسعى، وخير لنا نسعى، فإن قعدت	بنا الهموم أتاناً الموت يختمُ

حقق ديوان أبي العتاهية شكري فيصل ونشره ١٩٦٤. وكان الديوان قد نشر مراراً قبل ذلك؛ لكن، في طبعات هزيلة. وقد كفانا شكري فيصل مؤونة تقليب الطبعات القديمة.

١ أبيات فرائد

عَجِبْتُ لِمَنْ يَمُوتُ وليس يبكي عَجِبْتُ لِمَنْ تَجِفُّ له دُمُوعُ
أعجب للإنسان الذي مصيره الموت ولا يبكي

* * *

وإذا انقضى هَمُّ امرئٍ فقد انقضى، إن الهُمومُ أَشدُّهُنَّ الأَحَدُ
إذا انصرف الهم فقد انصرف فعلاً حتى لو كان كبيراً، فأشدُّ هَمُّ ليس أكبر هَمُّ بل أحدث الهموم عهداً

* * *

وأفضلُ الزهدِ زُهْدٌ كانَ عنِ جِدَّةٍ وأفضلُ العفوِّ عَفْوٌ عندَ مَقْدِرَةٍ
الجدَّة: الثراء (أي أن يجد المرء لديه مالاً)

* * *

مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالْكَفَافِ مَقْتَنِعاً لَمْ تَكْفِهِ الأَرْضُ، كُلُّهَا ذَهَبُ
* * *

نَلَّ كُلَّ مَا شِئْتَ وَعِشْ آمِناً آخِرُ هَذَا كُلُّهُ المَوْتُ
* * *

ولقد مَرَرْتُ على القُبُورِ فَمَا مَبَّرْتُ بَيْنَ العَبْدِ والمَوْلَى
المولى: السيد (والكلمة من الأضداد، وتأتي أيضاً بمعنى التابع أو العبد)

* * *

رَبُّ أَمْرٍ يَسُوءُ ثُمَّ يَسُرُّ وكذلكَ الأُمُورُ خُلُوٌّ ومُورُ
* * *

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفَقْرَ يُرْجَى له الغِنَى وَأَنَّ الغِنَى يُخْشَى عليه مِنَ الفَقْرِ
* * *

مَا أَحَمَقَ الإنسانَ فِي فخرِهِ وَهُوَ غَدَاً فِي حُفْرَةٍ يُقْبَرُ
* * *

أَمَّا تَعَجِبُونَ لِأَهْلِ القُبُورِ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَشَرُ
* * *

أليس الموتُ غايَتَنَا فأينَ الخوفُ والحدُّ

* * *

إنَّ البخيلَ وإنْ أفادَ غِنًى لَتَرى عليه مَخَايِلَ الفقرِ

مخايل: علامات

* * *

عزمَ الليلِ والنهارِ على أنْ لا يَمَلًّا تَفْرِيقَ كُلِّ جَمَاعَةٍ

* * *

ولا خيرَ فيمَن لا يُواسي بِفَضْلِهِ ولا خيرَ فيمَن لا يُرى وجهُهُ طَلْقًا

وجه طلق: بشوش

* * *

سَيَأْتِيكَ يَوْمٌ لَسْتَ فِيهِ بِمُكْرَمٍ بِأَكْثَرِ مِنْ حَثْوِ التُّرَابِ عَلَيْكَ

سيأتيك يوم يكون منتهى تكرمك فيه أنهم سيهلون عليك من التراب،

فيا له من يوم ويا لها من كرامة

* * *

لَمْ يُشْغَلِ المَوْتُ عَنَّا مُذْ أُعِدَّ لَنَا وَكُلُّنَا عَنْهُ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولُ

* * *

كُلُّ حَيٍّ عِنْدَ مِيتَتِهِ حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ الْكَفْنُ

* * *

وَكَمَا تَبْلَى وُجُوهُ فِي الثَّرَى فَكَذَا يَبْلَى عَلَيَّهِنَّ الْحَزَنُ

* * *

كَمْ زَمَانٍ بَكَيْتُ مِنْهُ قَدِيمٍ ثُمَّ لَمَّا مَضَى بَكَيْتُ عَلَيْهِ

* * *

ولا خيرَ فيمَن لا يُوطِّنُ نَفْسَهُ على نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنُوبُ

* * *

قَدْ شَابَ رَأْسِي وَرَأْسُ الْجِرْصِ لَمْ يَشِبْ إِنَّ الْحَرِصَ عَلَى الدُّنْيَا لَفِي تَعَبٍ

* * *

شِيمٌ فَتَحَتْ مِنَ الْمَدْحِ مَا قَدْ كَانَ مُسْتَفْلِقاً عَلَى الْمُدَّاحِ

هذا الممدوح له شيم، أي صفات، فتحت للشعراء المادحين أبواباً من المدح كانت حثاذاك الوقت مغلقة دونهم

* * *

أَرَى الْأَمْسَ قَدْ فَاتَنِي رُدُّهُ وَلَسْتُ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ عَدِي

* * *

أَلَا يَا عَتَبَةَ السَّاعَةِ أَمَوْتُ السَّاعَةَ السَّاعَةَ

بيت شنعوا به على أبي العتاهية كثيراً.. قيل كان أبو العتاهية يكثر الناس بالشعر، فيقولون له: لو أن شعرنا من مثل «ألا يا عتبه الساعة» لقلنا وأكثرنا

* * *

مَا طَارَ طَيْرٌ وَارْتَفَعَ إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعُ

* * *

عَجَباً لَأَمْرِي بِذُلِّ لِمَخْلُو قِي وَيَكْفِيهِ كُلُّ يَوْمٍ رَغِيفُ

* * *

يَا عُثْبُ مَا لِي وَلَكَ يَا لَيْتَنِي لَسِمَ أَرْكَ

* * *

قال وقد ضربه المهدي لتغزله بعتبة، فأفاق ورآها تطل من سطح:

بَخِ بَخِ يَا عُثْبُ مَنْ مِثْلُكُمْ قَدْ قَتَلَ الْمَهْدِيُّ فِيكُمْ قَتِيلُ

بخ بَخ: هيناً لك. بطالبي عمران الفيني بأن أوضح هذا البيت.. حسناً ها قد شرحت البهجة في أوله، فما عساي أضيف؟ أن أبا العتاهية رجل يتفصد شعراً، وبكلمات سهلة، وأنك إذا أردت السهل الممتنع فلا تتجاوز أبا العتاهية؟

* * *

لَمْ يَبْقَ مِنِّي إِلَّا الْقَلِيلُ وَمَا أَحْسَبُهَا تَثْرُكُ الَّذِي بَقِيََا

* * *

الْمَوْتُ بَيْنَ الْخَلْقِ مُشْتَرَكُ لَا سُوقَةَ يَبْقَى وَلَا مَلِكُ

سوقة: كلمة تطلق على كل من ليس بملك، والملك هو الشخص المتصرف في شأنه وشؤون الناس من والٍ أو أمير أو حتى خليفة، والسوقة قد يكون شاعراً أو جوهرياً يملك الملايين

٢ نتف

ألا نحن في دارٍ قليلٍ بقاؤها سريع تداعيها وشيك فناؤها
غداً تخرَّب الدنيا ويذهب أهلها جميعاً، وتطوى أرضها وسماؤها

* * *

ولقد يُكَلِّمُكَ الزمانُ بِاللُّسَنِ عربيةً وأراكَ لست تُجيبُ
أَمَعَ المَمَاتِ يَطِيبُ عَيْشُكَ يا أَخِي هيهاتَ ليس معَ المَمَاتِ يَطِيبُ

* * *

ما لي مررتُ على القبورِ محيياً قَبِرَ الحبيبِ فلم يَرُدَّ جوابي
لو كان ينطقُ بِالْجَوَابِ لَقَالَ لي: أَكَلَّ الترابُ مَحاسِنِي وشبابي

* * *

كُلُّ نَفْسٍ سَتُوفَى سَعِيهَا وَلَهَا مِيقَاتُ يَوْمٍ قَدْ وَجَبَ
جَفَّتِ الْأَقْلَامُ مِنْ قَبْلِ يَمَا خَتَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَكَتَبَ

أي أن المكتوب على الإنسان في اللوح المحفوظ قد كتب وجفت به الأقلام فالإنسان لا يصنع شيئاً إلا المقدر عليه من قبل

* * *

ألا كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ وَلِلْأَرْضِ مِنْ كُلِّ حَيٍّ نَصِيبُ
أَرَاكَ لِذُنُوبِكَ مُسْتَوْطِناً أَلَمْ تَذِرْ أَنَّكَ فِيهَا غَرِيبُ

* * *

تَبْغِي مِنَ الدُّنْيَا الْكَثِيرَ وَإِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ الرَّائِبِ
لَا يُعْجِبَنَّكَ مَا تَرَى فَكَأَنَّهُ قَدْ زَالَ عَنْكَ زَوَالُ أُمْسِ الدَّاهِبِ

* * *

يا نَفْسُ تُؤَيِّي قَبْلَ أَنْ لَا تَسْتَطِيعِي أَنْ تَتُوبِي
أَمَّا الْحَوَادِثُ فَالرَّيَا حُ بِهِنَّ دَائِمَةُ الْهُبُوبِ

* * *

نَسِيتُ الْمَوْتَ فِيمَا قَدْ نَسِيتُ كَأَنِّي لَا أَرَى أَحَدًا يَمُوتُ

أَلَيْسَ الْمَوْتُ غَايَةً كُلَّ حَيٍّ فَمَا لِي لَا أَبَادِرُ مَا يَفُوتُ
بما أن الموت هو نهاية كل إنسان فلماذا لا أبادر بالصلاة وفعل الخير وهي أمور نفوت
ثم لا ترجع

* * *

نَحْنُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ لَذَّةٍ وَلَكِنَّ أَقَاتِ الزَّمَانِ كَثِيرَاتُ
وَكَمْ مِنْ أَنَاسٍ قَدْ رَأَيْنَا بِغِبْطَةٍ وَلَكِنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ غِبْطَتِهِمْ مَاتُوا

* * *

أَلَيْسَ قَرِيباً كُلُّ مَا هُوَ آتٍ فَمَا لِي وَمَا لِلشَّكِّ وَالشُّبُهَاتِ
أُنَافِسُ فِي طَيِّبِ الطَّعَامِ، وَكُلُّهُ سِوَاءٍ إِذَا مَا جَاوَزَ اللَّهَوَاتِ
اللهوات: الحلوق

* * *

تَمَنَّى الْمُتَنَّى حَتَّى إِذَا مَا بَلَغَتْهَا سَمَوْتَ إِلَى مَا فَوْقَهَا فَتَمَنَّيْتَا
تمنى: أي تمنى، سموت: طمحت

وَمَا لَكَ وَمَا يَلْبَسُ النَّاسُ غَيْرُ مَا كَسَوْتَ وَإِلَّا مَا لَبِستَ فَأَبْلَيْتَا
ليس يحسب لك من الملابس في حسناتك إلا ما كسوت به فقيراً وإلا ما لبسته أنت فأبليت.. فاما
الثياب الفاخرة التي تملأ خزائنك فليست لك بل عليك

* * *

دَعَنْتَنِي إِلَى الدُّنْيَا دَوَاعٍ مِنَ الْهَوَى فَأَرْسَلْتُ دِينِي مِنْ يَدِي وَأَتَيْتُهَا
أرسلت ديني من يدي: تركته

أَقُولُ لِنَفْسِي إِذْ شَكَّتْ ضَيِّقَ بَيْتِهَا كَأَنِّي بِهَا فِي الْقَبْرِ قَدْ ضَاقَ بَيْتُهَا

* * *

لَيْتَ شِعْرِي وَكَيْفَ أَنْتَ مُسَجِّئٌ تَحْتَ رَدَمٍ حَشَاهُ فَوْقَكَ حَاثٍ
يا ترى كيف تكون وأنت ممدد تحت ردم من تراب حثاه، أي أهاله، فوقك من حثاه

لَيْتَ شِعْرِي وَكَيْفَ أَنْتَ وَمَا حَا لُكَ فِيمَا هُنَاكَ بَعْدَ ثَلَاثِ
يا ترى كيف يصبح جسمك بعد ثلاث ليال من الدفن؟

* * *

لَيْسَ يَرْجُو اللَّهَ إِلَّا خَائِفٌ مَنْ رَجَا خَافَ، وَمَنْ خَافَ رَجَا
قَلَّمَا يَنْجُو أَمْرُهُ مِنْ فِتْنَةٍ عَجَباً مِمَّنْ نَجَا كَيْفَ نَجَا

* * *

إِذَا الْعَبْدُ لَمْ يَمْدَحْهُ حَسَنُ فَعَالِهِ فَلَيْسَ لَهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا دُحِ
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ لَمْ يَصْفُ عَيْشُهُ وَمَا يَسْتَطِيبُ الْعَيْشَ إِلَّا الْمُسَامِحُ

* * *

أَوْمَلُ أَنْ أُحَلِّدَ، وَالْمَنَابِيَا يَثْبُنَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ النَّوَاحِي
يَثْبُنَ: يَقْفِرُنَ

وَمَا أَدرِي إِذَا أَمْسَيْتُ حَيًّا لَعَلِّي لَا أَعِيشُ إِلَى الصَّبَاحِ
* * *

إِنِّي لَأُكْرَهُ أَنْ تَكُو نَ لِفَاجِرٍ عِنْدِي يَدُ
فَتَجُرُّ مَحَمَّدَتِي إِلَيْهِ هِ وَلَيْسَ مِمَّنْ يُحْمَدُ
الفاجر: الجريء الفتاك الأناني الذي لا يراعي لأحد حرمة. وأكره أن يكون له علي يد، أي
فضل، فلو حدث هذا لشكرته مضطراً وهو لا يستحق الشكر

* * *

أَرَى الْأَمْسَ قَدْ فَاتَنِي رَدُّهُ وَلَسْتُ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ غَدِ
وَأُنِّي لَأَجْرِي إِلَى غَايَةِ وَأَسْتَقْبِلُ الْمَوْتَ مِنْ مَوْلَدِي
منذ مولدي وأنا أجري نحو هدف محدد هو الموت

* * *

سَلَامٌ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الْهَدَى وَالْمُصْطَفَى وَالْمُؤَيَّدِ
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَفْضَلَ مَنْ مَسَى عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُحَلِّدِ

* * *

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَلَيْسَ كُلُّ - النَّاسِ يُعْطَى مَا يَوَدُّ
إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ مَا لِيُغْنَاكَ حَدُّ

* * *

يَا أَيُّهَا الَّذِي سَتَنْقُلُهُ الـ أَيَّامٌ عَنْ أَهْلِهِ وَعَنْ وَلَدِهِ

مَا ارْتَدَّ طَرْفُ امْرِئٍ يَلْحَظُهُ إِلَّا وَشْيٌ يَمُوتُ مِنْ جَسَدِهِ

ما طرفت عين الإنسان إلا تغير جسمه تغيراً يقربه من الموت

* * *

يَا عَجِبًا لِي أَقَمْتُ فِي وَطَنٍ سَاكِنُهُ كُلُّهُمْ عَلَى سَفَرٍ

ساكنه : سكاكه

يَا سَاكِنِي بَاطِنِ الْقُبُورِ أَمَا لِلْوَارِدِينَ الْقُبُورَ مِنْ صَدَرٍ

أليس لواردي القبور من صدر، أي من عودة

* * *

طَلَبْتُ الْمُسْتَقَرَّ بِكُلِّ أَرْضٍ فَلَمْ أَرْ لِي بِأَرْضٍ مُسْتَقَرًّا
أَطَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدْتَنِي وَلَوْ أَنِّي قَنَعْتُ لَكُنْتُ حُرًّا

* * *

لَوْ عَقَلْنَا إِذِ النَّهَارُ يَسُوقُ الـ لَيْلَ، وَاللَّيْلُ إِذِ يَسُوقُ النَّهَارَ

لَرَأَيْنَاهُمَا بِمَرٍّ حَثِيثٍ بِطُوبَيَانَ الْأَعْمَارِ وَالْآثَارَ

بمر: بمرور، الآثار: ما يخلفه الإنسان من بيوت ومتاع

* * *

لَيْتَ شِعْرِي فَإِنِّي لَسْتُ أَذْرِي أَيُّ يَوْمٍ يَكُونُ آخِرَ عُمْرِي

وَبِأَيِّ الْبِلَادِ تُقَبِّضُ رُوحِي وَبِأَيِّ الْبِقَاعِ يُحْفَرُ قَبْرِي

* * *

أُمِّمْ مَزْرُوعَةٌ مَحْصُودَةٌ كُلُّ مَزْرُوعٍ فَلِلْحَاصِدِ زُرْعُ

إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَى مَا جُبِلَتْ جَيْفَةٌ نَحْنُ عَلَيْهَا نَضْطَرُّ

* * *

يَا جَامِعَ الْمَالِ فِي الدُّنْيَا لِوَارِثِهِ هَلْ أَنْتَ بِالْمَالِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْتَفِعُ

لَا تُمَسِّكُ الْمَالَ وَاسْتَرْضِ الْإِلَهَ بِهِ فَإِنَّ حَسْبَكَ مِنْهُ الرَّيُّ وَالشُّبْعُ

* * *

كُلُّ يُحَاوِلِ حِيلَةً يَرْجُو بِهَا دَفَعَ الْمَضَرَّةَ وَاجْتَلَبَ الْمَنْفَعَةَ

والمرء لا يأتِيهِ إِلَّا رِزْقُهُ فاقْنَعْ بما يَأْتِيكَ مِنْهُ فِي دَعَا

* * *

ما كُلُّ رَأْيٍ الْفَتَى يَدْعُو إِلَى رَشْدٍ إِذَا بَدَأَ لَكَ رَأْيٌ مُشْكِلٌ فَفَقِّبْ
لِلَّهِ أَهْلٌ قُبُورٍ كُنْتُ أَعْهَدُهُمْ أَهْلَ الْقِيَابِ الرُّحَامِيَّاتِ وَالْعُرْفِ

* * *

لَا تُكْذِبَنَّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَجْتَمِعْ يَتَفَرَّقِ
لا تُكْذِبَنَّ: لا تدع أحداً يكذب عليك ..

وَالْمَوْتُ غَايَةُ مَنْ مَضَى مِنَّا، وَمَوْعِدُ مَنْ بَقِيَ

* * *

إِذَا اعْتَصَمَ الْمَخْلُوقُ مِنْ فِتَنِ الْهَوَى بِخَالِقِهِ نَجَّاهُ مِنْهُنَّ خَالِقُهُ
وَمَنْ هَانَتْ الدُّنْيَا عَلَيْهِ فَإِنِّي لَهُ ضَامِنٌ أَلَّا تُدَمَّ خَلَائِقُهُ

* * *

أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ فِي مَضْبِقٍ فَهَلْ سَبِيلٌ إِلَى طَرِيقِ
أَفْ لِدُنْيَا تَلَاعَبْتُ بِهَا تَلَاعَبَ الْمَوْجِ بِالْفَرِيقِ

* * *

خَيْرُ أَيَّامِكَ إِنْ كُنْتَ تَدْرِي يَوْمَ تُغْشَى يُرْتَجَى الْخَيْرُ مِنْكَ
أَحْسَنَ أَيَّامِكَ يَوْمَ تَوْتِي وَيَرْجَى مِنْكَ الْمَعْرُوفُ

إِغْتَنِمْ حَاجَةً لِرَاجِيكَ فِيهَا قَبْلَ أَنْ يُغْنِيَهُ اللَّهُ عَنْكَ

اغتنم حاجة لمن يرجوك فيها، فبعد حين قد يصبح مستغنياً عنك وتضيع فرصة فوزك بالإحسان إليه .. الإحسان للغير مغنم لا مغرم

* * *

إِذَا كُنْتَ تَبْغِي الْبِرَّ فَاتَّقِفْ عَنِ الْأَدَى وَمَا السِّرُّ إِلَّا أَنْ تَكُفَّ أَذَاكَ
أَخُوكَ الَّذِي مِنْ نَفْسِهِ لَكَ مُنْصِفٌ إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُنْصِفْكَ لَيْسَ أَخَاكَ

* * *

إِنَّ أَخَاكَ الصَّدُوقَ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ

الصدق: الحقيقي

وَمَنْ إِذَا رَبُّ الزَّمَانِ صَدَعَكَ شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ

* * *

مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا دَارَتْ نَجُومُ السَّمَاءِ فِي الْفَلَكَ
إِلَّا لِنَقْلِ السُّلْطَانِ عَنْ مَلِكٍ، قَدْ انْقَضَى مُلْكُهُ، إِلَى مَلِكٍ

* * *

مَا أَقْرَبَ الْمَوْتَ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاةِ، وَمَا أَحَجَى اللَّيْبَ بِحُسْنِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
مَا أَحَجَى: مَا أَجْدَرُ

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ

* * *

أَرَى الْمَقَادِيرَ تَعْمَلُ الْعَمَلَا وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ أَمِلُ أَمَلَا
كُلُّ لَهُ عِلَّةٌ يَفُوهُ بِهَا سَبْحَانَ رَبِّي مَا أَكْثَرَ الْعِلَلَا
علة: حجة يتحجج بها المرء لتجنب ما يريد تجنبه من عمل

* * *

اللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ رَجَوْتَ نَوَالَهُ وَاللَّهُ أَعْظَمُ مَنْ يُنِيلُ نَوَالَا
مَلِكٌ تَوَاضَعَتِ الْمُلُوكُ لِعِزِّهِ وَجَلَالِهِ، سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى

* * *

يَا رَبُّ شَهْوَةٌ سَاعَةٍ قَدْ أَغْقَبَتْ مَنْ نَالَهَا حُزْنًا هُنَاكَ طَوِيلَا
أغقبته حزنًا: سببت له حزنًا

فَإِذَا دَعَتْكَ إِلَى الْخَطِيئَةِ شَهْوَةٌ فَاجْعَلْ لِطَرَفِكَ فِي السَّمَاءِ سَبِيلَا
طرفك: نظرك

* * *

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغِنَى وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي الْعَيُونِ جَلِيلُ
إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْمَرْءِ رُغِبَتْ إِلَيْهِ، وَمَالَ النَّاسُ حَيْثُ يَمِيلُ
إذا مالت الدنيا إلى أحدهم رغب فيها، ومال الناس معه

* * *

خَلِيلِيَّ مَا الدُّنْيَا بَدَارٍ فُكَاهَةٍ وَلَا دَارٍ لَذَاتٍ لِمَنْ صَحَّ عَقْلُهُ
وَلِلْحَقِّ أَهْلٌ لَيْسَ تَخْفَى وَجُوهُهُمْ يَخْفُتُ عَلَيْهِمْ حَيْثُمَا كَانَ حَمْلُهُ
حملة: أي حمل الحق

* * *

وَإِذَا مَا الْفَقِيرُ قَنَّعَهُ اللَّـهُ هُ فَسَيَّانَ بُؤْسُهُ وَالنَّعِيمُ
قنعه الله: جعله قنوعاً

إِنَّمَا النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ فِي الرِّزْقِ فِي سَوَاءٍ جَهَوْلُهُمْ وَالْعَلِيمِ

* * *

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ فَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالْعَدَمُ
العدم: الفقر

وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٌّ نَقِيصَةٌ، إِذَا صَحَّ التَّقْوَى، وَإِنْ خَالَكَ أَوْ حَجَمَ
لا انتقاص من شأن التقي الذي تصح تقواه حتى وإن اشتغل حائكاً، خياطاً، أو حجّاماً، يخلق
للناس ويعالجهم بفصد الدم

* * *

وَشَرُّ الْأَخْلَاءِ مَنْ لَمْ يَزَلْ يُعَاتِبُ طَوْرًا وَطَوْرًا يَذُمُ
يُريكَ النصيحة عند اللقاء وَيُبرِّيك في السَّرِّ بَرِّي الْقَلَمُ

* * *

نَحْنُ فِي دَارٍ يُخَبِّرُنَا عَنْ بِلَاهَا نَاطِقٌ لَسِينُ
بلاها: خرابها

دَارُ سَوْءٍ لَمْ يَذْمُ فَرَحُ لَا مُرِيٍّ فِيهَا وَلَا حَزَنُ

* * *

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ نَالَ سُلْطَانًا فَكَأَنَّهُ لَيْسَ الَّذِي كَانَ
مَا أَسْكَرَ الدُّنْيَا لِصَاحِبِهَا وَأَضَرَّهَا لِلْعَقْلِ أَحْيَانًا

* * *

كُلُّ امْرِئٍ فَكَمَا يَدِينُ يُدَانُ سَبْحَانَ مَنْ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانُ
مَلِكٌ عَزِيزٌ لَا يُفَارِقُ عِزَّهُ يُعْصَى، وَيُرْجَى عِنْدَهُ الْفُقَرَانُ

* * *

يَا رَبِّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَخَلَقْتَ لِي، وَخَلَقْتَ مِنِّي
 خلقتني، وخلقت لي رزقاً، وخلقت من صلي أبناء
 مَا لِي بِشُكْرِكَ طَاقَةً يَا سَيِّدِي إِنْ لَمْ تُعِنِّي
 يطلب من الله أن يعينه على أداء واجب الشكر

* * *

وَمَا النَّاسُ إِلَّا مِنْ مُسِيءٍ وَمُحْسِنٍ وَكَمِ مِنْ مُسِيءٍ قَدْ تَلَافَى فَأَخْسَنَا
 تلافى: أي تلافى إساءته وتداركها

أَلَيْسَ إِذَا هَانَتْ عَلَى الْمَرْءِ نَفْسُهُ وَلَمْ يَرْعَهَا كَانَتْ عَلَى النَّاسِ أَهْوَنَا
 * * *

أَفْقِهَتْ عَنْ عِبَرِ الزَّمَانِ صِفَاتِهَا هَيْهَاتَ، لَسْتُ أَرَاكَ عَنْهَا تَفَقُّهُ
 أَبَدْتُ لَكَ الْأَسْرَارَ مِنْهَا الْأَوْجُهُ
 * * *

أَغْضِ عَنِ الْمَرْءِ وَعَمَّا لَدَيْهِ أَخْوَكَ مَنْ وَقَرَّتْ مَا فِي يَدَيْهِ
 أغض، أي اصرف النظر، عن المال الذي عند صاحبك، فإذا وفرت عليه ماله
 فأنت أخوه الصديق الصدوق

مَنْ ظَنَّ بِي الرِّغْبَةَ فِي شَيْئِهِ بَاعَدَنِي مِنْهُ دُنُوءِي إِلَيْهِ
 * * *

مَا أَذَلَّ الْمُقِلَّ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ لِإِقْلَالِهِ، وَمَا أَقَمَّاهُ
 المقل: الفقير، أقماه: أقماه وأحقره

إِنَّمَا تَنْظُرُ الْمَيُوتُ مِنَ النَّاسِ إِلَى مَنْ تَرْجُوهُ أَوْ تَخْشَاهُ
 * * *

يَا وَاعِظَ النَّاسِ قَدْ أَصْبَحَتْ مُتَّهَمًا. إِذْ عُبِتَ مِنْهُمْ أُمُورًا أَنْتَ تَأْتِيهَا
 وَأَعْظَمُ الْإِثْمِ بَعْدَ الشُّرْكِ نَعْلُمُهُ فِي كُلِّ نَفْسٍ عَمَّا هَا عَنْ مَسَاوِيهَا
 * * *

عِلْمِي بِأَنِّي أَذُوقُ الْمَوْتَ نَعَصَ لِي طَيِّبَ الْحَيَاةِ فَمَا تَصَفُّو الْحَيَاةَ لِيَا

يَبْلَى مَعَ الْمَيِّتِ ذِكْرُ الذَّاكِرِينَ لَهُ مَنْ غَابَ غَيْبَةً مَنْ لَا يُرْتَجَى نُسْبًا

* * *

لَأُبْكِيَنَّ عَلَى نَفْسِي وَحَقَّ لِيَّهَ يَا عَيْنُ لَا تَبْخَلِي عَنِّي بِعَبْرَتِيَهَ

لَأُبْكِيَنَّ لِفِقْدَانِ الشَّبَابِ وَقَدْ نَادَى الْمَشِيبُ عَنِ الدُّنْيَا بِرِحْلَتِيَهَ

نادى المشيب بدنو رحلتي، أي ارتحالي، عن الدنيا

* * *

يمدح يزيد بن مزيد:

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرَهَ لَيَعْلَمُ فِي الْهَيْجَاءِ فَضْلَ غَنَائِكَا

الهيحاء: الحرب، غنائك: قيامك بالمطلوب

كَأَنَّكَ عِنْدَ الْكَرِّ فِي الْحَرْبِ إِنَّمَا تَفَرُّ مِنَ السَّلْمِ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَا

* * *

يمدح الرشيد:

خَيْرُ مَنْ يُرْجَى وَمَنْ يَهَبُ مَلِكٌ دَانَتْ لَهُ الْعَرَبُ

وَحَقِيقُ أَنْ يُدَانَ لَهُ مَنْ أَبَوْهُ لِلنَّبِيِّ أَبُ

أبو الرشيد، أي جده الأعلى، العباس عم النبي، والعمومة كالأبوة

* * *

يَقُولُ أَنَا لَوْ نَعَتَ لَنَا الْهَوَىٰ وَوَاللَّهِ لَا أُدْرِ لِهَمْ كَيْفَ أَنْعَتُ

إِذَا اشْتَدَّ مَا بِي كَانَ أَفْضَلَ حِيلَتِي لَهُ وَضَعَ كَفِّي فَوْقَ خَدِّي وَأَسْكُتُ

* * *

اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَوْلَاتِي أَبَدْتُ لِي الصَّدَّ وَالْمَلَالَاتِ

لَا تَغْفِرُ الذَّنْبَ إِنْ أَسَأْتُ وَلَا تَقْبَلُ عُذْرِي وَلَا مُؤَاتَاتِي

* * *

يهجو يزيد بن معن:

بَنَى مَعْنٌ وَيَهْدِمُهُ يَزِيدُ كَذَاكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

معن بن زائدة من مشاهير الأسخياء الشجعان وقد بنى مجداً، ويقول الشاعر إن ابنه يزيد يهدم هذا المجد. وقد هجا أبو العتاهية أخا يزيد هذا بهجاء مر (القطع ٩٣، و ٩٥، و ٩٦)

فَمَعْنُ كَانَ لِلْحُسَّادِ غَمًّا وَهَذَا قَدْ يُسَرُّ بِهِ الْحُسُودُ

* * *

قال وقد أهدى إلى الفضل بن الربيع نعلًا:

نَعْلٌ بَعَثْتُ بِهَا لِتَلْبَسَهَا تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ إِلَى الْمَجْدِ
لَوْ كَانَ يَصْلُحُ أَنْ أَشْرَكَهَا خَدْيِي جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدْيِي

لو نفع أن أصنع من خدي شراكاً لنعلك، والشراك سير من جلد على ظهر النعل يمسك بالقدم، لفعلت. بيت أعجب القدماء فرأيت أن أختاره كي يرى القارئ الطبيعة الكمروية للحكم في هذا العصر، هذا التذلل للحاكم الذي لم يكن موجوداً في عصر بني أمية، فتسرب إلى دولة بني العباس بالاتصال بالفرس. قبض الشاعر على البيتين عشرة آلاف درهم

* * *

الشَيْبُ كُرْزَةٌ، وَكُرْزَةٌ أَنْ يُفَارِقَنِي أَعْجِبْ بِشَيْءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودِ
يَمْضِي الشَّبَابُ وَقَدْ بَاتَنِي لَهُ خَلْفٌ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُوداً بِمَفْقُودِ

* * *

وَلَمَّا نَدِمْتَ عَلَى سَكُوتِكَ مَرَّةً فَلَقَدْ نَدِمْتَ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا
إِنْ السَّكُوتُ سَلَامَةٌ وَلَرُبَّمَا زَرَعَ الْكَلَامُ عِدَاوَةً وَضَرَارًا

* * *

وقال يخاطب الشاعر سلماً الخاسر، وقد حج العتاهي وكانت محبوبته عتبه حاجّة:

وَاللَّهِ وَاللَّهِ مَا أَبَالِي مَتَى مَا مُتُّ يَا سَلَمُ بَعْدَ ذَا السَّفَرِ
أَلَيْسَ قَدْ طُفْتُ حَيْثُ طَافْتُ وَقَبَّ - لَمْتُ الَّذِي قَبَّلْتُ مِنَ الْحَجَرِ

* * *

يَا خَاضِبَ الشَّيْبِ بِالْحِنَاءِ تَسْتُرُهُ سَلِّ الْمَلِيكَ لَهُ سَتْرًا مِنَ النَّارِ
لَنْ يَرْحَلَ الشَّيْبُ عَنْ دَارٍ يَحِلُّ بِهَا حَتَّى يَرْحَلَ عَنْهَا صَاحِبُ الدَّارِ

* * *

كَأَنَّ عَتَابَةَ مِنْ حُسْنِهَا دُومِيَّةٌ قَسَّ قَتَنَتْ قَسَّهَا
عتابة هي محبوبته عتبه، وكأنها تمثال من تماثيل النصارى لحسنها، وقد فتن بها القس

يَا رَبِّ لَوْ أَنْسَيْتَنِيهَا بِمَا فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ لَمْ أَنْسَهَا

* * *

قال في السحاقات:

لَعَنَ الْإِلَهُ سَوَاحِقَ الرَّأْسِ فَلَقَدْ فَضَّخْنَ حَرَائِرَ الْإِنْسِ
أَبْدَيْنَ حَرْباً لَا طِعَانَ بِهَا إِلَّا اتَّقَاءَ الثُّرْسِ بِالثُّرْسِ

* * *

إِلْبَسَ جَمِيعَ النَّاسِ مُحْتَمِلاً لِلْعَالَمِينَ، وَكَنْ لَهُمْ أَرْضاً

البس الناس: تحملهم، مثلما تتحمل الأرض كل شيء، فكل شيء وقع على الأرض لا وقوع له من بعد

فَلَمَّا غَضِبْتَ لِكُلِّ حَادِثَةٍ تُرْمَى بِهَا، فَلَقَلَّمَا تَرْضَى

* * *

كتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف:

أَبَا جَعْفَرٍ هَلَّا اقْتَطَعْتَ مَوَدَّتِي فَكُنْتَ مُصِيباً فِيَّ أَجْراً وَمَضْنَعاً
هَلَّا قُبِلَتْ مَوَدَّتِي إِقْطَاعاً لَكَ، أَيْ مَنَحَةً، وَلَكِ فِي هَذَا أَجْرٌ وَمَصْنَعٌ، أَيْ مَعْرُوفٌ تَصْطَنَعُهُ

فَكُمُ صَاحِبٍ قَدْ جَلَّ عَنْ قَدْرِ صَاحِبٍ فَأَلْقَى لَهُ الْأَسْبَابَ فَارْتَفَعَا مَعَا
الأسباب: الحبال. يقول له اربطني بك فترتفع معاً

* * *

قال للرشيد وقد ألزمه بقول الغزل وترك النسك:

يَا ابْنَ عَمِّ النَّبِيِّ سَمِعاً وَطَاعَةً قَدْ خَلَعْنَا الْكِسَاءَ وَالذُّرَّاعَةَ
الدراعة: كساء الزهاد

وَرَجَعْنَا إِلَى الصُّنَاعَةِ لَمَّا كَانَ سُخْطُ الْإِمَامِ تَرَكُ الصُّنَاعَةَ
الصناعة: قول الشعر

* * *

قال في عتبة:

كَأَنَّهَا مِنْ حُسْنِهَا دُرَّةٌ أَخْرَجَهَا الْيَمُّ إِلَى السَّاحِلِ
كَأَنَّ فِي فِيهَا وَفِي ظَرْفِهَا سَوَاحِرَ أَقْبَلْنَ مِنْ بَابِلِ
سواحر: جمع ساحرة. أي أن كلامها ساحر، وعينيها ساحرتان

* * *

قال في أبي جعفر أحمد بن يوسف:

في عِدَادِ المَوْتَى وفي سَاكِنِي الدنـ يا أبو جعفرٍ أَخِي وَخَلِيلِي
لَمْ يَمُتْ مِيتَةَ الوَفَاءِ، وَلَكِنْ ماتَ عَنْ كُلِّ صَالِحٍ وَجَلِيلِ

* * *

حجبه عمرو بن مسعدة مراراً، ثم طلبه، فلم يجبه أبو العتاهية، وقال:

كَسَلَنِي اليَأْسُ مِنْكَ عَنْكَ، فَمَا أَرْفَعُ ظَرْفِي إِلَيْكَ مِنْ كَسَلِ
إِنِّي إِذَا لَمْ يَكُنْ أَخِي ثِقَةً قَطَعْتُ مِنْهُ حَبَائِلَ الأَمَلِ

* * *

قال في أبي جعفر أحمد بن يوسف، وقد حجبه بدعوى أنه نائم:

لَيْسَ عُدْتُ بَعْدَ اليَوْمِ إِنِّي لَظَالِمٌ سَأَصْرِفُ نَفْسِي حَيْثُ تُبْغَى المَكَارِمُ
مَتَى يَظْفَرُ العَادِي إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ وَنِصْفُكَ مَحْجُوبٌ وَنِصْفُكَ نَائِمٌ

* * *

قال يرثي حميد بن عبد الحميد الطوسي:

أَبَا غَانِمٍ أَمَّا ذَرَاكَ فَوَاسِعٌ وَقَبْرُكَ مَعْمُورُ الجَوَانِبِ مُحَكَّمٌ
ذَرَاكَ: سَاحَتِكَ وَكَفَنِكَ

وَمَا يَنْفَعُ المَقْبُورَ عُمرَانُ قَبْرِهِ إِذَا كَانَ فِيهِ جِسْمُهُ يَتَهَدَّمُ

* * *

مَنْ لَمْ يَذُقْ لِصَبَابَةِ طَعْمَا فَلَقَدْ أَحْظَتُ بِطَعْمِهَا عِلْمَا
يَا عُتْبُ مَا أَنَا عَنْ صَنِيعِكَ بِي أَغْمَى، وَلَكِنْ الهَوَى أَغْمَى

* * *

تَلَاعَبْتَ بِي يَا عُتْبُ ثُمَّ حَمَلْتَنِي عَلَى مَرْكَبٍ بَيْنَ المَنِيَّةِ وَالسُّقْمِ
يُصَابُ فَوَادِي حِينَ أَرْمَى وَرَمِيَّتِي تَعُودُ إِلَى نَحْرِي وَيَسْلُمُ مَنْ أَرْمِي

* * *

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا إِلَى نَفْسِهَا تَنَحَّ عَنْ خُطْبَتِهَا تَسْلَمُ
إِنَّ السَّيَّءَ تَخْطُبُ عَرَّارَةً قَرِيبَةً العُرْسِ مِنَ المَأْتَمِ

* * *

كان المأمون يرسل إليه كل سنة دراهم ودنانير جلدًا، ثم أخلفه سنة، فقال:
 خَبَرُونِي أَنِّ مِنْ ضَرْبِ السَّنَةِ جُدْدًا بِيضًا وَصُفْرًا حَسَنَةً
 أُخْدِثْتُ لَكُنْنِي لَمْ أَرَهَا مِثْلَمَا كُنْتُ أَرَى كُلَّ سَنَةٍ
 ووصل الشعر إلى المأمون فعجل بإرسال المال

* * *

يَا خَلِيلِي مِنْ بَنِي شِيبَانَ أَنَا لَا شَكَّ مَبِيتُ فَاكِكَيَانِي
 إِنْ رُوحِي لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سَوَى شَيْءٍ بِسِيرٍ مَعْلَقٍ بِلِسَانِي

* * *

عِزَّةُ الْحَبِّ أَرْثُهُ ذَلَّتِي فِي هَوَاهُ وَلَهُ وَجْهٌ حَسَنٌ
 وَلِهَذَا صِرْتُ مَمْلُوكًا لَهُ وَلِهَذَا شَاعَ مَا بِي، وَعَلَنُ

* * *

يَا مَنْ تَبَعَنِي زَمَنًا صَالِحًا صَلَاحُ هَارُونَ صَلَاحُ الزَّمَنِ
 كُلُّ لِسَانٍ هُوَ فِي مُلْكِهِ بِالشَّكْرِ فِي إِحْسَانِهِ مُرْتَهَنٌ

* * *

هَزَزْتُكَ لَا أَنِّي وَجَدْتُكَ نَاسِيًا لَوْغِدٍ وَلَا أَنِّي أَرَدْتُ التَّقَاضِيَا
 هَزَزْتُكَ: أَي دَعْوَتِكَ لِلْعَطَاءِ مُحَرَّكَاً فَيْكَ الْأَرِيحِيَّةُ

وَلَكِنْ وَجَدْتُ السِّيفَ عِنْدَ انْتِضَائِهِ إِلَى الْهَزِّ مُحْتَاجًا وَإِنْ كَانَ مَاضِيَا

* * *

مَا لِي أَرَى الْأَبْصَارَ بِي جَافِيَةً لَمْ تَلْتَفِتْ مِنِّي إِلَى نَاجِيَةٍ
 لَا يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَى الْمُبْتَلَى وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْعَافِيَةِ

٣ سؤال اللحية

أَرَاكَ وَكُلَّمَا أَغْلَقْتَ بَابًا مِنْ الدُّنْيَا فَتَحْتَ عَلَيْكَ بَابًا
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ كُلَّ صَبَاحٍ يَوْمَ يَزِيدُكَ مِنْ مَنِيَّتِكَ اقْتِرَابًا
 وَمَا مِنْكَ الشَّبَابُ وَلَسْتُ مِنْهُ إِذَا سَأَلْتُكَ لِحْيَتَكَ الْخَضَابَا

سَأَلْتُكَ: طَلَبْتُ مِنْكَ، الْخَضَابُ: الصَّيْغُ

٤ بعد مسير خمسين

إِذَا مَا خَلَوْتُ، الدَّهْرَ، يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ، وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ يُغْفِلُ مَا مَضَى وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى، عَلَيْهِ يَغِيبُ
إِذَا مَا مَضَى الْقَرْنُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِمْ وَخُلِّفْتُ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ

القرن: الجيل

وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ سَارَ خَمْسِينَ حِجَّةً إِلَى مَنَهْلٍ، مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبٌ

المنهل: موضع الماء، الورد: الورد والإتيان

٥ الواثيون

لِكُلِّ أَمْرٍ جَرَى فِيهِ الْقَضَا سَبَبٌ وَالدَّهْرُ فِيهِ وَفِي تَصْرِيفِهِ عَجَبٌ
مَا النَّاسُ إِلَّا مَعَ الدُّنْيَا وَصَاحِبِهَا فَكَيْفَمَا انْقَلَبْتُ يَوْمًا بِهِ انْقَلَبُوا
يُعَظَّمُونَ أَخَا الدُّنْيَا، وَإِنْ وَثَبْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ بِمَا لَا يَشْتَهِي وَثَبُوا

٦ لا غنيمة ولا إياب

أَلَا لِلَّهِ أَنْتَ مَتَى تَتَوْبُ وَقَدْ صَبَغْتَ ذَوَائِبَكَ الْخُطُوبُ

ذوائبك: خصلات شعرك.. صبغتها المصائب باللون الأبيض، الشيب

لَعَمْرُكَ مَا تَهْبُ الرِّيحُ إِلَّا نَعَاكَ مُصْرَحًا ذَاكَ الْهُبُوبُ
أَرَاكَ تَغِيبُ ثُمَّ تَتَوَوَّبُ يَوْمًا وَيُوشِكُ أَنْ تَغِيبَ وَلَا تَتَوَوَّبُ

٧ ألا ليت الشباب..

بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي فَلَمْ يُغْنِ الْبُكَاءُ وَلَا النَّحِيبُ
فَيَا أَسَفًا أَسِفْتُ عَلَى شَبَابٍ نَعَاهُ الشَّيْبُ وَالرَّأْسُ الْخَضِيبُ
عَرِيتُ مِنَ الشَّبَابِ، وَكَانَ عَضًّا كَمَا يَعْرِى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ

غضن: طري

فَيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

٨ الهجوم الثاني

لِدُوا لِلْمَوْتِ، وَابْتُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى تَبَابٍ
لدوا: أنجوا الأولاد، تباب: هلاك

لِمَنْ نَبْنِي وَنَحْنُ إِلَى تَرَابٍ نَصِيرُ كَمَا خُلِقْنَا مِنْ تَرَابٍ
أَلَا يَا مَوْتُ لَمْ أَرْ مِنْكَ بُدْأً أَبَيْتَ فَلَا تَحْيِفُ وَلَا تُحَابِي
تحيف: تظلم، تحابي: تخص المرء بأكثر مما يستحق

كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبِي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي

٩ الحفر المسترة

مَا لِلْمَقَابِرِ لَا تُجِيبُ إِذَا دَعَاهُنَّ الْكَثِيبُ
حُفَرٌ مُسْتَرَّةٌ عَلَيَّ هِنَّ الْجَنَادِلُ وَالْكَثِيبُ
الجنادل: الصخور، الكثيب: كوم الرمل

فِيهِنَّ وَلَدَانٌ وَأَطْمَ فَالٌ وَشُبَّانٌ وَشَيْبُ
كَمْ مِنْ حَبِيبٍ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي بِفُرْقَتِهِ تَطِيبُ
غَادَرْتُهُ فِي بَعْضِهِنَّ - مُجَدَّلًا وَهُوَ الْحَبِيبُ
مجدلاً: مطروحاً صريعاً

وَسَلَوْتُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا عَهْدِي بِرُؤْيَايِهِ قَرِيبُ

١٠ انبتات الصلات

وَلَمْ أَرْ فَضْلاً تَمَّ إِلَّا بِشِيْمَةٍ وَلَمْ أَرْ عَقْلاً صَحَّ إِلَّا عَلَى أَدَبٍ
شيمة: خلق

وَلَمْ أَرْ فِي الْأَعْدَاءِ حِينَ خَبَرْتُهُمْ عَدُوًّا لِعَقْلِ الْمَرْءِ أَعْدَى مِنَ الْغَضَبِ
وَلَمْ أَرْ بَيْنَ الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ خِلْطَةً وَلَمْ أَرْ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ مِنْ سَبَبٍ

١١ الطالب والمطلوب

المرءُ يَطْلُبُ وَالْمَنْبِيُّ تَطْلُبُهُ وَيَدُ الزَّمَانِ تُدِيرُهُ وَتُقَلِّبُهُ
ليس الحريصُ بِزَائِدٍ فِي رِزْقِهِ اللَّهْ يُقْسِمُهُ لَهُ وَيُسَبِّبُهُ

الْمَوْتُ حَوْضٌ لَا مَحَالَهَ دُونَهُ مُرٌّ مَذَاقُهُ كَرِيهٌ مَشْرَبُهُ
وَتَرَى الْفَتَى سَلِسَ الْحَدِيثِ بِذِكْرِهِ وَسَطَ النَّدِيِّ كَأَنَّهُ لَا يَرْهَبُهُ
النَّدَى: المجلس

مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا مِنْ أَكْبَرِ هَمِّهِ نَصَبَتْ لَهُ مِنْ حُبِّهَا مَا يُتَعَبُهُ
فَاصْبِرْ عَلَى الدُّنْيَا وَطَوَّلْ عُيُومَهَا مَا كُلُّ مَنْ فِيهَا يَرَى مَا يُعْجِبُهُ
مَا زَالَتْ الْأَيَّامُ تَلْعَبُ بِالْفَتَى طَوْرًا تُخَوِّلُهُ وَطَوْرًا تَسْلُبُهُ
تخوله: تمنحه الخَوْل أي الخدم

مَنْ لَمْ يَزَلْ مُتَعَجِّبًا مِنْ كُلِّ مَا تَأْتِي بِهِ الْأَيَّامُ طَالًا تَعْجِبُهُ

١٢ لَا مَفَرَ

نُفَاسٌ فِي الدُّنْيَا وَنَحْنُ نَعِيبُهَا لَقَدْ حَذَرْتُنَاهَا لَعَمْرِي خُطُوبُهَا
تتنافس على خيرات الدنيا مع أننا نلعنها، وقد حذرتنا منها مصائبها

أَيَا هَادِمِ اللَّذَاتِ مَا مِنْكَ مَهْرَبٌ تُحَازِرُ نَفْسِي مِنْكَ مَا سَيُصِيبُهَا
هادم اللذات: الموت

كَأَنِّي بِرَهْطِي يَحْمِلُونَ جِنَازَتِي إِلَى حُفْرَةٍ يُحْنِي عَلَيَّ كَثِيبُهَا
يحنى: يهال، والكثيب: الرمل

فَكَمْ ثَمٌّ مِنْ مُسْتَرْجِعٍ مُتَوَجِّعٍ وَيَا كَيْفَ يَغْلُو عَلَيَّ نَحِيبُهَا
مسترجع: قائل «إنا لله وإنا إليه راجعون»

وَدَاعِيَةٌ حَرَى تُنَادِي وَإِنِّي لَفِي غَفْلَةٍ عَنْ صَوْتِهَا مَا أُجِيبُهَا
رَأَيْتُ الْمَنَابِيَا فَرَّقَتْ بَيْنَ أَنْفُسٍ، وَنَفْسِي سَيَاتِي بَعْدَهُنَّ نَصِيبُهَا

١٣ هَذَا إِنْ ثَبِتَ

نَحْنُ فِي دَارِ بَلَاءٍ وَأَدَى وَشَقَاءٍ وَعَنَاءٍ وَعَنَتْ
العنت: العناء

مَنْزِلٌ مَا يَثْبُتُ الْمَرْءُ بِهِ سَالِمًا إِلَّا قَلِيلًا... إِنْ ثَبِتَ
بَيْنَمَا الْإِنْسَانُ فِي الدُّنْيَا لَهُ حَرَكَاتٌ مُسْرِعَاتٌ... إِذْ خَفَتْ

١٤ قلة الأصدقاء

أَحِبُّ مِنَ الْإِخْوَانِ كُلِّ مُؤَاتٍ وفي يَغْضُ الطَّرْفَ عَنْ عَثْرَاتِي
مؤات: موافق

يُؤَافِقُنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ أُرِيدُهُ ويحفظُنِي حَيًّا وبعْدَ وَفَاتِي
تَصَفَّحْتُ إِخْوَانِي فَكَانَ أَقْلَهُمْ - على كَثْرَةِ الْإِخْوَانِ - أَهْلَ ثِقَاتٍ

١٥ كان فمات

إِيَّتِ الْقُبُورَ فَنَادَاهَا أَصْوَاتَا فإذا أَجَبْنَ فَسَائِلِ الْأَمْوَاتَا:
أَيْنَ الْمَلُوكُ بَنُو الْمَلُوكِ؟ وَكُلُّهُمْ أُمْسَى وَأَصْبَحَ فِي التَّرَابِ رُفَاتَا
كَمْ مِنْ أَبِي وَأَبِي أَبِي لَكَ بَيْنَ أَظْ بَاقِ الثَّرَى، قَدْ قِيلَ كَانَ فَمَاتَا

١٦ المكاره والسرور

كَمْ مِنْ مُؤَخَّرٍ غَايَةٍ قَدْ أُمَكَّنَتْ لِقَدِّ، وَلَيْسَ غَدُّ لَهُ بِمُؤَاتٍ
مؤات: موافق

حَتَّى إِذَا فَاتَتْ وَفَاتَ طِلَابُهَا ذَهَبَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ حَسَرَاتٍ
تَأْتِي الْمَكَارِهِ حِينَ تَأْتِي جُمْلَةً وَأَرَى السُّرُورَ يَجِيءُ فِي الْفَلَتَاتِ

١٧ المتزاهد

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ فِي الْهَوَى قَدْ تَمَادَتْ إِذَا قَلْتُ قَدْ مَالَتُ عَنِ الْجَهْلِ عَادَتْ
تَزَاهَدْتُ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي لَرَاغِبٌ أَرَى رَغْبَتِي مَمْرُوجَةً بِزَهَادَتِي
تَزَاهَدْتُ: تظاهرت بالزهد

وَعَوَّدْتُ نَفْسِي عَادَةً فَلَزِمْتُهَا أَرَاهُ عَظِيمًا أَنْ أَفَارِقَ عَادَتِي

١٨ انصراف العوائد

عِشْ مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَعِيشَ يَغْبِطُهُ مَا أَقْرَبَ الْمَحْيَا الطَّوِيلَ مِنَ الْمَمَاتِ
أَيْنَ الْمَلُوكُ ذُوو الْمَنَابِرِ وَالِدَسَا كِرِ وَالْعَسَاكِرِ وَالْقُصُورِ الْمُشْرِفَاتِ
الدساكر: العزب، القرى الصغيرة بما فيها من أقنان، المشرفات: العاليات

هل فيكم من مُخِيرٍ حيث استقرَّ - قرارُ أرواحِ العظامِ البالياتِ؟
 هل من يخبرني أين استقرت الأرواح التي كانت تلازم الناس بعد موتهم واهترأ عظامهم؟
 فَلَقَلَّمَا لَيْثَ الْعَوَائِدُ بَعْدَكُمْ وَلَقَلَّمَا ذَرَفَتْ عَيُونُ الْبَاكِياتِ
 بعد موتكم لا تمكث العوائد، زائرات المريض، إلا قليلاً، والبكاء عليكم يكون قليلاً

١٩ لا انفلات

أَنَسَاكَ مَحْيَاكَ الْمَمَاتَا فَطَلَبْتَ فِي الدُّنْيَا الثُّبَاتَا
 يَا مَنْ رَأَى أَبْوَيْهَ، فَيَا مَا قَدْ رَأَى، كَانَا قَمَاتَا
 هل فيهما لك عبرة أم خِلْتَ أَنَّ لَكَ انْفِلَاتَا

٢٠ الراح الغادي بيننا

أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ - الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
 الحمد لله أن الخطايا ليست بذات رائحة، وإلا كانت رائحتها قتلنا

سَبِصِيرُ الْمَرْءِ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
 بَيْنَ عَيْنَيَّ كُلِّ حَيٍّ عَلِمُ الْمَوْتَ يَلُوحُ
 كُلُّنَا فِي غَفْلَةٍ وَالْمَوْتُ يَنْفُذُ وَيَرُوحُ
 نَحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْ كَيْنُ، إِنْ كُنْتَ تَنْوَحُ
 لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عُمُّ - رُبْتَ مَا عُمَّرَ نَوْحُ

٢١ البرهان

أَلَا إِنَّنَا كُلُّنَا بَائِدُ وَأَيُّ بَنِي آدَمَ خَالِدُ
 فَيَا عَجَبًا كَيْفَ بَعْصِي الْإِلَ هَ أَمْ كَيْفَ يَجْهَدُ الْجَا حِدُ
 وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ عَلَيْنَا وَتَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
 وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ نَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

آية: برهان

٢٢ السهام الصائبة

الْمَوْتُ لَا وَالِدًا يُبْقِي وَلَا وَلَدًا وَلَا صَغِيرًا وَلَا شَيْخًا وَلَا أَحَدًا

كَانَ النَّبِيُّ فَلَمْ يَخْلُدْ لِأُمَّتِهِ لَوْ خَلَّدَ اللَّهُ حَيًّا قَبْلَهُ خَلَّدَا
لِلْمَوْتِ فَبِنَا سَهَامٌ غَيْرُ مُخْطِئَةٍ مَنْ قَاتَهُ الْيَوْمَ سَهْمٌ لَمْ يَفْتَهُ غَدَا
مَا ضَرَّ مَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا وَغَرَّتْهَا أَلَّا يُنَافِسَ فِيهَا أَهْلَهَا أَبَدَا
غَرَّتْهَا : خَدَاعُهَا

٢٣ كَانَهُمْ مَا كَانُوا

كَأَنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ لَمْ يَسْكُنُوا الدُّ - وَرَّ، وَلَمْ يَخْيَ مِنْهُمْ أَحَدُ
وَلَمْ يَكُونُوا إِلَّا كَهَيْئَتِهِمْ لَمْ يُولَدُوا قَبْلَهَا وَلَمْ يَلِدُوا
يَا نَاسِيَّ الْمَوْتِ وَهَوَ يَذْكُرُهُ هَلْ لَكَ بِالْمَوْتِ إِنْ أَتَاكَ يَدُ
تَبْكِي عَلَى مَنْ مَضَى وَأَنْتَ غَدَا يُوْرِدُكَ الْمَوْتُ فِي الَّذِي وَرَدُوا

٢٤ جِدًّا

مَا أَقْرَبَ الْمَوْتَ جِدًّا أَتَاكَ بِشْتَنْدُ شَدًّا
يَا مَنْ يُرَاحُ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ طَوْرًا وَيُغْدَى
يَرَّاحُ عَلَيْهِ وَيَغْدَى : يُوْتِي مَسَاءً وَصَبَاحًا

هَلْ تَسْتَطِيعُ لِمَا قَدْ مَضَى مِنَ الْعَيْشِ رَدًّا
تَمُوتُ فَزُرْدًا وَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَزُرْدًا

٢٥ لَا تَمُدَّهَا

سُئِلِمُكَ السَّاعَاتُ فِي بَعْضِ مَرَّهَا إِلَى سَاعَةٍ لَا سَاعَةً لَكَ بَعْدَهَا
مَرَّهَا : مَرُورُهَا

مَدَدْتَ الْمُنَى طَوْلًا وَعَرْضًا، وَإِنَّهَا لَتَدْعُوكَ أَنْ تَهْدَا وَأَنْ لَا تَمُدَّهَا
وَمَا لَتْ بِكَ الدُّنْيَا إِلَى اللَّهْوِ وَالصَّبَا وَمَنْ مَالَتْ الدُّنْيَا بِهِ كَانَ عَبْدَهَا
لِنَفْسِكَ قَبْلَ النَّاسِ فَأَعْنِ فَإِنَّهَا تَمُوتُ إِذَا مَاتَتْ وَتُبْعَتْ وَخَدَهَا
فَاعِن : فَكُنْ مَعْنِيًا

٢٦ الْمَتَّبِخِيرِ

يَا أَيُّهَا الْأَشْيَبُ الَّذِي قَدْ حَذَّرَهُ شَيْبُهُ وَأَنْذَرَ

خَذْ مَا صَفَا مِنْ جَمِيعِ أَمْرِ الدُّ - نِيَا وَدَعْ عَنْكَ مَا تَكْذُرُ
وَالْطُّفَ لِكُلِّ أَمْرٍ بِرَفْقٍ وَأَقْبَلْ مِنَ النَّاسِ مَا تَيْسَّرُ
يَا رَبِّ ذِي أَعْظَمِ رُفَاتٍ كَانَ إِذَا مَا مَشَى تَبَخَّرَ
رفات: محطمة. أي رب صاحب عظام بالية مسجى في قبره، قد كان في حياته يمشي ويتبختر

٢٧ الأنس بالأذى

إِذَا أَنَا لَمْ أَقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ كُلِّ مَا تَكَرَّهْتُ مِنْهُ طَالَ عَتَبِي عَلَى الدَّهْرِ
تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفَتُهُ وَأُخَوِّجَنِي طَوْلَ الْعَزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَوَسَّعَ صَدْرِي بِالْأَذَى الْأَنْسُ بِالْأَذَى وَقَدْ كُنْتُ أَحْيَانًا يَضِيقُ بِهِ صَدْرِي
الأنس بالأذى: تعوُّده

وَصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِيًا لِسُرْعَةِ لُطْفِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي

٢٨ النتيجة.. تعادل

طُوبَى لِمَنْ هَمُّهُ الْمَعَادُ وَمَا أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ خَبَرِهِ
بورك من اهتم لأمر المعاد، البعث والحساب، واهتم بما أخبره الله من خبر المعاد وكيفيته، فهو
مؤمن مصدق.. كآني أرى أبا العتاهية يقول: ليتني كنت مصدقاً لتفاصيل المعاد

قَدْ يَنْبَغِي لِأَمْرِي رَأْيٌ نَكَبَا بِي الدَّهْرُ أَلَّا يَنَامَ مِنْ حَذَرِهِ
بِقَدْرِ مَا ذَاقَ ذَائِقٌ لَصَفَا ۖ فِي الْمَيْشِ يَوْمًا يَذُوقُ مِنْ كَدَرِهِ
إِذَا تَوَى فِي الْقُبُورِ ذُو خَطَرٍ فَرَزُهُ فِيهَا وَانْظُرْ إِلَى خَطَرِهِ
ذو خطر: ذو نفوذ

مَا أَسْرَعَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي سَمْعِهِ وَفِي بَصَرِهِ
وَفِي خَطَاؤِهِ وَفِي مَفَاصِلِهِ نَعَمْ وَفِي شَمْرِهِ وَفِي بَشَرِهِ
البشر: البشارة

٢٩ المرارة في القاع

الْمَرْءُ بِأَمَلٍ أَنْ يَمِيحَ شَوْطُوقُ عُمْرٍ قَدْ بَضُرُهُ
تَفَنَّنِي بِشَاشَتِهِ وَيَبِ قَى بَعْدَ حُلُوِّ الْمَيْشِ مُرُهُ

وتخونهُ الأيامُ حتّى - - - لا يرى شيئاً يسُرُّهُ

٣٠ الانقراض

قد أردنا فأبى الله لنا وأراد الله شيئاً فمضى
مضى: حدث

رُبَّ أمرٍ بئْتُ قد أبرمته ثم ما أصبحت حتى انتقضا
رُبَّ عيشٍ لأناسٍ سَلَفُوا كان، ثم انقروا وانقراضا

٣١ من ليس يشبع

ألم تر أن الناسَ في غفلاتِهِمْ وأن المنايا بينهم تتفقعُ
أيا بائِي الدنيا! لغيرك تبني ويا جامع الدنيا! لغيرك تجمعُ
أرى المرءَ وثاباً على كلِّ فرصة وللمرءِ، يوماً، لا محالة مضرعُ
تبارك من لا يملكُ الملكَ غيره متى تنقضي حاجاتُ من ليس يشبعُ؟
وما هو إلا النعشُ لو قد دعوا به ثقلُ قُلُوبِ فوقه ثم تُرفعُ
وما زلتُ أرمى كلَّ يومٍ بعبرة تكادُ لها صُمُّ الجبالِ تصدعُ
فما بال عيني لا تجودُ بما فيها وما بال قلبي لا يرقُ ويخشعُ

٣٢ صعوبة الزهد

قد بلونا الناسَ في أخلاقِهِمْ قرأناهم لذي المالِ تبغ
بلونا: جربنا

أحمدُ الله على تقديرِهِ قَدَّرَ الرزقَ فأعطى ومنع
سُمتُ نفسي ورعاً تصدقهُ فنهاها النقصُ عن ذاك الورعُ

سمت نفسي، أي أجبرتها، على الورع وعلى أن تصدق فيه، ولكن النقص الذي جبل عليه الإنسان نهاني عن الورع

فلنفسِي عِلَلٌ لا تنقضي ولها مَكْرٌ لطيفٌ وخدعُ
ولنفسِي غَفَلاتٌ لم تزل ولها بالشَّيءِ أحياناً ولعُ
ولنفسِي حين تُعطى فرحُ واضطرابٌ عند منعٍ وجزعُ

٣٣ اليوم الفظيع

حُبِّبَ الْأَكْلُ وَالشَّرَابُ إِلَيْنَا وَبِنَاءِ الْقُصُورِ وَالتَّجْمِيعِ
وَصَنُوفِ اللَّذَاتِ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَالْفَنَاءِ مُقْبِلٌ عَلَيْنَا سَرِيعٌ
كُلُّ حَيٍّ سَيَظْعَمُ الْمَوْتَ كُرْهًا ثُمَّ خَلَفَ الْمَمَاتِ يَوْمَ فَظْطِيعِ
يَظْعَمُ: يَأْكُلُ

٣٤ الصراع على الجيفة

أَمَّا بُيُوتُكَ فِي الدُّنْيَا فَوَاسِعَةٌ فَلَبِيتَ قَبْرَكَ بَعْدَ الْمَوْتِ يَتَسَّعُ
مَا لِي أَرَى النَّاسَ لَا تَسْلُو ضَعْفَانِئُهُمْ وَلَا قُلُوبُهُمْ فِي اللَّهِّ تَجْتَمِعُ
تَسْلُو ضَعْفَانِئُهُمْ: تَهْمِدُ أَحْقَادَهُمْ وَكَأَنَّهُا نَسِيتَ أَنْ تَظْهَرَ
إِذَا رَأَيْتَ لَهُمْ جَمْعًا تُسَرُّ بِهِ فَإِنَّهُمْ حِينَ تَبْلُو شَأْنَهُمْ شَبِيعُ
حِينَ تَبْلُو: حِينَ تَجْرِبُ، شَبِيعُ: أَحْزَابُ مُتَصَارِعَةٍ

٣٥ الحصاد

حَتَّى مَتَى يَسْتَفِرُّنِي الطَّمَعُ أَلَيْسَ لِي بِالْكَفَافِ مُتَسَّعُ
مَا أَفْضَلَ الصَّبْرَ وَالْقَنَاعَةَ لِلدَّ - لَاسٍ جَمِيعًا لَوْ أَنَّهُمْ قَنِعُوا
وَأَخَذَعَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِأَفْ - حَوَامِ أَرَاهُمْ فِي الْعَيِّ قَدْ رَتَعُوا
لِلَّهِ ذُرُّ الدُّنْيَا لَقَدْ لَعِبَتْ قَبْلِي بِقَوْمٍ فَمَا تُرَى صَنَعُوا
بَادُوا وَوَفَّقْتُهُمُ الْأَهْلَةَ مَا كَانَ لَهُمْ وَالْأَيَّامُ وَالْجَمْعُ
بَادُوا وَأَعْطَتْهُمْ الْأَهْلَةَ، جَمَعَ هَلَالُ أَيِّ الشُّهُورِ، وَالْأَيَّامُ وَالْجَمْعُ، أَيُّ الْأَسَابِيعِ، أَعْطَتْهُمْ مَا كَانَ
لَهُمْ مِنْ عَمْرِ وَافِيًا

أَثَرُوا فَلَمْ يُدْخِلُوا قُبُورَهُمْ شَيْئًا مِنَ الثَّرْوَةِ الَّتِي جَمَعُوا
غَدًا تُوَفَّى النَفُوسُ مَا كَسَبَتْ وَيَحْصُدُ الزَّارِعُونَ مَا زَرَعُوا

٣٦ الترقيع

الْمَرْءُ فِي شَهْوَاتِ عَقْلَتِهِ وَالدَّهْرُ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ
وَمُدَافِعُ لِلشَّيْبِ يَخْضِبُهُ وَالشَّيْبُ نَحْوَ الْمَوْتِ يَدْفَعُهُ
رَبِّ شَخْصٍ يَدْفَعُ الشَّيْبَ بَعِيدًا عَنْهُ بِالْخَضَابِ، الصَّبْغِ، وَالشَّيْبُ يَدْفَعُهُ نَحْوَ نَهَائِهِ

وَالْعَيْشُ كُلُّ جَدِيدِهِ خَلَقَ كُلُّ لَهُ عَيْشٌ يُرَقَّمُهُ
كل شيء يجد في الحياة خلق، ثوب عتيق، وكلنا يرقع عيشته ترقيعاً

٣٧ الطمع هم وغيبظ

طَلَبْتُ الْغِنَى فِي كُلِّ وَجْهِ فَلَمْ أَجِدْ سَبِيلَ الْغِنَى إِلَّا سَبِيلَ التَّعَفُّفِ
إِذَا كُنْتَ لَا تَرْضَى بِشَيْءٍ تَنَالُهُ وَكُنْتَ عَلَى مَا فَاتَ جَمَّ التَّلَهُّفِ
فَلَسْتُ مِنَ الْهَمِّ الْعَرِيضِ بِخَارِجٍ وَلَسْتُ مِنَ الْغَيْظِ الطَّوِيلِ بِمُشْتَفٍ

٣٨ قانون السماحة

أَوْدَى الزَّمَانُ بِأَسْلَافِي وَخَلَّفَنِي وَسَوْفَ يُلْحِقَنِي يَوْمًا بِأَسْلَافِي
لَا تَمْشِ فِي النَّاسِ إِلَّا رَحْمَةً لَهُمْ وَلَا تَعَامِلْهُمْ إِلَّا بِإِنصَافٍ
وَاقْطَعْ قُوَى كُلِّ حَقْدٍ أَنْتَ مُضْمِرُهُ إِنْ زَلَّ ذُو زَلَّةٍ أَوْ إِنْ هَفَا هَافٍ
وَارْعَبْ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا صَلَاحَ لَهُ وَأَوْسِعِ النَّاسَ مِنْ بَرٍّ وَإِلْطَافٍ
ارغب بنفسك، أي ابتعد، عن الأمر الذي لا سبيل إلى إصلاحه

وَإِنْ يَكُنْ أَحَدُ أَوْلَاكَ صَالِحَةً فَكَافِهِ فَوْقَ مَا أَوْلَى بِأَضْعَافٍ
إِنْ أَوْلَاكَ، أعطاك، أحدهم صالحة، معروفاً، فكافته بأضعافها

وَلَا تُكْشِفْ مُسِيئًا عَنْ إِسَاءَتِهِ وَصِلْ جِبَالَ أَخِيكَ الْقَاطِعِ الْجَانِي
مَا أَحْسَنَ الشُّغْلَ فِي تَدْبِيرِ مَنَفَعَةٍ أَهْلُ الْفَرَاغِ ذُو خَوْضٍ وَإِرْجَافٍ
انشغال المرء، جيد في تحصيل المنافع، فأما أهل الفراغ الذين ليس لهم شغل يشغلهم فهو
يخوضون في شؤون الآخرين، ويرجفون، ينشرون الذعر

٣٩ رغم كثرتهم

طَلَبْتُ أَخًا فِي اللَّهِ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ فَأَعْوَزَنِي، هَذَا عَلَى كَثْرَةِ الْخَلْقِ
فَصِرْتُ وَحِيدًا بَيْنَهُمْ مَتَصَبِّراً عَلَى الْغَدْرِ مِنْهُمْ وَالْمَلَالَةِ وَالْمَذَقِ
المذق: الغش

وَكَمْ مِنْ أَخٍ قَدْ ذُقْتُه ذَا بَشَاشَةٍ إِذَا سَاعَ فِي عَيْنِي يَعْصُ بِهِ حَلْقِي
وَلَمْ أَرَ كَالدُّنْيَا وَكُشْفِي لِأَهْلِهَا فَمَا انْكَشَفُوا لِي عَنْ وِفَاءٍ وَلَا صِدْقٍ

٤٠ يوم العرق

يَا مَنْ بَنَى الْقَصْرَ فِي الدُّنْيَا وَشَيَّدَهُ أَسَّسَتْ قَصْرَكَ حَيْثُ السَّيْلُ وَالْعَرَقُ
كُلُّ أَمْرٍ لَهُ رِزْقٌ سَيَبْلُغُهُ وَاللَّهُ يَرْزُقُ لَا كَيْفَ وَلَا حُمُقُ

الكيس: الكياسة

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا لَا نَفَادَ لَهُ النَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا لَهُ خُلِقُوا
وَفِي الدِّينِ أَنَّ النَّاسَ خَلَقُوا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ، «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»

مَا أَغْفَلَ النَّاسَ عَنْ يَوْمِ ابْتِعَاثِهِمْ وَيَوْمِ يُلْجِمُهُمْ فِي الْمَوْقِفِ الْعَرَقُ
النَّاسُ غَافِلُونَ عَنْ يَوْمٍ يَبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ لِلْحِسَابِ، وَيَوْمَ يُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ، أَيَّ يَسْكُنُهُمْ كَانَهُ
اللَّجَامُ.. فَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعَصَا يَعْزِفُونَ بِتَفَاوُتِ نَفْثَةٍ مِنْ يَعْزِفُ حَتَّى عَقْبِهِ أَوْ حَتَّى رَكْبَتِهِ أَوْ
صَدْرِهِ.. وَثَمَّةٌ مِنْ يَصِلُ الْعَرَقُ إِلَى فَمِهِ فَيُلْجِمُهُ الْإِجَامُ، فِي الْمَوْقِفِ، أَيَّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

٤١ أحسنت يا إبليس!

كُلُّ رِزْقٍ أَرْجُوهُ مِنْ مَخْلُوقٍ يَعْتَرِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّغْوِيْقِ
وَأَنَا قَائِلٌ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ - مِثَالُ الْمَجَازِ لَا التَّحْقِيقِ
لَسْتُ أَرْضَى مِنْ فِعْلِ إبْلِيسَ شَيْئًا غَيْرَ تَرْكِ الشُّجُودِ لِلْمَخْلُوقِ

٤٢ نموذج الحسن

إِنَّ الْمَلِيكَ رَأَى أَحْسَنَ خَلْقِهِ وَرَأَى جَمَالَكَ..
اللَّهُ رَأَى أَحْسَنَ خَلْقِهِ وَرَأَى جَمَالَكَ..

فَحَدَا بِقُدْرَةِ نَفْسِهِ حُورَ الْجِنَانِ عَلَى مِثَالِكَ
فَعَدَا، أَيَّ قَصٍّ وَصَنَعَ، حُورَ الْجِنَانِ مِتَّخِذًا إِيَّاكَ شَابِلُونَ

٤٣ الباكون المقتسمون

أَتَطْمَعُ أَنْ تُخَلِّدَ لَا أَبَالَكَ أَمِنْتُ مِنَ الْمَنِيَةِ أَنْ تَنَالَكَ
أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ لَهَا رَسُولًا وَأَقْسَمُ لَوْ أَنَّكَ لَمَّا أَقَالَكَ
كَأَنِّي بِالتَّرَابِ عَلَيْكَ رَذْمًا وَبِالْبَاكِينَ يَقْتَسِمُونَ مَالَكَ

٤٤ ألوان الكذب

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكَذُوبِ وَإِفْكِهِ فَلَرُبَّمَا مَزَجَ الْبَقِيْنَ بِشَكِّهِ

وَلَرُبَّمَا ضَحِكَ الْكَذُوبُ تَكَلُّفًا وَبَكَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُبْكِهِ
ولربما صمتَ الكذوبُ تَخَلُّفًا وشكا مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشْكِهِ
ولربما كذبَ امرؤُ بِكَلَامِهِ وبصمته وبكائه وبضحكه

٤٥ الزمان المؤدَّب

الآنَ يا دنيا عرفتُكَ فاذْهَبِي يا دارَ كُلِّ تَشَتُّتٍ وَزَوَالٍ
قَطَّعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ وَحَظَّظْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطِيِّ رِحَالِي
نطعت جبلَ الأملِ منك، وأنزلت رِحالي ومتاعي عن ظهرِ المطي، أي الأبل، فأنا لا أريد الرحيل
نحوك... أي أنه يريد هجران الدنيا

وَالآنَ صَارَ لِي الزَّمَانُ مُؤَدِّبًا فَعَدَا عَلَيَّ وَرَاحَ بِالْأَمْثَالِ
وَإِذَا تَنَاسَبَتِ الرِّجَالُ فَمَا أَرَى نَسَبًا يُقَاسُ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ
تناسبت الرجال: أخذت تذكر أنسابها

لَلَّهِ يَوْمٌ تَقْشَعُرُ جُلُودُهُمْ وَتَشِيْبُ مِنْهُ ذَوَائِبُ الْأَطْفَالِ
يَوْمُ النِّوَازِلِ وَالزَّلَازِلِ، وَالْحَوَا مَلٌ فِيهِ إِذْ يَقْذِفْنَ بِالْأَحْمَالِ
يوم النوازل، أي المصائب، يوم القيامة عندما تسقط الحوامل أجنتها

٤٦ إن اضطرت!

حَيْلُ ابْنِ آدَمَ فِي الْحَيَاةِ كَثِيرَةٌ وَالْمَوْتُ يَقْطَعُ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
قِسْتُ السُّؤَالَ فَكَانَ أَعْظَمَ قِيَمَةً مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بِسُؤَالِ
سؤال الناس صعب وهو أعظم من أي عارفة، معروف، تناله بسؤالك

فَإِذَا ابْتُلِيَتْ بِبَذْلِ وَجْهِكَ سَائِلًا فَايْذُلُهُ لِلْمُتَكَرِّمِ الْمِفْضَالِ
وَإِذَا خَشِيَتْ تَعَذُّرًا فِي بَلَدِهِ فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ

٤٧ الرحيل الرحيل

مَا أَثْقَلَ الْحَقُّ عَلَى مَنْ نَرَى، لَمْ يَزَلِ الْحَقُّ كَرِيهًا ثَقِيلَ
تَزَوَّدَنَّ لِلْمَوْتِ زَادًا فَقَدْ نَادَى مُنَادِيهِ: الرَّحِيلَ الرَّحِيلَ
مَا أَقْتَنَلِ الدُّنْيَا لِأَرْوَاجِهَا تَعُدُّهُمْ عَدًّا قَتِيلًا قَتِيلَ

٤٨ تعالى الله

نَعَى نَفْسِي إِلَيَّ مِنَ اللَّيَالِي تَصَرَّفُهُنَّ حَالاً بَعْدَ حَالٍ
فَمَا لِي لَسْتُ مَشْغُولاً بِنَفْسِي وَمَا لِي لَا أَخَافُ الْمَوْتَ مَا لِي
لَقَدْ أَيقَنْتُ أَنَّي غَيْرُ بَاقٍ وَلَكِنِّي أَرَانِي لَا أَبَالِي
سَأَفْنَعُ مَا بَقِيَتْ بِقُوتِ يَوْمٍ وَلَا أَبْغِي مُكَائِرَةَ بِمَالِي
المكائرة: التفاوض بالكثرة

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ بَنَ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ

سلم بن عمرو هو الشاعر الملقب بالخاسر. والحرص: البخل. وقد كان سلم يقول إن أبا العتاهية أشعر الجن والإنس، ثم لما سمع هذا الشعر غضب، وقال: ويلى على ابن الفاعلة الزنديق، زعم أنني حريص، وقد كنز المال، وأنا لا أملك غير ثوبي هذين. ورد سلم بشعر: (ما أقيح التزهيد من واعظ// يزهد الناس ولا يزهد) وانحرف عن أبي العتاهية

هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوَاً أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى الزَّوَالِ

هب: افرض، عفواً: بسهولة

٤٩ معاداة الرجال

خَبِرْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ فَلَمْ أَرْ غَيْرَ خَتَالٍ وَقَالِ

قرن: جيل، ختال: غادر، قال: هاجر

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طُرّاً فَمَا طَعَمْتُ أَمْرًا مِنَ السُّؤَالِ

وَلَمْ أَرْ فِي الْأُمُورِ أَشَدَّ وَقْماً وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ

وَلَمْ أَرْ فِي عِيُوبِ النَّاسِ عَيْباً كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْكَمَالِ

وهذا البيت يشبه بيت المتنبي، فكان المتنبي سرقه. ولكن البيت ليس موجوداً في كل نسخ ديوان أبي العتاهية، أفلا يكون أعداء المتنبي دسوه على أبي العتاهية في نسخة متأخرة ليكون شاهد زور على سرقه لم يرتكبها المتنبي؟

٥٠ سؤال عن الزاد

يَا سَاكِنَ الْقَبْرِ عَنْ قَلِيلٍ مَاذَا تَزَوَّدَتْ لِلرَّحِيلِ

عن قليل: بعد قليل

إِنَّا لَمُسْتَوطِنُونَ دَاراً نَحْنُ بِهَا عَابِرُونَ سَبِيلِ

دَارَ أَذَى لَمْ يَزَلْ عَلِيلٌ يَشْكُو أَذَاهَا إِلَى عَلِيلٍ

٥١ القيل والقال

أَبْقَيْتَ مَالَكَ مِيرَاثاً لِيَوَارِثِهِ فَلَيْتَ شِعْرِي مَا أَبْقَى لَكَ الْمَالُ
الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ
مَلُّوا الْبُكَاءَ، فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَاسْتَحْكَمَ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ

أنت تتخيل أنهم بعدك سيقتلون أنفسهم بكاءً، وسينسون أن هناك ميراثاً؟ يا مسكين! اقرأ شعر أبي العتاهية

٥٢ لا أرى أحداً

كَمْ مِنْ عَزِيزٍ قَدْ رَأَيْتُ الْحَرَصَ صَيَّرَهُ ذَلِيلًا
فَتَجَنَّبَ الشَّهَوَاتِ وَاحِدٌ لَذَرْتُ أَنْ تَكُونَ لَهَا قَتِيلًا
فَلَرُبَّ شَهْوَةٍ سَاعَةٍ قَدْ أَوْرَثَتْ حُزناً طَوِيلًا
مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُنْصَفَاً فِي الْوَدِّ، فَاغْبِ بِهِ بَدِيلًا
كَشَفْتُ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ لِي، وَذُقْتُهُمْ جِيلًا فَجِيلًا
إِضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ فَلَا تَرَى إِلَّا بِخِيلًا

٥٣ السراب

يَجْرِي الْجَدِيدَانِ وَالْأَقْدَارُ بَيْنَهُمَا تَغْدُو وَتَسْرِي بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالٍ
الجديدان: الليل والنهار، أي الزمن. والأقدار تغدو صباحاً وتسري ليلاً ضمن الزمن فتوزع الرزق والموت أيضاً

يَا مَنْ سَلَاحٍ عَنْ حَبِيبٍ بَعْدَ غَيْبَتِهِ كَمْ بَعْدَ مَوْتِكَ مِنْ نَاسٍ وَمِنْ سَالٍ
كَأَنَّ كُلَّ نَعِيمٍ أَنْتَ ذَائِقُهُ مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ يَحْكِي لَمَعَةَ الْآلِ

الآل: السراب

٥٤ الحرام ألدُّ

أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِنَّمَا الدُّنْيَا كَفَيَّ الظَّلَالِ
رُبَّ مُغْتَرِّبٍ بِهَا قَدْ رَأَيْنَا نَعَشَهُ فَوْقَ رِقَابِ الرِّجَالِ
عَجَباً مِنْ رَاغِبٍ فِي حَرَامٍ لَمْ تَضِقْ عَنْهُ وَجْوهُ الْحَلَالِ

٥٥ القليل مع الكرامة

أَتَدْرِي أَيُّ ذُلٍّ فِي السُّؤَالِ وَفِي بَذْلِ الْوَجْهِ إِلَى الرِّجَالِ
إِذَا كَانَ النَّوَالُ بِبَذْلِ وَجْهِ فَلَا قُرْبَتْ مِنْ ذَاكَ النَّوَالِ
مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ خُلُقٍ دَنِيٍّ يَكُونُ الْفَضْلُ فِيهِ عَلَيَّ لَا لِي
إِذَا كَانَ الْقَلِيلُ يَسُدُّ فَقْرِي وَلَمْ أَجِدِ الْكَثِيرَ فَلَا أَبَالِي

٥٦ مجيء الغاسل بعد استرخاء المفاصل

وَكَمْ قَدْ عَزَّ مِنْ مَلِكٍ يَحُفُّ بِهِ قَنَابِلُهُ
قنابله: جماعات من خيوله

يَخَافُ النَّاسُ صَوْلَتَهُ وَيُرْجَى مِنْهُ نَائِلُهُ
وَيُثْنِي عِظْفُهُ مَرَحاً وَتُعْجِبُهُ شَمَائِلُهُ
فَلَمَّا أَنْ أَتَاهُ الْحَقُّ - وَلَّى عَنْهُ بَاطِلُهُ
فَعَمَّضَ عَيْنَهُ لِلْمَوْتِ وَاسْتَرْخَتْ مَفَاصِلُهُ
فَمَا لَبِثَ السِّيَاقُ بِهِ إِلَى أَنْ جَاءَ غَاسِلُهُ
السِّيَاقُ: الاحتضار... ما طال احتضاره حتى مات وجاء من يغسله

٥٧ الخلاصة الزهدية

رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي بِفِكْرِي لَعَلَّهَا تُفَارِقُ مَا قَدْ عَرَّهَا وَأَذَلَّهَا
فَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسِ مَا كُنْتَ آخِذاً مِنَ الْأَرْضِ لَوْ أَصْبَحْتَ أَمْلِكُ كُلَّهَا؟
فَهَلْ هِيَ إِلَّا شَبَعَةٌ بَعْدَ جَوْعَةٍ وَإِلَّا مُنَى قَدْ حَانَ لِي أَنْ أَمْلُهَا
وَمُدَّةٌ وَقْتُ لَمْ يَدْعُ مَرُّ مَا مَضَى عَلَيَّ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا أَقْلُهَا
أَرَى لَكَ نَفْساً تَبْتَغِي أَنْ تُعِزَّهَا وَلَسْتُ تُعِزُّ النَّفْسَ حَتَّى تُذِلَّهَا

٥٨ غضب وغضب

إِذَا غَضِبَ الْحَلِيمُ فَفِرَّ عَنْهُ وَإِنْ غَضِبَ اللَّئِيمُ فَلَا تُبَالِهِ
وَلَمْ تَرَ مُثْنِيّاً أَتْنَى عَلَى ذِي فِعَالٍ قَطُّ أَفْصَحَ مِنْ فِعَالِهِ
وَأَسْرَعُ مَا يَكُونُ الشَّيْءُ نَقْصاً فَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ إِلَى كَمَالِهِ

٥٩ سنة محمد

أهلاً وسهلاً بِالْمَشِيبِ مُؤَدِّباً وعلى الشبابِ تحيةً وسلاماً
ولقد غَنِيَتْ مِنَ الشَّبابِ بِغِطَّةٍ ولقد كَسَاكَ وَقَارُهُ الْإِسْلَامُ
ومحمدٌ لَكَ إِن سَلَكَتْ سَبِيلَهُ في كلِّ خيرٍ قَائِدٌ وَإِمَامُ
ما كُلُّ شَيْءٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ إِلَّا وَقَدْ جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ
أي كل ما حدث أو سيحدث إنما هو مرقوم في اللوح المحفوظ قد كتب وجفت به الأقلام

٦٠ موعدا القيامة

أَمَّا وَاللَّهِ إِن الظِّلْمَ لَوُمٌ وما زالَ المُسِيءُ هُوَ الظَّلُومُ
لوم: لؤم

إلى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي وعندَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي الْحَسَابِ إِذَا التَقَيْنَا غداً عندَ الْإِلَهِ مِنَ الْمَلُومُ

٦١ شرط الصلحة

أَيَا مَنْ بَيْنَ بَاطِلِيَةٍ وَدَنٍّ وَعُودٍ فِي يَدَيَّ عَاوٍ مُغْنٍ
يا من يقضي وقته بين باطية، وعاء خمر، ودن، خاية خمر كبيرة، وعود في يدي مغنٍ ضال
إِذَا لَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ عَنْ هَوَاهَا وَتُحْسِنَ صَوْنَهَا، فَلَيْلِكَ عَنِّي
إليك عني: ابتعد عني

وَأَيُّ قَبِيحٍ أَفْبَحُ مِنْ لَبِيبٍ يُرَى مُتَطَرِّباً فِي مِثْلِ سِنِّي

٦٢ شكوى

فَيَا رَبَّ إِنَّ النَّاسَ لَا يُنْصِفُونَنِي وكيف، ولو أَنْصَفْتُهُمْ ظَلَمُونِي
وإن كان لي شيءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخِيهِ وإن جِئْتُ أَبْغِي شَيْئَهُمْ مَنَعُونِي
وإن نَالَهُمْ رِفْدِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وإن أنا لَمْ أَبْذُلْ لَهُمْ شَتْمُونِي
وإن وَجَدُوا عِنْدِي رَحَاءً تَقَرَّبُوا وإن نَزَلْتُ بِي شِدَّةً خَذَلُونِي
وإن طَرَقْتَنِي نَكْبَةً فَكُفُّوا بِهَا وإن صَحِبْتَنِي نِعَمَةً حَسَدُونِي
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَجَنَّ إِلَيْهِمْ وَأُحْجِبُ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَجُفُونِي

٦٣ السجون

يا ليت شعري إذا ما دُفِنْتَ كَيْفَ تَكُونُ
 إن القُبُورَ سُجُونٌ ما مِثْلُهُنَّ سُجُونُ
 ما في المقابرِ وَجْهٌ عن الثُّرَابِ مَصُونُ
 لا تدفعُ الموتَ عَمَّنْ حَلَّ الحُصُونُ الحُصُونُ
 الحصون لا تمنع الموت أن ينزل بمن حلها

ما لِلْمَنَايَا سُكُونٌ عَنَّا، وَنَحْنُ سُكُونُ
 ليس للموت سكون، ونحن عنه سكون، أي ساكنون ساكنون

٦٤ انعدام الوفاء

يا خليلي لا أَذُومُ زَمَانِي غَيْرَ أَنِّي أَذُومُ أَهْلَ زَمَانِي
 لَسْتُ أُحْصِي كَمَ مِنْ أَخٍ كَانَ لِي مَدَّ هُمْ قَلِيلَ الْوَفَاءِ حُلُوَ اللَّسَانِ
 لَمْ أَجِدْهُ مُؤَاتِيًّا فَتَصَدَّقْ تَ بِحَظِّي مِنْهُ عَلَى الشَّيْطَانِ
 لَيْتَ حَظِّي مِنْهُ وَمِنْ مِثْلِهِ أَنْ لَا تَرَاهُ عَيْنِي وَأَنْ لَا يَرَانِي

٦٥ مودة بميزان الذهب

لَلَّهِ دَرُّ أَسِيكَ أَيُّ زَمَانٍ أَصْبَحْتَ فِيهِ وَأَيُّ أَهْلِ زَمَانٍ
 كُلُّ يُوَاكِزِنُكَ الْمَوَدَّةَ دَائِبًا يُعْطِي وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِالْمِيزَانِ
 فَإِذَا رَأَى رُجْحَانَ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مَالَتْ مَوَدَّتُهُ مَعَ الرُّجْحَانِ

وقال مثلاً: «كل شيء قرضه ودين، حتى دموع العينين». والمعنى عند شاعرنا أدق، فبعض خلق الله يضمن عليك بالكلمة الطيبة

٦٦ دعاء

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي مُقِرٌّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
 وَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي وَعَفْوُكَ إِنْ عَفَوْتَ وَحُسْنُ ظَنِّي
 فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْبَرَايَا وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنْ
 إِذَا فَكَّرْتُ فِي نَدَمِي عَلَيْهَا عَضَضْتُ أَنَامِلِي وَقَرَعْتُ سِنِّي
 يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي

٦٧ أريدك للدنيا

أما عَلِمْتَ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً وَزَادَكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا «ابْنَ يَقْطِينِ»
 أَنِّي أُرِيدُكَ لِلدُّنْيَا وَعَاجِلِهَا وَلَا أُرِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ لِلدِّينِ
 حَتَّى مَتَى، لَيْتَ شِعْرِي، يَا ابْنَ يَقْطِينِ أَتُنِي عَلَيْكَ بِشَيْءٍ لَسْتُ تُؤَلِّينِي؟
 حَتَّى مَتَى أَتُنِي عَلَيْكَ بِالسَّخَاءِ وَأَنْتَ لَا تُؤَلِّينِي، تَمْنَحُنِي، مِنْ هَذَا الَّذِي أَتُنِي عَلَيْكَ بِهِ شَيْئًا؟
 إِنْ السَّلَامَ وَإِنْ الْبِشْرَ مِنْ رَجُلٍ فِي مِثْلِ مَا أَنْتَ فِيهِ لَيْسَ يَكْفِينِي
 السَّلَامَ وَالْبِشْرَةَ مِنْ رَجُلٍ فِي مَرْكَزِكَ لَا يَكْفِيَانِ، فَلَا بَدَّ مِنْ عَطَاءٍ

٦٨ كأنك لم تكن

يَا أَيُّهَا الْمُتَسَمِّنُ قُلْ لِي لِمَنْ تَتَسَمَّنُ
 وَغَدًا تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ رِمْحَانًا وَمُكَفَّنُ
 أَحَدْتُ لِرَبِّكَ تَوْبَةً فَسَبِيلُهَا لَكَ مَمَكُنُ
 فَكَأَنَّ شَخْصَكَ لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ سَاعَةً تُدْفَنُ
 عند دفنك تصيح كأنك لم تكن موجوداً أصلاً

وَكَأَنَّ أَهْلَكَ قَدْ بَكَّوْا جَزَعًا عَلَيْكَ وَرَنُّوْا
 رَنُّوْا: نَاحُوا

فَإِذَا مَضَتْ لَكَ جُمُعَةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَحْزَنُوا
 النَّاسُ فِي غَفْلَاتِهِمْ وَرَحَى الْمَنْبِيَّةِ تَطْحَنُ
 الرحى: حجر الطاحون

٦٩ العزيز والذليل

مَا أَنَا إِلَّا لِمَنْ بَغَانِي أَرَى خَلِيلِي كَمَا يَرَانِي
 لَسْتُ أَرَى مَا مَلَكَتْ طَرْفِي مَكَانَ مَنْ لَا يَرَى مَكَانِي
 لن أرى - ما دمت أملك عينين - مكاناً واحتراماً لمن لا يرى لي مثل هذا
 وَلِسِي إِلَيَّ أَنْ أُمُوتَ رِزْقُ لَوْ جَهَدَ الْخَلْقُ مَا عَدَانِي
 ما عداني: ما تعدّاني وتخطّاني

لَا تَرْتَجِ الْخَيْرَ عِنْدَ مَنْ لَا يَصْلُحُ إِلَّا عَلَى الْهَوَانِ

لا خير في شخص لا يستقيم حاله إلا إذا أمين وتعرض للتوبيخ والتأنيب. بعض الناس «يسمون على الإهانة» كما يقول المثل في بلدي. الواقع أن بعض الناس لا يتقبلون احترامك لهم، ويفضلون أن تعاملهم بترفع، فهذا يعفيهم من المسؤولية.. هذا اختيار. هناك ناس هكذا بالطبع أو بالتربية. وأبو العتاهية يحذرننا من التماس الخير عند هؤلاء

فَالْمَالُ مِنْ حِلِّهِ قَوَامٌ لِلْعِرْضِ وَالْوَجْهِ وَاللِّسَانِ

من حله: من موضع يكون فيه حلالاً.. فالمال يقيم الشرف، وبقي المرء بذل وجهه، وبقي لسانه السؤال

وَالْفَقْرُ ذُلٌّ عَلَيْهِ بَابٌ مِفْتَاحُهُ الْعَجْزُ وَالتَّوَانِي

يَا رَبِّ لِمَ نَبُكَ مِنْ زَمَانٍ إِلَّا بَكَيْنَا عَلَى زَمَانٍ

كلما بكينا من قسوة الزمن الحاضر بكينا أسفاً على زمن ماضٍ كان أفضل

٧٠ علامة الضياع

إِنْ كَانَ عِلْمُ امْرِئٍ فِي طَوْلِ تَجَرِبَةٍ فَإِنَّ دُونَ الَّذِي جَرَّبَتْ يَكْفِينِي

وَمِنْ عَلَامَةِ تَضْيِيعِي لِأَخِرَتِي أَنْ صِرْتُ تُغْضِبُنِي الدُّنْيَا وَتُرْضِينِي

يَا مَنْ تَشَرَّفَ بِالدُّنْيَا وَطَيَّبَتْهَا لَيْسَ التَّشَرُّفُ رَفَعَ الطَّيْنَ بِالطَّيْنِ

من أصبح شريف القدر بما نال من خير الدنيا الذي هو طين فهذا ليس الشرف الحقيقي لأن الإنسان مخلوق من طين، فالطين لا يرفع قدر الطين

إِذَا أُرِدْتَ شَرِيفَ النَّاسِ كُلُّهُمْ فَانْظُرْ إِلَى مَلِكٍ فِي زِيٍّ مَسْكِينٍ

وَذَاكَ الَّذِي عَظُمَتْ فِي اللَّهِ حُرْمَتُهُ وَذَاكَ يَصْلُحُ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ

٧١ الناس مع الواقع

مَا النَّاسُ إِلَّا لِلْكَثِيرِ الْمَالِ أَوْ لِمُسْلَطٍ مَا دَامَ فِي سُلْطَانِهِ

فَإِذَا الزَّمَانُ رَمَى الْفَتَى بِمُلْكِهِ كَانَ الثُّقَاتُ عَلَيْهِ مِنْ أَعْوَانِهِ

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تُلَايِمُ كُلَّ مَنْ أَلْقَى إِلَيْكَ تَلْهُفًا بِلِسَانِهِ

وَإِذَا تَوَانَى عَنْ صِيَانَةِ نَفْسِهِ رَجُلٌ تَنْقُصَ وَاسْتُخِفَّ بِشَانِهِ

٧٢ الفضة والذهب

وَاعْمِدْ إِلَى صِدْقِ الْحَدِيدِ ثِيَابُ فِائِنَةٍ أَرْكَسَى فُنُونُهُ

والصمْتُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى مِنْ مَنْطِقِي فِي غَيْرِ حِينِهِ
لا خَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلَا م إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى عُيُونِهِ

٧٣ سيستكملونها

أَلَا رَبُّ آمَالٍ إِذَا قِيلَ قَدْ دَنَتْ رَأَيْتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ قَدْ حُلْنَ دُونَهَا
لَعَمْرُكَ مَا تَنْفُكُ تُهْدِي جِنَازَةً إِلَى عَسْكَرِ الْأَمْوَاتِ حَتَّى تَكُونَهَا
ذَوِي الْوُدِّ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ عَلَيْكُمْ سَلَامٌ، أَمَا مِنْ دَعْوَةٍ تَسْمَعُونَهَا
سَكَنْتُمْ ظَهْوَرَ الْأَرْضِ حِينًا يَنْضَرَّةً فَمَا لَبِثْتَ حَتَّى سَكَنْتُمْ بُطُونَهَا
وَلِلنَّاسِ أَجَالٌ قِصَارٌ سَتَنْقُضِي وَلِلنَّاسِ أَرْزَاقٌ سَيَسْتَكْمِلُونَهَا

٧٤ الاستغناء

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
تُهَيِّنُ الْمُكْرِمِينَ لَهَا بِصُغْرِ وَتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ
إِذَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ قَدَعَهُ وَخُذْ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ

٧٥ اللعبة يريد بها الطفل

مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ رَبُّ أَمْرِي حَتْفُهُ فِيمَا تَمَنَّاهُ
مَا أَقْرَبَ الْمَوْتَ فِي الدُّنْيَا وَأَفْطَعَهُ وَمَا أَمَرَّ جَنَى الدُّنْيَا وَأَخْلَاهُ
كَمْ نَافَسَ الْمَرْءُ فِي شَيْءٍ وَكَأَيَّدَ فِيهِ هِ النَّاسَ ثُمَّ مَضَى عَنْهُ وَخَلَّاهُ

٧٦ أهزوجة الاحتضار

وَإِذَا أَفْنَى سِنِيهِ إِلَى مَرءٍ أَفْنَتْهُ سِنُوهُ
وَكَاَنَّ بِالْمَرءِ قَدْ يَبَى كَيْ عَلَيْهِ أَقْرَبُوهُ
وَكَاَنَّ بِالْقَوْمِ قَدْ قَا مُوَا فَقَالُوا أَذْرُكُوهُ
سَائِلُوهُ كُلُّمُوهُ حَرَّكُوهُ لَقِّنُوهُ
فَإِذَا اسْتَبَاسَ مِنْهُ إِلَى قَوْمٍ قَالُوا حَرَّفُوهُ

حرفوه: أميلوه ووجهوه إلى القبلة فيموت على هذه الهيئة

حَرَّفُوهُ وَجَّهُوهُ مَدَّدُوهُ غَمَّضُوهُ
عَجَّلُوهُ لِسْرَحِيل عَجَّلُوا لَا تَخْبِسُوهُ
أَرْفَعُوهُ غَسَّلُوهُ كَفَّنُوهُ حَنَّطُوهُ
فَإِذَا مَا لُفَّ بِالْأَكْ فَمِنْ قَالُوا فَأَخْمِلُوهُ
أَخْرِجُوهُ فَوْقَ أَعْوَا دِ الْمَمْنَايَا شَيِّفُوهُ
فَإِذَا صَلُّوا عَلَيْهِ قَبِلَ هَاتُوا وَاقْبُرُوهُ
فَإِذَا مَا اسْتَوْدَعُوهُ أَرْضَ رَهْنًا تَرْكُوهُ
خَلَّفُوهُ تَحْتَ رَذَمٍ أَوْقَرُوهُ أَثَقَّلُوهُ
أَوْقَرُوهُ: أَثَقَّلُوهُ

أُبِعَدُوهُ أَسْحَقُوهُ أَوْحَدُوهُ أَفَرَّدُوهُ
أَسْحَقُوهُ: عَمَّقُوا لَهُ

وَدَّعُوهُ فَارْقُوهُ أَسْلَمُوهُ خَلَّفُوهُ
وَأَثْنُوا عَنْهُ وَخَلُّو هُ كَأَنْ لَمْ يَمُرُّوهُ
يُكْرَمُ الْمَرْءُ، وَإِنْ أَمَّ لَمَقَ أَقْصَاهُ بَنُوهُ
أَمَلَقَ: افْتَقَرَ

لَوْ رَأَى النَّاسُ نَبِيًّا سَائِلًا مَا وَصَلُوهُ
وَهُمْ لَوَطَمُوا فِي زَادِ كَلْبٍ أَكَلُوهُ
أَفْضَلُ الْمَعْرُوفِ مَا لَمْ تُبَدَّلْ فِيهِ الْوُجُوهُ
أَنْتَ مَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْ صَا حِبِّكَ الدَّمَرُ أَخُوهُ
فَإِذَا احْتَجَّجْتَ إِلَيْهِ سَاعَةً مَجَّكَ فُوهُ

مجك: لفظك. القصيدة فيها تكرار يليق بالموقف. فالرجل في موقف تخويف ونفطع وإرهاب وتحذير وحسرة قابضة للقلب. وهو يترنم بهذه الألفاظ مثلما تترنم النكلى بلحن سريع فيه فرح وهي تندب، والنادبات قد يقطن كلاماً أبي العتاهية يصفن فيه الميت. سمعت نائحة تنوح على ميت كان في الصباح قد طلب مبرة يبري بها قلماً. ثم مات. ففعدت النائحة تقول كلاماً سخيلاً عن المبرة والقلم في لحن سريع فرح. وظننت هذا مما لا يجوز إلى أن سمعت الشيخ إمام يندب غيفاراً في مقطع «عيني عليه ساعة القضا من غير رفاقة تودعه» فإذا هو يصنع صنعها في لحنه

٧٧ يوميات زاهد

رَغِيفٌ خَبَزَ بِابَسٍ تَأْكُلُهُ فِي زَاوِيَةٍ
وَكَوْزٌ مَاءٍ بَارِدٍ تَشْرِبُهُ مِنْ صَافِيَةٍ
وَعُرْقَةٌ ضَيِّقَةٌ نَفْسُكَ فِيهَا خَالِيَةٌ
أَوْ مَسْجِدٌ بِمَغْزِلٍ عَنِ الْوَرَى فِي نَاحِيَةٍ
تَذْرُسُ فِيهِ دَفْتَرًا مُسْتَنَدًا لِسَارِيَةٍ
مُغْتَبِرًا بِمَا مَضَى مِنَ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ
خَيْرٌ مِنَ السَّاعَاتِ فِي فَيِّءِ الْقُصُورِ الْعَالِيَةِ
فَاسْمَعْ لِنُضْحِ مُشْفِقٍ يُدْعَى أَبَا الْعَتَاهِيَةِ

٧٨ أرجوزة «ذات الأمثال»

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَقْدِيرِهِ وَحُسْنِ مَا صَرَّفَ مِنْ أُمُورِهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ بِحَسَنِ صُنْعِهِ شُكْرًا عَلَى إِعْطَائِهِ وَمَنْعِهِ
حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوَّةُ مَا أَكْثَرَ الْقُوَّةَ لِمَنْ يَمُوتُ
إِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ فَكُلْ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يُغْنِيكَ

يغنيك : يقنعك

الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَا مَنْ عَرَفَ اللَّهَ رَجَا وَخَافَا
اللَّهُ حَسْبِي فِي جَمِيعِ أُمُورِي بِهِ غَنَائِي وَإِلَيْهِ فَقْرِي
لَنْ تُصْلِحَ النَّاسَ وَأَنْتَ فَاسِدٌ هَبْهَاتَ مَا أَبْعَدَ مَا تُكَابِدُ
لِكُلِّ مَا يُؤْذِي وَإِنْ قَلَّ أَلَمٌ مَا أَطَوَّلَ اللَّيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْمُ
مَنْ جَعَلَ النَّوْمَ عَيْنًا هَلَكَا مُبْلِغَكَ الشَّرَّ كَبَاغِيَهُ لَكَا
الْمَكْرُ وَالْخَبُّ أَذَاهُ الْغَادِرِ وَالْكَذِبُ الْمَخْضُ سِلَاحُ الْفَاجِرِ
أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ أُمُورِي كُلَّهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ رَبِّي لَهَا فَمَنْ لَهَا؟
مَا عَيْشٌ مَنْ أَفْتَهُ بِقَاوُهُ نَعَصَ عَيْشًا طَيِّبًا فَنَاوُهُ
إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ

الجدّة : الغنى، فمن «وجد» المال فهو ذو «جدّة»

يَا لِلشَّبَابِ، المَرْحِ، التَّصَابِي رَوَائِحُ الْجَنَّةِ فِي الشَّبَابِ
 كَانَ الْجَاظُ يَتَرَنَّمُ بِهَذَا الْبَيْتِ. تجسر على الشباب وعلى المرح وعلى التصابي، أي اللهو

هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلَمَنِي أَوْ قَدَرُ
 إِنْ الْفَسَادَ ضِدَّهُ الصَّلَاحُ
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدِنٌ وَجَوْهَرُ
 مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَلَيْسَ مَحْضُ
 يَخْبُثُ بَعْضُ وَيَطْيِبُ بَعْضُ
 إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ
 وَرُبَّ جِدٍّ جَرَّهُ الْمِرَاحُ
 إِلَّا لِأَمْرِ شَائِنُهُ عَجِيبُ
 وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ

المحض: الصافي... والصابي من كل شيء غير موجود، لا من بشر ولا من أشياء

إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنْشِيقُ الشَّحِيحَا
 يَا عَاشِقَ الدُّنْيَا تَسَلَّ عَنْهَا
 لِّلْمَوْتِ بِي جِدٍّ وَأَيُّ جِدٍّ
 أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ تَفَكُّرُ
 وَجِدَّتُهُ أَنْتَنَ شَيْءٍ رِيحَا
 وَيَلِي عَلَى الدُّنْيَا وَيَلِي مِنْهَا
 وَلَسْتُ لِلْمَوْتِ بِمُسْتَعِدٍّ
 مَا كُلُّ ذِي عَيْشٍ يَرَى مَا يُبْصِرُ

ذي عيش: إنسان

مَا انْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمِثْلِ عَقْلِهِ
 نَطْلُبُ أَنْ نَبْقَى وَلَيْسَ نَبْقَى
 لَا تَبْغِ مَا يُجْزِيكَ مِنْهُ دُونَهُ
 وَخَيْرُ ذُخْرِ الْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ
 كُلُّ سَيَلَقَى اللَّهَ حَقًّا حَقًّا
 وَإِنْ رَأَيْتَ النَّاسَ يَطْلُبُونَهُ

بجزيك: أي يجزئك أي يعوضك. والمعنى: لا تطلب شيئاً يعوضك عنه شيء أقل منه، واكتف بالموجود ما دام يسد الحاجة

مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَذَى
 لَيْسَلَمَ النَّاسُ جَمِيعاً مِنْكَ
 يَا رَبِّ أَسْعِدْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي
 قَدَّمَ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ قَدَّمَ
 لَا سَعَةً أَوْسَعَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ
 أَسْلَمَ مَقْبُوراً مُشَبَّعُوهُ
 سَاعَةً سَوَّوْا تُرْبَهُ عَلَيْهِ
 خَلَا أَخْ عَنْكَ فَلَا تُخَلِّهِ
 مَمْرُوجَةَ الصَّفْوِ بِأَلْوَانِ الْقَدَى
 وَارْضَ لَعَلَّ اللَّهَ يَرْضَى عَنْكَ
 وَلَا تُهِنِّي بَعْدَ إِذْ أَكْرَمْتَنِي
 أَفْ وَتُفَّ لِعَبِيدِ الدُّرْهِمِ
 مَنْ اعْتَدَى تَاءَ وَمَنْ تَاءَ حَمَقُ
 أَنْصَرُّوا عَنْهُ وَخَلَّفُوهُ
 وَلَوْ وَلَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ
 مَنْ لَكَ يَوْمًا بِأَخِيكَ كُلَّهُ

*** تكملة الديوان/ غير الزهد/ ولا يخلو المقبل من زهد وأكفان.. هذا

أبو العتاهية ***

٧٩ استراق البكاء

مَنْ لَمْ يَذُقْ حُرَقَ الْهَوَى لَمْ يَذُرْ مَا جَهْدُ الْبَلَاءِ
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لِي أَسَا رِقُّهُ الْبُكَاءِ مِنَ الْحَيَاءِ
فَإِذَا تَفَطَّنَ لَأَمْنِي فَأَقُولُ مَا بِي مِنْ بُكَاءِ
لَكِنْ ذَهَبْتُ لِأَرْتَدِي فَطَرَفْتُ عَيْنِي بِالرَّدَاءِ
حَتَّى أَشْكَّكَ فَيَسُ كُتَّ عَنْ مَلَامِي وَالْمِرَاءِ

المراء: المجادلة

٨٠ قطع السحاب

بمدح الرشيد وقد فتح هرقله:

أَلَا نَادَتْ هِرْقَلَةَ بِالْحَرَابِ مِنَ الْمَلِكِ الْمُؤَفَّقِ لِلصَّوَابِ
هرقله: مدينة في بلاد الروم غزاها الرشيد وخربها بعد قصته مع نفقور قائد الروم
غدا هَارُونُ يُرْعِدُ بِالْمَنَايَا وَيُبْرِقُ بِالْمُذَكَّرَةِ الْقِضَابِ
المذكرة القضا: السيف

وَرَايَاتٍ يَحِلُّ النَّصْرُ فِيهَا تَمُرُّ كَأَنَّهَا قِطْعُ السَّحَابِ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَفِرَتْ فَاسْلَمَ وَأَبْشُرُ بِالْغَنِيمَةِ وَالْإِيَابِ

٨١ تستعطف قاتل ابنها

قال على لسان زبيدة يخاطب المأمون، وكان المأمون قتل الخليفة محمد الأمين
أخاه لأبيه وابن زبيدة:

أَصَابَتْ بِرَبِّ الدَّهْرِ مَنِّي يَدِي يَدِي فَسَلَّمْتُ لِلْأَقْدَارِ، وَاللَّهَ أَحْمَدُ
وَقُلْتُ لِرَبِّ الدَّهْرِ إِنْ هَلَكْتُ يَدٌ فَقَدْ بَقِيَتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِي يَدٌ

إِذَا بَقِيَ الْمَأْمُونُ لِيْ فَالرَّشِيدُ لِيْ وَلِيْ جَعْفَرٌ لَمْ يُفْقَدْ، وَمُحَمَّدٌ
بِقَاؤِكَ أَيُّهَا الْمَأْمُونُ يَجْعَلُنِي أَشْعَرُ أَنَّ أَبَاكَ الرَّشِيدَ بَقِيَ لِيْ وَبَقِيَ لِيْ جَعْفَرُ أَبِي وَمُحَمَّدُ ابْنِي . كَذَا
نَسَاءُ الْقُصُورِ اللَّائِي عَرَفْنَ طَعْمَ السُّلْطَانِ . . هَذِهِ سَيِّدَةُ هَاشِمِيَّةٌ جَلِيلَةٌ، أَبُوهَا جَعْفَرُ بْنُ الْمَنْصُورِ
وَزَوْجُهَا هَارُونُ الرَّشِيدِ وَابْنُهَا مُحَمَّدُ الْأَمِينُ الْخَلِيفَةُ الَّذِي قَتَلَهُ أَخُوهُ الْمَأْمُونُ . وَبَعْدَ مَقْتَلِ ابْنِهَا
وَجَدَتْ جَفَاءً مِنَ الْخَلِيفَةِ الْجَدِيدِ - ابْنِ ضَرَّتِهَا الْمَأْمُونِ - فَبَعَثَتْ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ أَنْ يَرْقُقَ قَلْبَهُ
بِشَعْرِ، فَكَانَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ . وَسَمِعَهَا الْمَأْمُونُ فَدَخَلَ عَلَى زَيْبَةَ وَقَبَلَ رَأْسَهَا وَعَظَفَ عَلَيْهَا

٨٢ استعطاف السجين

يَا رَشِيدَ الْأَمْرِ أَرْشِدْنِي إِلَى وَجْهِ نُجْجِي لَا عَدِمْتَ الرَّشْدَا
أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ الرَّشِيدُ، الَّذِي أَمُورُهُ رَشِيدَةٌ، أَرْشِدْنِي إِلَى وَجْهِ نَجْجِي، طَرِيقَ خِلَاصِي
لَا أَرَاكَ إِلَّا سُوْءًا أَبَدًا مَا رَأْتُ مِثْلَكَ عَيْنٌ أَحَدًا
وَابِلَائِي مِنْ دَعَاوَى أَمَلٍ كُلَّمَا قَلْتُ تَدَانِي بَعْدَا
يَا لِلْبَلَاءِ مِنْ أَمَلٍ يَدْعُونِي إِلَيْهِ فَأَقُولُ قَدْ دَنَا الْإِفْرَاجُ، ثُمَّ يَتَعَدُّ الْأَمَلُ وَيَطُولُ سَجْنِي
كَمْ أُمْنَى بَعْدَ بَعْدٍ يَنْقُذُ الْعَمْرُ وَلَمْ أَلْقَ عَدَا

٨٣ ولاية العهد

قال حين عقد الرشيد لأولاده الأمين والمأمون والمؤمن ولاية العهد:

تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَيَقَنَ أَنَّهَا مُفَارَقَةٌ لَيْسَتْ بِدَارٍ خُلُودٍ
ابْتَعَدَ الرَّشِيدُ عَنِ الدُّنْيَا لِأَنَّهُ أَيْقَنَ أَنَّهَا مَفَارَقَةٌ، سَيَفَارِقُهَا الْمَرْءُ

وَشَدَّ عُرَى الْإِسْلَامِ مِنْهُ بِفَتِيَةٍ ثَلَاثَةَ أَمْلَاحٍ وَلاَةَ عُهُودٍ
وعين ثلاثة ولاية للعهد شد بهم عرى الإسلام، والعروة هي الأنشطة يشدها المرء على عنق الدابة
فتضيّق فلا تقلت الدابة، وفي لغتنا اليوم العروة هي الفتحة التي يدخل فيها الزر

بَنُو الْمُصْطَفَى هَارُونَ حَوْلَ سَرِيرِهِ فَخَيْرُ قِيَامٍ حَوْلَهُ وَقُعُودٍ
تُقَلِّبُ أَلْحَاطَ الْمَهَابَةِ بَيْنَهُمْ عُيُونُ ظِبَاءٍ فِي قُلُوبٍ أَسْوَدٍ
نظرات الهيبة تقلبها عيونهم الجميلة التي كعيون الظباء لكن ترفدها قلوب شجاعة

٨٤ رسالة السجين إلى سجنانه

كتب للرشيد حين حبسه:

أَنَا الْيَوْمَ لِيِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَشْهُرُ بُرَاحٍ عَلَيَّ الْهَمُّ مِنْكُمْ وَيَبْكُرُ

تَذَكَّرْ أَمِينَ اللَّهِ حَقِّي وَحُرْمَتِي وما كنتُ ثُولِيْنِي، لَعَلَّكَ تَذَكَّرُ
تُولِيْنِي: تعطيني

لِيَالِي تَذْنِي مِنْكَ بِالْقُرْبِ مَجْلِسِي وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَةِ يَقْطُرُ
فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَيَّ بِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ

٨٥ تضاحك في الميدان

جَرَى لَكَ مِنْ هَارُونَ بِالسَّعْدِ طَائِرُهُ إِمَامُ اعْتِزَامٍ لَا تُخَافُ بَوَادِرُهُ
جرى لك يا أبا العتاهية طائر السعد، رمز التفاؤل، من الخليفة هارون الرشيد، وهو إمام ذو عزيمة
ولا يخشى المرء بواده، أي مفاجاته غادراً

وَأَوْسَطُ بَيْتٍ فِي قُرَيْشٍ لَبَيْتُهُ وَأَوَّلُ عِزٍّ فِي قُرَيْشٍ وَآخِرُهُ
وَزَخِيفٌ لَهُ نَحْكِي الْبُرُوقِ سُبُوفُهُ وَنَحْكِي الرُّعُودِ الْقَاصِفَاتِ حَوَافِرُهُ
لمعان سيوفه كالبروق، وأصوات حوافر خيله كالرعود

إِذَا حَمَيْتُ شَمْسُ النَّهَارِ تَضَاحَكْتُ إِلَى الشَّمْسِ فِيهِ بَيْضُهُ وَمَغَافِرُهُ
كَانَ الْبَيْضُ، أَيْ الْخُودُ، وَالْمَغَافِرُ، بَقَايَا الْخُودِ الْمُنْسَدَلَةِ عِنْدَ الْقَذَالِ خَلْفَ الرَّأْسِ، تَتَبَادَلُ
الضحكات مع الشمس

إِذَا نَكَبَ الْإِسْلَامُ يَوْمًا بِنَكْبَةٍ فَهَارُونَ مِنْ بَيْنِ الْبَرِيَّةِ نَاصِرُهُ

٨٦ الليل الطويل

يَا رَبِّ لَيْلٍ طَوِيلٍ بِتُّ أَرْقُبُهُ حَتَّى أَضَاءَ عَمُودُ الصُّبْحِ فَانْفَجَرَا
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ، إِلَّا مُذْ عَرَفْتُكُمْ، أَنَّ الْمَضَاجِعَ مِمَّا يُنْبِتُ الْإِبْرَا
وَاللَّيْلُ أَطْوَلُ مِنْ يَوْمِ الْحِسَابِ عَلَى عَيْنِ الشَّجِيِّ إِذَا مَا نَوْمُهُ نَفَرَا

٨٧ الجنة الأرضية

لَهْفِي عَلَى الزَّمَنِ الْقَصِيرِ بَيْنَ الْخَوَزَنَقِ وَالسَّدِيرِ
إِذْ نَحْنُ فِي غُرَفِ الْجَنَّا نِ نَعُومُ فِي بَحْرِ السُّرُورِ
فِي فِتْيَةٍ مَلَكَوْا عِنَّا نَ الدَّهْرِ، أَمْثَالِ الصُّفُورِ
يَسْتَعَاوِرُونَ مُدَامَةً صَهْبَاءَ مِنْ حَلَبِ الْعَصِيرِ

يتعاورون: يتبادلون

عذراء رَئَاهَا شُعَا عُ الشَّمْسِ فِي حَرِّ الْهَجِيرِ
لَمْ تُذَنْ مِنْ نَارٍ وَلَمْ يَغْلَقْ بِهَا وَضْرُ الْقُدُورِ
لم يطبخ عنب تلك الخمر، ولم يقترب من وضر، وسخ، القدور

وَمُقَرَّطِي يَمْشِي أَمَا مَ الْقَوْمِ كَالرَّشَاءِ الْغَرِيرِ
رب فنى يلبس قرطاً، قميصاً أبيض، كأنه الرشأ الغرير، الطبي الصغير البريء، وهو يمشي بـ..
بِرُجَاجَةٍ تَسْتَخْرِجُ السَّ - رَّ الدَّفِينِ مِنَ الضَّمِيرِ
يمشي بزجاجة، أي بكأس، خمر تجعل الشارب يبوح بسرّه

وَمُخَصَّراتِ رُزْنَنَا بَعْدَ الْهُدُوِّ مِنَ الْخُدُورِ
مخصرات: ذوات خصور نحيلة، وجئن بعد الهدو، العتمة، من خدورهن، من وراء ستورهن
رِيًّا رَوَادِفُهُنَّ يَلُّ - بَسَنَ الْخَوَاتِمِ فِي الْخُصُورِ
الأرداف ريا كبيرة، والخصور نحيلة حتى ليكدن يلبسن فيها الخواتم

مُتَنَعِّمَاتٍ فِي النِّعَبِ مَ مُضَمَّخَاتٍ بِالْعَبِيرِ
مَا إِنْ يَرَيْنَ الشَّمْسَ إِلَّا - الْفَرْطَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ
لا يرين الشمس إلا الفرط، قليلاً، من الشقوق بين الستور

٨٨ اهتزازها من تحت الثياب

إِذَا مَا بَدَتْ وَالْبَدْرَ لَيْلَةً تَمُّه رَأَيْتَ لَهَا فَضلاً مُبِيناً عَلَى الْبَدْرِ
إذا ظهرت المحبوبة «عُتْبَةً» مع البدر أدركت أنها أجمل منه

وَنَهَزْتُ مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ كَأَنهَا قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ فِي وَرَقِ خُضْرِ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ أَمُوتَ صَبَابَةً بِسَاحِرَةِ الْعَيْنَيْنِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
النشر: الرائحة

٨٩ فتنفتست

قَالَ لِي أَحْمَدٌ وَلَمْ يَذَرْ مَا بِي أَتَجِبُ الْغَدَاةَ عُتْبَةً حَقًّا
فَتَنَفَّسْتُ ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ حُبًّا - أَا جَرَى فِي الْعُرُوقِ عِرْقًا فَعِرْقًا
قَدْ لَعَمْرِي مَلَّ الطَّبِيبُ وَمَلَّ الـ أَهْلُ مِنِّي مِمَّا أَقَاسِي وَأَلْقَى

لِيَتَنِي مُتً فَاَسْتَرْخْتُ فَإِنِّي أَبْدَأُ مَا حَيْثُ مِنْهَا مُلْقَى

ملقى: مصاب بالشور

٩٠ الشوق إلى قعيدة بيتي

حبسه الرشيد واشترط عليه أن يقول في الغزل حتى يطلقه، وأصر أبو العتاهية ألا يفعل، ثم تغزل بزوجه حتى ينال حرته:

مَنْ لِقَلْبٍ مُتَيِّمٍ مُشْتَاكِ شَفُّهُ شَوْقُهُ وَطُولُ الْفِرَاقِ
طَالَ شَوْقِي إِلَى قَعِيدَةِ بَيْتِي لَيْتَ شِعْرِي فَهَلْ لَنَا مِنْ تَلَاقٍ
هِيَ حَظِّي قَدْ اقْتَصَرْتُ عَلَيْهَا مِنْ ذَوَاتِ الْعُقُودِ وَالْأَطْوَاكِ
الطوق: العقد الضيق، كطوق الحمامة. وفي زمننا أطلقوه على قوس يجس الشعر فوق رأس الفتاة

جَمَعَ اللَّهُ عَاجِلًا بِكَ شَمْلِي عَنْ قَرِيبٍ وَفَكَّنِي مِنْ وَثَاقِي

٩١ خبز بلا إدام

قال يذم السحاقيات:

أَلَا يَا ذَوَاتِ السَّحَقِ فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ أَفَقَنْ فَإِنَّ النَّبْكَ أَشْفَى مِنَ السَّحَقِ
ذاك الشيء المكتوب مصحفاً أشفى، أكثر إرواء، مما أنتن فيه

أَفَقَنْ فَإِنَّ الْخُبْزَ بِالْأَدَمِ يُشْتَهَى وَلَيْسَ يَسُوءُ الْخُبْزُ بِالْخُبْزِ فِي الْخَلْقِ
الأدم: الإدام

أَرَاكُنَّ تَرْقَعْنَ الْخُرُوقَ بِمِثْلِهَا وَأَيُّ لَبِيبٍ يَرْقَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقِ
وهل يضلح المهراسُ إلا بعُودِهِ إِذَا احتججَ منه ذاتُ يومٍ إِلَى الدَّقِّ
المهراس: الهاون الذي فيه تدق الأبار والبن

٩٢ شكوى المطايا

يمدح عمر بن العلاء، من قادة المهدي:

إِنِّي أَمِنْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَرَيْبِهِ لَمَّا عَلِقْتُ مِنَ الْأَمِيرِ حَبَالَا
لَوْ يَسْتَطِيعُ النَّاسُ مِنْ إِجْلَالِهِ لَحَذَّوْا لَهُ حُرَّ الْوُجُوهِ نِعَالَا
لشدة تعظيمهم له لا يمانعون أن يحذوا، أي يقصوا، حر وجوههم، أي أواسطها، نعالاً له

ما كان هذا الجود حتى كنت يا عمرؓ، ولو يوماً تَزُولُ لَزَالَا
 إن المَطَايَا تَشْتَكِيكَ لَأَنَّهُمَا قَطَعْتَ إِلَيْكَ سَبَاباً وَرِمَالَا
 قطعت الإبل السباب، الصحارى، كي تلتاق أيها الممدوح

فإذا أَتَيْنَ بِنَا أَتَيْنَ مُخَفَّةً وإذا رجعنا بنا رجعنا ثِقَالَا
 تأتي بنا الإبل خفيفة وتعود ثقيلة بما حملنا عليها من عطايك

٩٣ ما تصنع بالسيف؟

يهجو عبد الله بن معن بن زائدة:

لَقَدْ بُلِّغْتُ مَا قَالَا فَمَا بَالَيْتُ مَا قَالَا
 قَضَعْتُ مَا كُنْتَ حَلَيْتُ بِهِ سَيْفَكَ خَلَجَالَا
 فما تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالَا

٩٤ أتنه الخلافة منقادة

يمدح المهدي:

أَلَا مَا لِسَيِّدَتِي مَا لَهَا أَذَلًّا؟ فَأُخْمِلُ إِذْ لَهَا
 ما للمحبة؟ أهو الدلال الذي يجعلها تصد عنا؟ فهذا نتحملة بسرور

وَأَلَّا فَفَهِمَ تَجَنُّتُ، وَمَا جَنَيْتُ، سَقَى اللَّهَ أَطْلَالَهَا
 فإن لم يكن مجرد دلال فلماذا تتجنى علي؟ وماذا جنيت أنا، ويدعو لبيوتها بالسقيا

أَلَا إِنَّ جَارِيَةَ لِإِلَامَا مِ قَدْ أَسْكِنَ الْحُسْنَ سِرْبَالَهَا
 يتغزل بعتبة وهي جارية من جواري الإمام، أي المهدي، وكان المهدي حاول تزويجها من أبي
 العتاهية فرفضت الجارية بشدة، يقول: الجمال سكن في سربالها، أي ثوبها

مَشَتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارِ الْخُطَا تُجَاذِبُ فِي الْمَشْيِ أَكْفَالَهَا
 مشت بين صوحيباتها اللاتي يمشين ببطء بخطا قصيرة، وهي تجذب أكفالها يميناً وشمالاً

وَقَدْ أَتَعَبَ اللَّهَ نَفْسِي بِهَا وَأَتَعَبَ بِاللَّوْمِ عُذَالَهَا
 كَأَنْ بَعَيْنِي فِي حَيْثُ مَا سَلَكْتُ مِنَ الْأَرْضِ تِمَثَالَهَا
 أَنَّهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةٌ إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالَهَا

يمدح المهدي:

وَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا

وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرَهُ لَزُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
 وَلَوْ لَمْ تُطِغْهُ بَنَاتُ الْقُلُوبِ لَمَا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا
 وَإِنَّ الْخَلِيفَةَ مِنْ بُغْضٍ «لَا» إِلَيْهِ لَيُبْغِضُ مَنْ قَالَهَا
 واستحسن بشار أبيات المديح في هذه القصيدة التي هي من أشهر قصائد أبي العتاهية

٩٥ أخت بني شيبان

قال يهجو عبد الله بن معن بن زائدة:

سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ ابْنَ مَعْنٍ بِمَا أَرَى بِهِ مِنْ قِلَّةِ الْعَقْلِ
 قَالَ ابْنُ مَعْنٍ وَجَلَّ نَفْسَهُ عَلَى الْقَرَابَاتِ مِنَ الْأَهْلِ
 يشبهه بالمرأة التي تجلو نفسها، أي تظهر نفسها بكل زينتها، على صوحيباتها مدلةً بجمالها
 أَنَا فِتْنَةُ الْحَيِّ مِنْ وَائِلٍ فِي الشَّرَفِ الشَّامِخِ وَالنُّبْلِ
 نفتخر بأنها من خير فرع في قبيلة وائل

مَا فِي بَنِي شَيْبَانَ أَهْلُ الْحَجَا جَارِيَةٌ وَاحِدَةٌ مِثْلِي
 وقبيلة شيبان من وائل، أهل الحجا: أهل العقل

يَا لَيْتَنِي أَبْصَرْتُ دَلَالَةً تَدُلُّنِي الْيَوْمَ عَلَى فَحْلٍ
 وَيُلِي وَيَا لَهْفِي عَلَى أَمْرٍ يُلْصِقُ مِنِّي الْقُرْطَ بِالْحَجَلِ
 الأمرد: الشاب لم تنبت بعد لحيته، تريده أن يلصق قرطها، حلق أذنها، بحجلها، بخلخالها

صَافَحْتُهُ يَوْمًا عَلَى خَلْوَةٍ فَقَالَ دَعْ كَفِّي وَخُذْ رِجْلِي
 يقول أبو العتاهية إنه صافح عبد الله هذا في خلوة، وهما وحدهما، فأراد منه عبد الله أن يترك كفه ويأخذ برجله

أَخْتُ بَنِي شَيْبَانَ مَرَّتْ بِنَا مَمْشُوطَةً كُورًا عَلَى بَغْلٍ
 يعود إلى تشبيهه بالفتاة التي مرت راكبة بغلاً، والكور مما يوضع فوق ظهر الدابة

تُكْنَى أَبَا الْفَضْلِ وَيَا مَنْ رَأَى جَارِيَةً تُكْنَى أَبَا الْفَضْلِ
 قَدْ نَقَطَتْ فِي وَجْهِهَا نُقْطَةً مَخَافَةَ الْعَيْنِ مِنَ الْكُحْلِ
 إِنَّ زُرْتُمُوهَا قَالَ حَجَّابُهَا نَحْنُ مِنَ الرُّؤَايَا فِي شُغْلِ
 مَوْلَانَا مَشْفُوءَةٌ عِنْدَهَا بَعْلٌ وَلَا إِذْنَ عَلَى الْبَعْلِ

يَا بِنْتَ مَعْنِ الْخَيْرِ لَا تَجْهَلِي وَأَيْنَ إِقْصَارٌ عَنِ الْجَهْلِ
لا تكوني منهورة حائقة، وإن كان الإقصار والكث من الجهل بعيداً منك

أَتَجْلِدُ النَّاسَ وَأَنْتَ امْرُؤٌ تُجْلَدُ فِي الدُّبْرِ وَفِي الْقُبُلِ
يعود إلى مخاطبته بضمير المذكر: كيف تجلد الناس، ويبدو أن الرجل أمر بجلد أبي العتاهية،
وأنت تتلقى الجلد هنا وهنا!

مَا يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَنْسَبُوا مَنْ كَانَ ذَا جُودٍ إِلَى الْبَخْلِ
لا ينبغي اتهامك بالبخل..

يَبْذُلُ مَا يَمْنَعُ أَهْلُ النَّدَى هَذَا لَعَمْرِي مُنْتَهَى الْبَذْلِ
فأنت تسخو بما يمنعه أهل الندى والسخاء.. أنت تبذل الفاحشة..

مَا قُلْتُ هَذَا فَيْكَ إِلَّا وَقَدْ جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ مِنْ قُبُلِي

٩٦ يلحس بصقته

قال في صلحه مع عبد الله بن معن بن زائدة، وكان عبد الله جاء بأبي العتاهية
وأمر غلمانهم ففعلوا به الفاحشة لأنه هجاه، ثم قال له هل لك في عشرة آلاف درهم
ويكون الصلح أم تقيم على الحرب؟ فاختر العتاهي الصلح، فقال له عبد الله: أسمعني
ما تقول في الصلح، فقال:

عَذَلُونِي فِي اغْتِفَارِي لَا بِنَ مَعْنٍ وَاحْتِمَالِي
كُلُّ مَا قَدْ كَانَ مِنْهُ فَلِقُبْحٍ مِنْ خِلَالِي
خلالي: صفاتي

إِنَّمَا كَانَتْ يَمِينِي صَرَمْتُ جَهْلًا شِمَالِي
صرمت: قاطعت وهجرت

قُلْ لِمَنْ يَعْجَبُ مِنْ حُسْنِ رِجْوَعي وَإِنِّي قَالِي
قَدْ رَأَيْنَا ذَا كَثِيرٍ جَارِيًا بَيْنَ الرِّجَالِ
رُبُّ وَضَلٍ بَعْدَ صَدِّ وَقَلَى بَعْدَ وَضَالٍ
القلَى: الهجر

٩٧ أقول الأصمعي

أَسِفْتُ لِفَقْدِ الْأَصْمَعِيِّ، لَقَدْ مَضَى حَمِيداً، لَهُ فِي كُلِّ صَالِحَةٍ سَهْمٌ
تَقَضَّتْ بِشَاشَاتُ الْمَجَالِسِ بَعْدَهُ وَودَّعْنَا، إِذْ وَدَّعَ، الْأَنْسُ وَالْعِلْمُ
وَدَّعْنَا الْأَنْسُ وَالْعِلْمُ إِذْ وَدَّعَا الْأَصْمَعِي

وَقَدْ كَانَ نَجْمَ الْعِلْمِ فِيْنَا حَيَاتَهُ فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَامُهُ أَقْلَ النَّجْمِ

٩٨ حجبوها عن الرياح

حَجَبُوهَا عَنِ الرِّيحِ لِأَنِّي قُلْتُ يَا رِيحُ بَلِّغِيهَا السَّلَامَا
لَوْ رَضُوا بِالْحِجَابِ هَانَ، وَلَكِنْ مَنَعُوهَا يَوْمَ الرَّحِيلِ الْكَلَامَا
وَزَادَ مَانِي الْمَوْسُوسَ :

فَتَنَفَّقْتُ ثُمَّ قُلْتُ لِطَبِيفِي وَيَاكَ لَوْ زُرْتَ طَبِيفَهَا إِلَمَا
حَبَّهَا بِالسَّلَامِ سِرّاً، وَإِلَّا مَنَعُوهَا لِشِقْوَتِي أَنْ تَنَامَا
أَبْيَاتُ يَغْنَى بِهَا فِي زَمَنَاتَا

٩٩ أنت أكبر همي

قُلْ لِمَنْ لَسْتُ أَصْمِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي
بِأَبِي أَنْتَ لَقَدْ أَصَا بَحَثَ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي
مَنْ يَكُنْ يَجْهَلُ مَا أَلْ مَقَى فَإِنَّ الْحَبَّ سُقْمِي
إِنْ رُوحِي لَسِبَبْغَدَا دَ وَبِالْكُوفَةِ جِسْمِي

١٠٠ غدر الزمان وأهله

أَجْفَوْتَنِي فِيمَنْ جَفَانِي وَجَعَلْتَ شَأْنَكَ غَيْرَ شَانِي
وَلَطَالَمَا أَمْنَتَنِي مِمَّا أَرَى كُنْلَ الْأَمَانِ
أَمْتَنِي الْأَمَانَ كُلَّهُ مِمَّا أَرَى مِنْ مَصَائِبِ

حَتَّى إِذَا انْقَلَبَ الزَّمَانُ نُنْ عَلَيَّ صِرْتُ مَعَ الزَّمَانِ

١٠١ الشجوي والخلي

أَخْلَايَ بِي شَجَوُ وَلَيْسَ بِكُمْ شَجَوُ وَكُلُّ أَمْرِي عَنْ شَجَوِ صَاحِبِهِ خَلَوُ
وَمَا مِنْ مُحِبٍّ نَالَ مِنْ يَحِبُّهُ هَوَى صَادِقاً إِلَّا سَيَدْخُلُهُ زَهُوُ

المرأة إذا أوقعت الرجل في حبها تزهو وتفتخر وتصد

وَعَلَّقْتُ مَنْ يَزْهُو عَلَيَّ تَجَبُّراً وَإِنِّي عَلَى كُلِّ الْخِصَالِ لَهُ كُفُوُ
رَأَيْتُ الْهَوَى جَمَرَ الْغَضَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ خُلُوُ

١٠٢ الانتصار على نفقور

يمدح الرشيد بعد أن أخضع نفقور:

لَكَ اسْمَانِ شُقَا مِنْ رَشَادٍ وَمِنْ هُدَى فَأَنْتَ الَّذِي تُدْعَى رَشِيداً وَمَهْدِيّاً
فَضَى اللَّهُ أَنْ يَبْقَى لِهَارُونَ مُلْكُهُ وَكَانَ قِضَاءُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَقْضِيّاً
تَحَلَّبَتِ الدُّنْيَا لِهَارُونَ بِالرِّضَا وَأَصْبَحَ نِفْقُورٌ لِهَارُونَ ذِمِّيّاً

تحلبت: سالت، ذمياً: أي تابعاً يدفع الجزية

١٠٣ مدح الأمين

قال حين جلس الأمين في الخلافة:

يَا ابْنَ عَمِّ النَّبِيِّ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ إِنَّمَا أَنْتَ رَحْمَةٌ لِلرَّعِيَّةِ
يَا إِمَامَ الْهُدَى الْأَمِينَ الْمَصْقَى يَا أُبَابَ الْخِلَافَةِ الْهَاشِمِيَّةِ
لَكَ نَفْسُ أَمَارَةٍ لَكَ بِالْخَيْرِ بِرٍ وَكَفٍّ بِالْمَكْرُمَاتِ نَدِيَّةِ

١٠٤ أصدقاء وقت الرخاء

أَرَى قَوْماً وَجُوهُهُمْ حَسَنَانُ إِذَا كَانَتْ حَوَائِجُهُمْ إِلَيْنَا
وَإِنْ كَانَتْ حَوَائِجُنَا إِلَيْهِمْ يُقَبِّحُ حُسْنَ أَوْجُهُهُمْ عَلَيْنَا
فَإِنْ مَنَعَ الْأَشِيعَةَ مَا لَدَيْهِمْ فَإِنَّا سَوْفَ نَمْنَحُ مَا لَدَيْنَا

١٠٥ الواعظ والمتعظ

أَلَا مَنْ لِي بِأَنْسِكَ يَا أَخِيَا وَمَنْ لِي أَنْ أُبَشِّكَ مَا لَدَيَا

طَوْتُكَ خَطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرِ
 فَلَوْ نَشَرْتَ قُورَاكَ لِي الْمَنَايَا
 بِكَيْتِكَ يَا عَلِيٍّ بِدَمْعِ عَيْنِي
 كَفَى حُزْنًا بِدَفْنِكَ، ثُمَّ إِنِّي
 وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتُ
 كَذَاكَ خَطُوبُهُ نَشْرًا وَطَيًّا
 شَكُوتُ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتُ إِلَيَّا
 فَمَا أَغْنَى الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئًا
 نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَّا
 وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١	تَعَبِ	٧٨	الأرجوزة
٢	جَوَابِي	٧٩	البَلاءِ
٨٠	لِلصَّوَابِ	٢	فَنَاؤُهَا
١٠	أَدَبِ	٢	عَنَائِكَا
٢	وَجَبِ	٣	بَابَا
١٢	خُطُوبُهَا	٦	الخُطُوبُ
١١	وَتُقَلَّبُهُ	٢	العَرَبِ
١٥	الْأَمْوَآتَا	٩	الكَثِيبُ
١٩	الثَّبَاتَا	٧	النَّحِيبُ
٢	فَتَمَنَّيْنَا	٢	نُجِيبُ
١	المَوْتُ	١	تُنُوبُ
٢	أَنْعَتُ	١	ذَهَبُ
٢	كَثِيرَاتُ	٥	عَجَبُ
٢	يَمُوتُ	٤	قِيبُ
١٨	المَمَاتِ	٢	نَصِيبُ
١٦	بِمَوَاتِ	٢	الرَّايِكِ
١٧	عَادَتِ	٨	تَبَابِ
١٤	عَثَرَاتِي	٢	تَتَوِي

٢	عَدِ	مَقْدِرَةٌ ١	
٢	مَوْدُودٍ	وَالشُّبُهَاتِ ٢	
٢	وَالْمُؤَيَّدِ	وَالْمَلَالَاتِ ٢	
٢٥	بَعْدَهَا	وَعَنْتِ ١٣	
٢	وَلَدِيْهِ	وَأَتَيْتُهَا ٢	
٧٨	ذَاتِ الْأَمْثَالِ	بِعَبْرَتِيْهِ ٢	
٢	النَّهَارِ	تَأْتِيْهَا ٢	
٨٦	فَانْفَجَرَا	الْأَحَدُتِ ١	
٢	مِرَارًا	حَاثِ ٢	
٢	مُسْتَقَرًّا	رَجَا ٢	
١	وَالْحَذَرُ	تَفُوحُ ٢٠	
١	وَمُرٌّ	مَا دِخُ ٢	
٨٤	وَيَبْكُرُ	الْمُدَّاحِ ١	
٨٨	الْبَدْرِ	النَّوَاحِي ٢	
٢٧	الدَّهْرِ	عَدِ ١	
٢	السَّفَرِ	أَحَدًا ٢٢	
١	الْفَقْرِ	الرَّشْدَا ٨٢	
١	الْفَقْرِ	شَدًّا ٢٤	
٢	النَّارِ	أَحَدُ ٢٣	
٢	سَفَرِ	أَحْمَدُ ٨١	
٢	عُمَرِي	خَالِدُ ٢١	
٨٧	وَالسَّيْرِ	يَدُ ٢	
١	يُقْبِرُ	يُرِيدُ ٢	
١	بَشَرُ	يَوَدُّ ٢	
٢٦	وَأَنْذَرُ	الْمَجْدِ ٢	
٨٥	بَوَادِرُهُ	خُلُودِ ٨٣	

٢	فَقِفْ	٢٩	يُضْرَةُ
٨٩	حَقًّا	٧٨	أُمُورِهِ/الأرجوزة
١	طَلَقًا	٢٨	خَبْرَهُ
٤٠	وَالْغَرْقُ	٢	الْإِنْسِ
٤١	التَّعْوِيقِ	٢	فَسَّهَا
٣٩	الْحَلْقِ	٣٠	فَمَضَى
٩١	السَّحْقِ	٢	أَرْضًا
٩٠	الْفِرَاقِ	٢	التَّقَاضِيَا
٢	طَرِيقِ	٢	وَمُصْنَعَا
٢	يَتَفَرَّقِ	٣١	تَتَمَقَّعُ
٢	تَفَقُّهُ	٢	تَتَفَيَّعُ
٢	خَالِقُهُ	١	دُمُوعُ
٢	أَذَاكَ	٣٥	مُتَسَّعُ
١	عَلَيْكََا	٣٤	يَتَسَّعُ
٢	مِنْكََا	٣٢	تَبَّعُ
١	مَلِكُ	٢	زُرْعُ
١	أَرْكِ	١	وَقَعُ
٢	الْفَلَكِ	١	السَّاعَةُ
٢	لِيَنْفَعَكَ	٢	الْمَنْفَعَةُ
٤٤	بِشْكِهِ	١	جَمَاعَةُ
٢	أَمَلَا	٢	لِيَنْفَعَكَ
٩٢	جِبَالَا	٢	وَالدُّرَاعَةُ
٥٢	ذَلِيلَا	٣٦	وَيَرْفَعُهُ
٢	طَلُوبِلَا	١	رَغِيْفُ
٩٣	قَالَا	٣٧	التَّعَقُّفِ
٢	نَوَالَا	٣٨	بِأَسْلَافِي

٥٦	قَتَابِلُهُ	١	والمولى
٥٨	تُبَالُهُ	٥١	الماءُ
٩٨	السَّلامَا	٢	جَلِيلُ
٢	عِلْمَا	١	مَشْغُولُ
٦٠	الظَّلُومُ	٥٥	الرجالِ
٢	المَكَارِمُ	٢	السَّاحِلِ
٩٧	سَهْمُ	٥٤	الظَّلَالِ
٢	مُحَكَّمُ	٩٥	العَقْلِ
٢	والتَّعِيمُ	٤٦	المُحْتَالِ
٥٩	وسلامُ	٤٨	حالِ
٢	تَسْلِمُ	٢	كَسَلِ
٢	والتَّقِيمُ	٥٠	للرحيلِ
٩٩	وَأُمِّي	٥٣	وَأَجَالِ
٢	والتَّعْدَمُ	٩٦	واحتِمَالِي
٢	يَذُمُ	٢	والعملِ
١٠٤	إِلَيْنَا	٢	وَحَلِيلِي
٢	فَأَحْسَنَا	٤٥	وَزَوَالِ
٢	كَانَا	٤٩	وَقَالَ
١	الكَفْنُ	٤٧	ثَقِيلُ
٦٨	تَتَسَمَّنُ	١	قَتِيلُ
٦٣	تَكُونُ	٩٤	إِذْ لَأَلَّهَا
٢	لَيْسُنُ	٢	الْفَلَكَ
٢	مَكَانُ	٤٣	تَنَالَكَ
٦٥	زَمَانِ	٤٢	جَمَالَكَ
٦٤	زَمَانِي	٥٧	وَأَذَلَّهَا
١٠٠	شَانِي	٢	عَقْلُهُ

٧٢	فُنُونُهُ	٦٢	ظَلْمُونِي
٢	أَقْمَاهُ	٢	فَابْكِيَانِي
١	وَجْهُهُ	٦١	مُعَنَّ
١٠١	خِلْوُ	٢	مِنِّي
٧٦	سِنُوهُ	٦٦	مِنِّي
١	بَقِيَا	٦٩	يراني
١٠٥	لَدَيَا	٦٧	يَقْطِينِ
٢	لِيَا	٧٠	يَكْفِينِي
١٠٢	وَمَهْدِيَا	١	الْحَزَنُ
٧٧	زَاوِيَةُ	٢	الرَّزَمَنُ
١٠٣	لِلرَّعِيَّةِ	٢	حَسَنُ
٢	نَاحِيَّةِ	٧٥	تَمَنَّاهُ
١	عَلَيْهِ	٢	حَسَنَةُ
٧٤	لَدَيْهِ	٧٣	دُونَهَا
٢	يَدَيْهِ	٧١	سُلْطَانِيهِ

العباس بن الأحنف

(١٣٣هـ - ١٩٢هـ)

يقول ريجيس بلاشير في تصديره لديوان العباس بن الأحنف، مخاطباً تلميذته محققة الديوان عائكة الخزرجي: «لعل العباس لم يحي في مغامراته التي أنشدها في شعره، ومن المحقق أنه لم تكن لتلك المغامرات ما رسمه من صور، ولكنه تخيلها في ألوان رقيقة مثلثها له أشواقه العلوية، فلما استحالت شعراً أصبحت حقيقة، ولذا فقد حافظ شعره على ميزة نادرة، وهي قدرته على أن يثير أصداء حية في وجداننا العصري، وهو بالغ ذلك دون عناء، على جناح لغة سلسلة لا تكلف فيها. . هو صوت يتردد بنبرات صافية لا ثقل فيها ولا فضول». اهـ

ونحن نوافق على حكم بلاشير على شعر العباس بن الأحنف، فإن كنت قرأت لنا نقداً لحكم هذا المستشرق عينه على شعر المتنبي فذلك لأن بين شعر المتنبي وشعر العباس بؤناً. فبلاشير الفرنسي المتأدب بأداب العربية منذ يفاعته، يفهم العربية ويحسنها، وقد تربى تربية فرنسية فهو يفهم المشاعر الرقيقة التي يشترك فيها كل البشر الموجودة في شعر العباس، ولكننا لم نأمنه على شعر المتنبي الذي هدم اللغة العربية ثم بناها بناء جديداً، والذي عبر عن مشاعر تختلط فيها حرية البداوة بثقافة عريضة وفرها له عصره. باختصار وحتى لا يقعد كلامي على قلبك: المتنبي شيء آخر.

فأما العباس بن الأحنف فشاعر رقيق وشخص رقيق. ولئن تقدم العباس المتنبي بمئة وخمسين سنة فإن لغته كانت أسهل من لغة المتنبي، بل هي كانت أسهل بسبب ذلك التقدم. فما وصلت اللغة العربية إلى زمن المتنبي في النصف الأول من القرن الهجري الرابع حتى كانت قد تضمخت بالثقافة والسياسة

والحضارة. فأما شاعرنا العباس فقد عاش في الزمن الأول من أزمنة التأليف، ومات ولما يكتب الجاحظ كتابيه الكبيرين «الحيوان» و«البيان والتبيين».

جولة في الإنترنت

قد جُلت جولة في الإنترنت فرأيت ما فيه عن العباس بن الأحنف من نُقولٍ عن الأغاني والديوان. ولم أجد سوى قلة ممن تنبهوا إلى النسخة المحققة المتينة من الديوان. جلت هذه الجولة حتى أضمن أن أقدم لك في هذه المقدمة شيئاً مختلفاً. وكنت قبلئذ وعيت ما قالته الكتب القديمة عن العباس، وهو قليل. وقرأت ما كتبه بلاشير في «موسوعة الإسلام» المستشرقية عن شاعرنا. ويبقى تحقيق عاتكة الخزرجي للديوان (صدر بمصر ١٩٥٤) أهم المراجع. نضيف إليه الصفحات العشرين التي في الأغاني. وما سوى ذلك مما في كتب الأدب القديم فالتفتة بعد التفتة، والاقتراسات الكثيرة من شعره، هنا بيتان وهناك ثلاثة، وهلم جرا. وفي ذلك نفع لنا عظيم. فنحن من خلال هذه المقتبسات نرى القدماء يعرضون علينا أذواقهم، وتتفاعل معهم ويتعمق شعورنا بروعة البيت الفلاني، أو ننفر من البيت الفلاني لأنهم ما أكثروا اجتراحه إلا لنكتة بلاغية سطحية. ولا يندر أن يلفتنا القدماء إلى بيت لم نكن نتذوق فيه شيئاً حلواً، فتتأثر بهم ونعثر على ذلك الشيء الحلو، وهماً منّا، أو لمعنى خفي في ذلك البيت كان فاتنا التنبُّ إليه.

ونحن هنا في شرحنا لما اخترناه من أبيات لا نقول لك تحت كل بيت إن هذا مما استحسنة فلان، ولا نقص عليك تلك الحكايات التي ألصقها القدماء بأبيات بعينها، فاستيفاء ذلك يقتضي منا بحثاً أطول مما نريد، كما يقتضي الخوض في شتى الروايات، فلكل قصة ولكل أسطورة روايات. ونحن ندرك أن مما يزيد متعة المتأدبين أن يعرفوا رأي الأصمعي وابن المعتز وأبي نواس في هذا البيت أو ذاك، وفي هذه القصيدة أو تلك. لم نورد من ذلك إلا القليل. مجالنا مجال شعر لا مجال نوادر. وكتبنا الأدبية القديمة عامرة بالنوادر، فقد كانت في معظمها كتب «محاضرة». . . وضعها واضعوها كي يزودوا الناس بمادة «يحضرون» بها المجالس ويروحون بها عن الأمراء والكبراء. عليك بالأغاني والشعر والشعراء والموشح والكامل والإمتاع والمؤانسة والعقد الفريد، فهناك النوادر.

حياة العباس بن الأحنف

كان عم أبيه «حاجب بن قدامة»، وأبوه «الأحنف بن الأسود بن قدامة» من صفار المتصرفين التابعين للأمير العجوز نصر بن سيار الوالي الأموي في خراسان. والعائلة من بني حنيفة، فهم مثل الوالي الأموي عرب أقحاح، وكانت خراسان في دولة بني أمية محكومة بالعرب كما هو الحال في معظم مناطق الدولة الأموية. وأصبح هؤلاء العرب يديرون البلاد الشاسعة بصعوبة مع بروز العناصر الوطنية واكتسابها اللغة العربية ودخولها في الجيوش. على أن المنافس الحقيقي للوالي الأموي كان عربياً أيضاً. كان هذا المنافس الدعوة العلوية التي لا تفتأ تبرز بين الحين والحين على شكل خروج على السلطان يقوده أحد العلويين. ثم اشتدت الدعوة العباسية، وتحالف العباسيون والعلويون، أو قل إن العباسيين تولوا عن العلويين أمر الثورة، وخرجوا على السلطان باسم العلويين، تحت راية هاشمية عريضة.

ويبدو أن حاجباً الحنفي، العم، انحاز إلى رجال الثورة العباسية فكان من رجال أبي مسلم الخراساني، وأبو مسلم رجل عربي الثقافة خراساني الأصل. وخراسان آنذاك تضم أفغانستان الحاضرة وجزءاً من إيران وأجزاء من الدول المجاورة. ولعل والد شاعرنا أيضاً انضم إلى الدعوة العباسية. على أنه مع انتصار هذه الدعوة في عام ١٣٢هـ تحول إلى البصرة. وفي البصرة ولد العباس سنة ١٣٣هـ.

نشأ العباس بن الأحنف في البصرة. ولم يطرأ عليه ولا على أسرته اضطراب نعرفه عندما قُتل الخليفة المنصور أبا مسلم، وللعباس أربع سنين. فقد كانت الأسرة قد خرجت من الولاء لأبي مسلم، ودخلت في ولاء الدولة العباسية التي سرعان ما استقرت. ولعل هذه الأسرة تنفست الصعداء بمقتل باني الدولة العباسية، فما مات أبو مسلم إلا بعد أن قتل ستمئة ألف إنسان (قيل قتلهم كلهم صبراً أي إعداماً، ولا نصدق الرقم، فلنجعله ستين ألفاً، أو حتى ستة آلاف؛ هذا كثير حقاً).

لعل الأحنف والد العباس حمل ولده إلى بغداد بعيد إنشائها، فقد أتم الخليفة المنصور تشييد عاصمته الجديدة في عام ١٤٩ ونزلها مع قواده، وتأخر سكن العامة فيها بضع سنين.

كان العباس، شاعرنا، في السادسة عشرة من عمره عندما انتقلت الأسرة

إلى بغداد. وسرعان ما توفي الوالد. وبقي العباس مع أعمامه في بغداد، يتعلم كما يتعلم أبناء الطبقة الوسطى على أيدي المؤدبين، أو يحضر الدروس في المساجد. ولعله كان يساجل في الشعر بعض أنسابه من آل الصولي الذين كان قد بدأ يعلو نجمهم في دولة الأدب ودولة السياسة.

فمن المؤكد على هذا أن إجماع المصادر على عبارة «نشأ في بغداد» ليس صحيحاً. ومن طرائف بعض «الباحثين» أنه جعل ميلاد العباس قبل بناء بغداد بخمسين سنة، ثم قال بعد سطر واحد إنه نشأ ببغداد.

غير أن العباس تعلم الشعر في البصرة بالتأكيد، فهو معاصر أبي نواس الذي تعلم الشعر بالبصرة على أيدي مجانها. فأما العباس فلم يختلط بالمجان، فيما نحسب، ولكننا على شبه يقين من أنه سمع شعرهم، وسمعوا شعره. سمع بشار شعره وقال فيه عندما سمع قصيدته «أرأيت عيناً للبكاء تعار»: «ما زال غلام بني حنيفة يدخل نفسه فينا ويخرجها حتى قال هذا الشعر». وكان بشار قد ملأ البصرة شعراً.

في بغداد - التي تصر كل المراجع على أن العباس نشأ فيها، ولم ينشأ فيها بل دخلها يافعاً - كان العباس من «أولاد الذوات». كانت أسرته على صلة بدار الخلافة. ولكن العباس نشأ شاعراً، فلم تشأ له جيناته أن يصبح قائداً ولا وزيراً ولا عاملاً.

نعرف أنه اتصل بهارون الرشيد، وأن الرشيد كان يسمع أشعاره ويقدرها، غير أن الخليفة العباسي الخامس كان يفضل أبا العتاهية على العباس بن الأحنف.

للعباس بن الأحنف مواقف في مجلس الرشيد، ففي هذا المجلس كانت له مع الأصمعي مناكفة. وأحب المغنون شعر العباس حباً جماً، فكأنه شعر وضع كي يغنى فيه. لذا كان للعباس حضور مضاعف في مجالس الخليفة فهو حاضر على حناجر كبار المغنين أحياناً، وحاضر بجسمه أحياناً. واصطحبه هارون الرشيد إلى خراسان، مثلما يصطحب السلطان المرافقون الذين تسميهم الكتب «الحاشية». وعندما أراد الرشيد أن يمضي إلى أرمينية قال العباس شعراً يشكو فيه من هذه الصحبة الطويلة «قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا، ثم القفول. فقد جئنا خراساناً!» فقال له الرشيد: قد اشتقت يا عباس! وأذن له بالعودة، ومنحه ثلاثين ألف درهم.

كان العباس من حاشية هارون الرشيد الذي تولى الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة. وكان شاعر الغزل الذي لا يطلب منه مدح الخليفة. كان للرشيد شعراء كثر، ولم يكن بحاجة إلى شاعر آخر، لا يحسن المدح أصلاً.

والتقى العباس بأبي نواس الذي كان أيضاً شاعر الرشيد المدلل، وكان النواصي يتفلسف من مجلس الخليفة كراهة لما يوجبه هذا المجلس من أصول ورسميات.

عاش العباس لشعره. وقصر شعره على الغزل. لا يصدق بلاشير مغامرات العباس بن الأحنف. ونصدقها. فلا بد أن هناك تلك الفتاة التي سماها العباس فوزاً. شعره فيها صرخات عشق لا نظنها تنبعث من فراغ. نصدق أنهما تبادلا القبلات صغاراً كما صرح في قصيدة. ثم حجبوها. ثم بدأ يرأسلها، ونشأ بينهما ذلك الحب الذي يمكن وصفه بأنه من طرف واحد ونصف. فهي تبادله الغرام، ولكن نصف مبادلة، والنصف الباقي تسلية. وشاعرنا.. يتقلّى.

لعل العباس بن الأحنف كان راضياً بهذه العلاقة رضى أحمد رامى بعلاقته بأم كلثوم. فقد كان بها مغرمًا، ويتقلّى ويبعد القصائد، وكانت هي تنتفع بعذابات الصغيرة. كانا يلعبان لعبة الحب اليائس، ويتجان فناً.

لعل العباس تزوج، ولعله اقتنى جارية، ولعله كان يفرغ طاقته الجنسية كيفما شاء. لكن فوزاً ظلت حبه اليائس الذي يساعده في «إنتاج» الشعر. لم يكن ذاك هيام قيس، ذلك الهيام الذي تحول إلى بقعة دم جامدة في قلب المجنون، أودت به في النهاية. ولم يكن غرام جميل بثينة الذي شرده غرامه عن وطنه، لا ولم يكن غرام عمر بن أبي ربيعة الذي هو هيام بالحسن وبالمراة. كان شيئاً بين جميل وعمر. فصاحبنا ابن الأحنف أحب فتاة أخرى هي «ظلوم». وأغلب الظن أنه أحبها بعد أن تزوجت فوز، أو ارتحلت مع أهلها إلى الحجاز. وكان حبه لظلوم شبحاً باهتاً من حبه لفوز. وكان يجفوها مثلما تجفوه، ولعلها كانت من جواري القصور. فأما فوز فيغلب على الظن أنها كانت ابنة عائلة ترى نفسها فوق عائلة العباس، فلم يكن من سبيل إلى الزواج، ولا إلى الوصال. وفي بعض شعره ما يوحي بأن ظلوم كانت جارية لفوز، وأنها كانت المرسال بينهما، فعندما ذهبت فوز ارتضى جارتها عشيقه.

في هذا الذي كتبناه عن حياة العباس بن الأحنف بعض الافتراضات. نحن لا نعلم يقيناً أن فوزاً تزوجت، ولا أنها ارتحلت إلى الحجاز، بعضهم ذكر

ذلك على كل حال. وحديثنا عن كونه من أولاد الذوات إنما يستند إلى علاقته بالخليفة، وإلى وصف معاصريه لأناقته وسلوكه الملوكي، وترفه، وتهذيبه البالغ.

وكل هذا الذي ذكرناه من سيرة شاعرنا قليل الأهمية. فالرجل لم يصنع التاريخ، بل صنع شعراً. لذلك فديوانه هو ما يهمنا حقاً.

هذه آهات عاشق ملوع الفؤاد، يذل لمعشوقته، ويرضاها طول الوقت، وهي عنه لاهية. وأحب الناس هذا النمط. لا نقول إن العباس بن الأحنف مؤسس هذا اللون من ألوان الغزل. فعند عمر وجميل شيء من هذا. ولكن البيئة المدنية البغدادية المترفة جعلت العباس يوصل هذا اللون إلى غايته. وسيظل الشعراء يضعون حدودهم على الأرض لكي تدوس المحبوبة عليها ألف سنة من بعد العباس بن الأحنف. سامحه الله.

ديوانه كما وصلنا متوسط الجرم، وقالوا إنه ضاع من شعره كثير. لا بأس، فما بقي هو أفضل شعره. والرجل، بعد، لم يكن من عبيد الشعر. كان من فئة الهواة، ونحشره مع علي بن الجهم وديك الجن من أبناء زمنه، وعمر أبو ريشة وإبراهيم طوقان من أبناء زمننا. هناك شعراء يقولون الشعر احترافاً واكتساباً كأبي تمام والبحري والمتنبي، وهناك الهواة الذين يعيشون حياتهم مستمتعين بها ويقولون القصيدة بعد القصيدة.

مات العباس بن الأحنف عن ستين عاماً كما يموت الناس، فإن شئت الأساطير فثمة من اخترع بعضاً منها كي يجعل ميته شاعرنا ميته شاعرية. والخوض في هذه الأساطير ليس من شرط عملنا.

باب الواقعة في الأكاديميين

نبدأ بحمد من يستحق الحمد. تلك عاتكة الخزرجي التي حققت ديوان العباس بن الأحنف، وأهدته «إلى أستاذنا الشيخ الجليل والعلامة الكبير المستشرق الفرنسي الشهير، ر. بلاشير». فهذه الفتاة العراقية تنال دكتوراه الدولة من السوربون عن هذا التحقيق وهي في الثلاثين من العمر. ثم تمضي لكي تكون الشاعرة المعروفة. لكنها عندما توفيت عام ١٩٩٧ عن ثلاث وسبعين سنة كانت مغمورة؛ بسبب أحداث العراق، وبسبب نازك الملائكة. فقد التزمت عاتكة الشعر العمودي، وشهدت موته على يد أبناء بلدها السياب ونازك

الملائكة والبياتي. على أن لها شعراً في حب بغداد جميلاً حقاً، وفصيلاً جداً، وذا قوافٍ بديعة، وفيه فيض حب بريء. وهي فصيحة جداً، وعربيتها مما تقرأه لكي تحس به، وتفهمه، ولكي.. تتفرج على حسنه.

ترى في تحقيقها للديوان شرحاً في غاية الإيجاز، لكنه شرح صادق. تشرح لك الكلمة الصعبة، لا كأولئك الدجالين الذين يشرحون الكلمة السهلة ويتركون الصعبة. وهي دقيقة في هوامشها وإحالاتها وفهارسها. تحقيق حقيقي.

ذهب ذلك الجيل، وجاء جيل من الأكاديميين الرقعاء، ولم نسّم أحداً منهم هنا. لو كنت زائراً قادماً من المريخ وأردت أن تزور الجامعات العربية فسوف نقول لك: تفضل إلى الصحراء. في العلوم المادية أبدع أكاديميون في استخراج شهادات الدكتوراة من الجامعات العربية والأجنبية لكي يصبحوا مجرد معلمي صبيان، ولا ابتكار ولا اختراع، ولا مختبرات حقيقية ولا مشاركة في التصنيع. يعلمون طلبتهم المعادلات ويمتحانهم، ويشهدون لهم، كي ينطلق الطلبة لتعليم تلاميذ المدارس، ولا ارتباط بين تلك العلوم وبين المصنع. ونظّل نستورد كل شيء. وفي العلوم الإنسانية يلقي الأكاديميون دروسهم على الطلبة، ويكتبون لهم دوسيهات حقيرة يسمونها كتباً. وينقلون عن القدماء، أو عن الأجانب نقلاً مختلاً. ويذهب الأستاذ بعد انتهاء المحاضرات إلى منزله كي يتغدى ويتمدّد. ثم لا شيء. ثم يموت. ويترك الأكاديميون تحقيق كتب التراث لصبية المطابع. وبالمناسبة فإن صبية المطابع يحملون أيضاً شهادات الدكتوراه. ما هذه المصيبة التي نحن فيها؟

هي حالة من التردّي شاملة.

١ أحق من الموتى

لَعَمْرِي لِأَهْلِ الْعَشْرِ فِيمَا يُصَيِّهُمُ أَحَقُّ بِأَنْ يُبْكِيَ عَلَيْهِم مِّنَ الْمَوْتَى

٢ إذا خلا بيكائه

مَا يَصْنَعُ الصَّبُّ الْحَزِيْبُ نُنْ جَفَاهُ أَهْلُ صَفَائِهِ
لَا شَيْءَ إِلَّا صَبْبُهُ حَتَّى يَسْمُوَتْ بِدَائِهِ
أَوْ يَشْتَفِي مِمَّا يُجِنُّ - إِذَا خَلَا بِبِكَائِهِ

يجن: يكتم

٣ حلم يقظة

إِنَّ الْهَوَى لَوْ كَانَ يَنْدُ
لَطَلَبْتُهُ وَجَمَعْتُهُ
فَقَسَمْتُه بَيْنِي وَبَيْنَ
فَنَعِيشُ مَا عِشْنَا عَلَى
حَتَّى إِذَا مُتْنَا جَمِيعَ
مَاتَ الْهَوَى مِنْ بَعْدِنَا،
فُذِّ فِيهِ حُكْمِي أَوْ قَضَائِي
مِنْ كُلِّ أَرْضٍ أَوْ سَمَاءٍ
نَحْبِيبُ نَفْسِي بِالسَّوَاءِ
مَحْضِ الْمَوَدَّةِ وَالصَّفَاءِ
عَمَّا، وَالْأُمُورُ إِلَى فَنَاءِ
أَوْ عَاشَ فِي أَهْلِ الْوَفَاءِ

٤ حلم واثق بالجنة

أَيَا فَوْزُ لَوْ أَبْصَرْتَنِي مَا عَرَفْتَنِي
وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا نَصِيبِي، فَإِنْ أُمْتُ
لِطَوْلِ شَجُونِي بَعْدَكُمْ وَشُحُوبِي
فَلَيْتَكَ مِنْ حُورِ الْجَنَانِ نَصِيبِي

٥ العاذلات الكائدات

وَقَدْ قَالَ لِي نَاسٌ: تَحْمَلُ دَلَالَهَا
وَإِنِّي لِأَقْلِي بِذَلِكَ غَيْرِكَ فَاعْلَمِي
وَلَّيْتُ أَرَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ نِسْوَةً
عَرَفْنَ الْهَوَى مَنَّا فَأَصْبَحْنَ حُسَدَاءَ
وَلَّيْتُ ابْتَلَانِي اللَّهُ مِنْكُمْ بِخَادِمٍ
شَبَبْنَا لَنَا فِي الصَّدْرِ نَارًا تَلْهَبُ
يُخْبِرُنَا عَنَّا مَنْ يَجِيءُ وَيَذْهَبُ
تُبَلِّغُكُمْ عَنِّي الْحَدِيثَ وَتَكْذِبُ
أَقْلِي: أَتَجَنَّبُ

٦ الحبيبة الغضوب

وَإِنَّ الْوُدَّ لَيْسَ بِكَادٍ يَبْقَى
خَفَضْتُ لِمَنْ يَلُودُ بِكُمْ جَنَاحِي
إِذَا كَثُرَ التَّجَنُّبِي وَالْعَتَابُ
وَتَلَفَّقُونِي كَأَنَّكُمْ غَضَابُ
تَقَرَّبْتُ مِنَ الْقَرِيبِينَ مِنْكَ إِكْرَامًا لَكَ، وَتَلَقَّيْتَنِي كَأَنَّكَ غَاضِبَةٌ

٧ دعاء عليها بالحب

وَقَائِلَةٌ بِالْجَهْلِ: يَا لَيْتَ أَنَّهَا
تُلَاقِي الَّذِي تَلَقَّى مِنَ الْجَهْدِ وَالْكَرْبِ
إِحْدَى قَرِيبَاتِي تَقُولُ، وَيَا لَجَهْلَهَا، لَيْتَ أَنَّكَ يَا مَحْبُوبَتِي تَلَاقِينَ مِنَ الْجَهْدِ (التعب) وَالْكَرْبِ
(البلاء) مَا أَلْقَى

فقلتُ لها: ما أَشتهي أن يُصيبها بلائي، ولكنَّ بعضُ ما بي من الحُبِّ

٨ دعاء على الحب

أباحَ حِمِّيَ قلبي الهوى فأذله ألا ليتَ لم أخلق ولم يُخلَقِ الحُبُّ

٩ العاتب والملول

لو كنتَ عاتبةً لَسَكَنَ لوعتي أَمَلِي رضاك، وزُرتُ غيرَ مُراقِبٍ

غير مراقب: غير مهتم بالأمر، لأنه مجرد عتب

لكنَّ مَلَلتِ، فلم تُكنْ لي حيلة، صدَّ المَلُولُ خِلافَ صدِّ العاتبِ

١٠ فرح بخبر

إذا قيلَ تُقربِكَ السَّلامَ تَماسَكَتْ حُشاشةٌ قلبي، وأنجَلتْ غَمْرَةُ الكَرْبِ

حشاشة قلبي: البقية الباقية منه، غمرة الكرب: سحابة الغم

١١ قلبي الذاهب

كيف احتبالي لِإنسانٍ بُليتُ به يَجني الذُنُوبَ فإنَّ عاتبته غَضِبا؟

يهوى خِلافي، فلو أني أَكلَفُه على الظَّما مِنْهُ شُرْبَ الماءِ ما شَرِبا

تخالفني لمجرد الخلاف، فلو قلت: اشربي، وهي عطشى، لما شربت

أَبكي ظَلُومَ وأبكي ما فُجِعتُ به منها، وأبكي على قلبي الذي ذَهَبَا

١٢ دائي الطبيب

أَغْيَانِي السَّادِنُ الرَّيبُ أَكْتَبُ أَشْكو ولا يُجيبُ

الشادن: ولد الغزالة، الريب: النعم في حضن والديه

مِنْ أَيْنَ أَبْغِي دواءَ ما بي وإنما دائي الطَّبيبُ

١٣ حاضر في قلبي

أما والذي لو شاءَ لم يَخْلُقِ النوى لئن غَبَّتْ عن عيني لَمَّا غَبَّتْ عن قلبي

١٤ أنتِ الدنيا

غَضِبْتُ عَلَيْكَ سِيدَتِي وما لِلْعَبْدِ وَالْغَضَبِ

هَجَرْتُكَ عَادِيًّا طَوْرِي فَلَمْ أَرْشُدْ وَلَمْ أَصِبِ
أَمَّا وَاللَّهِ رَبِّ الْبَيْتِ وَالْأَسْتَارِ وَالْحُجُبِ
لَقَدْ طَابَتْ بِكَ الدُّنْيَا وَلَوْ لَا أَنْتَ لَمْ تَطِيبِ

١٥ العيش على الرجاء

رَجَاءُ كَشِبِهِ الْيَأْسِ أَمْسَى يَقُوْنِي أَذُبُّ بِهِ عَنِّي الرَّدَى وَأَغَالِبُهُ
أَرْجُو وَصَلَ الْحَبِيبِ وَلَكِنَّ رَجَاءَ شِبْهِ الْيَأْسِ لَضَعْفُهُ، وَلَكِنَّ يَقُوْنِي (يَعِيشَنِي)، وَأَذُبُّ (أَدْفَعُ) بِهِ
الْمَوْتَ عَنْ نَفْسِي، وَأَغَالِبُ الْمَوْتَ (أَقَاوِمُهُ)

١٦ حب من طرف واحد

مَا زِلْتُ أَسْخَرُ مَنْ يُحِبُّ مَنْ لَا يُحِبُّهُ
حَتَّى ابْتُلَيْتُ بِمَنْ لَا يُحِبُّنِي وَأَحِبُّهُ
يَهْوَى بِعَادِيٍّ وَهَجَرِي وَمُنَيْتِي الدَّهْرَ قَرْبُهُ
الدَّهْرُ: طَوْلُ الدَّهْرِ

فَلَيْتَ قَلْبِي لَهُ كَأَنَّ نَ مِثْلَ مَا لِي قَلْبُهُ

١٧ القصيدة الواغلة

نسب صاحب المستطرف إلى العباس بن الأحنف أبياتاً، وقد استطاب مصطفى الشكعة هذه الأبيات جداً ضمن خمسين صفحة عقدها للعباس في كتابه «الشعر والشعراء في العصر العباسي»، ونقلت الأبيات عاتكة الخزرجي في تحقيقها للديوان، ولم ينقلها كرم البستاني، فلعله رأى فيها ما نراه من أن عليها ويسم عصر الإشبهي (ويبعد سبع مئة سنة عن عصر العباس) (لا نظن العباس ولا عصر العباس يقولان: «كل شيء ضده»، و«مبغوضاً»، و«نبحت عليه»، و«كشرت أنيابها»)، على أننا نقل الأبيات لطرافتها، وللشطر الثاني من البيت الثاني:

يَمْشِي الْفَقِيرُ وَكُلُّ شَيْءٍ ضَدَّهُ وَالنَّاسُ تُغْلِقُ دُونَهُ أَبْوَابَهَا
وَتَرَاهُ مَبْغُوضاً وَلَيْسَ بِمَذْنِبٍ وَيَرَى الْعَدَاوَةَ لَا يَرَى أَسْبَابَهَا
حَتَّى الْكَلَابُ إِذَا رَأَتْ ذَا ثَرَوَةٍ خَضَعَتْ لَدَيْهِ وَحَرَّكَتْ أَذْنَابَهَا
وَإِذَا رَأَتْ يَوْماً فَقِيراً عَابِراً نَبَحَتْ عَلَيْهِ وَكَشَّرَتْ أَنْيَابَهَا

١٨ حلاوة الهجران

وأحسن أيام الهوى يومك الذي تُرَوِّعُ بِالْهَجْرَانِ فِيهِ وَبِالْعَتَبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبِّ سَخَطٌ وَلَا رِضًا فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَائِلِ وَالْكَتَبِ

١٩ دعاء في الصلاة

يَا فَوْزُ هَلْ لِي مِنْكُمْ مَجْلِسٌ تَقَرَّرْ عَيْنِي فِيهِ قَبْلَ الْمَمَاتِ
يَا بِأَبِي أَنْتَ لَقَدْ سَرَّنِي مَا كَانَ مِنْ قَوْلِكَ لِلْعَاذِلَاتِ
وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ فِي حَبِّكُمْ حَتَّى أَذُوقَ الْمَوْتَ قَوْلَ الْوُشَاةِ
هَمِّي مِنَ الدُّنْيَا خُلُويَ بِهَا بِذَاكَ أَدْعُو خَالِقِي فِي الصَّلَاةِ

٢٠ قصة عاشق وعاذلة

إِنَّ الَّتِي حَدَّثْتُكَ قَدْ كَذَبَتْ وَأَدْرَكْتُ عِنْدَكَ الَّذِي طَلَبْتُ
إِسْتَفْهِمِي قِصَّتِي وَقَصَّتْهَا أَخْبَرْتُكَ عَنْهَا بِقُبْحِ مَا صَنَعْتُ
أَقْبَلْتُ أَسْعَى إِلَيْكَ مَكْتَتِمًا فَأَعْرَضْتَ دُونَكُمْ وَقَدْ عَلِمْتُ ..
أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ يَعْدِلُكُمْ عِنْدِي، وَتَوَكَّيْدَ أَمْرِنَا شَهِدْتُ ..
هَذِهِ الْمَرْأَةُ اعْتَرَضَتْ طَرِيقِي وَأَنَا مَقْبِلٌ عَلَيْكَ، وَتَأَكَّدْتُ مِمَّا بَيْنَنَا مِنَ الْحُبِّ، وَأَرَادَتْنِي لِنَفْسِهَا ..
فَقُلْتُ كَالْمَشْتَهِي لِمَا ذَكَرْتُ: إِنِّطْلِقِي اتَّبِعْكَ فَاِنِطْلَقْتُ
فَنَظَاهَرْتُ بِأَنِّي قَابِلٌ لِعَرْضِهَا، فَقُلْتُ أَذْهَبِي وَسَوْفَ أَتْبَعُكَ ..

أَخْلَفْتُهَا وَعَدَهَا وَجِئْتُكُمْ فَعِنْدَهَا يَا حَبِيبَتِي غَضِبْتُ
وَلَمْ أَذْهَبْ إِلَيْهَا بَلْ جِئْتُكَ أَنْتِ، فَغَضِبْتُ هِيَ
فَأَقْسَمْتُ لَا تَزَالُ جَاهِدَةً تُفِيدُ مَا بَيْنَنَا . وَقَدْ فَعَلْتُ
قِصَّةَ صَغِيرَةٍ مِنْ تَوَافِقِ قِصَصِ الْمُحِبِّينَ، وَهِيَ جَمَالُهَا، وَقِيمَتُهَا الْأَدَبِيَّةُ

٢١ عبد المرأة

وَلَقَدْ قُلْتُ وَالْهَمُومُ رُكُودُ وَدُمُوعِي عَلَى الرَّدَاءِ تَجُودُ
الْهَمُومُ رَاكِدَةٌ فَوْقَ صَدْرِي، وَدُمُوعِي تَبِلُ رَدَائِي
يَا بَنِي آدَمِ تَعَالَوْا تُنَادِي: إِنَّمَا نَحْنُ لِلنِّسَاءِ عَبِيدُ

مَنْ يَلْمُنِي عَلَى النِّسَاءِ أَلَمُهُ أَنَا وَاللَّهُ لِلنِّسَاءِ وَدُودُ

٢٢ البكاء بماء البحر

لَقَدْ شَقِيتُ لَئِنْ دُمْنَا كَذَا أَبَدًا إِذَا سَعَيْتُ لِإِصْلَاحِ الْهَوَى فَسَدَا
مَا تَظَرَّفْتُ الْعَيْنُ إِلَّا وَهْيَ وَكِفَةٌ لَوْ كُنْتُ أَبْكِي بِمَاءِ الْبَحْرِ قَدْ نَفِدا
واكفة: تسيل بالدمع

وَلَا تَنْفَسْتُ إِلَّا ذَاكِرًا لَكُمْ لَا شَيْءَ يَشْغَلُنِي عَنْ ذِكْرِكُمْ أَبَدًا
يَا رَبِّ ذِي حَسَدٍ يَا فَوْزُ يُظْهِرُهُ، لَوْ كَانَ يَعْلَمُ حَظِّي مِنْكَ مَا حَسَدَا

٢٣ دلال المريضة

قَالَتْ مَرَضْتُ فَعَدْتُهَا، فَتَبَرَّمْتُ وَهِيَ الصَّحِيحَةُ، وَالْمَرِيضُ الْعَائِدُ
العائد: زائر المريض

وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ كَقُلُوبِهَا مَا رَقَّ لِلْوَلَدِ الصَّغِيرِ الْوَالِدُ
لَمَا رَأَيْتُ اللَّيْلَ سُدَّ طَرِيقُهُ عَنِّي، وَعَذَّبَنِي الظَّلَامُ الرَّاكَدُ
الراكد: الجاثم، الضاغط على الصدر

وَالنَّجْمُ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ أَعْمَى تَحَيَّرَ مَا لَدَيْهِ قَائِدُ
نَادَيْتُ مَنْ طَرَدَ الرِّقَادَ بِنُومِهِ عَمَّا أَعَالِجُ، وَهُوَ خَلَوُ هَاجِدُ
ناديت حبيبي الذي أبعد عن عيني الرقاد لأنه نام عما أعالج، أي أهمل همومي، وهو خلي من
الهموم هاجد نائم

يَا ذَا الَّذِي صَدَعَ الْفُؤَادَ بِصَدِّهِ أَنْتَ الْبَلَاءُ طَرِيقُهُ وَالتَّالِدُ
الطريف: الجديد، التالد: القديم

يَقْعُ الْبَلَاءُ وَيَنْقُضِي عَنْ أَهْلِهِ وَبَلَاءُ حَبِّكَ كُلِّ يَوْمٍ زَائِدُ

٢٤ لا حديث له سواها

يَا مَنْ شَكَا شَوْقَهُ مِنْ طُولِ غَيْبَتِهِ إِصْبِرْ لَعَلَّكَ أَنْ تَلْقَى الْحَبِيبَ غَدَا
لَنْ يَسْتَطِيعَ الْفَتَى كِتْمَانَ خَلَّتِهِ حَتَّى يَحْدُثَ عَنْهَا أَيْنَمَا قَعَدَا
خلته: مشكلته

هِيَ الْمُنَى لِيْ أَهْوَاهَا وَأَطْلُبُهَا وَسَائِرُ النَّاسِ يَهْوِي الْمَالَ وَالْوَلَدَا

٢٥ شيء بين الجوانح

أَبْكِي الَّذِينَ أَذَاقُونِي مَوَدَّتَهُمْ حَتَّى إِذَا أَبْقَطُونِي لِلْهَوَى رَقَدُوا
وَأَسْتَنْهَضُونِي فَلَمَّا قَمْتُ مُنْتَصِباً بِثِقَلِ مَا حَمَلُوا مِنْ وَدْهِمْ قَعَدُوا
جَارُوا عَلَيَّ وَلَمْ يُوفُوا بِعَهْدِهِمْ قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُهُمْ يُوفُونَ إِنْ عَهِدُوا
لَاخِرُجَنَّ مِنَ الدُّنْيَا وَحُبُّهُمْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدُ
أَلْفِيْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْهَمِّ مَعْرِفَةً لَا تَنْقُضِي أَبَداً أَوْ يَنْقُضِي الْأَبَدُ

٢٦ ختم الحب

إِنِّي لِأَحْسَبُ، وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ أَنِّي وَإِيَّاكَ مِثْلُ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ
حَتَّى سَعَتْ بَيْنَنَا يَا فَوْزٌ سَاعِيَةٌ مَشْهُورَةٌ عُرِفَتْ بِالنَّفْثِ فِي الْعُقَدِ
النَّفْثُ بِالْعَقْدِ: السَّحَرُ، يَعْنِي الْكَيْدَ

يَا فَوْزٌ لَا تَسْمَعِي مِنْ قَوْلِي وَاشِيَةٍ لَوْ صَادَقْتُ كَيْدِي عَصَّتْ عَلَى كَيْدِي
إِنَّ الْمُحِبِّينَ قَوْمٌ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَسَمٌ مِنَ الْحَبِّ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ

٢٧ أحس بأنني ملك

مَا إِنْ لِمَا بِي دَوَاءٌ غَيْرُ رُؤْيَيْهَا، دَوَاءٌ مَا بِي عَزِيزٌ غَيْرُ مَوْجُودٍ
مَا إِنْ لِمَا بِي دَوَاءٌ: لَيْسَ لِمَا أَعَانِيهِ دَوَاءٌ

يَا شُغْلَ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا وَبِهَجَّتِهَا مَا تَأْمُرِينَ بِصَبِّ الْقَلْبِ مَعْمُودٍ
يَخَاطِبُهَا، فَهِيَ شُغْلَ نَفْسِهِ، مَعْمُودٌ: مَبْتَلَى بِالْحَبِّ

كَأَنَّهُ يَوْمَ يَأْتِيهِ رَسُولُكُمْ قَدْ نَالَ مُلْكُ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ

٢٨ يا سعد

وَحَدَّثْتَنِي يَا سَعْدُ عَنْهَا فِرْدَتْنِي جُنُوناً، فِرْدَنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ
هَوَاهَا هَوَى لَمْ يَعْلَمْ الْقَلْبُ غَيْرَهُ فَلَيْسَ لَهُ قَبْلُ وَلَيْسَ لَهُ بَعْدُ

٢٩ الحب الخالد

كُلَّ يَوْمٍ لَنَا عِتَابٌ جَدِيدٌ وَهَوَانَا عَلَى الْعِتَابِ يَزِيدُ
كُلُّ حُبٍّ يَبِيدُ يَوْمًا فَيَفْتَنِي وَهَوَانَا وَهَجْرُنَا لَا يَبِيدُ

٣٠ وظيفة الدموع

أَبَيْتُ مُسَهَّدًا قَلْبًا وَسَادِي أَخَفَّفُ بِالدموعِ عَنِ الْفؤَادِ

٣١ منتهى اليأس

يَا مُوقِدَ النَّارِ بِالْهِنْدِيِّ وَالْعَارِ هَيَّجَتْ لِي حَزَنًا يَا مُوقِدَ النَّارِ
بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْمِيدَانِ أَرْقُبُهَا شُبْتُ لِعَازِنَةٍ بِيضَاءِ مِغْطَارِ
أَرْقُبُ نَارًا أُخْرَى بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَكَانَيْنِ، وَقَدْ أَوْقَدْتَ لَتِلْكَ الْغَانِيَةِ، كَأَنَّمَا يَصِفُ مِشَاعِلَ قَصْرِهَا لَيْلًا

هَاجَتْ لِي الرِّيحُ مِنْهَا نَفْحٌ رَائِحَةٌ أَخْبَتْ عِظَامِي وَهَاجَتْ طُولَ تَذْكَارِي
أَخْبَرُ النَّاسَ أَنِّي قَدْ سَلَوْتُكُمْ وَاللَّهِ يَعْلَمُ مَا مَكْنُونُ إِضْمَارِي
مَا تَطْعَمُ النَّوْمَ عَيْنِي مِنْ تَذْكَرْكُمْ فَمَا أَنَامُ إِذَا مَا نَامَ سُمَّارِي
أَنَا وَعَمُّكَ مِثْلُ الْمَهْرِ يَمْنَعُهُ مِنْ قُوَّتِهِ مَرْبِضُ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي
عَمَهَا يَمْنَعُهُ الزَّوْجُ مِنْهَا، فَكَأَن شَاعَرْنَا مَهْرًا، وَعَمَهَا الْأَسَدُ الضَّارِي الَّذِي يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَرَعَاهُ

لَوْ كُنْتُ يَا عَمُّهَا حَرَّانَ سَرَّكَ أَنْ نَحْيَا بِإِظْمَاءِ إِيرَادٍ وَإِصْدَارِ
الْمَعْنَى الْمَلْمُوحُ: لَوْ جَرَبْتَ الْعَطَشَ لَسَرَّكَ أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

فَمَا أَخُو سَفَرٍ فِي الْبَيْدِ مُرْتَهِنٍ قَدْ كَانَ فِي رُفْقِي شَتَّى لَأَمْصَارِ
بِدَايَةِ تَشْبِيهِ طَوِيلٍ. هَذَا مُسَافِرٌ رَافِقٌ أَقْوَامًا مُخْتَلِفِينَ فِي بِلَادِ شَتَّى

أَخْطَا الطَّرِيقَ وَأَفْتَى الزَّادَ وَانْقَطَعَتْ عَنْهُ الْمَنَاهَلُ فِي يَهْمَاءِ مِقْفَارِ
وَفِي الصَّحْرَاءِ انْفَرَدَ عَنْ رِفَاقِهِ وَتَاهَ. وَانْقَطَعَتْ عَنْهُ مَنَاهِلُ الْمَاءِ،
فِي هَذِهِ الْبَهْمَاءِ الْمَقْفَارِ (الصَّحْرَاءُ الْجَافَةُ)

يَدْعُو بِصَوْتٍ شَجِيٍّ لَا أَنْيَسَ لَهُ قَدْ غَابَ عَنْهُ أَنْيَسُ الْأَهْلِ وَالْجَارِ
حَتَّى أَتَى الْمَاءَ بَعْدَ الْيَأْسِ تُحْرِزُهُ رَيْدَاءُ مَكْسُوءَةِ أَطْوَاقِ أَحْجَارِ
ثُمَّ وَجَدَ مَاءً، وَالْمَاءُ تَحْرِزُهُ (تَحْفَظُهُ) وَبَدَاءَ (بَثَرَ قَدِيمَةً غَطَاها التُّرَابُ) حَوْلَهَا طَوْقٌ مِنْ حِجَارَةٍ

لَمَّا تَبَيَّنَ أَنْ لَا ذُلَّوَ حَاضِرَةً وَلَا رِشَاءَ وَلَا عَهْدَ لَأَنَارِ

اكتشف أن لا دلو ولا رشاء (حبلى)، وليس هناك آثار أقدام لناس حول البئر

دَلَّى عِمَامَتَهُ حَتَّى إِذَا انْقَشَعَتْ عَمَامَةُ الْمَاءِ عَنْ عَذْبٍ وَمَوَارٍ

دَلَّى عِمَامَتَهُ فِي الْبُئْرِ حَتَّى إِذَا انْزَاكَ طَبَقَةُ الْغُبَارِ الَّتِي عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ وَتَبَيَّنَ أَنَّ تَحْتَهَا مَاءٌ عَذْبٌ
موار (متحرك)

أَهْوَى يُقَلِّبُهَا فِي الْمَاءِ مَغْتَبِطاً يَكُرُّهَا فِيهِ طَوَّاراً بَعْدَ أَطْوَارِ

بدأ يقلب العمامة حتى تشرب بالماء

حَتَّى إِذَا هُوَ رَوَّاهَا وَأَخْرَجَهَا وَقَالَ قَدْ نِلْتُ يُسْرَأَ بَعْدَ إِعْسَارِ

وَجَرَّهَا، صَوَّبَتْ فِي الْبُئْرِ رَاجِعَةً وَاسْتَقْبَلَتْ نَفْسُهُ الدُّنْيَا بِإِنْكَارِ

وهو يخرجها صوبت (رجعت) إلى البئر، فقامت الدنيا في عينيه

يَوْمًا بِأَجْهَدَ مِنِّي حِينَ تَمَنُّعُنِي لِغَيْرِ جُزْمِ لُبَانَاتِي وَأَوْطَارِي

هذا الشخص الذي قصص قصته ليس أكثر تعباً مني وأنت تمنعني لباناتي (حاجاتي) وأوطاري (حاجاتي)

٣٢ ادفنوني عندكم

يَا أَهْلَ قَوْزٍ ادفنوني بين دُورِكُمْ نَفْسِي الْفِدَاءَ لِتِلْكَ الدُّوْرِ مِنْ دُورِ

٣٣ الأمور الكبار

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَمِرَّ عَيْنًا لِغَيْرِكَ دُمْعُهَا يَذْرَأُ

مَنْ ذَا يُعْبِرُكَ عَيْنُهُ تَبْكِي بِهَا، أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تُعَارُ؟

الْحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ لِحَاجَةٍ نَأْتِي بِهِ وَتَسْوِقُهُ الْأَقْدَارُ

لحاجة: إلحاح طاري

حَتَّى إِذَا اقْتَحَمَ الْفَتَى لُجَجَ الْهُوَى جَاءَتْ أُمُورٌ لَا تُطَاقُ كِبَارُ

وَإِذَا نَظَرَتْ إِلَى الْمَجِبِّ عَرَفَتْهُ وَبَدَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْهُوَى آثَارُ

قُلْ مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَقُولَ فَرَبِمَا سَاقَ الْبَلَاءُ إِلَى الْفَتَى الْإِقْدَارُ

يَا قَوْزُ هَلْ لَكَ أَنْ تَعُودِي لِلَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ مِنْذُ نَحْنُ صِعَارُ

هَلْ تَذْكُرِينَ بِدَارِ بَكْرٍ لَهَوْنَا وَلَسْنَا بِذَلِكَ مَخَافَةً وَحِذَارُ

مُتَطَاعِمِينَ بِرِيقِنَا فِي خَلْوَةٍ مِثْلَ الْفِرَاحِ تَرْقُهَا الْأَطْيَارُ
أَمْ تَذْكُرِينَ لِدَلَجَتِي مَتَنَكِّراً وَعَلَيَّ فَرَوْا عَاتِقِي وَخِمَارُ
تذكرين دلجتي (دخولي ليلاً) وأنا أضع فروي عاتق (فروتين تليسان على العاتق أي الظهر)
وخمَاراً، يبدو انه أراد إخافتها في الليل وهما صغيران

فَوَدِدْتُ أَنْ اللَّيْلَ دَامَ، وَأَنْهُ ذَهَبَ النَّهَارُ فَلَا يَكُونُ نَهَارُ
ليت تلك الليلة طالت

مَا تَأْمُرِينَ، فَذَلِكَ نَفْسِي، فِي فَتَى مَا تَلْتَقِي لِجُفُونِهِ أَشْفَارُ
أي أن رموش عينه لا تلتقي فهي مفتوحة فهو ساهر لا ينام

صَرَمَ الْأَحَبُّ حَبْلَهُ فَكَأَنَّهُ إِذْ غَادَرُوهُ وَضَرَّهُ الْإِضْرَارُ..
صرم، قطع، الأحبة حبله، أي هجره، وفي هذا ضرر

رَجُلٌ تَطَاوَلَ سُقْمُهُ فِي غُرْبَةٍ نَزَحَتْ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ الْأَسْفَارُ..
بدأ هنا تشبيهاً طويلاً، فهو مثل رجل مرض في الغربة

حَتَّى أُتِيحَ لَهُ، وَذَاكَ لِحَيْنِهِ رَكِبَ رَمَتْ بِهِمُ الْفَجَاجُ تِجَارُ..
فأتيح له ركب، أي قافلة، من التجار رمت بهم الفجاج (الطرق). وهذا لحينه (لهلاكه)،
وسنرى كيف ذاك..

حَمَلُوهُ بَيْنَهُمْ نَحِيلاً جَسْمُهُ عَارِي الْعِظَامِ ثِيَابُهُ أَظْمَارُ..
الأطمار: الثياب المهترئة

فَشَوَى تُقَلِّبُهُ الْأَكْفُفُ مُلَقِّفَاً وَلَهُ تُشَدُّ وَتُوضَعُ الْأَكْوَارُ..
ثوى (مكث) يتلقفونه محاولين حمله على الجمل، ويشدون الأكوار (أخشاب الرحل) كي يركب
هذا المريض

حَتَّى إِذَا سَلَكُوا بِهِ فِي مَهْمِهِ قَفَرٍ تَضِلُّ بِهِ الْقَطَا وَتَحَارُ..
ومشوا به في مهمه (طريق موحشة) تضل به القطا وتحار (والقطا من طير الصحراء فإذا ضلت في
الطريق فهو موحش جداً لا شك)

غَرَضُوا مِنَ النَّضْوِ الْعَلِيلِ فَعَطَّلُوا مِنْهُ الرِّكَابَ، وَخَلَّفُوهُ وَسَارُوا
في هذا الطريق غرضوا من النضو (ملؤا من المريض)،
فخلصوا منه القافلة وتركوه وساروا

٣٤ بشارة وحيرة

ولمّا رأت أن لا وصولَ إلى الهوى تراءت من السطح الرفيع المُحَجَّرِ
يبدو أنها أطلت عليه من سطح بيتها

فقلتُ لها يا قَوْزُ هل لي إليكمُ سبيلٌ فقالت بالإشارة أبشِرِ
وقفتُ لها في ساحةِ الحَيِّ ساعةً أُشيرُ إليها بالرداءِ المُعْضَفِ
نَظَرْتُ إلى ما لم تَرَ العينُ مثله إلى قمرٍ في رَازِقِي ومُتَزَرِ
الرازقي: ثوب كتان أبيض، والمتزّر: الثوب

إذا ماتَ عباسٌ وفوزٌ فإنَّه يموتُ الهوى واللَّهُوُ مِنْ كُلِّ مَعَشَرِ

٣٥ الحب قدرِي

أخفي الهوى وَهُوَ لَا يَخْفَى على أَحَدٍ إِنِّي لُمُسْتَتِرٌ فِي غَيْرِ مُسْتَتِرِ
كأني مستر لكن بلا مستر (استار)
فأكثروا أو أَقِلُّوا مِنْ مَلايِكُمْ فكلُّ ذَلِكَ محمولٌ على القَدَرِ
الحب الذي يعذبني هو قضاء وقدر، فلا تزيله إرادتي فكفوا عن اللوم

٣٦ سال بك السيل

يَا مَنْ تَمَادَى قَلْبُهُ فِي الهوى سَالِ بِكَ السَّيْلُ وَلَا تَدْرِ
يَحْذَرُ العرب من النوم في مجرى السيل، لأنه يفاجئ، ويجرف جرفاً
إِنَّ الَّذِي أَظْهَرَ عِنْدَ الَّذِي أَضْمِرُ كَالنَّقْطَةِ فِي الْبَحْرِ
ما أظهره من العشق هو بالنسبة لما أضمره نقطة في بحر

اليومُ مثلُ العامِ حتى أرى وجهك، والساعةُ كالشهرِ
أفسَدَ قلبي شَادِنٌ أَخَوُرُ يَسْحَرُ بِالْعَيْنَيْنِ وَالثَّغْرِ
كنتُ أَهَادِيهِ سَلامِي فلا يَدْخُلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْكِبَرِ
حتى إذا خَاطَبْتُهُ بِالْهوى خَاطَبَنِي بِالسَّبِّ وَالرَّجْرِ
فَلَيْتَهُ عَادَ وَعُذْنَا لَهُ بِمِثْلِ مَا كُنَّا إِلَى الْحَشْرِ

٣٧ ملء البصر

وَأَحْذَرُ أَنْ تَطْعَى إِذَا بَحْتُ بِالْهوى فَأَكْتُمُهَا جَهْدِي هَوَاهَا، وَيَظْهَرُ

وما عَرَضْتُ لِي نَظْرَةً مُذْ عَرَفْتُهَا فَأَنْظُرَ إِلَّا مُثُلْتُ حَيْثُ أَنْظُرُ
فِيَا وَائِقًا مِنِّي بِمَا قَدْ بَدَا لَهُ، وَأَكْثَرُ مِنْهُ مَا أُجِنُّ وَأُضْمِرُ..
تَفَكَّرْ! فَمَا تَدْرِي، لَعَلَّكَ تُبْتَلَى بِمَا بِي، وَيَصْحُو عَنْكَ قَلْبِي وَيَصِيرُ
أَلَا أَيُّهَا النَّاهُونَ عَنْهَا سَفَاهَةً قَدْ ازدَادَ وَجْدِي مُذْ نَهَيْتُمْ، فَأَقْصِرُوا

٣٨ أفاعي الصدر

قَدْ ضَاقَ بِالْحَبِّ صَدْرِي وَأَنْقَذَ الشَّوْقُ صَبْرِي
أنقذ: أفرغ

فِي الصَّدْرِ حَيَّاتٌ هَمٌّ بَيْنَ الْجَوَانِحِ تَسْرِي

٣٩ الحزن الخالد

إِذَا مَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْبُكَاءَ أَجَابَ الْبُكَاءُ طَوْعًا، وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ
فَإِنْ نَقَطْعَمِي مِنْكَ الرَّجَاءَ فَإِنَّهُ سَيَقِي عَلَيْكَ الْحَزْنَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ

٤٠ الحورية

يَا قَوْزُ يَا مُنْتَهَى هَمِّي وَغَايَتَهُ وَيَا مُنَايَ وَيَا سَمْعِي وَيَا بَصْرِي
صَارَتْ رِسَالَتُكُمْ يَا قَوْزُ نَادِرَةً بَعْدَ التَّنَائُعِ بِالْأَصَالِ وَالْبُكْرِ
يَا مَنْ يُسَائِلُ عَنْ قَوْزٍ وَصَوْرَتِهَا إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرَهَا فَاَنْظُرْ إِلَى الْقَمْرِ
لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا لَهَا شَبَهًا إِنِّي لِأَحْسَبُهَا لَيْسَتْ مِنَ الْبَشَرِ

٤١ فاسق النظر

أَتَأْذَنُونَ لِصَبِّ فِي زِيَارَتِكُمْ فَعِنْدَكُمْ شَهَوَاتُ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ
لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفْتُ الضَّمِيرَ وَلَكِنْ، فَاسِقُ النَّظَرِ
أفاض القدماء في مدح هذا البيت، وهلل له زكي مبارك في كتابه «العشاق الثلاثة»

٤٢ القمر والحجر

أَيَا مَنْ وَجْهُهُ قَمَرٌ وَيَا مَنْ قَلْبُهُ حَجَرٌ
وَيَا مَنْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا لِنَفْسِي، غَيْرَهُ، وَطَرُ

أَغْرَكَ أَنْ حَبَّكَ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ يَسْتَعِيرُ

٤٣ أنت الناس

ما أَسَمَجَ النَّاسَ فِي عَيْنِي وَأَقْبَحَهُمْ إِذَا نَظَرْتُ فَلَمْ أَبْصُرْكَ فِي النَّاسِ
حَتَّى مَتَى كَيْدِي حَرَى مُعْطَشَةٌ وَلَا يَلِينُ لِشَيْءٍ قَلْبُكَ الْقَاسِي
يَا قَادِحَ الزَّنْدِ قَدْ أَعْيَا قَوَادِحُهُ إِقْبِسْ إِذَا شِئْتَ مِنْ قَلْبِي بِمُقْبَاسِ
يَا مَنْ يَقْدَحُ الزَّنْدَ (حجر النار) الَّذِي أَعْجَزَ الْقَادِحِينَ خَذْ شُعْلَةً مِنْ قَلْبِي بِمُقْبَاسِ (يعود أو نحوه)

٤٤ لا شيء مثله

جَرَّبْتُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا شِدَائِدَهَا مَا مَرَّ - مِثْلَ الْهَوَى - شَيْءٌ عَلَى رَاسِي

٤٥ انصداع القلب

عَدَلْتُ مِنَ اللَّهِ أَبْكَانِي وَأُضْحَكْتُكُمْ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَلْتُ كُلُّ مَا صَنَعَا
الْيَوْمَ أَبْكِي عَلَى قَلْبِي وَأَنْدُبُهُ قَلْبُ أَلَحَّ عَلَيْهِ الْحَزَنُ فَاِنْصَدَعَا

٤٦ الود بشفاعه

إِذَا أَنْتَ لَمْ يَعْطِفْكَ إِلَّا شَفَاعَةُ فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ يَكُونُ بِشَافِعِ

٤٧ ليتني كنت الميت

الْحَسَنُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَطْبُوعَةً وَمِنْ النِّسَاءِ تَخَلُّقٌ وَتَصْنَعُ
يَوْمَ الْجِنَازَةِ لَوْ شَهِدْتُ تَمَتَّعْتُ عَيْنِي بِهَا وَلَقَلَّمَا تَمَتَّعُ
خَرَجْتُ وَلَمْ أَشْعُرْ بِذَاكَ فَلَيْتَنِي كُنْتُ الْجِنَازَةَ، وَهِيَ فَيَمَنْ يَتَبَعُ

٤٨ اليأس بعد التعشيم

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاخٍ يُكْثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي
مَا أَقْتَلَ الْيَأْسَ لِأَهْلِ الْهَوَى لَا سِيَّمَا مِنْ بَعْدِ إِطْمَاعِ
الْيَأْسِ مِنَ الْفَوْزِ بِقَلْبِ الْحَبِيبِ صَعْبٍ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ الْحَبِيبُ أَطْمَعَكَ (عَشْمَكَ) فِي وَصْلِهِ

٤٩ المحطة الأخيرة

طاف الهوى بعباد الله كلهم حتى إذا مرَّ بي من بينهم وقفا
إذا جحدت الهوى يوماً لأدفعه في الصدر، ثم عليّ الدمعُ مُعْتَرِفاً
لم ألقَ ذا صفةٍ للحُبِّ ينفعُهُ إلاَّ وجدْتُ الذي بي فوقَ ما وصفا

٥٠ أُملي أراك

إنِّي لأملُ أن أراك، وإنني من أن أموتَ ولا أراكِ لَخَائِفُ
يا غايَةً في الحُسْنِ إنِّي غايَةً في الحب. ليس يُطبق ما بي وأصفُ

٥١ كان لي قلب

نامَ مَنْ أَمَدَى لِي الأرقا مُسنربحاً سَامِنِي فَلَقَا
كان لي قلبٌ أَعِيشُ به فاضطَلَى بالحبِّ فاحترقا

٥٢ الطريق المسدود

يا فَوْزُ قد طالَتْ بكم شِقوتي يا فَوْزُ قد حُمِلْتُ ما لا أُطيقُ
واكْرَبَتَا مِنْ حَرِّ هذا الهوى كأنما في الجوفِ منه حريقُ
لا يَهْتَدِي قلبي إلى غيرِكُمْ كأنما سُدَّ عليه الطريقُ

٥٣ أنشقها

وأكبرُ حظِّي منك أنِّي إذا جرتُ لي الرِّيحُ مِنْ تِلْقاءِكُمْ أَتَنَشَّقُ

٥٤ احتراق

أنا الذي لا تنامُ عيني، ولا تَرَقًا دُموعي ما دامَ بي رَمَقُ
ترقا: تجف

صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبَتْ نُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ
ذبالة: ما ظهر من فتيل المصباح

٥٥ متعلق بقشة

هلاً رَجِمْتُمْ مَوْقِفِي بِفَنائِكُمْ متحيراً، لِنَسِيمِكُمْ أَتَنَشَّقُ

مُتَلَدِّدًا أَرْزُو إِلَى مَنْ مَرَّ بِي مِثْلَ الْغَرِيقِ بِمَا لَقِي يَتَمَلَّقُ
متلددًا : متلفئًا

٥٦ الدموع الفاضحة

يَمْنَعُكَ الصَّبْرَ إِذَا رُمْتَهُ تَذْكَارُ مَنْ خَلَقْتَ بِالرَّافِقَةِ
الرافقة : الرقة العراقية، على الفرات

قَدْ كُنْتَ عَنْ وَصْفِ الْهَوَى سَاكِتًا فَفَضَحْتَكَ الْأَدْمُعُ النَّاظِقَةُ

٥٧ ظنونهم

عَنْ ابْنِ خُلِكَانَ أَنَّ ابْنَ الْمَعْتَزِ قَالَ : أَحْسَنَ الشُّعْرِ قَوْلُ الْمُبَاسِّ بْنِ الْأَحْنَفِ :
(وليس في الديوان)

قَدْ سَحَبَ النَّاسُ أَذْيَالَ الظُّنُونِ بَنَّا وَفَرَّقَ النَّاسُ فِينَا قَوْلَهُمْ فِرْقًا
فَكَاذِبٌ قَدْ رَمَى بِالظَّنِّ غَيْرَكُمْ وَصَادِقٌ لَيْسَ يَدْرِي أَنَّهُ صَدَقَا

٥٨ طبل تحت الثوب

وَإِنِّي وَإِيَّاهَا كَمَا شَقْنَا الْهَوَى لِأَهْلِ جِفَاظٍ لَا يُدْنَسُ بِالْجَهْلِ
وَإِنِّي وَكِتْمَانِي هَوَاهَا وَقَدْ قَشَا كَذِي الْجَهْلِ تَحْتَ الثَّوْبِ يَضْرِبُ بِالطَّبْلِ
أنا وكتماني لحبي إياها، بعد إذ ذاع أمر ذلك الحب،
كمن يخفي الطبل تحت ثوبه ويضرب به

٥٩ قصتنا تطول

كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ شَجَنًا لِفَوْزٍ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ لَهَا عَوِيلُ
وَلَمْ نَجْلِسْ جَمِيعًا فِي خِلَاءٍ نُسِرُ بِمَا أَقُولُ وَمَا تَقُولُ
وَلَوْ حُدُّتُمْ عَنِّي وَعَنْهَا عَلِمْتُمْ أَنَّ قَصَّتْنَا تَطُولُ
وَكُنَّا آيَةً لِلنَّاسِ دَهْرًا إِذَا وُصِفَ الْخَلِيلَةُ وَالْخَلِيلُ
وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّا سَوْفَ نَبْلَى وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ لَا يَزُولُ
أَلَا يَا فَوْزُ أَنْتَ صَرْمَتِ حَبْلِي وَصَرْمَتُكَ عِنْدَنَا خَطْبٌ جَلِيلُ

٦٠ أثقلني حملي

يقولون لي واصل سواها لعلها تغار، وإلا كان في ذاك ما يُسلي
يقولون: اعشق غيرها حتى تغار، وإن لم تغر فقي عشق سواها ما يُسليك (ينسبك)

ووالله ما في القلبِ مثقالُ ذرَّةٍ لأخرى سواها، إنَّ قلبي لفي شغلٍ
حملتُ الهوى حتى إذا قمتُ بالهوى خَرَزْتُ على وجهي وأثقلني حملي
بحُرمةٍ ما قد كانَ بيني وبينكم من الودِّ إلا ما رجعتُ إلى الوصلِ
وإلا اقتلونني أَسْتَرِخَ مِنْ عَذَابِكُمْ عَذَابُكُمْ عِنْدِي أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ
وكم مِنْ عَدُوٍّ رَقَّ لِي وَتَكَشَّفَتْ حُزُونُهُ لِي عَنْ نَرَى جَانِبِ سَهْلٍ
لشدة ما ألقى من عذاب العشق رق لي قلب الأعداء، فكثيراً ما اكتشفت عدوًّا تحولت حزوته
(وعورته) لي إلى أرض سهلة

ومُجْتَهِدَاتٍ فِي الْفَسَادِ حَوَاسِدٍ لَهَا، وَهِيَ مِمَّا قَدْ أَرَدَنْ عَلَى جَهْلٍ
تَأَزَّرْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ فَجِئَتْهَا، عَلَى وَجْهِ إِقَاءِ النَّصِيحَةِ، لِلْمَحَلِّ
للمحل: للخداع

يُعَرِّضْنَ طَوْرًا بِالتَّعَاضِي، وَتَارَةً وَمَا زِلْنَ حَتَّى نِلْنَ مَا شِئْنَ بِالرُّقَى
وحتى أَصَاحَتْ لِلْخَدِيعَةِ وَالْخُتْلِ الرُّقَى: التعاويذ، يقصد كثرة الرُّقَى عليها، أَصَاحَتْ: أَصَفَتْ

وحتى بَدَتْ مِنْهَا الْمَلَالَةُ وَالْقِلَى وَعَهْدِي بِفَوْزٍ لَا تَمَلُّ وَلَا تَقْلِي
القلَى: التجنب

فَلَمَّا انْقَضَى الْوَصْلُ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا شِمِئَتْ جَمِيعًا وَاسْتَرْخَنَ مِنَ الْعَذْلِ
وَأَرْضَتْ بِسُخْطِي مَعْشَرًا كَانَ سُخْطُهُمْ يَهُونُ لَدَيْهَا فِي رِضَايَ وَمِنْ أَجْلِي

٦١ أنا لها وحدها

سأهجر طائعاً في حبِّ فوزٍ نساء العالمين ولا أبالي

٦٢ التمادي

يقول عواذلي عَنْكَ التَّمَادِي فَإِنَّكَ مِنْ هَوَى فَوْزٍ قَتِيلُ
عَنْكَ: دَع عَنْكَ

فَقُلْتُ لَهُمْ دَعُوا نَضْحِي وَلَوْمِي فَلَانِي حَيْثُمَا مَالَتْ أَمِيلُ

٦٣ الملول ملول

سَبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْمَلُولَ مَلُولًا لَا يَسْتَطِيعُ إِلَى الْوَفَاءِ سَبِيلًا
لَوْ كُنْتُ أَصْبِرُ، مَا كَتَبْتُ صَحِيفَةً يَوْمًا إِلَيْكَ وَلَا بَعَثْتُ رَسُولًا

٦٤ الحب المستحيل

لَعَمْرِي لَقَدْ جَلَبَتْ نَظْرَتِي إِلَيْكَ عَلَيَّ بَلَاءٌ طَوِيلًا
فَبَا وَيْحَ مَنْ كَلِفَتْ نَفْسُهُ بِمَنْ لَا يُطِيقُ إِلَيْهِ سَبِيلًا
هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّ الْفَوَادَ عِزَاءَ جَمِيلًا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ

٦٥ عن أصدقائي

حَفِظَ اللَّهُ مَعِشْرًا فَارَقُونِي لَا يُطِيعُونَ فِي الْهَوَى مَنْ يَلُومُ
إِنْ يَكُنْ يَنْفَعُ الْبُكَاءُ عَلَيْهِمْ فَابُكَ حَتَّى تَمُوتَ يَا مُحْرُومُ
لَا تُطِيقُ الْجِبَالَ يَا مَعِشَرَ النَّاسِ مِنْ الْحَبِّ مَا تُطِيقُ الْجُسُومُ
هَلْ لَكُمْ أَنْ نَقُومَ نَبْكِ جَمِيعًا وَنَشُقَّ الْجُبُوبَ؟ بِاللَّهِ قُومُوا
لَا وَرَبَّ الْوُفُودِ لِلْبَيْتِ تَهْوِي بِهِمُ الْعَيْسُ قَدْ بَرَّاهَا الرَّسِيمُ ..

وَرَبُّ الْوَافِدِينَ إِلَى الْكَعْبَةِ الَّذِينَ تَهْوِي (تسرع) بِهِمُ الْعَيْسُ (الجمال) الَّتِي بَرَى أَخْفَافُهَا الرَّسِيمُ (السَّيْرُ السَّرِيعُ) ..

مَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَ فَوْزٍ، وَلَا كَمَا نِ فَوَازِي بِغَيْرِ فَوْزٍ يَهِيمُ
إِنْ عَدَدْتُمْ هَوَايَ ذَنْبًا فَلَانِي أَشْهَدُ اللَّهَ أَنَّ ذَنْبِي عَظِيمُ

٦٦ ظلوم

أَنَاسِيَّةٌ مَا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَقَاطِعَةٌ حَبَلَ الصَّفَاءِ ظُلُومُ
تَعَالَى نَجْدُ دَارِ الْوَصْلِ بَيْنَنَا كَلَانَا عَلَى طَوْلِ الْجَفَاءِ مَلُومُ

٦٧ نائم ويقظان

بَلَّغْنِي يَا رِيحُ عَنَّا أَهْلَ بَغْدَادَ السَّلَامَا
بِأَبِي مَنْ حَرَّمَ النَّوْ مَ عَلَى عَيْنِي وَنَامَا
إِنَّ مَنْ نَامَ لَعَمْرِي يَحْسَبُ النَّاسَ نِيَامَا

٦٨ يعرف مكان السهم

قَالَتْ ظُلُومُ سَمِيَّةَ الظُّلَمِ مَا لِي رَأَيْتُكَ نَاجِلَ الْجَسَمِ
يَا مَنْ رَمَى قَلْبِي فَأَقْصَدَهُ أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَوْجِ السَّهْمِ
أَقْصَدَهُ: أَصَابَهُ فِي مَقْتَل

٦٩ وأنفك راغم

تَحْمَلُ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ نَحْبُهُ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا فَقُلْ أَنَا ظَالِمٌ
فَلِإِنَّكَ إِلَّا تَغْفِرِ الذَّنْبَ فِي الْهَوَى بِفَارِقِكَ مَنْ تَهْوَى، وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ

٧٠ شيء بيننا وحدنا

تُحَدِّثُ عَنَّا فِي الْوَجُوهِ عِيُونُنَا وَنَحْنُ سُكُوتٌ وَالْهَوَى يَتَكَلَّمُ
وَنَغْضَبُ أَحْيَانًا وَنَرْضَى بِطَرْفِنَا وَذَلِكَ فِيمَا بَيْنَنَا لَيْسَ يُعْلَمُ
هذا كلام المحبين بلغة العيون، يعرف هذه اللغة من عشق

٧١ المستخفة بي

إِنْ كَانَ يَنْفَعُكُمْ مَا تَصْنَعُونَ بِنَا وَسَرَّكُمْ طُولُ مَا نَلْقَى فَرِيدُونَا
يَا قُوْرُ مَا مَلَّنِي حَقًّا رَسُولُكُمْ حَتَّى مَلَلْتُكُمْ، وَمَا كُنْتُمْ تَمَلُّونَا
وَلَا اسْتَخَفَّ بِأَمْرِ لِي أُعْظِمُهُ حَتَّى رَأَكُم بِأَمْرِي تَسْتَخَفُّونَا
وَأَنْتُمْ أَهْلُ وُدِّي قَدْ شَغَفْتُ بِكُمْ نَبَلَى عِظَامِي وَأَنْتُمْ لَا تُبَالُونَا
وَمَا مَرَرْتُ بِقَوْمٍ فِي مَجَالِسِهِمْ إِلَّا سَمِعْتُهُمْ فِينَا يَخُوضُونَا
وَقَدْ أَمِنَّا عَلَى أَسْرَارِنَا نَفْرًا كَانُوا كَأَوْلَادٍ يَعْقُوبُ يَخُونُونَا

أولاد يعقوب خانوه وألقوا أخاهم يوسف في الجُبِّ

وَيَحِ الْمَحِبِّينَ مَا أَشَقَى جَدودَهُمْ إِنْ كَانَ مِثْلُ الَّذِي بِي بِالْمَحِبِّينَا
جدودهم: حظوظهم

يَشْقَوْنَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِعَشَقِهِمْ لَا يُدْرِكُونَ بِهِ دُنْيَا وَلَا دِينَا

٧٢ كرامة وهوان

وَرَاضِيَ الْقَلْبَ غَضَبَانَ اللِّسَانَ لَهُ خُلُقَانِ مَا يَتَشَابِهَانِ
يُسِرُّ مَوَدَّتِي وَيُطِيلُ غَبْطِي وَيَمَزُجُ لِي الْكَرَامَةَ بِالْهَوَانِ

٧٣ الحزن الحقيقي

سَبَحَانَ رَبِّ الْعُلَا مَا كَانَ أَغْفَلَنِي عَمَّا رَمْتَنِي بِهِ الْأَيَّامُ وَالزَّمَنُ
مَنْ لَمْ يَذُقْ فُرْقَةَ الْأَحْبَابِ ثُمَّ يَرَى آثَارَهُمْ بَعْدَهُمْ لَمْ يَذُرْ مَا الْحَزَنُ

٧٤ الحب شيء..

وَالْحُبُّ شَيْءٌ قَلَّ مَنْ يَقْوَى عَلَى كَثْمَانِهِ

٧٥ غريب الدار

يَا غَرِيبَ الدَّارِ عَنْ وَطَنِ مُفْرَدًا يَبْكِي عَلَى شَجْنِهِ
شَفَّهُ مَا شَفَّنِي فَبَكَى كُلُّنَا يَبْكِي عَلَى سَكْنِهِ
وَلَقَدْ زَادَ الْفَوَادُ شَجًّا طَائِرٌ يَبْكِي عَلَى فَنَنِ
كُلَّمَا جَدَّ الْبُكَاءُ بِهِ دَبَّتِ الْأَسْقَامُ فِي بَدَنِهِ

قل هذا آخر شعر قاله . رأى طائراً يغرد فوق غصن فخاطبه

٧٦ فقد جئنا خراسانا

قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا ثُمَّ الْقُفُولُ . فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا !

صحب العباس هارون الرشيد إلى خراسان ، واستطال المكث فيها ، فقال هذا الشعر فسمعه الرشيد ، وأذن له بالرجوع إلى بغداد . بيت فيه من الدلال والإدلال الكثير . يقول : « قلتم لي سنصل إلى خراسان ثم نعود . طيب ! ها قد وصلنا خراسان ! »

مَتَى يَكُونُ الَّذِي أَرْجُو وَأَمْلُهُ أَمَّا الَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ فَقَدْ كَانَا

ما أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُذِنِي عَلَى شَحِطٍ جِيرَانٍ دَجَلَةٌ مِنْ جِيرَانِ جَيْحَانَا
على شحط: على بُعد

يا لَيْتَ مَنْ نَتَمَنَّى عِنْدَ خَلَوَتِنَا إِذَا خَلَا خَلْوَةٌ يَوْمًا تَمَنَّانَا

٧٧ أعز من الأمنيات

يا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ وَصْفِهَا لَقَدْ وَصَفْنَا لَوْ بَلَّغْنَاهَا
إِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهَا مَرَّةً أَجْلَلْتَهَا أَنْ تَتَمَنَّاهَا
لَمْ نَذِرْ مَا الدُّنْيَا وَمَا طِيبُهَا وَحَسْنُهَا حَتَّى رَأَيْنَاهَا
فَقُلْ لِقَوْمٍ حُرِّمُوا أَنْ يَرَوْهَا وَجَهَ ظُلُومٍ اسْتَرْزَقُوا اللَّهَ

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١	الموتى	١	الموتى
١٩	الممات	٣	قضائي
٢٠	طلبت	٢	صفائه
٢٤	غدا	١١	غَضِبَا
٢٢	فَسَدَا	٧	الْحُبُّ
٢٣	العائد	٦	والعتاب
٢١	تجود	٥	ويغضب
٢٥	رَقْدُوا	١٢	يُجِيبُ
٢٨	سعد	١٠	الْكَرْبِ
٢٩	يزيد	١٣	قلبي
٣٠	الفؤاد	٩	مُراقِبِ
٢٧	موجود	١٤	والغضب
٢٦	والجسد	٦	والْكَرْبِ
٣٩	الصبر	١٨	وبالعتب
٤٢	حجر	٤	وشحوبي
٣٣	مِذْرَارُ	١٧	أبوابها
٣٧	ويظهر	١٥	وَأَغَالِيهِ
٣٤	المُحَجَّرِ	١٦	يُجِبُّهُ

٥٦	بِالرَّافِقَةِ	٣١	النَّارِ
٦٣	سِيْلَا	٤٠	بَصْرِي
٦٤	طَوِيْلَا	٣٦	تَدْرِي
٥٩	عَوِيْلُ	٣٢	دَوْرٍ
٦٢	قَتِيْلُ	٣٨	صَبْرِي
٦١	أُبَالِي	٣٥	مَسْتَرٍّ
٥٨	بِالْجَهْلِ	٤١	وَالْبَصْرِ
٦٠	يُسْلِي	٤٣	النَّاسِ
٦٧	السَّلَامَا	٤٤	رَاسِي
٦٩	ظَالِمُ	٤٥	صَنَعَا
٦٦	ظَلُومُ	٤٧	وَتَصْنَعُ
٧٠	يَتَكَلَّمُ	٤٦	بِشَافِعٍ
٦٥	يَلُومُ	٤٨	وَأَوْجَاعِي
٦٨	الْجَسَمِ	٤٩	وَقَفَا
٧٦	خُرَاسَانَا	٥٠	لَخَائِفُ
٧١	فَزِيدُونَا	٥٧	فِرَقَا
٧٣	وَالزَّمَنُ	٥١	قَلَقَا
٧٢	يَتَشَابَهَانِ	٥٣	أَتَنَشَّقُ
٧٧	بَلَّغْنَاهَا	٥٥	أَتَنَشَّقُ
٧٥	شَجْنِهِ	٥٤	رَمَقُ
٧٤	كِتْمَانِهِ	٨	يُخْلِقِي
		٥٢	أُطِيقُ

مسلم بن الوليد (١٣٥هـ - ٢٠٨هـ)

كرهت مسلم بن الوليد ثم أحببته، ثم كرهته ثم أحببته، مرات كثيرة. وآخر كرهة كرهتها كانت قبل ساعتين، وآخر حب كان قبل ساعة.

كرهته لكثرة ما يتلاعب بالألفاظ ولكثرة ما يصصر على أن يحشو أبياته بالمعاني حشواً فيه اقتسار، وفيه صنعة. وكنت أنصرف عنه انصرافاً عندما يكون مزاجي رائقاً، وأكون محتاجاً إلى أن أقرأ شعراً فيه لمسة وجدانية. وكنت أنصرف عنه عندما يكون مزاجي متوتراً، ذلك أنني أكون بنصف قواي العقلية فلا أريد أن أنشغل بحل ألغازه.

وكنت أحبه عندما أكون في مزاج معابثة، وما أكثر ما يعتادني هذا المزاج.

وقبل ساعة أقبلت على شعر مسلم باسماء، وجعلني أقبل عليه أنني تذكرت ذلك الألماني روكارت الذي ترجم إلى لغته ديوان امرئ القيس والحماسة ومقامات الحريري، وكنت قصصت قصته في كتابي السابق «أول الشعر» الذي تناولت فيه العصر الجاهلي والإسلامي والأموي. وأعيد عليك فقط قصة صغيرة عن روكارت: لقد نزل الثلج على قريته في شمال بافاريا ذات سنة في نيسان/أبريل.. حادثة غريبة، والأغرب منها أن صاحبنا نظم فيها ثمانين وثلاثين قصيدة. كان روكارت مجنون شعر.. كان يلعب باللغة، ولا يكاد يجد فرقاً بين شعر فيه الأعيب وشعر عاطفي. فذاك يهز العقل، وهذا يهز الوجدان.

أقبلت على شعر مسلم أقرأ وأبتسم لهذه الألاعيب البديعية، والبيانية.. فقد قرر علماء اللغة أن البديع هو المحسنات اللفظية من جناس وطباق، بينما البيان يتضمن المحسنات المعنوية من تشبيه وتورية. ولا أرى كبير فرق.

أقبلت أشرح أشعار الرجل فإذا هي كومة خيوط دقيقة تعقدت وتشلبكت .
نعم حتى تلك التي اخترتها بنفسى . في فكها متعة ، وفيه عناء . ومن ذا قال إن
الشعر وجدان فقط . على أن في شعر مسلم بن الوليد شهوانية ، وفيه انصراف
عن الشهوانية ، وفيه بعض عبث ، ومدح غث لكنه حافل بتلك الألاعيب . وفيه
بعض انقباض . وكان في الرجل ، كما قالوا لنا ، انقباض .

كان مسلم يحكك شعره ، ولا يرسله على السجية كبشار بن برد . كان
يجري في شعره على أساليب القدماء في اللفظة ومعناها المباشر ، لكنه أسرف
في الصناعة إذ يركب الألفاظ لتنتج المعاني الثانوية .

والد مسلم كان مولى للخزرج ، ودرج الناس على تسمية شاعرنا «مسلم بن
الوليد الأنصاري» . وقد ولد بعيد ولادة الدولة العباسية ، وما شب حتى كان
للموالي شأن في الدولة ، وكان منهم الشعراء والقادة وعلماء اللغة ، فسيبويه
يصغر شاعرنا بعشر سنين أو عشرين ، وبشار المولى كان كهلاً عند ميلاد مسلم ،
ومن معاصريه ولداؤه أبو نواس وأبو العتاهية .

لم يشعر مسلم بما شعر به بشار من حنين إلى أديان الفرس القديمة ، ولا
إلى الثقافة المغلوبة . قد انخرط في هذه الثقافة الجديدة للدولة الناشئة ، أو قل
انسلخ عن أصول لا يربطه بها رابط قوي . ساعده في ذلك أنه ألحق نفسه بقوة
بمواليه الأنصار ، وأنه حقق النجاح في بلاط الخليفة ، وفي مجالس الوزراء .

سار على سنة النابغة وزهير وكل شعراء العرب في أن يمدح ويهجو
ويعاتب ويستجدي .

استطراد قصير

كدت أظن شعرنا العربي تخلص من المديح في هذا الزمن لولا أنني رأيت
شعراء يقولون شعراً ظاهره مدح الوطن وباطنه مدح الحاكم .

تهتك مسلم بعض التهتك وسائر أبا نواس ، ولكنه لم ينخرط في المجون .
ولم ينحرف نحو وصف مجالس الخمر والعبث إلا نظرفاً . وعرفنا أنه تزوج
وأنجب ، وأحب زوجته ، ورثاها بخرقه . كان تلميذه دعبيل الخزاعي يلم به
ويتعلم منه ، ولكن دعبلاً شخصية قلقة ، وقد فارق أستاذه وتعتاباً بعد سنين بشعر
يشبه الهجاء .

نجح مسلم في بلاط الرشيد نجاح أبي نواس، ولكنه لم يكن مقرباً للأمين، ولم نعرف له حضوراً في بلاط المأمون. فمع انقضاء عهد الرشيد كان مسلم في نحو الستين من العمر، ونال من الفضل بن سهل، وكان يمدحه ويمدح أباه، تعييناً في جرجان: قيل جعله الفضل على البريد هناك. وترك مسلم الشعر، كأنما استوفى ما في جعبته من الألاعيب البيانية، واسترخى في جرجان. وبها مات وقد تجاوز السبعين.

تريد أن تشهد الليلة التي دخل فيها البديع إلى الشعر العربي من الباب الواسع، حسناً.. معك ههنا مسلم بن الوليد، اخترت لك أجمل شعره. وفي هذا الشعر أبيات جميلة، وفيه صنعة كثيرة وذكية، وهو الشعر الذي أسس تأسيساً لاتجاه الإغراق في البديع، فإن كنت تعرف أن هذا الاتجاه أصبح سيلاً عارماً جرف الشعر العربي معه قروناً فيما بعد، فأنت الآن تعرف من الذي شق لهذا السيل طريقه من أعلى الجبل إلى أسفل الوادي. مراراً وتكراراً يقول لك ابن المعتز في كتابه «البديع» - وهذا اسم الكتاب - إن البديع موجود في اللغة شعرها ونثرها وقرآنها منذ القدم. ونقول له: موجود نعم، ومسلم بن الوليد لم يخترعه، ولكن مسلماً هو الذي نقل البديع نقلة نوعية: نقله من التأنق العفوي إلى الصنعة. جعله همه وشغله الشاغل. ونحن لا نذكر لك في شرحنا الألاعيب اللغوية ولا نسميها بأسمائها.. نحن نشرح البيت وأنت تدرك ما فيه من تورية أو استعارة. قد عاهدنا أنفسنا في هذه الأشياء التي نكتبها في عرض الشعر القديم وشرحه ألا ننحرف بالشرح عن المعنى، وألا ندخل في النحو ولا في البلاغة ولا في التاريخ ولا العروض إلا إذا دعا داع لصيق بالمعنى.

نشر شعر مسلم بن الوليد سامي الدهان بشرح قديم للطبيخي الأندلسي، وانتفعنا بالشرح على تصريده. ونحن في شرحنا لهذه المختارات فعلنا العكس، فأسرفنا في التفسير واللغو، لما كنا نحس به من صعوبة وتعقد هذا الشعر، ولعل هذا أن يضجر القارئ الذي له ألفة بالشعر القديم، فهذا اعتذار له.

استطراد آخر

قد حسبت السنين.. ورأيت أنني سأبدد الكثير منها وأنا اشرح مثل هذا الشرح المفصل لشعراء كثر - وأنا بصدد شرح مختاراتي من اثنين وأربعين شاعراً - فقراري على أن أقلل في مقبل الأعمال من الشرح كثيراً.. وأن أكتفي

بشرح ما هو مغلق أو ما فيه كلمات مهجورة. وسنرى إن كنت سأنفذ هذا. حقاً
شعرت بأنني أكتب لمن لا يريدون أن يسمعوا، فلأسترح قليلاً.

١ أبيات فرائد

أَرَادُوا لِيُخَفُّوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطَيَّبُ تَرَابِ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ

* * *

قُبِّحَتْ مَنَاطِرُهُ فَحِينَ خَبِرْتُهُ حَسُنَتْ مَنَاطِرُهُ لِقُبْحِ الْمَخْبَرِ

* * *

فَالْكَلْبُ إِنْ جَاعَ لَمْ يُغْدِمَكَ بَصْبَصَةً وَإِنْ يَنْلُ شُبْعَةً يَنْبَعُ عَلَى الْأَثَرِ

البصصة تحريك الذنب

* * *

بمدح الرشيد:

يَغْدُو عَدُوُّكَ خَائِفاً فَلِذَا رَأَى أَنْ قَدْ قَدَّرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكَ

* * *

أَقْرُ بِالذَّنْبِ مِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ كَيْمَا أَقُولَ كَمَا قَالَتْ فَتَنْفِقُ

* * *

سَبَقْتُ بِمَعْرُوفٍ وَصَلَّى ثَنَائِيَا فَلَمَّا تَمَادَى جَرِينَا صِرْتُ تَالِيَا

سبقتني بالعطاء، فصلّى ثنائي، أي جاء ثانياً.. والمصلي هو الحائز على المرتبة الثانية في سباق الخيل، فلما تمادى بنا السباق وطال صرت أنت بعدي أي أن مدحي لك صار أكثر من عطائك

* * *

مُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي عَلَى دِمْنَةٍ وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِيهِ الْمَشِيبُ

مستعبر: بالك، دمنة: خربة. هذا معنى سرقه دعل، تلميذ مسلم. انظر البيت الثاني من القطعة رقم ٣٧ من باب «دعل» في هذا الكتاب

* * *

رَفَعْتُ «بُنُو النَّجَّارِ» بَيْتِي فِيهِمْ ثُمَّ انْتَمَيْتُ فَأَفْسَحُوا فِي الْمَجْلِسِ

رفع بنو النجار من الأنصار بيتي ضمن عشيرتهم، وكنت بعد ذلك كلما انتميت، أي ذكرت نسبي الأنصاري، أفسح الأقوام لي في مجالسهم

* * *

وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَى الْأَمَانِي كَوَازِبًا فَإِنْ صَدَقَتْ جَارَتْ بِصَاحِبِهَا الْقَدْرَا

الأمانيات كاذبة غالباً، فإذا صدقت تجاوزت بالتمني القدر، أي القدر المتوسط،
فقال أكثر مما تمنى

٢ نَتَف

نَنَا كَعَرَفِ الطَّيِّبِ يُهْدَى لِأَهْلِهِ وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا بَنِي خَالِدٍ أَهْلُ

عرف الطيب: رائحته الذكية، ولا يستحق هذا الثناء إلا بنو خالد

فَإِنْ أَغَشَّ قَوْمًا بَعْدَهُمْ أَوْ أَزْرَهُمْ فَكَالْوَحْشِ يُدْنِيهَا مِنَ الْقَائِنِ الْمَحْلُ

إن غشيت غيرهم، أتيتهم، فللضرورة فقط... مثلما يقرب المحل والقحط الوحش، من ظبي
أو حمار وحش، من قانصه، أي صائده

* * *

يهجو العباس بن الأحنف الشاعر:

بَنُو حَنِيفَةَ لَا يَرْضَى الدَّعِيَّ بِهِمْ فَاتْرُكْ حَنِيفَةَ وَاطْلُبْ غَيْرَهَا نَسَبَا

الدعي، المدفوع النسب، نفسه لا يرضى ببني حنيفة فاترك هذه القبيلة يا عباس

وَإِذَا هَبَّ إِلَى عَرَبٍ تَرْضَى بِنَسَبَتِهِمْ إِنِّي أَرَى لَكَ خَلْقًا يُشَبِّهُ الْعَرَبَا

هجاء مزدوج: للشخص بأنه دعي، وللقبيلة بأنها خسيصة لا يرضى حتى الأدعياء الانتساب إليها؛
ومع هذا فقد سبق في ثوب النصيحة. الهجاء العباسي فيه هذا التفنن وتعقيد المعنى، وانتظر لترى
ما سيصنع دعبل وأبو تمام والبحري، وكلهم في هذا الكتاب؛ ثم انتظر ما سنورده عليك في كتابنا
المقبل «تألق الشعر» من أهاجي سيد الهجائين ابن الرومي

* * *

يمدح يزيد بن مزيد الشيباني:

سَلَّ الْخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ «بَنِي مَطَرٍ» يَمْضِي فَيَخْتَرُقُ الْأَجْسَادَ وَالْهَامَا

الهام: الرؤوس

كَالدَّهْرِ لَا يَنْشَنِي عَمَّنْ يَهُمُّ بِهِ قَدْ أَوْسَعَ النَّاسَ إِنْْعَامًا وَإِرْغَامًا

هذا القائد مثل الدهر لا يتراجع عمن ينوي الإيقاع به، فيزيد بن مزيد قد أوسع الناس، أي
ملاهم، بالنعمة للصديق وبالإرغام، الإذلال، للعدو

* * *

يمدح هارون الرشيد:

وَقَفَّتْ عَلَى النَّهْجِ الظُّنُونُ فَصَرَّحَتْ وَأَدَّى إِلَيْكَ الْحُكْمَ كُلُّ مُشَرَّدٍ
أَوْفَتْ الظُّنُونُ والتوقعات على النهج الصحيح فصرحت هذه الظنون، أي صارت وقائع صريحة،
وكل من كان مشرداً عن الطاعة مبتعداً عنها أدى إليك مقاليدها

إِذَا اخْتَلَفَتْ أَهْوَاءُ قَوْمٍ جَمَعَتْهُمْ عَلَى الْعَفْوِ أَوْ حَذَّ الْحَسَامِ الْمَهْنِدِ
تجمع الناس عندما تضطرب الأهواء والميول، إما بالعفو عنهم أو بالسيف للعصاة

* * *

يمدح الفضل بن جعفر بن يحيى البرمكي:

أَبُوكَ اسْتَرَدَّ الشَّامَ إِذْ نَفَرَتْ بِهِ، مُلَقَّحَةً، شَعْوَاءَ لَيْسَ لَهَا بَعْلُ
أبوك استرد الشام بعد أن نفرت وابتعدت بالشام فتنة شعواء، أي منتشرة، وقد نفرت وهي ملقحة
(والحرب تُلْقَحُ أي تهيج) مع أنه ليس لها بعل

بِجَيْشٍ كَأَنَّ اللَّيْلَ بَعْضُ حديدِهِ تَهَادَى الرَّدَى فِيهِ الْفَوَارِسُ وَالرَّجُلُ
بجيش يسير في الليل فتحسب سواد الليل بعض حديد الجيش، وتتهادى، تتبادل أخذاً وإعطاءً،
الفرسان والمشاة في هذا الجيش الموت مع الأعداء

* * *

رَأْنِي بِعَيْنِ الْجُودِ فَاَنْتَهَزَ الَّتِي طَلَبْتُ، وَلَمْ أَفْتَحْ إِلَيْهِ بِهَا فَمَا
رأني بعين سخائه فانتهاز، أي استبق، طلبني قبل أن أطلب
ظَلَمْتُكَ إِنْ لَمْ أَجْزِكَ الشُّكْرَ بَعْدَمَا جَعَلْتَ إِلَى شُكْرِي نَوَالَكَ سُلْماً
جعلت عطاءك السلم والوسيلة لنيل شكري ومدحي

* * *

وَيُخْطِئُ عُذْرِي وَجَهَ جُرْمِي عِنْدَهَا فَأَجْنِي إِلَيْهَا الذَّنْبَ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي
اعتذر لها بشيء لا يتعلق بالذنب الذي أذنبته، فأحمل ذنباً آخر دون أن أدري

إِذَا أَذْنَبْتُ أَعْدَدْتُ عُذْرًا لَذَنْبِيهَا فَإِنْ سَخِطْتُ كَانَ اعْتِذَارِي مِنَ الْعُذْرِ
وعندما تذنّب هي فأنا أتُهَيِّأُ بعذر لها لأنها ستغضب وعليّ أنا دائماً أن أعتذر، فإن سخطت من
عذري كان عليّ أن أعتذر من هذا العذر... كذا دلالة الحيلة

* * *

سَقَى اللَّهُ أَيَّاماً لَنَا لَسْنَ رُجْعاً وَسَقِياً لِعَصْرِ الْعَامِرِيَّةِ مِنْ عَصْرِ
لِيَالِي أَجْرَزْتُ الْبِطَالََةَ مِقْوَدِي تَمُرُّ اللَّيَالِي وَالشُّهُورُ وَلَا أُدْرِي
ليالي، أي في ذلك الزمن، أجرت البطالة مقودي.. أعطيت اللهو المقود كي يذهب بي أنى شاء

* * *

وَكَبِدًا! أَحْرَقَ الْهَوَى كَيْدِي عِيلَ اضْطِبَارِي، وَخَانَنِي جَلْدِي
أَغْشَبَ خَدِّي مِنَ الْبُكَاءِ، وَقَدْ أَوْزَقَ غَصْنُ الْهَوَى عَلَى كَيْدِي

* * *

أُمُرٌ بِالْحَجَرِ الْقَاسِيِ فَأَغْطُهُ لِأَنَّ قَلْبَكَ عِنْدِي يُشْبِهُ الْحَجَرَ
أغبطه: أحسده

أَحْبَبْتُ مِنْ حُبِّهَا مَنْ كَانَ يُشْبِهُهَا حَتَّى لَقَدْ صِرْتُ أَهْوَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ.
ولماذا «حتى»؟ كلنا نحب الشمس والقمر

* * *

وَكَمْ مِنْ مُعِدٍّ فِي الضَّمِيرِ لِي الْأَذَى رَأْنِي فَأَلْقَى الرُّعْبُ مَا كَانَ أَضْمَرَا
هَذَا لِقَضَاءِ الْجَلْمِ جَهْلُ جَهْلَتُهُ عَلَيْهِ، وَلَوْ حَالَمْتُهُ لَتَجَبَّرَا
أرشده للتأني جهل جهلته، أي رعونة من جانبي وتهور، ولو كنت تلطفت به لتجبر

* * *

جَلَبْتُ لَكَ الثَّنَاءَ فَجَاءَ عَفْوَاً حَيَاةً لِلْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي
أمدحك عفو الخاطر لأن في ذلك إحياء للمكارم وليس لغرض آخر

وَتَرَجَعْنِي إِلَيْكَ - وَإِنْ نَأَتْ بِي دِيَارِي عَنْكَ - تَجَرِبَةُ الرُّجَالِ

* * *

طَرَفْتُ عَيُونَ الْعَانِيَاتِ، وَرُبَّمَا أَمَلَنْ إِلَيَّ الطَّرْفَ كُلَّ مَمِيلِ
الآن منطري بؤذي عيون الحسان كأنه يطرفها، وكن في الماضي يملن إلي بعيونهن إعجاباً
وما الشيب إلا شعرة، غير أنه قَلِيلٌ قَذَاةُ الْعَيْنِ غَيْرُ قَلِيلِ
الشيب شيء صغير.. مجرد بياض في الشعر، ولكن القذاة في العين مؤذية وإن صغرت

* * *

ذَاكَ ظَبْيٍ تَحَيَّرَ الْحُسْنُ فِي الْأَرْكَانِ مِنْهُ، وَحَلَّ كُلَّ مَكَانٍ
عَرَضَتْ دُونَهُ الْحَجَالُ فَمَا يَلِدُ فَقَاكَ إِلَّا فِي النُّوْمِ أَوْ فِي الْأَمَانِي
حالت دون الوصول إليه الحجال، المستور، فلا تراه إلا في المنام أو الأمنيات

* * *

أَلَا يَا نَخْلَةً بِالسَّفْهِانِ حِجِّ مِنْ أَكْنَافِ جُرْجَانٍ
أَلَا إِنِّي وَإِيَّاكَ بِجُرْجَانٍ غَرِيبَانِ
قالهما في جرجان بعيداً عن الوطن

٣ الجماجم تيجاناً

بمدح يزيد بن مزيد الشيباني:

أَجْرَرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ فِي الصَّبَا عَزَلٍ وَشَمَّرْتُ هِمَمُ الْعُدَالِ فِي الْعَذَلِ
أَجْرَرْتُ، أي تُرِكَ لي الحبل لأصنع ما أشاء فكنت خليعاً، مستهتراً كأولئك الذي كانت تخلفهم
قبائلهم وتبيرا منهم، وكنت غزلاً، أي متغزلاً بالنساء، وشمر العذار بهمة يلوموني

عَاصَى الْعِزَاءِ غَدَاةَ الْبَيْنِ مُنْهَمِلٌ مِنْ الدَّمُوعِ جَرَى فِي إِثْرِ مُنْهَمِلٍ
عاصى العزاء، منع التعزي والنسيان، صبيحة الفراق الدمع المنهمر يجري بعضه إثر بعض

لَوْلَا مُدَارَاةُ دَمْعِ الْعَيْنِ لَانْكَشَفْتُ مِنْنِي سَرَائِرُ لَمْ تَظْهَرْ وَلَمْ تُخَلِّ
ولولا أن داريت دمعي لانكشفت سرايري، مشاعر دفينة، لم يكن قط متوقفاً أن تظهر

مَاذَا عَلَى الدَّهْرِ لَوْ لَانَتْ عَرِيكَتُهُ وَرَدَّ فِي الرَّأْسِ مِنْنِي سَكْرَةُ الْعَزَلِ
ماذا يضريك يا زمن لو لانت عريكتك، كنت لينا لطيفاً معي، ورددت في رأسي ذلك الإحساس

قَدْ كَانَ دَهْرِي - وَمَا بِي الْيَوْمَ مِنْ كِبَرٍ - شُرْبُ الْمُدَامِ وَعَزْفُ الْقَيْنَةِ الْعُطْلِ
كان زمني الماضي - ولست مسناً الآن - شرب الخمر والاستماع إلى القينة العطل، المغنية غير
المحلاة بالعمود وربما أيضاً غير المحلاة بكثير من الثياب

إِذَا شَكُوتُ إِلَيْهَا الْحَبَّ خَفَرَهَا شَكْوَايَ فَاحْمَرَّ خَدَاها مِنَ الْخَجَلِ
خفرتها: جعلها تخجل

فِيهِمُ الْمُقَامُ وَهَذَا النُّجْمُ مُعْتَرِضاً دَنَا النَّجَاءُ وَحَانَ السَّيْرُ فَارْتَحِلْ
لماذا أبقى هنا، فما قد اعترض النجم في السماء، وفي الليل يكون السفر لبرودته، وقد دنا
النجاء، سير الإبل، فهيا للرحيل

يَا مَائِلَ الرَّأْسِ إِنَّ اللَّيْثَ مُفْتَرِسٌ مِيلَ الْجَمَاجِمِ وَالْأَعْنَاقِ، فَاعْتَدِلْ

يا مائل الرأس تيهاً وتكبراً. . الليث يفترس الرؤوس المائلة والأعناق فاعتدل

حَذَارٍ مِنْ أَسَدٍ ضِرْغَامَةٍ بَطُلٍ لَا يُوَلِّغُ السِّيفَ إِلَّا مُهْجَةَ الْبَطْلِ

هذا الأسد لا يولغ السيف، لا يجعله يلغ أي يلغ، إلا في دم البطل من الأعداء

سَلَّ الْخَلِيفَةُ سَيْفًا مِنْ «بَنِي مَطَرٍ» أَقَامَ قَائِمُهُ مَنْ كَانَ ذَا مَيْلٍ

سل الخليفة يزيد بن يزيد من بني مطر، سله سيفاً أقام قائمه، أي مقبضه،

من كان مائلاً ومنحرفاً عن الحق

سَدَّ الثُّغُورَ «يَزِيدُ» بَعْدَمَا انْفَرَجَتْ بِقَائِمِ السِّيفِ لَا بِالْخَتْلِ وَالْحِجْلِ

سد يزيد الثغور، حمى الحدود، بعد أن انفرجت وانكشفت للعدو، وقد سدّها بالقتال لا بالختل،

الخداع والمفاوضات

يَغْشَى الْوَعَى وَشِهَابُ الْمَوْتِ فِي يَدِهِ يَرْمِي الْقَوَارِسَ وَالْأَبْطَالَ بِالشُّعْلِ

يأتي المعركة ويده سيف كشهاب يحمل الموت ويرمي به الأعداء

يَفْتَرُّ عِنْدَ افْتِرَارِ الْحَرْبِ مَبْتَسِمًا إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُ الْفَارِسِ الْبَطْلِ

عندما تفر الحرب، تفتح ثغرها، فهو يفر، يفتح فمه بابتسامة، بينما تغير وجوه الأبطال وتكون عابسة

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمٍ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلَ يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ

يأتي على مهج الناس، أي قلوبهم، في يوم ذي رهج، أي غبار، كأنه الأجل الذي يبدد أمل الأعداء

يَنَالُ بِالرَّفَقِ مَا يَبْعَا الرِّجَالُ بِهِ كَالْمَوْتِ مُسْتَعَجَلًا يَأْتِي عَلَى مَهَلٍ

بسرعة ولطف يحقق ما يعيا، يعجز عنه الرجال، فهو كالموت مستعجل ولكنه متمهل واثق

إِنْ شِيمَ بَارِقُهُ حَالَتْ خَلَائِقُهُ بَيْنَ الْعَطِيَّةِ وَالْإِمْسَاكِ وَالْعِلَلِ

إن شيم بارقه، اختبر برقه إن كان يحمل مطراً أم لا، حالت خلائقه، حالت طباعه، ووقفت حائلاً

بين العطية من جهة وبين الإمساك والنع والعلل، أي الحجج، من جهة أخرى. فطباعه تمنع

التحجج والبخل من الوقوف في وجه السخاء. إن كنت رأيت بارقه وخلائقه، ومهج ورهج في

البيت قبل السابق، وهذا الالتواء في التعبير باتخاذ شتى المحسنات فهذا هو مسلم بن الوليد الذي

أسرف في البديع وفتح الطريق لأبي تمام كي يأتي ويجن الناس

يَقْرِي الْمَنِيَّةَ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ كَمَا يَقْرِي الضُّيُوفَ شُحُومَ الْكُومِ وَالْبُزْلِ

يقري: يطعم الضيف، الكماة: المسلحون، الكوم: الجمال الكبيرة، البزل: الجمال التي بزلت

أي خرجت أسنانها. يقول: يزيد يقدم الأعداء المسلحين طعاماً للموت، مثلما يطعم الضيوف

شحم الجمال

يَكْسُو السِيوْفَ دِمَاءَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تِجَارَةَ الْقَنَا الذَّبِيلِ
الذي ينكتون بالعهد ويثرون على الدولة يكسو سيوفه بدمائهم، ويجعل للقنا الذيل، أي الرماح
المجففة، تيجاناً على أستها من هام، أي رؤوس الأعداء

يَغْدُو فَتَغْدُو الْمَنَابِيَا فِي أَسْنَتِهِ شَوَارِعاً تَتَحَدَّى النَّاسَ بِالْأَجَلِ
الموت يمشي معه في أسنة الرماح، والرماح شوارع، أي مشرعة ممدودة،
تتحدى الناس بتقريب آجالهم

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقَّنَ بِهَا فَهَنْ يَتَّبَعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلٍ
عود النسر عادات مؤكدة هي أنه سيقتل الأعداء،
فالجوارح تتبعه في كل ارتحال له كي تأكل من الجثث

تَرَاهُ فِي الْأَمْنِ فِي دِرْعٍ مُضَاعَفَةٍ لَا يَأْمَنُ الدَّهْرُ أَنْ يُدْعَى عَلَى عَجَلٍ
حتى في حال الأمن يكون لباساً درعاً مضاعفة النسيج، فهو الدهر، أي طول الدهر، لا يأمن من
أن يستدعى على عجل للقيام بمهمة

فَأَفْخَرُ فَمَا لَكَ فِي شَيْبَانَ مِنْ مَثَلٍ كَذَلِكَ مَا لِبَنِي شَيْبَانَ مِنْ مَثَلٍ
لِلَّهِ مِنْ «هَاشِمٍ» فِي أَرْضِهِ جَبَلٌ وَأَنْتَ وَابْنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الْجَبَلِ
لبنی هاشم، ومنهم العباسيون، جبل متين في حكمهم، ويزيد وابنه ركننا هذا الجبل، فمتان فيه
يا رَبِّ مَكْرُمَةٍ أَصْبَحَتْ وَاحِدَهَا أَعْيَتْ صَنَادِيدَ رَأْمُوهَا فَلَمْ تُنَلِّ
الصناديد: الشجعان، راموها: حاولوا نيلها

تَشَاغَلَ النَّاسُ بِالْدُنْيَا وَزُخْرُفِهَا وَأَنْتَ مِنْ بَذَلِكَ الْمَعْرُوفِ فِي شُغْلٍ
صَدَّقْتَ ظَنِّي وَصَدَّقْتَ الظُّنُونَ بِهِ وَحَظَّ جُودُكَ عَقْدَ الرَّحْلِ عَنْ جَمَلِي
صدقت ظني بسخائك، وصدقت ظنون الآخرين بظني، فهم سينالون مني بعض ما أعطيتني.
وجودك جعلني أنزل الرحل عن جملي، إذ لن أحتاج للرحيل والبحث عن رزق آخر فقد كفيته

٤ رَاكِبَ اللَّيْلِ وَمَرْكُوبَهُ

سَلِّ النَّاسَ إِنِّي سَائِلُ اللَّهِ وَحْدَهُ وَصَائِرُ عِرْضِي عَنْ فُلَانٍ وَعَنْ فُلٍ
نحن اليوم نقول فلان وفلان وعلان

إِذَا رَكِبَ اللَّيْلُ الضَّعَافَ رَكْبَتُهُ زَمِيلِي السَّرَى وَالرَّدْفُ عَزْمِي وَمُنْصَلِي
الليل يركب بهوموه الضعاف، فأما أنا فأركبه ويزاملني السرى، أي سير الليل، ويكون ردفي، أي
رفيقي الذي أردفه خلفي، العزم والمنصل، أي نصل السيف

وَقَدْ عَجَمْتُ مِنِّي الْخُطُوبُ ابْنَ هِمَّةٍ متى ما تُرِيهِ مَنْزِلَ السُّوءِ يَرْحَلِ
لقد عجمت، أي جربت، الخطوب في شخصي ابن همة، صاحب طموح، متى أرته الخطوب
منزلاً يسيء إليه فسرعان ما يرحل

بَلَّغْنَا «بِسَهْلٍ» ثُرُوءَ وَوَسِيلَةَ إِلَى وَفَرٍ مَالٍ وَاسِعٍ وَتَفَضَّلِ
حصلنا من سهل على ثروة و«واسطة» تقرّبنا من الخليفة مما سيعود علينا بوفر وفضل كبيرين
فَتَى كَرَمٍ يُعْطِي وَإِنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا يَتَّقِي طُلَّابَهُ وَلَا يَحْتَمِي مِنْ طَالِبِي الْعِطَاءِ، بِالْتَعَلُّجِ
يعطي المال حتى وإن قل بيده، ولا يتقي طلابه، لا يحتمي من طالبي العطاء، بالتعجل
وَلَسْتُ بِهَجَّاءٍ إِذَا السَّيْبُ رَأَتْني وَلَا حَامِلٍ مَدْحِي عَلَى غَيْرِ مَحْمَلٍ
ولست هاجياً إذا السيب، العطاء، رائتي، تأخر علي، ولست أحمل مدحي على محمل العتاب
مثلاً أو الوعيد المبطن

ه الماشي في الوحل

أَدِيرَا عَلَيَّ الرَّاحَ لَا تَشْرَبَا قَبْلِي وَلَا تَطْلُبَا مِنِّي عِنْدَ قَاتِلَتِي ذَحْلِي
يخاطب صاحبيه: أديرا علي كؤوس الخمر ولا تشربا قبلي، وأنتما تعلمان أن هذه الفاتنة ستقتلني
بجها فلا تطلبا عندها ذحلي، أي ناري

أَحِبُّ النِّي صَدَّتْ وَقَالَتْ لِتَرِبَهَا: دَعِيهِ! الثَّرِيَّا مِنْهُ أَقْرَبُ مِنِّي وَصَلِي!

أحبها وهي تصد عني وتقول لتربها، أي رفيقتها، اتركيه فنجوم الثريا أقرب إليه من وصلي

أَمَاتَتْ وَأَحْبَتْ مُهْجَتِي، فَهِيَ عِنْدَهَا مُعَلَّقَةٌ بَيْنَ الْمَوَاعِيدِ وَالْمَطْلِ

أماتتني وأحبتني، فمهجتي، أي قلبي، معلقة بين المواعيد، والمطل، التسويف

وَمَا نَلْتُ مِنْهَا نَائِلًا غَيْرَ أَنَّنِي بِشَجْوِ الْمُحِبِّينَ الْأَلَى سَلَفُوا قَبْلِي

لم أنل منها شيئاً.. وقد خرجت من هذه العلاقة بشجو، أي حزن، المحبين الذين سبقوني، يشير
على الأغلب إلى مشاهير العشاق الذين أحبوا ولم ينالوا شيئاً، ولعله يشير إلى محبي هذه الفتاة
الذين خرجوا من حبهم لها بلا طائل ولا نائل

كَتَمْتُ تَبَارِيحَ الصَّبَابَةِ عَادِلِي فَلَمْ يَذَرِ مَا بِي فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعَذْلِ

كتمت تباريح، آلام، الصباغة، العشق، عن العاذل اللاتم فاسترحت من لومه

وَمَانِحَةِ شُرَابِهَا الْمُلْكَ قَهْوَةَ مَجُوسِيَّةِ الْأَنْسَابِ مُسْلِمَةَ الْبَعْلِ

ورب قهوة، خمر، تمنح شاربها شعوراً بأنهم ملوك، وهي مجوسية الأنساب، قد بدأ تعتيقها أيام
عز فارس في ظل المجوسية، ولكن شاربها وشاربها مسلم فهو بعلمها الذي ملكها ونزوجها

رَبِيبَةَ شَمْسٍ لَمْ تُهَجِّنْ عُرُوقَهَا بِنَارٍ، وَلَمْ يُقَطِّعْ لَهَا سَعْفُ النَّخْلِ

الخمير ربيبة شمس، نضج عنها في كرومه فهي ابنة الشمس، ولم تهجن بالنار، لم يعيبها الطبخ بالنار. . . وكانوا ربما ساعدوا في تفكيك العنب بطبخه مع عروقه قبل تعتيقه، فهذا يعطيك طعم مزازة زائداً من عصارة العروق، وأما الخمير الجيدة فيعصرون عنها عصراً رقيقاً فلا يتسلل طعم العروق إلى الخمير؛ ولم يقطع سعف النخل لجني ثمارها، فهي ليست نبيذ التمر الذي أحله بعض فقهاء العراق، بل خمير العنب

تَصُدُّ بِنَفْسِ الْمَرْءِ عَمَّا يَغْمُهُ وَتُنْطِقُ بِالْمَعْرُوفِ أَلْسِنَةَ الْبُخْلِ

تبتعد بالنفس عن الغنوم وتجعل لسان البخيل ينطق بالمعروف، السخاء

بَعَثْنَا لَهَا مَنَّا خَطِيباً لِبُضْعِهَا فَجَاءَ بِهَا يَمْشِي الْعِرْضَنَةُ فِي مَهْلِ

بعثنا رجلاً كي يخطب بضعها، يطلب يدها. . . والبضع فرج المرأة يستحله الرجل بالزواج، فجاء بها مفتخراً يمشي العرضنة، مشية المفتخر المتمايلة

مُعْتَقَّةٌ لَا تَشْتَكِي وَظَاءٌ عَاصِرٍ حَرُورِيَّةٌ فِي جَوْفِهَا دُمُهَا يَغْلِي

معتقة، ولم تعاني من دوس العاصر برجليه، فخير الخمير ما سال عصير عنها قبل الدوس بالأرجل، وهي حرورية، متهجة كالرجل الحروري أي الخارجي المتحمس للقتال، وكأن دمها يغلي

أَقَامَتْ لَنَا الصَّهْبَاءُ صَدْرَ قَنَاتِهَا وَمَالَتْ عَلَيْنَا بِالْخَدِيعَةِ وَالْخَنْثِلِ

أقامت لنا صدر قناتها، أي رمحها، فكانها المحارب يرفع الرمح عالياً ولا يصوبه تصويماً. . . فكانه يطلب المهادنة، لكنها مالت علينا بعد ذلك بالخديعة والخنثل، الخداع، فصرعنا دون طعن

إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذُؤَابَةٌ شَارِبٍ تَمَشَّتْ بِهِ مَشْيَ الْمُقْبِدِ فِي الْوَحْلِ

إذا ركبت ذؤابة الشارب، أي أعلاه. . . أي لعبت برأسه، فهي تجعله يمشي مترنحاً كأنه الرجل الذي في ساقبه قيد ويمشي في الوحل. تعجب هارون الرشيد من هذا البيت وقال لمسلم: ما أَرْضَاكَ أَنْ قِيدَتْهُ حَتَّى جَعَلْتَهُ يَمْشِي فِي الْوَحْلِ

وَسَاقِيَةَ كَالرَّيْمِ هَيْفَاءَ طِفْلَةٍ بَعِيدَةِ مَهْوَى الْقُرْطِ مُفْعَمَةِ الْحِجْلِ

رب ساقية كالريم، الغزال، هيفاء، ضامرة البطن، طفلة، طرية بضة، بعيدة مهوى القرط، قرطها الذي يزين أذنها إذا هوى فهو يهوي مسافة حتى يصل إلى كنفها. . . كناية عن طول عنقها، مفعمة الحجل، مليئة الخلخال، أي أنها غليظة الساق

تَنْزَرُهُ طَرْفِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا إِذَا احْتَثَّتِ الطَّاسَاتُ يُغْنِي عَنِ النَّقْلِ

تنزه نظري في جمال وجهها عندما تسرع بشرب الكؤوس يغني عن النقل، المازة. . . أي ما يرافق الشرب من خفيف المأكّل

هل العيشُ إلّا أن أروحَ مع الصِّبا وأغدو صريعَ الرّاح والأعينِ النّجلِ؟

هل لذة العيش سوى أن أروح، أمسي، مع الصبا، اللّهُو، وأن أغدو، أصبح، صريعاً للخمر وللأعين النجل، الواسعة؟ سمع الرشيد البيت فقال لمسلم بن الوليد: فأنت صريع الغواني. والتصق به اللقب

٦ القاتلة الماكرة

وساحِرةِ العينين ما تُحسِنُ السّحرا تُواصِلُنِي سِرّاً وتَقْطَعُنِي جَهْراً
هي ليست ساحرة حقاً لكن عينها تسحراني، وهي تواصلني في السر وتصد في العلن

أَتَتْنِي على خوفِ العيونِ كأنّها خَذُولٌ تُراعي النّبتَ مُشعّرةً دُغْراً
أتني تسللاً خوفاً من الرقباء، فكانها ظلية خذول، متخلفة عن القطيع، تأكل العشب وهي تشعر بالذعر لانفرادها

إذا ما مَشَتْ خَافَتْ نَمِيمَةً حَلِيها تُداري على المَشْيِ الخَلاخيلَ والعِظْرا
تخاف أن ينم ما تلبس من الحلبي عليها إذ تمشي، فهي تتحسب من صوت الخلاخيل ومن فوحان عطرها

فَبِتُّ أَسِرُّ البَدْرَ طَوَراً حَديثها وَطَوَراً أَناجِي البَدْرَ أَحْسَبُها البَدْرُ
بت وأنا أكلمها مخفياً حديثي عن القمر، ثم بعد ذلك أكلم البدر نفسه وأنا أظن البدر محبوبتي. بيت مصنوع جتنا به كي نريك ما الذي بدأ يصنعه مسلم بن الوليد بالشعر

وَبِنْتُ مَجُوسِيّ أبوها حَلِيلُها إذا نُسِبَتْ لِم تَعُدُّ نِسْبَتُها «النّهرا»

رب خمرة كأنها ابنة لهذا المجوسي إذ هو يربّيها بتعتيقها، وأبوها هو حليلها، زوجها، فهو قد اشتراها وأصبحت ملكه. . واعتقد المسلمون أن الرجل عند المجوس يحل نفسه الزواج بابتته. . ونسبة هذه الخمر هي النهر، فهي تتسب إلى ماء النهر الذي سقاها. . أو أن النهر اسم موضع قريب. تفسير آخر من الشارح القديم، أبي العباس الطيحي: هذه الخمر أبوها الذي سقاها في كرومها هو الماء، والماء هو حليلها الذي تمزج به قبيل شربها

أَخَصُّ النَّدَامَى عندها وَأَحَبُّهُمُ إليها الذي لا يعرفُ الظّهْرَ والعَصْرا

تحب الخمر النديم الذي يقعد لها ولا يصلي

بَعَثَتْ لها خُطابَها فَأَتَوْا بها وَسُقْتُ لها عَنْهُمْ إلى رَبِّها المَهْرا
خطبتها من عند بائعها ودفعت المهر

وما زالَ خَوْفاً مِنْهُمْ في جُحُودِها يُقَرِّبُهُمْ فِتْراً وَيُبْعِدُهُمْ شِبراً
وكان الذين ذهبوا للإتيان بها يخشون أن تجحدهم وترفض طلبهم، وكان خوفهم يقربهم فتراً ويبعدهم شبراً وهم ذاهبون مترددين لجليلها

إِلَى أَنْ تَلَاقَوْهَا بِخَاتِمِ رَبِّهَا مُحَدَّرَةً قَدْ عُنُقَتْ حِجَجاً عَشْراً
ثم وجدوها مختومة بخاتم ربها، كأنها البنت البكر، وهي مخدرة، محجوبة كالمرأة، وقد عُنُقَتْ
عشر سنين

إِذَا مَسَّهَا السَّاقِيُ أَعَارَتْ بَنَانَهُ جَلَابِيبَ كَالْجَادِي مِنْ لَوْنِهَا صُفْراً
يمس الساقى الكأس فترتدي أصابعه جلابيب صفراً كالجادي، أي الزعفران.. فالخمر تعكس
لونها على أصابعه

قُلُوبُ النَّدَامَى فِي يَدَيْهَا رَهِيْنَةٌ يَصِيدُونَهَا قَهْرًا، وَتَقْتُلُهُمْ مَكْرًا
قلوب الشاربين مرهونة للخمر وهم يصيدونها بالقوة بشرائنها،
وهي تقتلهم بالمكر إذ تسلل إلى رؤوسهم

وَدَارَ بِهَا ظَبْيِي مِنَ الْإِنْسِي نَاعِمٌ تَرُودُ عُيُونُ الشَّرْبِ جَانِبَهُ شَرْراً
يدور بكؤوس الخمر ظبي إنسي، أي فتاة، وينظر الشرب، أي الشاربون، إلى الساقية شراً،
بأطراف عيونهم، يسترقون النظر استراقاً. قد نيفت على الستين، ولكنني لم أصل بعد إلى أن أقول
ما قاله ونستون تشرشل وهو عجوزٌ فَإِنْ لَاحَدَى الْجَمِيلَاتِ فِي حِفْلِ، قَالَ لَهَا: وَجْهَكَ جَمِيلٌ جَدًّا
هل تضيقين بأن أحرق فيك؟ ما زلت مثل مسلم بن الوليد استرق النظر استراقاً

٧ رسالة الخمر إلى الضمير

لَا تَسْقِنِي الْمَاءَ الْقَرَّاحَ، وَهَاتِهَا عِذْرَاءَ صَافِيَةَ الْأَدِيمِ شَمُولًا
لا تسقني الماء القراح، وأعطني خمرًا عذراء قد فُضَ دنها للتو، صافية الأديم، والأديم الجلد..
فخمره ليست بها شوائب، وهي شمول باردة

بَعَثْتُ إِلَى سِرِّ الضَّمِيرِ فِجَاءَهَا سَلِسًا عَلَى هَذِرِ اللِّسَانِ مَقُولًا
ترسل الخمر رسالة إلى الضمير، ما يخفيه الإنسان، فتأتيها الأسرار سلسة يقولها اللسان

لَطْفَ الْمِرْأَجِ لَهَا فَرَزَيْنَ كَأْسَهَا بِقِلَادَةٍ جُعِلَتْ لَهَا إِكْلِيلًا
بمزجها بالماء أصبحت ألطف على الحلق، وتزين كأسها بقلادة من الفقايع جاءت كالإكليل على
أعلى الكأس

لَوْ أَنَّ قَوْمًا يُخْلَقُونَ مَنِيَّةً مِنْ بِأَسِيهِمْ كَانُوا «بَنِي جَبْرِيلَا»
ينصرف إلى المديح: لو أن قوما خلقهم الله موتاً للأعداء لشدة قوتهم وبأسهم لكانوا بني جبريل

قَوْمٌ إِذَا حَمَى الْهَجِيرُ مِنَ الْوَغَى جَعَلُوا الْجَمَاجِمَ لِلْسَيْفِ مَقِيلًا
إذا حمى الهجير، القيط.. الشمس، في الوغى، المعركة، فإن السيف يكون قد حان وقت
قيلولتها.. وهي تجدد المقييل، مكان قيلولتها، في رؤوس الأعداء

إِذْ لَا حِمَى إِلَّا الرِّمَاحُ وَبَيْنَهَا خَيْلٌ يَطَّانُ بِقَائِلٍ مَفْتُولَا
ولا مكان يحتمي به المرء إلا في ظل الرماح، وبين الرماح ثمة خيول تطأ المقتولين وعلى
صهواتها يركب القاتلون

٨ السيف الراضية

لولا سيوف «أبي الزُّبَيْرِ» وخيلُهُ نَشَرَ «الْوَلِيدُ» بِسَيْفِهِ «الضَّحَّاكَ»
لولا سيوف وخيول أبي الزبير، يزيد بن يزيد، لكان الوليد بن طريف الشاري ذلك المتمرّد على
الدولة قد نشر، أي بعث من القبر، ذلك العاصي القديم الضحّاك الخارجي الذي تمرد على
الأمويين وقُتل في زمن مروان الثاني

رَضِيَتْ سِيوْفُكَ عَنْكَ يَوْمَ لَقِيَتْهُمْ وَأَجَبَتْ دَاعِيَ الْمَوْتِ حِينَ دَعَاكَ
كنت شجاعاً وأرضيت سيوفك، وخضت المعركة غير عابئ بالموت. وقد قتل يزيد بن يزيد
الوليد بن طريف ورثته أخته بقصيدة «شجر الخابور»، وشرحنا الحلّ من أبياتها في كتابنا
«أول الشعر»

إِنْ الرِّفَاقَ أَتَيْتُكَ تَلْتَمِسُ الْغِنَى وَالْبَحْرُ لَوْ يَجِدُ السَّبِيلَ أَتَاكَ
يأتونك يلتسون المال، وأنت بحر سخاء،
ولكن البحر نفسه كان سيأتيك التماساً لعطائك لو استطاع

٩ نظرات المحبين

أَدِيرِي عَلَيَّ الرَّاحَ سَاقِيَةَ الْخَمْرِ وَلَا تَسْأَلِينِي وَاسْأَلِي الْكَأْسَ عَنْ أَمْرِي
ستخبرك الخمر بكل أموري.. فعندما أسكر أبوح بكل شيء

كَأَنَّكَ بِي قَدْ أَظْهَرْتَ مُضْمَرَ الْحَشَا لَكَ الْكَأْسُ حَتَّى أَطْلَعْتُكَ عَلَى سَرِّي
جعلنا علامات المودة بيننا مصابيد لحظ هُنَّ أَخْفَى مِنَ السَّحْرِ
أصطاد الحبيبة وتصطادني بالنظرات الخفية خفاء أسرار السحر

فَأَعْرِفُ مِنْهَا الْوَصَلَ فِي لَيْلٍ طَرَفُهَا وَأَعْرِفُ مِنْهَا الْهَجَرَ بِالنَّظَرِ الشَّرُّ
إذا نظرت نظرات لينة فهذا بشير بالوصل، وإذا نظرت من جانب العين، شزراً، فهذا نذير بالهجر

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ خَشْيَةٌ مِنْ صُدُودِهَا أَبَيْتُ عَلَى ذَنْبٍ وَأَغْدُو عَلَى عُذْرِ
في كل يوم خوف من صدودها عني، أبيت شاعراً بالذنب، وأغدو،
أي أصبح صباحاً، وأنا متهميٌّ بعذر

١٠ السخي المقتدر والسخي الهيوب

خُذْ مِنْ شَبَابِكَ لِلصَّبَا أَيْامَهُ هَلْ تَسْتَطِيعُ اللَّهُوَ حِينَ تَشِيبُ؟
الصبا: اللهو

وَإِذَا الزَّمَانُ عَدَا عَلَيْكَ كَفَاكَهُ مِنْ آلِ سَعْدَانٍ أَغْرُ نَجِيبُ
إذا ضامك الزمن فإن سيداً أغر، وجهاً أبيض مشهوراً، نجيباً من آل سعدان سيكفيك ضيمه
يُعْطِيكَ مُقْتَدِراً عَلَى أُمُوالِهِ لَا كَالَّذِي يُعْطِيكَ وَهُوَ هَيُوبُ

١١ خلق من الريح

دَلَّتْ عَلَى عَيْبِهَا الدُّنْيَا وَصَدَّقَهَا مَا اسْتَرْجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أَعْطَانِي
الدنيا دلّنتي بنفسها على عيبها، وأبرز لي صدقها استرجاع الدهر ما كان أعطانيه من شباب
وسرور. زعم مسلم أنه أخذ معنى بيته هذا من التوراة

إِذَا تَرَيْنِي أَرْجِي الْعَيْسَ مَنَظَرًا وَعَدَّ الْمُنَى أَرْتَعِي فِي غَيْرِ أَوْطَانِي ..
إن تري أنني الآن أرجي العيس، أدفع بالنياق إلى بلد غريب، وأقعد فيه أنتظر العطاء، وأنا
أرتعي، أرتزق بالكفاف، في غير وطني ..

فَقَدْ أَرْوَحُ نَدِيمَ الدَّهْرِ يَمْزُجُ لِي كَأْسَ الْهَوَى وَيُحْيِيْنِي بِرِيحَانِ
.. فقد كنت في الماضي راضياً عن الزمن، وكان الزمن نديمي ويمزج لي الخمر في كأس
الهوى، ويحييني بعروق الريحان كما يحيي الندماء بعضهم بعضاً

أَيَّامَ لِلْعَذَلِ إِكْثَارٌ وَمَعْصِيَةٍ وَالرَّاحُ تُسْرِعُ فِي عَقْلِي وَأَحْزَانِي
أيامئذ كان اللوم كثيراً وكنت أعصي اللاتمين وأستمر في لهوي، والخمر تسرع في مسح عقلي
ومسح أحزاني

وَلَيْلَةٌ مَا يَكَادُ النَّجْمُ يَسْهَرُهَا سَامِرُتُهَا بِقَتُولِ الدَّلِّ مِفْتَانِ
رب ليلة طويلة لا يكاد النجم نفسه يسهرها، وقد سامرتها بفتاة قتول الدل، مغناج، مفتان، فاتنة
فَالْآنَ أَقْصَرْتُ إِذْ رَدَّ الزَّمَانُ يَدِي وَنَافَرْتَنِي اللَّيَالِي بَعْدَ إِذْعَانِ
الآن أقصرت، كفتت، فقد رد الزمان يدي، كفها عن اللهو، ونافرتني الليالي، عاداني الزمن، بعد
أن كان مدعناً مطيعاً لي

إِلَى الْإِمَامِ تَهَادَانَا بِأَرْحُلِنَا خَلَقَ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْبَاحِ ظُلُمَانِ
تهادانا بأرحلنا، تأتي بنا نحن ومتاعنا، إلى الإمام، الخليفة هارون الرشيد، خلق من الريح، إبل
كأنها مخلوقة من الريح لسرعتها، ولكنها إبل مهزولة لطول السفر فكأنها أشباح ظلمان، والظلمان
جمع ظليم وهو ذكر النعام

لَمْ يُغْمِدِ السِّيفَ مُذْ نِيطَتْ حَمَائِلُهُ يَوْمًا وَلَا سَلَّهُ إِلَّا عَلَى جَانِ
لَمْ يَغْمِدِ الْخَلِيفَةُ سَيْفَهُ فِي قَرَابِهِ مِنْذُ أَنْ عُلِقَتْ حَمَائِلُهُ بِكَتْفِهِ، وَلَمْ يَسْلِهِ إِلَّا لِمُعَاقِبَةِ أَحَدِ الْجَنَاحِ

١٢ لا سراويلات

وَيَوْمَ مِنَ اللَّذَاتِ خَالَسْتُ عَيْشَهُ رَقِيبًا عَلَى اللَّذَاتِ غَيْرِ مُعْقِلِ
رَبِّ يَوْمٍ خَالَسْتُ عَيْشَهُ رَقِيبًا، سَرَقْتُ الْعَيْشَ فِي لَذَاتِهِ سَرَقَةً مِنْ رَقِيبٍ، وَكَانَ الرَّقِيبُ مَتَبِّهًا غَيْرِ
مَغْفَلٍ غَيْرِ أَنْتَنِي غَافِلَتُهُ

فَكُنْتُ نَدِيمَ الْكَأْسِ حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ تَعَوَّضْتُ عَنْهَا رِيقَ حَوْرَاءٍ عَيْطَلِ
وَصَاحِبَتِ كَأْسِ خَمْرٍ، حَتَّى إِذَا نَفَدَتِ الْخَمْرُ، اسْتَعْضَتْ عَنْهَا بِرِيقِ فَتَاةٍ حَوْرَاءٍ، شَدِيدَةِ سَوَادِ
الْعَيْنَيْنِ فِي شِدَّةِ بَيَاضٍ، وَهِيَ عَيْطَلُ أَيِّ غَيْرِ مَرْتَدِيَةِ الْحَلِيِّ لَا اسْتِغْنَانَهَا عَنْهَا بِجَمَالِهَا

نَهَانِي عَنْهَا حُبُّهَا أَنْ أَسُوءَهَا بِلَمْسٍ، فَلَمْ أَفْتِكْ وَلَمْ أَتَبَلَّلِ
لِحَبِي لِفَتَاةٍ لَمْ أَمَادَ مَعَهَا لِمَسًّا، فَلَمْ أَكُنْ فَانِكًا مُعْتَدِيًا... لَكِنِّي لَمْ أَكُنْ مَتَبِّلًا شَدِيدِ التَّعَفُّفِ

أَخَذْتُ لِطَرْفِ الْعَيْنِ مِنْهَا نَصِيبَهُ وَأَخْلَيْتُ مِنْ كَفِّي مَكَانَ الْمُخْلَخَلِ
أَخَذْتُ لِعَيْنِي نَصِيبَهَا مِنَ النَّظَرِ، لَكِنِّي أَخْلَيْتُ كَفِّي، مِنْعَتَهَا، مِنْ مَكَانِ الْخُلُخَالِ... أَيِّ لَمْ أَلْمَسْ
لِلْفَتَاةِ سَاقًا

سَقَتْنِي بِعَيْنَيْهَا الْهَوَى وَسَقَيْتُهَا فَدَبَّ دَبِيبَ الرَّاحِ فِي كُلِّ مَفْصِلِ
الْهَوَى دَبَّ فِي جَسْمِنَا وَتَغْلَغَلَ كَمَا تَدْبُ الْخَمْرُ بَعْدَ أَنْ تَسَاقِيَانَا بِالْعَيُونِ

وإِنْ شِئْتُ أَنْ أَلْتَدَّ نَارَلْتُ جِيدَهَا فَعَانَقْتُ دُونَ الْجِيدِ نَظْمَ الْقَرْنَفُلِ
كَتُّنَا نَازِلًا، أَغَالِبَ وَأَصَارِعَ عُنُقَهَا، وَأَعَانَقْتُ تَحْتَ الْعُنُقِ الْعَقْدَ الْمَنْظُومَ مِنَ الْقَرْنَفُلِ

أَنَازِعُهَا سِرَّ الْحَدِيثِ وَتَارَةً رُضَابًا لِذِيذِ الطَّعْمِ عَذْبِ الْمُقْبَلِ
أَنَازَعُهَا، أَبَادِلُهَا، الْحَدِيثَ الْحَلُوهَ، وَأَحْيَانًا الرُّضَابَ، الرِّيقَ اللَّذِيزَ مِنَ الْمُقْبَلِ الْعَذْبِ، وَالْمُقْبَلُ هُوَ
الثَّغَرُ أَيُّ الشَّفَتَيْنِ

١٣. الرِّيحُ الْحَيْرَى

وَقَالَ يَمْدَحُ دَاوُدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْمَهْلَبِ:

لَا تَدْعُ بِي الشُّوقَ إِنِّي غَيْرُ مَعْمُودٍ نَهَى النَّهْيَ عَنْ هَوَى الْهَيْفِ الرَّعَادِيدِ
لَا تَقُلْ يَا صَاحِبِي إِنِّي ذُو شُوقٍ، فَأَنَا غَيْرُ مَعْمُودٍ، غَيْرُ عَاشِقٍ، وَقَدْ نَهَانِي النَّهْيُ، أَيُّ الْعَقْلِ، عَنْ
حُبِّ الْفَتَيَاتِ الْهَيْفِ، جَمْعِ هَيْفَاءَ، الرَّعَادِيدِ، الْمَرْتَجَاتِ الْمُؤَخَّرَاتِ

لَا أَجْمَعُ الْجَلْمَ وَالصَّهْبَاءَ، قَدْ سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنِ مَاءِ الْعَنَاقِيدِ
لَا أَجْمَعُ مَا بَيْنَ حَلْمِي وَوَقَارِي وَبَيْنَ الْخَمْرِ، وَقَدْ سَكَنْتُ نَفْسِي وَرَضِيْتُ بِالْمَاءِ بَدِيلاً عَنْ مَاءِ
الْعَنْقُودِ، أَيْ الْخَمْرِ

لَمْ يَنْهَنِي فَنَدُّ عَنْهَا وَلَا كِبَرُ لَكِنْ صَحَوْتُ وَعُصْنِي غَيْرُ مَخْضُودٍ
لَيْسَ الَّذِي نَهَانِي عَنِ الْخَمْرِ الْفَنَدُ، أَيْ اللَّوْمُ، وَلَا الْكِبَرُ فِي السِّنِّ. . . لَكِنِّي صَحَوْتُ وَتَرَكْتُهَا
وَعُصْنِي غَيْرَ مَخْضُودٍ، مَكْسَرٌ ضَعِيفٌ، فَقَدْ تَرَكْتُهَا فِي عَفْوَانِي

وَمَجْهَلٌ كَاطِرَادِ السِّيفِ مُحْتَجِزٌ عَنِ الْأَدْلَاءِ مَسْجُورِ الصَّبَاخِيدِ
وَرَبُّ مَجْهَلٍ، خَلَاءٌ. . . مُفْرَدٌ مُجَاهِلٌ، أَمْلَسُ صَحْرَاوِي كَأَنَّهُ امْتَدَادُ السِّيفِ الصَّقِيلِ، وَهُوَ مُحْتَجِزٌ
عَنِ الْأَدْلَاءِ، حَتَّى الدَّلِيلُ الْمُرْشِدُ يَكُونُ مُحْتَجِزاً غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْإِهْتِدَاءِ بِهِ، وَهَذَا الْقَفَرُ مَسْجُورُ
الصَّبَاخِيدِ، أَيْ مُشْتَغَلُ الصَّخُورِ لَشِدَّةِ الْحَرِّ

تَمْشِي الرِّيحُ بِهِ حَسْرَى مُؤَلَّهَةً حَيْرَى تَلُودُ بِأَكْنَافِ الْجَلَامِيدِ
تَمْشِي الرِّيحُ فِيهِ حَسْرَى مُؤَلَّهَةً، مُتَعَبَةٌ حَزِينَةٌ، حَائِزَةٌ، وَهِيَ تَلْجَأُ إِلَى أَكْنَافِ، جِهَاتِ، الْجَلَامِيدِ،
أَيْ الصَّخُورِ. . . فَلَا شَجَرٍ وَلَا بَشَرٍ فِي هَذَا الْقَفَرِ فَالرِّيحُ لَا تَجِدُ أَغْصَاناً تَلَاعِبُهَا فَكَأَنَّهَا تَكْتَفِي
بِالْتَّمَسِخِ بِأَطْرَافِ الصَّخُورِ

قَرَيْتُهُ الْوَحْدَ مِنْ خَطَاةٍ سُرْحٍ تَفْرِي الْفَلَاةَ بِإِرْقَالٍ وَتَوْخِيدِ
قَرَيْتُهُ، قَدَمْتُ لِهَذَا الْقَفَرِ، الْوَحْدَ، السَّيْرَ السَّرِيعَ، مِنْ نَاقَةٍ خَطَاةٍ سُرْحٍ، مَشَاءَةً خَفِيفَةً، تَفْرِي
الْفَلَاةَ، تَقْطَعُ الصَّحْرَاءَ، بِالْإِرْقَالِ وَالتَّوْخِيدِ، وَهِيَ نَوَاعَانٌ مِنْ سَيْرِ الْإِبِلِ

إِلَى بَنِي حَاتِمٍ أَدَى رَكَايَبِنَا خَوْضُ الدُّجَى وَسَرَى الْمَهْرِيَّةِ الْقُودِ
خَوْضُ الدُّجَى، اللَّيْلِ، وَالسَّرَى، سَيْرُ اللَّيْلِ، عَلَى ظَهْرِ الْمَهْرِيَّةِ الْقُودِ، الْإِبِلِ الْكَرِيمَةِ الذَّلُولِ
الْمَطِيعَةِ، أَدَى بَرَكَائِبِنَا وَمَطَايِنَا وَأَوْصَلَهَا إِلَى بَنِي حَاتِمٍ

لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى أَدْنَى بِلَادِهِمْ أَلْقَى إِلَيْكَ الْأَقَاصِي بِالْمَقَالِيدِ
يَخَاطَبُ الْمَمْدُوحَ دَاوُدَ الْمَهْلَبِي: لَمَّا نَزَلَتْ فِي أَوَّلِ بِلَادِ الْعَدُوِّ فَإِنْ أَقْصَى هَذِهِ الْبِلَادِ أَلْقَى إِلَيْكَ
بِالْمَقَالِيدِ، الْمَفَاتِيحِ، فَسَلِمُوا لَكَ خَوْفاً

لَمَسْتَهُمْ بِيَدٍ لِلْعَفْوِ مُتَّصِلٍ بِهَا الرَّدَى بَيْنَ تَلْيِينٍ وَتَشْدِيدٍ
لَمَسْتَهُمْ بِيَدِكَ الَّتِي تَحْمِلُ الْعَفْوَ عَنْهُمْ، لَكِنْ هَذِهِ الْيَدُ تَعْرِفُ كَيْفَ تَقْتُلُ أَيْضاً، وَكُنْتَ ذَا حِيلَةٍ تَمَارَسُ
اللَّيْنَ وَالشَّدَّةَ

تَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ أَنْتَ الضَّنِينُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
تَجُودُ بِنَفْسِكَ فِي الْمَعْرَكَةِ غَيْرَ خَائِفٍ مِنَ الْمَوْتِ، فِي حِينِ أَنْتَ ضَنْينٌ بِنَفْسِكَ، حَرِيصٌ عَلَيْهَا،
وَهَذَا مُتَّهِى السَّخَاءِ

إِذَا عَزَمْتَ عَلَى أَمْرٍ بَطَشْتَ بِهِ وَإِنْ أَنْلَتْ فَتَيْلًا غَيْرَ تَضْرِيحِ
إِذَا حَسَمْتَ أَمْرَكَ فَأَنْتَ تَأْخُذُ الْأُمُورَ غَلَايَاً وَيَبْطِشُ، وَإِنْ أَعْطَيْتَ النَّاسَ فَأَنْتَ تَجْعَلُهُمْ يَنْالُونَ الْعَطَاءَ
بغيرِ تصرّيد، بدونِ تَقْلِيلٍ وَتَقْتِيرٍ

عَوَّذْتَ نَفْسَكَ عَادَاتٍ خُلِقَتْ لَهَا صَدَقَ الْحَدِيثُ وَإِنْ جَاَزَ الْمَوَاعِيدِ

١٤ يا ليت ماء الفرات يخبرنا..

أَيَا سُرُورٍ وَأَنْتَ يَا حَزَنُ لِمَ لَمْ أُمْتَ حِينَ سَارَتْ الظُّعُنُ
أَيُّهَا السُّرُورُ وَأَيُّهَا الْحُزْنُ لِمَاذَا لَمْ أُمْتَ عِنْدَمَا سَارَتِ الظُّعُنُ، النِّسَاءُ الرَّاحِلَاتِ

أَطَالَ عَمْرِي؟ أَمْ مُدٌّ فِي أَجَلِي أَمْ لَيْسَ فِي الطَّاعِنِينَ لِي شَجْنُ؟
هَلْ لَانَ عَمْرِي طَوِيلَ بَقْضَاءٍ وَقَدَرٍ، أَمْ مَدَّ اللَّهُ فِي أَجَلِي كَيْ أَرَى رَحِيلَهُمْ؟ أَمْ أَنِّي لَا أَشْعُرُ بِحُزْنٍ

يَا لَيْتَ مَاءَ الْفُرَاتِ يُخْبِرُنَا: أَيْبَنَ تَوَلَّتْ بِأَهْلِهَا السُّفُنُ؟
أَنَا وَحْدِي الَّذِي يَرَى فِي هَذَا الْبَيْتِ جَمَالاً وَفَتْنَةً؟

مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ عِنْدَ فُرْقَتِهِمْ وَأَقْبَحَ الْعَيْشَ بَعْدَمَا ظَفَعُوا
ظَفَعُوا: رَحَلُوا

هَذِي الْحَمَامَاتُ إِنْ بَكَتْ وَدَعَتْ أَسْعَدَهَا فِي بَكَائِهَا الْفَنَنُ
الْحَمَامُ إِذْ يَبْكِي وَيَدْعُو، أَيْ يَنَادِي.. وَقِيلَ الْحَمَامُ يَنَادِي ابْنًا لَهُ ضَاعَ مِنْذُ سَنَيْنَ، أَسْعَدَهَا الْفَنَنُ،
أَيْ سَاعَدَهَا الْغُصْنَ بِحَرَكَتِهِ وَمِيلَانِهِ بِهَا

فَمَنْ عَلَى صَبُوتِي يُسَاعِدُنِي إِذَا جَفَانِي الْحَبِيبُ وَالسَّكَنُ؟
فَمَنْ يَسَاعِدُنِي عَلَى صَبُوتِي، عَشْقِي، وَقَدْ تَرَكْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي كُنْتُ أَسْكُنُ إِلَيْهِ؟

عَذَّبَنِي حُبُّ طِفْلَةٍ عَرَضَتْ فِيهَا وَفِي حُبِّهَا لِي الْفِتْنُ
عَذَّبَنِي حُبُّ فَتَاةٍ طِفْلَةٍ، طَرِيَةِ بَضَّةٍ، وَكَانَ لِي فِيهَا وَفِي حُبِّهَا فَتْنَةٌ

إِذَا دَنَيْتَ لِلضَّجِيعِ لَذْلَهُ مِنْهَا اعْتِنَاقٌ وَلَذَّ مُحْتَظَنُ
يَسْتَمْتِعُ النَّائِمُ بِجَانِبِهَا بِالْعِنَاقِ وَبِالضَّمِّ

كَحَلَاءٍ لَمْ تَكْتَحِلْ بِكَاحِلَةٍ وَسَنَانَةُ الظَّرْفِ مَا بِهَا وَسَنُ
كَحَلَاءٍ بِكَحْلِ رَبَانِي، وَطَرَفُهَا وَسَنَانٌ، أَيْ فَاتَرٌ، وَلَيْسَ بِهَا وَسَنٌ، أَيْ نَعَاسٌ

قِيلَ لَهَا إِنَّهُ أَخُو كَلْفٍ بِحُبِّكُمْ هَائِمٌ وَمُفْتَنُ
قِيلَ لَهَا إِنَّنِي صَاحِبُ كَلْفٍ، غَرَامٌ، وَمُفْتَنٌ بِهَا

فَأَعْرَضْتُ لِلصُّدُودِ قَائِلَةً: يَقُولُ مَا شَاءَ، شَاعِرٌ لَسِنْ

فصدت وقالت: فليقل ما شاء فهو شاعر ذلق اللسان

مَا كَانَ فِيمَا مَضَى بِمُؤْتَمَنٍ عَلَى هَوَانَا فَكَيْفَ يُؤْتَمَنُ؟

لم يكن في السابق مؤتمناً على حينا، فلا نأتمنه الآن

١٥ دوام ليلي

وقال يمدح زيد بن مسلم الحنفي من وائل:

إِذَا شِئْتُمَا أَنْ تَسْقِيَانِي مُدَامَةً فَلَا تَقْتُلَاهَا، كُلُّ مَنِيتٍ مُحَرَّمٌ

لا تقتلا الخمر، بمزجها بالماء، فالميتة، أي الذبيحة التي ماتت قبل ذبحها، يحرم تناولها

وَقَافِيَةٌ أَحْيَيْتُ فِي أَخَوَاتِهَا وَفِيهَا نَجْوَمُ اللَّيْلِ وَالنَّاسُ نَوْمٌ

رب قصيدة أحييت فيها الليل ساهراً أنظمتها

بَعَثْتُ لَهَا قَلْبًا ذَكِيًّا وَفِطْنَةً وَقَوْلَ لِسَانٍ صَادِقٍ لَيْسَ يُفْحَمُ

فلما أتنني مستقيماً قريضها مُثَقَّفَةُ الْبُنْيَانِ وَالْأُسُّ مُحْكَمٌ...

لما جاءني القصيدة وقريضها، شعرها، مستقيم، وبنائها مثقف، مشذب، وأساسها محكم متين..

حَبَوْتُ بِهَا زَيْدًا فَزَيَّنْتُ ذِكْرَهُ كَمَا زَيَّنَ السَّلَكُ الْجُمَانُ الْمُنْظَمُ

حبوت بها زيداً، أهديتها إليه، فزينت ذكره وسمعته مثلما يزين اللؤلؤ المنظوم السلك الذي

يسلكونه فيه

إِذَا الْقَرْمُ زَيْدٌ لَمْ يَقِفْكَ عَلَى النَّدَى فُمْتُ، فَالنَّدَى مِنْ غَيْرِ زَيْدٍ مُحَرَّمٌ

إذا القرم، السيد، زيد لم يقفك على الندى، لم يعرفك بالسخاء، فمت بلا ارتزاق، فالسخاء محرم

على غير زيد، ولا يحسنه أحد كزيد

١٦ سكر وعبث

لَقَدْ تَرَكْتُ الْوَجْدَ نَفْسِي بِهَا تَمَوْتُ مِرَاراً وَتَحِيًّا مِرَاراً

الشغف بالمحوبة جعلني أموت وأحيا مراراً بين الحزن والأمل

كَلَانَا مُحِبٌّ وَلَكِنِّي عَلَى الْهَجْرِ مِنْهَا أَقْلٌ اصْطَبَاراً

أنا أقل صبراً منها على البعد

شَرِبْتُ وَنَادَمْنِي شَادِنٌ صَغِيرٌ، وَإِنِّي أَحَبُّ الصَّغَارِ

شادن: صغير الظبي

فَمَا زِلْتُ أُسْقِيهِ حَتَّى إِذَا ثَنَى طَرْفَهُ نَشْوَةً وَاسْتَدَارَا
سَقَيْتَهَا حَتَّى ثَنَتْ طَرْفَهَا، أَيْ مَالَتْ بَعِينَهَا، مِنْ النَشْوَةِ، النَشْوَةُ هِيَ السُّكْرُ، وَاسْتَدَارَتْ
نَهَضْتُ إِلَيْهِ فَقَبَّلْتُهُ وَعَانَقْتُهُ وَحَلَلْتُ الْإِزَارَا
الْإِزَارُ: الثَّوبُ دُونَ الْخَصْرِ

١٧ الواثقة برأسمالها

وَقَدْ قَالَتْ لِـبَيْضِ آنَسَاتٍ يَصِدْنَ قُلُوبَ شُبَّانٍ وَشَيْبٍ:
قَالَتْ لَزِمِلَاتِهَا الْبَيْضُ الْآنَسَاتُ، الْوَدِيعَاتُ، اللَّائِي يَصِدْنَ قُلُوبَ الشَّبَابِ وَالْكُهُولِ:
أَنَا الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ حِينَ تَبْدُو وَلَكِنْ لَسْتُ أَعْرِفُ بِالْمَغِيبِ
أَنَا شَمْسٌ، وَلَكِنِّي لَا أَغِيبُ كَالشَّمْسِ
بَرَانِي اللَّهُ رَبِّي إِذْ بَرَانِي مُبْرَأَةً سَلِمْتُ مِنَ الْعُيُوبِ
بَرَانِي: خَلَقَنِي

فَلَوْ كَلَّمْتُ إِنْسَانًا مَرِيضًا لَمَّا احتَاجَ الْمَرِيضُ إِلَى الطَّبِيبِ
وَخَلَقَنِي مِسْكَةً عُجِنَتْ بِبَانٍ فَلَسْتُ أُرِيدُ طِيبًا غَيْرَ طِيبِي
أَنَا مَخْلُوقَةٌ مِنْ مِسْكٍ مَعْجُونٍ بِزَيْتِ الْبَانِ الْعَطْرِيِّ، فَلَا احتَاجُ إِلَى الطَّيِّبِ

وَجِلْدِي لَوْ يَدِبُ عَلَيْهِ دَرٌّ لَأَذْمَى الدَّرُّ جِلْدِي بِالدَّبَنِيبِ
وَأَنَا نَاعِمَةٌ وَجِلْدِي حَسَّاسٌ لَوْ يَمِشِي عَلَيْهِ النَّمْلُ الصَّغِيرُ لِأَذْمَاهُ بِمِشْيِهِ عَلَيْهِ. كَانَتْ عَمَتِي رَحِمَهَا اللَّهُ
تَقُولُ عَنِ الْفَتَاةِ الْمُعْتَزَةِ بِجَمَالِهَا: رَأْسَمَالَهَا قَوِي

١٨ الخروج من الجنة

مَا زَالَ يَدْعُونِي بِمُقْلَةٍ سَاحِرٍ مِنْهُ وَيَنْصِبُ لِلْفَوَادِ حَبَالَا
ظَلَّ يَدْعُونِي بِعَيْنِي السَّاحِرَتَيْنِ، وَيَنْصِبُ حَبَالًا، مَصَانِدًا، لِقَلْبِي
حَتَّى خَضَعْتُ لِحُبِّهِ فَاقْتَادَنِي وَأَذْلَسَنِي بِصُودُودِهِ إِذْ لَا
حَتَّى خَضَعْتُ فَاقْتَادَنِي ثُمَّ أَذْلَسَنِي بِصُودُودِهِ

مَا مَرَّ بِي شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْهُوَى سَبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْهُوَى وَتَعَالَى
يَا رَبُّ خِذْنِي قَدْ قَرَعْتُ جَبِينَهُ بِالطَّاسِ وَالْإِبْرِيقِ حَتَّى مَالَ
رَبُّ خَدْنٍ، صَاحِبَةٌ، قَرَعْتُ جَبِينَهَا بِالطَّاسِ وَالْإِبْرِيقِ، سَقَيْتَهَا حَتَّى الثَّمَالَةِ، فَمَالَتْ سَكْرًا

أَنهَضْتُهُ مِنْ بَعْدِمَا أَسْكَنْتُهُ فَمَشَى كَأَن بِرِجْلَيْهِ عُقَّالًا
 أَوْقَفْتُهَا سَاكِرَةً فَمَشَتْ وَكَأَن بِرِجْلِهَا عُقَّالًا، والعمال داء في قوائم الإبل يمنعها المشي القويم
 بَارَزْتُهُ وَسِلَاحُهُ خَلَخَالَهُ حَتَّى قَضَضْتُ بِكَفِّي الْخَلَخَالَ
 بارزت المعشوقة وسلاحها الذي تقاومني به خلخالها، أي لا مقاومة لديها،
 وقضضت الخلخال بكفي

هَذَا النِّعِيمُ فَكَيْفَ لِي بِدَوَامِهِ أَنَّنِي يَدُومُ وَعَيْشُهُ قَدْ زَالَ
 هذا كان جتي.. وكيف تدوم وقد زال العيش الذي يصلح به ذلك الحال بزوال الشباب
 أَصْبَحْتُ كَالثُوبِ اللَّيْسِ قَدْ اخْلَقْتُ جِدَاتُهُ مِنْهُ فَعَادَ مُذَالًا
 أصبحت كالثوب الملبوس الذي أخلقت جداته، اهترأ ولم يعد جديداً، وصار مذالاً، بالياً
 وَبَقِيْتُ كَالرَّجُلِ الْمُدْلَى عَقْلُهُ أَشْكُو الزَّمَانَ وَأَضْرِبُ الْأَمْثَالَ
 وبقيت مدلهأً، مولهأً ذاهب العقل، كلامي شكوى الزمان وضرب الأمثال

١٩ ليلة بقمريين

يَا لَيْلَةً نِلْتُ فِيهَا اللَّهَوَ وَالْوَطْرَا كُرِّيَ عَلَيْنَا وَإِلَّا فَاظْرُدِي الذِّكْرَا
 أيتها الليلة التي لهوت فيها ونلت فيها الوطر، الحاجة، ارجعي لنا.. أو على الأقل اطردي
 الذكريات عنك التي تجعلنا نتحسر

لَمَّا التَقِينَا افْتَرَعْنَا فِي تَعَاتِبِنَا مِنَ الْحَدِيثِ وَمِنْ لَذَاتِهِ الْعُذْرَا
 لما التقينا افترعنا العذر، فضضنا الأختام وتقاتحنا، في العتاب والحديث

سَادَّعَنِي ذَنْبٌ غَيْرِي كَيْ يُصَدِّقَنِي مَن لَّا أُرْجِي لَدَيْهِ الْعَفْوَ إِنْ قَدَّرَا
 كي يصدقني المحبوب سأعترف بذنب ارتكبه غيري.. فهو لا يصدق قط أنني بريء

أَسْهَرْتُ مَوْنِي أَنَامَ اللَّهُ أَعَيْنَكُمْ لَسْنَا نُبَالِي إِذَا مَا نِمَتْ مَنْ سَهَرَا
 أسهرتني بحبها.. لكنني أدعو لها بالنوم الهنيء

فَاسْتَضَحَّكَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَا تَكُنْ نَزِقًا وَاكْتُمْ حَدِيثَكَ لَا تُعْلِمَ بِهِ بَشَرَا
 تضحكت وقالت: لا تكن نزقاً متوتراً ودعك من حديث الذنب هذا

فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ الذَّنْبَ الَّذِي رَعَمُوا لَا بَارَكَ اللَّهُ فَيَمَنْ بَعْدَ ذَا غَدَرَا
 غفرت لك ما زعموه ذنباً، ولا بارك الله فيمن يغدر بصاحبه

وَقَصَّرَ اللَّيْلُ عَنْ حَاجَاتِ أَنْفُسِنَا كَذَاكَ لَيْلُ التَّلَاقِي رُبَّمَا قَصُورًا

ما بنا من شوق لم يسعه الليل بطوله

لَمَّا بَدَا الْقَمَرُ اسْتَحْيَتْ فَقَلْتُ لَهَا: بَعْضَ الْحَيَاءِ، فَإِنَّ الْحَبَّ قَدْ ظَهَرَ

خجلت لما كشف وجهها وجسمها نور القمر، فقلت لها: بعض الحياء، أي كفي عن هذا الخجل، فقد بدا ما بك من عشق

أَلَقْتُ عَلَى وَجْهِهَا هُدَابَ خَامَتِهَا وَنَازَعْتَنِي بِكَأْسِ الْوَحْشَةِ الْخَفَرَا

ألقى هدايب خامتها، أي طرف ثوبها الذي به الأهداب، على وجهها وتبادلت معي الخفر، أي الخجل، وبيننا وحشة لما ألم بنا من مشاعر متأججة.. المعنى الملموح

تُكَاتِمُ الْقَمَرَ الْوَجْهَ الَّذِي ضَمِنَتْ وَالْوَجْهَ مِنْهَا تَرَى فِي مَائِهِ الْقَمَرَا

تخفي عن قمر السماء الوجه الذي ضمته، أي الذي خابت، وإنك لترى في ماء وجهها، في نضارته، قمرًا

قَامَتْ تَمْشِي الْهُوَيْنَا نَحْوَ قُبَّتَيْهَا وَقُمْتُ أَمْشِي خَفِيَّ الشَّخْصِ مُسْتَتِيرَا

ثم قامت تمشي ببطء نحو قبعتها، خيمتها، وقمت مستخفياً كي أغادر خلصة

قَالُوا: اسْتَهْزَتْ، فَقُلْتُ: الْحَبُّ صَاحِبُهُ مَنْ لَا يَزَالُ بِهِ فِي النَّاسِ مُشْتَهَرَا

٢٠ فلتخرب

وقال يمدح محمداً الأمين:

شُغِلِي عَنِ الدَّارِ أَبْكِيهَا وَأَرْثِيهَا إِذَا خَلَّتْ مِنْ حَبِيبٍ لِي مَغَانِيهَا

لن أنشغل بالدار فأرثيها وأبكيها إذا خلت مغانيها، ربوعها، من الحبيب

دَعِ الرِّوَامِسَ تَسْفِي كُلَّمَا دَرَجَتْ تُرَابَهَا وَدَعِ الْأَمْطَارَ تُبْلِيهَا

دع الرياح تسفي التراب كلما درجت على الديار المهجورة، ودع الأمطار تخربها

إِنْ كَانَ فِيهَا الَّذِي أَهْوَى أَقَمْتُ بِهَا وَإِنْ عَدَاهَا فَمَا لِي لَا أُعَدِّيَهَا

إن نزل بها المحبوب نزلت، وإن عداها، وتركها، فلماذا لا أتركها أنا؟

أَحَقُّ مَنْزِلَةٍ بِالتَّرْكِ مَنْزِلَةٌ تَعَطَّلَتْ مِنْ هَوَى نَفْسِي نَوَادِيهَا

أحق مكان بالترك المكان الذي تعطلت نواديه، خلت مجالسه، من حبيب القلب

وَقُلْتُ حِينَ أَدَارَ الْكَأْسَ لِي قَمْرٌ: الْآنَ حِينَ تَعَاطَى الْقَوْسَ بَارِيهَا

حين أدارت الكأس علينا فتاة قمر قلت: الآن أخذ القوس باريها، أي قام بالأمر الشخص المناسب

يَا أَمْلَحَ النَّاسِ كَفًّا حِينَ يَمَزُجُهَا وَحِينَ يَأْخُذُهَا صِرْفًا وَيُعْطِيهَا
أَمْلَحَ النَّاسِ حِينَ يَمَزُجُ الْخَمْرَ، وَحِينَ يَتَنَاوَلُهَا وَيَنَاوَلُهَا صِرْفًا غَيْرَ مَمْرُوجَةٍ

وَمُخْطَفِ الْخَصْرِ فِي أَرْدَافِهِ عَمَمٌ يَمِيسُ فِي خَامَةٍ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا
رَبِّ حَيْبٍ خَصْرِهِ مَخْطَفٍ، نَحِيلٍ، وَأَرْدَافِهِ عَمِيمَةٌ كَبِيرَةٌ، يَمِيسُ، يَتَمَايَلُ فِي خَامَةٍ، ثَوْبٍ، رَقِيقِ الْحَوَاشِي

إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ تَاءَ عَنْ نَظَرِي وَإِنْ شَكَّوْتُ إِلَيْهِ زَادَنِي تَيْهَا
أَنْظُرْ إِلَيْهِ فَأَرَاهُ قَدْ تَاهَ، ضَلَّ وَابْتَعَدَ، عَنْ نَظَرِي، وَأَشْكُو إِلَيْهِ فَيَزِيدُنِي تَيْهًا، أَيْ تَكْبَرًا

حَلَّتْ قُرَيْشُ الْعُلَا مِنْ كُلِّ مَكْرَمَةٍ وَحَلَّ بَيْتُكَ فِي أَعْلَى أَعَالِيهَا
هَذَا بَيْتٌ مَدْحٌ: قُرَيْشٌ فِي أَعْلَى الْمَكَارِمِ، وَبَيْتُكَ الْهَاشِمِيُّ فِي أَعْلَى الْأَعَالِي

٢١ لَا تَفَاضِلَ بَيْنَنَا

بِمَدْحِ الْحَسَنِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ عُمَرَ الطَّائِي:

وَإِنِّي لَا أَقْفُو الشَّنَاءَ بِغَيْرِهِ وَلَا أَبْتَغِيهِ قَبْلَ أَنْ يُبْتَغَى عِنْدِي
أَنَا لَا أَتَّبِعُ الْمَدْحَ بِهَجَاءٍ، وَلَا أَطْلُبُ مَدْحَ شَخْصٍ مَا لَمْ يَسْعَ إِلَى نَيْلِ مَدْحِي

أَهْبْ يَا ابْنَ عِمْرَانَ بِشُكْرِي فَإِنِّي سَمِيعٌ إِلَى الدَّاعِي قَرِيبٌ عَلَى الْبُعْدِ
أَهْبْ بِشُكْرِي، أَرْفَعُ الصَّوْتَ شَاكِرًا لِي، فَأَنَا قَرِيبٌ وَسَامِعٌ

فَمَا مِنْ يَدٍ قَدَّمَتْهَا قَلْتُ مُثْنِيًّا وَلِكِنِّي هَزَزْتُكَ لِلْمَجْدِ
فَأَنَا لَمْ أَمْدَحْكَ لِقَاءَ يَدِ قَدَمَتِهَا، مُقَابِلَ عَطَاءٍ، وَلَكِنِّي هَزَزْتُكَ لِلْمَجْدِ، حَرَكْتُكَ حَتَّى تَدْفَعَ الْمَالَ
مُقَابِلَ نَيْلِ مَجْدِ الْمَدِيحِ

فَإِنْ شِئْتَ أَلْقَيْنَا التَّفَاضُلَ بَيْنَنَا وَقُلْنَا جَمِيلًا وَاقْتَصَرْنَا عَلَى الْوُدِّ
وَالْآنَ وَقَدْ امْتَنَعْتَ فَإِذَا شِئْتَ فَلْتَرْكِ التَّفَاضُلَ بَيْنَنَا، فَلَا أَنْتَ أَفْضَلُ مِنِّي وَلَا أَنَا أَفْضَلُ مِنْكَ، وَلِنَقُلْ
قَوْلًا حَسَنًا وَلِنَقْتَصِرَ عِلَاقَتَنَا عَلَى الْوَدِّ

٢٢ الْمَحْبُوبُ الذَّمِيمُ

يَهْجُو سَعِيدَ بْنِ سَلَمٍ:

وَأَحْبَبْتُ مَنْ حُبَّهَا الْبَاخِلِيُّ نَ حَتَّى وَمَقَّتْ ابْنُ سَلَمٍ سَعِيدًا

لِحَبِي لِهَذِهِ الْفَتَاةِ الْبَخِيلَةِ بِوَصْلِهَا صَرَتْ أَحَبَّ الْبَخْلَاءِ فَوَمَقَّتْ، أَحْبَبْتُ، سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ. هَذَا هَجَاءٌ
مُغْلَفٌ بِغِلَافٍ مُخْتَلَفٍ، فَكَانَ الْهَجَاءُ غَيْرَ مَقْصُودٍ، لَكِنَّهُ هُوَ فَقَطُ الْمَقْصُودِ. هَذَا الْأَسْلُوبُ سَمَاءُ أَبُو
تَمَامٍ «الْأَسْطَرَادُ»، وَتَعَلَّمَهُ مِنْهُ الْبَحْثَرِيُّ، وَجِئْنَا فِي شَرْحِنَا لِأَبِي تَمَامٍ بَعْدَهُ قَطَعَ فِيهَا هَذَا الْأَسْلُوبُ

إِذَا سِيلَ عُرْفًا كَسَا وَجْهَهُ يُيَاباً مِنَ اللُّؤْمِ حُمْراً وَسُوداً
الآن هجاء صريح: إذا سئل بذل معروف أخذ وجهه يتلون بالحمرة والسواد من لؤمه وشعوره
بالحرج لأنه لا يريد أن يعطي شيئاً

يُغَيِّرُ عَلَى الْمَالِ فِعْلَ الْجَوَادِ وَتَأْبَى خَلَائِقُهُ أَنْ يَجُودَا
هو يشن غارة على الأموال فينهبها، وتأبى له خلائقه، أي طباعه، أن يجود بالمال

٢٣ شكوى لصورتها

وَإِنِّي لَأَخْلُو مُذْ فَقَدْتُكَ دَائِباً فَأَنْقُشُ تِمَثَالاً لِيُوجِّهَكَ فِي الثَّرِبِ
يخلو بنفسه دوماً منذ فقد وصالها، ويخط صورتها في التراب

فَأَسْقِيهِ مِنْ عَيْنِي وَأَشْكُو تَضَرُّعاً إِلَيْهِ بِمَا أَلْقَاهُ مِنْ شِدَّةِ الْكَرْبِ
فيسقي صورتها بدمعه ويشكو تضرعاً، تذلاً، لشدة ما نزل به من كرب وبلاء

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي بِمَا أَنَا مُذْنِبٌ إِلَيْكَ سِوَى الْإِفْرَاطِ فِي شِدَّةِ الْحَبِّ
فإن كان ذا ذنبي الذي تدعينه فلا فرج الرحمن ذلك من ذنبي

٢٤ مفقوداً بمفقود

نَامَ الْعَوَاضِلُ وَاسْتَكْفَيْنَ لَائِمَتِي وَقَدْ كَفَّاهُنَّ نَهْضُ الْبَيْضِ فِي السُّودِ
نامت العاذلات، كففن عن لومي، وكفاهن اللوم قيام الشعرات البيض وسط السود في رأسي..
فهذا إيذان بانتهاء الغزل

الشَّيْبُ كُرْهُ وَكُرْهُ أَنْ يُفَارِقَنِي أَعْجَبَ بِشَيْءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودِ
أكره الشيب وأكره أن يفارقني بالموت، فما أعجب هذا الشيء الذي توده رغم البغضاء، الكره

يَمْضِي الشَّبَابُ وَقَدْ يَأْتِي لَهُ خَلْفٌ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُوداً بِمَفْقُودِ
الشباب يذهب، وقد تخلفه عيشة هائلة في الشيخوخة، بيد أن الشيب يذهب مفقوداً وأنا مفقود معه

٢٥ هجاء قريش

هجا مسلم قريشا وفخر بالأنصار فقال:

فَاخْرَجْنَا لَمَّا بَسَطْنَا لَهَا الْفَخْرَ رَ قُرَيْشٍ، وَفَخَرُهَا مُسْتَعَارُ

نفخر قريش علينا، نحن الأنصار، ونحن من سبب لها الفخر، ففخرها مستعار منا

ذَكَرَتْ عِرْهَا! وما كان فيها قَبْلَ أَنْ تَسْتَجِيرَنَا مُسْتَجَارُ

تتكلم قريش عن عزها.. لكن لم يكن لديها مستجار، قوة تجير بها أحداً، قبل أن تطلب منا أن نجيرها. فقد أجارت الأنصار النبي وصحبه بعد الهجرة

فَلَنَا الْعِزُّ قَبْلَ عِزِّ قُرَيْشٍ وَقُرَيْشٌ نِلَكَ الدَّهْورَ تَجَارُ

فلنا عز سابق على عز قريش في وقت كانت فيه قريش جماعة من التجار

٢٦ الميت المنشور

أَمَّا الْقُبُورُ فَلِإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ بِجِوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِيَارُ قُبُورُ

القبور المجاورة لقبرك تشعر بالأنس، وأما البيوت التي خلت من وجودك فهي موحشة كالقبور

عَمَتْ قَوَاضِلُهُ وَعَمَّ مَصَابُهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ

فواضله، عطاياه وفضله، كانت قد عمت الناس فبموته عم الناس الشعور بالحزن والمصيبة.. لذا فكل الناس ينالون أجراً بحزنهم وصبرهم على المصيبة، وفي الإسلام أن الصابر على مصيبته ينال ثواباً. هذا البيت والذي بعده نسباً لغير مسلم في حماسة أبي تمام. انظر القطعة رقم ١٠٢ فيما اخترناه من الحماسة في كتابنا «أول الشعر»

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

صناعاته، إحسانه، ردت إليه الحياة لأنه مذكور على كل لسان. فكأنه من نشرها، من راثحتها، منشور، أي مبعوث حياً

٢٧ تنويم البدر

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي، وَإِنِّي لَسَائِلٌ بِمَكَّةَ أَهْلَ الْعِلْمِ هَلْ فِي الْهَوَى وَرُزُّ

سأسال علماء مكة هل في الهوى ذنب

وهل في اكتحال العين بالعين ريبَةٌ إِذَا مَا التَقَى الْإِلْفَانِ؟ لَا بَلْ بِهِ أَجْرُ

وهل في اكتحال العين بالعين، رؤية المرء عيني محبوبه فكأنه يحكل عينيه بعينه، هل في هذا ريبة، شبهة ارتكاب معصية، عندما يلتقي الإلفان، الحبيبان؟ لا والله بل فيه أجر وثواب

وَبَيْنَنَا عَلَى رَغَمِ الْحَسُودِ وَبَيْنَنَا حَدِيثُ كَرِيحِ الْمِسْكِ شَيْبَ بِهِ الْخَمْرُ

بيننا معاً رغم الحاسد، وبيننا كلام كأنه رائحة المسك التي شيب بها، خلط بها، الخمر

فَوَسَّدَتْهُ كَفِّي وَبِئْتُ ضَجِيعَهُ وَقُلْتُ لِلَّيْلِ: طُلْ فَقَدْ رَقَدَ الْبَدْرُ

جعلت كفي وساداً للحبيب واستلقينا معاً، وقلت لليل طل كما شئت أن تطول فإن البدر نائم

فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ فَرَّقَ بَيْنَنَا وَأَيُّ نَعِيمٍ لَا يُكَدِّرُهُ الدَّهْرُ
ضوء الصبح فرق بيننا . . والزمن يكدر كل سعادة

٢٨ هل كان يحلم شاعر عن شاعر؟

وقال في الحَكَم ابن قنبر الشاعر وكانت بينهما مهاجاة قاسية:

حَلَمَ ابْنُ قُنْبَرٍ حِينَ أَقْصَرَ جَهْلُهُ هَلْ كَانَ يَحْلُمُ شَاعِرٌ عَنْ شَاعِرٍ؟
حين قَصَّر ابن قنبر في الجهل، الرعونة، أراد أن نتعامل بالحلم واللين، فهل كان الشاعر يرفق
بالشاعر؟ لا بل هي الهزيمة

لَا تُرْبِعَنَّ لَحْمِي لِسَانَكَ بَعْدَهَا إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ شَفْرَةَ جَازِرٍ
لا تُرتع لحمي لسانك، لا تجعل لحمي مرتعاً للسانك أي لا تذكرني بسوء بعد اليوم، فانا أخاف
عليك أن أغضب فأذبحك بهجائي الذي كأنه شفرة جازر، سكين قصاب

وَاسْتَغْنِمِ الْعَفْوَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ، لَا تَأْمَنْنَ عُقُوبَةَ مَنْ قَادِرٍ
واغتنم فرصة العفو التي نلتها . والشرط الثاني حكمة: لا تأمن العقوبة ممن يقدر عليها

٢٩ أبكيك

وقال في مراثية، وجاءت الأبيات في الشعر والشعراء:

أَبْكِيكَ لِأَيَّامٍ حِينَ تَجَهَّمْتُ طَلْبِي، وَلَمْ يَكْ لِي وَرَاءَكَ مَنْجَعٌ
أبكيك وقد رأيت الزمن قد تجهم طلبي، كشر في وجه رغباتي، وكنت لي في حياتك المنجع،
الملاذ، ولم يكن لي ملاذ غيرك

قَدْ كُنْتُ لِي سَيِّباً وَعَيْشاً صَائِباً وَيَدَا أَضْرُبُ بِهَا الْعَدُوَّ وَأَنْفَعُ
كنت لي سيئاً، عطاء، ومطراً صائباً، والصبوب هو المطر، وبدأ، أي قوة، أضرب بها العدو وأنفع،
أي أنفع الصديق . . لكنه حذف اكتفاء

فَاصْعُدْ إِلَى الْغُرَفَاتِ، يَوْمُكَ وَقَعَ بِالشَّامِتِينَ، لِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعٌ
فاصعد إلى غرفات الفردوس، وليكن يومك، موتك، واقعاً بمن شمتوا فيك، وكل إنسان له يومه

٣٠ التصادق والتناقض

وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مُتَكَارِهِ عَلَيْكَ، وَلَا فِي صَاحِبٍ لَا تُؤَافِقُهُ

لا خير في ود صاحب يصحبك وكأنه كاره لصحبتك، ولا في آخر ينعدم بينكما التوافق

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْذُلْ مِنَ الْوُدِّ مِثْلَمَا بَذَلْتُ لَهُ فَاعْلَمْ بِأَنِّي مُفَارِقُهُ

اعلم أنني سأفارق من لا يبادلني الود بمثله

فَإِنْ شِئْتَ فَاصْحَبْهُ فَلَا خَيْرَ عِنْدَهُ وَإِنْ شِئْتَ فَاجْعَلْهُ صَدِيقًا تَمَازِقُهُ

إن صحبت من لا يبادلك الود بالتساوي فاعلم أنه لا خير عنده، وربما جعلته صديقاً تمازقه، تبادل
الود نفاقاً . . تتناقضان

٣١ طليق عرضه

يرد على دعبل، وكان دعبل تلميذه، فجفاه مسلم فتهاجبا هجاء خفيفاً، وكان دعبل
يدعى وهو صغير مياساً:

مَيَّاسُ! قُلْ لِي أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْوَرَى لَا أَنْتَ مَعْلُومٌ وَلَا مَجْهُولٌ

قل لي يا مياس، ما وضعك في الوري، أي الناس، فلا أنت معلوم بفعل خير، ولا أنت مجهول
لأن مخازيك كثيرة

لَوْ كُنْتَ مَجْهُولًا جَعَلْتُكَ مُعْلَمًا أَوْ كُنْتَ مَعْلُومًا لَعَالِكَ عُولٌ

ولو كنت مجهولاً حقاً فسوف أعرف الناس بمخازيك، وإن كنت معلوماً فسوف يهجم عليك قولي
هجوم الغول

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقُّ عِرْضِكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ - كَمَا عَلِمْتَ - جَلِيلٌ

الهجاء صعب فيك لأن شرفك دقيق لا يصمد للهجاء، والمدح - وأنت خير العارفين - كبير عليك

فَاذْهَبْ فَإِنَّتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضُ عَزْرَتِ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلٌ

فاذهب فأنت طليق عرضك، أنت حر بسبب رداءة عرضك، فهو عرض نجوت بسببه وإن كان
يلحق بك الذل

٣٢ تفاحة

تُفَّاحَةٌ شَامِيَّةٌ مِنْ كَفِّ ظَنَبِي غَزَلٌ

الغزل: المقبل على الغزل المستمتع به

مَا خُلِقَتْ مُذْ خُلِقَتْ تِلْكَ لِغَيْرِ الْقُبَلِ

التفاحة حرام فيها الأكل، فلشبهها بالخدود لا تصلح إلا للتقبل

كَأَنَّهَا حُمُرُتُهَا حُمُرَةٌ خَدَّ حَجَلِ

٣٣ صريع الغواني

وسأله رجل لم تدعى صريع الغواني فقال:

إِنْ وَرَدَ الْخُدُودِ وَالْحَدَقَ النَّجْدُ لَمْ وَمَا فِي الشُّعُورِ مِنْ أَفْحُوانٍ ..
الخدور الوردية والعيون الواسعة، والأفحوان الذي في شفاة الحسان ..

وَاعْجُوجَ الْأَصْدَاغِ فِي ظَاهِرِ الْخَدِّ .. وَمَا فِي الصَّدُورِ مِنْ رُؤْمَانٍ ..
واعوجاج الشعر في الأصدغ، السوالف، ورومان الصدور ..

تَرَكْتُنِي بَيْنَ الْغَوَانِي صَرِيحاً فَلِهَذَا أُدْعَى صَرِيحَ الْغَوَانِي
كل هذا تركني صريعاً، ملقى أرضاً، بين الغواني، الحسان اللاتي استغنين بجمالهن عن الزينة،
فهذا سبب تلقيبي بصريع الغواني

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

٢٦	قُبُورُ	٢	نَسَبَا
٢٥	مُسْتَعَارُ	١٠	تَشْيِبُ
٢٧	وِزْرُ	٢٣	الثَّرِبُ
٢	أَدْرِي	١	الْعِقَابِ
١	الْأَثَرِ	١٧	وَشَيْبِ
١	الْدَارِ	١	الْمَشْيِبِ
١	القَبْرِ	٢٢	سَعِيدَا
١	الْمَخْبِرِ	١٣	الرَّعَادِيدِ
٩	أَمْرِي	٢٤	السُّودِ
٢٨	شَاعِرِ	٢	جَلْدِي
٢	عَصْرِ	٢١	عَنْدِي
٢٩	مَنْجَعُ	٢	مُشَرَّدِ
١	فَتَتَفَقُّ	٢	أَضْمُرَا
٣٠	تُؤَافِقُهُ	٢	الْحَجَرَا
٨	الصَّحَاكَا	١٩	الذُّكْرَا
١	رَجَاكَا	١	الْقَدْرَا
١٨	جِبَالَا	٦	جَهْرَا
٧	شَمُولَا	١٦	مِرَارَا

٢	والهاما	٢	أَهْلُ
١٥	مُحَرَّمٌ	٢	بَعْلُ
١٤	الطُّعْنُ	٣١	مَنْجُوهٌ
١١	أَعْطَانِي	٣	الْعَذَلِ
٣٣	أُقْحَوَانِ	٥	ذَخْلِي
٢	جُرْجَانِ	٣٢	عَزَلِ
٢	مَكَانِ	١٢	مُعَقَّلِ
٢	وأوطانِ	٢	مَمِيلِ
١	تَالِيَا	٢	والمَعَالِي
٢٠	مغانيها	٤	وعنْ فُلِ
		٢	فَمَا

أبو نواس (١٤٠هـ - ١٩٩هـ)

أرجأت هذه المختارات من أبي نواس سنتين قضيتهما كسلان. وقد أتممتها وأنا أجزر رجليّ جرّاً. وقبل أن أكتب هذه المقدمة كافأت نفسي بيومي كسل، مضيت فيهما إلى الدكتور صموئيل جونسون الناقد والأديب الإنجليزي الذي مات قبل نحو مئتين وثلاثين سنة (١٧٨٤). جددت عهدي بسيرته المشهورة التي كتبها مريده بوزويل، وأحدثت عهداً بكتابه عن شعراء الإنجليز. والرجل تناول في كتاب ضخّم اثنين وخمسين شاعراً ممن زينوا اللغة الإنجليزية وصنعوها على مدى قرنين ونصف، وأنا ماض في اصطفاء أشعار اثنين وأربعين من أعظم شعراء العربية على مدى ألف وخمسمئة سنة. يضاف إلى هؤلاء الشعراء ثمانية مجاميع شعرية رأيتها تنصف الشعراء المغمورين أو المقلين، فقد تم لي بهذا خمسون فصلاً، تقارب في العدد فصول الدكتور جونسون.

يقول جونسون، وكان كسولاً مشهوراً بالتسويق، إن الأحق فقط هو من يكتب حرفاً إلا من أجل المال. وبالفعل لا نراه يكتب إلا بعد أن يثق من أن ما سيكتبه سيأتيه ببعض المال. ليس أنه كان حصيفاً، فقد طلب في كتابه عن شعراء الإنجليز مئتي جنيه، ويكاد النقاد المعاصرون يجمعون على أنه لو طلب الألف لنالها.

أما أنا فأكتب هذا للتسلية فقط. فالناشر العربي عندما يراك داخلاً من باب مكتبه يسألك، قبل «كيف الحال»، كم ستدفع؟

لنغادر سريعاً رنة الشكوى هذه، فقد أسمعتك شبيهاً لها في أماكن أخرى مما كنت كتبت. أعجبتني أمور كثيرة في كتاب صموئيل جونسون عن شعراء بلاده. فهو يحلل بعمق، وينقد. وهو يبحر في الكتب لكي يقدم لك المعلومات

الدقيقة عن مولد الشاعر وعن اسم أمه وأبيه وأجداده، ووضعه الاجتماعي. وهو يقتبس من الأشعار ما يناسب المقام، ويقدم نقداً جارفاً. وقد شابه جونسون في طريقته نقادنا القدامى في جانب مهم. قد تراه يكره شخصية الشاعر، ويبغض سلوكه، ويخالفه في معتقده الديني (وكان جونسون أنجليكانياً متشدداً، يَعدُّ التدين رأس الفضائل)، لكنك تراه يفصل فصلاً قوياً بين شعر الشاعر وبين شخصيته ومعتقداته. كذا كان ابن قتيبة الناقد والفقهاء، ففي كتبه يورد أشعار المجان في الخمر والعشق، وفي الزنا واللواط أيضاً، ويحكم على الشعر بالجودة إن كان جيد السبك حسن سياقة المعنى، ومثله كان أستاذه الجاحظ، ومثلهما كان نقاد الأدب عندنا في العصور الزاهرة. وعندما دَوَّت حضارتنا ذوى التسامح في النقد الأدبي.

لا أمعن في النقد مثلما أمعن جونسون، ذلك أنني شرطت على نفسي أن أنتخب لكل شاعر خير ما عنده. ولا أسجل حياة الشاعر بدقة مثلما كان يفعل جونسون، فعصرنا عصر الإنترنت، والتفاصيل ثمّ، كما أن شعراءنا الذين أتناولهم أعتق كثيراً من شعراء جونسون، ولم يصلنا من تفاصيل حياتهم إلا قليل.

أنا في دراستي أبا نواس عِيَالٌ على عبد الرحمن صدقي. فهذا الأديب المصري المغفور قد كتب كتابين عن أبي نواس أحدهما عن حياته، والثاني عن خمرياته ومجونه.

عبد الرحمن صدقي أولاً: هذا رجل مظلوم. له أسلوب طه حسين لكن بلا ثرثرة، والمنفلوطي لكن مع ثقافة واسعة ضاربة في أعماق الأدب العربي والأدب الفرنسي والجغرافيا والكيمياء. اسمعه يصف «دساكر الخمارين» في عصر أبي نواس: «وكان أصحاب هذه الدساكر لا يدعون سبباً من أسباب الفتنة يجتذب إليهم القوم ويغريهم بإطالة المقام والتخرُّق في النفقة إلا توسَّلوا به. فهم يتخذون في حاناتهم السقاة المُردان، والساقيات الشاطرات الحسان. ويزيد بعضهم فيحضرونهم المسمعات العازفات من الجواري القيان، والملهين من ضُرَاب الطنابير والعيدان، ليستخف القوم الطرب ويحلوا لهم مجلس الشرب فيكثروا من الشراب، ويحيفوا على أنفسهم فيه، يُفرغونه في أجوافهم أرتالاً شرباً دِراكاً لا يفترون عنه، ولا يزالون كالمولاهين يقربون بين الأقداح يستحثونها من أبدي الملاح، على ترجيع الغناء ونقر الدفوف ونغم الأوتار الفصاح، حتى

تغلبهم على عقولهم العقار، فيخلعوا ما بقي من حشمة وفضل عذار. » اهـ.

من عبد الرحمن صدقي أقبلُ السجع، فهو لا يمضي به إلى الغاية بل يترنم به بين الحين والحين، ثم تراه يصف لك أنواع التبيذ وصفاً مفصلاً لم أر أحداً قاربه فيه، فما احتاج إليه في «علم الخمر» من كلمات فرنسية أو حتى لاتينية ساقه، ثم يظل في العصر العباسي واصفاً كل نوع وصفاً دقيقاً.

وكنت صددت عن كتاب صدقي هذا، واسمه «ألحان الحان»، سنوات بسبب عنوانه. فقد رأيت في سجعة العنوان غثاء، ولكنني فوجئت به عندما بدأت أقرأه.

وكتاب عبد الرحمن صدقي الآخر عن حياة أبي نواس فيه أسلوبه الجميل، وفيه كثير من ملء الفراغات. فالمؤلف يروي حياة أبي نواس وكأنه عاصره، وكلما وجد ثغرة تخيل أحداثاً تسد الخلل.

وقبل أن ننصرف عن عبد الرحمن صدقي نذكر لك أن له كتاباً عن الشاعر الفرنسي بودلير وآخر عن الشاعر الألماني غوته، وكتاباً بعنوان «ألوان من الحب»، وآخر عن طاغور شاعر الهند، وله شعر رقيق.

قد انتهينا من جونسون ومن صدقي. فهل آن أن نفرغ لأبي نواس؟ لا.

قد طوّحت بي النوى في الآفاق. ووجدت نفسي قعيد فندق في مشرق بلاد العرب. ولا يسعني أن آتس بديوان أبي نواس في هذه الغربة لأنني عاكف على تأليف كتاب يشبه كتاباً آخر للدكتور جونسون. فها قد عدنا إلى الرجل.

وأبدأ بكتاب جونسون ثم أحدثك عن كتابي.

اجتمع ستة من ناشري لندن وقرروا أن يطبعوا قاموساً للغة الإنجليزية التي كانت مفرداتها لعهدهم بعر شياء منشوراً في الفناء، كل امرئ يرسم كل كلمة على هواه ويحملها من المعنى ما يشاء. كأنما لم يكن في أدب شكسبير الذي هلك قبل مئة وأربعين سنة ما يضبط اللغة. وقبل جونسون. وبعد تسع سنين ولد معجمه المشهور الذي صار نقطة البداية للمعجم الإنجليزي الحقيقي، وجعل كل ما سبقه مجرد دفاتر مفردات باهتة.

أنا قاعد في الدوحة أكتب قاموساً. لكنه ليس أول قاموس عربي محكم.

فلغتنا تعرف هذا اللون من التأليف قبل الإنجليز بقرون. وجهد جونسون المعجمي كان أصيلاً وعميقاً، فقد أتبع طريقة ابن منظور والمعجميين العرب الكبار في استخلاص معاني المفردات من النصوص. جمع جونسون، يساعده ستة من الناسخين والباحثين، آلاف مؤلفة من الفقر المنتخبة من كتب الأدب خاصة، ومن أعلى ما كتب في اللغة الإنجليزية بياناً، ومنها استخلص معاني الكلمات. وكان رجلاً راسخ العلم في اللاتينية والإغريقية، فأثقل الإنجليزية بالمأخوذ عن تينك اللغتين، وكان لديه ناشرون اجتمعوا عليه ودفعوا له كي يؤلف القاموس.

ها قد عدنا إلى الشكوى.

لا، بل أنا قاعد هنا أكتب قاموسي ولي على قعدتي مرتب.

وقاموسي قاموس صغير لا يذكر الكلمات كلها ولا يذكر كل معاني المفردات التي اخترتها. هو قاموس لغوامض اللغة، ولما يخطئ فيه الناس. كتاب يعين المذيع والمحرم ويسرد معلومات عن مهنة الإعلام. فلا يتوهم أحد أنني سأخرج عليه بكتاب من أمهات الكتب. هو كتاب والسلام. (ملاحظة مقحمة فيما بعد: صدر هذا الكتاب باسم «اللغة العالية» في أربعمئة صفحة وتتمه ملزمة. ولقي صدى حسناً) وأشتهي أن أعود إلى أبي نواس فأكتب له مقدمة جلية. فإن عدتُ فستراها في الصفحات المقبلة، وإلا فإنني عصرت لك ديوانه عصرراً جاعلاً رواية الصولي بتحقيق خليل سليم قهوجي الممتاز المرفق بشرح واف إماماً، ورواية حمزة الأصبهاني بتحقيق المستشرقين الألمان ونشر دار المدى سنداً. على أنني وجدت أشعاراً كثيرة للنواسي منشورة في كتب الأدب وغير موجودة في أي من الروايتين، فكنت أخرج من تضمينها إلا ما ندر. وأبو نواس، بعد، من أكثر الشعراء الذين حُمل عليهم شعر.

وما أقوله لك عن حياة أبي نواس، الحسن بن هانئ، بضاعة أنقلها لك نقلاً من كتاب أبي هقان «أخبار أبي نواس» بتحقيق عبد الستار فراج، وفضيلة الكتاب أن المؤلف عاصر أبا نواس وعرفه، ونقيصته أنه عتيق، فالكتاب مطبوع عن نسخة يتيمة كتبت قبل قرنين ونصفاً والأصل مكتوب قبل هذه النسخة بتسعمئة سنة، فلو عبث كل ناسخ بكلمة لما سلم من الكتاب كلمة. على أنك تشم في الكتاب رائحة بغداد أيام الرشيد، وتجد فيه ما لا تجد في كتاب ابن منظور عن أبي نواس من ألفاظ وطريقة عيش العباسيين الأوائل في بغداد. ولا

نس أن بغداد التي نزلها أبو نواس بعد البصرة فالكوفة، كانت عاصمة جديدة لم يمض على بنائها سوى سنوات. خذ هذه الطرفة من أبي هِثَّان: «كان أول اتصاله بالرشيد أن دخل وهو شاب بعض المساجد عشاء فوجد الإمام في الصلاة فصلَّى خلفه فقرأ الإمام: قل يا أيها الكافرون، فقال أبو نواس: ليك فتاوب الناس إليه وشهدوا عليه بالكفر. ورفع خبره إلى الرشيد.» وتمة الخبر أن ابن حمدويه صاحب الزندقة قال إن هذا الشاب «يُشبهُ أنه رجل ماجن ليس بزندق»، فأطلقه الرشيد.

وأمضي بك إلى كتاب عبد الرحمن صدقي الذي جعل مولد أبي نواس في سنة ١٤١هـ، وحقق ذلك تحقيقاً حسناً في الهامش، حتى يحفظ على متن كتابه، الذي يسير كالجدول الرقراق مكتوباً بأعذب أسلوب وأحلاه، رونقه. ولد في قرية بيت النار بفارس، لأب لعله كان حقاً من قبيلة حكم اليمنية، ولعله كان من مواليها، ولأم فارسية هي جلبان.

ارتحل أهل أبي نواس، أمه وأبوه وثلاثة إخوة سواه أو أربعة، إلى البصرة ولشاعرنا سنتان من العمر. وسرعان ما مات أبوه، فعملت أمه مريضاً، أرضعت غلاماً من ثقيف بلبان أبي نواس. ثم عملت في الحرفة القديمة. كنا نود لو سترنا عليها، ولكن حرفتها أثرت في حياة ابنها وفي نفسيته. ليس أننا نشايح الدكتور محمد النويهي في إنفاقه نحواً من ثلاثمئة صفحة وهو يطبق نظريات علم النفس الحديثة على أبي نواس تطبيقاً فيه كثير من الطرافة، وكثير من التعسف، ولا أننا نشايح العقاد في تطبيقه نظريات علم النفس على شاعرنا بطريقة مختلفة في كتابه عنه، ونلفتك إلى معركة أدبية صغيرة خاضها من طرف واحد الدكتور النويهي مع العقاد الذي نشر كتابه بعد كتاب النويهي بأشهر عديدة، واشتركا في تناول أبي نواس تناولاً عِلْمَنَسِيٍّ محض، غير أن العقاد لم يشر إلى كتاب النويهي الذي كان قد لقي بعض الصدى وكتب عنه طه حسين في الأهرام. ولعل العقاد كان فعلاً يستحق اللوم، غير أن النويهي لم يقل أبداً إن العقاد نقل عنه لا فكرة ولا نصاً. وأعجب ظني أن كتاب العقاد كان شبه مكتمل عندما صدر كتاب النويهي، فعز على العقاد أن يقر بأنه مسبوق. ويُقرأ الكتابان كلاهما لما فيهما من طرافة تطبيق النظريات النفسية الحديثة على شاعر عتيق لم يصلنا عنه الكثير، وحمل عليه شعر كثير فلا نكاد نجزم بأن هذا البيت أو ذاك له، اللهم إلا ما أورده معاصروه الذين وصلتنا كتبهم بنسخ متواترة حسنة التوثيق

كالجاحظ. والجاحظ ينقل كثيراً عن معاصره أبي نواس، ويحب أبياتاً كثيرة له. ويعرف قدره. نُقل عن الجاحظ أنه قال: «أنا أسنُّ من أبي نواس بسنة». ولا نصدق هذه العبارة، فهي تجعل حياة الجاحظ تمتد مئة وخمس عشرة سنة. على أننا نرى جميلاً أن يذوق الجاحظ أدب معاصره هذا الذوق وأن يقدره.

نرى في زمننا نحن الذي برز فيه شاعر انفتح له من أبواب المجاز والتشبيه ما لم يفتح لغيره في كل العصور، عَنَيْتُ نزار قباني، نرى النقاد والشعراء والكتبة يتسابقون إلى رمي نزار قباني بكل تهمة: فهو شعبي وابن شارع في الأدب، وهو زير نساء، وهو ليس بشيء. ليس فيهم جاحظ واثق بنفسه لا يقوم حجاب المعاصرة بينه وبين أهل الأدب.

قلت: لا أشايح النوبي والعقاد في إمعانهما في تطبيق نظريات علم النفس الحديثة على أبي نواس، ولهما العذر في أن عصرهما، النصف الأول من القرن العشرين، كان عصر فرويد؛ وكان، في مصر، عصر الاهتمام المبالغ فيه بعلم النفس حين ترجمت وألفت كتب كثيرة في كل منحنى من مناحي هذا العلم - أهو علم بالمناسبة؟ -، وقامت جمعيات تعنى كل منها بفرع معين من فروعه. ثم إن الكاتبين رأيا رجلاً فيه شذوذ جنسي يعيش في عصر مليء بالشذوذ الجنسي والتهتك والخلاعة، عصر استرخاء الخلافة العباسية وتنعّمها في ظلال الاستقرار وتدفق الثروات على بغداد، فهالهما الأمر لأن عصرهما هما لم يكن عصر تهتك كعصر أبي نواس. والرجلان عباً من أدب الأنجلوسكسون الكثير، وعرفا الإنجليز معرفة عميقة؛ النوبي عاشرهم، والعقاد عاقرهم في كتبهم. على أن إنجلترا الخمسينات كانت ترتجف رعباً من المثلية الجنسية، إنجلترا التي سحنت أوسكار وايلد لمثليته، والتي لم يجرؤ ابنها الروائي سومرست موم على البوح بمثليته الجنسية حتى مات، ومات سنة ١٩٦٥، وإنجلترا التي انتحر فيها أبو الحاسوب ألان تورينغ عام ١٩٥٤ بعد أن جرّموه بالشذوذ الجنسي.

غير أننا عرفنا تلك البلاد في التسعينات وفي أوائل القرن الحادي والعشرين، فرأينا فيها ممثلاً مشهوراً هو ستيفن فراي يقول: مذ خرجت من رحم أُمي صممت ألا أعود إلى ذلك المكان. ورأينا كثيرين من المثليين، ومن الشائين، ورأينا المجتمع يسعى إلى إقناع نفسه بتقبلهم. ولم نستعجن ذلك، ولم نبحت له في كتب فرويد عن نظريات.

مفيد أن يقرأ المرء كتابي النوبي والعقاد. وممتع جداً أن يقرأ ذلك النوع

من الكتابة ودينك الأسلوبين الجميلين. أحقاً كان في العرب من يكتب بهذا الجمال وبهذا التدفق. معهم حق الذين سمو ذلك الزمن بالزمن الجميل. وعلى القارئ أن يحترس من الأحكام الجارفة التي أطلقها الكاتبان.

نعم، دخل القلق نفس أبي نواس عندما رأى أمه تجمع الرجال والنساء في بيتها. وعندما تزوجت رجلاً يقال له العباس أحس الفتى أن أمه لم تعد له. وقد عبره لِداته بأمه، ولم يجد في جَعْبته رداً سوى أن ينخلع من كل النظام الأخلاقي السائد في حوارِي ومساجد البصرة، وأن يعلنها: أُمِّي زانية وأنا زان وابن زانية، فاستريحوا. لم يقل ذلك، لكن نحن نقولها على لسانه.

لقد أحسنت إليه أمه أن دفعته وهو طفل صغير إلى مكتب خَفْص المؤدب. فتعلم الكتابة والقراءة، وكان ذكياً. وشعر بتفوقه وهو طفل لم يبلغ. وعندما صح له أن يوصف بالصبي كان يتردد على مؤدب حضرمي علمه جِسْبَةً، ما تقاضى أجراً، وخرَّجه وقال له: اذهب فأنت أقرأ أهل البصرة. وعى أبو نواس القرآن كأحسن ما يكون، وانصرف إلى اللغة والشعر. كان يحضر حلقات أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة وهما أعلم الناس بالعربية، ثم انثنى إلى مجلس خلف الأحمر أشهر راوية للشعر في البصرة. فكيف إذا عرفت أن البصرة كانت أهم حاضرة عربية في ذلك الزمن؟ ذلك زمن لم يكن فيه لبغداد بعد شأن فهي مدينة وليدة. والبصرة قد سبقت الكوفة في العلم زمناً. وعمل أبو نواس صبيَّ عطار. ومن دكان العطار التقطه الشاعر الماجن والبَّه بن الحُبَاب، وأخذه إلى الكوفة وهو فتى في نحو الخامسة عشرة من العمر، وهذا تقدير «صديقي».

هناك في الكوفة اكتملت حلقة المجان: مطيع بن إياس، وحماد عجرد، ويحيى الحارثي، وكلهم ماجن متهتك، وما منهم أحد إلا وله في الغلمان مثلما له في الجواري من فاحش القول. ولا ندري عن الفعل. ثم جاءهم والبَّه بأبي نواس الذي سيغرس عما قليل راية المجون على قمة لم يبلغها أحد قبله ولا بعده.

لقد أفسد والبَّه الغلام أبا نواس، ولكن شاعرنا كان متهيباً لذلك مقبلاً عليه، ولا نظن أنهما كانا كالذئب والحمل كما زعم عبد الرحمن صديقي.

كان خماسي المجون هذا: النواسي ووالبة وحماد عجرد ويحيى الحارثي ومطيع بن إياس، يقضي الوقت الطويل في تناشد الأشعار على السكر مجوناً وهجاءً وعبثاً، فكان شعراً سهلاً فيه فن القول وليس فيه تلك المعاني والألفاظ

الصلبة التي أصر شعراء العرب على أن يتوارثوها. على أن ما تعلمه أبو نواس من أهل اللغة في البصرة، وما حفظه من الشعر القديم، وكان في سعة الحفظ أسطورة، جعله أفصح القوم لساناً وأقومهم عربية، وأعرفهم بإرث الشعر العربي، وتمكن فيما بعد من أن يقول شعراً يجمع السهولة والمتانة على نحو لم يسبقه إليه أحد، وتبعه فيه نزار قباني في عصرنا الذي كان شعره من البلاغة بمكان تقصر دونه الأعناق، مع سلاسة نادرة.

أحب أبو نواس جارية في الكوفة، وقال فيها: «حامل الهوى تعب يستخفه الطرب»، وقيل إن هذا من أول ما عمل من شعر. ولعله في هذه الفترة كان قد استقر جنسياً على «الثنائية» الجنسية مع الأزواج إن صحت عندك هذه العبارة. فهو ثنائي يشتهي الغلام والفتاة، ومزدوج يشتهي أن يؤتى وأن «ياتي»، قَوْلُهُ الشاعر.

ثم قالوا إن أبا نواس رحل إلى بادية بني أسد وأقام سنة. ثم عاد إلى البصرة التي بها نشأ. وعاد إلى حلقات الدرس، وفيها سيبويه والخليل بن أحمد والأخفش ويونس وأبو زيد وأبو عبيدة والأصمعي والجاحظ وبشار بن برد. وأبو نواس قد «نظر في نحو سيبويه» - عبارة صاحب نزهة الألباء -، لكنه ربما كان فعل ذلك بعد حين، إذ لا نعلم بالضبط متى دوّن سيبويه علمه وعلم الخليل وعلم يونس في هذا الكتاب المشهور. كانت العلوم العربية في طور التكوين أو إن شئت التدوين، وكانت البصرة مهد العلوم العربية. على أن الأستاذ الذي لزمه أبو نواس كان خلفاً الأحمر الذي قيل إنه معلم الأصمعي، وكان «أفرس الناس ببيت شعر»، وقيل إنه وضع شعراً كثيراً على شعراء قدماء ثم تاب ونسك. وقيل إن خلفاً هو الذي كَتَبَ الحسن بن هانئ بابي نواس.

وسوى علوم اللغة والأدب كان القوم آنذاك قد بدأوا يتداولون علوم الهند وفارس واليونان، ونشأت في البصرة مدرسة فلسفية عظيمة الأثر في الفكر العربي والإسلامي كله هي الاعتزال، وعرف شاعرنا أحد كبار رؤوسها وهو إبراهيم النظام، وتعرض له في شعره. كان المعتزلة الرد الإسلامي على الزنادقة. الفكر الاعتزالي متحرر يذهب في تأويل النص بعيداً، لكنه كان إسلامياً وإن استفاد من منطق اليونان، وكان أبو نواس وعصبته الماجنة في برزخ بين الاعتزال وبين الزندقة، فسلمت لهم رؤوسهم عندما أئخن المهدي في الزنادقة. وفي عصر هارون الرشيد كان المعجون من آلة الفتى فأما الزندقة فهي

كفر بالدولة، فالزنادقة هم من يحملون في صدورهم حنيناً إلى الأديان القديمة: المزدكية والزرذشتية والمانوية. وأما الماجنون فليصنعوا ما شاءوا حتى لو مدحوا إبليس، المهم ألا يتزندقوا، فهذا قدح في الملك. قد عرف أبو نواس سجن الزنادقة، ولكنه كان يتزندق نظراً لا اعتقاداً.

في البصرة أحب أبو نواس جنان، وهي جارية. وتخبرنا أشعاره أن ذلك الحب كان صادقاً. وهام بها، ولم يظفر بها. وكانت قصة حب عذري، وانتهت برحيل الشاعر إلى بغداد بعد يأسه من جنان. وجعل طريقه على الكوفة، ولم يترك حانة أو ديراً يقدم الخمر إلا حل به وشرب أياماً، كأنما أراد أن يغرق خيبته في الحب في كؤوس الشراب. ويروي لنا الجاحظ في البخلاء حكاية عن أبي نواس وهو مقبل على بغداد في سفينة، وفيها إشارة إلى أن الرجل قد ألمّ بعلم الكلام إلاماً حسناً.

انسل العلماء والأدباء من البصرة إلى بغداد، وكان أبو نواس معهم. جذبهم كلهم بلاط المهدي ثم هارون الرشيد. ويبدو أن أبا نواس وصل إلى بغداد متأخراً، وصلها مع وصول الرشيد إلى سدة الخلافة، ذلك سنة ١٧٠هـ.

وبعد عشرين سنة في بغداد كان فيها يلهو ويغشى الخمارات في القرى المجاورة، ويمدح الرشيد بين الحين والحين ويمدح ثم يهجو البرامكة، توجه إلى مصر في سنة ١٩٠. وفيها مدح عامل خراجها الخصيب. ولعله مكث في مصر سنة أو سنتين. ثم رجع إلى بغداد ماراً بحمص التي أعجبه ما فيها من خمر. ومضى في طريق عودته إلى بغداد يتنقل من حانة إلى حانة ومن دير إلى دير. وفي بغداد حبسه الرشيد لأبيات بلغته، ثم حبسه لأبيات أخرى. لكنه كان يحبه. ومات الرشيد سنة ١٩٣، وأبو نواس في الحبس. وخلفه ابنه الأمين، فجاء العصر الذهبي لأبي نواس. كان المهدي فابنه الرشيد فابنه الأمين ممن يتذوقون الشعر العربي أحسن تذوق. فجعل الأمين أبا نواس نديمه. وكان للأمين قدرة على الشراب لا يسبقه فيها سوى أبي نواس. فإذا سكر الأمين عربد على جلسائه.

وصنع أبو نواس في الخمر والعبث بالعقائد القصائد الكثيرة في هذا الزمن، وناله من العقاب في عهد الأمين ما كان ناله في عهد الرشيد، فحبس مراراً، فرغم أن الأمين مهتك ماجن فقد آذاه سياسياً انتشار أشعار أبي نواس، إذ كان أخوه المأمون الخارج عليه في خراسان يتخذ من ذكر أبي نواس

وأشعاره دعاية سياسية ضد أخيه الخليفة ببغداد. ولم يطل عهد الأمين فقد أجدت به في بغداد جيوش المأمون، وقتل في عام ١٩٨هـ. وعاش بعده أبو نواس سنة، ثم مات في عام ١٩٩.

من متذوقي شعر أبي نواس المعاصرين طه حسين، وله في حديث الأربعاء نظرات نافذة نقلنا بعضها ونحن نشرح لك ما اخترناه من الشعر.

أبو نواس شاعر قديم، وشعره قديم. وفي شعره حلاوة لا نجدتها في شعر معاصريه، كان شعوبياً حيناً متعصباً للعرب اليمانية حيناً. لكنه كان في كل شأنه عابثاً، يحب الحياة ويحمل على كتفيه ثقل فكرة الفناء، فكان يقرض الأبيات الزهدية كلما مل من العبث. عاش تسعاً وخمسين سنة. ضائعاً. ولو عرفنا سر الحياة للمنا أبا نواس.

أبو نواس عبقرية شعرية. وعندنا من الشعراء العباقرة ما ليس عند أمة. هنيئاً لنا.

وبعد، فهذه باقية من شعر أبي نواس، مرتبة على حروف المعجم. وأغراضها قليلة محصورة في ذكر الخمر والغزل بنوعيه، فلا حاجة إلى كشف أغراض. وقد لبثت هذه المجموعة بين يدي ثلاث سنين، لا أقدر على إتمام العمل فيها، فاقبلها مني على عوارها. وقد أدني تشكيلها وكرهتها، ولم أكن منشراح البال وأنا أشرحها. صرت أحن إلى زمن كان المرء فيه يمسك بالقلم ويكتب ولا يعاني من «تجدد» برامج الطباعة على الحاسوب ما أعانيه.

اغفر لي - إن استطعت - هذه الركاكة وهذا التشتت الذهني اللذين منعاني، في هذه المقدمة، من أن أقص عليك قصة حياة أبي نواس بسلاسة.

قد انتفعت في فهم أشعار أبي نواس وشرحها بالديوان الذي حققه قهوجي، وحاولت ألا أسرق كلامه ولا عناوينه، فإن فعلت وأخذت منه عبارة فهي بين إشارتي تنصيب، وهي منسوبة إليه.

١ كاني قد هجوت الأدعياء

يَهْجُو الهَيْثَمُ بنَ عَدِي:

مررتُ بهيْثَمَ بنِ عَدِيٍّ يوماً، وقَدْماً، كنتُ أَمْنَحُهُ الصَّفَاءَ
قَدْماً: سابقاً، فيما مضى

فَأَعْرَضَ هَيْثُمْ لَمَّا رَأَنِي، كَأَنِّي قَدْ هَجَوْتُ الْأَذْعِيَاءَ

الأدعياء: (مفردها دَعِي) المنسوبون إلى غير آبائهم

وَقَدْ آلَيْتُ لَا أَهْجُو دَعِيًّا، وَلَوْ بَلَغَتْ مُرْوَةُ السَّمَاءِ

آليت: حلفت

٢ دَعْ عَنْكَ لَوْمِي

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي، فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءٌ وَدَاوِنِي بِالنَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ

اترك اللوم، فاللوم يغريني بالتماذي؛ ودأوني من أثر الخمر بالخمر. قالوا إن خير دواء لصداء السكر عند الصحو شرب بعض الخمر

صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانُ سَاحَتَهَا، لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَاءُ

سراء: سرور

قَامَتْ بِإِبْرِيْقِهَا، وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ، فَلَاحَ مِنْ وَجْهَهَا فِي الْبَيْتِ لِأَلَاءِ

وقفت الساقية ويدها الإبريق لجولة جديدة، والليل معتكر (مظلم) فلاح (ظهر) من وجهها الجميل لألاء (بريق) في جو البيت

فَأَرْسَلْتُ مِنْ فَمِ الْإِبْرِيْقِ صَافِيَةً، كَأَنَّمَا أَخَذَهَا بِالْعَيْنِ إِغْفَاءً

فأرسلت (صبت) من فم الإبريق خمرًا صافية، كأن أخذك هذه الخمر بعينيك (رؤيتك لها) إغفاء

رَقْتُ عَنِ الْمَاءِ، حَتَّى مَا يَلَانِئُهَا لَطَافَةٌ، وَجَفَا عَنْ شَكْلِهَا الْمَاءِ

الخمر أرق من الماء - الذي لا شيء في رفته وشفافيته -، حتى إنه لم يعد يلائمها لطافة، فجفا عنها (لم يختلط بها). أبو نواس يصف ضرباً من الويسكي العباسي، ومزج الويسكي بالماء يصنع في الكأس منظرًا يظهر فيه عدم الاختلاط الفوري بينهما

فَلَوْ مَزَجْتَ بِهَا نُورًا لِمَارَجَها حَتَّى تَوَلَّدَ أَنْوَارٌ وَأَضْوَاءُ

فأما لو مزجت بالخمر نوراً فسيتمزج بها لأنه من شكلها، فتولد (تولد) حيثزد أنوار وأضواء. تستمعني في التسجيل الصوتي أجعل «تولد» مرفوعة.. كأنني أردت أن أنأى بها عن الفعل الماضي

دَارَتْ عَلَى فِتْنَةٍ دَانَ الزَّمَانُ لَهُمْ، فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا

دارت الخمر على فتية دان (خضع) الزمان لهم. نشوة الخمر تجعل المرء يظن أن المصائب مستحيلة الوقوع

مِنْ كَفِّ ذَاتِ حِرٍّ فِي زِيٍّ ذِي دَكْرٍ لَهَا مُحَبَّبَانِ لُوطِيٍّ وَزَنَاءٍ

تدور الخمر من كف فتاة ذات حر (فرج)، ترتدي زي فتى ذي ذكر (عضو الذكورة)، ولذا يحبها اللوطي والزناء (الممارس مع النساء). وهذا البيت قد تخرج قهوجي من إثباته، وأثبتناه نحن، ليس حرصاً على الأمانة العلمية، بل لأننا أحبيناه

لِيَتْلِكَ أَبْكِي، وَلَا أَبْكِي لِمَنْزِلَةٍ كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا هِنْدٌ وَأَسْمَاءُ

أبكي إذ أذكر مجلس الخمر، ولا أبكي كبقية الشعراء لمنزلة (منزل) كانت تنزل بها هند وأسماء

حَاشَا لِدَرَّةٍ أَنْ تُبْنَى الْخِيَامُ لَهَا، وَأَنْ تَرُوحَ عَلَيْهَا الْإِبِلُ وَالشَّاءُ

درة (الخمرة) أعلى قدراً من أن تبنى لها الخيام، وأن تروح عليها (تعود إليها من مراعيها) الإبل والشاء (الأغنام). ونزع عن «درة» آل التعريف لجعله إياها علماً، كقولك: رأيت أسامة، تعني الأسد. وسموها «درة» لأنها محلوبة من العنب، كما يدر حليب الناقة. وخالفنا قهوجي الذي جعلها «درة» أي لؤلؤة

فَقُلْ لِمَنْ يَدَّعِي فِي الْعِلْمِ فَلَسَفَةً حَفِظْتَ شَيْئاً، وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

قل لمن يتفلسف (ويعني إبراهيم النظام المعتزلي): حفظت شيئاً (من ظاهر الدين)، وغابت عنك أشياء (من المقاصد والجوهر)

لَا تَحْظُرِ الْعَفْوَ إِنْ كُنْتَ امْرَأً حَرَجاً فَإِنَّ حَظْرَكَهُ بِالذِّينِ إِزْرَاءُ

لا تحظر العفو لمجرد أنك حرج (متشدد)، فهذا الحظر إزراء (استخفاف) بالدين

٣ صلاة السكاري

وَنَدَمَانِ يَرَى غَبْنًا عَلَيْهِ بِأَنْ يُلْفَى، وَلَيْسَ بِهِ انْتِشَاءُ

رب ندمان (نديم) يرى غبناً عليه (ظلماً له) بأن يلقى صاحباً ليس به انتشاء (سكر)

إِذَا نَبَّهْتَهُ مِنْ نَوْمِ سُكْرٍ، كَفَّاهُ مَرَّةً مِنْكَ النُّدَاءُ

إذا أردت إيقاظه من نومة سكر، فناده مرة واحدة برفق

فَلَيْسَ بِقَائِلٍ لَكَ: إِيهِ دَعْنِي! وَلَا مُسْتَخْبِرٍ لَكَ: مَا تَشَاءُ؟

فهو لن يقول لك: اتركني، ولن يقول لك: ما الذي تريد

وَلَكِنْ سَقَّنِي؛ وَيَقُولُ أَيْضاً: عَلَيْكَ الصَّرْفُ، إِنْ أَغْيَاكَ مَاءٌ

ولكن، سيقول لك: سقني (اسقني)، ويضيف: هات خمرة صرفاً إن أغيأك الحصول على ماء

إِذَا مَا أَدْرَكَتْهُ الظُّهْرُ صَلَّى، وَلَا عَصْرُ عَلَيْهِ، وَلَا عِشَاءُ

إذا لحقته الظهر (صلاة الظهر) صاحباً صلاها، ولا يصلي ما بعدها

يُصَلِّيْ هَذِهِ فِي وَقْتِ هَذِي ، فَكُلُّ صَلَاتِهِ أَبَدًا قَضَاءٌ
يصلي بلا مراعاة لأوقات الصلوات، وكل صلواته قضاء (يقضي صلاة في وقت أخرى)

٤ أسماؤها الحسنى

أَتْنِ عَلَى الْخَمْرِ بِآلَائِهَا ، وَسَمِّهَا أَحْسَنَ أَسْمَائِهَا
امدح الخمر بآلائها (نعمها التي تسبغها علينا)، وسمها بأحسن أسمائها. التفت طه حسين في حديث الأربعاء إلى ما في هذا من تحدٍّ للدين، فالآلاء آلاء الله، والأسماء الحسنى أسماء الله

لَا تَجْعَلِ الْمَاءَ لَهَا قَاهِرًا ، وَلَا تُسَلِّطْهَا عَلَى مَائِهَا
لا تزد الماء فيطنى على الخمر، ولا تقهه كثيراً فتطنى هي عليه

كَرْخِيَّةٌ ، قَدْ عُنْتُقَتْ حَقَبَةً ، حَتَّى مَضَى أَكْثَرُ أَجْزَائِهَا
هذه خمر كرخية (من محلة الكرخ ببغداد)، معتقة، وقد تبدد معظمها وبقيت خلاصتها

فَلَمْ يَكَدْ يُذْرِكُ خَمَّارُهَا مِنْهَا سِوَى آخِرِ حَوْبَائِهَا
فكان صاحب الخمارة لحقها في النزاع الأخير فأدرك آخر حوبائها (روحها)

دَارَتْ فَأَحْيَتْ ، غَيْرَ مَذْمُومَةٍ ، نَفُوسَ حَرَّاهَا وَأَنْضَائِهَا
دارت فأحيت، نفوس حراها (العطاش لها) وأنضائها (المتعين لتأخرها عنهم)

وَالْخَمْرُ قَدْ يَشْرِبُهَا مَعَشَرٌ لِّبُسُوا ، إِذَا عُذُّوا ، بِأَكْغَفَائِهَا
وللاسف فالخمر يشربها بعض الناس الذي ليسوا أكغفاء لها. والكفء هو الرجل الموازي للمرأة
نسباً ومالاً فيمكنه الزواج بها

٥ التعلل بالأمانى

رَسُولِي قَالَ : أَوْصَلْتُ الْكِتَابَا ، وَلَكِنْ ، لَيْسَ يُعْطُونَ الْجَوَابَا
فقلتُ : أَلَيْسَ قَدْ قَرَأُوا كِتَابِي ؟ فَقَالَ : بَلَى ، فَقُلْتُ : الْآنَ طَابَا
الآن طاب خاطري

فَارْجُو أَنْ يَكُونُوا هُمْ جَوَابِي ، بِلا شك ، إِذَا عَرَفُوا الْخِطَابَا
أَجِدُ لَكَ الْمُتَى ، يَا قَلْبُ ، كَيْ لَا تَمُوتَ عَلَيَّ غَمًّا وَاكْتِنَابَا
أجد: أجدد

٦ شربت من عينيه

أَعَاذِلْ، أَعْتَبْتُ الْإِمَامَ، وَأَعْتَبَا وَأَعْرَبْتُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ، وَأَعْرَبَا
يا عاذلتي (لا تمني) لقد أعتبت الإمام (أرضيته)، فأعتبني (رضي عني)، وأعرب كل منا عما يريد
وَقُلْتُ لِسَاقِيهَا أَجْزَاهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِيَأْبَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَشْرَبَا
وقلت للساقى أجزها (مرزها عني، ولا تقدم لي كأساً)، فليس لي أن يرفض الخليفة شرابي الخمر
وأخالفه

فَجَوَزَهَا عَنِّي عُقَّاراً تَرَى لَهَا إِلَى الشَّرَفِ الْأَعْلَى شُعَاعاً مُطْنَباً
فجوزها عني (مر بالخمير دون أن يسقيني)، وهي عقار (خمير) ترى لها شعاعاً مطنباً (مرتفعاً) إلى
الشرف (العلو) الأعلى

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ الْقَوْمِ خِلْتَهُ يُقْبَلُ، فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ، كَوَكْبَا
إذا عب (شرب) الشارب منها حسبته يقبل كوكباً في ليل داج (مظلم). فالكأس تلمع في ظلمة
المجلس كالكوكب، والشارب كأنه يقبله

تَرَى، حَيْثُمَا كَانَتْ مِنَ الْبَيْتِ، مَشْرِقاً، وَمَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ مِنَ الْبَيْتِ، مَغْرِباً
في مكان الخمر في زاوية البيت يوجد شروق، وفي كل مكان غيره غروب

يَدُورُ بِهَا سَاقٍ أَعَزُّ تَرَى لَهُ عَلَى مُسْتَدَارِ الْأَذْنِ صُدْعاً مُعْقَرِباً
يدور بكؤوس الخمر ساقٍ فيه صوته غنة، وترى عند مستدار الأذن (دائراً حول أذنه) صدعاً معقرباً
(سالفاً تلفت خصلة شعر منه كأنها العقرب)

سَقَاهُمْ، وَمَنَانِي بِعَيْنَيْهِ مُنِيَّةً، فَكَانَتْ، إِلَى قَلْبِي، أَلَذُّ وَأَطْيَبَا
سقاهاهم الساقى خمراً، وأرسل لي غمزة فيها وعد بتحقيق أمنية أخرى غير الشراب، فكانت غمزته
ألذ من الخمر بالنسبة إلي

٧ حسرتي على أيام البصرة

عَفَا الْمُصَلَّى، وَأَقْوَتِ الْكُثْبُ مِنِّي، فَالْمِرْبَدَانِ، فَالْلَبِّبُ
عفا (امحى) المصلى (مكان في البصرة) وأقوت (صارَت مَقْفَرَةً خَالِيَةً) الكُثْب من وجودي وكذا
خلا مني الميربدان واللبيب (مواضع في البصرة)

فَالْمَسْجِدُ الْجَامِعُ الْمَرْوَةَ وَالذَّ - يَنْ عَفَا، فَالْصَّحَّانُ، فَالْرُحْبُ
وعفا المسجد الذي يجمع المروءة والدين، وكذا الصحان (الساحات) والرحب (الساحات)

مَنَازِلُ قَدْ عَمَرْتُهَا، يَفْعَاءُ، حَتَّى بَدَا فِي عِذَارِي الشَّهْبِ
هذه منازل (أماكن) عمرتها (استوطنتها) يفعأ (فتى) إلى أن ظهرت في عذاري (سألني) الشَّهْبُ
(بوادر الشيب)

فِي فِتْيَةٍ كَالسُّيُوفِ، هَرَّهْمُ شَرَّخُ شَبَابٍ، وَزَانَهُمُ أَدَبُ
كنت ضمن فتية قوام كل منهم كالسيف، وقد هزم شبابهم، وتزينوا بالأدب

ثُمَّ أَرَابَ الزَّمَانُ، فَانْصَدَعُوا أَيْدِي سَبًّا فِي الْبِلَادِ، فَانْشَعَبُوا
ثم أراب الزمان (غدر) فانصدعوا أيدي سبا (تعبير معناه: تشتتوا كقوم سبا) فانشعبوا (تفرقوا)

لَنْ يُخْلِفَ الدَّهْرُ مِثْلَهُمْ أَبَدًا عَلَيَّ، هِيَهَاتَ، شَأْنُهُمْ عَجَبُ
لم يخلف (يعوض) الدهر علي بمثلهم، وكان شأنهم عجباً (يعجب الناس)

لَمَّا تَيَقَّنْتُ أَنَّ رَوْحَتَهُمْ، لَيْسَ لَهَا، مَا حَيِّتُ، مُنْقَلَبٌ..
عندما أيقنت أن ذهابهم ليس له منقلب (عودة) ..

أَبْلَيْتُ صَبْرًا، لَمْ يُبْلِهِ أَحَدٌ، وَاقْتَسَمْتَنِي مَآرِبُ شُعْبُ
أبليت بلاء حسناً في الصبر، وتوزعتني مآرب (أغراض) شعب (متشعبة)

فُطِرْتُ لِمَرْبَعِي، وَلِي بِقُرَى الْكَرْخِ مَصِيفٌ، وَأُمِّي الْعَنْبُ
فطرتل (قرية كثيرة الخمارات) مربعي (موطني)، وأقضي الصيف في قرى الكرخ، وأمي هي العنب
التي منها تُعصر الخمر

تُرْضِعُنِي دَرَّهَا، وَتَلْحَفُنِي بِظِلِّهَا، وَالْهَجِيرُ يَلْتَهَبُ
وهذه الأم ترضعني درها (حليبها)، وتلحفني بلحاف ظلها في كرومها، بينما الهجير (القيظ) يلتهب

فَاسْتَوْسَقَ الشُّرْبُ لِلدَّامِي، وَأَجْرَ رَاهَا عَلَيْنَا اللَّجِينُ وَالْغَرَبُ
استوسق الشرب (تم) للدامي، وأجرى الخمر علينا اللجين (الفضة) والغرب (الذهب). أي أنهم
شربوا بكؤوس فضية. مذهبة

أَقُولُ لَمَّا تَحَاكَيَا شَبَهَا أَئِيْهُمَا، لِلتَّشَابِهِ، الذَّهَبُ
أقول وقد تحاكيا (تشابها) أيهما الذهب؟ أهو ذلك الطلاء أم الخمر نفسها؟

مُلْسٌ، وَأَمْثَالُهَا مُحَفَّرَةٌ، صُورَ فِيهَا الْقُسُوسُ وَالصُّلْبُ
الكؤوس ملساء وثمة كؤوس محفرة بالنقوش عليها صور القسوس وصلبانهم

يَتَلَوْنَ إِنْجِيلَهُمْ، وَفَوْقَهُمْ سَمَاءُ خَمْرٍ، نُجُومُهَا الْحَبُّ
الحب: الفقايع

كَأَنَّهَا لَوْلَوْ تُبَدَّدُهُ أَيْدِي عَذَارَى أَفْضَى بِهَا اللَّعِبُ
كَأَنَّ الْفَقَاقِعَ، وَهِيَ تَفْجَرُ وَيَتَصَاعَدُ رِذَاذُهَا لَأَلْيَهُ تَبَدُّدُهَا (تَقْذِفُ بِهَا) أَيْدِي الْعَذَارَى اللَّاهِيَاتِ.
تَاللَّهِ لَقَدْ كَانُوا يَشْرَبُونَ الشِّمْبَانِيَا!

٨ تأليف النسب

يَهْجُو أَشْجَعَ السُّلَمِيِّ:

أَلَا يَا حَادِثًا فِيهِ، لِمَنْ يَتَعَجَّبُ، الْعَجَبُ
لَأَسْمَاءٍ يُسَمِّيهِنَّ - «أَشْجَعُ» حِينَ يَنْتَسِبُ
أَسْمَاءَ أَجْدَادِهِ عَجِيبَةٍ

تَعَلَّمَهَا وَإِخْوَتَهُ، فَكُلُّهُمْ بِهَا ذَرْبُ
لَقَدْ تَعَلَّمَ، هُوَ وَإِخْوَتُهُ، هَذِهِ الْأَسْمَاءَ تَعَلُّمًا، وَكُلُّهُمْ ذَرْبُ (سَرِيعَ اللِّسَانِ) فِي تَرْدَادِهَا

لَقَدْ زَنَنُوا عَجُوزَهُمْ وَلَوْ زَنَيْتُهَا غَضِبُوا
وَلَأَنَّهَا لَيْسَتْ أَسْمَاءَ أَجْدَادِهِمُ الْحَقِيقَةِ فَكَأَنَّهُمْ يَتَهَمُونَ عَجُوزَهُمْ (أَهْمُ) بِالزَّنَا؛ وَلَكِنْ، لَوْ اتَّهَمْتُهَا
أَنَا بِالزَّنَا لَغَضِبُوا مِنِّي

٩ قمة السكر

وَنَدَمَانِ صِدْقٍ بَاكِرَ الرَّاحِ سُحْرَةً، فَأَضْحَى، وَمَا مِنْهُ اللَّسَانُ وَلَا الْقَلْبُ
رَبُّ نَدَمَانِ (نَدِيمٍ) صِدْقٍ (صَادِقٍ) بَكَرَ إِلَى الرَّاحِ (الْخَمْرِ) عِنْدَ السَّحَرِ (قَبِيلِ الْفَجْرِ) فَمَا جَاءَ
الضُّحَى إِلَّا وَلِسَانُهُ وَقَلْبُهُ لَيْسَا مِنْهُ (أَيَّ صَارَ سَكَرَانِ طَبِئَةً)

تَأْنِيثُهُ كَيْمَا يُفَيِّقُ، وَلَمْ يُفِقْ إِلَى أَنْ رَأَيْتُ الشَّمْسَ قَدْ حَازَهَا الْغَرْبُ
تَأْنِيثُهُ (تَرَفَّقْتُ بِهِ) كَيْ يَفِيقُ، فَلَمْ يَفِقْ حَتَّى الْغُرُوبِ

فَقَامَ يَخَالُ الشَّمْسَ لَمَّا تَرَحَّلَتْ، فَنَادَى: صَبُوحًا! وَهِيَ قَدْ قَرُبَتْ تَخْبُو
ثُمَّ أَفَاقَ وَهُوَ يَخَالُ (يُظَنُّ) الشَّمْسَ لَمْ تَشْرِقْ بَعْدَ، فَنَادَى صَبُوحًا (عَلَيَّ بِشْرَابِ الصَّبَاحِ)، هَذَا بَيْنَمَا
الشَّمْسُ فِي الْوَاقِعِ كَادَتْ تَخْبُو (تَنْطَفِئُ وَتَغِيبُ)

وَحَاوَلَ نَحْوَ الْكَأْسِ مَشْيًا، فَلَمْ يُطِقْ، مِنْ الضَّعْفِ، حَتَّى جَاءَ مُخْتَبِطًا يَحْبُو
وَمِنْ سَكَرِهِ صَارَ يَحْبُو مُخْتَبِطًا (مَتَمَايِلًا) نَحْوَ الْكَأْسِ

فَقُلْتُ لِسَاقِينَا اسْقِهِ، فَانْبَرَى لَهُ، رَفِيقٌ بِمَا سُمِّنَاهُ مِنْ عَمَلٍ، نَذْبُ
فَأَمَرْتُ السَّاقِي بِأَنْ يَسْقِيَهُ، فَانْبَرَى السَّاقِي لَهُ مُتَرَفِّقًا بِمَا سُمِّنَاهُ (كَلَفَنَاهُ) مِنْ عَمَلٍ، وَنَذْبُ (نَشِيطُ)

فَنَاولَهُ كَأْساً جَلَّتْ عَنْ خُمَارِهِ، وَأَتْبَعَهَا أُخْرَى، فَثَابَ لَهُ لُبٌّ
فَسَقَاهُ كَأْساً جَلَّتْ عَنْ خُمَارِهِ (ذهبت بصداق السكر)، وكأساً أخرى أرجعت له عقله

١٠ لها حق الانتخاب

مَا هَوَى إِلَّا لَهُ سَبَبٌ يَبْتَغِي مِنْهُ، وَيَنْشَعِبُ
فَتَنَتْ قَلْبِي مُحَجَّجَةً وَجْهَهَا بِالْحَسَنِ مُنْتَقِبُ
تعلق عمران القفيني: أليس من هنا أخذ المتنبي «على الوجه المكفن بالجمال»؟
خُلِّيتُ وَالْحَسَنَ، تَأْخُذُهُ... تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
تُرَكَتْ مَعَ الْجَمَالِ وَصَارَتْ تَنْتَقِي أَجْمَلَ الْجَمَالِ لِيَكُونَ لَهَا

١١ بين الحليب والخمر

دَعِ الْأَطْلَالَ تَسْفِيهَا الْجَنُوبُ وَتُبْلِي عَهْدَ جِدَّتَيْهَا الْخُطُوبُ
اترك الأطلال تسفيتها (تثير ترابها) ريح الجنوب، ودعها كي تبلي الخطوب (الأحداث) جديدها
وتجعلها بانداً

وَحَلَّ لِرَاكِبِ الْوَجْنَاءِ أَرْضاً تَحُبُّ بِهَا النَّجِيبَةَ وَالنَّجِيبُ
واترك لراكب الناقة الوجناء (القوية) تلك الأرض الصحراوية التي تحب بها الناقة النجبية
(الأصيلة) والجمال النجيب

بِلَادَ نَبْتُهَا عُشْرٌ وَطَلْحٌ، وَأَكْثَرُ صَيْدِهَا ضَبْعٌ وَذَيْبُ
تلك بلاد نباتها عشر (شجر صمغي) وطلح (نبات شائك)،
وأكثر ما يُصاد فيها الضبع، والذئب

وَلَا تَأْخُذْ عَنِ الْأَعْرَابِ لِهَوَاً، وَلَا عَيْشاً، فَعَيْشُهُمْ جَدِيبُ
دَعِ الْأَلْبَانَ يَشْرَبُهَا رَجَالٌ، رَقِيقُ الْعَيْشِ بَيْنَهُمْ غَرِيبُ
العيش الرقيق غريب عند هؤلاء البدو

إِذَا رَابَ الْحَلِيبُ فَبُلْ عَلَيْهِ وَلَا تَخْرُجْ، فَمَا فِي ذَاكَ حُوبُ
راب: تخثر، لا تخرج (لا تخش حمل إثم)، فما في هذا حوب (إثم)

فَأَطِيبْ مِنْهُ صَافِيَةً شَمُولٌ، يَطُوفُ بِكَأْسِهَا سَاقٍ أَدِيبُ
شمول: خمرة باردة

أَقَامَتْ حِقْبَةً فِي قَعْرِ دَنْ، تَفُورُ، وَمَا يُحْسُ لَهَا لَهَيْبُ
أقامت: مكثت، دن: وعاء التخمر الكبير المختوم

كَأَنَّ هَدِيرَهَا فِي الدَّنِّ يَحْكِي قِرَاءَةَ الْقَسِّ قَابِلَهُ الصَّلِيبُ
يحكي: يشبه، قراءة: قراءة

تَمَدُّ بِهَا إِلَيْكَ يَدَا غَلَامٍ أَغْنَى، كَأَنَّهُ رَشَاءُ رَبِيبُ
أغن: في صوته غنة أنفية مستعذبة، رشأ: ولد الغزال، ربيب: مدلل

يَنْوُو بِرِدْفِهِ، فَإِذَا تَمَشَّى تَنَنَّى فِي غَلَائِلِهِ قَضِيبُ
ينوء (يتعب) وهو يحمل أردافه، فإذا مشى تننى بداخل غلائله (ملابسة الواسعة) قضيب (غصن)

يَمُدُّ لَكَ الْعِنَانَ، إِذَا حَسَاها، وَيَفْتَحُ عَقْدَ تَكْتِهِ الدَّبِيبُ
يمد هذا الغلام لك العنان (الحبل) ويتساهل معك إذا حساها (شربها)، ويفتح عقدة تكته (حزام وسطه) الدبيب (تغلغل أثر الخمر في جسمه) كذا فسرها قهوجي، وثالثه لأبو نواس أوسخ من هذا خيالاً، وللدبيب معنى آخر هو أن يحب المرء في ظلام المجلس، والسكرارى غافون على أرائكهم، في اتجاه محبوبه لينال منه

يَكَادُ مِنَ الدَّلَالِ إِذَا تَنَنَّى عَلَيْكَ، وَمِنْ تَسَاقُطِهِ يَذُوبُ
يكاد هذا الغلام لكثرة دلاله وتساقطه (من تأثير الخمر يسقط رأسه على صدرك، وتسقط يدها في حبرك، ولك أن تتخيل تهاوي أعضاء الساكر لارتخاء مفاصله)، وهذا التني والتساقط يجعلك ترى كأن الغلام... يذوب

فَهَذَا الْعِيشُ لَا خِيَمَ الْبُودَايِ، وَهَذَا الشَّرْبُ لَا اللَّبْنَ الْحَلِيبُ

١٢ حامل الهوى تعب

حَامِلُ الْهَوَى تَمِيبُ يَسْتَخِفُّهُ الطَّرَبُ
الطرب: الحزن، أي لشدة حزنه يصير مرتعش السلوك

إِنْ بَكَى يَحِقُّ لَهُ لَيْسَ مَا بِهِ لَمِبُ
فيروز تقول «بحق له» بضم الحاء، وهذا وجه قاله اللسان، وهيهات أن تغلط فيروز في اللغة؛ على أنها بعد أن مات زوجها وأشاحت عن سلفها، زلت زلتين

كَلَّمَا انْقَضَى سَبَبُ مِنْكَ عَادَ لِي سَبَبُ
تَعْجِبِينَ مِنْ سَقَمِي صَحَّتِي هِيَ الْعَجَبُ
نَضْحَكِينَ لَا هَيْبَةَ وَالْمَجِبُ يَنْتَحِبُ

١٣ كي أكون صادقاً..

نسب في بعض النسخ إلى أبي نواس:

سقاني أبو بشرٍ من الراحِ شربةً لها لذةٌ ما ذقتها لِشَرابٍ
وما طَبَخوها غيرَ أنَّ غلامَهُمْ سعى ليلةً في كَرَمِها بِشَهابٍ
شهاب: مصباح

١٤ خمر وقينة

قامتُ تُريني، وأمرُ الليلِ مجتمِعٌ، صُباحاً تولَّدَ بين الماءِ والعَنَبِ
قامت تريني، والليل قد تكاثف ظلامه، ضوءاً كضوء الصبح تولد من خلط الماء بالخمرة التي
أصلها من العنب

كانَ صُغرى وكُبرى مِنْ فَوَاقِعِها حَضباءُ ذُرٍّ على أرضٍ مِنَ الذَّهَبِ
كان فواقعها (فقايعها) الصغيرة والكبيرة حصباء در (حصى من لؤلؤ) متثورة على أرض من الذهب
كانَ تُركاً صُفوفاً في جوانِبِها، ثَوَاتِرُ الرِّمِيِّ بالنُّشَابِ مِنْ كَثَبٍ
وتنفجر الفقايع تباعاً فكأنها على وجه الكأس جنود من الأتراك يصطفون ويواترون (يواصلون)
الرمي بالنشاب (بالسهام) من كثب (من قرب)

مِنْ كَفِّ سَاقِيَةٍ، نَاهِيكَ سَاقِيَةٍ، فِي حُسْنِ قَدٍّ، وَفِي ظَرْفٍ، وَفِي أَدَبٍ
كانت ليرب قيان ذي معالنة بالكشخ محترف، بالكشخ مكتسب
هذه الجارية الساقية كان يملكها رب قيان (رجل يحتفظ في بيته بالمغنيات لتسليه الناس بأجر)،
وهو ذو معالنة (يعلمها صراحة ولا يستتر)، فهو محترف الكشخ (بذل نسائه/الديانة) ومكتسب به

فَقَدْ رَأَتْ وَوَعَتْ عَنْهُنَّ، وَاخْتَلَفَتْ. مَا بَيْنَهُنَّ وَمَنْ يَهْوِيَنَّ بِالْكُثْبِ
وكان من شأنها وهي عند ذلك الرجل أن خبرت أحوال القيان، وأن اختلفت (ترددت رائحة جاثية)
بينهن وبين من يحببن بالكتب (بالرسائل)

حَتَّى إِذَا مَا غَلَا مَاءُ الشَّبَابِ بِهَا، وَأُفْعِمَتْ فِي تَمَامِ الْجِسْمِ وَالْقَصَبِ
فعندما غلا ماء شبابها (فارت)، وأفعمت (امتلات وتكوّرت) وتم جسمها وقصبها (عظمها)

وَجُمِشَتْ بِخَفِيِّ اللَّحْظِ، فَانْجَمَشَتْ، وَجَرَّتِ الْوَعْدَ بَيْنَ الصَّدْقِ وَالْكَذِبِ
وعندما جمشت (دوعبت) بخفي اللحظ (بالنظرات المبروقة) فانجمشت (تجاوبت مع المداعبة)،
وعندما أصبحت ناضجة في الحرفة تعطي أنصاف الرعود للعشاق

تَمَّتْ، فَلَمْ يَرَ إِنْسَانًا لَهَا شَبَهًا، فِي مَنْ بَرَى اللَّهُ مِنْ عُجَمٍ وَمَنْ عَرَبٍ
عندئذ اكتملت فلم يعد لها شبيه فيمن خلق الله من عجم أو عرب

تِلْكَ الَّتِي لَوْ خَلَقْتَ مِنْ عَيْنٍ قِيَمِهَا، لَمْ أَقْضِ مِنْهَا، وَلَا مِنْ حُبِّهَا أَرْبِي
مثل هذه الجارية، حتى لو خلقت من عين قيمها (لو تخلصت من مراقبة قوادها)، لما اكتفيت منها
لشدة شغفي بها

١٥ إن طاعوني قلبي

وَفَاتِنٍ بِالنَّظَرِ الرَّطْبِ يَضْحَكُ عَنْ ذِي أَشْرِ عَذْبٍ
فتى في عينيه نداوة يضحك فتبدو أشره (أسنانه ذات التحزيز لصغر السن)

خَالِيَتُهُ فِي مَجْلِسٍ لَمْ يَكُنْ ثَالِثُنَا، فِيهِ، سِوَى الرَّبِّ
خاليته (اختليت به)

فَقَالَ لِي، وَالْكَفُّ فِي كَفِّهِ، بَعْدَ التَّجَنِّي مِنْهُ وَالْعَثْبِ
تُحِبُّنِي؟ قُلْتُ مُجِيبًا لَهُ: وَفَوْقَ مَا تَرْجُو مِنَ الْحَبِّ
قَالَ أَتَقِي اللَّهَ، وَدَغْ ذَا الْهَوَى فَقُلْتُ: إِنَّ طَاوَعَنِي قَلْبِي

١٦ كيف أكلك للضب؟

إِذَا مَا تَمِيمِي أَنَاكَ مُفَاخِرًا فَقُلْ: عَدُّ عَنْ ذَا، كَيْفَ أَكَلْتُكَ لِلضَّبِّ؟
عد عن ذا: دعنا من هذا الكلام، والتميمي مضري من عرب الشمال،
وأبو نواس يتزين بالانتساب إلى اليمنية

تُفَاخِرُ أَبْنَاءَ الْمُلُوكِ سَفَاهَةً، وَيُوَلِّكَ يَجْرِي فَوْقَ سَاقِكَ وَالْكَعْبِ
فَنَحْنُ مَلِكُنَا الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا، وَشَيْخُكَ مَاءٌ فِي التَّرَائِبِ وَالصُّلْبِ
نحن أهل اليمن، وربما عنى الفرس، ملكنا الأرض وشيخك (جدك الأعلى) ما زال لم يولد
موجوداً نطفة في الترائب (عظام بأعلى الصدر) والصلب (الظهر)

١٧ عن تجربة

لَا تَحْمَدَنَّ أَمْرًا حَتَّى تُجَرِّبَهُ، وَلَا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِبٍ

١٨ الرغيف الرديد

قد علا الديوانَ كَابَةً، مُذْ تَوَلَّى ابْنُ سِيَابَةٍ
كابة: كآبة

يا غُرَابَ البَيْنِ فِي الشُّؤْ مِ، وَمِيزَابَ الْجَنَابَةِ
ميزاب: مسيل ماء

يا رَغِيفاً رَدَّهُ الْبَقَّ - مَالُ يُبْسَأُ وَصَلَابَةُ
أعاده البقال للخباز ولم يرض بتسويقه في دكانه

١٩ رثاء والبة بن الحُباب

فَاضَتْ دَمُوعُكَ سَاكِبَةً جَزَعاً لِمَضْرَعٍ وَالْبَةِ
قَامَتْ بِمَوْتِ أَبِي أَسَا مَةً، فِي الرَّفَاقِ، النَّادِبَةِ
فُجِعَتْ بَنُو أَسَدٍ بِهِ، وَبَنُو زَارٍ قَاطِبَةِ
بِلْسَانِهَا، وَزَعِيمِهَا، عِنْدَ الْأُمُورِ الْحَازِبَةِ
فجعت بشاعر كان ناطقاً عنها في الأمور الحازبة (الشديدة الحاسمة)

٢٠ احتضان الرغيف

رَغِيفٌ سَعِيدٌ عِنْدَهُ عِذْلٌ نَفْسِهِ يُقَلِّبُهُ طَوْرًا، وَطَوْرًا يُلَاعِبُهُ
وَيُخْرِجُهُ مِنْ كُمِّهِ، فَيَشُمُّهُ، وَيُجْلِسُهُ فِي جَنْبِهِ وَيَخَاطِبُهُ
وَإِنْ جَاءَهُ الْمِسْكِينُ يَطْلُبُ فَضْلَهُ، فَقَدْ تَكَلَّثَتْ أُمُّهُ وَأَقَارِبُهُ
إن جاءه فقير يطلب فضله (حسنة زائدة عن حاجته)، فهو يشتمه بشكلك أمك

يَكُرُّ عَلَيْهِ السَّوْطُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَتُكْسَرُ رِجْلَاهُ، وَيُنْتَفُ شَارِبُهُ

٢١ الكلب الأفعى

لَمَّا تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ
كَظَلَعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ جِلْبَابِهِ
الأشمت: الذي اختلط سواد شعره بياض

وَأَنْعَدَلَ اللَّيْلُ إِلَى مَآبِهِ
تراجع الليل إلى مكان عودته

كَالْحَبَشِيِّ افْتَرَّ عَنْ أَنْيَابِهِ
هَجْنَا بِكَلْبٍ طَالَمَا هَجَّنَا بِهِ
هَجْنَا بِكَلْبٍ: حركناه من موضعه

يَنْتَسِفُ الْمَقُودَ مِنْ كَلَابِهِ
يتسف (يتنزع) المقود (الزمام/الحبل) من كلابه (قِيَمَهُ)
كَأَنَّ مَتْنِيَهُ لَدَى انْسِلَابِهِ
كَأَنَّ مَتْنِيَهُ (جَانِبِي ظَهْرِهِ) عِنْدَ انْسِلَابِهِ (إِسْرَاعِهِ)

مَتْنًا شُجَاعٌ لَجَّ فِي أَنْيَابِهِ
كَأَنَّهُمَا مَتْنًا (جَانِبَا ظَهْرِهِ) شُجَاعٌ (ثَعْبَانٌ) لَجَّ فِي أَنْيَابِهِ (أَسْرَفَ فِي الزَّحْفِ)

تَرَاهُ فِي الْحُضْرِ، إِذَا هَاهَا بِهِ
تَرَاهُ فِي الْحُضْرِ (الرَّكُضِ) إِذَا هَاهَا (صَاحٍ) صَاحِبُهُ بِهِ
يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ
إِهَابُهُ: جِلْدُهُ

٢٢ هجاء جعفر البرمكي

لَقَدْ غَرَّنِي مِنْ جَعْفَرٍ حُسْنُ بَابِهِ وَلَمْ أَذِرْ أَنْ اللَّؤْمَ حَشَوُ إِهَابِهِ
حَسَنُ بَابِهِ: سَهُولَةُ الدُّخُولِ عَلَيْهِ، حَشَوُ إِهَابِهِ: مَلَأَ جِلْدَهُ
فَلَسْتُ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِ جَعْفَرٍ، بِأَوَّلِ إِنْسَانٍ خَرِيٍّ فِي ثِيَابِهِ

٢٣ بل نحن خير من قریش

وَقِيلَ حَبْسَهُ الرَّشِيدُ عَلَى هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، الَّتِي سَتَلِي، حَبْسًا طَوِيلًا:

لَسْتُ لِدَارٍ عَفْتُ وَعَغِيرَهَا ضَرَبَانٍ مِنْ قَطَرِهَا وَحَاصِبِهَا
لَسْتُ مِمَّنْ يَبْكِي عَلَى طُلُوعِ دَارِ عَفْتُ (خَرَبْتُ) وَتَغْيِيرِ مَعَالِمِهَا بِضَرْبَيْنِ (نَوْعَيْنِ) هُمَا الْقَطَرُ
(الْمَطَرُ) وَالْحَاصِبُ (الرَّيْحُ ذَاتُ التَّرَابِ وَالْحَصَى)

بَلْ نَحْنُ أَرْبَابُ نَاعِطٍ، وَلَنَا صَنْعَاءُ، وَالْمِسْكُ فِي مَحَارِبِهَا
نَحْنُ أَرْبَابُ (أَصْحَابُ) نَاعِطٍ (حَصْنٌ بِالْيَمَنِ) وَلَنَا صَنْعَاءُ الَّتِي يَكْثُرُ الْمِسْكُ فِي مُحَارِبِهَا (مَنَازِلِهَا)
دَلَالَةٌ عَلَى الثَّرْوَةِ

أَحِبِّ قُرَيْشًا لِحُبِّ أَحْمَدِهَا ، وَاعْرِفْ لَهَا الْجَزَلَ مِنْ مَوَاهِبِهَا
أَحِبِّ قُرَيْشًا (فلتحب يا هذا قريشاً) لحبك لأحمدها (الرسول)، واعرف لها الجزل من مواهبها
(عطاياها الكثيرة)

إِنْ فَاحَرْتَنَا فَلَا افْتِحَارَ لَهَا إِلَّا التُّجَارَاتُ مِنْ مَكَاسِبِهَا
وإنَّهَا إِنْ ذَكَرْتَ مَكْرُمَةً جَاءَتْ تِجَارٌ لَهَا بِغَالِبِهَا
مكارم قريش سببها في الغالب التجار (التُّجَار)

فَاهُجْ نِزَارًا وَأَفْرِ جِلْدَتَهَا ، وَهَتِّكِ السُّتَرَ عَنْ مَثَالِبِهَا
نزار: جد عرب الشمال، أفر جلدها: قطع، مثالها: مساونها

٢٤ مبهوت برؤية الحبيب

رَبْعُ الْبَلَى أَخْرَسُ، عَمِيْتُ ، مُسْتَلَبُ الْمَنْطِقِ، سَكَيْتُ
ربع البلى (منزل الخراب/الطلل) أخرس أعمى

أَعَارَهُ حَيْرَتُهُ عَاشِقٌ ، رَأَى حَبِيبًا، فَهُوَ مَبْهُوتٌ

٢٥ من الجنس الثالث

يَا لَاعِبًا بِحَيَاتِي وَهَاجِرًا مَا يُؤَاتِي
يؤاتي: يطاوع

وَالْقُدُّ قَدْ غُلَامٌ ، وَالْغُنْجُ غُنْجُ فَتَاةٍ
مُذَكَّرٌ حِينَ يَبْدُو مُؤَنَّثٌ الْخَلَوَاتِ

٢٦ منتهى التمرد

قَالُوا ظَفِرَتْ يَمَنُ تَهْوَى ، فَقُلْتُ لَهُمْ : الْآنَ أَكْثَرُ مَا كَانَتْ صَبَابَاتِي
وَدَاهِرِي سَمَا فِي فَرْعٍ مَكْرُمَةٍ مِنْ مَعْشَرٍ خُلِقُوا فِي الْجُودِ غَايَاتِ
وداهري (شاب من فرع داهر بكناة) سما في فرع مكرومة (نشأ في سلالة كريمة)

فَقُلْتُ وَاللَّيْلُ يَجْلُوهُ الصَّبَاحُ كَمَا يَجْلُو التَّبَسُّمُ عَنْ غُرِّ الْغُنِّيَّاتِ :
غر الغنيات: الأسنان البيض

يَا أَحْمَدَ الْمُرْتَجَى فِي كُلِّ نَائِبَةٍ قُمْ، سَيِّدِي، نَعْصِ جَبَّارَ السَّمَاوَاتِ

يا أحمد الذي أرجو عونك في كل مصيبة، قم نشرب الخمر ما أكثر ما يقتبسون البيت، ثم يشتمونه رفعاً للإثم عن ظهورهم، أو خوفاً من التكفير، فهم كمن يأكل الرشا ثم ينفذ ثوبه ويقول: تلك هدية. وتحليلنا النفسي لمن قال البيت ولمن نقله هو أن البيت صادم صارخ بالتمرد. وأي تمرد! ليس على الدين ولا على التقاليد بل على رب السماوات. والمرء يهفو للتمرد، ولذا الوصول إلى أقصى غاياته، وحبذا لو كان الواصل إلى هذه الغايات شخصاً آخر حتى لا نحمل الإثم نحن. وقيل إن الرشيد أراد أن يعاقب أبا نواس على هذا البيت، فقال أبو نواس: لم أكفر، ففي البيت إقرار بجبار السماوات

٢٧ لا فرج الله عني

لَا فَرَجَ اللَّهُ عَنِّي إِنْ رَفَعْتُ يَدِي إِلَيْهِ أَسْأَلُهُ مِنْ حُبِّكَ الْفَرَجَا وَلَا طَعَمْتُ بِكَ السُّلْوَانَ، يَا أَمَلِي، وَحَلَّ حُبُّكَ فِي قَلْبِي، وَمَا خَرَجَا لَا أَطْعَمَنِي اللَّهُ السُّلْوَانَ (النسيان) وَلِيَحْلَ حُبُّكَ فِي قَلْبِي مَقِيماً فِيهِ لَا يَخْرُجُ

٢٨ يقتاتون المزاح والفكاهة

وَحَدِيدٍ لَذَاتٍ، مُعَلِّلٍ صَاحِبٍ، يَقْتَاتُ مِنْهُ فُكَاهَةً وَمُزَاحَا رُبَّ خَدِينٍ لَذَاتٍ (ملازم للملذات)، مُعَلِّلٍ صَاحِبٍ (ساقٍ لصاحبه) يَتَسَلَّى بِفُكَاهَاتِهِ نَبْهَتُهُ، وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسٌ بِهِ، وَأَزْحَتْ عَنْهُ حَثَائِهِ فَانْزَاحَا أَيْقَظْتَهُ وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسٌ بِهِ (مشوش لتفكيره ونظيره) وَأَزْحَتْ عَنْهُ حَثَائِهِ (غفوته) قَالَ ابْنُ غَنِيٍّ الْمِصْبَاحَ، قُلْتُ لَهُ أَتَيْدُ! حَسْبِي وَحَسْبُكَ ضَوْؤُهَا وَمِصْبَاحَا اتُّد: تَرَوْ

شَكَّ الْبِرَّالُ فُؤَادَهَا، فَكَأَنَّمَا أَهْدَتْ إِلَيْكَ بِرِيحِهَا تُفَاحَا الْبِرَّالُ: مَثَبُ الدَّنِّ، رِيحُهَا: رَائِحَتُهَا

٢٩ هدية من فرح

وَمُدَامَةً سَجَدَ الْمَلُوكُ لَهَا، بَاكَرْتُهَا، وَالذِّبْكَ قَدْ صَدَحَا صِرْفٍ، إِذَا اسْتَبْطَنَتْ سَوْرَتَهَا، أَهْدَتْ إِلَى مَعْقُولِكَ الْفَرَحَا صِرْف: خَالِصَةٌ، سَكْ بَلَا مَزَجٍ، اسْتَبْطَنَتْ سَوْرَتَهَا: جَعَلَتْ هِيَاجَهَا فِي بَطْنِكَ، مَعْقُولُكَ: عَقْلُكَ

٣٠ ضمانة ضد الزمان

قال أبو نواس يمدح الفضل بن الربيع:

وَكَلَّتْ بِالذَّهْرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ، من جُودِ كَفْكَ تَأْسُو كُلَّمَا جَرَحَا

كلفت عينك الساهرة بمتابعة مصائب الدهر، ورحت تأسو (تعالج)
بجودك ما يخلفه الدهر من جراح

أنت الذي تَأْخُذُ الْأَيْدِي بِحُجْزَتِهِ، إذا الزَّمَانُ عَلَى أَوْلَادِهِ كَلَحَا

بحجزته: بحزامه، كلع: عبس

٣١ نسوة الزمن الثاني

أَيَّةَ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ وَأَيَّ جِدٍّ بَلَغَ الْمَارِحُ

ما هذه النار التي أشعلها مشعلها في رأسي شيئاً، وما هذا الجد الذي بلغنا إليه مع الكهولة بعد
كل ذلك المزاح في الشباب

لَلَّهِ دَرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاعِظٍ، وَنَاصِحٍ، لَوْ سَمِعَ النَّاصِحُ

يَأْبَى الْفَتَى إِلَّا اتَّبَعَ الْهَوَى، وَمَنْهَجُ الْحَقِّ لَهُ وَاضِحُ

فَأَسْمُ بَعِيْنِيْكَ إِلَى نِسْوَةٍ، مُهُوْرُهُنَّ الْعَمَلُ الصَّالِحُ

اسم: تطلّع

لَا يَجْتَلِي الْحَوَراءُ مِنْ خِذْرِهَا إِلَّا انْزُرُوا مِيزَانَهُ رَاجِحُ

مَنْ اتَّقَى اللَّهَ، فَذَاكَ الَّذِي سَيَقُ إِلَيْهِ الْمُتَجَرُّ الرَّابِحُ

شَمَّرُ، فَمَا فِي الدِّينِ أَعْلُوْطَةٌ، وَرُخْ لِمَا أَنْتَ لَهُ رَائِحُ

٣٢ من حديث القدح والإبريق

يَا إِخْوَتِي ذَا الصَّبَاحِ، فَاصْطَبِحُوا، فَقَدْ تَفَنَّتْ أَطْيَارُهُ الْفُصْحُ

هُبُّوا خُدُّوْهَا، فَقَدْ شَكَّانَا إِلَى الـ إِبْرِيقِ، مِنْ طَوْلِ نَوْمِنَا، الْقَدْحُ

صِرْفًا، إِذَا شَجَّهَا الْمِرَاجُ بِأَيْدِ لَدِي شَارِبِيْهَا تَوَلَّدَ الْفَرَحُ

تكون الخمر صرفاً (غير ممزوجة) فإذا شجها المزج (جرح رأسها) فرحت نفوس الشاربين . نعم
فمزج الخمر بالماء يلون الكأس كما يتلون رأس شججته بحجر

حَتَّى تُرِيكَ الْحَلِيمَ ذَا طَرَبٍ، يَهْزُهُ فِي مَكَانِهِ الْمَرْحُ

٣٣ خمرة تذكر نوحاً

قال يمدح العباس بن عبيد الله الهاشمي:

غَرَّدَ الذِّبْيُكَ الصَّادُوحُ، فَاسْقِنِي! طَابَ الصَّبُوحُ
 وَاشْقِنِي حَتَّى تَرَانِي حَسَناً عِنْدِي الْقَبِيحُ
 فَهَوَّةٌ تَذْكُرُ نُوحاً حِينَ شَادَ الْفُلُكَ نُوحُ
 أَنَا فِي دُنْيَا مِنَ الْعَبِّ - لَاسِي أَغْـ____دُو وَأَرْوَحُ
 بُحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو، وَيَصِيحُ:
 «مَا لِهَذَا آخِذٌ فَوْقَ يَدَيْهِ، أَوْ نَصِيحُ!»
 آخذ فوق يديه: مانع إياه

٣٤ روحان في بدن

مَا زِلْتُ أَسْتَلُّ رُوحَ الدَّنِّ فِي لُطْفٍ وَأَسْتَقِي دَمَهُ مِنْ جَوَافِ مَجْرُوحٍ
 ظللت أسحب روح الدن (وعاء الخمر الكبير الذي يتقب وتؤخذ منه الخمر) وأشرب دمه من جو
 وهو مجروح

حَتَّى انْتَنَيْتُ وَلِي رُوحَانٍ فِي بَدَنِ وَالِدَّنْ مُنْطَرِحَ جَسَماً بِلا رُوحٍ
 حتى انتنيت (أصبحت) وعندي روحان، ولم يعد في الدن خمر، فالخمر روحه

٣٥ سهر البارحة

تَفْعِيرُ عَيْنِيكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّكَ تَشْكُو سَهَرَ الْبَارِحَةِ
 عَلَيْكَ وَجْهُ سَيِّءٍ حَالُهُ، مِنْ لَبْلَةٍ بِتَ بِهَا صَالِحَةُ
 وَنَفْحَةُ الْخَمْرِ وَأَنْفَاسُهَا، وَالْخَمْرُ لَا تَخْفَى لَهَا رَائِحَةُ

٣٦ موجات من الحسن

وَذَاتِ خَزْدٍ مُـوَرَّدٍ فَتَّانَةِ الْمُتَجَرَّدِ
 المتجرد: المعرى

تَأْمَلُ الْعَيْنُ مِنْهَا مُحَاسِناً لَيْسَ تَنْقُذُ
 تأمل: تأمل

الْحَسَنُ فِي كُلِّ جِزْءٍ مِنْهَا مُعَادٌ مُرَدَّدٌ

فَبَعْضُهُ يَتَنَاهَى، وَبَعْضُهُ يَتَوَلَّى

٣٧ درع دون المصائب

قال يمدح عبيد الخادم مولى أم جعفر:

يا ابنة القوم لا تُراعي بِرَّيِّبٍ، واسلَمِي رَحْصَةَ الْأَنَامِلِ رَوْدًا
رخصة الأنامل: لينة الأصابع، رَوْد: لينة

لا تَخَافِي عَلَيَّ صَرْفَ اللَّيَالِي، إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ عُبَيْدًا

٣٨ عطشوا من عهد عاد

سُمْتُهَا عِنْدَ يَهُودِيٍّ - خَصِيبِ الْمُسْتَرَادِ

ساومت في الخمرة في حانوت يهودي كثير عنده المستراد (ما يريده الناس بشدة)

فَشَرِبْنَا شَرْبَ قَوْمٍ عَطِشُوا مِنْ عَهْدِ عَادٍ

٣٩ النار المتأخر*

يهجو هاشم بن حديج الذي كان جده قتل محمد بن أبي بكر الصديق:

يا هاشِمَ بْنَ حُدَيْجٍ لَيْسَ فخرُكُمْ بِقَتْلِ صِهْرٍ رَسُولِ اللَّهِ بِالسَّدِيدِ

إِنْ تَقْتُلُوا ابْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَدْ قَتَلْتُمْ حُجْرًا بِدَارَةِ مَلْحُوبٍ بَنُو أَسَدٍ

بنو أسد قتلوا في الجاهلية حجراً أبا امرئ القيس الشاعر وسيد قبيلة كندة

وَطَرَدُوكُمْ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَجْلِ، طَرَدَ النَّعَامُ إِذَا مَا تَأَهَّ فِي الْبَلَدِ

وَكُلُّ كَنْدِيَّةٍ قَالَتْ لَجَارَتِهَا، وَالدَّمْعُ يَنْهَلُ مِنْ مَثْنَى وَمِنْ وَحْدٍ

من مثنى ومن وحد: يسيل الدمع من جهتي العينين أو من جهة واحدة فقط من كل عين

أَلْهَى أَمْرًا الْقَيْسَ تَشْبِيبَ بَغَانِيَةٍ عَنْ ثَارِهِ، وَصِفَاتُ الثُّؤْيِ وَالْوَدِّ

*العنوان للمحقق سليم فهرجي

٤٠ التصليب بالرغبة

سَقْفِيًّا لِغَيْرِ الْعُلِيَاءِ وَالسَّنْدِ وَغَيْرِ أَطْلَالِ مَيِّ بِالْجَرَدِ

يستذكر بيت النابغة «يا دار مية بالعلياء فالسند»، ويطلب السبقيا، رحمة السماء، لأي مكان سوى هذين المكانين، وسوى أطلال مي بالجرد (الأرض الخلاء)

ويا صَبِيبَ السَّحَابِ إِنْ كُنْتَ قَدْ جُدْتَ اللَّوَى، مَرَّةً، فَلَا تَعُدِ

صبيب السحاب: المطر

أَحْسَنُ عِنْدِي مَنْ انْكِبَابِكَ بِالْـ فِهْرٍ مُلِحًّا بِهِ عَلَى وَتَدِ

الفهر: الحجر

وَقُوفُ رِيحَانَةٍ عَلَى أُذُنٍ، وَسَيْرُ كَأْسٍ إِلَى فَمٍ بِبَيْدِ
يَسْقِيكَهَا مِنْ بَنِي الْعِبَادِ رَشَاءً مُنْتَسِبٌ عَيْدُهُ إِلَى الْأَحَدِ

بنو العباد: مسيحيون كانوا بالحيرة، رشا: ظبي

إِذَا بَنَى الْمَاءُ فَوْقَهَا حَبَبًا، صَلَّبَ فَوْقَ الْجَبِينِ بِالزَّبْدِ

الجب: الفقاع

أَشْرَبُ مِنْ كَفِّهِ شَمُولًا، وَمِنْ فِيهِ رُضَابًا يَجْرِي عَلَى بَرَدِ

الشمول: الخمر، الرضاب: الريق

٤١ لي نشوتان

لَا تَبِكْ لَيْلَى، وَلَا تَطْرُبْ إِلَى هِنْدِ وَأَشْرَبْ عَلَى الْوَرْدِ مِنْ حَمَاءِ كَالْوَرْدِ

اشرب على الورد: كانوا حريصين في مجلس الشراب على وجود الرياحين

كَأْسًا إِذَا انْحَدَرَتْ فِي خَلْقِي شَارِبَهَا، أَجْدَنَّهُ حُمَرَتُهَا فِي الْعَيْنِ وَالْخَدِّ

أجدته: أعطته. فيحمر من الخمر خدا وعينا شاربها (لمن لم يجرب)

فَالْخَمْرُ يَاقُوتَةٌ، وَالْكَأْسُ لَوْلُؤَةٌ مِنْ كَفِّ جَارِيَةٍ مَمْشُوقَةِ الْقَدِّ

نَسْقِيكَ مِنْ طَرَفِهَا خَمْرًا، وَمِنْ يَدِهَا خَمْرًا، فَمَا لَكَ مِنْ سُكْرَيْنِ مِنْ بُدِّ

لِي نَشُوتَانِ، وَلِلنَّدَمَانِ وَاحِدَةٌ، شَيْءٌ خُصِصْتُ بِهِ، مِنْ دُونِهِمْ، وَحَدِي

٤٢ لن تجد مثله

قُولَا لِهَارُونَ إِمَامِ الْهُدَى، عِنْدَ احْتِفَالِ الْمَجْلِسِ الْحَاشِدِ

نَصِيحَةُ الْفَضْلِ وَإِشْفَاقُهُ أَخْلَى لَهُ وَجْهَكَ مِنْ حَاسِدِ

الفضل بن يحيى البرمكي لا حاسد له عندك لأنه صادق النصيحة ومنشفق (حريص)

بِصَادِقِ الطَّاعَةِ، دِيَانِهَا، وَوَاحِدِ الْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ

طاعته لك صادقة، وهو ديان (منصف عادل)، وما يقوله في وجهك مثل ما يقوله في غيبتك

أَنْتَ، عَلَى مَا بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ، فَلَسْتَ، مِثْلَ الْفَضْلِ بِالْوَاحِدِ
أَوْحَدَهُ اللَّهُ، فَمَا مِثْلُهُ لِمَطَالِبِ ذَاكَ، وَلَا نَاشِدِ
لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

تعليق الشاعر عمران القفيني: «ظل الشعراء يلوكون هذا المعنى.. آخرهم نزار قباني على ما أظن». وأظنه يقصد ما قاله نزار في رثاء جمال عبد الناصر، ١٩٧٠، قال: (قتلناك يا آخر الأنبياء/ قتلناك ليس جديداً علينا اغتيال الصحابة والأولياء/ فكم من رسول قتلنا، وكم من إمام ذبحناه وهو يصلي صلاة العشاء/ فتاريخنا كله محنة/ وأيامنا كلها كربلاء)، والقصيدة طويلة ولك أن تتمتع بقوافيها الجميلة وبعبودية نزار قباني، ولك أن تسمع رأياً في جمال عبد الناصر. أولاً رأي في نزار قباني: هذا شاعر كانت العربية بين يديه صلصالاً يصنع به أي شيء أراد، سبحانه من خلقه. ورأيي في عبد الناصر رأي رجل حضر أيامه فتى، وتعقب حسناته وسيئاته كهلاً. قد أحبه الوطن العربي كله، لأنه رأى فيه القوة والإخلاص. وأحبه المصريون لأنه بنى المصانع وفتح المدارس. شهدت حواراً بين صديق مصري ووالدته المتعلمة. كان يرمي عبد الناصر بأقبح النعوت وهي تترحم عليه، فلولا عبد الناصر لما كانت تعلمت. وكره عبد الناصر خصومه السياسيون الذين آذاهم، وكرهه عباس العقاد لأنه كان مستبداً، وقف العقاد عند كلمة عبد الناصر «لقد منحتكم الكرامة» وتقرز منها. صنع عبد الناصر دولة بوليسية، صنعها هو وشعبه، وصنعها وشعوب العرب تصفق. من يشتمون الرجل ومن يمدحونه سواء في قله بضاعتهم من الفطنة السياسية

٤٣ خمارة البلد

عَاجَ الشَّقِيَّ عَلَى رَسْمِ يُسَائِلُهُ، وَعُجْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَمَّارَةِ الْبَلَدِ
عَاجَ (مَالِ) الشَّقِيَّ عَلَى رَسْمِ (طُلُلِ مَنَازِلِ الْحَبِيبَةِ) يَكَلِّمُهُ، وَمِلْتُ أَنَا أَسْأَلُ: أَيْنَ خَمَّارَةُ الْبَلَدِ؟

يَبْكِي عَلَى طُلُلِ الْمَاضِينَ مِنْ أَسَدٍ، لَا دَرَ دُرُّكَ، قُلْ لِي مَنْ بَنُو أَسَدٍ؟
لَا دَرَ دُرُّكَ: عبارة تقريع، وهي عكس العبارة المألوفة «لله درك»

وَمَنْ تَمِيمٌ؟ وَمَنْ قَيْسٌ وَلِفْهُمَا؟ لَيْسَ الْأَعَارِبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ
لفهما: جماعتهما

لَا جَفَّ دَمْعُ الَّذِي يَبْكِي عَلَى حَجَرٍ وَلَا صَفَا قَلْبُ مَنْ يَصْبُو إِلَى وَتَدٍ
كَمْ بَيْنَ نَاعَتِ خَمْرٍ فِي دَسَاكِرِهَا وَبَيْنَ بَاكِ عَلَى نُؤْيٍ وَمُنْتَضِدٍ
دساكرها: قراها (وكانت الخمارات في قرى محاذية للمدن)، النؤي: قناة حول الخيمة يحفرونها كي تمنع ماء المطر من الدخول للخيمة، منتضد: ساكن من السكان

دَعُ ذَا عَدِمْتُكَ، وَاشْرَبْهَا مَعْتَقَةً صفراءُ تَفْرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ

تعليق عمران القفيني: كلمة صفراء قبيحة جداً. يقول المؤلف: فعلاً، أليست تذكر الإنسان السوي بالبول؟ على أن كارعي الويسكي قد يرون رأياً آخر، وهذا مشروب سكوتلندي قوي يجعل الحصان يمشي على اثنتين، والرجل على أربع

مَنْ كَفَّ مُحْتَصِرِ الزَّنَارِ مُعْتَدِلٍ كغصنٍ بَانٍ تَشْتَنِي غَيْرَ ذِي أَوْدٍ
مختصر الزنار: واضح الحزام على خصره، وكان غير المسلمين ملزمين بالحزام تمييزاً لهم، غير
ذِي أود: غير معوج القوام

لَمَّا رَأَيْتُ أَبُوهُ قَدْ قَعَدْتُ لَهُ حَيًّا، وَأَيَقَنَ أَنِّي مُثْلِفٌ صَفْدِي
صفدي: عطائي (ما نلته من مال كراتب أو كهبة)

فَجَاءَنِي بِسُلَافٍ لَا يَحِفُّ لَهَا وَلَا يُمَلِّكُهَا إِلَّا يَدًا بَيَدٍ
سلاف: أجود الخمر، وهو ما يسيل أولاً عند عصرها،
لا يحف لها: لا يملأها حتى الحافة ضناً بها

وَاسْتَوَفَتِ الْخَمْرُ أَحْوَالاً مُجَرَّمَةً وَافْتَرَّ عَيْشُكَ عَنْ لَذَائِكَ الْجُدِّ
أحوالاً مجرمة: أعواماً كاملة، افتر: تبسم

فَاشْرَبَ وَجُدَّ بِالَّذِي تَحْوِي يَدَاكَ لَهَا لَا تَذْخِرِ، الْيَوْمَ، شَيْئاً خَوْفَ فَقْرٍ عَدِ
يَا عَاذِلِي، قَدْ أَتْنِي مِنْكَ بَادِرَةٌ فَإِنْ تَعَمَّدَهَا عَفْوِي فَلَا تُعَدِ
أتني منك بادرة: بدر منك قول

لَوْ كَانَ لَوْمُكَ نُضْحًا كُنْتُ أَقْبَلُهُ لَكِنَّ لَوْمَكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْجَسَدِ

٤٤ نفعل في المسجد

وَعَاثِقَيْنِ التَّفَّ خَدَاهُمَا عِنْدَ النَّثَامِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ
النثام: تقبيل

فَاسْتَفَيَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِمَا، كَأَنَّمَا كَانَا عَلَى مَوْعِدِ
لَوْلَا دِفَاعُ النَّاسِ إِيَّاهُمَا، لَمَا اسْتَفَاقَا، آخِرَ الْمُسْنَدِ
المسند: الدهر

ظَلَمْنَا كِلَانَا سَاتِرَ وَجْهِهِ، مِمَّا يَلِي جَانِبَهُ، بِالْيَدِ
نفعل في المسجد ما لم يكن يفعلهُ الأبرارُ في المسجدِ

٤٥ في عيد الأضحى

يا فَرَحَةً جَاءَتْ مَعَ الْعِيدِ وفى الذى أَهْوَى بِمَوْعُودِي
جاءَ مِنَ الْأَغْيُنِ مُسْتَخْفِيًا، مِنْ بَعْدِ إِخْلَافٍ وَتَنْكِيدِ
حتى إذا الرَّاحُ جَرَتْ بَيْنَنَا، أَمِنْتُ مِنْ خُلْفٍ وَتَرْدِيدِ
ظِلٌّ وَلِيَّ الْعَهْدِ فِي حُطْبَةٍ، وَظِلْتُ بَيْنَ الرَّاحِ وَالْعُودِ
صَارَ مُصَلًّا رِياحِينَنَا، وَنَحْرُنَا بِنْتَ الْعِنَاقِيدِ
كان صلاتنا أصبح الرياحين المثورة في مجلس الشراب، وبدل أن نحر شاة في عيد الأضحى
نحرنَا بنت العناقيد (الخمرة). كانوا يثقبون الدن الكبير فتدق منه الخمر حمراء

وصارَ رِدْفُ الطَّنْبِي لِي مَنَبْرًا أَحْسَنَ مِنْ عُوْدٍ عَلَى عُوْدٍ
لِلنَّاسِ عِيدٌ عَمَّهُمْ وَاحِدٌ، وصارَ لِي عِيدَانِ فِي عِيدِ

٤٦ لا عدمت تقويم مثلي

كتب في حبسه إلى الفضل بن الربيع، فسعى في إطلاقه:

أَنْتَ يَا ابْنَ الرَّبِيعِ أَلْزَمْتَنِي النُّسْدَ لَكَ، وَعَوَّدْتَنِيهِ، وَالْخَيْرُ عَادَةٌ
فَارْعَوَى بَاطِلِي، وَأَقْصَرَ جَهْلِي، وَتَبَدَّلْتُ عِقَّةً وَزَهَادَةً
ارعوى: تراجع، أقصر جهلي: عدت إلى الصواب

لَوْ تَرَانِي ذَكَرْتَ بِي الْحَسَنَ الْبَضَّ رِيًّا فِي حُسْنِ سَمْتِهِ، أَوْ قَتَادَةَ
قتادة: بصري، من الحفاظ المعدودين

مِنْ خُشُوعٍ أَزِينُهُ بِتُحُولٍ، وَاضْفِرَارٍ مِثْلِي أَصْفِرَارِ الْجَرَادَةِ
الْمَسَابِيحُ فِي ذِرَاعِيٍّ، وَالْمُضَّ حَفْتُ فِي لَبَّتِي، مَكَانَ الْقِلَادَةِ
لبتي: أعلى صدري

وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَرَى طُرْفَةَ تَعَفٍ حَبَّبَ مِنْهَا، مَلِيحَةً، مُسْتَفَادَةً
فَادْعُ بِي، لَا عَدِمْتَ تَقْوِيمَ مِثْلِي، وَتَمَقَّطُنْ لِمَوْضِعِ السَّجَّادَةِ
السجادة: بقعة في الجبين من أثر السجود

تَرَ سِيمَا مِنَ الصَّلَاةِ بِوَجْهِي، تَوَقَّنُ النَّفْسُ أَنَّهَا مِنْ عِبَادَةٍ
لَوْ رَأَاهَا بَعْضُ الْمُرَائِينَ يَوْمًا، لَاشْتَرَاهَا يُعِدُّهَا لِلشَّهَادَةِ
للشهادة: لتقبل شهادته أمام القاضي

ولقد طَالَ مَا شَقِيتُ، ولكنْ أَذْرَكْتُني عَلَى يَدَيْكَ السَّعَادَةَ

٤٧ شياطين الراح

وَإِذَا رَامَ نَدِيمٌ عَرَبِيَّةً فَأَقْرَعَنُ بِالصُّرْفِ مِنْهَا كَيْدَهُ
اسقه الخمر صرفاً غير ممزوجة لكي ينخمد ولا يعربد

كَرَّرَ الْخَمْرَ عَلَيْهِ بَحْتَةً كَيْ تَقِيمَ الْخَمْرُ مِنْهُ أَوْدَهُ
أوده: اعوجاجه

ثُمَّ وَسَّدَهُ، إِذَا مَا غَلَبَتْ سَوْرَةُ الرَّاحِ عَلَيْهِ، عَضُدَهُ
إذا غلبت شدة الخمر هذا العرید فوسده عضده (اجعل من ذراعه وسادة له واتركه ينم)

خَلَّتَا سُوءَ تَشِينَانِ الْفَتَى حَيْثُمَا حَلَّ: الْخَنَا وَالْعَرَبِيَّةُ
الخنا: الفحش

٤٨ قفوا نشتم

يهجو هاشم بن حديج:

قِفُوا مَعْشَرَ الرَّاحِلِينَ اسْمَعُوا، أَنْبَأْتُكُمْ عَنْ فَتَى كِنْدَةَ
أيها المسافرون، بدل أن أستوقفكم للبقاء على الأطلال قفوا اسمعوا خبر هاشم هذا المنتسب
لقبيلة كندة

وَرَدَّنَا عَلَى هَاشِمٍ مِضْرَةً، فَبَارَتْ تِجَارَتُنَا عِنْدَهُ
رَأَيْتُكَ عِنْدَ حُضُورِ الْخَوَانِ، شَدِيداً عَلَى الْعَبْدِ وَالْعَبْدَةِ
لِذَا وَكْرَةً مِنْكَ مَعْلُومَةً، وَذَا نَقْفَةً، وَلِذَا قَفْدَةً
وكرة: دفعة، نقفة: ضربة بالإصبع، قفدة: صفة

وَتَحْتَدُّ حَتَّى يَخَافَ الْجَلِيسُ شَذَاكَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِدَّةِ
شذاك: أذاك

وَتَحْتِمُ ذَاكَ بِفَخْرِ عَلَيْهِ، بِكِنْدَةٍ، فَاسْلُخْ عَلَى كِنْدَةٍ
اسلخ: تغوَّظ

فَإِنَّ حُدَيْجاً لَهُ هَجْرَةٌ، وَلَكِنَّهَا، زَمَنَ الرَّدَّةِ
جدكم، أي نعم، من المهاجرين. لكن ليس مع الرسول بل زمن الردة

وَمَا كَانَ إِيمَانُكُمْ بِالرُّسُولِ سِوَى قَتْلِكُمْ صِهْرَهُ بَعْدَهُ
وَأَجْدَادَ الْمَهْجُو قَتَلُوا مُحَمَّدًا بْنَ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ

٤٩ سليل السادة

قال يمدح إبراهيم بن عبيد الله الحنظلي:

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ، قَبْلَهُ، ثُمَّ، قَبْلَ ذَلِكَ، جَدُّهُ
وَأَبُو جَدِّهِ، فَسَادَ إِلَى أَنْ تَتَلَقَّى نِسَارُهُ وَمَعْدُهُ
نزار ومعد: من أجداد العرب

فَاهْتَبِلْ عِنْدِي الصَّنِيعَةَ وَادْخُرْ نِي لِقَوْلٍ أَجِيدُهُ وَأَجِدُهُ
اهتبل: اغتم، الصنعة: المعروف، أجده: آتي به جديداً

٥٠ ضيوفاً عند الصقر

ذُو غُرَّةٍ، مَنْ يَرَهُ يُفَقِّدُهُ
لهذا الصقر بياض في جبينه، فمن رآه قال: أفديه
يَرْنُو إِذَا الصَّيْدُ ارْتَأَى مِنْ بُعْدِهِ
ارتأى: بان

بِمُقْلَةٍ تَلْحَقُ قَبْلَ شَدَّةٍ
تسبق عينه شدة: يرى طريقه الذي سيخلق فيه

فَصَادَنَّا، قَبْلَ انْتِصَافِ جَهْدِهِ
صاد لنا طيوراً قبل أن يبلغ نصف ما عنده من طاقة

خَمْسِينَ أَحْصَيْنَاهَا يَدَا مُعْتَدَةٍ
صاد خمسين طيراً أحصتها يدا معتده (الذي يعد فرائسه)

فَنَحْنُ فِي نَائِلِهِ وَرِفْدِهِ
نحن ضيوف عند هذا الصقر تتمتع بنائله (عطاياه) وورفده (عطاياه)

أَبُو عِيَالٍ قَاتَهُمْ بِكَدِّهِ
فَكُلُّ خَيْرٍ عِنْدَهُمْ مِنْ عِنْدِي

يَا لَكَ مِنْ بَازٍ نَسِيجٍ وَخِدِي

٥١ حالة حصار

طَبَابَ الْهَوَى لِعَمِيْدِهِ لَوْلَا اعْتِرَاضُ صُدُوْدِهِ
العَمِيْدُ: الَّذِي مَلَأَ الْعَشْقَ عَقْلَهُ

وَقَادَنِي نَحْوَ رِيْمٍ مُهْفَهَفِ الْكَشْحِ، رُوْدِهِ
مَهْفَهْفُ الْكَشْحِ: ضَامِرُ الْخَصْرِ، رُوْدِهِ: لَيْتَهُ (لِلْمَرْأَةِ حَرَكَةُ لَيْسَتْ لِلرَّجُلِ، تَحْرُكُ جَذْعُهَا يَمِينًا وَعَجِزَتُهَا يَسَارًا، وَيَكُونُ «مَحْوَرُ الْحَرَكَةِ» الْخَصْرُ، فَمَنْ امْتَلَكَتِ الْخَصْرَ النَحْبِلَ كَانَتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ عِنْدَهَا وَاضِحَةً وَخَلِبَتْ بِهَا عُقُولُ الرِّجَالِ)

بَدَا يُدِلُّ عَلَيْنَا، بِمُقْلَتَيْهِ وَجِيْدِهِ
فَاصْطَادَنِي لِحِمَامِي تَخْطَارُهُ فِي بُرُوْدِهِ
لِحِمَامِي: لِمَوْتِي، تَخْطَارُهُ: تَبْخُتُهُ، بُرُوْدِهِ: ثِيَابُهُ

فَقَمْتُ نُضَبَ عَدُوٍّ قَاسِيِ الْفُؤَادِ، كَنُوْدِهِ
نَضَبُ: أَمَامَ، كَنُوْدُهُ: جَاحِدُهُ

لَا أَسْتَطِيعُ فِرَارًا مِنْ بَرْقِهِ وَرُعُوْدِهِ
حَتَّى إِذَا سَدَّ طُرُقِي بِقَيْثٍ بَيْنَ سُدُوْدِهِ
وَعَسْكَرَ الْحُبِّ حَوْلِي بِخَيْلِهِ وَجَنُوْدِهِ
فَإِنْ عَدَلْتُ يَمِينًا خَشِيْتُ وَقْعَ وَعِيدِهِ
وَأِنْ شِمَالًا، فَمَوْتُ، لَا بَدَلِي مِنْ وَرُوْدِهِ
وَأِنْ رَجَعْتُ وَرَائِي، خَشِيْتُ زَأْرَ أَسُوْدِهِ
وَنُضَبَ عَيْنِي طَوْدٌ، فَكَيْفَ لِي بِصُعُوْدِهِ
طَوْدٌ: جَبَلٌ

وَتَحَتَّ رِجْلِي بِخَرٍّ يَجْرِي الْهَوَى بِمُذُوْدِهِ
مَذُوْدُهُ: مِيَاهُهُ الْمَتَقَدِّمَةُ نَحْوَ الْبَرِّ

وَفَوْقَ رَأْسِي كَمِيٍّ، مُقَنَّعٌ فِي حَدِيدِهِ
كَمِيٌّ: شَخْصٌ مُسَلِحٌ، مُقَنَّعٌ فِي حَدِيدِهِ: يَلْبَسُ الْخُوْذَةَ الْحَدِيدِيَّةَ الَّتِي يَسِيلُ مِنْهَا زَرْدٌ عَلَى جَانِبِي الرَّجُلِ

مُجَرِّدٌ لِي سَيْفًا، وَنِلاهُ مِنْ تَجْرِيدِهِ
فَلَسْتُ أَرْفَعُ طَرْفِي، حِذَارَ مَاضِي حَديدهِ
طرفي: نظري، حذار ماضي حديده: حذراً من سيفه الحاد

وَلِي خُشُوعُ الْمُصَلِّي فِي دَيْسِرِهِ يَوْمَ عِيدِهِ
كَأَنَّنِي مُسْتَهَامٌ ضَلَّ الطَّرِيقَ بِبَيْدِهِ
مستهام: هائم على وجهه لا يدرى طريقه في البيد (الصحارى)

لَوْلَاخَ لِي مِنْهُ نَهْجٌ، رَكِبْتُ نَهْجَ صَعِيدِهِ
نهج: طريق، نهج صعيده: طريقه المرتفع

فَالْوَيْلُ لِي كَيْفَ أَنْجُو مِنْ حُمْرِ مَوْتٍ وَسُودَةٍ!
الموت الأحمر بالسيف، والأسود خنقاً

٥٢ قوم تواسوا بالشر

قَالُوا تَنَسَّكَ بَعْدَ الْحَجِّ، قُلْتُ لَهُمْ: أَرْجُوا إِلَهَ، وَأَخْشَى طَيْرَ نَابَاذَا
طيز ناباذ: موضع عامر بالكروم والمعاصر والخمارات

أَخْشَى قُضِيبَ كَرَمٍ أَنْ يُنَازِعَنِي فَضْلَ الْخُطَامِ، وَإِنْ أَسْرَعْتُ إِغْدَاذَا
أخشى أن ينازعني فضل الخطام (طرف مقود البعير) غصن دالية عنب حتى وإن أسرعْتَ إغذاذاً
(إسراعاً)

فَإِنْ سَلِمْتُ، وَمَا قَلْبِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ السَّلَامَةِ، لَمْ أَسْلَمْ بِبَعْدَاذَا
مَا أَبْعَدَ النَّسْكَ مِنْ قَلْبٍ تَقَسَّمُهُ قُطْرُبُلٌ فَقَرَى بِنَا، فَكَلَّوَادَى
هذه المواضع العامة بالملاهي وبيوت الخمر تنقسم قلبي فيما بينها فلا يبقى فيه مكان للنسك
قومٌ تَوَاصَوْا بِتَرْكِ الْبِرِّ بَيْنَهُمْ، تَقُولُ ذَا شَرُّهُمْ، بَلْ ذَاكَ، بَلْ هَذَا
تواسوا (أوصى أحدهم الآخر) بترك البر (الخير)، وتحار بهم شر من أخيه

٥٣ ينابيع الخمر

وَقَائِلٌ هَلْ تَرِيدُ الْحَجَّ؟ قُلْتُ لَهُ: نَعَمْ، إِذَا فَنَيْتَ لَذَاتُ بَغْدَادِ
أَمَّا وَقُطْرُبُلٌ مِنْهَا بَحِيثٌ أَرَى فَقُبَّةُ الْفِرْكَ مِنْ أَكْنَافِ كَلَّوَادِ
أماكن يكثر فيها بيع الخمر وتعاطيها، وتعاطي ما يصحبها من أمور اللهو

فَالصَّالِحِيَّةُ، فَالكَرْحُ الَّتِي جَمَعْتُ شُدَّادَ بَغْدَادَ، مَا هُمْ لِي بِشُدَّادٍ
الشذاذ هنا من شد عن قيم المجتمع

فَكَيْفَ بِالْحَجِّ لِي مَا دَمْتُ مُنْعِمَسًا فِي بَيْتِ قَوَادَةِ أَوْ بَيْتِ نَبَّازٍ؟
نباذ: صانع نبيذ

وَهَبْكَ مِنْ قَصْفِ بَغْدَادِ تُخَلِّصُنِي، كَيْفَ التَّخَلُّصُ لِي مِنْ طَيْرِ نَابَازٍ؟
القصف: الجلبة في اللهو (يقول اللسان إن الكلمة ربما كانت مولدة)

٥٤ يا كبير الذنب

يَا نُوَاسِيَّ تَوَقَّرْ وَتَجَمَّلْ، وَتَصَبَّرْ
سَاءَكَ الدَّفْعُ بِشَيْءٍ، وَبِمَا سَرَّكَ أَكْثَرُ
يَا كَبِيرَ الذَّنْبِ، عَفُوْا لِي مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرُ
لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ، إِلَّا مَا قَضَى اللَّهُ وَقَدَّرُ

٥٥ التجاسر

لَقَدْ كُنْتُ، وَمَا فِي النَّاسِ مِنْ مِثْلِي لِلْهُوَى أَشَدُّ
كنت وليس أحد يستر الهوى مثلي
فَلَمَّا أَظْهَرُوا أَمْرِي، وَقَدْ مَأْكَانَ لَا يَظْهَرُ
قَدْماً: قبل ذلك

وَأَغْرُوا بِي تَأْنِيْبًا مِنْ الْمُقْبِلِ وَالْمُذْبِرِ
تَجَاسَرْتُ، فَأَقْدَمْتُ عَلَى كَشْفِ الْهُوَى الْمُضْمَرِ

٥٦ النعمة الحبيسة

إِذَا أَنْتَ لَمْ يَدْعُ الْهُوَى فَتَجِيْبُهُ، وَلَمْ تَأْتِهِ طَوْعاً خَرَجْتَ بِلَا وَطَرٍ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَلْبِ نِدَاءَ الْحُبِّ، وَلَمْ تَسْتَجِبْ لَهُ بِمَلَأْ إِرَادَتِكَ كَانَتْ حَيَاتُكَ بِلَا هَدَفٍ (التفسير
للمحقق القهوجي)

وَحَلَفْتُكَ الْإِيْقَاعُ تَطَرَّبُ سَادِرًا، وَصِرْتُ كَنْعَمٍ تَاهُ فِي الْحَلْقِ لَمْ يَدُرْ
سادرًا: هائماً

وما فوقَ ظَهْرِ الأرضِ أَنْعَمَ عَيْشَةً، وَأَعْرَضُ دُنْيَا مِنْ مُحِبٍّ إِذَا اقْتَدَرَ
فَإِنْ قَلَّتْ فِي الْحَبِّ الشَّقَاوَةُ وَالْبَلَاءُ، وَفِيهِ مُقَاسَاةُ الْمَكَارِهِ وَالْغَيْرِ
الغیر: المصائب

فَفِيهِ مُوَاتَاةُ الْحَبِيبِ، وَعَظْفُهُ، عَلَيْكَ، وَفِيهِ الشَّمُّ وَالذَّوْقُ وَالنَّظَرُ

٥٧ عندما نصبح عبرة

أَيَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ ذَوِي الْبَأْسِ وَالْخَطَرِ
سَائِلُوا عَنْهُمْ الْمَدَا ئِنْ وَاسْتَبْجِثُوا الْخَبَرَ
سَبَقُونَا إِلَى الرَّحِيحِ لِي، وَإِنَّمَا عَلَى الْأَثَرِ
مَنْ مَضَى عِبْرَةً لَنَا، وَغَدَاً نَحْنُ مُفْتَبَّرُ
إِنَّ لِلْمَوْتِ أَخْذَةً، تَسِيقُ اللَّمَحَ بِالْبَصَرِ
رَحِمَ اللَّهُ مُسْلِمًا ذَكَرَ اللَّهَ، فَازْدَجَرَ

٥٨ نار الشمس

دَغْ لِبَاكِهَا الدِّيَارَا، وَأَنْفٍ بِالْخَمْرِ الْخُمَارَا
اشرب خمرأ لتفي الخمار (صداع الخمر)
بَنَتْ عَشْرَ لَمْ تُعَايِنُ غَيْرَ نَارِ الشَّمْسِ نَارَا
خمر عتقت عشر سنين، وغير مطبوخة إلا ما كان من حرارة الشمس على كرمها

٥٩ الجريء المفتري

أَيَا مَنْ بِحُبِّي عَلَيَّ اجْتَرَا، وَمَنْ بِلِسَانِي عَلَيَّ افْتَرَى
وَمَنْ بِيَدِي غَلَنِي لِبَلْهَوَى، فَأَصْبَحْتُ لِلْحُبِّ مُسْتَأْسَرَا
غلني: قيدني، وإنما قيدت نفسي بيدي، مستأسر: أسير

٦٠ ليل طويل ونهار طويل

مَلَكَتْ قَلْبِي فَأَغْرَيْتِ الْهَمُومَ بِهِ، وَقَلَّتْ: لَا تَعْدَمِ الْأَحْزَانَ وَالْفِكْرَا
لا تعدم: تدعو عليه بأن يلازم الحزن وطول التفكير

أرى نهاراً وليلاً قالَ رُبُّهُمَا: طُولا! فقد أَتَيَا مِنْ ذَاكَ مَا أَمَرَا

٦١ المركب الوعر

أَعِزَّ شِعْرَكَ الْأَطْلَالَ وَالْدَّمَنَ الْقَفْرَا فقد طالَمَا أُرْزَى بِهِ نَعْتُكَ الْخُمْرَا
الدمن القفر: بقايا البيوت الخربة

دَعَانِي إِلَى نَعْتِ الطُّلُولِ مُسَلِّطٌ، تَضَيِّقُ ذِرَاعِي أَنْ أَجُوزَ لَهُ أَمْرَا
فَسَمِعَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَطَاعَةً، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ جَشَّمْتَنِي مَرْكَبًا وَغَرَا

٦٢ في ضيافة السموأل

وَفُثْيَانِ صِدْقٍ قَدْ صَرَفْتُ مَطْبَهُمْ إِلَى بَيْتِ خَمَارٍ نَزَلْنَا بِهِ ظَهْرَا
صرفت مطبهم (وجهت مطاياهم)

فَلَمَّا حَكَى الزُّنَارُ أَنْ لَيْسَ مُسْلِمًا، ظَنَنَّا بِهِ خَيْرًا، فَظَنَّ بِنَا شَرًّا
كانوا يلزمون غير المسلم بزنا على خصمه

فَقُلْنَا: عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ؟ فَأَعْرَضَ مُزَوَّرًا، وَقَالَ لَنَا هُجْرَا
الهجر: الكلام غير اللائق

وَلَكِنْ يَهُودِيٌّ، يُحِبُّكَ ظَاهِرًا، وَيُضْمِرُ فِي الْمَكْنُونِ مِنْهُ لَكَ الْغَدْرَا
فَقُلْتُ لَهُ: مَا الْأَسْمُ؟ قَالَ: سَمَوَالٌ، وَلَكِنِّي أَكْنَى بِعَمْرٍو، وَلَا عَمْرَا
كنيته أبو عمرو وليس له ولد بهذا الاسم

وَمَا شَرَّفْتَنِي كُنْبَةً عَرَبِيَّةً، وَلَا أَكْسَبْتَنِي لَا سَنَاءَ وَلَا فَخْرَا
سناء: علواً

وَلَكِنَّهَا خَفْتُ، وَقَلْتُ حُرُوفُهَا، وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى إِنَّمَا خُلِقَتْ وَقُرَا
أبو عمرو خفيفة على اللسان، وليست كالسموأل التي هي وقر (ثقل في السمع)

فَقُلْتُ لَهُ عُجْبًا بِظَرْفِ لِسَانِهِ أَجَدْتَ، أَبَا عَمْرٍو، فَجَوَّدَ لَنَا الْخُمْرَا
فَأَذْبَرَ كَالْمُزَوَّرِ، يَقْسِمُ طَرَفَهُ لِأَرْجُلِنَا شَطْرًا، وَأَوْجِهَنَا شَطْرَا
أدبر: استدار، المزور: المنحرف متحاشياً لنا

وقال: لَعَمْرِي لَوْ أَحْطَظْتُمْ بِأَمْرِنَا لَلْمَنَّاكُمْ، لَكِنْ سَتُوسِعُكُمْ عُذْرًا
والله لو عرفتم ما عندنا من الخمر الجيدة للمناكم على استهانتكم بنا، ولكن لكم العذر لأنكم لم
تدققوا خمرنا بعد

فجاءَ بِهَا زَيْنَبَةُ، دَهَبِيَّةٌ، فَلَمْ نَسْتَطِعْ دُونَ السُّجُودِ لَهَا صَبْرًا
خَرَجْنَا، عَلَى أَنَّ الْمَقَامَ ثَلَاثَةٌ، فَطَابَ لَنَا حَتَّى أَقْمَنَا بِهَا شَهْرًا
عِصَابَةٌ سَوَاءٌ لَا تَرَى، الدَّهْرَ، مِثْلَهُمْ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ لَا بَرِيئًا، وَلَا صِفْرًا
سوء: فساد، ليس مثلنا في طول الزمن، ولست بَرِيئًا من صفاتنا ولا خاليًا منها، ففي كل إنسان ما
فينا من الإقبال على الشهوات

إِذَا مَا دَنَا وَقْتُ الصَّلَاةِ رَأَيْتَهُمْ يَحْتُونَهَا، حَتَّى تَفُوتَهُمْ سُكْرًا
يحتنون الخمر: يعجلون بكرعها

٦٣ فيم حبستني؟

كتب للخليفة محمد الأمين من حبسه:

تَذَكَّرْ، أَمِينَ اللَّهِ، وَالْعَهْدُ يُذَكَّرُ مَقَامِي، وَإِنْ شَادِيكَ، وَالنَّاسُ حُصَّرَ
حُصَّرَ: عاجزون عن الكلام

مَضَتْ لِي شُهُورٌ، مُذْ حُبِسْتُ، ثَلَاثَةٌ كَأَنِّي قَدْ أَذْنَبْتُ مَا لَيْسَ يُغْفَرُ
فَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَذْنَبْ، فَفِيمَ حَبَسْتَنِي؟ وَإِنْ كُنْتُ ذَا ذَنْبٍ فَعَفْوُكَ أَكْبَرُ

٦٤ كلاكما بحر

يمدح الخصب والي مصر:

أَنْتَ الْخَصِيبُ، وَهَذِهِ مِصْرُ فَتَدَقُّقًا فِكْلَاكُمَا بَحْرُ
لَا تَقْعُدَا بِي عَنْ مَدَى أَمْلِي شَيْئًا، فَمَا لَكُمَا بِهِ عُذْرُ
يخاطب الخصب ومصر: لا تقعدا بي (تقصرا)، عن إبلاغي مأمولي، فلا عذر لكما
وَيَحِقُّ لِي، إِذْ صِرْتُ بَيْنَكُمَا، أَلَّا يَحِلَّ بِسَاحَتِي فَقْرُ

٦٥ قل لي هي الخمر

أَلَا فَاسَقْنِي خَمْرًا، وَقُلْ لِي: هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكَّنَ الْجَهْرُ

وَلَا تَسْقِيَنَّ مِنْهَا الْمُرَائِيْنَ قَطْرَةً لِأَنَّ رِيَاءَ النَّاسِ عِنْدِي هُوَ الْهُجْرُ
الهجر: الكلام البذيء

فَعَيْشُ الْفَتَى فِي سَكْرَةٍ بَعْدَ سَكْرَةٍ، فَإِنْ طَالَ هَذَا عِنْدَهُ قَصُرَ الدَّهْرُ
وَمَا الْغَبْنُ إِلَّا أَنْ تَرَانِي صَاحِبِيًّا، وَمَا الْغُنْمُ إِلَّا أَنْ يُتَغَتَّعَنِي السُّكْرُ
الغبن: الخسران، يتعتني السكر: يفكفك مفاصلي

فَبُحْ بِاسْمِ مَنْ أَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ
وَلَا خَيْرَ فِي فَتْكِ بِدُونِ مَجَانَةٍ، وَلَا فِي مُجُونٍ لَيْسَ يَتَّبَعُهُ كُفْرُ
الفتك: الهجوم على الملذات المحرمة، المجانة والمجون: المجاهرة بالخروج على الخط المرسوم
بِكُلِّ أَخِي فَتْكِ كَأَنَّ جَبِينَهُ هَلَالٌ، وَقَدْ حَفَّتْ بِهِ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
أخو الفتك: صاحب الفتك الجريء على الملذات المحرمة، الزهر: المضئ

وَحَمَارَةٌ نَبَّهْتُهَا بَعْدَ هَجْعَةٍ وَقَدْ غَابَتِ الْجَوَازِءُ، وَارْتَفَعَ النَّسْرُ
هجة: رقدة

فَقَالَتْ: مَنِ الطَّرَاقُ؟ قُلْنَا عِصَابَةٌ خِفَافُ الْأَدَاوَى، تُبْتَغَى لَهُمْ خَمْرُ
الطراق: زوار الليل، عصابة: جماعة، خفاف الأدوى: فارغو أوعية الخمر. فهم يريدون ملاحا
وَلَا بَدَأَ أَنْ يَزْنُوا، فَقَالَتْ: أَوِ الْفِدَا بِأَبْلَجٍ كَالدِّينَارِ فِي طَرْفِهِ فَتْرُ؟
قالت نفتدي النساء بشاب أبلج: وضيء الوجه كالدينار الذهبي، وفي عينيه فتور ودلال

فَقُلْنَا لَهَا هَاتِيهِ، مَا إِنَّ لِمِثْلِنَا، فَدَيْنَاكَ بِالْأَهْلِينَ، عَنْ مِثْلِ ذَا، صَبْرُ
فَجَاءَتْ بِهِ كَالْغَصَنِ يَهْتَرُّ رِدْفُهُ، تَخَالُ بِهِ سِحْرًا، وَلَيْسَ بِهِ سِحْرُ
لَهُ شَبَهٌ بِالْبِدْرِ لَيْلَةً تَمُّهُ، مُهْفَهْفُ أَعْلَى الْكَشْحِ، فِي ثَغْرِهِ أَشْرُ
الأشْر: تحزير في الأسنان يكون عند الصغار

فَقَمْنَا إِلَيْهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، فَكَانَ بِهِ، مِنْ صَوْمِ غُرْبَتِنَا، الْفِطْرُ
فَيْنَا يَرَانَا اللَّهُ شَرَّ عِصَابَةٍ، نُجَرَّرُ أَذْيَالَ الْفُسُوقِ، وَلَا فَخْرُ

٦٦ فلك نجومه الطاسات

إِذَا الطَّاسَاتُ كُرَّ بِهَا عَلَيْنَا، تَكُونُ بَيْنَنَا فَلَكٌ يَدُورُ
إذا دارت الكؤوس على الشاربين، كانت كأنها النجوم تدور في فلكها (جوها)

تَسِيرُ نَجْوْمُهُ عَجَلًا وَرَيْثًا، مُشْرِقَةً، وَتَارَاتٍ تَغُورُ

٦٧ لا للعتاب

قَدْ مَلِلْنَا الْعِتَابَ وَهُوَ كَثِيرٌ فاقصدي قصدا ما عليه ندور
واجعلي للعتاب يوما سوى ذا، وانهضي، لا لوجهك التصغير
واجعلي للفراش منك نصيبا، فهو مما به يتم السرور
فاستقلت على الفراش ببرز: حلل حشوهن طيب ونور
استقلت: صعدت، البرز: الثياب

فَنَسِينَا عِتَابَنَا وَتَوَاهَبْ نَا إِسَاءَاتِنَا، وَصَحَّ الضمير
تواهبا إساءاتنا: وهب كل إساءته للآخر فتم التراضي
ما ذكرنا من كل ما كان شيئا بعد أن دُمِيَ الغزال الغريز

٦٨ مفضوح

كُلُّ مُحِبٍّ سِوَايَ مُسْتَوْرٍ، والناس، إِلَّا عَنِ قِصَّتِي، غُورُ
كَأَنَّ طَرْفِي عَيْنٌ عَلَيَّ لَهُمْ، فَكُلُّ طَيِّ، لَدَيَّ، مَنْشُورُ
كَأَنَّ عَيْنِي عَيْنَ (جاسوس) لَهُمْ يَخْبِرُهُمْ بِمَا فِي قَلْبِي
مَا إِنْ يَغُوبُ الْفَعَالُ أَفْعَلُهُ، حَتَّى تَهَادَاهُ بَيْنَهُمَا الدُّورُ
ما يكاد فعلي يغيب (يتنهي) حتى تتهاداه (تتداوله) البيوت
يُخْرِجُ مِنْ هَذِهِ، وَيَدْخُلُ فِي تِلْكَ، وَعَنْهُ الْقِنَاعُ مَحْسُورُ
فَمَا احْتِبَالِي! وَقَدْ خُلِقْتُ فَتَى تَجْرِي بِمَا سَاءَنِي الْمَقَادِيرُ

٦٩ حوار مع إبليس

وقال أبو نواس وهي مما لم تتضمنه نسخة القهوجي (وهي عن الصولي):

لَمَّا جَفَانِي الْحَبِيبُ وَامْتَنَعْتُ عَنِّي الرِّسَالَاتُ مِنْهُ وَالْخَبْرُ
إِشْتَدَّ شَوْقِي فَكَادَ يَقْتُلْنِي ذِكْرُ حَبِيبِي، وَالْهَمُّ، وَالْفِكْرُ
دَعَوْتُ إِبْلِيسَ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ، فِي خَلْوَةٍ وَالْذُّمُوعُ تَنْهَمُرُ:
أَمَا تَرَى كَيْفَ قَدْ بُلِيتُ، وَقَدْ أَقْرَحَ جَفْنِي الْبُكَاءُ وَالسَّهْرُ
أقرح: جرح

إِنْ أَنْتَ لَمْ تُلْقِ لِي الْمَوَدَّةَ فِي صَدْرِ حَبِيبِي، وَأَنْتَ مُقْتَدِرٌ،
لَا قَلْتُ شِعْراً، وَلَا سَمِعْتُ غِنَا، وَلَا جَرَى فِي مَفَاصِلِي السَّكْرِ
السكر: الخمر

وَلَا أَزَالُ الْقُرْآنَ أَدْرُسُهُ أَرُوحُ فِي دَرِسِهِ وَأَبْتَكِرُ
وَأَلْزُمُ الصُّومَ وَالصَّلَاةَ، وَلَا أَزَالُ، دَهْرِي، بِالْخَيْرِ آتِمُرُ
فَمَا مَضَتْ بَعْدَ ذَلِكَ ثَالِثَةٌ حَتَّى أَتَانِي الْحَبِيبُ يَعْتَذِرُ

٧٠ أبو نواس في مصر

أَجَارَةَ بَيْتِنَا أَبُوكَ غَيُورٌ وَمَيْسُورٌ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرُ
أَجَارَةَ بَيْتِنَا: يَا جَارَتَنَا فِي السَّكَنِ، وَفِي النِّسْبِ

وَإِنِّي لَطَرْفُ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاجِرٌ، فَقَدْ كَدْتُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ ضَمِيرُ
أَنَا زَاجِرٌ (مَمَارِسُ لِلْفَرَاغَةِ) أَنْظِرْ لِعُيُونِ النَّاسِ بَعْضِي فَأَعْرِفْ مَكُونُ ضَمَائِرِهِمْ

تَقُولُ الَّتِي عَنْ بَيْتِهَا خَفَّ مَرْكَبِي: عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَاكَ تَسِيرُ،
تَقُولُ الَّتِي رَحَلَتْ عَنْهَا: يَصْعَبُ أَنْ نَرَاكَ تَغَادِرُنَا

أَمَّا دُونَ مِضْرٍ لِلْغِنَى مُتَطَلَّبٌ؟ بَلَى، إِنَّ أَسْبَابَ الْغِنَى لَكَثِيرُ
فَقُلْتُ لَهَا، وَاسْتَعْجَلْتُهَا بِوَادِرٍ، جَرْتُ، فَجَرَى فِي جَرْيِهِنَّ عَبِيرُ:
بَوَادِرُ: دُمُوعُ

ذَرِينِي أَكْثُرُ حَاسِدِيكَ بِرَحْلَةٍ، إِلَى بَلَدٍ فِيهِ الْخَصِيبُ أَمِيرُ
فَتَى يَشْتَرِي حَسَنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ نَدُورُ
فَمَا جَاذَهُ جُودٌ، وَلَا حَلَّ دُونَهُ، وَلَكِنْ بِصِيرُ الْجُودِ حَيْثُ يَصِيرُ
الكرم لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، بل هو الكرم مجسداً

سَمَوْتَ لِأَهْلِ الْجَوْرِ فِي حَالِ أَمْنِهِمْ، فَأَضْحَوْا وَكُلُّ فِي الْوِثَاقِ أَسِيرُ
سموت: نهضت

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى جَاهِلاً بِمَقَالَتِي، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَبِيرُ
وَمَا زِلْتُ تُؤَلِّيه النَّصِيحَةَ يَافِعاً إِلَى أَنْ بَدَأَ فِي الْعَارِضِينَ قَتِيرُ
ظَلَلَتْ نَصَحَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْذُ أَنْ كُنْتُ شَاباً حَتَّى بَدَأَ فِي عَارِضِيكَ (جَانِبِي رَأْسُكَ) الْقَتِيرُ (الشَّيْبُ)

إِذَا غَالَهُ أَمْرٌ، فِيمَا كَفَيْتَهُ، وَإِمَا عَلَيْهِ بِالْكِفَاءِ تُشِيرُ

غاله الأمر: فاجأه

إِلَيْكَ رَمَتْ بِالْقَوْمِ هُوجٌ كَأَنَّمَا جَاجَتْهَا، تَحْتَ الرُّجَالِ، قُبُورٌ

رمتك بنا هوج (نياق مسرعات)، جآجتها (صدورها) تحت راكبيها مثل القبور

زَهَا بِالْخَصِيبِ السِّيفِ وَالرَّمْعِ فِي الْوُغَى وَفِي السَّلْمِ يَزْهُو مِنْبَرٌ وَسَرِيرٌ

وَإِنِّي جَدِيرٌ، إِذْ بَلَّغْتُكَ، بِالْمَنَى، وَأَنْتَ، بِمَا أَمَلْتُ مِنْكَ، جَدِيرٌ

فَإِنْ تُؤَلِّنِي مِنْكَ الْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ، وَإِلَّا فَلِإِنِّي عَاذَرٌ وَشَكُورٌ

إِنْ أَوْلَيْتِي (أَعْطَيْتِي) الْجَمِيلَ (المعروف) فَأَنَا أَهْلُهُ (مستحق له)، وَإِنْ لَمْ يَحْدَثْ ذَلِكَ عَذْرَتِكَ
وَكُنْتُ لَكَ شَاكِرًا

٧١ أَعْطَنِي كَيْلًا يَشْمَتُوا بِي

قال يمدح العباس بن عبد الله الهاشمي:

إِلَيْكَ عَدْتُ بِي حَاجَةً لَمْ أَتُخَّ بِهَا، أَخَافُ عَلَيْهَا شَامِتًا، فَأُدَارِي

فَأُرْخِ عَلَيْهَا سِتْرَ مَعْرُوفِكَ الَّذِي سَتَرْتَ بِهِ، قَدَمًا، عَلَيَّ عَوَارِي

عواري: عيبي

٧٢ أَبُو نَوَاسٍ يَقْرَأُ ضَمِيرَ جَنَانٍ

يَا ذَا الَّذِي عَنْ جَنَانٍ ظَلَّ يَخْبِرُنِي، بِاللَّهِ قُلْ وَأَعِذْ، يَا طَيِّبَ الْخَبْرِ

قَالَ اسْتَنْتَكَ، وَقَالَتْ: مَا بُلِّيتُ بِهِ؟ أَرَاهُ مِنْ حَيْثُمَا أَقْبَلْتُ فِي أَثَرِي

ما هذا الذي ابتليت به؟ أراه في كل مكان يلاحقني

وَيُعْمِلُ الطَّرْفَ نَحْوِي إِنْ مَرَرْتُ بِهِ حَتَّى لِيُخَجِّلَنِي مِنْ حِدَّةِ النَّظَرِ

وَإِنْ وَقَفْتُ لَهُ كَيْمًا يُكَلِّمَنِي فِي الْمَوْضِعِ الْخُلُوِّ لَمْ يَنْطِقْ مِنَ الْحَصْرِ

الحصر: انحباس الكلام

مَا زَالَ يَفْعَلُ بِي هَذَا، وَيَدْمِنُهُ حَتَّى لَقَدْ صَارَ مِنْ هَمِّي وَمِنْ وَطْري

٧٣ التَّعَالِي

وَمُسْتَنْفِدٍ إِخْوَانَهُ بِشَرَائِهِ لَبِسْتُ لَهُ كِبْرًا أَتَرُّ عَلَى الْكِبَرِ

تكبرت عليه تكبراً أبر (زاد) على التكبر نفسه

إِذَا ضَمَّنِي يَوْمًا وَإِيَّاهُ مَحْفِلٌ رَأَى جَانِبِي وَعِزًّا يَزِيدُ عَلَى الْوَعْرِ
أَخَالَفُهُ فِي شَكْلِهِ، وَأَجَرُهُ عَلَى الْمَنْطِقِ الْمَنْزُورِ، وَالنَّظَرِ الشَّرِّ

أخالفه في شكله (في طبيعته)، وأجره

(أقطع لسانه/ وكانوا يُجرون لسان صغير الأبل حتى لا يرضع)

وأجره على المنطق المنزور (الكلام القليل) والنظر الشر (النظر من جانب العين)

وَقَدْ زَادَنِي تِبْهًا عَلَى النَّاسِ أَنَّنِي أَرَانِي أَغْنَاهُمْ، وَإِنْ كُنْتُ ذَا فَقْرٍ
فَوَاللَّهِ لَا يُبْدِي لِسَانِي حَاجَةً إِلَى أَحَدٍ حَتَّى أُغَيَّبَ فِي قَبْرِ
فَلَا تَطْمَعَنَّ فِي ذَاكَ مَنِّي سَوْفَةً، وَلَا مَلِكُ الدُّنْيَا الْمَحْجَبُ فِي الْقَصْرِ

المحجب: الذي اتخذ حاجباً

فَلَوْ لَمْ أَرِثْ فَخْرًا لَكَانَتْ صِبَانِي فَمِنْ عَنِ سَوَالِ النَّاسِ حَسْبِي مِنَ الْفَخْرِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ لَدِي مَالٌ مَوْرُوثٌ أَفْخَرُ بِهِ فَإِنِّي أَفْخَرُ بِأَنِّي أَصُونُ نَفْسِي عَنِ سَوَالِ النَّاسِ

٧٤ ما مشاك في أثري؟

لَا شَيْءَ أَحْسَنَ مِنِّي قَالٌ مُلْتَفِتًا وَقَدْ تَغَضَّبَ: مَا مَشَاكَ فِي أَثْرِي؟
كَأَنَّمَا كَلَّمْتَنِي الشَّمْسُ ضَاحِيَةً، إِذْ قَالَ مَا قَالَ لِي، أَوْ شِقَّةُ الْقَمَرِ

ضاحية: بارزة

ظَبِيٌّ لَهُ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ نَابِتَةٌ مِنَ الْمَوَدَّةِ تُجْنِي أَطِيبَ الثَّمَرِ
نَابِتَةٌ: غرسة، تُجْنِي: تؤتي

إِذَا بَدَأَ رَمَتْ الْأَبْصَارُ جَانِبَهُ مَعًا، فَلَمْ تَخْتَلَفْ عَيْنَانِ فِي النَّظَرِ

٧٥ أنت دون أن تهجي

بِمَا أَهْجَوْتُ؟ لَا أَدْرِي! لِسَانِي فِيكَ لَا يَجْرِي
إِذَا فَكَّرْتُ فِي عَرَضٍ لَكَ أَشْفَقْتُ عَلَى شِعْرِي

٧٦ في وصف طنجرة

رَأَيْتُ قُدُورَ النَّاسِ سُودًا مِنَ الصَّلَى، وَقَدَرَ الرُّقَاشِيَيْنَ زَهْرَاءَ كَالْبَدْرِ

الصلى: اللهب، زهراء: بيضاء

تَبَيَّنَ فِي مِخْرَاشِهَا أَنَّ عُدَّةَ سَلِيمٍ، صَحِيحٌ، لَمْ يُصِبهُ أَذَى الْجَمْرِ

المخراش: أداة تقليب الجمر

يُبَيِّنُهَا لِلْمُعْتَفِي بِفَنَائِهِمْ ثَلَاثٌ كَنَقَطِ الثَّاءِ مِنْ نَقَطِ الْجِبْرِ

يبرز القدر للمعتفي (للقير) ثلاثة حجارة صغيرة كأنها نقط حرف الثاء، وهي الأثافي التي توضع فوقها هذه القدر المتناهية الصغر

وَلَوْ جِئْتَهَا مَلَأَى عَبِيطًا مَجْرَلًا، لَأَخْرَجْتَ مَا فِيهَا عَلَى طَرَفِ الظُّفْرِ

العبيط المجزل: اللحم المقطع

إِذَا مَا تَنَادَوْا لِلرَّحِيلِ سَعَى بِهَا، أَمَامَهُمُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ

الحولي: الذي مضى عليه عام، من ولد الذر: النمل. [والحولي من البهائم هو صغارها، وأما النمل فالحولي منها كبير العمر، ولعل أبا نواس قصد «صغار النمل» قياساً على الإبل]

٧٧ الحاطب على ظهر نفسه

حَسْبِي جَوَىٰ إِنْ ضَاقَ بِي أَمْرِي ذِكْرِي لِرَحْمَةٍ وَهْيَ لَا تَدْرِي

و«رحمة» في أشعار أخرى فتى كان النواصي يتغزل به، لكن «رحمة» هنا علم على جارية يبدو أنها كانت مملوكة لرجل يخرج قيانه للناس بثمن. يقول: يضيق صدري فأذكر رحمة هذه، وفي هذا ما يكفي من الجوى والحزن

وَأَخَافُ أَنْ أَبْدِي مَوَدَّتَهَا، فَيَعَارُ مَوْلَاهَا وَيَسْتَشْرِي

يستري: يغضب

وَأَكُونُ قَدْ سَبَبْتُ فَرَقَتَنَا، وَحَطَبْتُ مَجْتَهِدًا عَلَى ظَهْرِي

وَيَلُومُنِي فِي حُبِّهَا نَفَرٌ خَالُونَ مِنْ شَجْوِي وَمِنْ ضُرِّي

شجوي: حزني، ضري: معاناتي

لَمْ يَعْرِفُوا حَقَّ الْهَوَىٰ، فَلَحَّوْا، لَوْ جَرَّبُوهُ تَبَيَّنُوا عُذْرِي

لحوا: لاموا

إِنِّي لَأُبْغِضُ كُلَّ مُصْطَبِرٍ عَنْ إِلْفِهِ فِي الْوَصْلِ وَالْهَجْرِ

الْمُصْبِرُ يَحْسُنُ فِي مَوَاضِعِهِ، مَا لِيَلْفَتِيَ الْمَشْتَاقِ وَالصَّبْرِ؟

٧٨ الله لا الجسد

يَا سَائِلَ اللَّهِ فَزَتْ بِالظُّفْرِ وَبِالنَّوَالِ الْهَنِيِّ لَا الْكَبِيرِ

وَارْعَبْ إِلَى اللَّهِ، لَا إِلَى جَسَدٍ مُنْتَقِلٍ مِنْ صَبَأٍ إِلَى كِبَرٍ
 إِنَّ الَّذِي لَا يَخِيبُ سَائِلُهُ جَوْهَرُهُ غَيْرُ جَوْهَرِ الْبَشَرِ
 مَا لَكَ بِالتُّرَّهَاتِ مُشْتَغَلًا، أَفِي يَدَيْكَ الْأَمَانُ مِنْ سَقَرٍ؟

٧٩ حديث خرافة

مما نسبته ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» إلى أبي نواس قائلاً: «ومما كفر به أو قارب»، البيتان:

تَعَلَّلُ بِالْمَنَى إِذْ أَنْتَ حَيٌّ وَبَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ لَبَنِ وَخَمْرِ
 حَيَاةً ثُمَّ مَوْتٌ ثُمَّ بَعَثٌ حَدِيثُ خُرَافَةٍ يَا أُمَّ عَمْرٍو

٨٠ السجن قبرا

قال أبو نواس يمدح الفضل بن الربيع (وقد شفع فيه فأطلقه من السجن):
 إِنِّي أَتَيْتُكُمْ مِنَ الْقَبْرِ وَالنَّاسُ مُحْتَبِسُونَ لِلْحَشْرِ
 لَوْلَا أَبُو الْعَبَّاسِ مَا نَظَرْتُ عَيْنِي إِلَى وَلَدٍ، وَلَا وَفَرٍ
 لَوْلَا أَنَّهُ أَطْلَقَنِي لَمَا رَأَيْتُ أَوْلَادِي وَلَا تَمَتَّعْتُ بِوَفْرِي (مالي)

٨١ يتقي كما يشاء من قلوبنا

إِنِّي صَرَفْتُ الْهَوَى إِلَى قَمَرٍ لَمْ تَبْتَذِلْهُ الْعُيُونُ بِالنَّظَرِ
 مَبَاحَةً سَاحَةً الْقُلُوبِ لَهُ، يَأْخُذُ مِنْهَا أَطَايِبَ الثَّمَرِ

٨٢ الزائدة الدودية

قُلْ لِمَنْ يَدَّعِي سُلَيْمًا سَفَاهَا لَسْتُ مِنْهَا، وَلَا قُلَامَةً ظُفْرِ
 إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ سُلَيْمٍ كَوَاوٍ أُلْحِقْتُ فِي الْهَجَاءِ ظُلْمًا بِعَمْرٍو
 أنت بالنسبة لقبيلة سليم كالواو التي ألحقت في الهجاء (الإملاء) باسم «عمرو»،
 فهي واو زائدة لا تنطق

٨٣ التراضي الصامت

أَزُورُ مُحَمَّدًا، فَإِذَا التَّقِينَا تَكَلَّمَتِ الضَّمَائِرُ فِي الصَّدُورِ

فَارْجِعْ لِمَ أَلَمْتُ، وَلَمْ يَلْمَنِي، وَقَدْ رَضِيَ الضَّمِيرُ عَنِ الضَّمِيرِ
أَمُورٌ لَيْسَ يَعْرِفُهَا سِوَانَا، يُحَيِّرُ لَطْفُهَا بَصَرَ الْبَصِيرِ

٨٤ بعد رد العارية

وَعَظَّمْتُكَ وَاعْظَمْتُ الْقَتِيرَ وَنَهَشْتُكَ أَبْهَةً الْكَبِيرِ
القَتِيرُ: الشَّيْبُ، أَبْهَةٌ: وَقَارٌ

وَرَدَدْتَ مَا كُنْتَ اسْتَعَسَرْتُ تَ مِنْ الشَّبَابِ إِلَى الْمُعِيرِ

٨٥ صفات النديم

قَالَ أَبُو نَوَاسٍ وَهُوَ مِمَّا لَمْ يُوْرِدْهُ قَهْوجِي فِي نَسْخَتِهِ الْمَرْفُوعَةِ إِلَى الصَّوْلِيِّ:
حَقُوقُ الْكَأْسِ وَالنَّدَمَانِ خَمْسُ فَأُولَئِهَا التَّزْيِينُ بِالْوَقَارِ
النَّدَمَانُ، بَفَتْحِ النَّونِ الْأُولَى: النَّدِيمُ

وِثَانِيهَا مَسَامِحَةُ النَّدَامَى وَكَمْ حَمَتِ السَّمَاحَةُ مِنْ ذِمَارِ
ذِمَارٌ: حَمَى (مَا يَحْمِيهِ الْمَرْءُ مِنْ عَرَضٍ وَمَالٍ)

وِثَالُثُهَا - وَإِنْ كُنْتَ ابْنَ خَيْرٍ أَلِ - بَجَرِيَّةٍ مُحْتَدًا - تَرَكُ الْفَخَارِ
ثَالِثُ الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ عَلَى حَاضِرِ مَجْلِسِ الشَّرَابِ أَنْ يَتْرَكَ الْإِفْتَخَارَ حَتَّى لَوْ كَانَ ابْنُ أَفْضَلِ الْبَشَرِ
مُحْتَدًا، أَيْ نَسْبًا

وِرَابِعُهَا فَلِلنَّدَمَانِ حَقٌّ سِوَى حَقِّ الْقِرَابَةِ وَالْجَوَارِ
إِذَا حَدَّثَتْهُ فَأَكْسُ الْحَدِيثِ أَلِ - الَّذِي حَدَّثَتْهُ ثَوْبَ اخْتِصَارِ
وَانْظُرْ إِلَى مَا فِي هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنِ الْإِخْتِصَارِ مِنْ حِثِّهِ

وَخَامِسُهَا يَدُلُّ بِهِ أَخُوهُ عَلَى كَرَمِ الطَّبِيعَةِ وَالنَّجَارِ
خَامِسُ هَذِهِ الصِّفَاتِ يَدُلُّ بِهِ أَخُوهُ (صَاحِبُهُ) عَلَى كَرَمِ النَّجَارِ (الْأَصْلِ)

كَلَامُ اللَّيْلِ يَنْسَاهُ نَهَارًا فَإِنَّ الذَّنْبَ فِيهِ لِلْعُقَارِ
العُقَارُ: الْخَمْرُ

وَلِلْقِطْعَةِ مِمَّا أَضْيَفَ إِلَى أَبِي نَوَاسٍ فِي رِصْفِ كَلَامِهَا شَيْءٌ مِنْ حِذْلَقَةٍ يَجْلُ عَنْهَا الْحَسَنُ بْنُ
هَانِيٍّ، وَإِنَّمَا أَوْرَدْنَاهَا لِأَنَّ فِيهَا دُسْتُورَ الشَّارِبِينَ

٨٦ العفو عند المقدرة

داوٍ يحيى من خُمَارِهِ بِإِئْنَةِ الدَّنِّ وَقَارِهِ
 بِشَرَابٍ خُسْرَوِيٍّ، مَا تَعَنَّنُوا بِاعْتِصَارِهِ
 خسروي: منسوب إلى خسرو (كسرى)، تعنوا: تعبوا. وأجود الخمر يسيل قبل أن يداس بالأرجل
 طَبَحَتْهُ الشَّمْسُ لَمَّا بَخِلَ الْعِلْجُ بِنَارِهِ
 العالج: غير العربي، غير المسلم
 وَتَدِيمِي كُلُّ خِرْقٍ، زَانَهُ عِنْتُ نَجَارِهِ
 خرق: سخي، عنتى نجاره: طيب أصله
 وَعَزَالٍ تَشْرُهُ النَّفْ سُ إِلَى حَلِّ إِزَارِهِ
 بَسَطَتْهُ سَوْرَةُ الرَّا حَ لَنَا بَعْدَ اَزْوَارِهِ
 سورة الراح: هجمة الخمر، ازواراه: نفوره
 فَأَظْفَنَّا بِنَوَاحِيهِ، وَلَمْ نَعْرِضْ لِدَارِهِ

٨٧ لا أذود الطير

يمدح العباس بن عبد الله الهاشمي:

أَيُّهَا الْمُنتَابُ عَنْ عُفْرِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلِي، وَلَا سَمَرِهِ
 أيها المنتاب (الزائر) عن عفوه (بعد ابتعاده زمناً)، لست من أصدقاء ليلي ولا من ندماي الآن.
 وقالها أبو نواس في حبيبة خاتنه، ثم جاءت بعد زمن تزوره فصرفها
 لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ، قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ
 لن أحذر الآخرين من تلك الخائنة، كما لا يرمى المرء شجرة ذات ثمر مر ولا يذود (يبعد) الطير عنها
 خَابَ مَنْ أَسْرَى إِلَى بَلَدٍ غَيْرِ مَعْلُومِ مَدَى سَفَرِهِ
 محكوم بالفشل على من يبدأ علاقة لا يعرف منتهأها
 فَاْمُضِ لَا تَمُنَّنْ عَلَيَّ يَدَا، مَنُّكَ الْمَعْرُوفَ مِنْ كَدَرِهِ
 فاذهب (يقصد اذهبي) ولا تمنني علي بأيام لهو قضيتها، فالمن (تحميل الجميل) يكدر المعروف
 وَابْنُ عَمٍّ لَا يُكَاشِفُنَا، قَدْ لَبِسْنَاهُ عَلَى غَمَرِهِ
 رب شخص لا يجاهر بعداوته، احتملناه على غمره (رغم رداءته)

كَمَنَّ الشَّنَّانُ فِيهِ لَنَا، كُكْمُونِ النَّارِ فِي حَجَرِهِ

الشَّنَّانُ (الكراهية) كامنة في صدره لنا، ككمون النار في حجر القدح. فكأن الشرر كامن في هذا الحجر البارد، ولكنه يتطاير فور ضرب الحجر بحجر آخر، تشبيه قن القدماء واعترضوا كثيراً على تذكير أبي نواس لكلمة «نار»

وَرُضَابٍ بِتُّ أَرَشُفُهُ، يَنْقَعُ الظَّمْآنُ مِنْ خَصْرِهِ

رب رضاب (ريق) بت أترشفه من فم المحبوب، وهو ينقع (يروى) العطشان من خصره (لبرودته)

عَلَّنِيهِ خَوْطُ إِسْحَلَةٍ، لَانَ مَثْنَاهُ لِمُهْتَصِرِهِ

عليه (سقاني إياه) خوط إسحلة (غصن شجرة المساويك «الإسحل»)، الذي لان (كان ليناً) مثناه (جانباها) لمهتصره (لمن يجتذبه)

كَيْفَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ!

يمدح العباس، وهو من بني هاشم، : كيف لا يقربك من مأمولك هذا الرجل الذي رسول الله من نفره (من قومه)؟

فَاسْأَلْ عَنْ نَوْوٍ تُؤَمِّلُهُ، حَسْبُكَ الْعَبَّاسُ مِنْ مَطَرِهِ

اسل (انس) النوء (المطر) الذي تؤمله (تنتظره)، وكفى بالعباس مطراً

تَتَأَيَّا الطَّيِيرُ غُدُوَّتَهُ، ثِقَّةً بِالشَّبْعِ مِنْ جَزَرِهِ

تتأيا (تقصد) الطيور غدوته (خروجه صباحاً للقتال) لأنها تثق بأن شتبع من جزره (قتلاه في الحرب)

٨٨ عند أطلال الساكرين .

وَدَارِ نَدَامَى عَطَلُوهَا، وَأَدْلَجُوهَا، بِهَا أَثَرُ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ

رب دار كان فيها ندامى وعطلوها (غادروها) وأدلجوا (انصرفوا ليلاً)، وبها أثر منهم ما زال جديداً، وأثر آخر قديم مهدم

مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الرِّقَاقِ عَلَى الثَّرَى، وَأَضْفَاثُ رِيحَانٍ جَنِيٍّ وَيَاسَسُ

مساحب: (ماذا تسمي آثار عجلات السيارة على الأسفلت بعد حفلة تفحيص،

تفحيط، تخميس، أحياها شبان فرحون بشبابهم؟) أبو نواس يسمي الآثار التي

يتركها سحب زقاق الخمر على الأرض المتربة «مساحب». وكان زق الخمر - كما

وصفه الأعشى قبل مئة سنة - كبيراً مثل الجوالق ذي المئة كيلوغرام اليوم،

«جوالق الخط الأحمر»، وكانت الخمر تنقل بمثل هذه الأوعية المطلية من الخارج

بالزفت، «القار». وقد تحمل الخمر من فلسطين إلى الشام على ظهور الإبل في

هذه الزقاق كما يخبرنا الأخطل. لنعدل عن هذا السانح ولنعد إلى تفسير البيت:

فأثار القوم كانت مساحب على التراب، وأضفاث (باقات) ريحان جني

(حديث الجني/ القطف) ويابس

ولم أَدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ بِهِ ، بِشَرْقِي سَابَاطُ ، الدِّيَارُ الْبَسَاسُ
لم أعرف شيئاً عن الذين كانوا هنا قبلنا سوى ما شهدت عليهم به - شرقي ساباط (مكان قرب
إيوان كسرى) - الديار البساس (المهجورة)

حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فَجَدَّدْتُ عَهْدَهُمْ وَإِنِّي عَلَى أُمَثَالِ تِلْكَ لَحَاسِ
أوقفت صحتي بهذا المكان لكي نجدد عهد أولئك الندامي الذين هجروه

أَقْمْنَا بِهَا يَوْمًا ، وَيَوْمًا ، وَثَالِثًا ، وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَحُّلِ خَامِسُ
أقمنا أربعة أيام ، وفي الخامس رحلنا
أحسبه أقام مع صحبه ساعتين شربوا فيهما من باطية كانت معهم ثم انصرفوا ، ولكن القافية
(خامس) جعلته يحبس صحبه خمسة أيام

تَدُورُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ ، حَبَّتْهَا بِالْوَانِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ
تدور علينا الخمر في كؤوس عسجدية (مذهبة) ، حبتها حضارة فارس بأنواع من الرسوم والنقوش
قَرَارَتْهَا كِسْرَى ، وَفِي جَنَابَاتِهَا مَهَا تَدْرِيهَا بِالقِسِيِّ الْفَوَارِسُ
ففي الجزء الأسفل من الكؤوس صورة لكسرى ، وفي الجوانب صور للمها (بقر الوحش) تدريها
(تصيدها بالتخفي) الفرسان بالقسي (الأقواس)

فَلِلْخَمْرِ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جِيُوثُهُمْ ، وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ
وفي هذه الكؤوس تصب الخمر حتى الأزوار عند أعناق الفرسان ، ويصب الماء حتى القلانس
(أغطية الرأس). كان الجاحظ - معاصر أبي نواس - شديد الافتان بهذه الأبيات

٨٩ إصلاحه خلقه من جديد

بهجو العباس الخزاعي :

قُلْ لِبَنِي الْأَشْعَثِ لَنْ تُصْلِحُوا ، بِاللُّومِ ، عِنْدِي ، أَمَرَ عَبَاسٍ
حتى تردوهُ إِلَى رَبِّهِ يَطْبَعُهُ خَلْقًا مِنَ الرَّاسِ
اللُّومُ عَبَاسًا عَلَى بُخْلِهِ ، كَأَنَّ عَبَاسًا مِنَ النَّاسِ
وَأَنَّمَا الْعَبَاسُ فِي قَوْمِهِ ، كَالثُّومِ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْآسِ

٩٠ ذل المفلس

الْحَمْدُ لِلَّهِ ! أَلَمْ تَنْهَنِي تَجْرِبَةُ النَّاسِ عَنِ النَّاسِ ؟
فَأَمْنَعَ النَّفْسَ هَوَاهَا ، فَقَدْ أَذَلَّنِي لِلنَّاسِ إِفْلَاسِي
ألم يحزن الوقت لأمنع نفسي من طيعتها في بذل المال

سَكَتٌ لِلدَّهْرِ وَأَحْدَاثِهِ ، حَتَّى خَرَى النَّاسُ عَلَى رَاسِي

٩١ ما شَمَطْتُ يَدِي

وَإِذَا عَدَدْتُ سِنِّي كَمْ هِيَ ، لَمْ أَجِدْ لِلشَّيْبِ عُذْرًا فِي النُّزُولِ بِرَاسِي
قَالُوا شَمَطْتُ ، فَقُلْتُ مَا شَمَطْتُ يَدِي عَنْ أَنْ تَحُكَّ إِلَى فَمِي بِالكَاسِ
شَمَطْتُ : أَصْبَحْتُ أَشْمَطَ يَخْتَلَطُ بِيَاضُ شَعْرِكَ بِسَوَادِهِ

فَالرَّاحُ طَيِّبَةٌ ، وَلَيْسَ تَمَامُهَا إِلَّا بِطَيِّبِ خَلَائِقِ الْجُلَاسِ
فَإِذَا نَزَعْتَ عَنِ الْغَوَايَةِ فَلْيَكُنْ لِّلْهِ ذَاكَ النَّزْعُ لَا لِلنَّاسِ

٩٢ اجلس ، لا جلست !

قال أبو نواس (من كتاب حمزة الأصفهاني ، بتحقيق إيفالد فاغنز) :

قُلْ لِمَنْ يَبْكِي عَلَى رِسْمِ دَرَسٍ وَاقِفًا ، مَا ضَرَّ لَوْ كَانَ جَلَسَ
تَصِفُ الرَّبْعَ وَمَنْ حَلَّ بِهِ مِثْلَ سَلَمَى وَلُبَيْنَى وَخَنَسَ
أَتْرُكُ الرَّبْعَ وَسَلَمَى جَانِبًا وَاصْطَبَحَ كَرِخِيَّةً مِثْلَ الْقَبَسِ
كَرِخِيَّةٌ : خمر من الكرخ ببغداد

٩٣ الجوعى بخلاً

أَمَاتَ اللَّهُ مِنْ جَوْعٍ رُقَاشًا ، فَلَوْلَا الْجَوْعُ مَا مَاتَتْ رُقَاشُ
يَدْعُو عَلَيْهِم بِالْمَوْتِ جَوْعًا ، فَهُمْ قَوْمٌ لَا يَمُوتُونَ بِحَرْبٍ لَجْنَهُمْ
وَلَوْ أَشْمَمْتَ مَوْتَاهُمْ رَغِيْفًا ، وَقَدْ سَكَنُوا الْقُبُورَ ، إِذِنْ لَعَاشُوا
وَمَعَ ذَلِكَ ، لَوْ مَاتُوا ، لَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ إِذَا شَمُوا رَغِيْفًا

٩٤ هجاء البرامكة

إِنِّي لَوْلَا شِقَاءُ جَدِّي مَا مَاتَ مُوسَى كَذَا سَرِيعًا
لَوْلَا شِقَاءُ حَظِي لَمَا مَاتَ مُوسَى الْهَادِي (الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِي الرَّابِعُ ، وَكَانَتْ خِلَافَتُهُ سَنَةً وَثَلَاثَةً
أَشْهُرًا ، وَكَانَ مَبْغُضًا لِلْبِرَامِكَةِ وَسَجَنَ يَحْيَى الْبِرْمَكِي زَمَنًا)
وَلَا طَوَّئْتُهُ الْمَمْنُونُ حَتَّى أَرَى بَنِي بَرْمَكٍ جَمِيعًا ..

قَدْ دَسَمَ اللَّهُ مِنْ خُصَاہُمْ بِشَاطِئِي دِجْلَةَ الْجُدُوعَا
 لیت المنون (الموت) لم يأخذ موسى إلا وقد خصى البرامكة جميعاً وجعل خصاهم سداً لجذوع
 النخيل على شاطئي دجلة. شرح قهوجي: صلبهم في الجذوع وتذلت خصاهم على هذه الجذوع
 تدممها (تلتطمحها)

هَذَا زَمَانُ الْقُرُودِ، فَاخْضَعْ، وَكُنْ، لَهُمْ، سَامِعاً مَطِيعاً

٩٥ المكاس ضراعة

أَعَاذَلْ! مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ لَذَّةٍ، وَلَا قَلْتُ لِلْخَمَارِ كَيْفَ تَبِيعُ؟
 أَسَامِحْهُ، إِنَّ الْمِكَّاسَ ضَرَاعَةٌ، وَيَرْحُلُ عِرْضِي عَنْهُ وَهُوَ جَمِيعُ
 المكاس: الفصال وطلب الحطيطة من الثمن، ضراعة: ذل، جميع: غير مدنس

٩٦ رثاء خَلَفَ وَهُوَ حَيٌّ

قال أبو نواس يرثي أستاذه خلفاً الأحمر، وهو حي. قال له خلف: ارثني، فرثاه
 أبو نواس بهذه الأرجوزة، فاستجادهما خلف. قال له أبو نواس: مُتْ، ولك خير منها.
 قال خلف: كأنك قصرت؟ قال أبو نواس: لا، ولكن أين داعي الحزن؟:

أَوْدَى جِمْاعُ الْعِلْمِ مُذْ أَوْدَى خَلَفَ
 مَنْ لَا يُعَدُّ الْعِلْمُ إِلَّا مَا عَرَفَ
 قَلَيْدَمٌ مِنَ الْعِيَالِيمِ الْخُسُفِ

قليدَم: بئر، العياليَم: الآبار الصخرية الغزيرة، الخسف: العميقة.
 والقليدَم عند ابن فارس قلهدم لا غير

فَكُلَّمَا نَشَأَ مِنْهُ نَعُتْرِفُ
 رِوَايَةً لَا تُجَنِّئُنِي مِنَ الصُّحُفِ

٩٧ انتظر حتى أشكرك

يمدح العباس بن عبد الله الهاشمي:

قَدْ قَلْتُ لِلْعَبَّاسِ مَعْتَذِراً، مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ، وَمُعْتَرِفاً:
 أَنْتَ امْرُؤٌ جَلَّلْتَنِي نِعَمًا، أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا
 لَا تُسَدِّدَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً، حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

٩٨ الرغيف عند رفاء الثياب

قال أبو نواس يهجو إسماعيل بن نوبخت:

حُبِرَ إسماعيلُ كالوَشِّ - حي إذا ما انشَقَّ يُرْفَا
الوشي: النسيج الفاخر، يرفا: يخط بقطب مخفية

عَجِباً مَنْ أَثَرِ الصَّنْ - عة فيه كيف يخفى
إِنَّ رَفَاءَكَ هَذَا، أَحَذُّ الأُمَّةِ كَمَّا
فإذا قَابَلَ بالنُّص - ف من الجَرْدَقِ نَصفا
الجرّدق: الرغيف

يُلصِقُ النصفَ بنصفٍ، فإذا قد صارَ إلفاً
إلف: متكافئ متماسك

أَلْطَفَ الصَّنْعَةَ، حَتَّى لَا تَرَى مِغْرَرَ إِشْفَى
إشفى: مخرز

مِثْلَمَا جَاءَ مِنَ التَّنْ - ور ما عَادَرَ حَرْفَا
ولهُ فِي المَاءِ أَيْضاً عَمَلٌ أَبْدَعُ ظَرْفَا
مَرْجُهُ العَذَبَ بِمَاءِ ال - بئرٍ كني يَزْدَادُ ضِعْفَا
أبو نواس بصري النشأة، ولأهل البصرة مع الماء العذب والماء الملح قصص كثيرة رواها الجاحظ
ابن البصرة ومعاصر أبي نواس. أليس في البصرة قد مرج الله البحرين يلتقيان؟

فَهُوَ لَا يَسْقِيكَ مِنْهُ، مِثْلَمَا يَشْرَبُ، صِرْفَا

٩٩ رحي السرور

وَرَحِيمُ الدَّلَالِ كَادَ مِنَ الرَّقْ - ة يُدْمِي أَدِيمَهُ وَقَعُ ظَرْفِ
هذا الصبي رخيّم الدلال (لين الثني)، كاد لرقته يجرح أديمه (جلده) وقع الطرف (النظرة)
حَلَّ مِنْهُ الصَّلِيبُ فِي مَوْضِعِ الجِي - د، فَقَدْ خَصَّهُ عَلَى كُلِّ إِلْفِ
إلف: صديق

فَأَدْرَنَّا رَحَى السُّرُورِ ثَلَاثاً، وَوَصَلْنَا الْخُصُورَ كَفّاً بِكَفٍّ
كان أبو نواس يغشى الخمارات الملحقة بالأديرة، ويمكث ثم أياماً مع عصابة الفساق

١٠٠ الخمر في الرمق الأخير

وَمُدَامَةً تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا، جَلَّتْ مَآثِرُهَا عَنِ الْوَصْفِ
 قَدْ عُنُقْتُ فِي دَنْهَا حَقَبًا، حَتَّى إِذَا آلَتْ إِلَى النُّصْفِ
 سَلَبُوا قِنَاعَ الطِّينِ عَنْ رَمَقٍ حَيِّ الْحَيَاةِ، مُشَارِفِ الْحَتَفِ

١٠١ يا ابن الموتى!

أَخِي، مَا بَالُ قَلْبِكَ لَيْسَ يَنْقَى؟ كَأَنَّكَ لَا تَنْظُرُ الْمَوْتَ حَقًّا
 أَلَا يَا ابْنَ الَّذِينَ فَنُوا وَبَادُوا، أَمَا وَاللَّهِ، مَا بَادُوا لِيَتَبَقَى
 وَمَا لَكَ، فَاعْلَمْ، فِيهَا مُقَامٌ إِذَا اسْتَحْكَمْتَ أَجَالًا وَرِزْقًا
 وَمَا لَكَ غَيْرَ مَا قَدَّمْتَ زَادٌ إِذَا جَعَلْتَ إِلَى اللَّهَوَاتِ تَرْقَى
 لَا زَادَ لَكَ إِلَّا مَا قَدِمْتَ مِنْ تَقْوَى إِذَا بَدَأَتْ رُوحُكَ تَرْقَى (تصعد) إِلَى اللَّهَوَاتِ (الحلق)
 وَمَا أَحَدٌ يَزَادُكَ مِنْكَ أَحْظَى وَمَا أَحَدٌ يَذْنِبُكَ مِنْكَ أَشَقَى

١٠٢ القلب الطائر

أَيَا مَنْ سَارَ مِنْطَلِقًا، وَزَوَّدَ مَقْلَتِي الْأَرْفَا
 سَلَبْتُ الظَّبْيَ مَقْلَتَهُ وَلَمْ تَتْرَكْ لَهُ الْعُنُقَا
 أَيُّ أَنْ عَيْنَكَ كَعَيْنِ الظَّبْيِ وَعُنُقَكَ كَعُنُقِهِ

وَقَالُوا مَنْ عَشِقْتُ؟ فَقُلْ خَيْرٌ وَشَرٌّ مِنْ عَشِقَا
 فَخَيْرُهُمْ مَعًا خَلَقَا، وَشَرُّهُمْ مَعًا خُلِقَا
 تَضَمَّنْ بِالْعَبِيرِ قَمِيءٌ ضُهُ حَتَّى اشْتَكَى الْعَرَقَا
 وَسَالَتْ مِنْ عَقِيصَتِهِ، سَلَابِلُ كُسْرَتِ خَلَقَا

عقيصته: ضفيرته

عَلَى بَشَرٍ كَأَنَّ الدَّرَّ - يَغْلُوهُ إِذَا عَرِقَا

بشر: بشرة/ ظاهر الجلد

فَلَوْ أَبْصَرْتَهُ لَخَرَزَ تَ عِنْدَ دُنُوِّهِ صَعِقَا
 مِنَ الْآيَةِ: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا. وَمِنْ الدُّوِّ بَيْتُ الْقَائِلِ الشَّاعِرِ:

لو صادف نوحٌ دمع عيني غرقاً أو جرب لوعتي الخليل احترقاً
أو حملت الجبال ما أحمله صارت دكا وخر موسى صعقاً
وهذه أبيات كثيرة يغنونها بادئين بـ «يا غصن نقا مكللاً بالذهب»، غناها القدماء على الهزام، إيقاع
آغر أقصاق التركي المعدل (٥ على ٤) وغناها بنو زمانتا على إيقاع السكين السماعي (٦ على ٤)
فأخذوا بذلك نفساً

١٠٣ يتعاطون الناس

رَكِبَ تَسَاقَوْا عَلَى الْأَكْوَارِ بَيْنَهُمْ كَأْسَ الْكَرَى، فَانْتَشَى الْمَسْقِيُّ وَالسَّاقِي
ركب (قوم مسافرون) تساقوا (سقى بعضهم بعضاً) على الأكوار (على سروج الإبل) كأس الناس،
فانتشوا جميعاً ونعسوا لطول السفر الليلي

كَأَنَّ أَرْؤُسَهُمْ، وَالنَّوْمُ وَاضِعُهَا عَلَى الْمَنَاكِيبِ، لَمْ تُوصَلْ بِأَعْنَاقِ
وضع النوم رؤوسهم على أكتافهم فكانهم بلا أعناق ترفعها
خَاضُوا إِلَيْكُمْ بِحَارِ اللَّيْلِ، آوَنَةً، حَتَّى أَنَاخُوا إِلَيْكُمْ فَلَّ أَشْوَاقِ
.. وصلوا عندهم وأناخوا إليهم فل أشواق (مهزومين من شدة شوقهم)

وَالْحُسْنُ مِنْكَ يَطُوفُ الْعَاشِقُونَ بِهِ، فَأَنْتَ مُوسِمٌ رُؤَادٍ وَعُشَّاقِ

١٠٤ الطباخ ابن الذوات

قال في رجلٍ اسمه حمران، اضطرته ظروفه إلى تولي مطبخ الصقر بن الصفاق:
ذَاكَ أَمِيرٌ جَلَّ سُلْطَانُهُ فِي مَطْبَخِ الصَّقْرِ بْنِ صَفَّاقِ
فَلَوْ تَرَاهُ وَهُوَ فِي قُرْطُقِي، مُشْمِراً فِيهِ عَنِ السَّاقِ
قرطوق: من ملابس الغلمان

تَسْمَعُ لِلْمِخْوَرِ فِي كَفِّهِ مَا شَتَّ مِنْ طَاقٍ وَطَرُطَاقِ
المخور: الشوبك الذي به يُرْقُ المعجين

إِنْ رَأَيْتَهُ، مِنْ نَارِهِ، رَائِبٌ، أَوْ نَالَ مِنْهَا عَيْنُهُ فَاقِي
إذا أحس بشك في النار وكانت غير معتدلة الاشتعال، لها شرر يقق العين لعدم استواء الحطب

بِأَشْرَهَا بِأَلْحَرِّ مِنْ وَجْهِهِ، لَيْسَ لَهُ، مِنْ دُونِهَا، وَاقِ
يبشرها بصفحة وجهه يعالجها

أَبْعَدَ سِرْبَالٍ أَمْرِي عَالِمٍ ، أَضْبَحْتَ فِي سِرْبَالٍ مَرَّاقٍ؟
سربال: ثوب، مرق: طباخ يعالج المرق

وَبَعْدَ سَعْيٍ لَأَكْتَسَابِ الْعُلَى ، تَغْدُو عَلَى زَنْدٍ وَحُرَّاقٍ
زند: عود الحك لإشعال النار، الحراق: القش الذي هو بدء الاشتعال

حَاسِرَ كُمِّكَ عَلَى هَاوِنٍ لِدَقِّ ثُومٍ أَوْ لِسُمِّاقٍ؟
الهاون: المهراس، السماق: من الأبار

إِذَا انْتَهَى الْقَوْمُ إِلَى شُبُعِهِمْ فَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنَ الْبَاقِي
تأكل ما يفضل بعد أكلهم

١٠٥ الغلامية

قال أبو نواس في جارية اسمها معشوق:

غُلامٌ، وَإِلَّا فَالْغُلامُ شَبِيهٌهَا ، وَرِيحَانُ دُنْيَا، لَذَّةٌ لِلْمُعَانِقِ
تَجَمَّعَ فِيهَا الشُّكْلُ وَالزِّيُّ كُلُّهُ ، فَلَيْسَ يُوقِي وَصْفَهَا قَوْلُ نَاطِقٍ
فِطَانَةُ زَنْدِيٍّ، وَلَخِظَةُ قَيْنَةٍ ، بِعَيْنِ الَّذِي تَهْوَى، وَمُنْيَةُ عَاشِقٍ
وَتَقْطِيبُ سِجْنِيٍّ، وَتَكْرِيبُ شَاطِرٍ ، وَنَظَرَةُ جَنْيٍّ، وَزِيٌّ مُنَافِقٍ
سجني: سجان، التكريه: إهمال اللباس، شاطر: لص

١٠٦ الاختناق الحق

يَا عَمْرُو مَنْ لَمْ يَخْتَنِقْ بِالْبَيْنِ لَمْ يَخْتَنِقْ
يَا عَمْرُو، لَا لَاقِيَتْ مَا لَاقَيْتُ فِي مُنْطَلَقِي
مَا سَرْتُ مَذْجَاوَزْتُ مَبْ لَأَ دَارَ ذَاكَ الْخَرَقِ
الخرق: الكذب

إِلَّا وَدَاعِي حُبِّهِ يَثْنِي إِلَيْهِ عُتْقِي

١٠٧ النطف الخائفة

قال يمدح هارون الرشيد:

لَقَدْ اتَّقَيْتَ اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَجَهَدْتَ نَفْسَكَ فَوْقَ جَهْدِ الْمُتَّقِي

وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ التُّطْفُ الْتِي لَمْ تُخْلَقِ
وَبِضَاعَةِ الشُّعْرَاءِ إِنْ نَقَّطَتْهَا نَفَقْتُ، وَإِنْ أَكْسَدَتْهَا لَمْ تَنْفُقِ

١٠٨ معاكسة

يَا أَيُّهَا الْمُبْطِلُونَ مِعْذِرَتِي أَرَأَيْتُمْ اللَّهَ وَجَهَ تَصْدِيقِي...
... يَا مَنْ تَرْضَوْنَ عَذْرِي... أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَرْيَكُم صَدْقِي...

نَمَّ بِمَا كُنْتُ لَا أَبُوحُ بِهِ عَلَى لِسَانٍ، بِالْدمْعِ مِنْطِيقِ
لَقَدْ نَمَّ صَدْقِي بِسَرِي عَلَى لِسَانٍ فَصِيحٍ مَادَتْهُ الدَّمْعُ لَا الْكَلَامِ.
أَيَّ أَنْ دَمَعَهُ قَامَ مَقَامَ لِسَانِهِ فِي بَيَانِ عَذْرِهِ

شَوْقاً إِلَى حَسَنِ صُورَةِ ظَفِيرْتِ، مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَانِ، بِالرَّيْقِ
أَبْكِي شَوْقاً إِلَى وَجْهِ حَسَنِ، أَخَذَ صَاحِبَةُ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَانِ (نَيْعُ الْجَنَّةِ) رَيْقَهُ

وَصَيَّفُ كَأْسٍ، مُحَدَّثٌ، وَلَهَا نَيْبُهُ مُغْنٍ، وَظَرْفُ زَنْدِيقِ
هَذِهِ الْفَتَاةُ سَاقِيَةٌ، وَمُحَدَّثَةٌ لِبَقَّةٍ، وَلَهَا تَيْهٌ (تَكْبَرٌ) مُغْنٍ وَظَرْفُ زَنْدِيقِ

وَرَدُّفُهَا كَالْكَثِيبِ، نَيْطٌ إِلَى خَضِرِ رَقِيقِ اللَّحَاءِ، مَمْشُوقِ
رَدَفُهَا كَكَثِيبِ الرَّمْلِ، وَهُوَ مُوَصُولٌ بِخَضِرِ رَقِيقِ اللَّحَاءِ (قَلِيلُ الشَّحْمِ)

أَمْسِي إِلَى جَنْبِهَا أَزَاجُهَا عَمْدًا، وَمَا بِالطَّرِيقِ مِنْ ضَبِيقِ

١٠٩ عدو في ثياب صديق

أَيَا رَبِّ وَجْهِ، فِي التَّرَابِ، عَتِيقِ وَيَا رَبَّ حَسَنِ، فِي التَّرَابِ، رَقِيقِ
عتيق: جميل

أَرَى كُلَّ حَيٍّ هَالِكاً وَابْنَ هَالِكٍ، وَذَا نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ، عَرِيقِ
فَقُلْ لِقَرِيبِ الدَّارِ إِنَّكَ ظَاعِنٌ إِلَى مَنْزِلِ نَائِي الْمَحَلِّ سَحِيقِ
سحيق: بعيد

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لِبَيْتٍ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

١١٠ عشق النصراني

عُلِّقْتُ مِنْ شِقْوَتِي وَمِنْ نَكْدِي مُزَنَّرًا، وَالصَّلِيبُ فِي عُنُقِهِ
مزنراً: متخذاً زناراً، فَهُوَ نَصْرَانِي

فقلتُ: من أنت؟ بالمسيح وبالـ
وبالصَّليبِ الذي تدينُ له،
إنجيلِ سَطَّرْتُهُ على وَرَقَةٍ
فقالَ: بدرُ السماءِ في أَفْقِهِ

١١١ لعلَّك!

كنْ معَ اللَّهِ يَكُنْ لَكَ واثقِ اللَّهَ لَعَلَّكَ..
أي لعلك تنجو

لا تَكُنْ إِلَّا مُعِدًّا لِمُنَايَا فَكَأَنَّكَ..
أي فكأنك قد لقيت الموت

١١٢ أحقاً أنك رحلت؟

أَحَقًّا مِنْكَ أَنَّكَ لَنْ تَرَانِي، على حالٍ، وَأَنْي لَنْ أَرَاكَ
وَأَنَّكَ غَائِبٌ فِي قَعْرِ لَحْدٍ، وما قد كُنْتَ تَعْلُوهُ عَلاكَ
فلا ضَحِكْتُ، وقد عُيِّبْتُ، سِنِّي، ولا رَقَأْتُ مَدَامِيعَ مَنْ سَلَكَ
رَقَات: جَفَّتْ

١١٣ عين الرضا*

فَدَيْتُكَ قَدْ جُبِلْتُ عَلَى هَوَاكَ، فَنَفْسِي لَا تُنَازِعُنِي سِوَاكَ
فَلَيْتَ النَّاسَ أَعْمُوا عَنْكَ، غَيْرِي، فَاَمَنْ أَنْ يَرَوْكَ كَمَا أَرَاكَ
وَيَسْمُجُ مِنْ سِوَاكَ الشَّيْءُ عِنْدِي، فَتَفْعَلُهُ، فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ
*العنوان لقهوجي

١١٤ لن أهجوك.. لو تموت

قال بهجو الفضل الرقاشي:

قُلْ لِلرُّقَاشِيِّ، إِذَا جَشْتَهُ، لَوْ مُتَّ، يَا أَحْمَقُ، لَمْ أَهْجُكَ
لَأَنْسِي أَكْرِمَ عِرْضِي، وَلَا أَقْرِنُهُ يَوْمًا إِلَى عِرْضِكَ
إِنْ تَهْجُنِي تَهْجُ فَتَيَّ مَا جِدَّا، لَا يَرْفَعُ الطَّرْفَ إِلَى مِثْلِكَ
دُونَكَ عِرْضِي، فَاهْجُهُ رَاشِدًا، لَا تَذْنُسُ الْأَعْرَاضُ مِنْ هَجُوكَ

وَاللَّهِ، لَوْ كُنْتُ جَرِيرًا لَمَّا كُنْتُ بِأَهْجَى لَكَ مِنْ أَضْلِكَ

١١٥ عبوس البخيل

رَأَيْتُ الْفَضْلَ مَكْتُئِبًا يِنَاغِي الْخُبْزَ وَالسَّمَكَ

يناعي: يكاغي، كما يكاغي المرأة الوليد

فَقَطَّبَ حِينَ أَبْصَرَنِي، وَتَكَّسَ رَأْسَهُ، وَبَكَى

فَلَمَّا أَنْ حَلَفْتُ لَهُ بِأَنِّي صَائِمٌ ضَحِكَ

١١٦ كيمياء العشق

سمع أبو نواس من غلام كان يتعشقه كلاماً قاسياً فيه زجر وتأنيب فخطب نفسه

قائلاً:

عَجَزْتُ يَا مَهْجُورُ أَنْ تَذْهَلَ وَمِنْ ذَوِي نُضْحِكَ أَنْ تُقْبَلَ

يا من هجرك الحبيب قد عجزت عن أن تذهل (تسي)، وأن تقبل النصح

سَجِيَّةٌ لَسْتَ لَهَا تَارِكًا، إِذَا تَوَلَّوْا عَنْكَ أَنْ تُقْبَلَ

عادة لا تقلع عنها وهي أن ينصرف المحبون عنك ولكنك تبقى مقبلاً عليهم

وَتَذْرِفُ الْعَيْنُ، إِذَا مَا نَأَوَا، وَإِنْ أَسَاءُوا، الدَّهْرَ، أَنْ تُجْمَلَ

تبكي على بعدهم. وإن أساءوا لك طول الدهر فانت تجمل (تُحسن) لهم

إِنِّي، وَإِنْ لَمْ أَكُ مُسْتَحْسِنًا مِنِّي لَذَا الْهَجْرِ، وَمُسْتَجْمَلًا

أنا - مع أنني لا أستحسن مقابلي هجر الحبيب بهجر، ولا أراه لائقاً ...

فَالْمَوْتُ أَنْ يُزْرَى عَلَى عَاشِقِي، يَقَالُ قَدْ كَانَ، وَلَكِنْ سَلَا

أرى الموت أسهل من أن يعاب علي بالقول إن هذا عاشق سابق، وقد سلا (نسي) الآن معشوقه

١١٧ حلو على علاقته

يَا مَنْ تَمَرَّةٌ عُمْدًا فَكَانَ لِلْعَيْنِ أَمْلًا

تمره: لم يحتل، أصبح أجمل ويملاً العين أكثر

وَفِي الشُّمُوءَةِ أَرَبَى، فَكَانَ أَحْلَى، وَأَحْلَى!

وزاد في الشعوثة (ترك الهندام) فكان أحلى في العين

أردت أن تزدريك الـ مـيـون هـيـهات، كـلاً
 تركت جسمي عليلاً، من القليل أقللاً
 يكاد لا يتجزأ، أقل في اللفظ من «لا»

نحل جسمي حتى صار مثل الذرة التي لا تتجزأ (وكان وصل إلى العباسيين من علم اليونان هذه الفكرة بأن الشيء يصل في نقطة معينة إلى جسيم لا يمكن تجزئته. وتُطيف بي فكرة تلخُّ علي إلحاحاً شديداً ملخصها: مثلما أن الكون واسع ويمكننا، بكثير من الصعوبة، أن نتخيله لانهائياً - ذلك أننا لا نفهم اللانهائي أبداً، فمفهوم اللانهائي غير موجود في أي شيء نعرفه - فكذلك ثمة لانهائية في الصفر، ولا حاجة للوقوف عند حد في تجزئة المادة إلا لغرض وظيفي. الفكرة موجودة في الرياضيات وفي الفلسفة، ولكن علماء الفيزياء يحبون التوقف في التجزئة في المحطات التي تخدم فرضياتهم. وقفوا طويلاً عند البروتون والنيوترون والإلكترون، ومنذ حين أخذوا يحطمون هذا ويضيفون إليه «دقائق» كثيرة أوصلها بيل برايسون إلى ١٥٠ جسيماً جديداً افترضوا وجودها داخل الذرة)

١١٨ كلم أخاك

كتب أبو نواس من سجنه لأخي كاتب الفضل بن الربيع مستشفعاً:

حَيِّ الدِّيارَ وأهلها أهلاً واربع، وقلْ لِمُفْنِدٍ مهلاً
 اربع: أقم، المفند: العاذل

حُبُّ المدامَةِ، مُذْ لَهَجْتُ بِهَا، لم يُبْقِ فَيٍّ، لِغَيْرِهَا، فَضْلاً
 إِنِّي نَدَبْتُ لِحَاجَتِي رَجُلًا صَافِي السَّماحَةِ، واحْتَوَى الثُّبْلاً
 كَلَّمْ أَخَاكَ يُكَلِّمُ الْفَضْلاً وَلِيَبْلُغْنِي حَسَنًا كَمَا أَبْلَى
 ليلني: ليخبرني

إِنِّي وَصَلْتُ بِكَ الرَّجاءَ عَلَى بُعْدِ المَدَى، إِذْ كُنْتَ لِي أَهْلاً
 وَإِذَا وَصَلْتَ بِعَاقِلٍ أَمَلًا كَانَتْ نَتِيجَةُ قَوْلِكَ الْفِعْلاً

١١٩ نسير نحوه

إِنَّ الَّذِي رَدَّ الشَّبَابَ كُهولاً لا أَمَلًا يُبْقِي ولا مَأْمولاً

١٢٠ لا مثيل له

ما لِي فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ مَثَلُ مائِي عُقَّارٍ، وَنُقْلِي الْقُبُلِ
 مائي عقار (خمر)، ونقلي (مازتي) ما أتلى به على الشراب) القبلات

دَائِي، حتى إذا العيونُ هَدَتْ، وَحَانَ نَوْمِي فَمَفْرَشِي كَفَلُ
هذا هو دايي (عادتي)، فإذا نام الناس وهدأت عيونهم وحان نومي فأنا أقرش كفل الحبيب

١٢١ تصبّب وأنت ساكت

إِنِّي وَذِكْرِي مِنْ «حُسْنٍ» مُحَاسِنَهَا، مَثَلُ الَّذِي قَالَ: مَا أَخْلَاكَ يَا عَسَلُ!
أَحَدْتُ النَّاسَ أَنِّي قَدْ وَقَعْتُ لَهُمْ مِنْ وَجْهِ «حُسْنٍ» عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي جَهِلُوا
قَدْ اكْتَفَى النَّاسُ مِنْ عِلْمِي بِعِلْمِهِمْ، فَالَرُّدُ مِنِّي عَلَيْهِمْ عَلِمَهُمْ ثِقَلُ
لا تفضّل جمالها للناس فهذا ثقل (ثقل دم)، فكلهم رأها وأدرك محاسنها

١٢٢ حجاباً مبروراً وسعياً مشكوراً

لَمْ يُنْسِنِي السَّعْيُ وَالطَّوْافُ وَلَا الدَّ - أَعُونَ لَمَّا ابْتَهَلْتُ وَابْتَهَلُوا
قَضِيبَ بَانٍ إِنْ قَامَ يَنْخَزِلُ، وَإِنْ تَوَلَّى فَكُلُّهُ كَفَلُ
ينخزل: ينقطع

نَخَالُ خَدْيِهِ لَأَحْمَرِإِرِهِمَا يُفْتَحُ الْوَرْدَ فِيهِمَا الْخَجَلُ

١٢٣ لِصِّي الْمَفْضِل

نَجَوْتُ مِنَ اللَّصِّ الْمُغِيرِ بَسِيفِهِ، إِذَا مَا رَمَاهُ بِالتَّجَارِ سَبِيلُ
نجوت من قاطع الطريق إذا ما رماه الطريق (صادف) بالتجار

وَسَلَّطْتُ خَمَّاراً عَلَيَّ بِكَأْسِهِ، فَرَاخَ بِأَسْلَابِي، وَرُحْتُ أَمِيلُ
وسلّطت عليّ صاحب الخمارة فذهب بأسلابي (ملايسي) وتمايلت سكرأ

١٢٤ العنيفة

لَا تُعَرِّجْ بِدَارِسِ الْأَطْلَالِ وَاسْقِنِيهَا رَقِيقَةَ السُّرْبَالِ
رقيقة السربال: رقيقة الثوب، أي أن الخمر شفاقة مركزة

مَاتَ أَرْبَابُهَا، وَبَادَتْ قُرَاهَا، وَبَرَّاهَا الزَّمَانُ بَرِّي الْخِلَالِ
الخلال: المساويك، ويضرب بها المثل في الدقة بعد بريها

عُتِقَتْ فِي الدَّنَانِ حَتَّى اسْتَفَادَتْ نُورَ شَمْسِ الضُّحَى، وَبَرَدَ الظَّلَالِ

١٢٥ زيارة خمارة ليلاً

أَمَالِكُ، بَاكِرِ الصَّهْبَاءِ، مَالٍ وَإِنْ عَالُوا بِهَا ثَمناً فَعَالٍ
مالٍ: ترخيم مالك

وَأَشْمَطُ، رَبِّ حَانُوتٍ، تَرَاهُ، لِنَفْخِ الزُّقِّ، مُسَوِّدَ السَّبَالِ
وصاحب حانوت (خمارة) أشمط (اختلط سواد شعره بيباض) تراه مسود الشاربين لكثرة نفخه في الزق. ويبدو أنهم كانوا ينفخون في زق الخمر المطلي بالقار لاستخراج بقية ما فيه من خمر دعوت، وقد تَحَوَّنُهُ نِعَاسٌ، فَوَسَّدَهُ بِرَاحَتِهِ الشَّمَالِ
أنته وقد تخونه (أخذ) النعاس فجعل هذا النعاس راحته اليسرى وسادة لرأسه

فَقَامَ لِدَعْوَتِي فَزِعاً مَرُوعاً، وَأَسْرَعَ نَحْوَ إِشْعَالِ الذُّبَالِ
الذبال: الفتيل

فَلَمَّا بَيَّنَّنِي النَّارُ حَيًّا تَحِيَّةً وَامِقٍ لَطْفِ السَّوَالِ
وامق: محب

وَأَفْرَحَ رُوعُهُ، وَأَفَادَ بَشْرًا، وَهَرَّهَرَ ضَاحِكًا جَذْلَانِ بَالٍ
أفرح روعه: هدأت مخاوفه، هرهر: قرقر وكركر كالقط مسروراً، جذلان البال: فرحان الخاطر يُلَايِمُنِي الْحَرَامُ، إِذَا اجْتَمَعْنَا وَأَجْفُو عَنْ مَلَاءَمَةِ الْحَلَالِ

١٢٦ في وصف طنجرة أخرى

وَدَهْمَاءُ تُثْفِيهَا رَقَاشُ، إِذَا شَتَّتْ، مُرَكَّبَةُ الْأَذَانِ، أُمُّ عِيَالٍ

رب قدر دهماء (سوداء) تملكها عائلة رقاش التي تثفيها (تضعها على الأثافي/ حجارة الموقد) عند الشتاء، والقدر ذات آذان وهي أم عيالهم التي تطعمهم

يَغْصُ بِحَيَزُومِ الْجَرَادَةِ صَدْرُهَا، وَيُنْضِجُ مَا فِيهَا اتِّقَادَ ذُبَالٍ

صدر هذه القدر يغص (يمتلئ) لو وضع فيها حيزوم (صدر) جراد، ويكفي لإنضاج ما فيها اتقاد ذبال (فتيل).. هذا لأنها قدر متناهية الصغر

وَتَغْلِي بِذِكْرِ النَّارِ مِنْ غَيْرِ حَرِّهَا، وَيُنْزِلُهَا الطَّاهِي بِغَيْرِ جِعَالٍ

لمجرد ذكر كلمة نار تغلي هذه القدر، وتنزلها الطاهي عن حجارة القدر بدون جعال (جرقة)

وَلَوْ جُنَّتْهَا مَلَأَى عَبِيْطاً مُجَزَّلاً، لِأَخْرَجَتْ مَا فِيهَا بِعُودٍ خِلَالِ

ولو جندتها ملأى بالعبيط المجزل (اللحم المقطع) لأخرجت محتوياتها على عود مسواك.

بيت مكرر مع تغيير كلمتين سنتظر بضعة عقود لنرى ابن الرومي يصنع العجائب

على هذه الطريقة الكاريكاتيرية

١٢٧ ادفنوني تحت أرجلهم

قال أبو نواس، وليس في نسخة الصولي التي عنها أخذ قهوجي:

خَلِيلِي بِاللَّهِ لَا تَحْفِرَا لِي الْقَبْرَ إِلَّا يَقْطُرُئِلِ
خِلَالَ الْمَعَاصِرِ بَيْنَ الْكُرُومِ وَلَا تُدْنِيَانِي مِنَ السُّنْبُلِ
يريد أن يدفن بين كروم العنب ومعاصره لا بين سنابل القمح
لَعَلِّي أَسْمَعُ فِي حُفْرَتِي إِذَا عُصِرَتْ ضَجَّةُ الْأَرْجُلِ
وكانوا يعصرون العنب بدوسه بالأقدام

١٢٨ فضيحة العاشق

من رواية حمزة الأصبهاني:

دَمْعَةٌ كَاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ بِي عَلَى الْخَدِّ الْأَسْبِلِ
قَطَرَتْ فِي سَاعَةِ الْبَيْدِ مِنْ مِّنَ الطَّرْفِ الْكَحْبِلِ
إِنَّمَا يُفْتَضِّحُ الْعَا شَقُّ فِي وَقْتِ الرَّحْبِلِ

١٢٩ تجميش مبتكر

أَزَاجُهُ إِذَا صَلَّى لَتَمَسَّحَ رِجْلَهُ رِجْلِي
وَأَطْلُبُ تَحْتَهُ نَعْلِي وَمَا إِنْ تَبَحَّثَهُ نَعْلِي
فَهَلْ أَبْصَرْتُمْ شَخْصاً يُجَمِّشُ هَكَذَا قَبْلِي؟
يجمش: يداعب بخشونة تشبه خشونة كلمة «تجميش»

١٣٠ طيش الشباب والشيخوخة

كَانَ الشَّبَابُ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ وَمُحَسِّنَ الضَّحِكَاتِ وَالْهَزْلِ
كان الشباب مركباً للجهل، وكان يجعل الهزل جميلاً

وَالْبَاعِثِي، وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا، حَتَّى أَكُونَ خَلِيفَةَ الْبَعْلِ
في الليل كان الشباب يبعثني (يحملني) على أن أكون خليفة البعل (أن أنوب عنه في سرير الزوجة)
وَالْأَمِيرِي، حَتَّى إِذَا عَزَمْتُ نَفْسِي أَعَانَ يَدِي بِالْفِعْلِ
يأمرني الشباب بالبعث، ويساعدني عليه عندما أقرر

فَالآنَ صِرْتُ إِلَى مَقَارِبَةٍ، وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ الصَّبَا رَحْلِي

مقاربة: تقارب الخطوات، كمشي الشيخ

وَالرَّاحُ أَهْوَاهَا، وَإِنْ رَزَأْتُ بُلُغَ الْمَعَاشِ، وَقَلَّتْ فَضْلِي
وأهوى الخمر حتى لو رزأت (خسفت) بلغ المعاش (بقايا المال)، وقللت فضلي (أضرت بسمعي)

صَفَرَاءُ، مَجَّدَهَا مَرَاذِبُهَا، جَلَّتْ عَنِ النَّظَرَاءِ وَالْمِثْلِ

المرازب: كبار قادة كسرى

فَاعْزِرْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرَنْتُ مَسَامِعُهُ عَلَى الْعَذْلِ

١٣١ خبز إسماعيل

عَلَى خُبْزِ إِسْمَاعِيلَ وَاقِيَةُ الْبُخْلِ فَقَدْ حَلَّ فِي دَارِ الْأَمَانِ مِنَ الْأَكْلِ

وما خبزُهُ إِلَّا كَأَوَى يُرَى ابْنُهُ، وَلَمْ يَرِ أَوَى فِي حُزُونٍ وَلَا سَهْلٍ

«ابن أوى» حيوان معروف وموجود، ولكن «أوى» - أباه - ليس في الوجود، ففي اللغة «ابن أوى» حيوان معروف، وليس في اللغة «أوى» بهذا المعنى

وما خبزُهُ إِلَّا كَعَنْقَاءٍ مُغْرِبٍ، تُصَوِّرُ فِي بُسْطِ الْمُلُوكِ، وَفِي الْمَثَلِ

نشهد عنقاء مغرب في بسط الملوك وفي المثل (القصص) لكنها خرافية

يَحْدُثُ عَنْهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، سَوَى صُورَةٍ مَا إِنْ تُمِرُّ وَلَا تُحْلِي

ما إن تمر ولا تحلي: لا نفع منها، ولا حقيقة لها

وما خبزُهُ إِلَّا كَكَلْبٍ بَنٍ وَائِلٍ، لِيَالِي يَحْمِي عِزَّهُ مَنِيتَ الْبَقْلِ

خبز هذا الرجل محمي كمنبت البقل (المرعى) الذي كان كلب يمنعه بعزه وجبروته فلا ينال منه أحد

وَإِذْ هُوَ لَا يَسْتَبُّ خَصْمَانِ عِنْدَهُ، وَلَا الصَّوْتُ مَرْفُوعٌ بِجِدٍّ وَلَا هَزَلٍ

كذا كانت هية كلب، فلم يكن ليجرؤ القوم على أن يتشاثموا في مجلسه

فَإِنْ خَبِزَ إِسْمَاعِيلَ حَلَّ بِهِ الَّذِي أَصَابَ كَلْبِيًّا لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ ذَلِكَ

وكان جساس قد قتل كلبياً

وَلَكِنْ قَضَاءٌ لَيْسَ يُسْتَطَاعُ رُدُّهُ بِحِيلَةٍ ذِي مَكْرٍ، وَلَا فِكْرٍ ذِي عَقْلِ

أي أن خبزه لو تعرض لبعض الأذى فمن قضاء وقدر، وليس لأن إسماعيل هذا قصر في رد الأيدي عنه

١٣٢ المذكرة

بَا رَبُّعٍ، شُغْلَكَ، إِنِّي عَنْكَ فِي شُغْلٍ لَا نَاقِيتِي فِيكَ، لَوْ تَدْرِي، وَلَا جَمَلِي
أَيُّهَا الرَّبْعُ الَّذِي فَارَقَهُ أَهْلُهُ الزَّمَّ شُغْلَكَ فَأَنَا عَنْكَ مَشْغُولٌ، وَلَيْسَ لِي فِيكَ نَاقَةٌ وَلَا جَمَلٌ
عَلَيَّ عَيْنٌ وَأُذُنٌ مِنْ مُذَكَّرَةٍ، مَوْصُولَةٌ بِهَوَى اللَّوْطِيِّ وَالْغَزَلِ
علي من يراقبني في هوى هذه الفتاة الغلامية ذات القد الذكوري، وهي موضع عشق اللوطي
والغزل (مغازل النساء)

١٣٣ الحرام والحلال

يَا رَبُّ صَاحِبِ حَانَةِ قَدِ رُعْتُهُ، فَبِعَشْتُهُ مِنْ نَوْمِهِ الْمَتَزَمِّلِ
رَبِّ خَمَّارِ أَخْفَتِهِ بَزِيَارَتِي اللَّيْلَةَ، فَقَامَ مِنْ نَوْمِهِ الَّذِي تَزَمَّلَ (تَلَفَّفَ) فِيهِ بِالْغَطَاءِ
عَرَفْتُ بَيَاتَ الطَّارِقِينَ كَلَابُهُ، فَيَبْتَغِي عَنْ سَنَنِ الطَّرِيقِ بِمَعَزِلِ
كَلَابِ هَذَا الْخَمَّارِ تَعْرِفُ عَادَةَ الطَّارِقِينَ (زَائِرِي اللَّيْلِ)، فَهِيَ تَنَامُ بِمَعَزِلٍ عَنْ سَنَنِ الطَّرِيقِ
(وَسَطِ مَمَرِ الْحَانَةِ) تَارِكَةً طَرَأَقَ اللَّيْلِ يَدْخُلُونَ بِسَلَامٍ
مَا زِلْتُ أَمْتَحِنُ الدَّسَاكِرَ دُونَهُ، حَتَّى دُفِعْتُ إِلَى خَفِيِّ الْمَنْزِلِ
ظَلَلْتُ أَتَفْحَصُ الدَّسَاكِرَ (مَنَازِلَ الْقُرَى) دُونَهُ (قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ)، ثُمَّ دَلُونِي عَلَى الْمَنْزِلِ الْخَفِيِّ
(الْخِمَارَةِ الْمُتَوَارَةِ)

فَعَرَفْتُهُ، وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسٌ بِنَا، بِرَفِيفٍ صَلَعْتَهُ وَشَيْبِ الْمَسْحَلِ
عَرَفْتُ الْخَمَّارَ - رَغِمَ أَنْ اللَّيْلَ مُلْتَبِسٌ بِنَا (مَخَالَطٌ لَنَا وَيَغْطِينَا) - وَذَلِكَ بِرَفِيفٍ (لِمَعَانٍ) صَلَعْتُهُ
وَبَشِيبِ الْمَسْحَلِ (جَانِبِ اللَّحْيَةِ)

يَا صَاحِبَ الْحَانَوَاتِ لَا تَكُ مُشْعِيًّا، إِنَّ الشَّرَابَ مُحَرَّمٌ كَمُحْلَلٍ
يَا صَاحِبَ الْحَانَوَاتِ (الْحَانَةِ) لَا تَكُنْ مُشْعِيًّا (مَدْقَقًا)، أَيْ لَا تَدَقِّقْ فِي تَفَاصِيلِ النَّبِيذِ الْمَحْرَمِ (نَبِيذِ
الْعَنْبِ) وَالنَّبِيذِ الْمَحْلَلِ بِحَسَبِ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ (نَبِيذِ التَّمْرِ وَالزَّيْبِ). فَالْمَحْرَمُ فِي فِعْلِهِ مِثْلُ الْمَحْلَلِ

فَدَعِ الَّتِي نَبَذَتْ يَدَاكَ، وَعَاطِنِي لَلَّهِ دَرَكٌ، مِنْ نَبِيذِ الْأَرْجُلِ
اتْرَكَ النَّبِيذَ الَّذِي نَبَذْتَهُ (جَعَلْتَهُ نَبِيذًا) يَدَاكَ (وَهُوَ نَبِيذُ التَّمْرِ أَوِ الزَّيْبِ)، وَعَاطِنِي (نَاوَلْنِي) نَبِيذَ
الْأَرْجُلِ (نَبِيذِ الْعَنْبِ الَّذِي دَاسَهُ النَّبَاذُونَ بِأَرْجُلِهِمْ عَصْرًا)

مِمَّا تَخَيَّرَهُ التَّجَارُ؛ تَرَى لَهَا قَرَصًا، إِذَا ذِيقْتُ، كَقَرَصِ الْفُلْفُلِ
هَاتِ مِمَّا انْتَقَاهُ التَّجَارُ (تُجَارَ الْخَمْرِ)، خَمْرَةٌ تَلْسَعُ اللِّسَانَ كَلْسَعِ الْفُلْفُلِ

ولها دبيبٌ في العظامِ كأنَّهُ قَبْضُ النُّعَاسِ، وأخذُهُ بِالْمَفْصِلِ

وتسلل إلى العظام كما يتسلل النعاس ويرخي المفاصل

عَبِقَتْ أَكْفُهُمْ بِهَا، فَكَأَنَّمَا يَتَنَازَعُونَ بِهَا سِخَابَ قَرْنُفُلٍ

فاح عبيرها في أكف الشارين، فكأنهم إذ يتنازعون (يتبادلون كؤوسها) يتبادلون سخاب (قلائد) القرنفل

١٣٤ موقف نفسي

لَأَعْذِلَنَّ فَوَادِي أَقْبَحِ الْعَذَلِ حَتَّى أَنْهِنَهُ عَنْ مِثْلِ ذَا الْعَمَلِ

سألوم قلبي حتى أنهنه (أكفه) عما قام به

مَتَانِي الصَّبْرَ، لَا يَأْلُو، لِيُوقِعَنِي حَتَّى إِذَا صَارَ بِي فِي مَقْطَعِ السُّبُلِ

قلبي متاني بالصبر ولم يكن يألو (يقصر)، فكان هدفه إيقاعي.

وقد أوقع بي وانقطع بي السيل في العشق

إِلَى الَّذِي لَمْ يَشْنُهُ غَيْرٌ وَاحِدَةٍ مَقَالُهُ: مَا لِبَاغِي الْوَصْلِ مِنْ عَجَلٍ

ولا يشين (يعيب) الحبيب إلا شيء واحد هو قوله إن طالب الوصل لا يجوز أن يستعجل

فَمَا تَذَكَّرَ أَهْلُ الْعِشْقِ بَيْنَهُمْ حَسَنَ الصَّفَاءِ مِنَ الْخُلَّانِ وَالْخَلَلِ ..

كلما ذكر العاشقون في أحاديثهم حسن الصفاء الذي يلاقونه من الخلان، وحسن الخلل (الخصال) ..

إِلَّا نَكْتُ حَيَاءً سَاعَةً بِيَدِي، وَانْصَمَّ بَعْضِي إِلَى بَعْضٍ مِنَ الْخَجَلِ

ما ذكروا ذلك إلا نكتُ (عبثت بما أمامي/ دليلاً على الإطراق والخجل)، وانكمشت من الخجل

١٣٥ فاسق فاتك

وَخِيْمَةٌ نَاطُورٍ بِرَأْسِ مُنِيفَةٍ، تَهُمُّ يَدَا مَنْ رَامَهَا بِزَلِيلٍ

رَبَّ خِيْمَةِ نَاطُورٍ (حارس زرع) فِي رَأْسِ مُنِيفَةٍ (تلة) تَكَادُ يَدَا مَنْ طَلَبَ صَعُودَهَا أَنْ تَزَلَّ وَتَتَزَلَّقَ

حَطَّظْنَا بِهَا الْأَثْقَالَ فَلَّ هَجِيرَةٍ عَبُورِيَّةٍ، تُذَكِّي بِغَيْرِ فَتِيلٍ

وضعنا متاعنا هناك فلَّ هجيرة (مُعبي ظهيرة) عبورية

(هجيرة ظهرت في مساءاتها الشرى العبور وهي النجم الذي يظهر عند اشتداد الحر)،

وهذه الظهيرة تشتعل من غير فتيل لشدة الحر

حَلَبْتُ لِأَصْحَابِي بِهَا دِرَّةَ الصَّبَا، بِصَفَرَاءَ مِنْ مَاءِ الْكُرُومِ شُمُولٍ

حلبت لأصحابي بالخيمة درة الصبا (حليب الشباب/ يقصد الخمرة)، وهي عبارة عن خمرة صفراء

شمول (باردة)

إذا ما أتت دونَ اللّٰهَةِ مِنَ الْفَتَى ، دعا هُمُّهُ من صدره برحيل

إذا نزلت تحت اللّٰهَةِ (لحمة الحلق) من الفتى تداعت الهموم في صدره إلى الرحيل

فلما تَوَفَّى اللَّيْلُ جُنْحاً مِنَ الدُّجَى ، تصابيتُ ، واستجمَلْتُ غيرَ جَمِيلٍ

فلما توفى (استغرق) الليل جانباً من العتمة، تصابيت (تصرفت كأنني في سن الصبا)، واستجملت (استفحلت كالجمال) غير جميل (ولم أكن مجاملاً). المعنى الملموح أنه مع نزول الليل أبدى عن شهوراته لمن معه

وَعَاطَيْتُ مِنْ أَهْوَى الْحَدِيثِ كَمَا بَدَأَ ، وَذَلَّلْتُ صَعْباً كَانَ غَيْرَ ذُلُولٍ

وبادلت مع الحبيب الحديث على عواهنه بغير تحفظ، وذللت البعير الصعب الذي لم يكن ذلولاً. يشير إلى أنه لبن قلب محبوبه وأزال تحفظه

فَأَنْزَلْتُ حَاجَاتِي بِحَقْوِي مُسَاعِدٍ ، وَإِنْ كَانَ أَدْنَى صَاحِبٍ ، وَدَخِيلٍ

أنزلت حاجاتي (أفرغت شهواتي) بحقوي (خصري) شخص مساعد (معين لي وغير متمنع)، وإن كان أيضاً صاحباً ودخيلاً (خليلاً)

وَأَصْبَحْتُ أَلْحَى السُّكْرِ ، وَالشُّكْرُ مُحْسِنٌ ، أَلَا رَبُّ إِحْسَانٍ عَلَيْكَ ثَقِيلٍ

وصرت ألحى (الوم) السكر، والسكر في الواقع قد أحسن إليّ، ومن الإحسان ما يكون ثقيلاً في ميزان المعاصي

كَفَى حَزْناً أَنَّ الْجَوَادَ مُقْتَرٌّ عَلَيْهِ ، وَلَا مَعْرُوفَ عِنْدَ بَخِيلٍ

يكفينا حزناً أن الرجل الكريم مقتر عليه (فقير)، والبخيل طبعاً لا يعطي

سَأْبَغِي الْغَنَى ، إِمَّا جَلِيسَ خَلِيفَةٍ نَقُومُ سَوَاءً ، أَوْ مُخِيفَ سَبِيلٍ

سأسعى للغنى بمجالسة الخليفة نقوم سواء (يساويني بنفسه في مجلس اللهو)، أو مخيف سبيل (قاطع طريق)

بِكُلِّ فِتْنَى لَا يُسْتَطَارُ جَنَانُهُ ، إِذَا نَوَّهَ الرَّخْفَانِ بِاسْمٍ قَتِيلٍ

سأقطع الطريق بكل فتى لا يستطار جنانه (لا يخاف قلبه)، إذا ذكر القتل بين الفريقين.

المعنى الملموح: يريد صحبة فتية لا يخافون قطع الطريق حتى مع خطر القتل

لِنَحْمُسَ مَالِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فَاجِرٍ أَخِي بِطَنَةِ اللَّطِيبَاتِ أَكُولٍ

كي نأخذ الخمس من أموال الفاجر (والخمس هو ما فرض للرسول من الغنائم)

أخي بطنة (سمين) تعود أكل الطيات

١٣٦ عاد خائباً

وَلَوْ رَدَّتْ جَنَانٌ رَدْ خَيْرٍ ، تَبَيَّنَ ذَاكَ فِي وَجْهِ الرَّسُولِ

١٣٧ دار زينب

بمدح الحسين الخادم مولى الرشيد:

يا خليلي، ساعةً، لا تريمًا، وعلى ذي صَبَابَةٍ، فأقيما

لا تريمًا: لا تبتعدا، أقيما: ابقيَا

ما مررنا بِدارِ زينب، إلَّا فَضَحَ الدمعُ مَرَّنا المكتوما

تنجافى حوادثُ الدهرِ عَمَّنْ كان في جانبِ الحُسَيْنِ مُقيما

حوادث الدهر (المصائب) تنجافى (تبتعد) عن كان ملازمًا للحسين

قالَ لي الناسُ إذ هَزَزْتُكَ لِلحَا جَةٍ: أبشِرْ فقد هَزَزْتُ كريما

كان الكرام يفتخرون بأن الناس يهزونهم (يخادعونهم عن أموالهم)، وبأنهم ينخدعون للناس.

فاسأَلْنُهُ، إذا سَأَلْتَ، عَظِيمًا، إِنَّمَا يُسْأَلُ العَظِيمُ العَظِيمَا

١٣٨ شَمَّ وَلَا تَذُقْ

قالها بعد أن نهاه محمد الأمين عن شرب الخمر وعزم عليه أصحابه أن يتناولوها:

أيها الرائحانِ باللَّوْمِ، لُوما لا أذوقُ المُدَامَ إلَّا شَمِيمَا

لن أذوق الخمر، وحسي رائحتها

نالني بِالْمَلَامِ فيها إِمَامٌ، لا أرى لي خِلافَهُ مُسْتَقِيمَا

لامني الإمام (ال خليفة) في الخمر، ولست أرى مخالفته أمرًا مستقيمًا

فاضْرَفَاها إلى سِوَايَ، فإِنِّي لَسْتُ إلَّا على الحديثِ نديما

كُتِبُ حَظِّي منها، إذا هِيَ دارُ، أن أراها، وأن أَشُمَّ النَّسِيمَا

فكأنِّي، وما أَزِنُّ منها، قَعْدِي يُزَيِّنُ التَّحْكِيمَا

كأنني إذ أشجع على الخمر قعدي (خارجي ممن لا يقاتل صاحب السلطة) ممن يزينون التحكيم (من أولئك الخوارج الذين عادوا عن الرأي القديم وأصبحوا يؤيدون التحكيم الذي حدث قديما فيما بين علي ومعاوية)

كَلَّ عن حَمَلِهِ السِّلَاحَ إلى الحرِّ بِ فَأَوْصَى الْمُطِيقَ إلَّا يُقِيمَا

هذا القعدي كَلَّ (عجز) عن حمل السلاح،

فأوصى من يطبقون القتال بألا يقعدوا بل يقاتلوا

١٣٩ إكرام المطايا

بمدح الأمين:

يا دارُ، ما فعلت بك الأيام ضامتك، والأيام ليس تضام

ضامتك: ظلمتك

عَرَمَ الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين، وللزمان عرام

عرم: قسا

أيام لا أغشى لأهلك منزلاً، إلا مُراقبَةً، عليّ ظلام

أغشى: أزور، ألا مراقبة: إلا وأنا مترقب حذر

ولقد نهزت مع الغواة بذلهم، وأسمنت سرح اللهو حيث أساموا

نهزت: ألقى الدلو، أسمنت سرح اللهو: سرحت الماشية لترعى/ أي أرسلت نفسي لستمع بالملذات

وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه، فإذا عَصَاةُ كُلِّ ذَاكَ أَثَامُ

وَتَجَشَّمْتُ بِي هَوْلَ كُلِّ تَنُوفَةٍ، هَوَجَاءُ فِيهَا، جُرْأَةً، إِقْدَامُ

تجشمت (تحملت المشقة) بي أهوال كل تنوفة (صحراء) ناقة هوجاء (سريعة) فيها إقدام لجرأتها

تَذَرُ الْمَطِيَّ وَرَاءَهَا، فَكَأَنَّهَا صَفٌّ تَقَدَّمُهَا، وَفِي إِمَامُ

لسرعتها ترك المطي (الرواحل/ المطايا) وراءها سابقة فكان الأبل صف واحد وهي أمامهم كالأمام يقف أمام المصلين

وَإِذَا الْمَطِيَّ بِنَا بَلَعْنَ مُحَمَّدًا، فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرَّحَالِ حَرَامُ

إذا بلغت الإبل محمدًا الأمين، فحرام وضع الرحال (السروج ولوازم السفر) على ظهورها إكراماً لها، ولأننا لن نسافر من بعد لأن كل الخير عنده

قَرَّبْنَا مِنْ خَيْرٍ مِنْ وَطِيِّ الْحَصَى، فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامُ

هذه المطايا لها فضل أنها قربتنا من خير البشر، لذا فنحن نحفظ لها هذه الحرمة والعهد

١٤٠ أهابك

أموت، ولا تدري، وأنت قتلتني، ولو كنت تدري، كنت لا بدّ ترحم

أهابك أن أشكو إليك صابتي، فلا أنا أبديها، ولا أنت تعلم

١٤١ هجاء بمدح القدر

يهجو الفضل الرقاشي:

أَظَرِفُ بِقِدْرِكَ لَوْلَا أَنَّهَا عَبَّرَتْ، وَمَا تَطَوَّرُ بِهَا نَارٌ وَلَا دَسَمُ
ما أطرف (ما أجدّ/ والطريف هو الجديد) قدرك، لولا أنها قديمة، ذلك أنها ما تطور (تقترب)
منها نار ولا يقترب منها دسم. يقول: طنجرتك جديدة في شكلها مع أنها قديمة العهد،
فهي لم تستعمل

كَأَنَّهَا الْبَدْرُ لَوْلَا خَالَ جَنْبَيْهِ، وَمَا بِقِدْرِكَ لَا خَالَ وَلَا وَصَمُ
هي كالبلدر إشراقاً ولمعاناً لولا خال (شامة سوداء) في جبهة البلدر،
فأما قدرك فلا خال فيها ولا وصم (أذى)

لَوْ أَنَّ عَرَضَكَ ذَا فِي طُحْرٍ قِدْرِكَ مَا دَانَاكَ فِي الْمَجْدِ لَا كَعَبٌ وَلَا هَرَمُ
لو كان عرضك طاهراً كقدرك لما داناك (قاربك) كعب بن مامة ولا هرم بن سنان (وكعب هو الذي
آثر صاحبه بآخر شربة ومات عطشاً، وهرم هو ممدوح زهير بن أبي سلمى)

١٤٢ مت بداء الصمت

خَلَّ جَنْبَيْكَ لِإِرَامٍ وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ
اترك جسمك لمن يريد أن يرميه، ولا تعاد من عاداك

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
رَبِّمَا اسْتَفْتَحْتَ بِالْمَزْحِ حَ مَغَالِيقَ الْجَمَامِ
قد تفتح بالمزح أقفال الموت

إِنَّمَا السَّالِمُ مِنْ آلٍ جَمَ قَاهُ إِلِجَامِ
فَالْبَسِ النَّاسَ عَلَى الصَّحْدِ - مِ مِنْهُمْ، وَالسَّقَامِ
البس الناس: خالطهم

شَبَبْتَ يَا هَذَا، وَمَا تَنْدُ - رُكَ أَخْلَاقَ السُّفْلَامِ
وَالْمَنْيَا أَكَلَاتُ، شَارِبَاتُ لِلْأَنَامِ

١٤٣ لو صُبَّتْ عَلَى اللَّيْلِ

إِسْقِنَا، إِنَّ يَوْمَنَا يَوْمُ رَامٍ وَلِإِرَامٍ فَضْلٌ عَلَى الْأَيَّامِ
يوم رام: الحادي والعشرون من كل شهر، وكانت القوس تجعله يوم سرور وشرب

مِنْ شَرَابٍ أَلَذَّ مِنْ نَظَرِ الْمَغْ شَوْقٍ فِي وَجْهِ عَاشِقٍ بِابْتِسَامٍ
بُنْتُ عَشْرِ صَفَتْ، وَرَقْتُ فُلُو صُبَّ - ثَ عَلَى اللَّيْلِ رَاحَ كُلُّ ظَلَامٍ

قد تريد أن تفعل فعل القدماء فتفهم: «صبت على الليل»، على أن الخمر صبت في الكؤوس «على الليل» أي «مع حضور الليل»، ف «على» هنا بمعنى الباء (أي بالليل)، أو بمعنى في (في الليل/ كقوله على حين غفلة)، أو تعني المصاحبة (أي مع الليل/ كقوله ويطعمون الطعام على حبه). ولكننا نحس أن النواصي يريد أن يصب الخمر «فوق» الليل، فهذه وثبة خيال جامحة

١٤٤ أيها الشعراء

صِفَةُ الطُّلُولِ بِلَاغَةُ الْقَدَمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لَابْنَةِ الْكَرَمِ

صفة (وصف) الطلول هي بلاغة القدم (الأحق)، فصف ابنة الكرم (الخمر). وكان الشعراء يعرضون بلاغتهم بوصف الطلول

لَا تُخْدَعَنَّ عَنِ النَّيِّ جُعِلَتْ سُقْمُ الصَّحِيحِ، وَصِحَّةُ السُّقْمِ
لَا تُخْدَعَنَّ: لَا تَكُنْ مَنْخَدَعًا

صَهْبَاءُ فَضَّلَهَا الْمَلُوكُ عَلَى نُظَرَائِهَا بِفَضِيلَةِ الْقَدَمِ

صهباء: صفراء فاتحة اللون، وتفضلها الملوك للقدم (القدم). وهذه خمرة العنب التي تكون معتقة ولونها يميل للصفرة وهي أفضل من خمرة التمر التي حللها بعض الفقهاء

فَعَلَامَ تَذْهَلُ عَنْ مُشْعَشَعَةٍ، وَتَهَيِّمُ فِي طَلَلٍ، وَفِي رِسْمٍ؟

تذهل عنها: تغفلها، مشعشة: التي تلمع بالمزج، رسم: طلل

نَصِيفُ الطُّلُولِ عَلَى السَّمَاعِ بِهَا، أَفْذُو الْعِيَانِ كَأَنَّتِ فِي الْعِلْمِ؟

أيها الشاعر الذي يصف الطلول تقليداً للشعراء القدامى،

وما رآها عياناً أنت كمن عاين الشيء ووصفه

وَإِذَا وَصَفْتَ الشَّيْءَ مَتَّبِعاً، لَمْ تَخُلْ مِنْ زَلَلٍ، وَمَنْ وَهَمِ

١٤٥ تأليب

يهجو إسماعيل بن صبيح كاتب الأمين (وكان أهله من موالي بني أمية):

أَلَا قُلْ لِإِسْمَاعِيلَ إِنَّكَ شَارِبٌ بِكَأْسِ بَنِي مَاهَانَ ضَرْبَةً لَازِمٌ

بنو ماهان (لعل المقصود عيسى بن ماهان، وكان الرشيد عزله وجسه غير أن الأمين أطلقه ورفع له دن تسنمه الخلافة، ولعل القصيدة قيلت قبل تولي الأمين بقليل) ضربة لازم: بالتأكيد

أَتُسَمِّنُ أَوْلَادَ الطَّرِيدِ وَرَقِطَهُ، بِإِهْزَالِ آلِ اللَّهِ مِنْ نَسْلِ هَاشِمٍ

تعطي المال لكي يسمن أولاد الطريد

(مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وطورد بعد هزيمته بالعراق ثم قتل في مصر)

ورعطه (قومه)، وذلك على حساب بني هاشم الذين هزلوا فقراً

وَإِنْ ذُكِرَ الْجَعْدِيُّ أَذْرَيْتَ عَبْرَةً، وَقُلْتَ أَذَالَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ

الجعدي (مروان بن محمد، منسوباً إلى مؤدبه الجعد بن درهم وقد أعدم متهماً بالخروج عن

الدين)، أذال الله: انتقم الله

فَإِنْ يَسِرَّ إِسْمَاعِيلُ فِي فَجَرَاتِهِ، فَلَيْسَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِنَائِمٍ

فإن مضى إسماعيل في فجراته (أفعاله الفاجرة) فالخليفة ليس نائماً عنه

١٤٦ ثم قصت قصة الأمم

يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِنْ حَكَمٍ نَمَتَ عَنْ لَيْلِي، وَلَمْ أَنْمِ

يا شقيق روحي من قبيلة حكم، قد نمت في هذا الليل الذي نصطحب فيه، وأنا صاح

نسبت القصيدة إلى والبة بن الحُباب، وقيل إن والبة يخاطب فيها أبا نواس

(وأبو نواس ينسب نفسه لقبيلة حكم اليمينية)

فَاسْقِنِي الْبِكْرَ الَّتِي اخْتَمَرْتُ بِخِمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ

اسقني الخمرة البكر (العذراء التي تم فض دنها الليلة) وكانت داخل الدن فكأنها كانت في رحم أمها، والدن وعاء كبير للخمر مطلي من الخارج بالقار الأسود، وكان الدن مكسواً بغبار أبيض

تفسير آخر: خمارها، أي غطاء رأسها، هو الشيب. يقصد الفقاقيع الفضية التي على وجه الكأس.

تفسير ثالث: دالية العنب تكون أوراقها مكسوة بزغب أبيض عندما تبدأ حبات العنب بالتكون،

والعنب هو الخمر في رحم أمها

ثُمَّتْ أَنْصَاتُ الشَّبَابِ لَهَا بَعْدَمَا جَازَتْ مَدَى الْهَرَمِ

ثمت (بعدئذ) انصات الشباب للخمرة عندما مزجت وأخرجت الفقاقيع بنشاط، وذلك بعد

أن جازت (تجاوزت) مدى (غاية) الهرم (الشيخوخة)

فَهِيَ لِليَوْمِ الَّذِي بُزِلَتْ، وَهِيَ تَرْبُ الدَّهْرِ فِي الْقَدَمِ

فالخمرة يوم بزلت (نُقب دنها كي تسيل) كانت تَرْبُ الدهر (من جيل الدهر.. عمرها كعمره)

عُتِّقْتُ حَتَّى لَوْ اتَّصَلْتُ بِلسَانِ نَاطِقٍ وَفَمٍ..

كانت قد عتقت، فلو اتصلت بلسان وفم (كان موصولاً بها لسان وفم) ..

لَاخْتَبَتْ فِي الْقَوْمِ مَائِلَةً نَمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الْأُمِّ

لاحتبت (جلست القرفصاء وقد جمعت ركبتيها إلى ظهرها بشال) وسط القوم وقصت عليهم قصة
الأم الغابرة

قَرَعَتْهَا بِالْمِزَاجِ يَدٌ خُلِقَتْ لِلسَّيْفِ وَالْقَلَمِ

قرعتها (أصابتها) بالمزج يد رجل شجاع ومثقف

فِي نَدَامَى سَادَةِ زُهْرٍ أَخَذُوا اللَّذَاتِ مِنْ أُمِّ

يحدث هذا وسط ندامى من السادة الزهر (البيض، يعني ذوي الأصل الطيب)، الذين أخذوا
اللذات من أم (من أقرب سبل)

فَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ كَتَمَشِّي الْبُرْءِ فِي السَّقَمِ

فتغلغلت الخمرة في مفاصلهم مثلما يتسلل البرء (الشفاء) رويداً رويداً في السقم (المرض) فيحل محله

فَعَلْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُزِجْتُ مِثْلَ فِعْلِ الصَّبْحِ فِي الظُّلَمِ

أضأت المكان عندما مزجت بالماء وتلونت بالوان عدة

وَاهْتَدَى سَارِي الظَّلَامِ بِهَا كَاهْتِدَاءِ السَّفَرِ بِالْعَلَمِ

السفر: المسافرون، العلم: الجبل يهتدي به المسافرون

١٤٧ خير في الإسراف

ضَعِيفَةٌ كَرَّ الطَّرْفِ، تَحَسَّبُ أَنَّهَا حَدِيثُهُ عَهْدٍ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُقَمٍ

يصف ساقية في حانة: تنقل طرفها (نظرها) من شخص إلى شخص ببطء

(كذا يكون منتهى الدلال)، وكأنها قامت لتوها من مرض

تَفَوَّقَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ، تَفَوَّقِي الصَّهْبَاءَ مِنْ حَلَبِ الْكُرْمِ

تفوق مالي (تستزفه) الطريف (المكتسب) والتالد (الموروث)، مثلما أتفوق أنا (أترشّف) الخمر
المحلوبة من كرم العنب

وَإِنِّي لَأَتِي الْأَمْرَ مِنْ حَيْثُ يُتَّقَى، وَتَعْلَمُ قَوْسِي، حِينَ أَنْزَعُ، مِنْ أَرْمِي

أنا آتي الأمر (أفعله) من حيث يتقى (يخشى الناس إتيانه)، وتعلم قوسي حين أنزع (حين أشد
الوتر) أين هو الهدف

١٤٨ اعتذار عن هجاء

يعتذر لهاشم بن حديج الكندي وكان هجاء وهجا اليمن:

أَهَاشِمُ! خُذْ مِنِّي رِضَاكَ؛ وَإِنْ أَتَى رِضَاكَ عَلَى نَفْسِي، فَغَيْرُ مَلُومٍ

خذ مني ما يرضيك، ولو أتى ذلك على نفسي (أهلكني) فلا لوم عليك

فَأُقْسِمُ مَا جَاوَزْتُ بِالشَّئْمِ وَالِدِي وَعِرضِي، وما مَزَّقْتُ غَيْرَ أَدِيمِي
فَأَنَا شَتَمْتُ نَفْسِي بِشَتْمِكَ وَمَزَقْتُ أَدِيمِي (جلدي)

وَلَا كُنْتُ إِلَّا كَالَّذِي كَشَفَ اسْتُهُ بِمَرَأَى عُيُونٍ مِنْ عِدَى وَحَمِيمٍ
فحين هجوتك كنت كمن كشف مؤخرته بمراى من العدو والحميم (الصدق)، وفضح نفسه

فَعُدْتُ بِحَقْوِي هَاشِمٍ، فَأَجَارَنِي، كَرِيمٌ أَرَاهُ فَوْقَ كُلِّ كَرِيمٍ
عدت بحقوي هاشم (لجأت إلى جَنَّتِي هاشم) فحماني من انتقام قومه

وإن امرأاً أَعْصَى عَلَى مِثْلِ ذَلَّتِي، وَإِنْ جَرَحَتْ فِيهِ، لَجِدُّ حَلِيمٍ

١٤٩ بنينا على كسرى سماء مدامه

يمدح الفضل بن الربيع:

لِمَنْ دِمَنْ تَزْدَادُ حُسْنُ رُسُومٍ عَلَى طُولِ مَا أَقْوَتْ، وَطِيبَ نَسِيمٍ
لمن هذه الأطلال التي تزداد رسومها (خراثيها) حسناً رغم طول إقوائها (خلوها من السكان)

وَكَأْسٍ كَعَيْنِ الدَّيْكِ بَاتَتْ تَعْلُنِي عَلَى وَجْهِ مَعْبُودِ الْجَمَالِ، رَخِيمٍ
رب كأس صافية مثل عين الديك باتت تسقيني الخمر وأنا أنظر إلى وجه رخيـم (ناعم) لشخص
جماله معبود

إِذَا قُلْتُ عَلَّلْنِي بِرَيْقِكَ أَقْبَلْتُ مَرَاشِفُهُ، حَتَّى يُصِيبَنَ صَمِيمِي
عللني: اسقني، مراشفه: شفتاه، صميمي: قلبي

بَنَيْنَا عَلَى كِسْرَى سَمَاءَ مُدَامَةٍ، مُكَلَّلَةً حَافَاتُهَا بِنُجُومٍ
الكأس مرسوم عليها صورة لكسرى، وقد بنينا فوقه سماء من الخمر (أي ملأنا الكأس) وحافات
هذه السماء مكلفة بالنجوم وهي الفقاقيع

فَلَوْ رُدُّ فِي كِسْرَى بْنِ سَاسَانَ رُوحُهُ إِذْ لَاصْطَفَانِي دُونَ كُلِّ نَدِيمٍ

١٥٠ القانص واليؤيؤ

قَدْ أَغْتَدِي، وَالصَبْحُ فِي مُكْتَمِهِ

أغتدي: انطلق باكراً، مكتمه: ظلمته

بِیُؤْيُؤٍ أَسْفَعَ يُدْعَى بِاسْمِهِ

يؤيؤ: طائر جارح يتخذ للصيد، أسفع: مسود اللون، وهو ذكي وينادي باسمه فيجيب

مَقَابِلٍ مِنْ خَالِهِ وَعَمِّهِ

مقابل: كريم النسب من جهته

وَقَانِصٍ أَحَقَى بِهِ مِنْ أُمِّهِ

قانص: صائد، أحفى به من أمه: أكثر اهتماماً باليؤى من أم اليؤى

لَوْ يَسْتَطِيعُ قَاتُهُ بِلَحْمِهِ

لو استطاع أطمعه من لحم بلده لشدة تعلقه به

يَقِيهِ مِنْ بَرْدِ النَّدَى بِكُفِّهِ

تَوْقِيَةَ الْأُمِّ ابْنَهَا فِي ضَمِّهِ

١٥١ الماء والخضرة والوجه الحسن وشيء رابع

أَرْبَعَةٌ يَحْيَا بِهَا قَلْبٌ، وَرُوحٌ، وَبَدَنٌ

الماء، والبُستان، والـ خمره، والوجه الحسن

١٥٢ رفض الصلح

دَسْتُ لَهُ طَيْفَهَا كَيْمَا تُصَالِحُهُ، فِي النُّومِ حِينَ تَأْتِي الصُّلْحَ يَقْظَانَا

رأها في المنام... جاءت تصالحه

فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ طَيْفِي طَيْفَهَا قَرَجًا، وَلَا رَأَى لِتَشْكِيهِ، وَلَا لَنَا

حَسِبْتُ أَنْ خَيَالِي لَا يَكُونُ، لِمَا أَكُونُ مِنْ أَجْلِهِ غَضْبَانٌ، غَضْبَانًا

هل ظننت أن خيالي، عقلي الباطن الذي يتجلى وأنا نائم، لا يغضب لغضب عقلي الواعي؟

جَنَانُ لَا تَسْأَلِينِي الصِّلْحَ مُسْرِعَةً، فَلَمْ يَكُنْ هَيِّنًا مِنْكَ الَّذِي كَانَا

١٥٣ ربما تصدق الأحلام

إِذَا التَّقَى فِي النَّوْمِ طَيْفَانَا عَادَ لَنَا الْوُضْلُ كَمَا كَانَا

يَا قُرَّةَ الْعَيْنَيْنِ، مَا بَالُنَا نَشْقَى، وَيَلْتَذُّ خَيَالَانَا؟

لَوْ شِئْتَ، إِذْ أَحْسَنْتَ لِي نَائِمًا، أَتَمَمْتَ إِحْسَانَكَ يَقْظَانَا

يَا عَاشِقَيْنِ اصْطَلَحَا فِي الْكَرَى، وَأَصْبَحَا غَضَبِي وَغَضْبَانَا

كَذَلِكَ الْأَحْلَامُ غَرَارَةٌ، وَرَبَّمَا تَصْدُقُ أَحْيَانَا

١٥٤ سكرأ أو صحوأ، لكن لا بد!

وغزالٍ عاطِئُهُ الرّاحِ حتّى فَنُثِرَتْ مِنْهُ مُقْلَةٌ وَلِسَانَا
عاطيته: ناولته، فُتِرَتْ: أدخلت الفتور على العينين واللسان

قال لا تُسْكِرْ نُسِّي، بِحَيَاتِي! قلتُ: لا بدّ أن تُرى سَكْرَانَا
إن لي حَاجَةً إِلَيْكَ، إِذَا نِمَ سَتَ، فَإِنْ شِئْتَ فاقْضِهَا، يَقْضَانَا
فَتَلَكَّأَ تَلَكُّوًّا فِي انْخِنَافٍ، ثُمَّ أَصْعَى لِمَا أَرَدْتُ، فَكَانَا

١٥٥ الممتطي نعله

بمدح الفضل بن يحيى البرمكي:

أطالَ قَصِيرُ اللَّيْلِ، يَا رَحِمَ، عِنْدَكُمْ؟ فَإِنَّ قَاصِرَ اللَّيْلِ قَدْ طَالَ عِنْدَنَا
رحم: هو صديقه رحمة بن نجاح
وما يَعْرِفُ اللَّيْلَ الطَّوِيلَ وَغَمَّهُ مِنَ النَّاسِ، إِلَّا مَنْ تَنَجَّمَ، أَوْ أَنَا
تنجم: احترف التنجيم

خَلِيُونُ مِنْ أَوْجَاعِنَا يَعِزُّلُونَا، يَقُولُونَ لِمَ تَهَوُّونَ؟ فَلَنَا لِذُنُبِنَا
يَقُومُونَ فِي الْأَقْوَامِ يَحْكُونُ فَعَلْنَا سَفَاهَةَ أَحْلَامِ، وَسُخْرِيَةً بِنَا
أولئك العذال يقفون وسط الناس يقلدوننا في حركاتنا سخرية منا

فلو شاءَ رَبِّي لَابْتَلَاهُمْ بِمَا بِهِ ابْنُ خَلَانَا فَكَانُوا لَا عَلَيْنَا وَلَا لَنَا
لو شاء الله لابتلاهم بالعشق فكفوا أذاهم عنا

سَأَسْأَلُكَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَاكَ، لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وقالوا إن الفضل عندما سمع هذا البيت قال لأبي نواس: ما زدت على أن جعلتني قواداً

إِلَيْكَ، أبا العباس، مِنْ دُونِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا، امْتَنَطَيْنَا الْحَضْرَمِيِّ الْمَلْسَنَا
دون كل الناس الذين يمشون في الأرض أتيناك وقد امتطنا الحضرمي الملسنا (النعل الحضرمي ذا الزائدة الملتوية إلى أعلى في مقدمه). يشكو أنه لا يملك راحلة أو بغلاً ويمتطي نعله أي يأتي ماشياً

فَلَا تُصَلِّ لَمْ تُسْقِطْ جَنِينًا مِنَ الْوَجَى، وَلَمْ تَدْرِ مَا قَرْعُ الْفَنَيْقِ وَلَا الْهَنَا
هذه النعال هي قلائص (إبل) لا تسقط حملها لأن السير أجهدا ولحق بها الوجى (الحفا/أي حفيت خفافها)، ولا هي تعرف قرع الفنيق (تلقيح الفحل لها)، ولا تعرف الهناء (أي القطار الذي تطلّي الإبل به من الجرب)

١٥٦ شراب الطالحين

يا ابنة الشيخ اصبحينا ما الذي تنتظرينا؟
اصبحنا: اسقينا خمره الصباح

قد جرى في عودك الماء فأجري الخمر فينا
جرى في عودك الماء: أنت في ريعان الشباب

إنما نشرب منها، فاعلمي ذاك يقينا،
كل ما كان خلافاً لشراب الصالحين
نشرب الخمر المحرمة لا شراب الصالحين (وكان بعض الصالحين يحلل شرب نبيذ النمر زاعماً حله)
واضرب فيها عن بخيل، دان بالإمساك ديننا

١٥٧ ذاك عيش!

غننا بالطلول كيف بلينا واسقنا نعطك الثناء الثمينا
غننا بشعر فيه ذكر الطلول وكيف بليت (خربت)

من سلاف كأنها كل شيء، يتمنى مخير أن يكونا
أكل الدمر ما تجسم منها، وتبقى لبابها المكنونا
تبقى: أبقى

فإذا ما اجنلينا، فهباء يمنع الكف ما يبيع العيونا
اجنلينا: نظرت إليها

ثم شجت، فاستضحكت عن لال لو تجمعن في يد لاثنين
شجت: ضربت في رأسها، أي مزجت بالماء فتلونت بالحمرة، فضحكت الخمرة في كأسها مبدية
أستانها. وهذه ما هي إلا فقايعها الفضية التي هي مثل اللالئ تماماً، ولو كانت تثبت في اليد
لاقتناها الناس

في كؤوس كأنهن نجوم جاربات، بروجها أيدينا
الكؤوس كأنها نجوم السماء التي تدور في مداراتها، وما بروجها (مواقعها السماوية) سوى أيدي
الشاربين

طالعات مع السقا علينا، فإذا ما غربن يغربن فينا
تطلع هذه النجوم مع بروز السقا، وعندما تغرب فهي تغرب فينا إذ نبتلع ما فيها من خمر

لو تَرَى الشَّرْبَ حَوْلَهَا مِنْ بَعِيدٍ، قَلْتُ قَوْمٌ، مِنْ قِرَّةٍ، يَصْطَلُّونَا
الشرب: الشاربون، من قرة: من بَرْد، يصطلون: يتدفأون

وَعِزَالٍ يَدِيرُهَا بِبَنَانٍ نَاعِمَاتٍ يَزِيدُهَا الْعَمَزُ لَنَا
الساقى يدير كؤوس الخمر علينا بأصابع ناعمة يزيدُها العمز (عبثنا ولمساتنا) لنا

كَلَّمَا شِئْتُ عَلَنِي بِرَضَابٍ، يَتْرُكُ الْقَلْبَ لِلسُّرُورِ حَدِينَا
علني: سقاني، حَدِينَا: خَلِيلًا مصاحباً

ذَاكَ عَيْشٌ لَوْ دَامَ لِي؛ غَيْرَ أَنِّي عَفْتُهُ مُكْرَهًا، وَخِفْتُ الْأَمِينَا
ذاك عيش (عيش جميل) لو كان دام، لكنني عفته (تركته) مضطراً خوفاً من الخليفة الأمين
(وكان نهاء عن الشرب في الحانات)

١٥٨ اعتذار للرشد

كتب للرشد من حبسه:

بِعَفْوِكَ، بِلِ بَجُودِكَ عُذْتُ، لَا، بَلْ بِفَضْلِكَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَلَا يَتَعَذَّرَنَّ عَلَيَّ عَفْوٌ، وَسَعَتْ بِهِ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ
فَإِنِّي لَمْ أَخُنْكَ بِظَهْرِ غَيْبٍ، وَلَا حَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّ أَخُونَا
لَقَدْ أَرَهَبْتَ أَهْلَ الشَّرْكِ حَتَّى تَرَكْتَهُمْ، وَمَا يَتَرَمَّرُونَا
يترمرمون: يفتحون أفواههم بأي كلام

تَزُورُهُمْ بِنَفْسِكَ، كُلَّ عَامٍ، زِيَارَةً وَاصِلٍ لِلْقَاطِعِينَ
كان الرشد يغزوهم بانتظام وكأنه يقضي حق الزيارة لمن قاطعوه فلا يزورونه

وَلَوْ شِئْتُ اكْتَنَنْتُ إِلَى نَعِيمٍ، وَقَاسَى الْأَمْرَ، دُونَكَ، آخِرُونَا
اكتنت: ركنت واسترحت

١٥٩ غزو وحج

بمدح الرشد:

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثَالَهُ، فَكأنَّمَا لَمْ يَخُلْ مِنْهُ مَكَانٌ
مَا تَنْطَوِي عَنْهُ الْقُلُوبُ بِفَجْرَةٍ، إِلَّا يُكَلِّمُهُ بِهَا اللَّحْظَانِ
لا يخفي عنه أحد فجرة (خيانة) إلا اكتشفها من اللحظان (حركة العينين)

فِي كُلِّ عَامٍ غَزْوَةٌ وَوَفَادَةٌ، تَنْبَتْ، بَيْنَ نَوَاهُمَا، الْأَقْرَانُ
 فِي كُلِّ عَامٍ غَزْوَةٌ وَوَفَادَةٌ (حجة) وَبَيْنَ نَوَاهُمَا (المسافة بينهما) تَنْبَتْ (تقطع) الْأَقْرَانُ (الحبال)

١٦٠ إغواء

وَذِي حَلِيفٍ بِالرَّاحِ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ، فَلَيْسَ عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ يَمِينُ
 رَجُلٍ حَلَفَ أَلَا يَشْرِبَهَا، وَيَدْعُوهُ إِلَى الْإِصْطِبَاحِ (شرب الصباح)
 لِأَنَّ الْقَسَمَ سَاقِطٌ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ

شَمُولًا، تَخَطَّتْهَا الْمَنُونُ، فَقَدْ أَتَتْ سِنُونُ لَهَا فِي دَنْهَا، وَسِنُونُ
 أَشْرَبَهَا شَمُولًا (باردة)، هَرَمَتْ وَلَكِنْ الْمَوْتُ لَمْ يَصْبِهَا

تُرَاثُ أَنْاسٍ عَنْ أَنْاسٍ تُخْرَمُوا، تَوَارَثَهَا بَعْدَ الْبَنِينَ بَنُونَ
 هِيَ مَوْرُوثَةٌ عَنْ أَنْاسٍ تَخْرَمُوا (ماتوا)

فَعَادَرَ مِنْهَا الْغَابِرُونَ حُشَاشَةً، لَهَا هَيْجَانٌ، مَرَّةً، وَسُكُونٌ
 تَرَكَ لَنَا الْغَابِرُونَ (الماضون) حُشَاشَةً (بقية الروح)، وَهِيَ تَهْجِجُ مَرَّةً وَتَسْكُنُ مَرَّةً إِذْ تَسْكَبُ فِي كَأْسِهَا

كَأَنَّ سُطُورًا فَوْقَهَا جَمِيرِيَّةً، تَكَادُ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ، تَبِينُ
 كَأَنَّ مَا تَرَسَّمَهُ مِنْ فِقَاقِيعِ سَطُورٍ بِالْخَطِّ الْحَمِيرِيِّ (ولم يكن العرب في عصر أبي نَوَاسٍ يَفْكُونُهُ)،
 يَكَادُ الْمَرْءُ رَغْمَ طَوْلِ عَهْدِهَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا مِنْ كَلِمَاتٍ

فَلَمَّا رَأَى نَعْتِي أَرْعَوِي، وَاسْتَعَادَنِي، فَقُلْتُ خَلِيلُ عَزَّ ثَمَّ يَهُمُونُ
 أَرْعَوِي: تَرَاجَعُ عَنْ يَمِينِهِ، وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَكْرُرَ الْوَصْفَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِنَّهُ صَدِيقٌ عَزَّ (تَمْنَعُ) ثُمَّ
 هَا هُوَ يَهُونُ (يَصْبَحُ سَلَاً)

فَصَدَّقَ ظَنِّي، صَدَّقَ اللَّهُ ظَنَّهُ إِذَا ظَنَّ خَيْرًا، وَالظُّنُونُ فُنُونُ
 وَبِالْفِعْلِ صَدَقَ ظَنِّي، وَمَا كُلُّ ظَنٍّ يَصْدُقُ فَالظُّنُونُ فُنُونٌ وَأَشْكَالٌ

١٦١ فخر ك نخلة وفخري سيف

قَالَ وَقَدْ عَابَهُ نَاسٌ بِالْبَصْرَةِ بَعْدَ أَنْ خَرَجَ مِنْهَا:

أَلَا كُلُّ بَصْرِيٍّ يَرَى أَنَّهَا الْعُلَى مُكَمَّمَةٌ سُحْقٌ لَهَا جَرِينُ
 كُلُّ بَصْرِيٍّ يَرَى أَنَّ الْمَجْدَ هُوَ فِي أَشْجَارِ النَّخْلِ الْمَكَمَّمَةِ (التي غَطِيتَ قُطُوفُهَا) السُّحْقُ (العالية)
 الَّتِي لَهَا جَرِينٌ (يَبْدُرُ لَجْمَعِ الْمَحْصُولِ)

فَإِنْ تَغْرَسُوا نَخْلًا، فَإِنَّ غِرَاسَنَا ضِرَابٌ وَطَعْنٌ فِي النُّحُورِ سَخِينُ
نحن نغرس الضرب السخين (الموجع) بالسيف والطنع بالرمح في النحور
وَإِنْ أَكْ بَصْرِيًّا، فَإِنَّ مُهَاجِرِي دِمَشْقُ، وَلَكِنَّ الْحَدِيثَ شُجُونُ
المهاجر: موضع الهجرة الأصلي (وكان والد أبي نواس من جند آخر خلفاء بني أمية)

١٦٢ افتراء على زميل

يهجو الشاعر أبان بن عبد الحميد اللاهقي:

جَالَسْتُ يَوْمًا أَبَانًا، لَا دَرَّ دُرٌّ أَبْ—
فَقُلْتُ: سَبْحَانَ رَبِّي، فَقَالَ: سَبْحَانَ مَانِي
ماني: نبي قال ياله للخير وإله للشر، وكان أتباعه ملاحقين عصرئذ
فَقُلْتُ: مُوسَى نَجِيٌّ إِلَهُ مُهَيِّمٌ الْمَنَانِ
النبي موسى نجي الله (الذي نجاه الله وكلمه)
فَقَالَ: رُبُّكَ ذُو مُقْفَلَةٍ إِذْنُ، وَلِسَانِ!
وَقَمْتُ أَسْحَبُ ذَيْلِي، عَنْ هَازِلٍ بِالْقُرَّانِ
القرآن: القرآن

عَنْ كَافِرٍ يَتَمَرَّى بِالْكَفْرِ بِالرَّحْمَنِ
يتمرى: يتجمل ويفتخر
يُرِيدُ أَنْ يَتَسَاوَى بِالْعُضْبَةِ الْمُجَانِ
يكفر أبان متشبهًا بالماجنين

١٦٣ مجرد سؤال

أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكَمَانَ كَيْفَ خَلَّفْتُمُ أَبَا عَثْمَانَ
حكمان: موضع بالبصرة. أبو عثمان: أخو مولى جنان محبوبه الشاعر، وصاحب رقهها
وَأَبَا مَيَّةَ الْمَهْدَبَ وَالْمَأْمُولَ وَالْمُرْتَجَى لِرَيْبِ الزَّمَانِ؟
أبو مية: مولى جنان

فَيَقُولُونَ لِي: جَنَانٌ كَمَا سَرَّ - لَكَ مِنْ حَالِهَا، فَسَلْ عَنْ جَنَانٍ
أسألهم عن ذينك الرجلين فيجيبون عن جنان لأنهم يعرفون أنها هي فقط من يهمني

مَا لَهُمْ، لَا يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ، كَيْفَ لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كَيْتَمَانِي؟

صَرْتُ كَالْتَيْنِ يَشْرَبُ الْمَاءَ، فِيمَا قَالَ كِسْرَى، بِعِلَّةِ الرِّيحَانِ

شجرة التين تقول لهم: اسقوا نباتات الريحان القريبة، وهي تريد أن تشرب الماء، فهي تشربه بعلقة الريحان. ويزعم أبو نواس أن هذا المثل قاله كسرى. وأبو نواس يتحجج بالسؤال عن أبي عثمان لكي يجرهم إلى الحديث عن جنان

أَوْ كَمَا قِيلَ قَبْلُ إِيَّاكَ أَعْنِي فَاسْمَعُوا، يَا مَعَاشِرَ الْجِيرَانِ!

١٦٤ سماء تمطر ذهباً

بمدح الخصب عامل خراج مصر للرشد:

ذَكَرَ الْكَرْخَ نَازِحَ الْأَوْطَانِ فَبَغَى صَبُوءَ، وَلَاتَ أَوَانَ

النازح عن وطنه ذكر الكرخ (موضع ببغداد)، فبكى صبوة (اشتياقاً)، وقد فات أوان ذلك العهد الطيب

لَيْسَ لِي مُسْعِدٌ بِمُضَرَ عَلَى الشُّوْ قِي إِلَى أَوْجِهِ هُنَاكَ حَسَانَ

مسعد: مساعد يخفف عني

نَازِلَاتٍ مِنَ الصَّرَاةِ فَكَرَّحَا يَا إِلَى الشُّطِّ ذِي الْقُصُورِ الدَّوَانِي

يذكر مسير النسوة على ضفاف نهري الصراة وكرخايا في بغداد

إِذْ لِبَابِ الْأَمِيرِ صَدْرُ نَهَارِي، وَرَوَاحِي إِلَى بُيُوتِ الْقِيَانِ

يَا ابْنَتِي أَبْشِرِي بِمِمْرَةِ مُضَرٍ، وَتَمَنِّي، وَأُسْرِفِي فِي الْأَمَانِي

ذكروا لأبي نواس أبناء، ولكنه هنا يوجه الخطاب إلى ابنة مجازية جرباً على عادة الشعراء في طمأنة عيالهم إلى أنهم سينالون الخير العيم من الممدوح ليعودوا به لأسرهم

أَنَا فِي ذِمَّةِ الْخَصِيبِ مُقِيمٌ، حَيْثُ لَا تَهْتَدِي صُرُوفُ الزَّمَانِ

كَيْفَ أَخْشَى عَلَيَّ عَوَلَ اللَّيَالِي، وَمَكَانِي مِنَ الْخَصِيبِ مَكَانِي

كُلَّ يَوْمٍ عَلَيَّ مِنْهُ سَمَاءٌ ثَرَّةٌ، تَسْتَهْلُ بِالْعِقْيَانِ

ثرة: غزيرة، تستهل: تمطر، العقيان: الذهب

١٦٥ أراه ولا يراني

بمدح محمد بن الفضل بن الربيع:

أَخَذْتُ بِحَبْلِ مَنْ جِبَالِ مُحَمَّدٍ أَمِنْتُ بِهِ مِنْ نَائِبِ الْحَدَثَانِ

اتصلت بمحمد فكان لي أماناً من مصائب الزمن

تَغَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ ، فَعَمِيْنِي تَرَى دَهْرِي ، وَلَيْسَ بِرَاني
فَلَوْ تُسَالُ الْأَيَّامُ مَا اسْمِي لَمَّا دَرَتْ ، وَأَيْنَ مَكَانِي ، مَا عَرَفَنَ مَكَانِي

١٦٦ فرد في الحسن

يَا ظَبِيَّ آلِ سِنَانٍ وَزَيْنَ صَفِّ الْقِيَانِ
كان أبو نواس عند محمد بن سنان، فأخرج لصاحبه قِيَانَهُ يَغِيْنُ، وجلس بينهما ولد لصاحب البيت جميل الطلعة، ففَتَنَ أَبَا نَوَاسٍ

خُلِقْتُ فِي الْحَسَنِ قَرْدًا ، فَمَا لِحُسْنِكَ ثَانٍ
كَأَنَّمَا أَنْتَ شَيْءٌ حَوَى جَمِيعَ الْمَعَانِي
لَيَنْفَعَنَّكَ وَهْمِي ، إِذْ كَلَّ عَنْكَ لِسَانِي
عَلِقْتُ مَنْ جَلَّ عَنِّي وَشَأْنُهُ غَيْرُ شَانِي
مَنْ لَيْسَ يَطْمَعُ فِيهِ إِلَّا فُلَانُ الْفُلَانِي

١٦٧ فوق المدح

قال يمدح الأمين:

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ ، فَأَنْتَ كَمَا نُثْنِي ، وَفَوْقَ الَّذِي نُثْنِي
وَإِنْ جَرَبَ الْأَلْفَاظُ يَوْمًا بِمِدْحَةٍ ، لِيَغْبِرَكَ إِنْسَانًا ، فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

١٦٨ شبت مني المعاصي

أَيَا مَنْ بَيْنَ بَاطِلِيَّةٍ وَزِقٍّ وَغُودٍ فِي يَدَيَّ غَاوٍ يُغْنِي
يا من يجلس بين باطلية (قنية خمر) وزق (قربة كبيرة تنقل فيها الخمر)

إِذَا لَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ عَنْ هَوَاهَا ، وَتُحْسِنَ صَوْنَهَا فإِلَيْكَ عَنِّي
إليك عني : ابتعد

فإِنِّي قَدْ شَبِعْتُ مِنَ الْمَعَاصِي ، وَمِنْ لَذَائِهَا ، وَشَبِعَنْ مِنِّي
وَمَنْ أَسْوَأَ ، وَأَقْبَحَ مِنْ لَبِيبٍ يُرَى مُتَطَرِّبًا فِي مِثْلِ سِنِّي؟

١٦٩ منتهى المجون

يَا سَلِيمَانُ عَنِّي ، وَمِنْ الرَّاحِ فَاسْقِنِي!

فَلَمَّا دَارَتْ الزُّجْجَا جَبُّ خُذْمَا، وَأَعْطَنِي
عَاطِنِي كَأْسَ سَلْوَةٍ عَنْ أَذَانِ الْمَسْوَدِّ
ناولني كأساً أسلو بها، أي أنسى، الأذان
إِسْقِنِي الْخَمْرَ جَهْرَةً وَأَلْظَنِي، وَأَزْنِنِي

١٧٠ خمرة في رقة ديني

إِسْقِنِي يَا ابْنَ أَذِينَ مِنْ سُلَافِ الزَّرْجُونِ
ابن أذين: اسم الخمار، الزرجون: الكرم

عُتِّقْتُ فِي الدَّنِّ حَتَّى هِيَ فِي رِقَّةٍ دِينِي
يصفون الخمر بأنها تصبح رقيقة وشفافة بعد تعتيقها، فهي في رقة دينه، ويصفون دين الماجن بأنه رقيق
ثُمَّ شَجَّجْتُ، فَأَذَارْتُ حَوْلَهَا مِثْلَ الْعُيُونِ
مزجت فأخذت الفقايع تدور حولها كأنها العيون

حَدَقْنَا تَرْنُو إِلَيْنَا، لَمْ تُحَجَّجْ بِجُفُونِ
هذه عيون تنظر إلينا لكن لا تحيط بها محاجر أو جفون

بِيَدَيَّ سَاقٍ عَلَيْهِ حَلِيَّةٌ مِنْ يَاسَمِينِ
وَعَلَى الْأُذُنَيْنِ مِنْهُ وَزِدَتْ لَنَا آذُرُيُونِ
غَايَةٌ فِي الشَّكْلِ وَالظَّرْ فِ، وَفَرَّدَ فِي الْمُجُونِ

١٧١ خمرة وساق

وَبِكْرِ سُلَافَةٍ فِي قَعْرِ دَنْ، لَهَا دِرْعَانِ مِنْ قَارٍ وَطِينِ
سلافة (خمرة جيدة) بكر (لم يثقب دنها من قبل) في قعر الدن (فمع القدم نقص حجمها) وهي
تلبس درعين (قميصين) واحد من الطين (الفخار) وواحد من القار (الزفت)

تَحَكَّمْ عَلِجُهَا، إِذْ قُلْتُ سُمْنِي، عَلَى غَيْرِ الْبَخِيلِ، وَلَا الضَّنِينِ
تحكم العليج (الخمار الأعجمي) عندما قلت له سمني (قدر علي الثمن)، وإنما تحكمه على رجل
غير بخيل ولا ضنين بماله هو أنا

شَكَّكْتُ بُزَالَهَا، وَاللَّيْلُ دَاجٍ، فَدَرَّتْ دِرَّةَ الْوَدَجِ الطَّعْمِينَ
نقبتها من البزال (موضع ثقب الدن) في ظلام الليل، فدرت (حلبت) كما يتزف الودج (أحد عرقين
في العنق) الطعين (المطعون)

يَكْفُ أَغْنَى، مَخْتَضِبٍ بَنَانًا، مُذَالِ الصُّدْغِ، مَضْفُورِ الْقُرُونِ
سالت الخمر بكف غلام ساق ذو غنة في صوته، ومخضوب البنان بالحناء، وصدغه مزال أي له
سالفان مسترسلان، وشعره مضفور القرون (الخصلات)

لَنَا مِنْهُ بِعَيْنَيْهِ عِدَاتٌ، يُحَاطِبُنَا بِهَا كَسْرُ الْجُفُونِ
عدات: وعود

١٧٢ إهانتها إكرام لها

أَلَا دَارِهَا بِالْمَاءِ، حَتَّى تُلْبِنَهَا فَلَنْ تُكْرِمَ الصَّهْبَاءَ حَتَّى تُهِنَهَا
أَعَالِي بِهَا، حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْتُهَا، أَهْنَتْ لِأَكْرَامِ النَّدِيمِ مَصُونَهَا
وَصَفْرَاءَ قَبْلَ الْمَرْجِ، بِيضَاءَ بَعْدَهُ، كَأَنَّ شُعَاعَ الشَّمْسِ يَلْقَاكَ دُونَهَا
وشمطاء حلَّ الدهرُ عنها بِنَجْوَةٍ دَلَفْتُ إِلَيْهَا، فَاسْتَلْتُ جَنِينَهَا
شمطاء (اختلط بياضها بسواد)، وهنا يصف خابية الخمر (الوعاء الكبير) فقد علا سواد قارها غبار
أبيض، وقد ابتعدت عن يد الدهر فنجت منه، وقد دلف (دخل رويداً) أبو نواس فاستل جنين
الخابية وهو الخمرة

١٧٣ فارسها وصريعها

يَا لَيْلَةَ بَيْتُهَا أَسَقَّاهَا أَلْهَجَنِي طَيْبُهَا بِذِكْرَاهَا
ألهجني (جعلني أكرر ذكرها)
نَغْلِبُهَا أَوَّلًا، وَتَغْلِبُنَا، فَنَحْنُ فُرْسَانُهَا، وَصَرَعَاهَا
تَلْتَهِبُ الْكَفَّ مِنْ تَلْهِبِهَا، وَتَحْسُرُ الْعَيْنُ أَنْ تَقْصَّاهَا
تصطبغ كف شارب الخمر بلونها وهي في الكأس الشفافة، ولكن العين تحسر (تعجز) عن تأمل
تفاصيلها لتألولها
كَانَ لَهَا الدَّهْرُ مِنْ أَبِي خَلْفَاءَ، فِي حِجْرِهِ صَانُهَا، وَرَبَّاهَا
خمرة قديمة جداً فليس لها أب، أبوها هو الزمن نفسه

١٧٤ خوف وخوف وأمان

قَالَ لِلْأَمِينِ وَقَدْ حَبَسَهُ:
قَدْ كُنْتُ خِفْتُكَ ثُمَّ أَمَّنِي مَنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفُكَ اللَّهَ

١٧٥ جلد على عظم وبتيه

لَا تَفْرُغِ النَّفْسُ مِنْ شُغْلٍ بِدُنْيَاهَا رَأَيْتُهَا لَمْ يَنْلُهَا مَنْ تَمَتَّاهَا
حَذَرْتُكَ الْكِبَرَ لَا يَغْلِقُكَ مِيسَمُهُ، فَإِنَّهُ مَلْبَسٌ نَارَعَنَهُ اللَّهُ
الكبر: التكبر، ميسمه: طابعه، والله وحده المتكبر، وهذا من أسماءه الحسنى

يَا بُؤْسَ جِلْدٍ عَلَى عَظْمٍ مُخَرَّقَةٍ فِيهِ الْخُرُوقُ، إِذَا كَلَّمْتَهُ نَاهَا
يا لبؤس الإنسان وهو مجرد جلد على عظم وفيه خروق للعينين والأذنين، وإذا كلمه أحد تاه (استكبر)
يَرَى عَلَيْكَ لَهُ فَضْلًا يَبِينُ بِهِ، إِنْ نَالَ فِي الْعَاجِلِ السُّلْطَانَ وَالْجَاهَا
يظن أن له الفضل عليك (أي هو أفضل منك) وبين بهذا الفضل المزعوم (يجعل بينه وبينك بوناً)
إِنْ نَالَ فِي الْعَاجِلِ (الدنيا) سُلْطَانًا وَجَاهًا

مُثْنٍ عَلَى نَفْسِهِ، رَاضٍ بِسِيرَتِهَا؛ كَذَبْتُ، يَا خَادِمَ الدُّنْيَا وَمَوْلَاهَا

١٧٦ ليت الأرض تبتلعه

مَتْنَايَ بِجَمَالِهِ صَلِيفٌ، لَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهُ تِيهَا
متنايه (متكبر) صلف (متكبر)

لِلْحُسْنِ فِي وَجَنَاتِهِ بِدَعٍ، مَا إِنْ يَمَلُّ الدَّرْسَ قَارِيهَا
ينظرون في وجهه بتفحص ودرس وتكرار ويقراون آيات الجمال

لَوْ تَسْتَطِيعُ الْأَرْضُ لَانْقَبَضَتْ حَتَّى يَكُونَ جَمِيعُهُ فِيهَا
أمنية غريبة للأرض أن تبتلعه لكي تحتوي كل جماله، لعل هذه أمنية دفينه في نفس الشاعر أن يموت هذا الشخص الجميل لكي يتخلص الشاعر من توتره بالنظر إلى جماله البعيد المنال

١٧٧ نعصي الله ونطيعك أنت!

أُثْبِهَا الْعَمَاتِبُ فِي الْخَمِ بِرِ مَنَى صَرَتْ فِقِيهَا
لَوْ أَطْعَمْنَا ذَا عَنَابٍ لِأَطْعَمْنَا اللَّهَ فَبِيهَا

١٧٨ رقيقة الحاشية

لَأَعْطِفَنَّ إِلَى الصَّهْبَاءِ عَنْ دِمَنِ، لَمْ يَبْقَ مِنْ عَهْدِهَا إِلَّا أَثَافِيهَا
لأعطفن (لأميلن) ولأذهبن إلى الصهباء (الخمر) كي أصفها مبتعداً عن وصف الدمن (الطلول) التي لم يبق من عهدها القديم سوى أثافيا (حجارة الموقد)

مَوْصُوفَةٌ بِفُنُونِ الطَّيِّبِ طَالَ لَهَا عُمْرٌ، فَلَمْ تَعُدْ أَنْ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا
 الخمر موصوفة بفنون الطيب (أنواع شتى من الطيب من رائحة ومذاق) وقد طال عمرها ولكن هذا
 لم يفسدها بل رقق حواشيها (رقة الحاشية/ أي الجنب كناية عن اللطف في الإنسان)

١٧٩ عديم المثال

لَوْ صَحَّ عَقْلِي قَلَّ أَشْبَاهِي أَجَلْ، وَلَمْ أَلِهْ مَعَ اللَّاهِي
 لو تعقلت لكنت عبقرياً لا شبيه له، ولما لهوت من اللاهين

لَا تَتَنَاهَى النَّفْسُ عَنْ عَيْهَا مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَهَا نَاهٍ
 لِلَّهِ دُرُّ الْمَوْتِ مِنْ خُطْئَةٍ فِيهَا اسْتَوَى الْأَحْمَقُ وَالذَّاهِي
 إِنَّا لَنَنْسَاهَا وَقَدْ مُرِنْتُ مِنَّا بِأَسْمَاعٍ وَأَفْوَاهٍ
 ننسى خطة الموت (تدبيره) مع أنها - ولأنها - مرنت (كُررت) على أسماعنا وفي أفواهنا

١٨٠ العاشق فاضح نفسه

مَا رَأَيْنَا مَنْ قَلْبُهُ فِي يَدَيْهِ لَا، وَلَا عَاشِقًا هَوَاهُ إِلَيْهِ
 مَرَّةً عَاشِقًا، وَآخَرَى حَلِيًّا، مُظْهِرًا غَيْرَ مَا الضَّمِيرُ عَلَيْهِ
 ليس هناك عاشق يستطيع أن يخفي ما به من عشق

١٨١ التوبة

دَبَّ فِي الْفَنَاءِ سُفْلًا وَعُلُوًّا وَأَرَانِي أُمُوتُ غَضُوءًا، فَعُضُوءًا
 لَيْسَ مِنْ سَاعَةٍ مَضَتْ لِي إِلَّا نَقَصْتَنِي بِمَرِّهَا بِي جُزُوءًا
 جزواً: جزءاً

ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِطَاعَةِ نَفْسِي، وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نِضُوءًا
 ذهب شبابي في طاعة شهواتي، وتذكرت طاعة الله مهزولاً مستأثراً

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَيَالٍ وَأَيَّامٍ تَمَلَّيْتُهِنَّ لَعِبَاءً وَلَهْوَ
 تملتين: تماردين فيهن

قَدْ أَسَأْنَا كُلَّ الْإِسَاءَةِ فَالَلْهُمْ صَفْحًا عَنَّا، وَغَفْرًا وَعَفْوَ

١٨٢ ذل وخوف

قال يهجو غالب بن الصغدي:

مَنْ سَلَطَ اللَّهُ، يَا حُسَيْنُ، عَلَى مُهْجَتِهِ شَاعِرًا، فَقَدْ خَزَيَا
مهجته: نفسه

وَيْلٌ لِعَلْبُونٍ، إِنَّهُ شَقِيحَا فَكَيْفَ بِالذُّلِّ وَالْبَلَا رَضِيَا
أَشْرَبْتُهُ الذُّلَّ وَالْمَخَافَةَ، مَا بَقِيَتْ حَيًّا، لَهُ، وَمَا بَقِيَا

١٨٣ هجاء كأنه لابن الرومي

زُنْبُورُ يَا خِنْزِيرُ يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ شَرَفٌ لَأُمِّكَ أَنْ تُسَمَّى زَانِيَةً
قَدْ كُنْتُ، مِنْ هَذَا الْبَلَاءِ، بِمَعْزِلٍ، يَا ابْنَ الزَّانِئِ، فَلَمْ تَسْغُكِ الْعَافِيَةُ
فَلَتَأْتِيَنَّكَ مِنْ لِسَانِي شُرْدٌ تَبْلَى الْجِبَالَ وَإِنَّهَا لَكَمَا هِيَ
شرد: قصائد سائرة في البلاد

١٨٤ أخوة الشراب

وقال أبو نواس (من رواية حمزة الأصباهاني):

وَلَسْتُ بِقَائِلٍ لِنَدِيمٍ صِدْقٍ وَقَدْ أَخَذَ الشَّرَابُ بِمُقْلَتَيْهِ
تَنَاوَلَهَا وَإِلَّا لَمْ أَذُقْهَا فَيَأْخُذُهَا، وَقَدْ ثَقُلْتُ عَلَيْهِ
وَلَكِنِّي أُدِيرُ الْكَأْسَ عَنْهُ وَأَصْرِفُهَا بِقَمَرَةٍ حَاجِبِيهِ
وَأِنْ مَدَّ الْوَسَادَ لِنَوْمٍ سُكْرِ دَفَعْتُ وَسَادَتِي أَبْضًا إِلَيْهِ
فَذَلِكَ مَا حَبِيبٌ لَهُ، وَإِنِّي أَبْرُ بِمِثْلِهِ مِنْ وَالِدَيْهِ

١٨٥ قتيل واقف بالباب

يَا قَمْرًا أَبْصَرْتُ فِي مَاتَمٍ، يَنْدُبُ شَجْوًا بَيْنَ أَتْرَابِ
شجواً: حزناً، أتراب: أصحاب

بِبَكِيٍّ فَيَنْزِي الدُّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ

يبكي فيذري (بيد) الدر (اللؤلؤ/الدمع) من نرجس (أي من عينيه، ويشبهون العين بالنرجس)،
ويلطم الورد (خده) بعناب (ثمر كأطراف البنان منحمر أعلاه كأنه محتى)

لا تَبِكْ مَيْتاً حَلَّ فِي حُفْرَةٍ، وَابِكْ قَتِيلًا لَكَ بِالْبَابِ

١٨٦ يا رب

يا رَبِّ إِن عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً	فلقد علمتُ بأنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ	فَبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمَجْرِمُ
أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعاً	فَإِذَا رَدَدْتَ يَدَيَّ فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا	وَجَمِيلُ عَفْوَكَ، ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١٨	سِيَابَةٌ	١	الصَّفَاء
١٩	وَالِيَةٌ	٢	الدَّاءُ
٢٠	يُلَاعِبُهُ	٣	اِنْتِشَاءُ
٢٢	إِهَابِهِ	٤	أَسْمَائُهَا
٢١	حِجَابِهِ	٥	الجَوَابَا
٢٣	وَحَاصِبِهَا	٦	وَأَعْرَبَا
٢٤	سِكِّيتُ	١١	الْخُطُوبُ
٢٦	صَبَابَاتِي	١٢	الطَّرَبُ
٢٥	يُؤَاتِي	٨	الْعَجَبُ
٢٧	الْفَرَجَا	٩	الْقَلْبُ
٣٠	جَرَحَا	٧	فَاللَّبُّ
٢٩	صَدَحَا	١٠	وَيَنْشَعِبُ
٢٨	وَمَزَاحَا	١٨٥	أَثْرَابِ
٣٣	الصَّبُوحُ	١٧	تَجْرِيبِ
٣٢	الْفُصْحُ	١٥	عَذْبِ
٣١	الْمَازِجُ	١٣	لِشْرَابِ
٣٤	مَجْرُوحِ	١٦	لِلضَّبِّ
٣٥	الْبَارِحَةُ	١٤	وَالْعِنْبِ

٧٠	عَسِيرُ	٣٧	رَوْدَا
٦٨	عُورُ	٤٤	الْأَسْوَدُ
٦٧	نَدُورُ	٤٣	الْبَلَدُ
٦٩	والخَبِيرُ	٤٢	الحَاشِدِ
٦٦	يَدُورُ	٣٨	الْمُسْتَرَادِ
٧٤	أَثَرِي	٤٠	بِالْجَرَدِ
٧٢	الخَبِيرِ	٣٩	بِالسَّدِ
٨٣	الصدورِ	٤٥	بِمَوْعُودِي
٧٣	الْكَبِيرِ	٤١	كَالْوَرْدِ
٨٤	الْكَبِيرِ	٣٦	الْمُتَجَرِّدِ
٧٨	الْكَلِيرِ	٤٦	عَادَةً
٨١	بِالنَّظَرِ	٤٧	كَيْدَهُ
٨٥	بِالْوَقَارِ	٤٨	كَيْدَهُ
٧٧	تَدْرِي	٤٩	جَدُّهُ
٨٢	ظُفْرِ	٥١	صُدُودُهُ
٧١	فَأُدَارِي	٥٠	يُقَدُّهُ
٧٦	كَالْبَدْرِ	٥٢	طَبِيزَنَابَادًا
٨٠	لِلْحَشْرِ	٥٣	بَغْدَادِ
٧٩	وَحْمَرِ	٥٩	أَفْتَرَى
٧٥	يَجْرِي	٥٨	الْخُمَارَا
٥٥	أَسْتَرُ	٦١	الْخَمْرَا
٥٧	وَالْخَطَرُ	٦٢	طُهْرَا
٥٤	وَتَصَبَّرُ	٦٠	وَالْفِكْرَا
٥٦	وَطَرُ	٦٥	الْجَهْرُ
٨٧	سَمَرُهُ	٦٤	بَخْرُ
٨٦	وَقَارُهُ	٦٣	حُصْرُ

١١٣	سِوَاكَا	٨٨	وَدَارِسُ
١١٧	أَمَلَا	٩٠	النَّاسِ
١١٦	تَقَبَّلَا	٩١	بِرَاسِي
١١٩	مَأْمُولَا	٨٩	عَبَاسِ
١١٨	مَهَلَا	٩٢	جَلَسُ
١٢٠	الْقُبْلُ	٩٣	رُقَاشُ
١٢٣	سَبِيلُ	٩٤	سَرِيْعَا
١٢١	عَسَلُ	٩٥	تَبِيعُ
١٢٢	وَابْتَهِلُوا	٩٧	وَمُعْتَرِفَا
١٢٨	الْأَسِيلِ	٩٨	يُرْفَا
١٣١	الْأَكْلِ	١٠٠	الْوَصْفِ
١٣٦	الرَّسُولِ	٩٩	طَرَفِ
١٢٤	السَّرْبَالِ	٩٦	خَلَفَ
١٣٤	الْعَمَلِ	١٠٢	الْأَرْقَا
١٣٣	الْمَتَزَمِّلِ	١٠١	حَقًّا
١٣٥	بِزَلِيلِ	١٠٧	الْمُتَّقِي
١٢٧	بِقُطْرُبْلِ	١٠٨	تَصْدِيقِي
١٣٢	جَمَلِي	١٠٩	رَقِيقِ
١٢٩	رِجْلِي	١٠٤	صَفَاقِ
١٢٦	عِيَالِ	١٠٥	لِلْمُعَانِقِ
١٢٥	فَعَالِ	١٠٣	وَالسَّاقِي
١٣٠	وَالْهَزْلِ	١٠٦	يَخْتَنِقِ
١١١	لَعَلَّكَ	١١٠	عُنُقَهْ
١٣٨	شَمِيمَا	١١٢	أَرَاكَا
١٣٧	فَأَقِيمَا	١١٤	أَهْجُكَا
١٤٠	تَرْحَمَ	١١٥	وَالسَّمَكَا

١٦٥	الْحَدَّثَانِ	١٣٩	تَضَامُ
١٧٠	الرَّزْجُونِ	١٤١	دَسَمُ
١٦٦	الْقِيَانِ	١٨٦	أَعْظَمُ
١٦٤	أَوَانِ	١٤٣	الْأَيَامِ
١٦٣	عَثْمَانِ	١٤٤	الْكَرْمِ
١٦٩	فَاسِقِنِي	١٤٦	أَنَمِ
١٦٧	نُتْنِي	١٤٢	بِسْلَامِ
١٧١	وَطِينِ	١٤٧	سُقْمِ
١٦٨	يُغْنِي	١٤٥	لَا زِمِ
١٥١	رَوَيْدُنْ	١٤٨	مَلُومِ
١٧٢	تُهْنِيهَا	١٤٩	نَسِيمِ
١٧٤	اللَّهِ	١٥٠	مُكْتَمِهِ
١٧٣	يَذْكُرَاهَا	١٥٧	الْثَمِينَا
١٧٥	تَمَنَّاها	١٥٨	المؤمنينا
١٧٩	الْأَلَاهِي	١٥٦	تَنْتَظِرِينَا
١٨٠	إِلَيْهِ	١٥٥	عِنْدَنَا
١٨١	فَعُضُوا	١٥٣	كَانَا
١٨٢	خَزِيَا	١٥٤	وَلِسَانَا
١٧٨	أَنَا فِيهَا	١٥٢	يَقْطَانَا
١٧٦	تِيهَا	١٦١	جَرِينُ
١٧٧	فَقِيهَا	١٥٩	مَكَانُ
١٨٣	زَانِيَةُ	١٦٠	يَمِينُ
١٨٤	بِمُقْلَتِيهِ	١٦٢	أَبَانِ

دُعْبِلُ الْخَزَاعِيّ

(١٤٨هـ - ٢٤٦هـ)

نصر كتب الأدب القديمة على أن دعبلأ مات عن ثمان وتسعين سنة قمرية، فهذه خمس وتسعون سنة شمسية. . وهذا كثير على شاعر قتل قتلاً بعد أن هجا ستة خلفاء ما تجرأ أحد من شعراء عصره على هجاء أحد منهم. لكنه نقل عن دعبل أنه قال إنه يحمل خشبته على كتفه منذ خمسين سنة لا يجد من يصلبه عليه. فزعنا إلى كتاب عمر فروخ الممتاز في تاريخ الأدب العربي، ثم عدنا ومسحنا عدسة النظارة ونظرنا في ديوان دعبل - الذي صنعه مما تيسر له من شعر دعبل المحقق المدقق عبد الكريم الأشر، وصنعه صنعة تنم عن علم غزير وصبر على البحث والتنقيب قل أن تلقاهما حتى عند كبار المحققين، فأما الفسول الذي يسمون أنفسهم محققين للدواوين في هذه الأيام فننبذهم ظهرياً، آمليين أن نعود إليهم في فقرة مقبلة كي نلهب ظهورهم بالسياط -، فلم نجد في مقدمة المحقق للديوان ما يشكك في أن دعبلأ عُمِّرَ هذا التعمير. نظرت هنا ثم هنا، ثم قلت: أرى كيف حقق المستشرقون تاريخ ولادة شاعرنا وتاريخ وفاته، فوجدت المقالة عنه في دائرة المعارف الإسلامية مشحونة بالأغلاط مكتوبة بقلم مستسهل قليل المعرفة قليل التدقيق. وعلى كل حال فكل هؤلاء أجمع على أن دعبلأ عاش ثمانين وتسعين سنة قمرية. فقلت قد عاشها، ألم يخنق الفرزدق التسعين؟

ولد دعبل في الكوفة أو قرقيسيا قرب دير الزور. وهو رجل عربي من خزاعة اليمانية. واسمه دُعْبِلُ بن علي بن رَزِين الخزاعي. رافق المجان في الكوفة في شبابه الباكر، وارتكب جريمة قتل فطلب بها فهرب، وعاش حتى مات كل أولياء الثأر فرجع إلى الكوفة، وقد أسنَّ، آمناً.

تمذهب دعبل بالمذهب الشيعي، والتشيع ليس مذهباً دينياً فحسب؛ فحتى في ذلك الزمن المبكر، مطلع القرن الثالث الهجري، فقد غدا التشيع هوية وانتماء سياسياً وحالة نفسية. وأصبحت «مقاتل الطالبيين» جزءاً من العقيدة؛ فكل طالبي، من نسل أبي طالب عم الرسول، يخرج عن الخلافة ويقاتل ويقتل يترك وراءه خيطاً من الدم يدخل في نسيج العقيدة الشيعية. وقد بذل الخليفة المأمون جهداً نظنه صادقاً، رغم ما كان وراءه من هدف سياسي، في تمزيق هذا النسيج الدموي، واستفاد من جهده سياسياً، واستطاع أن يهدئ الأجواء، لكن ما صنعه كانت حبة أسبرين.

اتخذ شاعرنا من هذا الشرخ في الأمة الإسلامية سترأ هجا من وراءه الخلفاء، واجداً لنفسه أقواماً وأشرافاً يحمونه. كان دعبل يحتمي وراء التشيع ووراء خزاعة، وساعده في الإفلات من يد الطلب أن الخلافة كانت قد تمفصلت في عصر هارون الرشيد وازدادت تمفصلاً بعده فاستقل كل أمير ناحية بإمارته بعض استقلال.

مدح دعبل كثيراً وهجا أكثر، وكان عرف من أستاذه في الشعر مسلم بن الوليد أن الهجاء أعود على الشاعر من المدح، فهجاؤك أحدهم يجعل غيره يعطيك مسرعاً عندما تمدحه خوفاً من أن يهجي. وذكروا أن دعبلاً نظم قصيدة هجاء وتركها تنتظر المهجو المقبل، حتى إذا نشأت الحاجة إليها ركب فيها اسم المهجو وأذاعها.

جعل صاحب الأغاني سيرة دعبل في خمسين صفحة، وهي تصور لنا الشاعر شخصاً متمرداً له إيمان الأعراب بالدين، وهو إيمان خفيف، وله غرام بالمناكفة. مؤمن بموهبته وعارف بالشعر، فإذا ما وقف أمام جدار خرساني من موهبة فذة لشاعر يصغره بأربعين عاماً، عنينا أبا تمام، ناكف قليلاً ثم سلم تسليمًا. ومضى يناكف غيره. خاض خصومة طويلة مع الشاعر أبي سعيد المخزومي، الذي كان يجاري دعبلاً في السفه، ويطاوله في الموهبة، ولكن دعبلاً أخمله.

سمع هارون الرشيد شعر دعبل، ودعبل يسير نحو الأربعين، وقربه وأعطاه. ومات الرشيد ودعبل في الخامسة والأربعين فهجاه بعد موته، وجاء الأمين فهجي الأمين. وجاء المأمون فسمع شعر دعبل وأجازه. . ليس يهم الملك أن تكون هجوت أباه وأخاه.

هذه قاعدة فاحفظها إن شئت.

ثم هُجِّي المأمون حياً، وكان سمحاً فلم يطلب دعبلاً، بل لقد كان يضحك كلما سمع شعر دعبل في هجاء كاتبه المتوتر الغضوب أبي عباد. سأل المأمون جليسه يوماً عما أحدث «شاعر خزاعة»، فقيل له: من يعني أمير المؤمنين؟ أبا الشيص أم ابنه أم طاهراً أم عبد الله بن طاهر، أم دعبلاً؟ فقال المأمون: ومن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن شعره سوى دعبل؟

أتى دعبل، وهو ابن خمسين، مصر ومدح أميرها المطلب بن عبد الله الخزاعي، فعينه على أسوان، ثم لما بلغه هجاء قاله دعبل فيه عزله شر عزل، فهجاه دعبل أمر هجاء.

وأقام دعبل زمناً في كنف علي بن موسى الرضا الإمام الثامن الذي ولاه المأمون عهده. وكان يكثر من زيارة قم، وكانت هذه المدينة بلد الشيعة، لم يكد يسكنها أحد من غيرهم، قديماً مثلماً حديثاً. كان هذا في حياة المأمون.

ومات المأمون وتولى المعتصم فنال من دعبل هجاء ما ناله خليفة قبله. وكان دعبل يحتمي وقتئذ في مدن وقرى فارس الشيعية دائم الترحال حاملاً خشبته على كتفيه ينتظر أن يصلبه أحد عليها. ومات المعتصم وجاء الواصل فنال من هجاء دعبل فور توليه الخلافة ما ناله سابقوه، على أن الواصل أحسن إلى الطالبين وأكرمهم وقربهم، فلما مات جاء المتوكل فرفع عن الطالبين ما كان أحاطهم به أخوه وسلفه الواصل من رعاية، فنال نصيبه من لسان دعبل، ولم يبلغنا من هجاء دعبل للمتوكل سوى بيت واحد: (ولست بقاتل قَدْعاً، ولكن/ لأمر ما يُعَدُّ لك العبيد) ويروى البيت أيضاً (تعبّدك العبيد)، يلمح إلى الأبناء، ولعله غير رأيه عندما بلغه أن لدى المتوكل أربعة آلاف جارية زعم الزاعمون أنه وطنهن كلهن.

وكان إبراهيم بن المهدي قد نصب نفسه خليفة في بغداد فيما بين مقتل الأمين وقدم المأمون إلى العاصمة، ونال من دعبل سخرية ظل يحققها عليه.. وظل المأمون يضحك منها زمناً.

وقد نقلنا لك بعضاً من كل ذلك الهجاء في المختارات التي تجدها بعد هذه المقدمة المفككة، التي رأينا - عجزاً وكسلًا - ألا نحكمها إحكاماً، فقد عاش شاعرنا قرناً ومرت به أحداث كثيرة، ولم نشأ أن تقتحم لجج التفاصيل.

والشعر الذي نورده عليك بعد أسطر مسرود بحسب ترتيب الديوان، ولم

نشأ أن ترتب الأشعار زمنياً، مع أن محقق الديوان وضع إشارات كثيرة إلى الزمن التقريبي الذي قيلت فيه أهم أشعار الديوان. فافقراً شعر دعبل بما هو شعر، وحسبك ما في هذه المقدمة من معلومات عن حياة الشاعر. غير أنك تريد أن تعرف كيف مات.

هجا دعبل مالك بن طوق التغلبي، هذا الأمير الذي كان من أركان الدولة منذ عهد الرشيد إلى ما بعد عهد المتوكل، والذي بلغ من مكانته أن مدحه أبو تمام والبحري. هجاه دعبل مرات وبالع في الشتم واصلاً إلى التزنية. فأخذه والي البصرة بإيعاز من مالك بن طوق، وضربه ضرباً مبرحاً وبلّعه سلحه. وهرب دعبل إلى الأهواز، فبعث إليه مالك من اغتاله بحربة مسمومة.

١ من أين جاء؟

يهجو القاضي أحمد بن أبي دؤاد:

إِنْ هَذَا الَّذِي دُؤَادُ أَبُوهُ وَإِيَادُ، قَدْ أَكْثَرَ الْأَنْبَاءَ
سَاحَقَتْ أُمُّهُ وَلَا طُ أَبُوهُ لَيْتَ شِعْرِي عَنْهُ، فَمِنْ أَيْنَ جَاءَ؟

٢ كأسان وميزان

وَكَأْسٍ قَدْ شَرِبْنَاهَا بِلُطْفٍ تَخَالَ شَرَابَنَا فِيهَا هَوَاءُ
وَزَنَّا الْكَأْسَ فَارَغَةً وَمَلَأَى فَكَانَ الْوِزْنُ بَيْنَهُمَا سَوَاءُ
أَكثَرُوا مِنْ وَصْفِ الْخَمْرِ بِأَنَّا بِلَا وَزْنٍ، كَأَنَّمَا لَشْدَةُ صَفَائِهَا، وَالْمَاءُ أَصْفَى

٣ خط الرجعة

قال لصديق جفاه:

فَلَا تَكُ كَالرَّاكِبِ السَّجْعِ كِي يُهَابُ، وَأَنْتَ لَهُ أَهْيَبُ
فَأَبْصِرْ لِنَفْسِكَ كَيْفَ النِّزْوِ لُ فِي الْأَرْضِ عَنْ ظَهْرِ مَا تَرَكْبُ

٤ ثامنهم كلب

يهجو المعتصم:

بَكَى لِشَتَاتِ الدِّينِ مُكْتَتِبٌ صَبٌّ وَقَاضٍ بِفَرْطِ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِهِ غَرَبٌ
الغرب: الدلو، والغرب أيضاً العين

وقام إمام لم يكن ذا هداية فليس له دين وليس له لب
وما كانت الأنبياء تأتي بمثله يملك يوماً أو تدين له العرب
ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتينا عن ثامن لهم كتب
والمعتصم هو ثامن خلفاء بني العباس

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة خيار إذا عدوا وثامنهم كلب
وإني لأعطي كلبهم عنك رفعة لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع أمر الناس إذ ساس ملوكهم وصيف وأشناس وقد عظم الكرب
وصيف وأشناس من قادة الأتراك

٥ القدر الطروب

الحمدُ فرَّقَ مالي في الحقوق، فما أبقيتُ دماً، ولا أبقيتُ لي نسباً
تفريقي المال لكسب الحمد لم يترك علي دماً، لكنه أيضاً لم يترك لي نسباً، أي ثروة
قالت سلامة دُعْ هَذي اللَّبُونُ لَنَا لِيَصْبِيَةَ مِثْلَ أَفْرَاحِ الْقَطَا زُغْبَا
تطلب منه امرأته أن يترك الناقة الحلوب للصبية الضعاف كأنهم أفراح طير القطا الزغب،
التي بدأ يبت ريشها

قلتُ احسبِهَا ففِيهَا مُتَعَةٌ لَهُمْ إِنْ لَمْ يُنْخِ طَارِقُ يَبْغِي الْقِرَى سَغْبَا
قلت احسبها للصبية كي يتمتعوا، يستفيدوا، من حليبها ما لم يأت طارق، زائر ليل، وينبخ دابته
ببانا وهو يطلب القرى سغباً، أي جانعاً

لَمَّا احْتَبَى الضَّيْفُ وَاعْتَلَّتْ حَلُوبُهَا بَكَى الْعِيَالُ وَغَنَّتْ قِدْرُنَا طَرَبَا
وجاء الضيف، واحتى، أي جلس وجمع ساقية إلى ظهره بशल، ولم يكن في ناقتنا حليب، فبكى
العيال لأنني سأذبحها، ولكن القدر غنت طرباً بما فيها من ماء بدأ يغلي

هَذي سِبْلِي، وَهَذَا فَاعَلَمِي خُلُقِي فَارْضَنِي بِهِ أَوْ فَكُونِي بَعْضَ مَنْ غَضِبَا
أَسْعَى لِأُطْلِبَهُ، وَالرِّزْقُ يَطْلُبُنِي وَالرِّزْقُ أَكْثَرُ لِي مِنِّي لَهُ طَلَبَا
أطلب الرزق وهو يطلبني، بل يطلبني أكثر مما أطلبه

قَوْمٌ جَوَادُهُمْ قَرْدٌ، وَقَارِسُهُمْ قَرْدٌ وَشَاعِرُهُمْ قَرْدٌ إِذَا نَسَبَا
أنا من قوم جوادهم فرد، أي متفرد. . وهو حاتم الطائي ذلك أنه من قبيلة يمانية كدعلج، وفارسهم
فرد، وهو عمرو بن معديكرب، وشاعرهم إذا نسب فرد، ونظته عن نفسه

٦ قديموني للجحيم

إِنَّمَا الْعَيْشُ فِي مُنَادَمَةِ الْإِخْوَانِ، لَا فِي الْجُلُوسِ عِنْدَ الْكَعَابِ
العيش الحقيقي هو في مجالسة الرجال لا في الجلوس عند الفتاة الكعاب، البارزة النهدين
وَيَصْرِفُ كَأَنَّهَا أَلْسُنُ الْبَرِّ قِي إِذَا اسْتَعْرَضَتْ رَقِيقَ السَّحَابِ
والعيش تناول خمر صرف، غير ممزوجة، لونها كألجنة البرق تلمع بين السحاب

إِنْ تَكُونُوا تَرَكْتُمْ لَذَّةَ الْعَبْدِ شِيْ حِذَارَ الْعِقَابِ يَوْمَ الْعِقَابِ
فَدَعُونِي وَمَا أَلَذُّ وَأَمْوَى وَادْفَعُوا بِي فِي نَحْرِ يَوْمِ الْحِسَابِ

٧ لَا أُلْحِ

دخل على عبد الله بن طاهر، فقال:

جِئْتُ بِلا حُرْمَةٍ وَلَا سَبَبٍ إِلَيْكَ إِلَّا بِحُرْمَةِ الْأَدَبِ
فَاقْضِ ذِمَامِي فَإِنِّي رَجُلٌ غَيْرُ مُلِحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ
ذمامي: حقي

٨ كلب بافلوف الخزاعي

إِذَا نَبَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبِي تَصَبَّيْتُ يَنَابِيعُ مِنْ مَاءِ السَّرُورِ عَلَى قَلْبِي
ماء السرور هذا كماء الملام عند أبي تمام الذي دار عليه لفظ كثير شاركتنا فيه فيما كتبناه عن أبي تمام
فَأَلْقَاهُمْ بِالْبِشْرِ وَالْبَرِّ وَالْقَرَى وَيَقْدُمُهُمْ نَحْوِي يُبَشِّرُنِي كَلْبِي
مثلاً جعل بافلوف كلبه يربط شرطياً بين صوت الجرس وقدم الطعام فيسيل لعابه قبل تقديم
الطعام، كذا كلب دعبل يربط شرطياً بين قدوم الأضياف وتوفر الطعام الذي لا بد أن يصيب منه

٩ رزق الكلبة

يهجو المطلب بن عبد الله الخزاعي:

وَلَوْ خُصَّ بِالرِّزْقِ نَجْلُ الْكِرَامِ لَمَّا نِلْتَ خَيْطاً وَلَا هُدْبَةً
الهدبة: الخيط منسولاً من طرف الثوب

وَلَكِنَّهُ رِزْقٌ مِّنْ رِّزْقِهِ يَعُمُّ بِهِ الْكَلْبَ وَالْكَلْبَةَ
لكن هذا الرزق الذي نلته هو رزق الله الذي يعطيه حتى للكلب والكلبة

١٠ مدارس آيات

قصيدة ذات شهرة مدوية، أنشدتها دعبيل علي بن موسى الرضا الإمام الثامن:

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزَلٌ وَخِي مُقْفَرُ الْعَرَصَاتِ

أماكن لدرس آيات القرآن خلت من التلاوة، وموضع بالحجاز حيث كان ينزل الوحي أصبح مقفر
الساحات بسبب المحن التي تعرض لها آل البيت

لِآلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَىٰ وَيَالرُّكْنِ وَالتَّعْرِيفِ وَالْجَمَرَاتِ

هذه أماكن في الديار المقدسة

قِفَا نَسَائِلَ الدَّارِ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا مَتَىٰ عَهْدُهَا بِالصُّومِ وَالصَّلَوَاتِ؟

خف أهلها: رحلوا

وَأَيْنَ الْأَلَى شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَىٰ أَفَانِينَ فِي الْآفَاقِ مُفْتَرِقَاتِ؟

أين الذي شطت، ابتعدت، بهم غربة النأي والفراق أفانين، متفرقين

وَمَا النَّاسُ إِلَّا حَاسِدٌ وَمُكَذِّبٌ وَمُضْطَغِنٌ ذُو إِخْنَةٍ وَتِرَاتِ

الناس إما حاسد لهم على منزلتهم العلية أو مكذب بحقوقهم أو مضطغن، حاقد، ذو إحنة، أي
حقد، وترات، أي ثارات

إِذَا ذَكَرُوا قَتَلَىٰ بِبَدْرِ وَخَيْبَرٍ وَيَوْمِ حُنَيْنٍ أَسْبَلُوا الْعَبْرَاتِ

إذا ذكر الأعداء، قتلهم ببدر وخيبر وحنين بكوا، وكان كثيرون من قريش وغيرها من أعداء
الرسول في هذه المعارك قبل أن يسلموا، ولكنهم ظلوا يتذكرون هزائمهم قبل إسلامهم

وَكَيْفَ يُحِبُّونَ النَّبِيَّ وَأَهْلَهُ وَقَدْ تَرَكُوا أَحْشَاءَهُمْ وَغِرَاتِ

كيف يحبون النبي وأهله وقد تركوا أحشاء هؤلاء الأعداء وغرات، مثقلات بالحقد

لَقَدْ لَا يَنْوَهُ فِي الْمَقَالِ وَأَضْمَرُوا قُلُوبًا عَلَى الْأَحْقَادِ مُنْطَوِيَاتِ

أسلموا ولانوا في كلامهم مع الرسول، والحقد في قلوبهم

مَلَأَمَكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ أَحِبَّائِي مَا عَاشُوا وَأَهْلُ ثِقَاتِي

كف عن لومك لأهل النبي

فِيَا رَبِّ زِدْنِي مِنْ يَقِينِي بِصِيرَةٍ وَزِدْ حُبَّهُمْ يَا رَبِّ فِي حَسَنَاتِي

وَأَكْتُمُ حُبِّيَكُمْ مَخَافَةَ كَاشِحٍ عَنِيدٍ، لِأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرِ مُؤَاتِ

أكتم حبي لكم يا آل النبي خوفاً من كاشح، مضر للعداوة، وليس مواتياً، أي موافقاً، لأهل الحق

لَقَدْ حَقَّتِ الْأَيَّامُ حَوْلِي بِشَرِّهَا وَإِنِّي لَأَرْجُو الْأَمْنَ بَعْدَ وَفَاتِي

يرجو الجنة بسبب نصرته لآل النبي

أَرَى فَيْئَهُمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا وَأَيْدِيَهُمْ مِنْ فَيْئِهِمْ صَفِرَاتٍ

فيء آل النبي، نصيبهم من الغنائم، مقسم في غيرهم، وأيديهم صفرات، خاليات، منه

فَأَلَّ رَسُولُ اللَّهِ نُحْفَ جُسُومُهُمْ وَأَلَّ زِيَادُ حُفْلٍ الْقَصَرَاتِ

آل زياد، أخي معاوية بن أبي سفيان لأبيه، حفل القصرات، غلاظ الرقاب من النعمة

إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى وَاتِرِيهِمْ أَكْفًا عَنِ الْأَوْتَارِ مُنْقَبِضَاتٍ

إذا وتروا، ووجهوا بالعداء وطلب الثأر، مدوا إلى الواترين، طالبي الثأر، أكفاً منقبضة عن الثارات

سَأَقْصُرُ نَفْسِي جَاهِدًا عَنْ جِدَالِهِمْ كَفَانِي مَا أَلْقَى مِنَ الْعِبَرَاتِ

لن أجادل الأعداء، وكفاني ما بي من دموع

أَحَاوِلُ نَقْلَ الشَّمْسِ مِنْ مُسْتَقَرِّهَا وَإِسْمَاعَ أَحْجَارٍ مِنَ الصَّلِدَاتِ

فإنقاعهم شبيه بنقل الشمس من مكانها أو إسماع الأحجار الصلدة، الصلبة

فَمِنْ عَارِفٍ لَمْ يَنْتَفِعْ وَمُعَانِدٍ يَمِيلُ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ

وهم بين عارف بحق آل البيت لكنه لم ينتفع بمعرفته، وبين معاند يميل مع أهوائه ومصالحه وشهوات الانتقام في نفسه

فَصَارَايَ مِنْهُمْ أَنْ أُوُوبَ بِغُصَّةٍ تَرَدَّدُ بَيْنَ الصَّدْرِ وَاللَّهَوَاتِ

قصاراي، أفصى ما أناله، من جدالهم أن أؤوب، أي أرجع، بغصة في الحلق تتردد بين الصدر واللهوات، آخر الحلق

١١ أنا والضيف والقصيدة الصعبة

نَفْسِي تُنَافِسُنِي فِي كُلِّ مَكْرُمَةٍ إِلَى الْمَعَالِي، وَلَوْ خَالَفْتُهَا أَبَتْ

وَكَمْ رَحِمْتُ طَرِيقَ الْمَوْتِ مُعْتَرِضًا بِالسِّيفِ صَلْتًا فَأَدَّانِي إِلَى السَّعَةِ

صلتاً: ملولاً

وَالْجَوْدُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْذُ عَاهَدَنِي مَا خُنْتُهُ وَقَتَ مَيْسُورِي وَمَعْسَرَتِي

مَا يَرْحَلُ الضَّيْفُ عَنِّي غَبَّ لَيْلَتِهِ إِلَّا بِزَادٍ وَتَشْبِيعٍ وَمُعْذَرَةٍ

يرحل الضيف غب ليلته، بعد قضائه الليلة عندي، وقد زودته بزاد لرحلته، وشيعة واعتذرت إليه عن أي تقصير

قَالَ الْعَوَازِلُ أَوْدَى الْمَالُ، قُلْتُ لَهُمْ مَا بَيْنَ أَجْرِ الْقَاءِ وَمَحْمَدَةَ
 قَالَ الْعَاذِلُونَ: قَدْ ذَهَبَ مَالُكَ، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَلَا قِي عَلَيْهِ الْأَجْرُ مِنْ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ مِنَ النَّاسِ
 أَفْسَدَتْ مَالَكَ، قُلْتُ: الْمَالُ يُفْسِدُنِي إِذَا بَخِلْتُ بِهِ وَالْجُودُ مَصْلَحَتِي
 لَا تَعْرِضَنَّ بِمَرْحٍ لِمَرْئِي سَفِيهِ مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الشَّفَةِ
 لَا تَمْرَحْ مَعَ سَفِيهِ يَفْوَهِ بِكُلِّ شَيْءٍ يَتَرَدَّدُ فِي نَفْسِهِ دُونَ تَفْكِيرٍ

فَرُبَّ قَافِيَةٍ بِالْمَرْحِ جَارِيَةٍ مَشْبُوبَةٍ لَمْ تُرِدْ إِنَّمَاءَهَا نَمَتْ
 رَبُّ قَصِيدَةٍ جَرَتْ عَلَى لِسَانِكَ مَرْحاً وَهِيَ حَارَةٌ حَادَّةٌ، وَلَمْ تَقْصِدْ إِلَى إِشَاعَتِهَا، لَكِنَّا شَاعَتْ..
 المعنى الملموح

رَدُّ السَّلَى مُسْتَتِمًّا بَعْدَ قَطْعَتِهِ كَرَدُّ قَافِيَةٍ مِنْ بَعْدِمَا مَضَتْ
 إِنْ رَدَّ السَّلَى مُسْتَتِمًّا، إِعَادَةُ الْمَشِيمَةِ بِحَالِهَا سَلِيمَةً، إِلَى جُوفِ الْمَرْأَةِ بَعْدَ أَنْ قَطَعْتَ عَنْ الطِّفْلِ
 مُسْتَحِيلٌ، وَكَذَا رَدُّ قَصِيدَةٍ قِيلَتْ وَانْتَشَرَتْ

إِنِّي إِذَا قُلْتُ بَيْتاً مَاثُ قَائِلُهُ وَمَنْ يُقَالُ لَهُ، وَالْبَيْتُ لَمْ يَمُتْ

١٢ البائدون العائدون

قال يهجو ابن أبي دؤاد:

تَرَى طَسْماً تَعُودُ بِهَا اللَّيَالِي إِلَى الدُّنْيَا كَمَا رَجَعَتْ إِيَادُ
 لَا عَجَبُ أَنْ تَرَى قَوْمَ طَسْمِ الَّذِينَ بَادُوا قَدْ عَادُوا إِلَى الدُّنْيَا مِثْلَمَا عَادَتْ قَبِيلَةُ إِيَادَ

قَبَائِلُ جُذْ أَصْلُهُمْ فَبَادُوا وَأَوْدَى ذِكْرُهُمْ زَمناً فَعَادُوا
 هَذِهِ قَبَائِلُ جُذْ، قَطَعَ، أَصْلُهُمْ وَيَادُوا، وَيَادَ ذِكْرَهُمْ.. ثُمَّ عَادُوا

وَكَانُوا عَرَّزُوا فِي الرَّمْلِ بَيْضاً فَأَمْسَكَهُ، كَمَا عَرَّزَ الْجَرَادُ
 كَانَهُمْ وَضَعُوا فِي الرَّمْلِ بَيْضاً فَأَمْسَكَ الرَّمْلُ مِثْلَمَا يَغْرُزُ الْجَرَادُ بَيْضَهُ فِي الرَّمْلِ، وَبَعْدَ أَنْ يَذْهَبَ
 الْجَرَادُ يَقُومُ مِنَ الرَّمْلِ جَرَادٌ جَدِيدٌ

عَدَا تَأْتِيكَ إِخْوَتُهُمْ جَدِيدِينَ وَجُرْهُمُ قُصَّراً، وَتَعُودُ عَادُ
 وَتَعُودُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ قَبَائِلُ جَدِيدِينَ وَجُرْهُمُ وَعَادُ.. وَكُلُّهَا مِنَ الْعَرَبِ الْبَائِدَةِ

فَتَعَجَّزَ عَنْهُمْ الْأَمْصَارُ ضَيْقاً وَتَمَتَّلَى الْمَنَازِلُ وَالْبِلَادُ
 وَلَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ قَلُّوا فَرَادُوا وَلَمْ أَرْ مِثْلَهُمْ بَادُوا فَعَادُوا
 لَمْ أَرْ مِثْلَ قَبِيلَةِ إِيَادَ الَّذِي قَلَّ عِدْدُ نَاسِهَا، ثُمَّ زَادُوا.. وَبَادُوا ثُمَّ عَادُوا.. يَشْكُكُ فِي نَسَبِ إِيَادَ
 الَّتِي يَنْسَبُ إِلَيْهَا الْمَهْجُو

١٣ مات المشؤوم عاش المشؤوم

قال في موت المعتصم وقيام الواثق:

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا صَبْرَ وَلَا جَلْدَ وَلَا عِزًّا إِذَا أَهْلُ الْبَلَاءِ رَقَدُوا
لا حاجة إلى الصبر والجلد، الصبر، ولا إلى التعزي إذا أهل البلاء ماتوا... فلا حزن عليهم
خليفة مات لم يحزن له أحدٌ وآخر قام لم يفرح به أحدٌ
فمرَّ هذا ومرَّ الشؤم يتبعه وقام هذا فقام الهم والنكد

١٤ هجاء العالمين

ذَمُّنُكَ أَوْلَىٰ حَتَّىٰ إِذَا مَا بَلَوْتُ سِوَاكَ عَادَ الذَّمُّ حَمْدًا
بلوت: اختبرت

فَلَمْ أَحْمَدْكَ مِنْ خَيْرٍ وَلَكِنْ رَأَيْتُ سِوَاكَ شَرًّا مِنْكَ جِدًّا
فَعُدْتُ إِلَيْكَ مُجْتَدِيًّا ذَلِيلًا لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ مِنْ ذَاكَ بُدًّا
مجتدياً: سائلاً

كَمَجْهُودٍ تَحَامَىٰ لَحْمٍ مَيِّتٍ فَلَمَّا اضْطُرَّ عَادَ إِلَيْهِ شَدًّا
مجهود: مرهق، شداً: مسرعاً

١٥ لا أرى أحداً

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلَّ مَا أَقْلَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ فَنَدًا
فندا: باطلاً

إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا

١٦ قتلنا أخاك

قال يهدد الخليفة المأمون:

أَيَسُومُنِي الْمَأْمُونُ خُطَّةً عَاجِزٍ أَوْ مَا رَأَى بِالْأَمْسِ رَأْسَ مُحَمَّدٍ؟
أيكلني الخليفة المأمون أمراً أكون فيه العاجز... ألم ير قبل حين رأس أخيه محمد الأمين؟

لَأَنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيُوقَهُمْ قَتَلْتُ أَخَاكَ وَشَرَفْتِكَ بِمَقْعَدِ

أنا من بني خزاعة الذين قتلوا أخاك وشرفوك بالخلافة، وكان القائد طاهر الخزاعي، من قوم دعلج
أو من مواليتهم، قتل الأمين فألت الخلافة للمأمون

رَفَعُوا مَحَلَّكَ بَعْدَ طَوِيلِ خُمُولِهِ وَاسْتَنْقَذُوكَ مِنَ الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ
قومي رفعوك إلى الخلافة بعد أن كنت خاملًا، مغمورًا غير معروف، وأنقذك من الحضيض
الأوهد، الأسفل

١٧ أبو عباد

قال يهجو أبا عباد ثابت بن يحيى كاتب المأمون:

أَوَّلَى الْأُمُورِ بِضَيْعَةٍ وَفَسَادٍ أَمْرٌ يُدَبِّرُهُ أَبُو عَبَّادٍ
يَسْطُو عَلَى كُتَابِهِ بِدَوَاتِهِ فَمُرْمَلٌ وَمُضْمَخٌ بِمِدَادٍ
مرمل: ملطخ بالدم

فَكَأَنَّهُ مِنْ دَيْرٍ هَزَقِلَ مُفْلِتٌ حَرْدٌ يَجْرُ سَلَايِلَ الْأَقْيَادِ
دير هزقل: بيت المجانين، حرد: غاضب. وكان المأمون يتذكر هذه الأبيات ويضحك كلما رأى
كاتبه أبا عباد هذا

١٨ نصيحة للمماطلين

إِيَّاكَ وَالْمَظْلَ أَنْ تُقَارِفَهُ فَإِنَّهُ آفَةٌ لِكُلِّ يَدٍ
إياك واقتراف المماطلة فهي تعيب كل يد، أي كل نعمة

إِذَا مَظَلْتَ أَمْرًا بِحَاجَتِهِ فَاْمُضْ عَلَى مَظْلِهِ وَلَا تَحْدِ
إذا ماطلت شخصًا فاثبت على المنع ولا تحد، لا تنحرف، ولا تعطه شيئاً.

فَلَسْتَ تَلْقَاهُ شَاكِرًا لِيَدٍ قَدْ كَذَّبَهَا الْمَظْلُ آخِرَ الْأَبْدِ
فلو أعطيته بعد مماطلة لما وجدته شاكرًا آخر الدهر لنعمة قد كدها، أتعبها، المظل

١٩ الذواقة

إِنِّي وَجَدْتُكَ فِي الْهَوَى ذَوَاقَةً لَا تَصْبِرِينَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ

٢٠ ذقتهم جميعاً

قَدْ بَلَوْتُ النَّاسَ طَرًّا لَمْ أَجْذِ فِي النَّاسِ حُرًّا
بلوت: جربت، طراً: جميعاً

صَارَ أَخْلَى النَّاسِ فِي الْعِي بِنِ إِذَا مَا ذِيَقَ مُرًّا

٢١ عذر بني أمية

قال يرثي الإمام الثامن علي بن موسى الرضا:

لو كنتُ أركنُ للدنيا وزينتها إذن بكيتُ على الماضينَ مِنْ نَفْري
بعضُ أقامَ وبعضُ قد أَهَابَ به داعيُ المنيةِ والباقي على الأثرِ
بعضُ قومي أقامَ في الحياة، وبعضهم أَهَابَ به، أي دعاه، داعي الموت، والباقيون سيبعون
أما المقيمُ فأخشى أن يُفارِقَنِي ولستُ أُوَبِّهَ مَنْ وَلَّى بِمُنْتَظَرِ
الأوبة: الرجعة

لولا تَشَاغُلُ نَفْسِي بِالألَى سَلَفُوا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسولِ اللَّهِ لَمْ أَقِرِ
لولا انشغال فكري بمن سلف من آل البيت لما استقر بي الحال ولا نشغلت بمن مات من أهلي..
المعنى المملوح

أرى أُمِّيَّةً مَعذُورِينَ أَنْ قَتَلُوا وَلَا أَرَى لِبَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ عُذْرٍ
بنو أمية كانت لهم ثارات مع آل الرسول لذا قتلوا الحسين وغيره من بني علي، فما عذر بني
العباس وقد قتلوا عدداً من العلويين؟

٢٢ اللطيف الخبير

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَحِبُّكَ حُبًّا ظَاهِرَ الْوُدِّ لَيْسَ بِالتَّقْصِيرِ
وَإِذَا مَا خَبِرْتَهُ شَهِدَ الطَّرْ فَ عَلَى حُبِّهِ بِمَا فِي الضَّمِيرِ
الطرف: العين والنظر

وَإِذَا مَا بَحَثْتَهُ قَلْتَ هَذَا ثِقَّةٌ لِي وَرَأْسُ مَالٍ كَبِيرِ
فَإِذَا مَا سَأَلْتَهُ رُبَعَ فَلَسِ أَلْحَقَ الْوُدَّ بِاللَّطِيفِ الْخَبِيرِ

٢٣ الطوامير

يهجو ابن الزيات، ومدحه فلم يكافته بما يرضيه، بل كان يستمع إلى المدح وهو
يقلب لفافة ورق ويدنيه من شفته:

يَا مَنْ يُقَلِّبُ طُومَاراً وَيَلْثِمُهُ مَاذَا بِقَلْبِكَ مِنْ حُبِّ الطَّوَامِيرِ
الطومار: الورقة الملفوفة بهيئة أسطوانة، كالتي نراها في المسلسلات التاريخية، يلثمه: يقبله
فِيهِ مَشَابِهُ مِنْ شَيْءٍ تُسَرُّ بِهِ طُولاً بِطُولٍ وَتَذْوِيراً بِتَذْوِيرِ

٢٤ السخاء الحق

لَيْتُنْ كُنْتَ لَا تُؤَلِّي يَدَا دُونَ أَمْرَةٍ قَلَسْتَ بِمُؤْلِ نَائِلًا آخِرَ الدَّهْرِ
إن كنت لا تولي، تعطي، يداً، نعمة، دون أمرة، أي رخاء وسعة في العيش، فلن تعطي نائلاً،
عطاء، لأحد أبداً

فَأَيُّ إِنَاءٍ لَمْ يَفِضْ عِنْدَ مَلِيهِ وَأَيُّ بَخِيلٍ لَمْ يُنِيلْ سَاعَةَ الْوَفْرِ
الإناء يفيض بشكل طبيعي عندما يمتلئ والبخيل إذا أثرى جداً فهو يعطي.. هذا ليس بالسخاء..
هذا مجرد تفريغ..

وَلَيْسَ الْفَتَى الْمُعْطِي عَلَى الْيُسْرِ وَحْدَهُ وَلَكِنَّهُ الْمُعْطِي عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
الذي يعطي فقط عندما يكون موسراً لا يعد سخياً..
فالسخي حقاً من يعطي في حالي العسر واليسر

٢٥ أهزوجة

قال يهجو أبا سعد المخزومي:

يَا أَبَا سَعْدٍ قَوْصَرَةٌ زَانِي الْأُخْتِ وَالْمَرَّةِ
القوصرة: صندوق من قصب للتمر، وكانت الكلمة لقب أبي سعد المخزومي
أَبَدَ الدَّهْرِ خَلْفَهُ فَارِسٌ فِي الْمُؤَخَّرَةِ

٢٦ دماؤهم مطلولة

يهجو مالك بن طوق:

دِمَاؤُهُمْ لَيْسَ لَهَا طَالِبٌ مَطْلُولَةٌ مِثْلَ دَمِ الْعُدْرَةِ
دماء قومك لا يطالب بها أحد فهي مطلولة، مهدورة، مثل دم العذرة، البكارة..
فأنتم ضعاف جناء لا تأخذون بثاركم
وَجُوهُهُمْ بَيَضٌ وَأَخْسَابُهُمْ سُودٌ وَفِي آذَانِهِمْ صُفْرَةٌ

٢٧ الخطيب الأخرس

مَا كُنْتُ إِذْ طَلَبْتُ يَدَايَ بِكَ الْغِنَى إِلَّا كَطَالِبٍ خُطْبَةٍ مِنْ أَخْرَسٍ
كنت إذ طلبت منك مالاً كمن يطلب من الأبكم الأخرس أن يلقي خطبة
يَا رَبِّ، إِنَّ غِنَى اللَّثِيمِ يَسْوَأُنِي فَاصْرِفْ غِنَاهُ إِلَى الْجَوَادِ الْمُفْلِسِ

٢٨ عصا لا سيف

يهجو أبا نصر بن حميد الطوسي:

إِنِّي هَزَزْتُكَ لَا أَلَوْكَ مُجْتَهِدًا لَوْ كُنْتُ سَيْفًا، وَلَكِنِّي هَزَزْتُ عَصَا
هَزَزْتُكَ لِلْعِطَاءِ، مَدَحْتُكَ وَحَثْتُ أَرْحِيكَ عَلَى الْعِطَاءِ، لَا أَلَوْكَ، لَا أَقْصِرُ فِي الْهَزْزِ . . . ظَنَنْتَنِي أَهْز
سَيْفًا لَيَقْطَعُ، فَإِذَا بِي أَهْزَ عَصَا

٢٩ مرتبات الجنود

يهجو إبراهيم بن المهدي، لما بوع بالخلافة وقل عنده المال فشغب عليه الجند:

يَا مَعْشَرَ الْأَجْنَادِ لَا تَقْنَطُوا خُذُوا عَطَايَاكُمْ وَلَا تَسْخَطُوا
أَيُّهَا الْجُنُودُ لَا تَيَاسُوا مِنْ نِيلِ أَعْيَانِكُمْ

فَسَوْفَ يُعْطِيكُمْ حُنَيْنِيَّةً يَلْتَذُّهَا الْأَمْرَدُ وَالْأَشْمَطُ
سيعطيكم هذا الذي نصب نفسه خليفة، وهو مغنٍّ، حنينية، أغنية لحنين، يطرب لها الجميع من
أمرد لم تنبت لحيته وأشمتط، اختلط بياض شعره بسواده

وَالْمَعْبَدِيَّاتُ لِقَوَادِكُمْ لَا تَدْخُلُ الْكَيْسَ وَلَا تُرْبِطُ
والمعبديات، أغاني المطرب المشهور معبد، للقواد، وهي نقود لا تدخل الكيس ولا تربط الكيس عليها
وَهَكَذَا يَرْزُقُ أَصْحَابَهُ خَلِيفَةُ مُضَحَفَةِ الْبَرْبِطِ
هكذا يعطي الخليفة الذي مصحفة البربط، العود، أصحابه مرتباتهم

٣٠ كنت ذراعي وقطعتها

كتب بها إلى مسلم بن الوليد، وكان دعبل قصده بجرجان فجفاه مسلم:

أَبَا مَخْلَدٍ كُنَّا عَقِيدِي مَوْدَّةً هَوَانًا وَقَلْبَانَا جَمِيعًا مَعًا
كنا عقيدي مودة، كانت تربطنا وتعقد بيننا المودة

أَحْوِطُكَ بِالْوُدِّ الَّذِي أَنْتَ حَائِطِي وَأَيَّجُعُ إِشْفَاقًا لِأَنَّ تَتَوَجَّعَا
نتبادل الود، وأنوجع لما تتوجع منه

فَصَيَّرْتَنِي بَعْدَ انْتِكَائِكَ مُتْهِمًا لِنَفْسِي، عَلَيْهَا أَرْهَبُ الْخَلْقُ أَجْمَعَا
فلما انتكثت، قطعت العهد، جعلتني أتهم نفسي بأنني فعلت فعلة شنعاء،
وصرت راهباً لكل الناس قلقاً

فَلَا تَعْذُلْنِي لَيْسَ لِي فِيكَ مَطْمَعٌ تَخَرَّقْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ فِيكَ مَرْقَعًا

فلا تلمني، لم يعد لي فيك مطمع، أمل،

فأنت كالثوب الذي تخرق حتى لم يعد يصلح فيه حتى الرقع

فَهَبْكَ يَمِينِي اسْتَأْكَلْتُ فَاحْتَسَبْتُهَا وَجَشَّمْتُ قَلْبِي قَطَعَهَا فَتَشَجَّعًا

افترض أنك ذراعي اليمنى وقد استأكلت، التهبت وسرى فيها الشلل، فاحتسبت أجراها عند الله

وجشمت قلبي عناء قطعها فتحمل

٣١ الشرب على ذكراهم

قالها في زياد الساقى:

يَقُولُ زِيَادٌ قِفْ بِصَحْبِكَ مَرَّةً عَلَى الرَّيْعِ. مَا لِي وَالْوَقُوفَ عَلَى الرَّيْعِ؟

لا يريد الوقوف على الأطلال

أَدْرِهَا عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ فَرُبَّمَا شَرِبْتُ عَلَى نَائِي الْأَحَبَّةِ وَالْفَجْعِ

أدر الكأس ونحن نتذكر فقدنا للحبيب، وربما، أي كثيراً ما، شربت الخمر متذكراً نائي الأحبة

والفجع، حزن الفقد

فَمَا بَلَعْتَنِي الْكَأْسُ إِلَّا شَرِبْتُهَا وَإِلَّا سَقَيْتُ الْأَرْضَ كَأْسًا مِنَ الدَّمَغِ

٣٢ وضع بالخلقة

يهجو يحيى بن أكنم:

رُفِعَ الْكَلْبُ فَأَتَّضَعَ لَيْسَ فِي الْكَلْبِ مُضْطَنَعٌ

اتضع: كان وضعياً، مضطنع: مكان للمعروف

إِنَّمَا قَضَرُ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا طَارَ أَنْ يَقْضَغَ

قصر كل شيء: نهايته

لَعَنَ اللَّئِمُ نَحْوَهُ صَارَ مِنْ بَعْدِهَا ضَرْغٌ

النخوة: التكبر، الضرع: الذلة

٣٣ ضيف على الضيف

بَا تَارِكَ الْبَيْتِ عَلَى الضَّيْفِ وَهَارِباً مِنْهُ مِنَ الْخَوْفِ

ضَيْفُكَ قَدْ جَاءَ بِزَادٍ لَهُ فَارْجِعْ وَكُنْ ضَيْفًا عَلَى الضَّيْفِ

٣٤ الشكر للوسيط

قال وقد شفع له رجل في مسألة:

وإن امرأ أسدى إليّ بشافِعٍ إِلَيْهِ، وَيَرْجُو الشُّكْرَ مِنِّي لِأَحْمَقُ
الذي يسدي إلي، يعطيني مالاً، بعد أن اتخذت إليه شافعاً، واسطة،
ثم يرجو مني أن أشكره أحمق..

شَفِيعَكَ فَاشْكُرْ فِي الْحَوَائِجِ إِنَّهُ يَصُونُكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا وَهُوَ يَخْلُقُ
المراء يشكر شفيعه، واسطته، لأن الشفع يصون وجهك عن ذل السؤال، ويخلق وجه نفسه، بذل
نفسه وهو يشفع لك

٣٥ عَشَّمْتَنِي

استدعى والٍ من بني هاشم دعبلاً إلى الشام فجاءه دعبل، فجفاه الهاشمي:
دَلَّيْتَنِي بِغُرُورٍ وَعَدَيْكَ فِي مُتَلَاظِمٍ مِنْ حَوْمَةِ الْمَوْجِ
دلّيتني كالدلو في حومة الماء المتلاطم الموج إذ غررتني وخدعتني بوعدك..

وَحَسِبْتَنِي فَقْعاً بِقَرْقَرَةٍ فَوَطِئْتَنِي وَظَاءً عَلَى حَنْقٍ
ظننتني حقيراً كالققع، الفطر النابت، في قرقرة، الأرض السهلة، فوطئتني،
دست عليّ على حنق، بقسوة

وظَنَنْتَ أَرْضَ اللَّهِ ضَبَقَةً عَنِّي، وَأَرْضُ اللَّهِ لَمْ تَضُقْ
مِنْ غَيْرِ مَا جُرِمَ سِوَى ثِقَةٍ مِنِّي بِوَعْدِكَ حِينَ قُلْتَ ثِقُ
ما أطول الدنيا وأعرضها وأدّلّني بمسالك الطُرُقِ

٣٦ فاسق عن فاسق

قال في إبراهيم المهدي حين جعل نفسه خليفة:

إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُضْطَلِعاً بِهَا فَلَتَضْلَحْنَ مِنْ بَعْدِهِ لِمُخَارِقِ
إن كان إبراهيم بن المهدي، وكان مغنياً، مضطلعاً بالخلافة، قادراً عليها، فلا جرم فهي تصلح بعد
ذلك لمخارق المغني

أَتَى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ يَرِثُ الْخِلَافَةَ فَاسِقٌ عَنْ فَاسِقٍ
فكيف يرث الخلافة هذا الفاسق عن الفاسق الذي سبقه، محمد الأمين، وكان صاحب لهو أيضاً؟

٣٧ ضحك وبكاء

أَيْنَ الشَّبَابِ وَأَيَّةَ سَلَكَا؟ لا، أَيْنَ يُطَلَّبُ؟ ضَلَّ، بل هَلَكَا
أين الشباب، وأي طريق سلك وذهب؟ وهل يمكن طلبه واسترجاعه؟
لا، قد ضل، لا بل قد هلك هلاكاً

لا تَعَجَّبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

يا سلمى . . لا تعجبي من رجل ضحك رأسه بالمشيب، فقد ابيض شعره كابيضاض الوجه عندما يفر
المرء عن أستانه ويضحك، فبكى الرجل لضحك المشيب برأسه . سئل أبو تمام، وكان خصماً لدعلج:
ما نسب دعلج؟ فقال: دعلج صاحب ضحك المشيب برأسه فبكى، فهذا البيت البديع نسب لصاحبه

قد كان يَضْحَكُ فِي شَبِيبَتِهِ فَأَتَى الْمَشِيبُ، فَقَلَّمَا ضَحِكَا

يَا سَلَمَ مَا بِالشَّيْبِ مَنْقَصَةٌ لا سَوْقَةً يُبْقِي وَلَا مَلِكَا

الشيب ليس عاراً فهو يلم بالسوقة، كل من لم يكن صاحب ولاية أو ملك، وبالملك

يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نَوُومُكُمَا يَا صَاحِبَيَّ إِذَا دَمِي سَفِكََا

كيف تنامان وقد قتلني المحبوبة عشقاً؟

لا تَأْخُذَا بِظُلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا

لا تأخذا أحداً بظلامتي، لا تتأرا من أحد . . فقلبي وعيني اشتركا في سفك دمي

٣٨ منك الرؤوس ومنهم السيوف

يهجو المطلب بن عبد الله الخزامي والي مصر:

أَمْطَلِبُ أَنْتَ مُسْتَعْذِبٌ حُمَاتِ الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْتَلٌ

أأنت ترى حمات الأفاعي، لدغاتها، عذبة، أطلب لنفسك القتل بمعاداتي؟

فَإِنْ أَشْفِ مِنْكَ تَكُنْ سُبَّةً وَإِنْ أَعَفُ عَنْكَ فَمَا تَعْمَلُ

إن شفيت نفسي منك بالهزاء فسوف يكون ذلك سبة وعاراً عليك، وإن عفوت عنك فستجن
جنوناً . . المعنى الملموح

وَضَعْتُ رِجَالًا فَمَا ضَرَّهُمْ وَشَرَّفْتُ قَوْمًا فَلَمْ يَنْبُلُوا

لقد وضعت رجالاً، أذللتهم، فما ضرهم ذلك، وشرفت قوماً فما صاروا نبلاء

تَنْوُطُ مِصْرُ بِكَ الْمُخْزِيَاتِ وَتَبْصُقُ فِي وَجْهِكَ الْمَوْصِلُ

تنوط، تعلق، مصر بك المخازي وتلفظك الموصل

وَيَوْمَ الشُّرَاةِ تَحَسَّيْتَهَا يَطِيبُ لَدَى مَثَلِهَا الْحَنْظَلُ

يوم تصدبت للشراة، أي الخوارج، تحسيتها، شربتها هزيمة نكراء، وكانت مرة فالحنظل بالنسبة إليها طيب

تَوَلَّيْتُ رَكْضاً وَفَتْيَانُنَا صُدُّورُ الْقَنَا فِيهِمْ تَغْسِلُ

فررت ركضاً على فرسك، وشبابنا تندق فيهم رؤوس الرماح وتغسل، تتحرك متمايلة

إِذَا الْحَرْبُ كُنْتَ أَمِيرًا لَهَا فَحَظُّهُمْ مِنْكَ أَنْ يُقْتَلُوا

فمِنَكَ الرُّؤُوسُ غَدَاةَ اللَّقَاءِ وَمِمَّنْ يُحَارِيكَ الْمُنْصَلُ

المنصل: السيف

شِعَارُكَ فِي الْحَرْبِ يَوْمَ الْوَعَى إِذَا انْهَزُمُوا: عَجَلُوا عَجَلُوا

٣٩ العنز

كتب إلى رجل بعث إليه بأضحية مهزولة:

بَعَثْتُ إِلَيَّ بِأُضْحِيَّةٍ وَكُنْتَ حَرِيًّا بِأَنْ تَفْعَلَ

وَلَكِنَّهَا خَرَجَتْ غَثَّةً كَأَنَّكَ أَرْعَيْتَهَا حَرْمَلًا

غثة: مهزولة، الحرمل: نبات كالسمسم لا ترعاه إلا المعزى

فَإِنْ قَبِلَ اللَّهُ قُرْبَانَهَا فَسُبْحَانَ رَبِّكَ مَا أَغْذَلَا

٤٠ سأخبرهم بالتاكيد

وكتب إلى عبد الله بن طاهر، وربما إلى أبي دلف العجلي:

مَاذَا أَقُولُ إِذَا انْصَرَفْتُ وَقِيلَ لِي: مَاذَا أَقَدْتُ مِنَ الْجَوَادِ الْمُفْضِلِ؟

إِنْ قُلْتُ أَعْطَانِي كَذِبْتُ، وَإِنْ أَقُلْتُ ضَنَّ الْجَوَادُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمُلِ

فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنَّنِي لَا بُدَّ مُخْبِرُهُمْ، وَإِنْ لَمْ أُسْأَلِ

٤١ ابن الجوادة

قال يرد على مروان بن أبي حفصة:

قُلْ لَابِنِ خَائِنَةِ الْبُعُولِ وَابِنِ الْجَوَادَةِ وَالْبَخِيلِ

قل لمن أمة تخون أباه، ومن أمة سخية على عشاقها بينما أبوه بخيل بماله

إِنَّ الْمَذْمَةَ لِلْوَصِيِّ - هِيَ الْمَذْمَةُ لِلرَّسُولِ
من يذم الوصي، علي بن أبي طالب، كمن يذم الرسول، وكان مروان ناصباً شديداً للطلابين

٤٢ الرغيف في أمان الله

إِنْ هَذَا الْفَتَى يَصُورُ رَغِيفاً مَا إِلَيْهِ لِنَظَرٍ مِنْ سَبِيلِ
هُوَ فِي سُفْرَتَيْنِ مِنْ أَدَمِ الطَّا ثَفٍ، فِي سَلَّتَيْنِ، فِي مِنْدِيلِ
الرغيف ملفوف بسفرتين، والسفرة هي ما يبسطه المسافر تحت طعامه، من أدم الطائف، من جلد
الطائف، وموضوع في سلتين وهما ملفوفتان بمنديل

خُصِمَتْ كُلُّ سَلَّةٍ بِرِصَاصٍ وَسُيُورٍ قُدِذَنَ مِنْ جِلْدِ فِيلٍ
كل سلة مختومة بالريصاص ومربوطة بسيور، شرائط، قطعن من جلد فيل. . الختم بالريصاص ظل
شائعاً حتى عهد قريب: يُربط الشيء، أنبوبة الغاز مثلاً، بسلك والسلك عليه معدن الريصاص
الطري وعلى المعدن ختم

فِي جِرَابٍ فِي جَوْفِ تَابُوتِ مُوسَى وَالْمَقَاتِيخُ عِنْدَ إِسْرَافِيلَ
إسرافيل هو الذي سيفخ في الصور يوم القيامة

٤٣ دينار خالي

سَأَلْتُهُ مَنْ أَبُوهُ فَقَالَ دِينَارٌ خَالِي
فَقُلْتُ دِينَارٌ مَآذَا؟ فَقَالَ وَالِي الْجِبَالِ

٤٤ بيت واحد ومقدمة له

سَأَفْضِي بِبَيْتٍ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَةِ حَامِلُهُ
يَمُوتُ رَدِيءُ الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ وَجَبْدُهُ يَبْقَى وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ

٤٥ لعل له عذراً

نَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ بِلُؤْمِكَ صَاحِباً لَعَلَّ لَهُ عُذْراً وَأَنْتَ تَلُؤْمُ

٤٦ معادلة

إِضْرِبْ نَدَى طَلْحَةِ الطَّلَحَاتِ مُبْتَدِئاً بِلُؤْمِ مُطْلِبٍ فِينَا وَكُنْ حَكَمًا
طلحة الطلحات: طلحة الخزاعي أحد الأسخياء المعدودين، والمطلب المهجو: المطلب بن
عبد الله الخزاعي. المعنى: اخلط كرم طلحة بلؤم المطلب واحكم..

تَخْرُجُ خُرَاعَةٌ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ فَلَا تَعْدُ لَهَا لُؤْمًا وَلَا كَرَمًا
بعد هذا الخلط ستخرج قبيلة خُرَاعَةٌ لا لؤمٌ لديها ولا كرم.. فبقدر ما عند طلحة من كرم يوجد
عن المطلب لؤم

٤٧ المشغول بنسبه

قال يهجو مالك بن طوق التغلبي:

النَّاسُ كُلُّهُمْ يَسْعَى لِحَاجَتِهِ مَا بَيْنَ ذِي فَرَحٍ مِنْهُمْ وَمَغْمُومٍ
وَمَالِكَ ظَلٌّ مَشْغُولًا بِنِسْبَتِهِ يَرِمُ مِنْهَا خَرَابًا غَيْرَ مَرْمُومٍ
نسبه: نسبه، يرم: يصلح

يَبْنِي بُيُوتًا خَرَابًا لَا أَنْيَسَ بِهَا مَا بَيْنَ طَوْقٍ إِلَى عَمْرٍو بَيْنَ كُلُّوْمٍ
يحاول المهجو أن يصل نسب أبيه طوق بنسب شاعر تغلب الجاهلي عمرو بن كلثوم.. وبينهما
زمن بعيد ومالك هذا يبني بين النسيين بيوتاً خربة لوصل طرفي النسب

٤٨ محمد للمسلمين

قال ينقض قصيدة الكميث التي هجا فيها اليمن:

أَفِيقِي مِنْ مَلَامِكِ يَا ظَعِينَا كِفَاكِ اللَّوْمِ مَرُّ الْأَرْبَعِينَا
أَفِيقِي مِنْ لَوْمِكَ وَاتْرِكِي ظَعِينًا يَا امْرَأَةً.. أَمَا يَغْنِيكَ عَنْ لُومِي أَنِّي جَاوَزْتُ الْأَرْبَعِينَ؟
إِذَا لَمْ تَتَّعِظْ بِالشَّيْبِ نَفْسِي فَمَا تُغْنِي عِظَاتُ الْوَاعِظِينَا
عَلَى أَنِّي وَإِنْ وَقَرْتُ شَيْبِي أَشَاقُ إِذَا لَقِيتُ الْوَامِقِينَ
أَوْقَرُ شَيْبِي وَلَكِنِّي أَحْسَ بِشَوْقِ كُلِّمَا التَّقِيْتُ بِالْوَامِقِينَ، الْمُحِبِّينَ

وَأَهْوَى أَنْ تُخَبِّرَنِي سُلَيْمَى وَأَخْبِرَهَا بِمَا كُنَّا لَقِينَا
أَحَبُّ ذَخِيرَةٍ وَأَحَبُّ عِلْقٍ إِلَيَّ الْغَائِبَاتُ وَإِنْ غَنِينَا
أحب ما أذخره من ذكريات وأحب علق، شيء نفيس، إلى نفسي النساء حتى وإن غنين، استغنين
عني

وَكُلُّ بُكَاءٍ رُبْعٌ أَوْ مَشِيبٌ تُبَكِّيه فَهَنَّ بِهِ عُنِينَا
كل بكاء نبكيه على أطلال أو لحلول المشيب فنحن نفعل ذلك لرغبتنا في النساء..
إيه يا دعبل.. إيه

أَحِبُّ الشَّيْبَ لَمَّا قِيلَ ضَيْفٌ لِحُبِّي لِلضُّيُوفِ النَّازِلِينَا

وَمَا نَيْلُ الْمَكَارِمِ بِالتَّمَنِّيِ وَلَا بِالْقَوْلِ يُبْلِيِ الْفَاعِلُونَ
ييلي: يفعل

لَقَدْ عَلِمَتْ نِزَارُ أَنْ قَوْمِي إِلَى نَصْرِ النُّبُوَّةِ سَابِقِينَ
قبائل نزار تعلم أن قومي، خزاعة وهي من قبائل اليمن، سبقوا إلى نصر النبوة،
فالأوس والخزرج من اليمن

تَظَهَّرَ مِنْ أَفَاضِلِنَا رَجَالٌ وَحُبُّ اللَّهِ لِلْمُتَظَهِّرِينَ
وَأَنْزَلَ آيَةً أَنْ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمْ بِأَيْدِيكُمْ فُنُونَا
يشير إلى الآية: «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين»
ونزلت في قتال المسلمين لمشركي قريش

وَيُخْزِرُهُمْ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ
يكمل الآية

فَإِنْ قُلْتُمْ رَسُولُ اللَّهِ مِنَّا فَإِنَّ مُحَمَّدًا لِلْمُسْلِمِينَ
مِنْ أَيِّ ثَنِيَّةٍ طَلَعَتْ قُرَيْشٌ وَكَانُوا مَعْشَرًا مُتَنَبِّطِينَ
من أي ثنية، أي طريق جبلي، طلعت علينا قريش؟ وكانوا من المتنبتين، أشباه النبط الذين هم
فلاحو العراق الكلدانيون الذي عوملوا أنصاف عبيد

٤٩ نَعَزٌّ

نَعَزٌّ فَكَمْ لَكَ مِنْ أَسْوَةٍ تُبَرِّدُ عَنْكَ غَلِيلَ الْحَزَنِ
نعز، التمس المواساة، فلك الكثير مما تتأسى به كي تبرد غليل حزنك، حرارته

بِمَوْتِ النَّبِيِّ وَقَتْلِ الْوَصِيِّ وَذَبْحِ الْحُسَيْنِ وَسَمِّ الْحَسَنِ
موت النبي وقتل علي بن أبي طالب وذبح الحسين بن علي ووضع السم للحسن بن علي... كل
هذا يجعلك ترى مصائبك صغيرة

٥٠ دعاء علي مدينة

قال في بناء سر من رأى:

بَغْدَادُ دَارُ الْمُلُوكِ كَانَتْ حَتَّى دَهَاها الَّذِي دَهَاها
مَا سُرَّ مَنْ رَأَى بِسُرٍّ مَنْ رَأَى بَلْ هِيَ بُؤْسَى لِمَنْ يَرَاهَا
عَجَلُ رَبِّي لَهَا خَرَاباً بِرَغَمِ أَنْفِ الَّذِي ابْتَنَاهَا
والذي ابتناها المعتمد لجنوده الأتراك عندما ضاقت بهم بغداد

٥١ كانت خزاعة ملء الأرض

قال يرثي نصر بن حمزة الخزاعي:

كَانَتْ خَزَاعَةٌ مِلْءَ الْأَرْضِ مَا اتَّسَعَتْ فَقَصَّ مَرُّ اللَّيَالِي مِنْ حَوَاشِيهَا

قبيلتي خزاعة كان كبيرة فقص مرور الزمن أطرافها

هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ الثَّوَالِي بِبَلْقَعَةٍ تَسْفِي الرِّيحَ عَلَيْهِ مِنْ سَوَافِيهَا

هذا أبو القاسم الثاوي، الراقد، في بلقعة، أرض مقفرة، تسفي الرياح عليه التراب

هَبَّتْ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْ لَا هُبُوبَ بِهِ وَقَدْ تَكُونُ حَسِيرًا إِذْ يُبَارِيهَا

هبت الرياح الآن وهي تعلم أنها لم تكن تجرؤ على الهبوب وهو حي لأنه يباريها وينافسها فتصبح حسيراً، ضعيفة. . وكانوا يطعمون الطعام إذا هبت الريح وجفت ضروع الماشية لعدم العشب، واشتهر الأسخياء الذين يطعمون الطعام لهبوب الريح، ومنهم الشاعر لبيد

أَضْحَى قِرَى لِلْمَنَايَا إِذْ نَزَلْنَ بِهِ وَكَانَ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ يَقْرِِيهَا

بعد أن كان يطعم الناس أصبح الفقيد قرى للمنايا، طعاماً للموت، وكان في سالف الزمن يقري المنايا، يطعمها من لحم أعدائه

رَمَتْ خَزَاعَةٌ عَنْهَا قَوْسَ نَجْدَتِهَا لَمَّا أَمَاطَ الرَّدَى السَّهْمَ الَّذِي فِيهَا

رمت خزاعة بموته القوس التي فيها نجدتها، شهاتها ونخوتها، عندما أماط الموت، أزال، السهم الذي كان في تلك القوس. فضل البحري دعبلاً على مسلم بن الوليد لأن طريقته في الشعر أشبه بطريقة العرب. . وهذه القصيدة أبرع مثال للشعر على الطريقة القديمة، فإن سألك سائل عن الشعر الجزل، فلا تجب. . أنشده هذه الأبيات

٥٢ السائل عن دارهم

يهجو مالك بن طوق:

سَأَلْتُ عَنْكُمْ يَا بَنِي مَالِكٍ فِي نَازِحِ الْأَرْضَيْنِ وَالْدَّانِيَةِ

سألت عنك في نازح الأرضين، الأراضي البعيدة، والدانية، القرية

طُرّاً فَلَمْ تُعْرِفْ لَكُمْ نِسْبَةً حَتَّى إِذَا قُلْتُ بَنِي الزَّانِبَةِ..

طراً، جميعاً، فلم يعرفكم أحد. . ثم إنني قلت: بني الزانية. . فعرفوكم

قَالُوا قَدْ دَعَا دَاراً عَلَى يَمْنَةٍ وَتَلَكَّهَا دَارُهُمْ نَائِبَةً

فقال لي الناس: أها. . اترك داراً عن اليمين، وتلك هناك دارهم نائبة

٥٣ قوة القصيدة

قال وقد حجب عن باب مالك بن طوق:

لَعَمْرِي لئن حَجَبْتَنِي الْعَبِيدُ لَمَا حَجَبْتَ دُونَكَ الْقَافِيَةَ
حجبتني عبيدك، ولكنهم لن يحجبوا شعر الهجاء عنك

سَأْرْمِي بِهَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَا بِ شَنْعَاءَ تَأْتِيكَ بِالذَّاهِيَةِ
تُصِمُّ السَّمِيعَ وَتَغْمِي الْبَصِيرَ وَيُسْأَلُ مِنْ مِثْلِهَا الْعَافِيَةُ
الذي يسمعها سيقول: اللهم عافنا

٥٤ عبرتني بالشيب

تَعَجَّبْتُ أَنْ رَأْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعَجَّبِي، مَنْ يَظُلُّ عُمرُ بِهِ يَشِبُ
شَيْبُ الرِّجَالِ لَهُمْ زَيْنٌ وَمَكْرَمَةٌ وَشَيْبُكَ لَكُنَّ الْعَارُ فَامْتَنِبِي
فِينَا لَكُنَّ وَإِنْ شَيْبٌ بَدَأَ أَرَبٌ وَلَيْسَ فَيَكُنَّ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ أَرَبٍ
الرجال يطلبون وصل المرأة وقد نزل بهم الشيب، وليس لهم أرب، غاية، عند امرأة شاب شعرها

٥٥ احتجاب ماتريوشكا

قال في هجاء كاتب:

إِذَا مَا أَتَيْسَنَاهُ فِي حَاجَةٍ رَفَعْنَا الرِّقَاعَ لَهُ وَالْكُثْبُ
لَهُ حَاجِبٌ دُونَهُ حَاجِبٌ وَحَاجِبٌ حَاجِبِهِ مُخْتَجِبٌ

٥٦ الإعراض

في هجاء طاهر بن الحسين:

وَذِي يَمِينَيْنِ وَعَيْنٍ وَاحِدَةٍ
لقب المهجو ذو اليمينين

نُقْصَانُ عَيْنٍ وَيَمِينٍ زَائِدَةٌ
نَزَرُ الْعَطِيَّاتِ قَلِيلُ الْفَائِدَةِ
نزر: قليل

أَعْصَهُ اللَّهُ بِبَظَرِ الْوَالِدَةِ

هذا من مسبات العرب أن يدعو المرء على غريمه بأن يعض ذلك الموضع من أم الغريم

٥٧ العُلَيجَان

في هجاء دينار بن عبد الله ويحيى بن أكنم:

مَا زَالَ عَصِيَانُنَا لِلَّهِ يُسْلِمُنَا حَتَّى دُفِعْنَا إِلَى يَحْيَى وَدِينَارِ
إِلَى عَلَيجَيْنِ لَمْ تُقَطَّعْ ثِمَارُهُمَا قَدْ طَالَمَا سَجَدَا لِلشَّمْسِ وَالنَّارِ
إِلَى عَلَيجَيْنِ: إلى علجين من المجوس، لم تقطع ثمارهما: لم يختنا لأنهما أسلما كبيرين

٥٨ ضيف عمرو

أَضْيَافُ سَالِمٍ فِي خَفْضٍ وَفِي دَعَا وَفِي شَرَابٍ وَلَحْمٍ غَيْرِ مَمْنُوعِ
سالم يكرم ضيوفه فهم في خفض، أي نعمة، ودعة، راحة
وَضَيْفُ عَمْرٍو وَعُمْرُو يَسْهَرَانِ مَعَا عَمْرُو لِبَطْنَتِهِ وَالضَيْفُ لِلْجُوعِ
عمرو يسهر لبطنته، لكثرة ما أكل وضيفه يسهر من الجوع

٥٩ محتار مع ضيفي

كَيْفَ احْتِيَالِي لِبَسْطِ الضَّيْفِ مِنْ خَجَلٍ عِنْدَ الطَّعَامِ؟ فَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ حِيلِي
كيف أفعل لكي ينسط الضيف ويترك خجله عند الطعام؟ قد أعتيتي الحيلة
أَخَافُ تَرْدَادَ قَوْلِي كُلِّ فَأَخْشِيهِ وَالصَّمْتُ يُنْزِلُهُ مِنِّي عَلَى الْبَخْلِ
أخاف أن أردد قولي له: كل، فأخشيه، أخجله، وإن صمتُ ظنني بخيلاً

٦٠ النذير بعزرائيل

أَلْقَى عَصَاهُ وَأَرْخَى مِنْ عِمَامَتِهِ وَقَالَ: ضَيْفٌ، فَقُلْتُ: الشَّيْبُ؟ قَالَ أَجَلُ
كأي ضيف ألقى عصا التسيار، وفك العمامة.. فإذا به الشيب..

فَقُلْتُ أَخْطَأْتُ دَارَ الْحَيِّ، قَالَ: وَلِمَ؟ مَضَتْ لَكَ الْأَرْبَعُونَ الْوَفْرُ، ثُمَّ نَزَلَ
قلت له أخطأت البيت، قال: لمَ هذا؟ لقد مضت لك أربعون سنة وافرة.. ثم نزل بي هذا الضيف

فَمَا شَجِيتُ بِشَيْءٍ مَا شَجِيتُ بِهِ كَأَنَّمَا اعْتَمَّ مِنْهُ مَفْرَقِي بِجَبَلٍ
ما شجيت بشيء، حزنت له، مثلما حزنت بنزول الشيب،
فكأنما اعتم رأسي، تعمم بعمامة، هي الجبل ثقلاً

٦١ هي وساوس فقط

لَا تَحْمَدُنْ حَسَنًا بِالْجُودِ إِنْ مَطَرَتْ كَفَّاهُ جَزْلاً وَلَا تَذُمُّهُ إِنْ رَزَمَا
لا تشكر «الحسن» على جوده إن مطرت كفاه بالعطاء الجزل، ولا تعبه إن رزم: ضم يده ولم
يخرج شيئاً

فَلَيْسَ يَبْخُلُ إِشْفَاقًا عَلَى جِدَّةٍ وَلَا يَجُودُ لِفَضْلِ الْجُودِ مُغْتَنِمَا
فهو لا يبخل إشفاقاً، أي خوفاً، على جدّة، على مال، ولا يسخر اغتناماً منه لفضل السخاء
لَكِنَّهَا خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ يُعْطِي وَيَمْنَعُ لَا بُخْلًا وَلَا كَرَمًا
هي كلها وساوس تعترية فلا هو بخيل ولا هو كريم

٦٢ المهين نفسه

إِذَا مَا أَهَانَ امْرُؤٌ نَفْسَهُ فَلَا أَكْرَمَ اللَّهُ مَنْ يُكْرِمُهُ

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١٦	مُحَمَّدٍ	١	الأنبياء
١٩	واحدٍ	٢	هَوَاءَ
١٨	يَدٍ	٥	نَسَبًا
٥٦	وَاحِدَةً	٣	أَهْيَبُ
٢٠	حُرًّا	٤	عَرَبُ
٢٤	الدَّهْرِ	٧	الأدبِ
٢٣	الطَّوامِرِ	٦	الكعابِ
٢٢	بِالتَّقْصِيرِ	٨	قَلْبِي
٢١	نَقْرِي	٥٤	يَشِبُ
٥٧	ودِينارٍ	٥٥	والكُتُبُ
٢٦	العُدْرَةَ	٩	هُدْبَةً
٢٥	والمَرَّةِ	١١	أَبَتْ
٢٧	أُخْرَسِ	١٠	العَرَصَاتِ
٢٨	عَصَا	١٤	حَمْدًا
٢٩	نَسْخَطُوا	١٥	فَنَدَا
٣٠	معا	١٢	إِيَادُ
٣١	الرَّيْعِ	١٣	رَقَدُوا
٥٨	مَمْنُوعِ	١٧	عَبَادِ

٤٤	حَامِلَةٌ	٣٢	مُضْطَنَعٌ
٤٦	حَكَمًا	٣٣	الْخَوْفِ
٦٠	رَزَمًا	٣٤	لَأَحْمَقُ
٤٥	تَلُومٌ	٣٥	الْعَرَقِ
٤٧	وَمَغْمُومٍ	٣٦	لِمُخَارِقِ
٦١	يُكْرِمُهُ	٣٧	هَلَكًا
٤٨	الْأَرْبَعِينَ	٣٩	تَفْعَلًا
٤٩	الْحَزَنُ	٣٨	وَمُسْتَقْتِلُ
٥٠	دَهَاها	٤٠	الْمُفْضِلِ
٥٣	الْقَافِيَةُ	٤٣	خَالِي
٥٢	وَالدَّائِيَةُ	٤٢	سَبِيلِ
٥١	حَوَاشِيهَا	٤١	وَالْبَخِيلِ
		٥٩	أَجَلُ

ديك الجنّ الجِصِّي

(١٦١هـ - ٢٣٥هـ)

في كثير من شعراء الشيعة اجترأ على الدين . كأنهم - في ظل حكم يتخذ السنة طريقاً - يتمرّدون على الحاكم وعلى مذهبه، وربما أيضاً على الأكثرية التي كانت في بقاع وعصور شتى على مذهب السّنة. فتراهم لا يذكرون النبي إلا لأنه جد الحسين، ويتهاونون بالمعتقدات والعبادات، لأنها معتقدات مشتركة بينهم وبين أهل السنة، فأين خصوصيتهم فيها؟ خصوصيتهم في أنهم لا يجعلون أبا بكر وعمر وعثمان، وفي أنهم يكون الحسين بدموع أحر من التي يبكيه بها أهل السنة. وبكاء الحسين وعامة آل البيت فيه تنفيس عن «مظلومية» لا يفتأون يشعرون بها، وبعضها حق وبعضها مغالاة. وقد سار ديك الجن خطوة أخرى فأعلن شكه في صلب العقيدة. وقد سامحه أبو العلاء المعري فأدخله في «رسالة الغفران» الجنة، ربما لأنه كان مثله في هذا الأمر. وقد اهتم الشيعة حديثاً وقديماً بشعر ديك الجن اهتمام المسيحيين بشعر الأخطل، فكان في هذا الاهتمام حفظ لشعره واهتمام بالتنقيب عنه، وصنع له ديوانه بعض أبناء حمص وأطلعنا من ذلك على ما صنعه مظهر الحجبي (٢٠٠٤)، ولمطلوب والجبوري نشرة للديوان (١٩٦٤).

على أن أهل السنة لم يقصروا في الاهتمام بشعر ديك الجن، ونظروا إليه من حيث هو شعر، هكذا فعل ابن خلكان في وفيات الأعيان.

ونحن في هذه المختارات لا نؤاخذ الشاعر على غلوه، وننظر إلى شعره. على أننا لا نحب في ديك الجن عنجهيته التي وصلت الذروة عندما قتل زوجته لمجرد أنه شك في إخلاصها.

ديك الجن الحمصي

هو عبد السلام بن رَغْبَان. عربي الأصل، لكن جداً له سبي - ربما لأنه كان مع العرب الذين قاتلوا في جيش هرقل عند فتح الشام - فكان هذا الجد مولى قوم آخرين، أو لعله لم يكن، فنشأ ديك الجن غير معتز بنسبه العربي.

لقب ديك الجن لوصفه ديكاً أو لعينيه الخضراوين، وعاش في زمن الشعراء الكبار، فلقي أبا نواس وأبا تمام وعاصر البحري، غير أنه لم يبرح حمص وجوارها. كان شاعر الأقاليم، ولم يحضر مجالس بغداد أيام كانت حاضرة الدنيا فقد عاصر ديك الجن، واعياً، هارون الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والوائق وحضر بضع سنوات من عهد المتوكل. كل هذا كان يحدث في بغداد وسامراء، وديك الجن قابع في حمص، قصاره أن يلم بسَلَمِيَّة على بعد خمسين كيلومتراً فيمدح أخوين هاشميين وينال بعض العطاء. على أن شاعرنا ورث مالا عن آباءه وأتلفه في ملذاته.

لئن لم يحظ ديك الجن بالشهرة لعدم وروده دار الخلافة فإنه حازها من طريق آخر. فقد قتل زوجته وحبيته وقال في ذلك شعراً استطرفه الناس على مر الزمن وتناقلوه، وحاكوا حوله الأساطير.

تزوج فتاة نصرانية اسمها «ورد»، أو أن اسمها كان «دنيا»، واتهمها بخيانه فقتلها بسيفه دون أن يتثبت، فعاش مضطرب النفس، غير مستقر على يقين في أمرها. وليعش مضطرب النفس أو ليعش في جحيم، أليس قاتلاً؟ فأما تراثنا الأدبي - وأكاد أقول كله - فقد جعله بطلاً عاشقاً، وما رأيت أحداً التفت إلى أن هذا الشاعر الخليل المتوتر إنما ارتكب جريمة.

كان صاحب ملذات، قليل الإيمان بالآخرة، متشيعاً تشيعاً وصفوه بالحسن، وكان صحيح اللغة محللق الخيال، آخذاً في الشعر بمذهب مسلم بن الوليد في الاعتناء بالمحسنات، وقيل إنه كان قدوة أبي تمام. وقد اقتطف المتنبي من حديقته عدداً من المعاني.

١ مشية الصهباء

وكأسٍ صهباءٍ صِرْفٍ ما سَرَتْ بِيدٍ إلى فمٍ قَدَرَى ما طَعُمُ ضَرَاءٍ
رب كأس صهباء، خمر، صرف، خالصة غير ممزوجة، ما سرت، مشت، من يد إلى فم فدرى
هذا القم طعم الضراء، الأذى

كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا فِي جِسْمِ شَارِبِهَا تَمَشَّى الصَّبْحُ فِي أَحْشَاءِ ظُلُمَاءِ
كَأَنَّ مَشِيَّهَا التَّدْرِيجِي فِي جِسْمِ شَارِبِهَا تَسْلُلُ الصَّبْحَ إِلَى أَحْشَاءِ الظُّلْمَةِ

٢ مَسْئُولُ الصِّيَانَةِ

وَالسَّرُّوْ تَحْسَبُهُ الْعَيُونُ غَوَانِيًا قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَوْقِهَا أَنْوَابِهَا
السُّرُو: شَجَرٌ يَسْمَقُ عَالِيًا نَحِيلًا مُسْتَقِيمًا، وَالسَّوْقُ: السِّقْيَانُ
وَنَبَاتٌ بِاقِلَاءٍ يُشَبِّهُ لَوْنَهُ زُرْقَ الْحَمَامِ مُشْبِلَةً أَذْنَابِهَا
مشيلة: رافعة

لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ لِلرِّيَاضِ صِيَانَةً يَوْمًا لَمَّا وَطِئَ اللَّثَامُ تَرَابِهَا
لو ملكت أن أصون الرياض لصنتها عن دخول اللثام إليها

٣ لَا أُرِيدُ أَجْرًا

يُرِثِي جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ الْهَاشِمِيَّ:

أَلَا أَيُّهَا الرُّكْبَانُ، وَالرَّدُّ وَاجِبٌ، قَفُّوا حَدَّثُونَا مَا تَقُولُ النَّوَادِبُ
قفوا أيها الركابون إيلكم، وحدثونا بما تقولوه النادبات في تعداد محاسن الفقيده
أَخَا كُنْتُ أَبْكِيهِ دَمًا وَهُوَ نَائِمٌ حِذَارًا، وَتَعْمَى مُقْلَتِي وَهُوَ غَائِبٌ
كان لي أخا، وكنت أبكيه دمًا وهو نائم خوفًا عليه، وأما إن غاب فمقّلتني تصاب بالعمى لشدة
حزني عليه..

أَأَسْعَى لِأَحْظَى فَبِكَ بِالْأَجْرِ إِنَّهُ لَسَعَى إِذْنٌ مِنِّي لَدَى اللَّهِ خَائِبٌ
والآن إذ مات هل أسعى في تشييعه طمعًا بأن أنال أجرًا عليه؟ هذا سعي خائب

يَقُولُونَ: مِقْدَارٌ عَلَى الْمَرْءِ وَاجِبٌ فَقُلْتُ: وَإِعْوَالٌ عَلَى الْمَرْءِ وَاجِبٌ
يقولون الموت مقدر على الإنسان واجب الحدوث، وليس للمرء أن يبالغ في الحزن، فقلت لهم:
والإعوال عليه واجب أيضًا

٤ شَقِيقَةُ الْقَمَرِ

وَمَجْدُولَةٍ أَمَّا مَلَأَتْ إِزَارَاهَا قَدِغَصُ، وَأَمَّا قَدَّهَا فَقَضِيبُ
رب فتاة مجدولة القد، ملأت إزارها دغص، أي موضع لف التورة من جسمها ككتيب الرمل،
وقدّها قضيب، غصن

لَهَا الْقَمَرُ السَّارِي شَقِيقٌ، وَإِنَّهَا لَتَظْلُعُ أَحْيَانًا لَهُ فِيغِيبُ
القمر شقيقها وقد تطلع هي فيغيب حتى لا يقارن الناس بينه وبينها فتكون أجمل منه

٥ حليب الجمر

وَدَمْعَةٌ فِي الْخَدِّ مَسْفُوحَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ جَمْرَةٍ تُحْلَبُ
كأن الدمعة، لحرارتها، تحلب من جمرة

مَا امْتَنَعَ الدَّمْعُ وَإِسْبَالُهُ عَلَيَّ لَمَّا امْتَنَعَ الْمَطْلَبُ
عندما امتنع حصولي على مطلبي من وصل الحبيبة فلن يمتنع علي إسبال الدمع وإسالته

٦ العارفون بقدري

مَا شِدَّةُ الْحَرَصِ مِنْ شَأْنِي وَلَا طَلْبِي وَلَا الْمَكَاسِبُ مِنْ هَمِّي وَلَا أَرْبِي
الحرص على العطاء ليس شأني، والمكاسب المادية ليس أربي، أي غابني

لَكُنْ نَوَائِبُ نَابَتَنِي وَحَادِثَةٌ وَالدَّهْرُ يَطْرُقُ بِالْأَحْدَاثِ وَالنُّوَبِ
لكنني أصبت بنوائب ونوب، أي بمصائب

وَلَيْسَ يَعْرِفُ لِي قَدْرِي وَلَا أَدْبِي إِلَّا أَمْرُؤُ كَانَ ذَا قَدْرٍ وَذَا أَدَبٍ
لَا يُفْلِتَنَّكَ شُكْرِي إِذْ ظَفِرْتَ بِهِ فَإِنَّهَا فُرْصَةٌ وَافَتْكَ مِنْ كَثَبٍ
إن واثقت فرصة لنيل شكري، أي مدحي لك، فلا تفوتها

٧ زواج الطيور

مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ حَبِيبٍ فَحَيَاتُهُ فِيهَا حَيَاءٌ غَرِيبٍ
أَوْ مَا تَرَى الطَّيْرَيْنِ كَيْفَ تَزَاوَجَا مِنْ غَيْرِ خَاطِبَةٍ وَغَيْرِ خَطِيبٍ

٨ عن أبي بكر وعمر

يَا عَيْنُ لَا لِلْغَضَا وَلَا الْكُثْبِ بُكَاءُ الرِّزَايَا سِوَى بُكَاءِ الطَّرَبِ
لا تبكي يا عيني لشجر الغضا وكثبان الرمل حيث الأجرة، فبكاء الرزايا، المصائب الحقيقية، غير
بكاء الطرب، أي الحزن لفراق الأجرة

يَا عَيْنُ فِي كَرْبَلَا مَقَابِرُ قَدْ تَرَكْنَ قَلْبِي مَقَابِرَ الْكُرْبِ
في كربلاء مقابر لآل البيت جعلت قلبي مقبرة دفن فيها الكرب والحزن

لَا بُدَّ أَنْ يُحْشَرَ الْقَتِيلُ وَأَنْ يُسْأَلَ ذُو قَتْلِهِ عَنِ السَّبَبِ

لا بد أن يحشر الله القاتل وأن يسأل ذو قتله، الذي قتله، عن سبب القتل

مَا كَانَ تَيْمٌ لِهَاشِمٍ بِأَخٍ وَلَا عَدِيٌّ لِأَحْمَدٍ بِأَبٍ

تيم، جد قبيلة أبي بكر الصديق، ليس أخاً لهاشم، جد قبيلة هاشم التي منها الرسول، ولا عدي، جد قبيلة عمر بن الخطاب، من آباء أحمد، أي الرسول

فَمَا يَدْعَوِي فِي الظُّلَمِ غَالِيَةً وَحُجَّةٍ جَزَلَةٍ مِنَ الْكَذِبِ

قام الصديق وعمر بدعوى، هي طلب الخلافة، وهي ظالمة، وحجتها فيها جزلة، صلبة كبيرة لكنها كاذبة

٩ القاتل الحزين

لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ لِعَظْفِكَ نِلْتُ وَإِلَى ذَلِكَ الْوِصَالِ وَصَلْتُ

ليتني ما كنت أحبتك

قَالَ ذُو الْجَهْلِ قَدْ حَلُمْتُ وَلَا أَعُدُّ لَمْ أَنِّي حَلُمْتُ حَتَّى جَهِلْتُ

الجاهل ظنني حلمت، صرت عاقلاً، لكنني ما عقلت حتى وقعت في الجهل، أي التهور

لَا يَمُّ لِي بِجَهْلِهِ، وَلِمَ أَذَا أَنَا وَحَدِي أَحَبُّتُ ثُمَّ قَتَلْتُ

يلومني جاهلاً ويقول إنني أنا وحدي من أحب ثم قتل المحبوبة.. فهو لا يعرف السبب

سَوْفَ آسَى طَوْلَ الْحَيَاةِ وَأَبْكِي لِكَ عَلَى مَا فَعَلْتُ لَا مَا فَعَلْتُ

سأسى، سأحزن، على فعلت أنت لا ما فعلت أنا

١٠ حدود المعشوقين

أَعَشَقُ الْمُرْدَ وَالنَّكَارِشَ وَالشَّبَّابَ، وَعِنْدِي مِثْلُ الْبَنِينِ الْبَنَاتُ

المرد: الفتية لم يثبت لهم شعر وجه بعد، النكاريش: الملتحون من الشباب، ولا فرق عندي بين البنين والبنات

حَدُّ مَا يُشْتَهَى وَيُعْشَقُ عِنْدِي حَيَوَانٌ تَحِلُّ فِيهِ الْحَيَاةُ

الحمد لله أنه لم يدخل النبات في المعادلة

١١ ما فوق الشهوة الحيوانية

حَدُّ مَا يُنْكَحُ عِنْدِي حَيَوَانٌ فِيهِ رُوحٌ

أَنَا مِنْ قَوْلِي مَلِيحٌ أَوْ قَبِيحٌ مُسْتَرِيحٌ

ليس عندي قبيح ولا مليح

كُلُّ مَنْ يَمْشِي عَلَى وَجْدٍ هِ الثَّرَى عِنْدِي مَلِيحٌ

١٢ مقت الحاسدين

فَلَوْ قَالَتِ الْأَيَّامُ هَلْ لَكَ حَاجَةٌ لَقُلْتُ لَهَا أَنْ لَا يُسَرَّ حَسُودٌ

١٣ رثاء ديك الإنس

دَعَانَا أَبُو عَمْرٍو عُمَيْرُ بْنُ جَعْفَرٍ عَلَى لَحْمِ دِيكِ دَعْوَةٍ بَعْدَ مَوْعِدٍ

فَقَدَّمَ دِيكًا عَذْمُلِيًّا مَلْدَحًا مُبَرَّنَسَ أَثْوَابٍ مُؤَذَّنَ مَسْجِدٍ

قدم لنا ديكاً عذملياً، عتيقاً، ملدحاً، مضروباً جريحاً، مبرنس أثواب، ثوبه من الريش له برنس أي غطاء رأس هو عرف الديك، والديك يصيح وقت الفجر فهو كمؤذن المسجد

أَيُذْبَحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مُؤَذَّنٌ مُقِيمٌ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ؟

١٤ جس الطبيب

وَدَّعْتُهَا وَلَهِيْبُ الشَّوْقِ فِي كَيْدِي وَالْبَيْنُ يُبْعَدُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ

فَكَانَ أَوَّلُ عَهْدِ الْعَيْنِ يَوْمَ نَأَتْ بِالْدمعِ آخَرَ عَهْدِ الْقَلْبِ بِالْجَلْدِ

أول عهد عيني بالدمع لفراقها هو آخر عهد قلبي بالجلد، أي الصبر

جَسَّ الطَّبِيبُ يَدِي جَهْلًا فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ الْمَحَبَّةُ فِي قَلْبِي فَخُلَّ يَدِي

١٥ رثاء المحبوبة القتيلة

قَالَ يَرْتِي زَوْجَتَهُ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهَا:

أَسَاكِنَ حُفْرَةٍ وَقَرَارٍ لَحْدٍ مَفَارِقَ خُلَّةٍ مِنْ بَعْدِ عَهْدٍ

خلة: حبيب

أَجِئْنِي إِنْ قَدَرْتَ عَلَى جَوَابِي بِحَقِّ الْوُدِّ كَيْفَ ظَلِمْتُ بَعْدِي

وَأَيْنَ حَلَلْتُ بَعْدَ حُلُولِ قَلْبِي وَأَحْشَائِي وَأَضْلَاعِي وَكِبْدِي

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَايَنْتَ وَجْدِي إِذَا اسْتَعْبَرْتُ فِي الظُّلْمَاءِ وَحْدِي

لو رأيت وجدي، حزني، إذا استعبرت، بكيت، في الظلمة وحدي

وَجَدْتُ تَنَفُّسِي وَعَلَا زَفِيرِي وَفَاضَتْ عَبْرَتِي فِي صَحْنِ خَدِّي
إِذْنًا لَعَلِمْتُ أَنِّي عَنْ قَرِيبٍ سَتُخْفَرُ حُفْرَتِي وَيُشَقُّ لَحْدِي
وَيُعْذَلْنِي السَّفِيهُ عَلَى بَكَائِي كَأَنِّي مُبْتَلَى بِالْحَزَنِ وَخَدِي
يَقُولُ: قَتَلْتَهَا سَفَهًا وَجَهْلًا وَتَبْكِيهَا بُكَاءَ لَيْس يُجْدِي
كَصَيَّادِ الطُّيُورِ لَهُ انْتِحَابٌ عَلَيْهَا وَهُوَ يَذْبَحُهَا بِحَدٍّ

١٦ تناولها من خده

بِهَا، غَيْرَ مَعْدُولٍ، فَذَاوِ خُمَارَهَا وَصِلْ بِعَشِيَّاتِ الْغُبُوقِ ابْتِكَارَهَا
عَالِجِ الْخُمَارِ، أَيْ صَدَاعِ الْخَمْرِ، بِشَرْبِ مَزِيدٍ مِنَ الْخَمْرِ، وَصَلَ عَشِيَّاتِ الْغُبُوقِ، وَالْغُبُوقُ شَرَابُ
الْمَسَاءِ، بِالابْتِكَارِ صَبَاحًا وَالشَّرْبِ

وَنَلَّ مِنَ عَظِيمِ الْوِزْرِ كُلَّ عَظِيمَةٍ إِذَا ذُكِرَتْ خَافَ الْحَفِيطَانِ نَارَهَا
نَلَّ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَخَافُ حَتَّى الْحَفِيطَانَ، الْمَلَكَانِ الْقَائِمَانِ عَلَى كَتْفَيْكَ، مِنَ النَّارِ الَّتِي
سَتُشَوِّكُ شَيْئًا بِسَبَبِ هَذِهِ الذُّنُوبِ

فَقَامَ تَكَادُ الْكَأْسُ تُحْرِقُ كَفَّهُ مِنْ الشَّمْسِ أَوْ مِنْ وَجْتِيهِ اسْتَعَارَهَا
قَامَ الْمَحْبُوبُ وَبِيَدِهِ الْكَأْسُ وَفِيهَا خَمْرَةٌ تَلْقَى بِلُونِهَا عَلَى كَفِّهِ فَكَأَنَّهُ تَكَادَ تَحْرِقُهَا... وَكَأَنَّهُ اسْتَعَارَ
هَذِهِ الْخَمْرَ مِنَ الشَّمْسِ أَوْ مِنْ وَجْتِيهِ الْحَمْرَاوِينَ

ظَلَّلْنَا بِأَيْدِينَا نُسْتَعِيعُ رُوحَهَا فَتَأْخُذُ مِنْ أَقْدَامِنَا الرَّاحُ نَارَهَا
نُسْتَعِيعُ، نَهْزُ بَعْفُ، وَنَهْلُكَ الْخَمْرُ إِذْ نَشْرِبُهَا، وَلَكِنَّا تَتَأَرَّ مِنْ أَقْدَامِنَا وَتَجْعَلُنَا نَمْشِي مَتَمَائِلِينَ سَكْرًا

مُورَدَةٌ مِنْ كَفِّ ظَبْيِي كَأَنَّمَا نَتَنَاوَلُهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَذَارَهَا
قِيلَ مَرَّ أَبُو نَوَاسٍ بِحَمَصٍ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مِصْرَ، فَعَرَجَ عَلَى دِيكَ الْجَنِّ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ شَاعِرُنَا حَتَّى
لَا يَظْهَرُ أَنَّهُ مَقْصُرٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَبِي نَوَاسٍ، فَقَالَ أَبُو نَوَاسٍ لِلْجَارِيَةِ: قُولِي لَهُ إِنَّكَ فَتَنْتَ أَهْلَ الْعِرَاقِ
بِقَوْلِكَ «تَنَاوَلُهَا مِنْ خَدِّهِ فَأَذَارَهَا» فَخَرَجَ دِيكَ الْجَنِّ وَاسْتَقْبَلَ أَبَا نَوَاسٍ

١٧. النَّائِمُ وَالصَّاحِي

مَنْ نَامَ لَمْ يَدْرِ طَالَ النَّوْمُ أَمْ قَصُرَا لَا يَعْرِفُ اللَّيْلَ إِلَّا عَاشِقٌ سَهْرَا

١٨ هِجَاءٌ

وَقَالَ يَهْجُو ابْنَ عَمِّهِ أَبَا الطَّيِّبِ:

سَبَحَانَ مَنْ يُمَسِّكُ السَّمَاءَ عَلَى الْ- أَرْضِ وَفِيهَا أَخْلَاقُكَ الْقَذِيرَةُ

١٩ اسألا أو لا تسألا

سَلا هَلْ كَمَجْدِي أَوْ كَفَخْرِي لِفَاجِرٍ وَعِنْدَكُمَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَسْأَلَ خَبَرَ

٢٠ الحق أبلج

وقال يمدح علياً ويرثي آله:

مَا أَنْتَ مِنِّي وَلَا رَبِّعَاكِ لِي وَطَرُ الْهَمِّ أَمْلَكُ بِي وَالشُّوقُ وَالْفِكْرُ
الحبيب وربوع الحبيب ليست وطري، فقد ملكني الهم والشوق والتفكير

وَرَاعَهَا أَنْ دَمْعاً فَاضَ مُنْتَثِراً لَا، أَوْ تَرَى كَيْدِي لِلْحُزَنِ تَنْتَثِرُ
راعها، أفرعها حزناً، أن ترى دمعي منتثراً على خدي، لا يكفيني هذا وجدير بها أن ترى كيدي
تتشقق وتنتثر حزناً

أَيَّنَ الْحُسَيْنُ وَقَتْلَى مِنْ بَنِي حَسَنِ وَجَعَفِرٍ وَعَقِيلٍ غَالَهُمُ غَمْرُ
اغتيال هؤلاء الطالبين غمر، جاهل حاقد

قَتَلَى يَحْنُ إِلَيْهَا الْبَيْتُ وَالْحَجَرُ شَوْقاً، وَتَبْكِيهِمُ الْآيَاتُ وَالسُّورُ
الكعبة والحجر الأسود يحنان شوقاً لهؤلاء وتبكيهم آيات القرآن وسوره

مَاتَ الْحُسَيْنُ بِأَيْدٍ مِنْ مَغَائِظِهَا طُولٌ عَلَيْهِ وَفِي إِشْفَاقِهَا قِصْرُ
مات الحسين بأيد طويلة لكثرة غيظها، ولكنها كانت قصيرة عن أي إشفاق أو رحمة

لَا دَرَّ دُرُّ الْأَعَادِي عِنْدَمَا وَتَرُوا وَدَرَّ دُرُّكَ مَا تَحْوِينَ يَا حُفْرُ
وتروا: أنهضوا ثأراً

رَدُّوا هَنِئاً مَرِيئاً آلَ فَاطِمَةٍ حَوْضَ الرَّدَى فَارْتَضُوا بِالْقَتْلِ وَاصْطَبَرُوا
أبكيكم يا بني بنت الرسول، ولا عفت محللكم الأنواء والمطر
لا عفت محللكم، لا خبرته، الأنواء، أي الأمطار

مَا لِي فَرَاخٌ إِلَى عَثْمَانَ أَنْذَبُهُ وَلَا شَجَانِي أَبُو بَكْرٍ وَلَا عَمْرُ
كفى بأن أناة الله واقعة يوماً، ولله في هذا الورى نظر
المعنى الملموح: الله يمهل ولا يهمل

مَنْ ذَا الَّذِي كَلَّمَتْهُ الْبَيْدُ وَالشَّجَرُ وَسَلَّمِ الرَّبُّ إِذْ نَادَاهُ وَالْحَجَرُ
يصف مآثر علي بن أبي طالب ويعدد كراماته

حتى إذا أَبْصَرَ الْأَحْيَاءُ مِنْ يَمَنِ بُرْهَانُهُ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ مَا كَفَرُوا
أَمْ مَنْ حَوَى قَصَبَاتِ السَّبْقِ دُونَهُمْ يَوْمَ الْقَلِيبِ وفي أَغْنَانِهِمْ زَوْرُ
يوم القليب: يوم بدر حين دفن قتلى قريش في القليب أي البئر، وقد ازورّت، أي مالت، أغنانهم

أَمْ مَنْ رَسَا يَوْمَ أُحُدٍ ثَابِتًا قَدَمًا وفي حُنَيْنٍ وَسَلَعَ بَعْدَمَا عَثَرُوا
سلع: جبل تحصن به المسلمون في غزوة الخندق، وعنده بارز علي عمرو بن ود

اليس قامَ رَسُولُ اللَّهِ يَخْطُبُهُمْ وقال: مَوْلَاكُمْ ذَا أَيُّهَا الْبَشَرُ
أَضْبَعُ غَيْرَ عَلَيَّ كَانَ رَافِعُهُ مُحَمَّدُ الْخَيْرِ أَمْ لَا تَعْقِلُ الْحُمْرُ؟
أما رفع الرسول ضبع علي، أي عضده، كي يراه الناس؟

دَعُوا التَّخَبُّطَ فِي عَشَوَاءٍ مُظْلِمَةٍ لم يَبْدُ لَا كَوَكَبٍ فِيهَا وَلَا قَمَرُ
عشواء: ليلة لا يبصر المرء فيها

الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالْأَعْلَامُ وَاضِحَةٌ لو آمَنْتُ أَنْفُسُ الشَّانِينَ أَوْ نَظَرُوا
أبلج: واضح، الأعلام: الجبال، الشانين: الشانين الكارمين

٢١ خدور المعاصر

وراحَ كَرِيحِ الْمِسْكِ يَنْزُو حَبَابُهَا كَنْزُو الدَّبَى مَطْبُوخَةٌ بِالْهَوَاجِرِ
الخمير ينزو حبابها، تقفز فقاقبها، كقفز الدبي، أي الجراد، مطبوخة بالهواجر، أي أن الجراد محترق
من الفيض الشديد فلذا يقفز، وكذا ظن الأخطل، ونحن نظن الجراد قافراً حتى لو في القطب الجنوبي

عَرُوسٌ تَبَدَّتْ فِي قَمِيصٍ مُعْصَفَرٍ وفي كِلَّةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ جَبَائِرِ
الخمير بدت عروساً في قميص معصفر، مصبوغ بالعصفر الأصفر المحمر، ويصف العروس فهي
داخل كلة صفراء ذات جبائر، أي ستار منصوب بعصي

أَتَتْنَا بِهَا الدَّايَاتُ فِي يَوْمِ عُرْسِهَا تُزِفُ إِلَيْنَا مِنْ خُدُورِ الْمَعَاصِرِ
أتتنا الدايات، هنا الوصيفات، بالعروس وزفتها إليها.. لكن عروستا لم تأت من خدور أهلها،
والخدور هي الستور التي تخفي وراءها النساء في البيوت، بل جاءت عروستا من خدور
المعاصر.. إذ هي الخمر

٢٢ الصحراء

يَا رَبُّ خَرَقٍ كَأَنَّ اللَّهَ قَالَ لَهُ إِذَا طَوْتُكَ رِقَابُ الْقَوْمِ فَاثْنَشِرِ
الخرق: الصحراء. والصحراء لا تشبه الثوب الذي تطويه فيطوي، بل أنت تطويها فتراها انتشرت
أمامك.. هي بلا نهاية.

٢٣ سابقوك وما سبقوك

أَصْبَحْتُ جَمَّ بِلَالِ الصَّدْرِ وَأَبَيْتُ مُنْطَوِيًّا عَلَى الْجَمْرِ
بلايل الصدر: همومه

إِنْ بُحْتُ يَوْمًا طُلَّ فِيهِ دَمِي وَلِئِنْ كَتَمْتُ يَضُقُّ بِهِ صَدْرِي
مِمَّا جَنَاهُ عَلَى أَبِي حَسَنِ عُمَرُ وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ
أبو حسن: علي بن أبي طالب

جَعَلُوكَ رَابِعَهُمْ أَبَا حَسَنِ ظَلَمُوا وَرَبَّ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
«والشفع والوتر» من القرآن

وَعَلَى الْخِلَافَةِ سَابِقُوكَ وَمَا سَبَقُوكَ فِي أَحَدٍ وَلَا بَدْرٍ

٢٤ الضحك والبكاء

وَتَمَايَلْتُ فَضَحِكْتُ مِنْ أَرْدَافِهَا عَجَبًا، وَلَكِنِّي بَكَيْتُ لِحَضَرِهَا
اخترنا هذا البيت لترى سماجة الشعراء عندما يتغزلون بأرداف النساء

٢٥ الندم

قَمَرٌ أَنَا اسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ دَجْنِهِ لِبَلْبَيْتِي وَجَلَوْتُهُ مِنْ خِذْرِهِ
استخرجت هذا القمر من دجنه، أي ظلمته، فكانه أخذ القمر من وسط السماء المظلمة المحيطة به، وكانت «ورد» فتاة مسيحية أحبها فتزوجها، ولكنه اكتشف أنه ابتلى نفسه. جلوته من خدره:
أي أبرزته من الستر الذي تستر به المرأة

فَقَتَلْتُهُ وَلَهُ عَلَيَّ كَرَامَةٌ مِلءُ الْحَشَا وَلَهُ الْفُؤَادُ بِأَسْرِهِ
عَهْدِي بِهِ مَيْتًا كَأَحْسَنِ نَائِمٍ وَالْحَزَنُ يَسْفَحُ عِبْرَتِي فِي نَجْرِهِ
يسفح عبرتي: يسكب دمعتي

لَوْ كَانَ يَدْرِي الْمَيِّتُ مَاذَا بَعْدَهُ بِالْحَيِّ حَلٍّ، بَكَى لَهُ فِي قَبْرِهِ
عُصْصُ تَكَادُ تَفِيطُ مِنْهَا نَفْسُهُ وَتَكَادُ تُخْرِجُ قَلْبَهُ مِنْ صَدْرِهِ
تفيط النفس: تخرج بالموت

٢٦ نصف ندم

قُلْ لِمَنْ كَانَ وَجْهُهُ كَضِيَاءِ الشَّمْسِ - حَسِرَ فِي حُسْنِهِ وَبَدْرٍ مُنِيرٍ

كُنْتُ زَيْنَ الْأَحْيَاءِ إِذْ كُنْتُ فِيهِمْ ثُمَّ قَدْ صِرْتُ زَيْنَ أَهْلِ الْقُبُورِ
بِأَبِي أَنْتَ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَوْتِ وَتَحْتَ الثَّرَى وَيَوْمَ النُّشُورِ
أَفْدِيكَ بِأَبِي فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ وَإِذْ أَنْتَ دَفِينٌ، وَيَوْمَ النُّشُورِ، أَيُّ الْبَعْثِ

خُخْتُنِي فِي الْمَغِيبِ وَالْخَوْنُ نُكْرٌ وَذَمِيمٌ فِي سَالِفَاتِ الدُّهُورِ
فَشَفَانِي سِنْفِي وَأَسْرَعَ فِي حَزٍّ - التَّرَاقِي قِطْعاً وَحَزُّ النُّحُورِ
التَّرَاقِي: عِظَامُ أَعْلَى الصَّدْرِ

٢٧ قطرات النفس

لَيْسَ ذَا الدَّمْعِ دَمْعَ عَيْنِي، وَلَكِنْ هِيَ نَفْسِي تُذِيبُهَا أَنْفَاسِي

٢٨ عين اللص

يَرْقُدُ النَّاسُ آمِنِينَ وَزَيْنُ الدَّ - هَرِيرِ يَرَعَاهُمْ بِمُقْلَةٍ لَصٍّ
أَنَا أَحْصِي فِيكَ النُّجُومَ، وَلَكِنْ لِذُنُوبِ الزَّمَانِ لَسْتُ بِمُحْصٍ
سَاهِرٍ بِسَبِيكَ أَعْدُ النُّجُومَ، وَأَمَّا ذُنُوبُ الزَّمَنِ الَّذِي عَذَبَنِي بِحَبْكِهَا فَلَا حَصْرَ لَهَا

٢٩ ندم بلا تبرير

وَأَنَسَ عَذَابِ الثَّنَايَا وَجَدْتُهَا عَلَى خَطَةِ فِيهَا لِذِي اللَّبِّ مَثَلُفٌ
أَنَسَ عَذَابَ الثَّنَايَا، الْأَسْنَانَ، وَجَدْتُ أَنَّهَا تَتْلَفُ عَقْلَ الْإِنْسَانِ

فَأَصْلَتْ حَدَّ السَّيْفِ فِي حُرٍّ وَجْهَهَا وَقَلْبِي عَلَيْهَا مِنْ جَوَى الْوَجْدِ يَرْجُفُ
أَصْلَتْ السَّيْفِ، أَيُّ جَرْدَتِهِ، وَجَعَلَتْهُ فِي حَرٍّ وَجْهَهَا، أَيُّ وَسْطِهِ، وَقَلْبِي يَرْتَجِفُ وَجْداً وَحَبّاً لَهَا
فَخَرَّتْ كَمَا خَرَّتْ مَهَاةٌ أَصَابَهَا أَخُو قَنْصٍ مُسْتَعِجِلٌ مُتَعَسِّفٌ
خَرَّتْ، سَقَطَتْ، كَبْقَرَةٍ وَحَشَّ أَصَابَهَا أَخُو قَنْصٍ، صَائِدٌ، مُتَعَجِّلٌ وَمُتَعَسِّفٌ، ظَالِمٌ

سَيَفْتُلْنِي حُزْناً عَلَيْهَا تَأْسُفِي وَهَيْهَاتَ، مَا يُجْدِي عَلَيَّ التَّأْسُفُ

٣٠ المبتليك هو المعافي

إِذَا شَجَرَ الْمَوَدَّةِ لَمْ تَجِدْهُ سَمَاءُ الْبَرِّ أَسْرَعَ فِي الْجَفَافِ
تَجِدُهُ: تَمْطُرُهُ

هِيَ الدُّنْيَا وَقَدْ نَعِمُوا بِأُخْرَى وَتَسْوِيفُ النُّفُوسِ مِنَ السَّوَافِ
 هذه دنيانا، ويتمتع الناس بتذكر الجنة في الآخرة، ولكن تسويق النفوس، تأخيرها، من السواف
 من الهلاك

فَإِنْ كَذَبُوا أَمِنْتُ وَإِنْ أَصَابُوا فَإِنَّ الْمُبْتَليكَ هُوَ الْمُعَافِي
 إن كذبوا بشأن الجنة فأنا آمن، وإن أصابوا وصدقوا فإن ابتلاني بهذا الشك هو من يعافيني
 ويقظني من العذاب

وَأَصْدَقُ مَا أَبُثُّكَ أَنَّ قَلْبِي بِتَصْدِيقِ الْقِيَامَةِ غَيْرُ صَافٍ

٣١ المقسومة نصفين

وَمُمَشَّقِ الْحَرَكَاتِ تَحَسَّبُ نِصْفُهُ لَوْلَا التَّمَنُّطُ مَائِلًا عَنْ نِصْفِهِ
 لولا أنها تتخذ نطاقاً على خصرها لظننت جسمها مقسوماً نصفين

يَسْعَى إِلَيَّ بِكَأْسِهِ فَكَأْنَمَا يَسْعَى إِلَيَّ بِدُرَّةٍ فِي كَفِّهِ

٣٢ رثاء الحسين

جَاءُوا بِرَأْسِكَ يَا ابْنَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ مُتَرَمِّلاً بِدُمَائِهِ تَرَمِيلاً
 مترملاً: ملطخاً

وَكَأْنَمَا بِكَ يَا ابْنَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ قَتَلُوا جَهَاراً عَامِدِينَ رَسُولاً
 قتلوك عَظْشَانَا وَلَمَّا يَرْقُبُوا فِي قَتْلِكَ التَّنْزِيلَ وَالتَّأْوِيلَا
 وَيُكَبِّرُونَ بِأَنْ قُتِلْتَ وَإِنَّمَا قَتَلُوا بِكَ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَا

٣٣ مقام علي

إِنَّ الرُّسُولَ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ وَالْخَيْرُ مَا قَالَ بِهِ الرُّسُولُ
 إِنَّكَ مِنِّي يَا عَلِيُّ الْأَبِي بِحَيْثُ مِنْ مُوسَاهُ هَارُونُ النَّبِيِّ
 لَكِنَّهُ لَيْسَ نَبِيٍّ بَعْدِي فَأَنْتَ خَيْرُ الْعَالَمِينَ عِنْدِي
 وَأَنْتَ لِي أَخٌ وَأَنْتَ الصُّهْرُ زَوْجَكَ الَّذِي إِلَيْهِ الْأَمْرُ
 رَبُّ الْعُلَى بِفَاطِمِ الرِّهْرَاءِ ذَاتِ الْهُدَى سَيِّدَةِ النِّسَاءِ

٣٤ تعزية

يعزي جعفر بن علي الهاشمي في زوجته:

نَفَقْلُ وَالْأَيَّامُ لَا تَغْفُلُ وَلَا لَنَا فِي زَمَنِ مَوْئِلُ

موئل: ملاذ وملجأ

وَالدَّهْرُ لَا يَسْلَمُ مِنْ صَرْفِهِ أَغْصَمُ فِي الْقُنَّةِ مُسْتَوْعِلُ

لا يسلم من مصائب الزمن الوعل الأعصم، تيس الجبل الذي في معاصمه أسفل القوائم بياض، المحتمي بالقننة، أي القمة

يَتَّخِذُ الشُّعْرَى شِعَاراً لَهُ كَأَنَّمَا الْأَفْقُ لَهُ مَنَزَلُ

هذا الوعل يتخذ من الشعري، بعض النجوم، شعاراً له، والشعار اللباس الداخلي الملاصق لشعر البدن

جَادَ عَلَى قَبْرِكَ مِنْ مَيِّتٍ بِالرَّوْحِ رَبُّ لَكَ لَا يَبْحُلُ

جاد: أطر، الروح: الرحمة

عَيْتُ تَرَى الْأَرْضَ عَلَى وَبْلِهِ تَضْحَكُ إِلَّا أَنَّهُ يَهْمُلُ

جاد قبرها الغيث، المطر، الذي تضحك الأرض من بيله، انهماره، لأنها تخرج الرياحين غب المطر، على أن المطر يهمل، ييكي.. اصطيد متعب للطباق

٣٥ الفادي الشجاع

وَمَنْ كَعَلِيٍّ فَدَى الْمُصْطَفَى بِنَفْسٍ، وَنَامَ فَمَا يَخْفُلُ

افتدى علي النبي عندما نام في فراشه ليلة هجرة النبي من مكة

عَشِيَّةَ جَاءَتْ قُرَيْشٌ لَهُ وَقَدْ هَاجَرَ الْمُصْطَفَى الْمُرْسَلُ

وَمَنْ كَعَلِيٍّ إِذَا مَا دَعَوْا نَزَالٍ، وَقَدْ قَلَّ مَنْ يَنْزِلُ

دعوا نزال: صرخوا هيا للمبارزة

سَطَا يَوْمَ بَذَرَ بِقَرَضَابِهِ وَفِي أَحَدٍ لَمْ يَزَلْ يَخْمِلُ

قرضابه: سيفه، يحمل: يشن حملة على العدو

وَمِنْ بَأْسِهِ فُتِحَتْ خَيْبَرُ وَلَمْ يُنْجِهَا بَابُهَا الْمُقْفَلُ

٣٦ ما الحب إلا للحبيب الأخير

نَقْلُ فَوَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ فَلَنْ تَرَى كَهْوَى جَدِيدٍ أَوْ كَوْضَلٍ مُقْبِلِ

مِقَّتِي لِمَنْزِلِي الَّذِي اسْتَحْدَثْتُهُ أَمَّا الَّذِي وَلَّى فَلَيْسَ بِمَنْزِلِي
مِقَّتِي: المِقَّةُ هي الحب. وفي البيت رد على أبي تمام القائل: نقل فؤادك حيث شئت من الهوى/
ما الحب إلا للحبيب الأول

٣٧ إن لم تكن ذنباً

لَا تَقِفْ لِلزَّمَانِ فِي مَنْزِلِ الضَّيِّبِ م، وَلَا تَسْتَكِنْ لِرِقَّةِ حَالِ
لا تقف موقف ضيم تكون فيه مضيعاً مظلوماً، وبإاك والاستكانة لركة الحال، أي الفقر
وَإِذَا خِفْتَ أَنْ يُرَاهِقَكَ الْعُدُ مُ فَعُدْ بِالْمُثَقَّفَاتِ الْعَوَالِي
إن خفت أن يراهقك، يرهقك باستمرار، العدم، أي الفقر، فعذ بالمتقفات العوالي،
فالجأ إلى الرماح المشدبة

وَأَهِنْ نَفْسَكَ الْكَرِيمَةَ لِلْمَوْتِ تِ وَقَحْمٍ بِهَا عَلَى الْأَهْوَالِ
قحم: اقحم

فَلَعَمْرِي لِلْمَوْتِ أَزِينُ لِلْحَرِّ - مِّنَ الذُّلِّ ضَارِعاً لِلرَّجَالِ
ضارعاً: ذليلاً

أَيُّ مَاءٍ يَدُورُ فِي وَجْهِكَ الْحَرِّ - إِذَا مَا امْتَهَنَتْهُ بِالسُّؤَالِ
ماء الوجه: الكرامة، امتهنته بالسؤال: أهنته بالاستجداء

غَاضَتِ الْمَكْرُمَاتُ وَانْقَرَضَ النَّاسُ س، وَبَادَتْ سَحَائِبُ الْإِفْضَالِ
غاضت المكرمات، جفت كما تجف مياه البئر، وانقرض الناس الكرام، وبادت غيوم الفضل
والسخاء

فَقَلِيلٌ مِنَ الْوَرَى مَنْ تَرَاهُ يُرْتَجَى، أَوْ يَصُونُ عِرْضاً بِمَالِ
ذَهَبِ النَّاسِ فَاطْلُبِ الرِّزْقَ بِالسَّيِّئِ ف، وَإِلَّا قُمْتُ شَدِيدَ الْهَزَالِ
الناس، أي الناس الكرام، ومن هنا قول أحمد شوقي «أنتم الناس أيها الشعراء»

٣٨ التَّجَمُّلُ بِالْحَرَامِ

أَنَا مَا لِي وَلِلصِّيَامِ وَقَدْ حَبَا نَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ شَهْرُ الصِّيَامِ
تَارِكاً لِلْجِهَادِ وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ رَةَ وَالْجِلَّ رَاغِباً فِي الْحَرَامِ
وَاسْقِنِي يَا أَخَا الْمُدَامَةِ كَأْساً مِنْكَ مَمْرُوجَةً بِمَاءِ الْعَمَامِ

واقِفاً بَيْنَ فَتْكَةٍ وَمُجَوِّدٍ رَاقِصاً فِي الصَّلَاةِ خَلْفَ الْإِمَامِ
أَنَا لَا أَطْلُبُ الْحَلَالَ لِأَنِّي قَدْ وَجَدْتُ الْحَرَامَ خَيْرَ طَعَامٍ

٣٩ المختفي عشقاً

قَدْ سَمِعْتُمْ أَنِّي مِنْ بَعِيدٍ فَاطْلُبُوا الشَّخْصَ حَيْثُ كَانَ الْآنِيُنْ
ابحثوا عن الشخص مستدلين عليه بأنيته

مَا تَرَاهُ الْعَبُودُ إِلَّا ظُنُوناً هُوَ أَخْفَى مِنْ أَنْ تَرَاهُ الْعَبُودُ
فهذا العاشق صار نحيلاً فلم يعد يبدو للعين . . . سيسبح المتني بعد عقود كثيرة في هذه البركة
لَمْ يَعِشْ أَنَّهُ جَلِيدٌ وَلَكِنْ دَقَّ جِدّاً فَمَا تَرَاهُ الْمَنُودُ
هذا العاشق لم يستمر في الحياة لأنه صبور، بل لأن جسمه دق، صغر، إلى درجة أن الموت لم
يعد يراه . مبالغة طريفة

٤٠ طاقة الإخفاء

وَلَوْ أَنَّ أَحْدَاثَ الزَّمَانِ أَرَدَتْ نِيَّ بِخَيْرٍ وَشَرًّا مَا عَرَفُنْ مَكَانِي
لشدة هزال العاشق اختفى شخصه فلم تعد أحداث الزمن تعثر عليه

٤١ هو والصيام

مَا زَالَ مِنْ بُغْضِ الصَّيَامِ مُبْغِضاً يَوْمَ الْخَمِيسِ إِلَيَّ وَالْإِثْنَيْنِ
ومن أجبرك على صيامهما؟ قال الشاعر: إذا جحد الله والمرسلين فكيف نعاتبه في عمر؟

٤٢ أعرف نفسي

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِّي لَسْتُ بِبِي أَخْبَرَ مِنِّي
أَنَا إِنْسَانٌ بَرَانِي الـ لَهُ فِي صُورَةِ جَنِّي
بل أنا الأسمج في العبد ن، فدع عنك التَّظَنِّي
التظني: التخمين

أَنَا لَا أَسْلَمُ مِنْ نَفْسِي سَيِّ فَمَنْ يَسْلَمُ مِنِّي

٤٣ خنت سري فموتي علانية

قال يتهم زوجته القتيلة بالخيانة:

لَكَ نَفْسٌ مُوَاتِيَّةٌ وَالْمَنَايَا مُعَادِيَّةٌ

نفسك مواتية، مقبلة على الحياة، ولكن الموت عدو يترصدك

أُيْهَا الْقَلْبُ لَا تَعُدْ لِهَوَى الْبَيْضِ ثَانِيَّةٌ

البیض: الحسان

لَيْسَ بَرْقٌ يَكُونُ أَخْـ لَبٍّ مِنْ بَرْقِ غَانِيَّةٍ

البرق الخلب، الذي لا يأتي بعده مطر، ليس أكثر خداعاً من الحسناء

خُنْتُ سِرِّي وَلَمْ أَخُنْـ كِ فَمُوتِي عَلَانِيَّةٌ

٤٤ رثاء أبي تمام

فُجِعَ الْقَرِيضُ بِخَاتَمِ الشُّعْرَاءِ وَغَدِيرٌ رَوَّضَتْهَا حَبِيبُ الطَّائِي

ماتا معاً فتجاوزاً في حُفْرَةٍ وكذاك كانا قبل في الأحياء

٤٥ الدخول في الإيمان من النافذة

بِأَبِي فَمُ شَهِدَ الضَّمِيرُ لَهُ قَبْلَ الْمَذَاقِ بِأَنَّهُ عَذُبُ

أفدي بأبي فمأ عذباً أحس بعدوبته قبل القبلة. الشاعر العربي كان يتغنى بالشفاه وبالقبلة وبالريق العذب، ونسي أن القبلة إنما تعذب إذا استقبلها ثغر الحبيبة مشتاقاً إليها، يقول المثل الإنجليزي: لا بد من اثنين لرقصة التانغو

كَشَّهَادَتِي لِلَّهِ خَالِصَةً قَبْلَ الْعِيَانِ بِأَنَّهُ رَبُّ

العيان: الرؤية

٤٦ فتنة الحواج

فَوْقَ الْعَيُونِ حَوَاجِبُ رُجٍّ تَحْتَ الْحَوَاجِبِ أَعْيُنُ دُعْجٍ

رج: مزججات مدبيات، الأعين الدعج: الواسعة السوداء في شدة بياض

وَإِذَا نَظَرْنَ رَمَقْنَ عَنْ مُقَلٍّ تَسْبِي الْعَيُونِ فَحَشَوْهَا غُنْجٌ

وَأَفَيْنَ مَكَّةَ لِلْحَجَّيجِ فَلَمْ يَسْلَمْ بِهِنَّ لِمُسْلِمٍ حَجٌّ

٤٧ خوش حجة

يَا بَدِيعَ الدَّلِّ وَالْغَنَجِ لَكَ سُلْطَانٌ عَلَى الْمُهْجِ
إِنَّ بَيْتاً أَنْتَ سَاكِنُهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى الشُّرْجِ

السرّج: جمع سراج

وَجْهَكَ الْمَعشُوقُ حُبَّتُنَا يَوْمَ يَأْتِي النَّاسُ بِالْحُبَجِ

إذا طلبت منا حجة يوم القيامة لتبرير عشقنا وتغزلنا فوجهك هو الحجة لأنه لا يقاوم، سنقول لله: خلقت مثل هذا الوجه وتريدنا ألا ننظر؟

٤٨ من خده تعصر

وَقَهْوَةٌ كَوَكْبُهَا يَزْهَرُ يَنْفُخُ مِنْهَا الْمِسْكَ وَالْعَنْبَرُ

يزهر: يضيء، قهوة: خمر، ينفخ: تفوح رائحته

وَرْدِيَّةٌ يَحْمِلُهَا شَادِنٌ كَأَنَّهَا مِنْ خَدِّهِ تُعْصَرُ

الخمر وردية يحملها شادن، أي غزال، وخده أحمر فكان الخمر عصرت من خده

٤٩ خرافة

أَتَرَكُ لَذَّةَ الصَّهْبَاءِ عَمْدًا لِمَا وَعَدُوهُ مِنْ لَبَنٍ وَخَمْرٍ

حَيَاةٌ ثُمَّ مَوْتُ ثُمَّ بَعْدُ حَدِيثُ خُرَافَةٍ يَا أُمَّ عَمْرٍو

خرافة: اسم رجل كان يحدث الناس بالمستحيلات، فسموا كل حديث مستحيل «حديث خرافة» ثم صاروا يقولون «خرافة»

٥٠ التعفير ثم السعير

قال في نصرانية:

لَمَّا نَظَرْتُ إِلَيَّ عَنْ حَدَقِ الْبَهَاءِ وَبَسَمْتُ عَنْ مُتَفَتِّحِ النُّوَارِ

نظرت إليّ بعينيك المشبهتين عيون بقر الوحش الواسعة، وبسمت عن ثغر كأنه الزهر المتفتح

وَعَقَّدْتُ بَيْنَ قَضِيبِ بَانَ أَهْيَفٍ وَكُثِيبِ رَمْلِ عُقْدَةِ الزُّنَارِ

وعقدت بن جذعك الذي يشبه غصن البان وبين عجزتك المشبهة كثيب الرمل بزنانر

عَفَرْتُ خَدِّي فِي الثَّرَى لَكَ طَائِعاً وَعَزَمْتُ فِيكَ عَلَى دُحُولِ النَّارِ

٥١ المبادرة

وَحَمْرَاءَ قَبْلَ الْمَرْجِ صَفْرَاءَ بَعْدَهُ أَتَتْ بَيْنَ ثَوْبِي نَرْجِسٍ وَشَقَائِقِ
يصف الخمر وكيف يتغير لونها بالمرج وأنها تقدم في مجلس فيه النرجس والشقائق

حَكَتْ وَجَنَةَ الْمَعشُوقِ صِرْفًا فَسَلَطُوا مِزَاجًا عَلَيْهَا فَاكْتَسَتْ لَوْنَ عَاشِقِ
كانت حمراء كوجنة المعشوق، خده، فمع المزج صارت صفراء كلون المريض عشقاً

فَقُمْ وَاغْتَنِمِ واشْرَبْ عَلَى كُلِّ رَوْضَةٍ وَفِي كُلِّ بَسْتَانٍ وَبَيْنَ الْحَدَائِقِ
فَمَا الْعَمْرُ إِلَّا صِحَّةٌ وَشُبَيْبَةٌ وَكَأْسٌ وَقُرْبٌ مِنْ حَبِيبٍ مُوَافِقِ
وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ لَمْ يَغْتَرِرْ بِهَا وَبَادَرَ بِاللَّدَاتِ قَبْلَ الْعَوَائِقِ

٥٢ موانع التوبة

يَقُولُونَ: ثُبِّ وَالْكَأْسُ فِي كَفِّ أَغْيَدٍ وَصَوْتُ الْمَثَانِي وَالْمَثَالِثِ عَالٍ
يقولون تب عن اللهو وأنا أرى الكأس في كف فتاة غيداء، مثنية غنجاً، وصوت المثنائي
والمثالث، الأنغام، عالي

فَقُلْتُ لَهُمْ: لَوْ كُنْتُ أَضْمَرْتُ تَوْبَةً وَعَايَنْتُ هَذَا فِي الْمَنَامِ، بَدَأَ لِي
قلت لهم: لو كنت نويت التوبة ثم رأيت هذا في المنام لبدا لي،
«بدا لي» معناها القديم «غيرت رأيي»

٥٣ حياة ثم موت ثم بعث

لَا مُتَّ قَبْلِي، بَلْ أَحْيَا وَأَنْتِ مَعَاً وَلَا أَعِيشُ إِلَى يَوْمِ تَمُوتِينَا
لَكِنْ نَعِيشُ بِمَا نَهْوَى وَنَأْمُلُهُ وَيُرْغَمُ اللَّهُ فِينَا أَنْفَ وَآشِينَا
حَتَّى إِذَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مِيتَتَنَا وَحَانَ مِنْ أَمْرِنَا مَا لَيْسَ يَعْدُونَا
ما ليس يعدونا: ما لن نفر منه

مُنْنَا جَمِيعاً كَغُضُنِّي بَانَةً ذُبْلًا مِنْ بَعْدِ مَا نَضَرَا وَاسْتَوْسَقَا حِينَا
استوسقا: أثمرنا

ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْنَا فِي مَضَاجِعِنَا حَتَّى نَعُودَ إِلَى مِيزَانِ مُنْشِينَا
مضاجعنا: قبورنا، منشينا: خالقنا

فَإِنْ نَنَلْ عَفْوَهُ فَالْحُلْدُ يَجْمَعُنَا إِنْ شَاءَ، أَوْ فِي لَظَى إِنْ شَاءَ يُلْقِينَا

حتى يقول جميع الخالدين بها يَا لَيْتَ أَنَا مَعاً كُنَّا مُجِبِّينَا
سيحسنا الخالدون في النار لأننا ظللنا معاً. كأنه واثق من أن هناك «اختلاطاً» في الجحيم!

٥٤ الأحلام والأمانى

تَمَتَّعَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ قَانِ وَإِنَّكَ فِي أَيْدِي الْحَوَادِثِ عَانِ
عان: أسير

فإني رأيت الدهر يسرع بالفتى وينقله حاليين يختلفان
فأما الذي يمضي فأحلام نائم وأما الذي يبقى له فأمانى

٥٥ قتلها لثلا يراها الحسود

يَا طَلْعَةَ طَلَعَ الْجَمَامُ عَلَيْهَا وَجَنَى لَهَا ثَمَرَ الرَّدَى بِيَدَيْهَا
يا لطلعتها البهية التي طلع عليها الموت، وجنى لها ثمرته، أي قطف لها ثمرة الموت، بسبب ما
صنعتة هي

رَوَيْتُ مِنْ دَمِهَا الثَّرَى وَلَطَّالَمَا رَوَى الْهَوَى شَفَتَيَّ مِنْ شَفَتَيْهَا
قد بات سيفي في مجال وشاحها ومدامعي تجري على خديها
وضعت سيفي في مكان وشاحها، عند خصرها

فَوَحَّقْ نَعْلَيْهَا، وَمَا وَطِئَ الْحَصَى شَيْءٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَعْلَيْهَا
ما كان قتلها لاني لم أكن أبكي إذا سقط الذباب عليها
لم أقتلها لهوانها علي، بل لقد كنت أبكي جزعاً إذا سقطت عليها ذبابة

لَكِنْ ضَنْنْتُ عَلَى الْعَيُونِ بِحُسْنِهَا وَأَنْفَتُ مِنْ نَظَرِ الْحَسُودِ إِلَيْهَا

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١٤	وَالْجَسَدِ	٤٤	الطَّائِي
١٧	سَهْرًا	١	ضَرَاءِ
٤٨	وَالْعَنْبُرُ	٣	النَّوَادِبُ
٢٠	وَالْفِكْرُ	٥	تُحْلَبُ
٢٣	الْجَمْرِ	٤٥	عَذْبُ
٥٠	النَّوَارِ	٤	فَقْضِيبُ
٢١	بِالْهَوَاجِرِ	٦	أَرْبِي
٢٢	فَانْتَشِرِ	٨	الطَّرَبِ
٢٦	مُنِيرِ	٧	غَرِيبِ
٤٩	وَحَمْرِ	٢	أَثْوَاهَا
١٩	خَبَرُ	١٠	الْبَنَاتِ
١٦	ابْتِكَارَهَا	٩	وَصَلَتْ
١٨	الْقَدِيرَةَ	٤٦	دُعُجُ
٢٥	خَذِرِهِ	٤٧	الْمُهْجِ
٢٤	لِخَضْرَاهَا	١١	رَوْحُ
٢٧	أَنْفَاسِي	١٢	حَسُودُ
٢٨	لِصِّ	١٥	عَهْدِ
٢٩	مَتَلَفُ	١٣	مَوْعِدِ

٣٨	الصيامِ	٣٠	الجفافِ
٥٣	نَموتِنا	٣١	نِصفِهِ
٣٩	الآنِئِ	٥١	وَشَقَائِقِ
٥٤	عَانِ	٣٢	تَرْمِلا
٤٠	مَكَانِي	٣٣	الرسولُ
٤٢	مِني	٣٤	مَوْتِلُ
٤١	والإثنينِ	٣٥	يَحْفِلُ
٤٣	مُعَادِيَّةُ	٣٧	حَالِ
٥٥	بِيدِهَا	٥٢	عَالِ
		٣٦	مُقْبِلِ

علي بن الجهم

(١٨٨هـ - ٢٤٩هـ)

أنام هذه الأيام على محيط المحيط .

أقول «هذه الأيام»، لا «هذه الليالي» لأنني لا أعرف متى أنا، ولا متى أصبحو. أخلع ساعتني، ثم تضل ولا أهتدي إلى مكانها. فأتظاهر بأنني أبحث عنها، وإن في قرارة نفسي لرغبة جامحة في ألا أجدها. تضع الساعة، ويتقد في قلبي الفرح .

توقد في قلبي شمس

ينسيني يومي أمس

قلبي عرس

تمضي الساعات لا أحس بها، تخبرني النافذة - التي يكاد يلتصق بها جدار البناية المجاورة التصاقاً - بأن الليل حل، وأمارس من عاداتي وهواياتي ما أمارس: أقرأ وأكتب وألحن وأتفرج في النت. وبعد حين أقول في نفسي: لعل الليل قد هبط الآن ثقيلاً؛ أنظر في معصمي الأيسر فلا أجد الساعة الضالة، فأنظر إلى النافذة فأرى جدار البناية الملاصقة أصفر لا أسود، وسرعان ما يؤكد لي المؤذن أنه الفجر الصادق.

وأثناء.. . أليس قد بزغت الشمس!

وأتحايل على النعاس بشطيرة تشغل معدتي، فيطير النوم، وأتمنى أن أستطيع ما كنت أستطيعه في سنوات خلت من وصل الليل بالنهار، والبقاء في حضن الصحو ثماني وأربعين ساعة. غير أن كل ما أستطيعه اليوم هو أن أسرق من الصباح، بعد سهر الليل بطوله، بضع ساعات قد توصلني إلى الظهر قبل أن يفرض الفراش نفسه فرضاً.

وقد شقيت زمناً بمخدتين، أجعل الطرية منهما من تحت فتتقلقل المخدة الصلبة فوقها كأنها مركب يتهادى على سطح الماء، ثم أجعل الصلبة من تحت فيغوص رأسي في الطرية المحشوة بالصوف الصناعي فأخترّ ويتصب عرقي. ثم إنني صرت أجعل محيط المحيط تحت مخدتي الصلبة فأرقد على صلب فوق صلب.

ولا أضع محيط المحيط تحت مخدتي إلا بعد أن أقلب صفحاته ملياً. وهو يفعل في أحياناً فعل الشطيرة، فيحبس عني النوم ساعة أو أكثر.

هذا معجم كتبه بطرس البستاني قبل مئة وخمسين سنة، وطبعه في ألف صفحة من القطع الكبير والحرف الصغير. وسأعود إلى الحديث عنه.

كان أول معجم اقتنيته «المنجد» للأب لويس المعلوف. وكان، بأحرف الحديث، وبما بذله فيه اليسوعيون من عناية، وما ألحقوا به من ملاحق، خير رفيق. ثم عرفت معجم مجمع القاهرة «الوسيط»، فاكشفت أنه يلتقي مع المنجد في تعريفات كثيرة. ثم عندما عرفت القاموس المحيط للفيروزآبادي فهمت أن المنجد والوسيط شربا من نبع واحد. وكنت أُمِرُّ بطبعة قديمة لمحيط المحيط في المكتبة العامة فلا أعيره كبير اهتمام، ربما لذلك البنط الطباعي البائد.

وصدرت طبعة جديدة لمعجم بطرس البستاني محيط المحيط، وصدرت تصويراً عن الطبعة الأصلية بتلك الحروف العتيقة نفسها، ولعلها ازدادت تآكلًا في التصوير بالأوفست، على أنني عندما اقتنيتهما فرحت بها وبأنها صورة طبق الأصل. فلا أريد من أحد أن «يعتني» بهذا المعجم، ولا أن يغير فيه شيئاً. لقد سبق محيط بطرس منجد المعلوف بأربعين سنة، وسبق الوسيط بتسعين سنة. وكان أول معجم عربي يؤلّف في زمن المطبعة.

في السطر الثاني من مقدمته - المكونة من صفحة واحدة - يقر المؤلف بأن معجمه مستند إلى قاموس الفيروزآبادي. لا بل هو يقر بذلك في اسم المعجم، فقد سماه محيط المحيط مذكراً بالقاموس المحيط. وليته لم يكن تواضع هذا التواضع. فبطرس صنع في كتابه العجب. لقد وصف اللغة كما هي في عصره، وأضاف إلى مفرداتها الكثير كي يصف ما ولدته العلوم الجديدة من مفاهيم وأدوات. وكان فحلاً من فحول علم الصرف. وكان محباً للشعر فاستشهد بنحو أربعة آلاف بيت (فتحت على الصفحة المئة، كعادتي كلما أردت فحص كتاب، فوجدت فيها أربعة شواهد شعرية، ثم على الصفحة مئتين فوجدت أربعة

شواهد، ثم على الصفحة ثلاثمئة فوجدت خمسة شواهد شعرية)، ولا تسل عن الشواهد القرآنية، ولا عن الأحاديث النبوية فهي بالآلاف.

في الشواهد الشعرية خرج المعلم بطرس عن قيد «عصر الاحتجاج» الذي يقف عند نهاية العصر الأموي، فتراه يستشهد بأبيات لكل شاعر فصيح من كل العصور، وهو بذلك قد جرح قاعدة سخيفة أساسها فكرة أن اللغة جامدة ويجب أن تبقى جامدة، وهو بهذا النوع من الاستشهاد الحر قد خرج من طوق الأبيات الشاذة التي كانت وبالأعلى النحو، وعلى الصناعة المعجمية. وهو بذلك يعرض علينا ذوقه الطيب، فإذا فسح لنفسه المجال راح يختار الأبيات التي لم يلجئ فيها الوزن والقافية الشاعر إلى ارتكاب الشذوذ، فكان استشهاده بريئاً وجميلاً. الرجل محب للأدب.

فإن علمت أن «المعلم بطرس» - وهذا لقبه وهو به جدير - كتب أيضاً ستة أجزاء هي نصف موسوعة علمية، مات عن نصفها الثاني، وتعرض فيها لقوانين الفيزياء وتفاصيل الكيمياء والأحياء، فقد عرفت أن صاحبنا ذو باع في المعرفة العامة أعانه في كتابة معجم حقيقي. فصاحب المعجم يجب أن يكون صاحب حياة لا نابش قبور، ويجب أن يكون صاحب معرفة عريضة لا أخا نحو وصرف وناقة وبعير.

وقد برئ المعلم بطرس في معجمه من تشدد المعلوف إزاء المدارك الإسلامية. كان المعلوف يمر بالمفردات التي فيها رائحة الإسلام مرور الفار من ذئب مفترس. ولا كذلك المعلم بطرس. كان بطرس، كمعاصره وزميله في مهنة التعليم ناصيف اليازجي، محباً لثقافة الإسلام بما هي ثقافة عربية. لم يكن متشجعاً. وآية سماحته أنه عندما قامت المذابح الطائفية في لبنان، عام ١٨٦٠، كان من أهل المساعي الخيرة لنبذ الطائفية، وأنفق في ذلك العمر والمال، وسمى المدرسة التي أنشأها المدرسة الوطنية لتضم الطلبة من كل الملل. كانت المدرسة الوطنية تعلم الطلبة ست لغات، ولكنها جعلت العربية في الصدارة.

لعل بطرس البستاني كان يجامل الحكم العثماني في بلادنا بعض المجاملة - وقد نال من السلطان دعماً لطبع معجمه، ونال منه عليه الوسام المجيدي الثالث - بيد أن المعلم بطرس، الذي تكاد تحسبه حفظ القرآن حفظاً لكثرة استشهاده بآياته، وعب من كتب الحديث عباً، كان من القوم الذين تصالحوا مع اللغة العربية وهي تتشكل تشكلاً جديداً بعد الإسلام الذي منح لغتنا كتابها،

وكان ممن تصالحوا معها وهي تخوض في تعريب ما جد من مفردات في عصر العلم، وممن تصالحوا مع شعرائها القدامى والمحدثين الذي صنعوا لهذه اللغة ديوانها بما فيه من حكمة ووحشية وقتل وفضائل وحماقات.

قف لحظة وانظر إلى بعض المتشددین من مسلمين ومسيحيين ترهم يريدون العودة باللغة إلى عصر نأثاة الإسلام، هذا عن المسلمين، فأما بعض المتشددین المسيحيين فقد ودوا لو عادوا بها إلى الجاهلية فلا يكون فيها لا قرآن ولا حديث.

سعادتي ببطرس وهو يستمسك بالعربية كما تطورت متلذذاً باستشهاداته القرآنية وبإيراده المئات من الكلمات العامة للتعبير عن دقائق المعاني الحياتية، هي كسعادتي وأنا أراه يترجم الكتاب المقدس، ويصوغه بعربية حلوة للمؤمنين. وسعادتي هاتان تشبهان سعادتين أخريين: سعادتي بمارون عبود وهو يرى في محمد بن عبد الله، نبي المسلمين، نبياً للعرب أيضاً - ومشى مارون خطوة أخرى فسمى ولده الثاني محمداً فقامت عليه القيامة - . وقد شاء لي الحظ الطيب أن التقيت بحفيد مارون عبود في بيت جده الذي صار متحفاً، وكان يحدثني عن العائلة ذاكرةً، فيما ذكر، «عمي محمد» . كنت أراها تخرج من فمه غريبة حلوة في ذلك الجو المسيحي. وسعادتي الثانية بمارون عبود إذ أقرأه يكتب كتباً كثيرة عن قريته المسيحية وتراثها المسيحي وعن كتب الصلاة المكتوبة بالسريانية. لم يكن مارون تقياً ولا متديناً بحال، لا إسلامياً ولا مسيحياً، لكنه كان يحب تراثه بكل مكوناته.

لقد أنجزتُ وثائقاً تلفزياً عن نهوض لبنان باللغة العربية، هذه اللغة التي تتحول صورتها الفصحى في لبنان الآن إلى هيكل عظمي، وسميته مورياً «عظام العربية في لبنان». ولم أتعرض فيه بكلمة لا لبطرس البستاني ولا لعبد الله البستاني ولا لسليمان البستاني، ولا لوديع البستاني الشاعر العلامة الذي نعه نحن، الفلسطينيين، فلسطينياً لنضاله المشرف وتضحيت أمام الهجمة الصهيونية. خشيتُ أن أغرق في بحر المعرفة والتسامح والحب الذي أسبغه أبناء هذه الأسرة على الثقافة العربية، خشيتُ أن يأكلوا برنامجي. ضاق فتر عن مسير.

قد عرفتُ الآن لماذا أنام مرتاحاً. تحت رأسي معجم يغنيني عن القاموس المحيط، بل حتى عن لسان العرب.

شيء عن زراعة الشعر

سأنقلك من لبنان إلى الشام. سأعرفك برجل زرع الشعر في رأس أكبر شاعر عربي معاصر. والشعر يزرع مثلما يزرع مصحفه.

أترك الشاعر الأكبر يحدثك عن أستاذه، كتب نزار قباني: «إنه لمن نعمة الله عليّ وعلى شعري معاً، أن معلم الأدب الأول الذي تتلمذت عليه، كان شاعراً من أرق وأعذب شعراء الشام، وهو الأستاذ خليل مردم بك. هذا الرجل ربطني بالشعر منذ اللحظة الأولى، حين أملى علينا في أول درس من دروس الأدب مثل هذا الكلام المصقول كسبيكة الذهب: «إنّ التي زعمت فؤادك ملأها خلقت هواك كما خلقت هوى لها/ منعّت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان أكثرها لنا.. وأقلها». واستمر خليل مردم يقطف لنا من شجرة الشعر العربي عشر زهرات جديدة في كل درس من دروسه، حتى كانت ذاكرتنا الشعرية في نهاية العام بستاناً يموج بالأخضر، والأصفر، والأحمر. لقد جئنا هذا الشاعر الكبير، بذوقه المترف وإحساسه المرهف، السير على حجارة أكثر الشعر الجاهلي، ونباتاته الصحراوية الشائكة، ودلنا على طرقات ظليّة، وواحات في الشعر العربي، أنستنا متاعب الرحلة. ومن حسن حظي، أنني كنت من بين التلاميذ الذين تعهدهم هذا الشاعر المفرط في حساسيته الشعرية، وأخذهم معه في نزحاته القمرية، ودلّهم على الغابات المسحورة التي يسكن فيها الشعر. إنني أدین لخليل مردم بك بهذا المخزون الشعري الراقى الذي تركه على طبقات عقلي الباطن. وإذا كان الذوق الشعري عجيبة تتشكل بما نراه ونسمعه ونقرؤه في طفولتنا، فإن خليل مردم كان له الفضل العظيم في زرع وردة الشعر تحت جلدي، وفي تهيئة الخمائر التي كوّنت خلاياي وأنسجتي الشعرية».

الآن عرفت سر فصاحة نزار. كنت أغوص تحت سطح تشبيهاته المركبة، وتحت تعبيراته الراقصة، وتحت صناعته المبهرة، فأرى لغة عربية سليمة؛ صحيح أنها تنهادى لابسة شفوفاً معجبة، وتعبق بعطور باريسية، غير أنها لغة صحيحة فصيحة ليس فيها خلل ولا زلل.

الآن عرفت من أين أتى نزار بهذا.

ألمست أنني أتحدث عن هؤلاء الكبار بلسان الحسد؟ قد أصبت. فأنا رغم سهر الليالي، أسعى في اتجاهات شتى، حركة بلا بركة. فإذا ما وقع بين يدي أحد الكبار الذين دفعوا ثقافتنا ومعارفنا إلى الأمام وقفت وقفة لأداء

التحية، ولتأنيب نفسي، ولاستنهاض همة شاب يملك ما لم أعد أملكه من فسحة في العمر وسعة في الذاكرة وشحنة من الرغبة.

كبيرنا الثالث هو خليل مردم بك الذي كان معلماً وشاعراً، ثم وزيراً ثم رئيساً لمجمع دمشق العلمي الذي كان نشطاً قبل أن يذبحه الحزبيون والأكاديميون بالسكين.

كتب خليل مردم بك كتباً قليلة وصغيرة، أقرأها للاستمتاع بلغته الجميلة، ولأنه يقول ما يريد بكل أناقة، ولأنه قليل الادعاء. له عن شعراء الشام مقالة في نحو مئة صفحة، وله عن ناثري العراق، ابن المقفع والصاحب بن عباد وابن العميد، كتب تجد فيها قلم المؤرخ والأديب.

وقد حقق دواوين ابن الخياط وابن عنين وعلي بن الجهم. وموضوعنا الأصلي - بعد إذ أخذناك في الصفحات السابقة في الباص السياحي الذي يفلك من ميدان الطرف الأغر لتجد نفسك بعد ساعتين في . . ميدان الطرف الأغر - هو علي بن الجهم.

علي بن الجهم

أولاً أحدثك عن تحقيق خليل مردم بك لديوانه. فهذا الشاعر الدمشقي، الذي علّم نزار قباني الجمال، كتب مقدمة ضافية للديوان، وحققه ودققه بروح الأديب واللغوي معاً. وقد يلفتك بعبارة صغيرة إلى معنى جميل، وهو يشعرك وأنت تمسك بالديوان أن هذا الذي بين يديك هو ثمرة عمل رجل يحب عمله ويخلص له.

وقد كتب السيد أحمد صقر نقداً للتحقيق في مجلة الكاتب تضمن بعض الاجتهادات في قراءة بعض الكلمات. وأفدنا من بعض ذلك.

علي بن الجهم شاعر كبير.

يلوي الكلام ليّ المتنبي، ويحمل المفردة أحياناً أكثر مما تطيق، فعل أبي تمام. لكن شاعريته تتجلى في أنه مدح صادقاً وهجا صادقاً ووصف ومجن وتوجع صادقاً. لقد جعل حياته ميداناً لشعره.

ولد علي بن الجهم عام ١٨٨هـ، فهو لدة أبي تمام. وشهد وهو صبي في العاشرة اضطراب بغداد الذي انتهى بقتل الخليفة الأمين وتغلب أخيه المأمون.

كان علي في هذا الوقت يغدو إلى الكُتَّاب مع أولاد و«بنات» الحي. وكانت قد بدت عليه أمارات النجاسة وحب الشعر. وقد كان بيته عامراً بالثقافة والشعر والسياسة: أبوه ذو منصب كبير، وأخوه الأكبر محمد من كبار مثقفي بغداد، مولع بالكتب ولا سيما ما يتعلق بعلوم اليونان، غير أنه يروي الشعر. وبلغ من ثقافة هذا الأخ أن الجاحظ نقل عنه عدة آراء في أكثر من موضع، كما يخبرنا خليل مردم بك في مقدمته النفيسة للديوان.

كان الأخ الأكبر محمد هذا يحضر مجلس الخليفة الجديد المأمون، وعندما نبغ الأخ الأصغر علي في الشعر وصل خبره إلى مسامع الخليفة فسأل أخاه عنه، وبعث إليه معه دراهم.

الأسرة تنتسب إلى فرع ضعيف من قبيلة قريش..

أراني أكتب لك كتابة ضعيفة ركيكة وأنا أحدثك عن حياة شاعرنا، ذلك أن مقدمة خليل مردم بك تكبلني. فهي وافية ساطعة سامقة. ولكنني سأمضي في كتابتي الضعيفة، فلا أحب أن أنسخ نسخاً ما قاله المردم الكبير، ولا أن أقتبس اقتباسات طويلة مما سطره صاحب الأغاني. على أن لي بعض الآراء الخاصة التي لن أعفيك منها.

هذه الأسرة قرشية من فرع يسمى بني سامة أو بني ناجية أو قريش العازبة، أي الذاهبة بعيداً، ذلك أن هذا البطن القرشي نزح إلى البحرين قديماً. وبهذا النسب القرشي فخر شاعرنا كثيراً، وراح أعداؤه يشككون في انتساب بني سامة إلى قريش. على أن الأسرة كانت ذات جاه عريض.

وكانت الأسرة قد رحلت من البحرين إلى خراسان، (وخراسان هي اليوم في شرق إيران وتضم معظم أفغانستان وقطعة من تركمانستان وطاجيكستان ومعظم أوزبكستان) واستقرت في مرو (تركمانستان اليوم).

ومن خراسان انطلقت الدعوة العباسية بقيادة أبي مسلم الخراساني. وبانتساب أسرته إلى خراسان يفخر علي بن الجهم، فأهل خراسان هم من نصر الدعوة العباسية قبل مولده بأكثر من خمسين سنة.

مع تقلد والد شاعرنا المناصب المختلفة في الدولة انتقل إلى بغداد، وبها نشأ علي. وفي كتابتيها ومساجدها تعلم الشعر وقاله. وكان يحضر مجالس المحدثين والفقهاء، وله في حلقة أحمد بن حنبل حضور موثق. وله مجلس

مشهور مع الشعراء في بغداد، ومما دار في هذا المجلس أن رجلاً غريباً التحق به ذات يوم وأنشد الناس فأعجبهم، فسألوه عن اسمه فقال: أنا أبو تمام، فرفعوا قدره ورحبوا به، وانعقدت بينه وبين علي بن الجهم صداقة وطيدة.

في حلقة أحمد بن حنبل وفي حلقات فقهاء بغداد ترسخ الاتجاه الفكري الديني للشاعر. كان المحدثون مضطهدين يتعرضون لمحنة طويلة على يد الخليفة المعتزلي المأمون وخلفه المعتصم ثم الواثق، وعلى يد وزرائهم الذين كانوا على مذهب الدولة وهو الاعتزال. فكان علي بن الجهم في صف المضطهدين.

لقد مدح شاعرنا المعتصم وهنأه بفتح عمورية، ومدح الواثق بأبيات قليلة، وكان أخوه الأكبر محمد يتولى الشرطة في بغداد للواثق. لكن علياً ظل سنياً يكره الاعتزال ويكره التشيع. وكانت العامة من أهل بغداد تعطف على فقهاء السنة وتجد في ابن حنبل الزعيم الروحي.

ثم تولى الخلافة المتوكل، فأقصى المعتزلة وأعاد الدولة إلى حظيرة الإسلام السني. لم يكن الخليفة المتوكل فقيهاً ولا عالماً كما كان أخوه الواثق وعمه المأمون. كان يكره أخاه ووزير أخيه ابن الزيات كرهاً شديداً. كان شاباً لاهياً يطيل شعره كشباب اليوم، لكنه كان متمذهباً بمذهب الشافعي، ويؤثر أهل السنة. وفجأة مات أخوه الواثق رافضاً في مرضته الأخيرة أن يولي عهده أحداً، فأسرع القاضي أحمد بن أبي دؤاد وتحايل حتى وضع البيعة في رقة المتوكل بن المعتصم أخي الواثق.

انطلقت أشعار علي بن الجهم مدوية في مدح المتوكل الذي أعاد الدولة إلى مذهب أهل السنة، وكرّم ابن حنبل، وقرب المحدثين. ونادم ابن الجهم المتوكل سبع سنين. وله فيه مدح كثير. غير أن أبلغ شعره وأجمله سيأتي بعد أن يتعرض هو للمحنة.

كان مجلس المتوكل عامراً يحضره البحتري، والحسين بن الضحاك، ومروان بن أبي الجنوب من الشعراء، ويحضره من الكبراء طبيب الخليفة بختيشوع بن جبرائيل وفرج الرخجي وابن حمدون. وكان ابن الجهم متعالياً عليهم، يهجو الشعراء فلا يجيبهم، ويهجو الكبراء مدلاً بنسبه وقربه من الخليفة. صنع من الأعداء ما يكفي لإسقاطه. شاعرنا لم يكن حصيفاً. كان

تياهاً كثير الاعتداد بنفسه، حتى لقد كان يعد الشعر - وهو بلا شك أئمن ما يملك - دون مستواه.

كان صاحب قيل وقال. كان ذلك الابن المدلل لعائلة ثرية ونافذة، تعتد بنسب قرشي. وحدث ما يجب أن يحدث. تأمر عليه أعداؤه، ولم يجد له صاحباً. أوغروا صدر الخليفة عليه، فأقصاه، ثم فرض عليه ما يشبه الإقامة الجبرية. ثم حبسه، ثم أمر به فقيد في محبسه، ثم أمر فصودرت أمواله. ولم يكتف الأعداء بذلك فقالوا للمتوكل إن علياً هجاء، وكان سهلاً أن يصدق المتوكل ذلك، فعلي بن الجهم اجتراً على ابن الزيات وزير الوائق وهجاء، فما يمنعه من أن يهجو الخليفة؟ فأمر المتوكل بنفي الشاعر إلى خراسان، وأمر واليه عليها طاهر بن عبد الله بن طاهر بحبس الشاعر، ثم بصلبه عارياً على مرأى من الناس يوماً كاملاً، ونفذ الوالي الأمر. وبعد حين كتب المتوكل بإخراجه من السجن.

لم يمدح شاعرنا المتعالي الوالي الذي نفذ الأمر بصلبه، ولم يهجه، فهو عبد مأمور، بل هدده تهديداً شعرياً بأنه سيهجوّه إن لم يحسن إليه. فأحسن الوالي إليه وجعله في حاشيته، ومكث شاعرنا في خراسان زمناً. لكنه كان كثيراً، وشاهده بعضهم جالساً في مقبرة.

وعاد علي بن الجهم إلى بغداد. وبما لدى أسرته من مال وفير أخذ يلهو ويغشى بيوت القيان، وله في ذلك شعر من ضمنه قصيدة بديعة يصف فيه ما يشبه أن يكون ماخوراً من مواخير أهل اليسار. وله شعر يهجو فيه جلساءه الذين عربدوا عليه. لم يعد الشاعر إلى مجلس الخليفة في سامراء. كان قد أدرك أن منزلته سقطت. (إذا رفع السلطان قوماً ترفعوا/ وإن هدم السلطان مجدداً تهدما).

مكث علي بن الجهم في لهوه سبع سنين بعيداً عن مجلس الخليفة حتى مات المتوكل. فقال شاعرنا قصيدة من أبدع الشعر في رثاء الخليفة الذي أعاد للدين رونقه. قصيدته في رثاء المتوكل تستحق وقفة تقدير لخلق الشاعر، فبعد اضطهاد استمر سنوات بكى الشاعر المتوكل بحرقه. قد ربطته بالخليفة رابطة حب تشبه ما سيربط المتنبي بسيف الدولة.

كان علي بن الجهم يقترب من الستين عند مقتل المتوكل. ولم يسع شاعرنا إلى الاتصال بالخليفة الجديد، المنتصر بن المتوكل، الذي تأمر على

قتل أبيه. لا بل عرّض في شعره بخيانة الابن لأبيه. ومات المنتصر بعد سنة أشهر، وظل شاعرنا في بغداد يعيش حياة اللهو. كان رجلاً وسيماً قوي البنية. ولكن الستين جعلته برماً بحياته. فلما ثار الناس في بغداد لخبر جاءهم بأن الروم توغلت في أرض الإسلام انطلق علي بن الجهم غازياً.

وقبل الوصول إلى الثغر خرجت على الغازين جماعة من الأعراب في مكان يدعى خُسافاً. وقاتل علي بن الجهم بشجاعة. وخرج الأعراب عليهم مرة أخرى فقاتل وأصيب بجرح مميت. ونقلوا عنه بضعة أبيات وهو جريح. ومات فجراً.

مثلما سيكون أحسن شعر أبي فراس روميّاته وهو في الأسر، فكَذلك أحسن شعر علي بن الجهم ما قاله وهو في الحبس.

لم نرتب الأشعار زمنياً، وكان يسيراً علينا أن نفعل، بل تركناها تتوالى كما توالى في الديوان، فهذا الذي نقدمه لك كتاب شعر لا كتاب تاريخ. ولكل قصيدة أن تقف وحدها وتعلن عما فيها من شعر.

١ إمامي

قال علي بن الجهم يمدح المعتصم:

خَلَيْلِيَّ الْهُوَى خُلُقٌ كَرِيمٌ تُقَصِّرُ عَنْهُ أَخْلَاقُ اللَّئَامِ

العشق يصحبه الخلق الكريم الذي لا يتحلى به اللئام

وَفَاءٌ إِنْ نَأَتْ بِالْجَارِ دَارٌ وَرَغْبًا لِلْمَوَدَّةِ وَالذَّمَامِ

إن نأى المحبوب، أي ابتعد، فله الوفاء، وأرعى المودة والذمام، أي العهد

أَلَا طَرَقَتْ تِلْوَمُكَ أَمْ عَمُرُو، وَمَا لِلْغَانِيَاتِ وَلِلْمَلَامِ!

طرقت: جاءت ليلاً، وجاءت تلوم..

أَعَاذَلْ! لَوْ أَضَافَكَ جَنَحُ لَيْلٍ إِلَيَّ، وَأَنْتِ وَاضِعَةُ اللَّئَامِ..

يا عاذلتني لو كنت ضيفة لدي في الليل وأنت واضعة اللئام، أي سافرة، و"وضع" تعني ارتدى وتعني خلع..

لَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ اللَّيْلُ شَهْرًا وَأَلْهَاكَ السُّهَادُ عَنِ الْمَنَامِ

لسررت بقربي وألهاك السهاد، السهر، عن النوم

أَعَاذِلْ مَا أَعَزَّكَ بِي إِذَا مَا أَتَاكَ اللَّيْلُ وَخَشِيَ الْكَلَامُ
يا عاذلتي ما أكثر ما استشعرين بعزتي إذا سَهَّلَ لي الليل الكلام الوحشي، الغريب الذي فيه خلق
وإبداع.. هذا المعنى الملموح

وَعَنْتَ كُلَّ قَافِيَةٍ شَرُودٍ كَلِمَحِ الْبَرْقِ أَوْ لَهَبِ الصُّرَامِ
وعنت، أي مرت ببالي، كل قصيدة شرود، سيارة يتناقلها الناس وتسير من بلد إلى بلد، كأنها
البرق أو اللهب

عَلَى أَعْجَازِهَا قَرَمٌ، إِذَا مَا عَنَاهُ الْقَوْلُ أَوْجَزَ فِي تَمَامِ
وخلف هذه القافية قرم، سيد شريف، إذا نوى أن يقول فهو يوجز ويتمم المعنى

شَوَارِدُ إِنْ لَقِيتُ بِهِنَّ جَيْشًا صَرَفَنَ مَعَرَّةَ الْجَيْشِ اللَّهَامِ
هذه الأبيات سيارة تواجه معرة الجيش اللهام، قسوة الجيش القوي الذي يلتهم كل ما أمامه

وإِنْ نَارَعَتْهُنَّ الشَّرْبَ كَانَتْ مُدَامًا، أَوْ أَلَذَّ مِنَ الْمُدَامِ
وإن تداولت الأبيات مع الشرب، جلساء الشراب، فالأبيات كأنها الخمر بل أَلَذَّ من الخمر

نَشَزْنَ عَلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ فَمَا أَحَدٌ يَقُومُ بِهَا مَقَامِي
أبياتي نشزت على امرئ القيس، صعب عليه الإتيان بمثلها، وليس لها إلّا (رواية مردم بك
«يثرن» ورأى ناقد تحقيقه أن نشزن أفضل)

لَأَنْتُمْ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ أَوْلَى بِمِثْرَاتِ النَّبِيِّ مِنَ الْأَنَامِ
كان العلويون ينازعون بني العباس الشرعية نزاعاً خفياً أو غير خفي، والشاعر يثبت الشرعية لبني
العباس فهم وارثو النبي من بين كل الأنام، أي الخلق

مَوَدَّتْكُمْ تُمَحِّصُ كُلَّ ذَنْبٍ وَتُفَرِّقُ بِالصَّلَاةِ وَبِالصِّيَامِ
موددة الناس لكم تمحص، تزيل وتنفي، كل ذنب لهم فهي قرينة صلاتهم وصيامهم

وَرَافِضَةٌ تَقُولُ: بِشُعْبِ رَضْوَى إِمَامٌ؛ خَابَ ذَلِكَ مِنْ إِمَامِ
ورب رافضة (جماعة من الشيعة تبعوا زيد بن علي ثم تركوه عندما أبى التبرؤ من أبي بكر وعمر)
وهؤلاء يقولون إن في شعب رضوى إماماً غائباً (قالوا إن محمد بن الحنفية لم يمت بل غاب،
وسيعود)

إِمَامِي مَنْ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْأَثَرِ مُشْرَعَةُ السَّهَامِ
الإمام الذي يعترف به شاعرنا هو المعتصم الذي له جيش كبير. في نهاية الحرب العالمية الثانية
قال تشرشل البريطاني لستالين السوفياتي إن عليه مراعاة رأي الفاتيكان فيما يتعلق برسم خريطة
أوروبا الشرقية بعد الحرب، رد ستالين: «كم فرقة عسكرية يملك بابا روما؟»

٢ شقاء المال

وقال يمدح الواصل:

وَوَثَّقْتُ بِالْمَلِكِ الْوَاثِقِ بِاللَّهِ النَّفْسُ
مَلِكٌ يَشْقَى بِهِ الْمَاثِقُ وَلَا يَشْقَى الْجَلِيسُ

يشقى به المال لأنه يفرقه على الناس

يَا بَنِي الْعَبَّاسِ يَا أَبَى الْوَلَدِ إِلَّا أَنْ تَسُوسُوا

٣ التنصل

لَوْ تَنَصَّلْتُ إِلَيْنَا لَعَفَرْنَا لَكَ ذَنْبَكَ

التنصل: أن تزعم أنه لا ذنب لك، ومن فعل ذلك فكأنه يقر للأخر باليد العليا. كنت أشتغل في مصنع بألمانيا وأنا شاب. جئت متأخراً يوماً، فسألني كبيرهم عن سبب تأخري، فقلت له: راحت عليّ نومة. ففصلني من العمل. فصلني لأنني لم أتنصل، ولم أكذب. فلو كذبت لرأى في ذلك الخضوع المطلوب

لَيْتَنِي أُمْلِكُ قَلْبِي مَثَلَمَا تُمْلِكُ قَلْبَكَ
سَيِّدِي مَا أَبْغَضَ الْعِيْدُ شَخْصًا إِذَا فَارَقْتُ قُرْبَكَ

٤ الرافع الواضع

وَلَمَّا رَمَى بِالْأَرْبَعِينَ وَرَاءَهُ وَقَارَعَ مِ الْخَمْسِينَ جَيْشًا عَرَفَرَمًا
لما تجاوز سنوات الأربعين وبدأ يقارع سنوات الخمسين وكأنه يقاوم جيشاً عرمرماً، كبيراً..
و«م» هذه اختصار لـ من

تَذَكَّرَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا مَا تَصَرَّمًا وَحَنَّ فَلَمْ يَتْرِكْ لِعَيْنَيْهِ مُسْجَمًا
تذكر ما تصرم ومضى من عهد الشباب، وحن فلم يدع لعينيه مُسْجَمًا، أي دمعاً، إلا وسال

وَجَرَّ خِطَامًا أَحْكَمَ الشَّيْبُ عَقْدَهُ وَقَدَّمَ رَجُلًا لَمْ تَجِدْ مُتَقَدِّمًا
وجر خطاماً، حبلاً، قد عقده الشيب بعنقه عقداً، وقدم رجلاً ولكنها لم تجد لها موضعاً في أماكن اللهور

وَأَنْكَرَ إِغْفَالَ الْعَيُونِ مَكَانَهُ وَقَدْ كُنَّ مِنْ أَشْيَاعِهِ حَيْثُ يَمَّمَا
واستهجن التجاهل الذي لقيه، وكانت العيون من أشياعه حيث يمم، تشايحه وتلاحقه أينما ذهب

خَلِيلِي مِنْ قَرَعِي قُرَيْشٍ رُزَيْتُمَا فَتَى قَارَعَ الْأَيَّامَ حَتَّى تَلَلَّمَا
يا صديقي من قرعي قریش (من قریش البطاح وقریش الظواهر)، قد رزيتما، أي فقدتما، فتى
تصدى للزمن وقارعه حتى تلم وتفلل حده كالسيف الذي يتلثم لكثرة الضرب به

وَأَحْكَمَهُ التَّجْرِبُ حَتَّى كَانَمَا يُعَايِنُ مِنْ أَسْرَارِهَا مَا تَوَهَّما

لكثرة ما جرب صار يرى أسرار الأيام بعينه بعد أن كان يتوهمها مجرد توهم، فهو في صغره كان يحس ويحلس، وبعد التجربة صار يرى بيقين

وَمَنْ ضَعُفَتْ أَعْضَاؤُهُ اشْتَدَّ رَأْيُهُ وَمَنْ قَوِّمَتْهُ الْحَادِثَاتُ تَقَوَّما

من كبر في السن وضعف جسمه قوي رأيه وصار حكيماً، ومن ربه الأيام فإنه يتربى

خُذَا عِظَةً مِنْ أَحْوَذِيٍّ تَقَلَّبَتْ بِهِ دُولُ الْأَيَّامِ بُؤْسًا وَأَنْعُمًا

خذا عظة من أحوذى، داهية حاذق، تقلبت عليه الأيام وتداولته بين بؤس ونعيم

إِذَا رَفَعَ السُّلْطَانُ قَوْمًا تَرْفَعُوا وَإِنْ هَدَمَ السُّلْطَانُ مَجْدًا تَهْدَمَا

خير من يسوق هذه الحكمة شاعرنا لكثرة ما لقي من عقوبات السلطان

وَلَمْ أَرْ قَرَعًا طَالَ إِلَّا بِأَصْلِهِ وَلَمْ أَرْ بَدْءَ الْعِلْمِ إِلَّا تَعَلُّمًا

وَمَنْ قَارَعَ الْأَيَّامَ أَوْفَرَ لُبَّهُ وَمَنْ جَاوَزَ الْقَدَمَ الْعَيَّيَّ تَفَدَّمَا

من صادم الأيام أوفر لبه، زاد في عقله وحكمته، ومن جاور القدم، الغبي، أصبح مثله

وَمَنْ طَلَّبَ الْمَعْرُوفَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ أَطَالَ عَنَاءُ أَوْ أَطَالَ تَنَدُّمَا

وَمَنْ شَكَّرَ الْعُرْفَ اسْتَحَقَّ زِيَادَةً كَمَا يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ مَنْ كَانَ مُنْعِمًا

شاكر المعروف يستحق الزيادة، تماماً مثلما يستحق باذل المعروف الشكر

وَمَنْ سَامَحَ الْأَيَّامَ يَرْضَ حَيَاتَهُ وَمَنْ مَنَّ بِالْمَعْرُوفِ عَادَ مُذَمَّمًا

الإنسان السامح يعيش راضياً، ومن كدر معروفه بالمن والتذكير به كان مستحقاً الذم

وَمَنْ نَاقَشَ الْإِخْوَانَ قَلَّ صَدِيقُهُ وَمَنْ لَامَ صَبًّا فِي الْهَوَى كَانَ أَلْوَمَا

من ناقش الإخوان، أي جادلهم وصمم على فرك قرن فلل في عيونهم عندما يخطئون، قل صديقه، أي قل أصدقاؤه. ومن لام العاشق كان أحق باللوم منه. مجموعة حكم منظومة في سلك «من ومن ومن..» محاكاة لزهير في معلقته، محاكاة باهتة

٥ الفرح بالنعمة المقبلة

يمدح الخليفة جعفرًا المتوكل (٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ):

قَالُوا أَتَاكَ الْأَمَلُ الْأَكْبَرُ وَفَارَ بِالْمُلْكِ الْفَتَى الْأَزْهَرُ

الأزهر: الأبيض، والياض صفة الرجل السيد عند العرب

وَاکْتَسَبَ الدُّنْيَا جَمَالًا بِهِ فَقُلْتُ قَدْ قَامَ إِذْنُ جَعْفَرُ

ذَاكَ الَّذِي كَانَتْ إِلَى مُلْكِهِ أَبْصَارُنَا طَامِحَةً تَنْظُرُ

٦ بركة تطلب ثأرها

يمدح المتوكل ويصف القصر الهاروني، (وهذه البركة نفسها وصفها البحري في قصيدة مشهورة. ولن ندلك على موضعها من الكتاب لثلاث تفعّل فعل الأكاديميين إذ يطلبون من طلبتهم دراسة القصيدتين والمقارنة بينهما. اقرأ كل قصيدة وحدها واستمع بهذا الشعر وبذاك الشعر):

وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ الْمَلُو كَ تَبْنِي عَلَى قَدْرِ أَخْطَارِهَا
أخطارها: مقاماتها

وَأَعْلَمُ أَنَّ عَقُولَ الرِّجَا لِي يُقْضَى عَلَيْهَا بِأَثَارِهَا
فَلَمَّا رَأَيْنَا بِنَاءَ الْإِمَامِ رَأَيْنَا الْخِلَافَةَ فِي دَارِهَا
وَأَنْشَأَتْ تَحْتَجُّ لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى مُلْجِدِيهَا وَكُفَّارِهَا
ببناك القصر أقيمت الحجة على القاتلين بأن المجد الحقيقي كان للفرس ببشائهم وقصورهم الدالة على حضارة زاهرة

بَدَائِعُ لَمْ تَرَهَا فَارِسٌ وَلَا الرُّومُ فِي طُولِ أَعْمَارِهَا
صُحُونُ تُسَافِرُ فِيهَا الْعَيُونُ وَتُخَيَّرُ عَنْ بُغْدِ أَقْطَارِهَا
صحون: ساحات، وتحسر الأبصار: أي تقطع دون رؤية أقاصي الساحات

وَقُبَّةٌ مُلْكِكَ كَأَنَّ النُّجُومَ مَ تَفْضِي إِلَيْهَا بِأَسْرَارِهَا
يبدو أن القبة كان فيه زجاج فالنجوم ترى منها

وَفَوَارَةٌ ثَأْرَهَا فِي السَّمَاءِ فَلَيْسَتْ تُقْصَرُ عَنْ ثَأْرِهَا
يصف البركة تقذف بمائها فكان للماء ثأراً في السماء وهو يطلبه. ولا ندري كيف جعل مهندسو البركة النافورة ترشق ماءها عالياً. . غير أننا نفترض أنهم جعلوا الماء في خزان في أعلى القصر، ووصلوا الأنابيب منه إلى أصل النافورة

تَرُدُّ عَلَى الْمُزْنِ مَا أَنْزَلَتْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ صَوْبٍ مِدْرَارِهَا
البركة تعيد للمزن، أي السحب، ما أنزلت السحب من صوب مدرارها، من مطرها المنهمر

تَرَاهَا إِذَا صَعِدَتْ فِي السَّمَاءِ تَعُودُ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِهَا
فَلَا زَالَتِ الْأَرْضُ مَعْمُورَةً بِعُمْرِكَ يَا خَيْرَ عُمَّارِهَا

نَبَوَاتُ بَعْدَكَ قَعَرَ السَّجُونِ وَقَدْ كُنْتُ أَزْثِي لِرُؤُوسِهَا
 أما أنا - يقول الشاعر - فقد قعدت في السجن بعد أن كنت أرثي لنزلائه . وكان المتوكل سجن
 الشاعر أكثر من مرة

٧ الحسن الحيران

وقال في بركة القصر الهاروني:

أَنْشَأْتُهَا بِرُكَّةً مُبَارَكَةً فبَارَكَ اللَّهُ فِي عَوَاقِبِهَا
 بَارَكَ اللَّهُ فِي عَوَاقِبِهَا: جعل بناءها بركة لما يعقب ويأتي من الأيام

كَأَنَّهَا، وَالرِّيَاضُ مُحَدِّقَةٌ بِهَا، عُرُوسٌ تُجَلَّى لِخَاطِبِهَا
 محذقة: محيطة

مِنْ أَيِّ أَقْطَارِهَا أَتَيْتَ رَأَيْتَ مَتَّ الْحُسْنَ حَيْرَانَ فِي جَوَانِبِهَا
 من أي أقطارها، أي جوانبها أتيت فسترى الجمال ماشياً حيران لا يدري أين يذهب
 قَدَّرَهَا اللَّهُ لِلْإِمَامِ، وَمَا قَدَّرَ فِيهَا عَيْباً لِعَائِبِهَا

٨ الوجه والقدر

يمدح المتوكل:

إِغْتَنِمْ جِدَّةَ الزَّمَانِ الْجَدِيدِ وَاجْعَلِ الْمَهْرَجَانَ أَيْمَنَ عِيدِ
 وَخُذِ الْكَأْسَ مِنْ يَدَيَّ كُلِّ مَيَّا سِ الْخُطَى مُخْطَفِ الْحَشَا مَقْدُودِ ..
 مياس الخطى: تمايل المشية، مخطف الحشا: ضامر البطن، مقدود: مقطوع .. وتكملة المعنى
 في البيت التالي

مِثْلَ قَدِّ الْقَضِيبِ إِنْ هَزَّ عِظْفِي هِ وَمِثْلَ الْغَزَالِ فِي حُسْنِ جِيدِ
 هذا الساقى مقدود جسمه مثل قَدِّ القضيب، أي الغصن، وعنفه كعنف الغزال

مَا رَأَيْنَا الْوُجُوهَ تَحْسُنُ إِنْ لَمْ يَتَّصِلْ حُسْنُهَا بِحُسْنِ الْقُدُودِ
 حَبْذَا مَجْلِسٌ تَدُورُ عَلَيْنَا فِيهِ كَأْسَانِ بَيْنَ نَائِي وَعُودِ
 مِنْ شَرَابٍ يَعَافُهُ الْمَسْلُومُ الْعَفْ - وَتَحْطَى بِهِ أَكْفُ الْيَهُودِ
 يَا بَنِي هَاشِمٍ بَنِ عَبْدِ مَنَافٍ نَسَبُهُ حُبُّهَا مِنَ التَّوْحِيدِ
 أَنْتُمْ خَيْرُ سَادَةٍ يَا بَنِي الْعَبِّ - نَاسٍ فَانْقُوا، وَنَحْنُ خَيْرُ عَبِيدِ

نحن أشياعُكُمْ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَا نَ أُولُو قُوَّةٍ وَبِأَسٍ شَدِيدٍ

يذكر العباسيين بابتداء أمرهم حين كان أهل خراسان القوة التي أسست دولتهم

نحن أبناءُ هذه الخِرَقِ السُّو دِ وَأَهْلُ التَّشْيِيعِ المَحْمُودِ

السواد في اللباس شعار بني العباس، ومثلما يتخذ موظف المصرف اليوم ربطة حول عنقه كان كل من يحضر لقاء رسمياً في العصر العباسي يتخذ «سواداً»: وشاحاً أو عمامة... والمهم اللون. ويشير الشاعر إلى أن قومه أهل تشيع معتدل لا يصل إلى تفضيل العلويين على العباسيين

إِنْ رَضِيتُمْ أَمْرًا رَضِينَا، وَإِنْ تَأْ بَوَا أَبِينَا لَكُمْ إِبَاءَ الْأُسُودِ

حَسْبُنَا اللَّهُ وَالْخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِ دُ وَمِنْ بَعْدِهِ وُلَاةُ الْعُهُودِ

عَرَسُ كَفِّكَ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ الدِّ لَّهُ أَنْشَأْتَنِي وَأَوْرَقْتَ عُودِي

أورقت عودي: جعلت غصني يُخرج الورق بما أنعمت عليّ

أَنْتَ كَثَرْتَ حَاسِدِيَّ، وَقَدْ كُنْ تَ زَمَانًا لَا أَهْتَدِي لِحَسُودِ

من إنعامك عليّ كثر من يحسدني بعد أن كنت خاملاً غير محسود

٩ وليس من أبنائها

هَذَا الْعَقِيقُ، فَعَدَّ أَيَّ دِي الْعَيْسِ عَنْ غُلَوَائِهَا

يتشوق إلى المدينة المنورة وبها «العقيق»، فإن وصلت العيس، أي الإبل إليها فعد أيديها عن غُلَوَائِهَا: أي امنع أيدي الإبل عن نشاطها وسيرها واجعلها تمكث في المكان

وَامْنَعْ نَوَاجِيَهَا النَّجَا ءَ، فَلَاتَ حِينَ نَجَائِهَا

امنع النواجي، الإبل السريعة، النجاء، المسير سريعاً، فلات حين نجائها، أي انتهى وقت سرعتها لأننا وصلنا

وَإِذَا مَرَرْتَ بِبِئْرِ عُرْ وَةٍ فَاسْقِنِي مِنْ مَائِهَا

بئر عروة في العقيق بالمدينة

وَاجْنَحْ إِلَى السَّمُرَاتِ أَوْ لِّلْسَفْحِ مِنْ جَمَائِهَا

امض بنا إلى السمرات، شجر السُّمر الكبير، أو لسفح الجماء وهو جبل صغير قرب المدينة

إِنَّا وَعِيشُكَ مَا ذَمَّمْ نَا الْعَيْشَ فِي أَفْنَائِهَا

ما شكونا من العيش في أفناء ونواحي المدينة

أَيَّامَ لَمْ تَجْرِ النَّوَى بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا
في تلك الأيام لم يتسرب البعاد إلينا كحالنا اليوم، إذ البعاد يجري بين الفصن وبين لحائه،
أي أنه متغلغل فينا

سَقِيَا لِيَلْكَ مَعَاهِدًا إِذْ نَحْنُ فِي أَرْجَائِهَا
سقى الله تلك المعاهد، الأماكن التي كنا نعهدا ونعرفها

مَا كَانَ أَنْسَهَا وَأَشْءَ عَفَّ أَسَدَهَا بِظَبَائِهَا
ما كان أكثر أنس تلك البقاع، وما كان أشعف، والشفع مثل الشفخ، أسودها بظباؤها، الأسود
الرجال والظباء النساء في التشبه المعروف

وَقَصِيدَةُ غَرَاءَ يَفْءُ مَنَى الدَّهْرُ قَبْلَ فَنَائِهَا
رب قصيدة غراء مشرقة خالدة على الدهر

تَبْقَى عَلَى أَيَّامٍ نُضْءُ مَبَّ صَبَاحِهَا وَمَسَائِهَا
تبقي ماثلة مع مرور الأيام منتصبة تشهد الصباح والمساء

لَمْ تَسْتَمِخْ أَيْدِي الرِّجَالِ لِإِمْدَاحِهَا وَهَجَائِهَا
لم تستمخ، تلتمس، نيل العطايا من أيدي الرجال بما فيها من مدح أو هجاء
(والهجاء من وسائل الاستمناح أيضاً)

بَاتَتْ تُصَانُ، فَإِنَّ أَنْ تُهْدَى إِلَى أَكْفَائِهَا
باتت القصيدة مصونة وأن أن تهدي لمن يستحقها.

حَتَّى إِذَا كَمُلْتُ وَغَبَّ - الرَّأْيُ فِي إِنْقَائِهَا
فإذا اكتملت لدي واستقر رأيي بعد تشذيبها. هذا هو المعنى الملموح، وقد وضع المحقق عدة
احتمالات لقراءة البيت، وجاء ناقده فزاد عليها

خُصَّ الْخَلِيفَةُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِثَنَائِهَا
مَلِكُ أَعَدَّتْهُ الْمُؤَلُّو كُ لِحَوِّفِهَا وَرَجَائِهَا
مَا زَالَ مُذْ وَلِيَ الْخِلا فَةً وَارْتَدَى بِرَدَائِهَا
مُتَوَكِّلًا فِيهَا عَلَى مَنْ خَصَّهُ بِسَنَائِهَا
السناء: العلو

تُذْنِيهِ أُمَّةٌ أَحْمَدُ لِلثَّارِ مِنْ أَعْدَائِهَا

مِنْ بَعْدِ مَا طَعَنْتُ قُرُو نُ الشَّرْكَ فِي أَحْشَائِهَا
وَتَحَكَّمَ الزِّيَّاتُ فِي أَمْوَالِهَا وَدِمَائِهَا

الزيات: محمد بن عبد الملك الزيات: وزير المعتصم فالوائق، وقد قتله المتوكل بعد أشهر من استخلافه

زَارَ عَلَى سُنَنِ النَّبِيِّ - يَجِدُ فِي إِطْفَائِهَا
زَار: أي عائب. كان ابن الزيات على الاعتزال، مذهب الدولة، وتحولت الدولة مع المتوكل إلى
طريقة أهل السنة

وَالرُّخْجِيُّ الْأَعْوَرُ الدَّ - جَاءَ مِنْ أُمَرَائِهَا

الرخجي: عمر بن فرج الرخجي، من أعوان الواثق، وجبهه وصادره المتوكل بعد حين من
استخلافه

يُمْضِي الْأُمُورَ مُعَانِدًا لَّهُ فِي إِمْضَائِهَا
يُغْرِي بِقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، وَلَيْسَ مِنْ أَبْنَائِهَا

إيه يا ابن الجهم، والله إنك لهجاء تعرف كيف تضع عدوك.. «وليس من أبنائها».. هذه لفظة هجو نادرة

كَانَتْ غِيَاهِبُ فِتْنَةٍ وَالنَّاسُ فِي عَمِيائِهَا
كانت، أي حدثت، غياهب، أي ظلمات، فتنة وكان الناس في عميائها، أي ظلامها..

مُتَحَيِّرِينَ كَمَا تَحَا رُ الْبَهُمْ بَعْدَ رِعَائِهَا
البهم: صغار الضأن، تتحير بعد رعائها: بعد غياب الرعاة

بَيْنَا كَذَلِكَ إِذْ أَضَا الْحَقُّ فِي ظُلُمَائِهَا
بيننا: أي بينما

وَاخْتَارَ رُبُّكَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ لِحَبْلَائِهَا

١٠ مظلوم!

قال يمدح جعفرًا المتوكل وهو في السجن:

قَالَتْ حُبِسْتَ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي حَبْسٌ، وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُغْمَدُ؟
لا يضيرني الحبس مثلما لا يضير السيف أن يغمد، يدخل في قرابه

أَوْ مَا رَأَيْتَ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيْلَهُ كِبْرًا، وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَرَدَّدُ
الأسد يألف غيله، غابته، كبرًا، وأنفة، بينما أوباش السباع، أي الوحوش الصغيرة،
تردد وتسرح في البراري

وَالشَّمْسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ عَنْ نَاطِرِيكَ لَمَّا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ

والشمس تحتجب أيضاً، ولهذا يبدو لك الفرقد، من النجوم

وَالغَيْثُ يَحْضُرُهُ الْغَمَامُ فَمَا يُرَى إِلَّا وَرَيْقُهُ يُرَاحُ وَيُزْعَدُ

المطر يكون محصوراً في الغيوم، ثم ما يلبث ريقه، أوله، أن يراح، تهب عليه الريح، ثم يردد، يصوت فيه الرعد فيهطل

وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَحْبُوءَةٌ لَا تُضْطَلَّى إِنْ لَمْ تُثْرَها الْأَزْنُدُ

والنار تكون كأنها مختبئة داخل حجر الصوان ولا يمكن الاصطلاء، أي الاستدفاء، بها إلا بعد أن تثرها من مكنها الأزند، آلات إشعال النار بالاحتكاك

وَالزَّاعِيَّةُ لَا يُقِيمُ كُعُوبَهَا إِلَّا النُّقَافُ وَجَذْوَةٌ تَتَوَقَّدُ

والرماح الزاعية لا يتم تقويمها إلا بالنقاف، بالقشر والتقويم، ويجذوة نار متقدة يعرض لها خشب الرماح. . يقول الشاعر إن الحبس ليس عاراً فكل تلك الظواهر التي ذكرها فيها اختفاء ثم ظهور، والرمح لا يصبح جيداً حتى يتعرض للقشر والنار

غَبَرُ اللَّيَالِي بِإِدْنَاتٍ عَوْدُ وَالْمَالُ عَارِيَّةٌ يُفَادُ وَيَنْفَدُ

مصائب الليالي تبدأ وتعود، والمال عارية، مستعار يملكه المرء فكانه يقترضه، فهو يفيد، أي يكسبه، والمال بعد ذلك ينفد، يتبدد

وَلِكُلِّ حَالٍ مُعْقِبٌ وَلَرُبَّمَا أَجْلَى لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا يُحْمَدُ

لكل حال معقب، نتيجة، وربما أجلى الأمر المكروه، أي أبدي، عن أمر حميد

لَا يُؤْيِسُنَّكَ مِنْ تَفَرُّجِ كُرْبَةٍ خُطْبُ رَمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الْأَنْكَدُ

يؤيسنك: يجعلك تيأس

كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى فَتَجَا وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَالْعَوْدُ

العود: زوار المريض

صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ يُعْقِبُ رَاحَةً وَيَدُ الْخَلِيفَةِ لَا تُطَاوِلُهَا يَدُ

وَالْحَبْسُ مَا لَمْ تَغْشَهُ لِذَنبِيَّةٍ شَنْعَاءَ، نِعَمَ الْمَنْزِلِ الْمُتَوَرَّدُ

الحبس منزل جيد وروده إن لم تغشه، تأته، لذنية شنعاء، للذنم مخل بالشرف

بَيْتٌ يُجَدِّدُ لِلْكَرِيمِ كَرَامَةً وَيُزَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُحْفَدُ

يحفد: يخدم

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي السَّجَنِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَسْتَذِلُّكَ بِالْحِجَابِ الْأَعْبُدُ

لو لم يكن للسجن من المزايا إلا أنه ليس فيه ذلك الذل الذي تعانيه من الحجاب الأعبد، العيد، على أبواب الأمراء.. لكان جيداً

يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ إِنَّمَا تُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ يَا أَحْمَدُ

يستجد بالوزير أحمد بن أبي دؤاد.. وسرى أنه بعد مدة سيهجو هجاء مرأً وسيشت به

بَلِّغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَدُونَهُ خَوْضُ الْعِدَى، وَمَخَافُ لَا تَنْفَدُ

بلغ رسالتي أمير المؤمنين، ودون وصولي إليه بحر من الأعداء علي أن أخوضه، ومخاوف لا تنتهي

أَنْتُمْ بَنِي عَمِّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَوْلَى بِمَا شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ

أنتم، يا بني عم النبي، أولى بشريعته.. ومن ضمنها العفو

مَا كَانَ مِنْ حَسَنِ فَأَنْتُمْ أَهْلُهُ طَابَتْ مَغَارِسُكُمْ وَطَابَ الْمَحْتَدُ

المحتد: الأصل

أَمِنْ السَّوِيَّةِ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ خَضَمْتُ تُقَرُّهُ، وَآخِرُ تُبْعِدُ؟

أمن السوية، العدل، تقرب أحد الخصمين وإبعاد الآخر.. وكان القاضي يسوي بين الخصمين ويسمعهما. وخصوم شاعرنا في بلاط الخليفة وجدوا من المتوكل إذناً مصغية،

كما ستعلم بعد بيتين

إِنَّ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَيْكَ بِبَاطِلٍ أَعْدَاءُ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُجْحَدُ

شهدوا وغبنا عنهم، فتحكموا فينا، وليس كغائب من يشهد

لَوْ يَجْمَعُ الْخَصْمِينَ عِنْدَكَ مَشْهَدُ يَوْمًا لَبَانَ لَكَ الطَّرِيقُ الْأَقْصَدُ

الأقصد: الأعدل

فَلَيْتَ بَقِيْتُ عَلَى الزَّمَانِ وَكَانَ لِي يَوْمًا مِنَ الْمَلِكِ الْخَلِيفَةِ مَقْعَدُ

لو أتيح لي يوماً مقعد، مكان، من الخليفة..

وَاحْتَجَّ خَصْمِي وَاحْتَجَجْتُ بِحُجَّتِي لَفَلَجْتُ فِي حُجَجِي وَخَابَ الْأَبْعَدُ

فلجت: غلبت

وَاللَّهُ بَالِغُ أَمْرِهِ فِي خَلْقِهِ وَإِلَيْهِ مَصْدَرُنَا غَدًا وَالْمَوْرِدُ

الله بالغ أمره، منفذ لمشيئته، ومنه مصدرنا وإليه موردا

وَلَيْزَنَ مَضَيْتُ لَقَلَّمَا يَبْقَى الَّذِي قَدْ كَادَنِي، وَلَيَجْمَعُنَا الْمَوْعِدُ

لئن مت فالذي دبر لي مكيدة لن يبقى طويلاً، وسيجمعنا الله يوم القيامة

فَبِأَيِّ ذَنْبٍ أَصَبْتُ أَعْرَاضُنَا نَهَباً يُشِيدُ بِهَا اللَّيْمُ الْأَوْعَدُ

يشيد هنا معناها ينشر

١١ سَلِ الدَّمْعَ

سَلِ الدَّمْعَ عَنْ عَيْنِي وَعَنْ جَسَدِي الْمُضْنَى وَهَلْ لَقِيتُ عَيْنَايَ بَعْدَكُمْ غُمْضَا

وَأَيْنَ الْهَوَى مَنِيٍّ وَقَدْ عَصَبَتِ النَّوَى عَلَى كَيْدِي الْحَرَى بِأَنْيَابِهَا عَصَا

كيف أصبحت حالي مع الحب بعد وقوع النوى، الفراق؟

تَكُذُّ بِنَا بَرّاً وَبَحْراً تَعْسُفَا وَتُورِدُنَا أَرْضاً وَتُضْدِرُنَا أَرْضَا

النوى ترهقنا في البر والبحر تعسفاً، أي سيراً شديداً

فَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْجِبَالِ تَضَعُضَعَتْ وَبِالْمَاءِ لَمْ يَغْدُبْ وَبِالنَّجْمِ لَا نَقْضَا

سَأَخْلَعُ ثَوْبَ اللَّهْوِ بَعْدَ أَحْبَّتِي وَأَرْفُضُ طِيبَ الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ رَفْضَا

١٢ خلاخيل الرجال

خَلِيلِي مَا لِلْحُبِّ يَزْدَادُ جِدَّةً عَلَى الدَّهْرِ وَالْأَيَّامُ يَبْلَى جَدِيدُهَا

وَمَا لِعَهْدِ الْغَائِيَاتِ ذَمِيمَةٌ وَلِيْلَى حَرَامٍ أَنْ تُذَمَّ عَهْدُهَا

مواعيد الحسان مدمومة لكثرة ما يخلفن، فلماذا يحرم عليّ أن أذم مواعيد ليلي؟

أَلَمْتُ وَجُنَحُ اللَّيْلِ مُرْخٌ سُدُولُهُ وَلِلْسَجْنِ أَحْرَاسٌ قَلِيلٌ هُجُودُهَا

ألمت، زارت، في الليل، وللسجن حراس متيقظون قليلو النوم.. فالذي زاره هو طيفها في المنام

فَقُلْتُ: لَهَا أَنِّي تَجَشَّمْتُ خُطَّةً يُحَرِّجُ أَنْفَاسَ الرِّيحِ رُودُهَا

قلت لها: كيف تجشمت هذا القدوم الذي يحرّج، أي يضيق الأنفاس حتى لو كانت أنفاس الرياح

فَقَالَتْ: أَطْعْنَا الشَّوْقَ بَعْدَ تَجَلُّدٍ وَشَرُّ قُلُوبٍ الْعَاشِقِينَ جَلِيدُهَا

قالت: أطعت شوقي لك بعد التجلد، والتصبر، وليس حسناً في قلوب العاشقين أن تكون صبورة

وَأَعْلَنْتِ الشَّكْوَى وَجَالَتْ دَمُوعُهَا عَلَى الْخَدِّ لَمَّا التَفَّ بِالْجِدِّ جِيدُهَا

فَقُلْتُ لَهَا وَالدَّمْعُ شَتَّى طَرِيقُهُ وَنَارُ الْهَوَى بِالشَّوْقِ يَذْكِي وَفُودُهَا

الدمع يتزل ويصنع طرقاً شتى، متعددة، على الخدين، يذكى: يوقد

إِذَا سَلِمَتْ نَفْسُ الْحَبِيبِ تَشَابَهَتْ صُرُوفُ اللَّيَالِي سَهْلُهَا وَشَدِيدُهَا
فَلَا تَجْزَعِي إِمَّا رَأَيْتِ قُبُودَهُ فَإِنَّ خَلَاحِيلَ الرِّجَالِ قُبُودُهَا
وَلَا تُنْكِرِي حَالَ الرَّخَاءِ وَقَوْتَهُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُعِيدُهَا
لا تنكري انقضاء أيام العز والرخاء، فأمر المؤمنين جدير بأن يعيد تلك الأيام

١٣ في بيت القيان

نَزَلْنَا بِبَابِ الْكَرْخِ أَفْضَلَ مَنْزِلٍ عَلَى مُحْسِنَاتٍ مِنْ قِيَانِ الْمُفْضَلِ
نزلنا في «باب الكرخ»، وهو موضع ببغداد، نزولاً حلواً على مغنيات مجيدات يملكن «المفضل»
في بيته. وكان بعض «أشباه القوادين» يملكون في بغداد بيوتاً يغشاها سراة القوم للسمع ولغير
السمع

فَلَا بُنِ سُرَيْجٍ وَالْعَرِيضِ وَمَعْبِدٍ وَذَاتُ فِي آذَانِنَا لَمْ تُبَدِّلِ
لدى أولئك المغنيات الحان كبار الملحنين قد حفظنها،
وهن يستودعننا آذاننا يؤدينها كما هي بغير تبديل

أَوَانِسُ مَا لِلضَّيْفِ مِنْهُنَّ حِشْمَةٌ وَلَا رَبُّهُنَّ بِالْمَهِيْبِ الْمُبَجَّلِ
فتيات أنيسات لا يحتشم ولا يخجل منهن الضيف، وربهن، صاحبهن، ليس ذا هية ووقار..
بل يسمح للضيف بالعبث

يُسَرُّ إِذَا مَا الضَّيْفُ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَيَغْفُلُ عَنْهُ وَهُوَ غَيْرُ مُغْفَلٍ
يسعد المفضل صاحب القيان إذا اجتراً الضيف، ويتغافل عنه، ولكنه ليس بالمغفل

وَيُكْثِرُ مِنْ دَمِّ الْوَقَارِ وَأَهْلِهِ إِذَا الضَّيْفُ لَمْ يَأْنَسْ وَلَمْ يَتَبَدَّلِ
يذم المفضل الوقار تشجيعاً للضيف الذي لم يشعر بعد بالأنس ولم يتبدل، أي لم يأخذ راحة

وَلَا يَدْفَعُ الْأَيْدِي السَّفِيهَةَ غَيْرَةً إِذَا نَالَ حَظًّا مِنْ لُبُوسٍ وَمَأْكَلٍ
لا يرُدُّ أيدي الضيوف العابثة شرط أن ينال من ضيوفه الهدايا من ثياب وفواكه

وَيُطَرِّقُ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ مَهَابَةً لِيُطْلِقَ طَرَفَ النَّاظِرِ الْمُتَأَمِّلِ
يطرق المفضل خافضاً بصره إطراق الشجاع، أي الثعبان الذي يغض بصره ولكنه منتهب لكل حركة،
والغرض أن يطلق الضيف نظره ويتمتع بالقيان

فَاعْمَلْ بَدَأَ فِي بَيْتِهِ وَتَبَدَّلَنْ وَعَدَّ عَنِ الْمَوْلَى، وَمَا شِئْتَ فَاَفْعَلِ
فالمس بيدك، وتبدلن، اتركن الحياء، وافعل ما شئت معهن متجنباً المولى، سيد البيت

أَشِيرَ بَيْدٍ وَأَعْمِزَ بِطَرْفٍ وَلَا تَخَفْ رَقِيباً إِذَا مَا كُنْتَ غَيْرَ مُبَحِّلٍ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْمَصْبَاحِ وَالْهَجْ بِذِمَّةِ فَإِنْ خَمَدَ الْمَصْبَاحُ فَادْنُ وَقَبِّلْ
ابتعد عن المصباح، واشغل حديثك بذمة مشيراً إشارة غير مباشرة إلى ضرورة إطفائه،
فإن أطفئ فاقرب وقبل

وَسَلْ غَيْرَ مَمْنُوعٍ وَقُلْ غَيْرَ مُسَكَّتٍ وَنَمْ غَيْرَ مَذْعُورٍ وَقُمْ غَيْرَ مُعْجَلٍ
لَكَ الْبَيْتُ مَا دَامَتْ هَدَايَاكَ جَمَّةً وَدُمْتَ مَلِيّاً بِالشَّرَابِ الْمُعَسِّلِ
البيت بيتك ما دامت هداياك كثيرة، وما دمت ملياً، قادراً،
على الإنفاق على النبيذ الحلو

١٤ الخليفة الشهيد

يصف سحابة، ثم يرثي المتوكل. يقول محقق الديوان: «في القسم الأول من القصيدة موقف شعري عجيب يستدعي النظر والتأمل». هذه القصيدة تحفة من تحف الشعر العربي، تقف بجانب القصائد الشوامخ الكبرى.. وهي تبدأ بوصف مفصل لسحابة تمطر وتنمش العراق.. كأنما هي الخير العميم الذي ناله الشاعر من المتوكل، ثم يأتي بعد ذلك رثاء المتوكل:

وَسَارِيَةٍ تَرْتَادُ أَرْضاً تَجُودُهَا شَغَلْتُ بِهَا عَيْنًا قَلِيلاً هُجُودُهَا
رب سحابة سارية، تسير ليلاً، ترتاد، تطلب، أرضاً تجودها، تمطرها؛ وقد شغلت بها عيني التي
قل هجودها، أي نومها

أَتُنْنَا بِهَا رِيحُ الصَّبَا وَكَأَنَّهَا فَتَاةٌ تُرَجِّبُهَا عَجُوزٌ تُقُودُهَا
جاءتنا بها ريح الصبا، فكان السحابة فتاة لاهية تزججها، أي تدفعها، عجوز هي الريح

تَمِيسُ بِهَا مَيْساً فَلَا هِيَ إِنْ وَنَتْ نَهَتْهَا وَلَا إِنْ أَسْرَعَتْ تَسْتَعِيدُهَا
تميس، أي تتمايل، الريح بالسحابة، فإن ونت السحابة، أي أبطأت، لم تنهها عن الإبطاء، وإن
أسرعت لا تستعیدها، لا تطلب منها العودة. كأنه منظر عجوز في حديقة وأمامها حفيدتها ترقص
وتلعب والمعجوز وراءها ترقبها بحب ولا تمنعها من اللهو

إِذَا فَارَقَتْهَا سَاعَةً وَلِهَتْ بِهَا كَأَمْ وَلِيدٌ غَابَ عَنْهَا وَلَيْدُهَا
إذا ابتعدت السحابة ولهت بالمعجوز، أي الريح، وقلقت كألم طفل غاب عنها طفلها

فَلَمَّا أَضْرَّتْ بِالْعَيُونِ بُرُوقُهَا وَكَادَتْ تُصِمُّ السَّامِعِينَ رُعُودُهَا..
وبعد البرق الذي يخطف البصر، والرعد الذي يصم الآذان..

وَكَادَتْ تَمِيدُ الْأَرْضُ إِمَّا تَلْهَفًا وَإِمَّا جِذَارًا أَنْ يَضِيعَ مُرِيدُهَا..

وبعد أن كادت الأرض تميل: إما تلهفًا وشوقًا للمطر، وإما خوفًا من أن يضيع مريدها، أي هذا المطر الذي يريد الأرض ويبحث عنها

فَلَمَّا رَأَتْ حُرَّ الثَّرَى مُتَعَقِّدًا بِمَا رَلَّ مِنْهَا وَالرُّبَى تَسْتَزِيدُهَا..

لما رأت السحابة حر الثرى، وسط التراب، متعقدًا بالرداذ الذي سقط منها، ورأت الرُبى تريد زيادة من المطر..

وَأَنَّ أَقَالِيمَ الْعِرَاقِ فَقِيرَةٌ إِلَيْهَا، أَقَامَتْ بِالْعِرَاقِ تَجْوُدُهَا

ولما رأت أن أقاليم العراق مفتقرة إليها.. مكثت بالعراق تجود أقاليمه، أي تمطرها.. والجؤد هو المطر

فَمَا بَرِحَتْ بَغْدَادُ حَتَّى تَفْجَرَتْ بِأَوْدِيَةٍ مَا تَسْتَفِيقُ مُدَوْدُهَا

ما لبثت بغداد أن تفجرت بسيل لا تستفيق مدودها، لا يكف جريانها

وَحَتَّى رَأَيْنَا الطَّيْرَ فِي جَنَابَاتِهَا نَكَادُ أَكُفَّ الْغَائِنَاتِ تَصِيدُهَا

رأينا الطير في جنبات السيل، نواحيها، تطير منخفضة حتى تستطيع أيدي الغيات الصغيرات الإمساك بها

وَحَتَّى اكْتَسَتْ مِنْ كُلِّ نَوْرٍ كَانَتْهَا عَرُوسٌ زَهَاهَا وَشُبُّهَا وَبُرُودُهَا

واكتست بغداد من كل نور، نوار النبات، كأنها عروس زهاها، ملأها زهواً، ما عليها من ثياب موشاة

وِدْجَلَةٌ كَالدَّرْعِ الْمُضَاعَفِ نَسْجُهَا لَهَا حَلَقٌ يَبْدُو وَيَخْفَى حَدِيدُهَا

غدا نهر دجلة متموج السطح كالدرع المنسوجة نسجاً مضاعفاً، تبدو أطراف حلقاتها وكأنها ليست من حديد

فَلَمَّا قَضَتْ حَقَّ الْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ أَتَاهَا مِنَ الرِّيحِ الشَّمَالِ بَرِيدُهَا

لما قضت السحابة حق العراق، أتاهها بريد عاجل، هو عبارة عن ريح الشمال، ليسوقها مبتعدة

فَمَرَّتْ تَفُوتُ الطَّرْفِ سَبْقًا كَانَمَا جُنُودٌ عَبِيدُ اللَّهِ وَلَتْ بُنُودُهَا

مرت السحابة مسرعة تسبق الطرف، النظر، فكأنها جنود عبيد الله وقد انصرفت بنودها، راياتها، هاربة. عبيد الله بن يحيى وزير المتوكل الذي جاءه خبر الهجوم على الخليفة فقرر ألا يفعل شيئاً، وقعد في زورق طلباً للنجاة

وَخَلَّتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُجَدَّلًا شَهِيدًا وَمِنْ خَيْرِ الْمُلُوكِ شَهِيدًا

تركت السحابة أمير المؤمنين مجدلاً، مطروحاً قتيلًا، شهيداً

وَكَانَ أَضَاعَ الْحَزْمَ وَاتَّبَعَ الْهَوَىٰ وَوَكَّلَ غِرًّا بِالْجُيُوشِ يَقُودُهَا

المتوكل لم يكن حازماً عندما وكل غراً، غشياً غير خبير، بقيادة الجيش

كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ بَيْعَةَ أَحَاطَتْ بِأَعْنَاقِ الرِّجَالِ عُقُودُهَا

كانهم لم يدركوا أن البيعة للخليفة هي عهد في أعناق الرجال

فَلَمَّا اقْتَضَاهَا لَيْلَةَ الرَّوْعِ حَقَّهُ جَرَتْ سُنْحًا سَادَاتُهَا وَمَسُودُهَا

فلما اقتضى المتوكل في ليلة الخوف تلك من رجاله احترام البيعة والقيام بحقها جرت سنحاً، فرت سريعاً، السادات والأتباع

وَيَأْتَتْ خَبَايَا كَالْبَغَايَا جُنُودُهُ وَفِي زُرُوقِ الصَّيَادِ بَاتَ عَمِيدُهَا

واختبأت الجنود اختباء المومسات عن أعين رجال الشرطة، وعميد الجنود قعد في زورق صياد ناجياً بنفسه

بَلَىٰ وَقَفَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ وَقْفَةً؛ فَأَعْذَرَ مَوْلَىٰ هَاشِمٍ وَتَلِيدُهَا

على أن الوزير الأول للمتوكل الفتح بن خاقان وقف وقفة شجاعة وقتل دون سيده. فأعذر، أي قدم العذر ورفع عن نفسه المذمة، هذا المولى لبني هاشم والتليد فيهم أي المولود بينهم

وَجَادَ بِنَفْسٍ حُرَّةٍ سَهَّلَتْ لَهُ وَرُودَ الْمَنَايَا حَيْثُ يُخْشَىٰ وُرُودُهَا

جاد بنفسه الحرة التي سهلت عليه الموت لأنها حرة أبية

وَقَرَّ عُبَيْدُ اللَّهِ فِيمَنْ أَطَاعَهُ إِلَى سَقَرِ اللَّهِ الْبَاطِنِيِّ خُمُودُهَا

وفر عبيد الله فيمن، أي مع من، أطاعه من الجند، ومضيرهم جهنم

وَلَمْ تَخْضَرْ السَّادَاتُ مِنْ آلِ مُصْعَبٍ فَيُعْزِي عَنْهُ وَعْدُهَا وَوَعِيدُهَا

ولم تحضر لنجدة المتوكل السادات من آل مصعب، أبناء عبد الله بن طاهر، فلم ينفعه ما لديهم من قوة الوعد والوعد

وَلَوْ حَضَرَتْهُ عُضْبَةٌ طَاهِرِيَّةٌ مُكْرَمَةٌ أَبَاؤُهَا وَجُدُودُهَا..

ولو حضره آل طاهر ذوو الأصل الماجد..

لَعَزَّ عَلَىٰ أَيْدِي الْمَنُونِ اخْتِرَامُهُ وَإِنْ كَانَ مَحْتُومًا عَلَيْهِ وَرُودُهَا

لعز، أي صعب، على الموت اخترامه، قتله، رغم أن الموت مكتوب على كل إنسان

أَوَّلِيكَ أَرْكَانَ الْخِلَافَةِ إِنَّمَا بِهِمْ ثَبَتَتْ أَطْنَابُهَا وَعُمُودُهَا

آل طاهر أركان الخلافة، وبهم ثبتت أطنابها، الأطناب حبال الخيمة، وعمودها

فَبَا لِحُنُودٍ ضَبِعَتْهَا مُلُوكُهَا وَيَا لِمُلُوكٍ أَسْلَمَتْهَا جُنُودُهَا

هذه جنود ضيعتها ملوكها، قادتها، ويا لملوك أسلمتها الجنود ولم تحمها

أَيُقْتَلُ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ جَعْفَرُ عَلَى فُرْقَةٍ صَبْرًا وَأَنْتُمْ شُهِودُهَا

أَيقتل الخليفة في دار الخلافة صبراً، حبساً، وأنتم متفرون عنه وشاهدون على قتله

فَلَا طَالِبٌ لِلشَّارِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ وَلَا دَافِعٌ عَنْ نَفْسِهِ مَنْ يُرِيدُهَا

لا أحد يطالب بئاره ولا أحد دافع عن نفسه من يريد سلب هذه النفس.. وكان المتتصر، ابن الخليفة المتوكل، متواطئاً على قتل أبيه

بَنُو هَاشِمٍ مِثْلُ النُّجُومِ وَإِنَّمَا مُلُوكُ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْهَا سُعُودُهَا

بنو هاشم كالنجوم، وملوك بني العباس هي نجوم السعد بين هذه النجوم (وفي الكواكب - ولا فرق عند القدماء بين نجم وكوكب - ما هو عنوان سعد كالمشتري، وما هو عنوان نحس كزحل، واختلفوا في المريخ)

بَنِي هَاشِمٍ صَبْرًا فَكُلُّ مُصِيبَةٍ سَبَبِي عَلَى طُولِ الزَّمَانِ جَدِيدُهَا

عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى سَرَوَاتِكُمْ تَفَرَّى بِأَيْدِي النَّاكِثِينَ جُلُودُهَا

صعب علينا أن نرى سرواتكم، سادتكم، تفرى، تقطع، جلودهم بأيدي الناكثين بالبيعة. هذه نبوءة.. فبعد المتوكل أصبح قتل الخلفاء على أيدي قادتهم أو عبيدهم أمراً مألوفاً

وَلَكِنْ بِأَيْدِيكُمْ تُرَاقِ دِمَاؤُكُمْ وَيَحْكُمُ فِي أَرْحَامِكُمْ مَنْ يَكِيدُهَا

بأيديكم تقتلون.. وفي هذا إشارة إلى تواطؤ ابن المتوكل مع قتلة أبيه

أَلْهَفًا وَمَا يُغْنِي التَّلْهَفُ بَعْدَهَا أَذِلَّتْ لِضِبْعَانِ الْفَلَاةِ أَسُودُهَا

ماذا يغني التلهف بعد أن ذلت الأسود لضباع الفلاة، الصحراء

عَبِيدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلْتَهُ وَأَعْظَمُ آفَاتِ الْمُلُوكِ عَبِيدُهَا

١٥ القرفصى

عَلَامَ قَعَدَتِ الْقَرْفُصَى تَعْدِلِينِي كَأَنِّي جَانٍ كُلَّ ذَنْبٍ وَجَارِحُهُ

أَقْلِي فَإِنَّ اللُّومَ أَشْكَلَ وَاضِحُهُ وَمَا مِنْ نَصِيحٍ لَا تَمَلُّ نَصَائِحُهُ

خفي من لومك فإن دواعي اللوم أصبحت غائمة ذات إشكال، ولا يوجد ناصح إلا كانت نصائحه مملولة بعد حين

١٦ الصبر في الضيق

للدَّهْرِ إِدْبَارٌ وَإِقْبَالٌ وَكُلُّ حَالٍ بَعْدَهَا حَالٌ
وَصَاحِبُ الْأَيَّامِ فِي غَفْلَةٍ وَلَيْسَ لِلْأَيَّامِ إِغْفَالٌ
مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ وَلَا سَيِّئًا بِالْحُرِّ إِنْ ضَاقَتْ بِهِ الْحَالُ
يَشْهَدُ أَعْدَائِي بِأَنِّي فَتَنَى قَطَّاعُ أَسْبَابٍ وَوَصَّالُ
قطاع أسباب وأوصال: مجرب داهية

لَا تَمْلِكُ الشَّدَّةُ عَزْمِي وَلَا يُبْطِرُنِي جَاءٌ وَلَا مَالٌ

١٧ المتوكل يعود إلى السنة

وَقَائِلِ أَيُّهُمَا أَنْوَرُ الشَّمْسُ أَمْ سَيِّدُنَا جَعْفَرُ
قُلْتُ لَقَدْ أَكْبَرْتَ شَمْسَ الضُّحَى جَهْلًا، وَمَا أَنْصَفْتَ مَنْ تَذْكُرُ
إذ شبهته بالشمس فقد عظمت قدر الشمس لأنه، بالطبع، أنور منها

قَامَ وَأَهْلُ الْأَرْضِ فِي رَجْفَةٍ يَخْبِطُ فِيهَا الْمُقْبِلُ الْمُذِيرُ

قام المتوكل، أي أصبح خليفة، وفي الناس رجفة، فتنة، وهم يتخبطون (فدين الدولة الاعتزال والناس أميل إلى السنة، والعامّة ببغداد تميل ميلاً شديداً عن الاعتزال وتؤثر مذهب أحمد بن حنبل)

وَنَبَذَ الشُّوْرَى إِلَى أَهْلِهَا لَمْ يَثْنِهِ خَشْيَةُ مَا حَذَرُوا

ترك مشاورة كبار رجال الدولة، والاعتزال مذهبهم، ولم يخش ما حذروه منه إذا ترك مذهب الاعتزال

وَانْفَضَّتِ الْأَعْدَاءُ مِنْ حَوْلِهِ كَحُمُرٍ أَنْفَرَهَا قَسُورُ

الأعداء خافوه وفروا من وجهه كحمر وحشية أنفرها قسور، شتت جمعها أسد، من الآية «كانهم حمرٌ مستنفرة، فرت من قسورة»

وَصَاحَ إِبْلِيسُ بِأَصْحَابِهِ: حَلِّ بِنَا مَا لَمْ نَزَلْ نَحْذَرُ

مَا لِي وَلِلْعَرَّ بَنِي هَاشِمٍ فِي كُلِّ دَهْرٍ مِنْهُمْ مُنْذِرُ

أَكُلَّمَا قُلْتُ خَبَا كَوَكَبٌ مِنْهُمْ بَدَا لِي كَوَكَبٌ يَزْهَرُ

لَمْ يُلْهِهِ عَنِّي الشَّبَابُ الَّذِي يُلْهِي وَلَا الدُّنْيَا الَّتِي تُعَمِّرُ

وَاللَّهُ لَوْ أَمْهَلَنَا سَاعَةً مَا هَلَّلَ النَّاسُ وَلَا كَبَّرُوا

يقول إبليس: لو أمهلنا المتوكل قليلاً لنشرنا الكفر ولم يبق من يهلل، يقول «لا إله إلا الله»، ولا من يكبر

يَا أَعْظَمَ النَّاسِ عَلَى مُسْلِمٍ حَقًّا وَيَا أَشْرَفَ مَنْ يَفْخَرُ
الرَّدَّةُ الْأُولَى ثَنَى أَهْلِهَا حَزْمُ أَبِي بَكْرٍ وَلَمْ يَكْفُرُوا
وَهَذِهِ أَنْتَ تَلَا فَيْتَهَا فَعَادَ مَا قَدْ كَادَ لَا يُذْكَرُ

وهذه الردة الثانية على يد المعتزلة تلافيتها أنت فعاد الإيمان الصحيح الذي كاد ينتهي ولا يعود يذكره أحد

١٨ التوبة

عَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِلَّا حُرْمَةً تَعُودُ بِعَفْوِكَ أَنْ أُبْعَدَا؟
أليس لي حرمة تعود بعفوك، تلتجئ إليه، فلا يتألي الإقصاء؟

لِئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْهُ فَأَنْتَ أَجَلٌّ وَأَعْلَى يَدَا
لم أعتدته: لم أتعمه

أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى
أأست الذي كان يرضي الوليَّ وَيُشْجِي الْعَدُوَّ إِذَا أَنْشَدَا؟
أأست الذي كان يرضي الحليف ويشجي، أي يحزن، العدو بشعره؟

فَصُنْ نِعْمَةً أَنْتَ أَنْعَمْتَهَا وَشُكْرًا عَدَا غَائِرًا مُنْجِدَا
صن النعمة التي أنعمتها علي، وصن شكري لك الذي أصبح متشراً عبر شعري... غائراً في
الوديان ومنجداً في التلال

وَلَا عُذْتُ أَعْصِيكَ فِيمَا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ أَرَى فِي الثَّرَى مُلْحَدَا
لا أعصي لك أمراً حتى يواريني التراب

١٩ كلهم ضدي

نَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ السَّمَاءِ وَسَلَّمْنَا لِأَنْبَابِ الْقَضَاءِ
وَوَطَّنَا عَلَى غَيْرِ اللَّيَالِي نَفُوساً سَامَحَتْ بَعْدَ الْإِبَاءِ
وطَّنا نفوسنا، أي ذللناها، كي تتقبل غير الليالي ومصائبها، وهذه النفوس سامحت، أصبحت
سمحة لينة، بعد الشموخ والإباء

وَأَفْنِيَةُ الْمُلُوكِ مَحْجَبَاتٌ وَبَابُ اللَّهِ مَبْذُولُ الْفِنَاءِ
ساحات الملوك عليها حُجَاب، ولكن باب الله مفتوح لمن يدعو

فَمَا أَرْجُو سِوَاهُ لِكَشْفِ ضُرِّي وَلَمْ أَفْرَعْ إِلَى غَيْرِ الدُّعَاءِ
لا أرجو سوى الله، ولا أفزع، أي ألجأ، إلا إلى الدعاء

وَلَمْ لَا أَشْتَكِي بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى مَنْ لَا يَصَمُّ عَنِ النُّدَاءِ
هِيَ الْأَيَّامُ تَكْلِمُنَا وَتَأْسُو وَتَجْرِي بِالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ
الأيام تكلمنا، وتجرحنا، وتأسو، تداوي..

فَلَا طَوْلَ الثَّوَاءِ يَرُدُّ رِزْقاً وَلَا يَأْتِي بِهِ طَوْلُ الْبَقَاءِ
طول الثواء، المكوث، لا يرد الرزق ويحجبه، وطول العمر لا يضمن الرزق

وَلَا يُجْدِي الثَّرَاءُ عَلَى غِنَى إِذَا مَا كَانَ مَحْظُورَ الْعَطَاءِ
لا فائدة للغني في ماله إذا كان مانعاً العطاء عن الناس

وَلَيْسَ يَبِيدُ مَالٌ عَنْ نَوَالٍ وَلَا يُؤْتَى سَخِيٌّ مِنْ سَخَاءٍ
لا ينفى المال من النوال الذي يخرج به المرء للناس، ولا يؤتى، أي يصاب بضرر، السخي بسبب سخائه

كَمَا أَنَّ السُّؤَالَ يُذِلُّ قَوْماً كَذَاكَ يَعِزُّ قَوْمٌ بِالْعَطَاءِ
حَلَبْنَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ وَمَرَّتْ بِنَا عُقْبُ الشَّدَائِدِ وَالرَّخَاءِ
حلبنا الدهر أشطره، جربناه وخبرناه كمن يحلب ضرع الناقة حتى لا يبقى فيها شيء من لبن،
ومرت بنا عقب، نتائج، أوقات الشدة وأوقات الرخاء

وَلَمْ نَدَعْ الْحَيَاءَ لِمَسِّ ضُرٍّ وَبِعَضِّ الضَّرِّ يَذْهَبُ بِالْحَيَاءِ
لم نترك حيائنا إذ وقعت بنا مصيبة.. وما أكثر ما تذهب المصيبة بالحياء

وَجَرَّبْنَا وَجَرَّبَ أَوْلُونَا فَلَا شَيْءَ أَعَزُّ مِنَ الْوَفَاءِ
أولونا: أجدادنا

تَوَقَّ النَّاسَ يَا ابْنَ أَبِي وَأُمِّي فَهُمْ تَبَعُ الْمَخَافَةِ وَالرَّجَاءِ
احذر الناس يا أخي فهم بين خائف من بطش قوي وراج عطاء سخي، ولا مكان عندهم لحب
يكون حباً في الله والله، أو حباً يكون لك لذاتك وللأنس بحسن معشرك

وَلَا يَغُرُّكَ مِنْ وَغْدٍ إِخَاءٌ لِأَمْرِ مَا غَدَا حَسَنَ الْإِخَاءِ
لا تغتر بإخاء وغد، فهو يؤاخيك لغرض

أَلَمْ تَرَ مُظْهِرِينَ عَلَيَّ غِشًّا وَهُمْ بِالْأَمْسِ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ
ألا ترى الذين يظهرون لي الغش، وكانوا بالأمس يظهرون الصفاء؟

بَلَيْتُ بِنَكْبَةٍ فَغَدَوُا وَرَاحُوا عَلَى أَشَدَّ أَسْبَابِ الْبَلَاءِ

بليت بنكبة فكانوا من أشد أسباب معاناتي

أَبَتْ أَخْطَارُهُمْ أَنْ يَنْصُرُونِي بِمَالٍ أَوْ بِجَآءٍ أَوْ بِرَاءٍ

أبت عليهم أخطارهم، مناصبهم، أن ينصروني بمال أو بجاء أو براء، أي برأي ومشورة

وَخَافُوا أَنْ يُقَالَ لَهُمْ خَذَلْتُمْ صَدِيقًا فَادَّعَوْا قِدَمَ الْجَفَاءِ

لثلاثتهم أحد بخذلان صديق أصبحوا يزعمون أن الجفاء بيني وبينهم قديم

تَضَافَرَتِ الرُّوَافِضُ وَالتَّنَصَّارِيُّ وَأَهْلُ الْإِعْتِرَالِ عَلَى هِجَايِي

تضافر وتعاون الروافض، أي المتشددون في التشيع، والنصارى (ومنهم الطيب بخيشوع)

والمعتزلة على هجائي

فَبَخْتِيشُوعَ يَشْهَدُ لَابْنِ عَمْرٍو وَعَزُّونَ لِهَارُونَ الْمُرَائِي

وعابوني وما ذنبي إليهم سوى علمي بأولاد الزناء

إِذَا مَا عُذَّ مِثْلُهُمْ رِجَالًا فَمَا قَضَلَ الرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ

عليهم لعنة الله ابتداءً وعوداً في الصباح وفي المساء

إِذَا سَمَّيْتُهُمُ لِلنَّاسِ قَالُوا أَوْلَيْكَ شَرٌّ مَن تَحْتَ السَّمَاءِ

أنا المتوكل لي هو رأياً وما بالوائقية من خفاء

أنا من أنصارك أيها المتوكل، وأولئك كانوا حاشية الخليفة السابق الواصل.. وكان الواصل قد أذل

أخاه المتوكل وأقصاه، وجاء المتوكل فكان كارهاً للواصل، كارهاً لمذهبه، الاعتزال

وَمَا حَبَسُ الْخَلِيفَةِ لِي بِعَارٍ وَلَيْسَ بِمُؤَيَّسٍ مِنْهُ التَّنَائِي

حبس الخليفة لي ليس عاراً.. ولن أياس من عفوهِ رغم التناهي، البعد

٢٠ البديهة والفكرة

بَدِيهَتُهُ وَفِكْرُهُ سَوَاءٌ إِذَا مَا نَابَهُ الْخَطْبُ الْكَبِيرُ

الآراء المرتجلة لهذا الممدوح، وآراؤه الصادرة بعد تفكير، متساوية في حصافتها عندما تحل به

مشكلة كبيرة

وَأَحْزَمُ مَا يَكُونُ الدَّهْرَ رَأْيَا إِذَا عَيَّ الْمُشَاوِرُ وَالْمُشِيرُ

وقد تميز بحزمه عندما عي الناس، أي تبللت ألسنتهم وتحيروا،

سواء في ذلك الذي يستشير أو الذي يشير

وصدَّرَ فِيهِ لِيْلَهُمْ اتَّسَاعٌ إِذَا ضَاقَتْ بِمَا فِيهَا الصُّدُورُ
وصدره واسع يتلغى الهموم بينما تضيق صدور الناس

٢١ جاء من الدنيا

إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنَا نَرْفَعُ الشُّكُوى فِي يَدِهِ كَشَفُ الضَّرُورَةِ وَالْبَلْوى
نابنا: حل بنا، الضرورة: الضرر

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ فِيهَا وَلَا الْمَوْتَى
إِذَا جَاءَنَا السَّجَانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ عَجَبْنَا وَقَلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا
وَنَفْرَحُ بِالرُّؤْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا، إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا، الْحَدِيثُ عَنِ الرُّؤْيَا
فَإِنْ حَسُنَتْ لَمْ تَأْتِ عَجَلَى وَأَبْطَأَتْ وَإِنْ قُبِحَتْ لَمْ تَخْتَسِرْ وَأَنْتَ عَجَلَى

٢٢ في هجاء مغنٍّ

كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ مُغَنِّيُّ الْـ قُومِ كَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الشِّتَاءِ
هذا من شعر مجالس اللهو.. المغني ثقيل الظل وهو يسأل الحاضرين عن موعد قدوم الشتاء..
ولا نظنه سأل، بل هي توطئة للنكتة الباردة من شاعرنا

فَذَرَعْتُ الْبِسَاطَ مِنِّي إِلَيْهِ قُلْتُ: هَذَا الْمِقْدَارُ قَبْلَ الْغِنَاءِ
مثبت على طول البساط مني إلى المغني.. وقلت له: بيننا وبين الشتاء بمثل هذا القدر..
أي أنك أنت الشتاء يا بارد يا ثقيل!

فَإِذَا مَا عَزَمْتَ أَنْ تَتَغَنَّى أَذِّنَ الْحَرَّ كُلَّهُ بِانْقِضَاءِ
فإذا بدأت تغني فقد حل بنا الشتاء لبردك وثقل دمك

٢٣ منتهى البخل

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْخَبَرَ فَاكِهَةٌ حَتَّى نَزَلْتُ عَلَى زَيْدِ بْنِ مَنْصُورٍ
خيزه عزيز لبخله فكأنه فاكهة

الْحَابِسِ الرُّوْثَ فِي أَغْفَاجِ بَغْلَتِهِ خَوْفًا عَلَى الْحَبِّ مِنْ لَقِطِ الْعَصَافِيرِ
هذا البخيل يحبس روث البغلة في أغصانها، في أدنى معاها، خوفًا أن تلتقط العصافير حب الشعير
المتخلف في الروث

٢٤ قاعدين يرضعون

الوردُ يَضَحَكُ والأوتارُ تَضْطَجِبُ والتَّايُّ يَنْدُبُ أشجاناً وينتَجِبُ
والراحُ تُعْرِضُ في نَوْرِ الربيعِ كما تُجَلِّي العروسُ عليها الدُّرَّ والذَّهَبُ
تقدم الخمر بين النوار الربيعي، وكانوا يجعلون في مجلس الشراب الرياحين

وكَلِّما انسَكَبَتْ في الكأسِ آنيَّةٌ أَقْسَمْتُ أنْ شعاعَ الشمسِ ينسَكِبُ
آنيَّة: حارة. وقلما شربوا النبيذ حاراً، ولا سيما في وقت الربيع، ولعله رأها تزيد فكانها تغلي،
أو لعله قصد طعمها المزم، فالخمر كأكل المطاعم الهندية يقدمونه بارداً وهو يتوابعه حار

والقومُ إِخْوانٌ صِدْقٍ بينهم نَسَبٌ مِنَ المَوَدَّةِ لم يُعَدَلْ بِهِ نَسَبٌ
تَراضَعُوا دِرَّةَ الصَّهْبَاءِ بينهم وأَوْجَبُوا لِرَضِيعِ الكأسِ ما يَجِبُ
هم إخوة في الرضاع.. لكنه رضاع درة، أي لبن، واللبن الخمر.. وهم يحفظون ما يجب أن
يحفظ لإخوة رضاعة الكأس

لا يَحْفَظُونَ على السَّكرانِ زَلَّتُهُ ولا يَرِيْبُكَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ رَيْبٌ
عندما ينطوي مجلس الشراب ينطوي ما دار فيه من عريضة أو سقطات لسان

٢٥ العاشق وطيبه

تَنَكَّرَ حَالَ عِلَّتِي الطَّيِّبُ وقال أرى بجِسْمِكَ ما يَرِيْبُ
فما هذا الذي بكِ هاتِ قُلْ لي فكان جَوابُهُ مِنِّي النَّحِيْبُ
وقلتُ أبا طَبيبُ الهَجْرُ دائِي وقلبي يا طَبيبُ هُوَ الكَثِيبُ
فَحَرَّكَ رأسُهُ عَجَباً لِقَوْلِي وقال الحُبُّ ليس له طَبيبُ

٢٦ استرضاء

ما زِلْتُ أَسْتَرْضِيهِ مِنْ ذَنْبِهِ فليس يَرْضَى وَهُوَ المُذْنِبُ

٢٧ الشرف طبع

ما الجودُ عن كَثْرَةِ الأموالِ والنَّسَبِ ولا البلاغةُ في الإِكْثارِ والحُطْبِ
النَّسَب: المال

ولا الشجاعةُ عن جِسْمٍ ولا جَلْدٍ ولا الإِمَارَةُ إِذْثُ عَنْ أبٍ فَأَبٍ

لَكُنَّهَا هَمَمٌ أَذَتْ إِلَى رَفْعٍ وَكُلُّ ذَلِكَ طَبْعٌ غَيْرُ مَكْتَسَبٍ

٢٨ حكاية

قيل إن علي بن الجهم قال لامرأة:

قالوا عَشِقتَ صَغِيرَةً فَأَجَبْتُهُمْ أَشْهَى الْمَطِيِّ إِلَيَّ مَا لَمْ يُرْكَبِ
يقولون إنك عشت فتاة صغيرة، فأجبتهم: أشهى المطي، الدواب، إلى قلبي ما لم يركب قبلي
كَمْ بَيْنَ حَبَّةِ لَوْلُؤٍ مَثْقُوبَةٍ نُظِمَتْ وَحَبَّةِ لَوْلُؤٍ لَمْ تُثَقَّبِ
واللؤلؤة المثقوبة والمنظومة في عقد أقل قيمة من لؤلؤة لم تثقب

وقيل إن المرأة أجابه قائلة:

إِنَّ الْمَطِيَّةَ لَا يَلْدُ رُكُوبُهَا حَتَّى تُذَلَّلَ بِالْخِطَامِ وَتُرْكَبَا
الدابة لا يكون ركوبها لذياً إلا بعد تذليلها وترويضها بالخطام، المقود

وَالدُّرُّ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَرْبَابَهُ حَتَّى يُجَمَعَ فِي النِّظَامِ وَيُثَقَّبَا
والدر، اللؤلؤ، لا ينفع أصحابه حتى ينظم في عقد بعد تثقبه. هي حكاية مما يضعه الناس للتسلية
في المجالس

٢٩ أنت والمذنب!

لَمَّا بَدَأَ أَيْقَنْتُ بِالْعَظَبِ فَسَأَلْتُ رَبِّي خَيْرَ مُنْقَلَبٍ
لما ظهر الحارثي أيقنت بالهلاك فسألت الله خير منقلب، خير مصير

لَمْ يَظْلُعَا إِلَّا لِأَبَدَةٍ الْحَارِثِيُّ وَكُوكِبُ الذَّنْبِ
صادف أن جاء الحارثي في وقت بدا فيه كوكب الذنب، لعله مذنّب هالي الذي كانوا يتشاءمون به،
ولا بد أن الحارثي والمذنب ظهرا معاً لأبدية، لمصيبة وشيكة

٣٠ وصف سفينة

عَجِبْتُ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْ سَيْرِ هَذَا الْمَرْكَبِ
وماله عينن ولا رُوحٌ جَرَتْ فِي عَصَبِ
لِجَامِهِ مِنْ خَلْفِهِ مُرْكَبٌ فِي الذَّنْبِ

يشبه السفينة بالدابة ولكن لجام السفينة، يقصد سكانها أي دفتها، من الخلف

إِذَا اسْتَحَثُّهُ مَجَا ذَيْفُ لَهُ فِي الطَّلَبِ

إذا حثته المجاذيف على السير في الطلب، في طلب اللحاق بمن سبقه أو طلب الصيد

أَغْنَقَ فَوْقَ الْمَاءِ فِي هَمْلَجَةٍ أَوْ خَبَبِ

أعنى المركب، أي مد عقه وأسرع، وسار سير الهملجة أو الخبب، وهما من أوصاف سير الإبل

لِلْمَاءِ فِي حَيْزُومِهِ مِنْ صَوْتِ مَوْجٍ صَخِبِ..

للماء في حيزومه، صدره، من صوت الموج الصاخب..

حَشْرَجَةٌ كَالرَّعْدِ فِي عَارِضٍ غَيْبٍ لَجِبِ

للماء حشرجة كالرعد في عارض، أي سحاب، مطر لجب، مصحوب بضجيج رعده

٣١ هجاء ابن الزيات

لَعَائِنُ اللَّهِ مُتَابِعَاتِ

متابعات: متلاحقات

عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الرِّيَّاتِ

عَرَّضَ شَمْلَ الْمُلِكِ لِلشَّنَاتِ

وَأَنفَذَ الْأَحْكَامَ جَائِرَاتِ

عَلَى كِتَابِ اللَّهِ زَارِيَاتِ

أحكامه تزري، أي تعيب، كتاب الله، وذلك لمذهب ابن الزيات في الاعتزال ولبطشه المعروف

يَرْمِي الدَّوَاوِينَ بِتَوَقِيعَاتِ

مَعْقَدَاتِ كَرُقَى الْحَيَّاتِ

يوقع الوزير ابن الزيات - وهو شاعر فصيح، وفيه حذقة - في ذيول الكتب الديوانية بكلام معقد كأنه الرق، التعاويذ الشعوذية، التي يجعلونها في البيوت للوقاية من الأفاعي

هَارُونَ يَا ابْنَ سَيِّدِ السَّادَاتِ

هارون: الخليفة الواثق

أَمَّا تَرَى الْأُمُورَ مُهْمَلَاتِ

تَشْكُو إِلَيْكَ عَدَمَ الْكُفَاةِ

فَعَاجِلِ الْعِلْجِ بِمُرْهَفَاتِ

عاجل هذا العالج، الرجل الجافي الغليظ، بمُرَهفات، بسيوف

من بعد ألفٍ صُحِّبِ الأضواءِ
ولا تضره بالسيف إلا بعد أن تجلده ألف جلدة ذات صوت صاخب
بمُثْمِرَاتٍ غَيْرِ مُورِقَاتٍ
اجلده بسياط في أطرافها عُقْدَ فكَأَنها الثمار، لكنها ثمار بلا أوراق

٣٢ بيت عن تسعين

أَحْسَنُ مِنْ تِسْعِينَ بَيْتاً سُدَى جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتٍ
مَا أَحْوَجَ الْمُلْكَ إِلَى مَطَرَةٍ تَغْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ الزَّيْتِ
الملك محتاج إلى مطر يغسل عنه وضر، وسخ، الزيت... تعريض بالوزير ابن الزيات

٣٣ رق الهوى

أَنْفُسُ حُرَّةٌ وَنَحْنُ عَبِيدُ إِنَّ رِقَّ الْهَوَى لَرِقُّ شَدِيدُ

٣٤ شماتة وتأليب

وقال لما قُبِضَ على عمر بن الفرج الرخجي وأسلم إلى نجاح بن سلمة لبيادته،
أي يعذبه لاستخراج ما عنده من مال:

أَبْلِغْ «نَجَاحاً» فَتَى الْفَتِيَانِ مَالَكَةً تَمْضِي بِهَا الرِّيحُ إِصْدَاراً وَإِيرَاداً
مألكة: رسالة

لَنْ يَخْرُجَ الْمَالُ عَفْواً مِنْ يَدَيَّ «عَمْرٍ» أَوْ يُعَمَدَ السِّيفُ فِي فَوْذِيهِ إِعْماًدَا
لن ييوج بمكان إخفائه المال إلا بتهديده بإغمد السيف في فوذه، سالفه

الرُّخَجِيُّونَ لَا يُوفُونَ مَا وَعَدُوا وَالرُّخَجِيَّاتُ لَا يُخْلِفْنَ مِيعَادَا
تعريض بعفة نساء هذه الأسرة

٣٥ أنت وابنك

وقال يهجو القاضي أحمد بن أبي دؤاد الذي كان معتزلاً يقول بالعدل والتوحيد،
ولكنه كان من نصب المتوكل خليفة فغفر له ماضيه واستبقاه بعد أن أقصى المعتزلة،
ويهجو الشاعر ابن القاضي وكنيته «أبو الوليد»:

مَا هَذِهِ الْبِدْعُ الَّتِي سَمَّيْتَهَا بِالْجَهْلِ مِنْكَ الْعَدْلَ وَالتَّوْحِيدَا؟
ما هذه البدع المعتزلة التي سميتها «العدل والتوحيد»؟

أَفْسَدَتْ أَمْرَ الدِّينِ حِينَ وَلَيْتَهُ وَرَمَيْتَهُ «بِأَبِي الْوَلِيدِ» وَلَيْدًا
أَفْسَدَتْ الدِّينَ حِينَ تَوَلَّيْتُ أَمْرَهُ، وَرَمَيْتِ الدِّينَ بِابْنِكَ أَبِي الْوَلِيدِ وَهُوَ وَلِيدٌ، صَغِيرُ السِّنِّ، حِينَ
عَيَّنْتَهُ عَلَى الْمَظَالِمِ فِي سَامِرَاءَ

شَرِّهَا، إِذَا ذُكِرَ الْمَكَارِمُ وَالْعُلَا ذَكَرَ الْقَلَايَا مُبْدِيًا وَمُعِيدًا
ابْنُكَ شَرُّهُ فَإِذَا تَذَاكُرَ الْقَوْمَ أَحَادِيثَ الْمَكَارِمِ ذَكَرَ لَهُمُ الْقَلَايَا، الْمَقَالِي، وَلَا يَمِلُ مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ الطَّعَامِ

وَيَوَدُّ لَوْ مُسِخَتْ «رَبِيعَةٌ» كُلُّهَا وَبُنُو «إِيَادٍ» صَحْفَةً وَثَرِيدًا
يُودِ ابْنُكَ لَوْ مَسَخَتْ قِبَائِلَ رَبِيعَةٍ وَقَبِيلَةَ إِيَادٍ صَحْفَةً، قِصْعَةً، وَثَرِيدًا

وَإِذَا تَرَبَّعَ فِي الْمَجَالِسِ خِلَّتُهُ ضُبْعًا وَخِلَتْ بَنِي أَبِيهِ قُرُودًا
يَتَرَبَّعُ فِي الْمَجَالِسِ كَالضُّبْعِ الْمَفْتَرَسَةِ، وَحَوْلَهُ أَبْنَاءُ قَوْمِهِ كَالْقُرُودِ

وَإِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا شَبَّهَتْهُ شَرْقًا تَعَجَّلَ شُرْبُهُ مَزُودًا
مَزُودًا: مَذْعُورًا

لَا أَصْبَحْتُ بِالْخَيْرِ عَيْنٌ أَبْصَرْتُ تِلْكَ الْمَنَاخِرَ وَالثَّنَايَا السُّودَا
الثَّنَايَا: الْأَسْنَانُ

٣٦ منتهى الشَّمَاةِ

وَقَالَ لَمَّا فُلِحَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ:

لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سِوَى خَيَالِكَ لَا مَعَاً فَوْقَ الْفَرَاشِ مُمَهَّدًا بِوَسَادٍ
لَمْ يَبْقَ مِنْ عِزِّكَ الْقَدِيمِ سِوَى شَبْحِكَ لَا مَعَاً، أَيْ بَادِيًا، فَوْقَ فَرَاشِكَ وَقَدْ سَوِيَ بِالْوَسَائِدِ

فَرِحْتُ بِمَضْرَعِكَ الْبَرِّيَّةُ كُلُّهَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مُوقِنًا بِمَعَادٍ
فَرِحَ الْبَشَرُ كُلُّهُمْ بِقُرْبِ هَلَائِكَ. . . قَدْ فَرِحَ الْمُؤْمِنُونَ الْمَوْقِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَالْبَعَثَ

كَمْ مَجْلِسٍ لِلَّهِ قَدْ عَطَّلْتُهُ كَيْ لَا يُحَدَّثَ فِيهِ بِإِسْنَادٍ
عَطَّلْتُ مَجَالِسَ أَهْلِ السَّنَةِ الَّذِينَ يَرَوْنَ الْأَحَادِيثَ بِأَسْنَادِهَا

وَلَكُمْ مَصَابِيحٌ لَنَا أَطْفَأْتُهَا حَتَّى نَحِيدَ عَنِ الطَّرِيقِ الْهَادِي
أَطْفَأْتُ مَصَابِيحَ الْهَدَايَةِ بِتَعْرِضِكَ أَهْلَ السَّنَةِ لِلْمَعْنَةِ

وَلَكُمْ كَرِيمَةٌ مَعْشَرٍ أَرْمَلْتُهَا وَمَحْدُثٍ أَوْثَقْتُ فِي الْأَقْيَادِ
الْأَقْيَادُ: الْقَيُودُ

إِن الْأَسَارَى فِي السَّجُونِ تَفَرَّجُوا لَمَّا أَتَتْكَ مَوَاكِبُ الْعُودِ

تفرجوا: استبشروا بالفرج، لما أتتك مواكب العائدين كناية عن اشتداد مرضك

وَعَدَا لِمَضْرَعِكَ الطَّيِّبُ فَلَمْ يَجِدْ لِدَوَاءِ دَائِكَ حِيلَةَ الْمُتَرَادِ

فَذُقِ الْهَوَانَ مَعْجَلًا وَمُؤْجَلًا وَاللَّهِ رَبُّ الْعَرْشِ بِالْمِرْصَادِ

لَا زَالَ فَالْجُكَّ الَّذِي بِكَ دَائِبًا وَفُجِئَتْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالْأَوْلَادِ

ليبق بك الفالج مستمراً، وليفجعك الله بأولادك قبل موتك، وكما يقول صاحب مروج الذهب فإن ابن أحمد بن أبي دؤاد المعروف بأبي الوليد، وهو من مهجوي ابن الجهم، مات قبل أبيه بعشرين يوماً.. كان ذلك سنة ٢٤٠هـ

٣٧ سيوفهم تفني وتغني وتفقرو

وخرج إلى الشام في قافلة، فخرجت عليهم الأعراب في خساف فهرب من كان في القافلة من المقاتلة، وثبت هو فقاتلهم قتالاً شديداً، فرجع الناس إليه وثنوا ولم يحظ الأعراب بشيء. فقال في ذلك:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْمَوْتَ تَهْفُو بِنُودُهُ وَبَانَتْ عِلَامَاتُ لَهُ لَيْسَ تُنْكِرُ

لما رأيت الموت تهفو بنوده، أي تحرك راياته، وبانت علاماته التي لا شك فيها

وَأَقْبَلَتِ الْأَعْرَابُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَثَارَ عِجَاجٌ أَسْوَدُ اللَّوْنِ أَكْثَرُ

وأقبل الأعراب من كل جانب وثار عجاج، غبار، أسود

بِكُلِّ مُشِيحٍ مُسْتَمِيتٍ مُشْمَرٍ يَجُولُ بِهِ طَرْفٌ أَقْبُ مُشْمَرُ

جاءوا بكل مشيح، منحرف نحو الجنب استعداداً للظعن، يجول به طرف، أي فرس، أقب، أي نحيل، مشمر، أي مستعد

بِأَرْضِ «خُسَافٍ» حِينَ لَمْ يَكْ دَافِعٌ وَلَا مَانِعٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمَذْكُرُ

في تلك الأرض حيث لا شيء يدفع الأذى عن المرء إلا الصفيح المذكور،

السيف المصنوع من حديد ذكر

فَقَلَّلَ فِي عَيْنَيَّ عُظْمَ جُمُوعِهِمْ عَزِيمَةً قَلْبٍ فِيهِ مَا جَلَّ يَصْغُرُ

ما قلل في عيني كثرتهم عزيمة قلبي الذي يصغر بالنسبة له كل جليل

بِمُعْتَرِكٍ فِيهِ الْمَنَايَا حَوَاسِرُ وَنَارُ الْوَعْيِ بِالْمَشْرِفِيَّةِ تُسْعَرُ

هذا في معركة المنايا فيه حواسر، كاشفة عن رأسها وبادية للعيان،

ونار الحرب تشتعل بالمشرفية، السيوف

فَمَا صُنْتُ وَجْهِي عَنْ ظَلَابِ سَيُوفِهِمْ وَلَا انْحَزْتُ عَنْهُمْ وَالْقَنَا تَتَكَسَّرُ

لم أحفظ وجهي من ظلات، شفرات، سيوفهم، ولا انحزت، ابتعدت جانباً،
بينما الرماح تتكسر في أتون المعركة

مَنَعْتُهُمْ مِنْ أَنْ يَنَالُوا قُلَامَةً وَكُنْتُ شَجَاهُمْ وَالْأَسِنَّةُ تَقْطُرُ

منعتهم من نيل حتى قلامة، شيء حثير، من متاعنا، وكنت شجاهم، شوكة في حلقهم،
بينما أسنة الرماح تقطر دماً

أَبَتْ لِي قُرُومٌ أَنْجَبْتَنِي أَنْ أَرَى وَإِنْ جَلَّ خَطْبٌ خَاشِعاً أَنْضَجَرُ

أبت لي قروم، سادة، أنجبتني أن أرى خاشعاً ذليلاً أنضجر من خوض الحرب

أُولَئِكَ أَلِ اللّهِ فَهَرُ بْنُ مَالِكٍ بِهِمْ يُجْبَرُ الْعَظْمُ الْكَسِيرُ وَيُكْسَرُ

والسادة الذين أنجبوني هم آل فهر، قريش، الذين يجبر بهم العظم الكسير، يصلح بهم ما اختل
من الأمور، ويكسر العظم، فهم يكسرون عظم أعدائهم

هُمْ الْمَنْكِبُ الْعَالِي عَلَى كُلِّ مَنَكِبٍ سَيُوفُهُمْ تُفْنِي وَتُغْنِي وَتُفْقِرُ

٣٨ الأم واحدة والآباء كثر

واجتمع مع قوم في مجلس، فمرى عليهم بعضهم، فغضب وخرج، واتصل الشر

بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه واغتابوه. فقال يهجوهم:

بَنِي مُتَيْمٍ هَلْ تَذُرُونَ مَا الْخَبْرُ وَكَيْفَ يُسْتَرُّ أَمْرٌ لَيْسَ يَسْتَتِرُ

حَاجِيَتُكُمْ مَنْ أَبُوكُمْ؟ يَا بَنِي عَصَبٍ شَتَّى، وَلَكِنَّمَا لِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ

حاجيتكم، أي حرزكم، وطرحت عليكم أحجية، من هو أبوكم؟ يا بني عصب شتى، يا أبناء
جماعات مختلفة، طبعاً لا تعرفون، والآب العاهر له الحجر (وبحسب تفسير الحديث الشريف
«الولد للفرأش وللعاهر الحجر»: العاهر الذي هو الأب البيولوجي له الإهمال ولا حق له في الولد)

قَدْ كَانَ شَيْخُكُمْ شَيْخاً لَهُ خَطَرٌ لَكِنَّ أَمَكُمْ فِي أَمْرِهَا نَظَرُ

أبوكم المعلن له خطر، له مكانته، لكن أمكم في أمرها نظر، أي لعلها علقت بكم من غيره

وَلَمْ تَكُنْ أُمَّكُمْ - وَاللّهُ يَكْلُوهَا - مَحْجُوبَةً دُونَهَا الْحُرَّاسُ وَالسُّتُرُ

يكلوها: يحفظها

كَانَتْ مُعْنِيَةَ الْفُتَيَانِ إِنْ شَرِبُوا وَغَيْرَ مَمْنُوعَةٍ مِنْهُمْ إِذَا سَكَرُوا

وَكَانَ إِخْوَانُهُ غَرّاً غَطَارِفَةً لَا يُمَكِّنُ الشَّيْخُ أَنْ يَعْصِيَ إِذَا أَمَرُوا

كان إخوان شيخكم، أصحاب أيكم، غراً غطارفة، سادة نبلاء، ولا يستطيع أن يعصي لهم أمراً

قَوْمٌ أَعْفَاءٌ إِلَّا فِي بُيُوتِكُمْ فَإِنَّهُ فِي مَثَلِهَا قَدْ تَخَلَّعَ الْعُدْرُ
 هم أَعْفَاءٌ إِلَّا فِي بُيُوتِكُمْ، ففي هذه البيوت قد تخلع العذر، يُترك الحياء بالتأكيد، و«قد» هنا تأكيد
 لا شك

فَأَصْبَحَتْ كَمِرَاحِ الشُّوْلِ حَافِلَةً مِنْ كُلِّ لَاقِحَةٍ فِي بَطْنِهَا دِرْرُ
 أصبحت أمكم كمراح الشول، كالناقة الحامل في مبركها، حافلة، أي مليئة، وفي بطنها من كل
 تلقيح ذكرى درر، جمع درة وهي اللبن، ويقصد مني الفحول

فَجِئْتُمْ عُصْبَاءُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ نَوْعٌ، مَخَانِيثٌ فِي أَعْنَاقِهَا الْكَبَرُ
 ولدتكم جماعات مختلفي الأنواع، وإنكم لمختون وفي أعناقكم الكبر، أي الطبل الصغير الشبيه
 بالدريكة الذي يتحلى به المختون

فَوَاحِدٌ كَسُرُويٍّ فِي قَرَاطِقِهِ وَأَخَرُ قُرَيْشِي حِينَ يُخْتَبَرُ
 فأحدكم كسروي الهيئة فارسي في قراطقه، أثوابه، وآخر عربي الهيئة كأنه من قريش

مَا عَلِمْتُ أَمَّكُمْ مَنْ حَلَّ مِثْرَازَهَا وَمَنْ رَمَاهَا بِكُمْ يَا أَيُّهَا الْقَنْدَرُ
 قَوْمٌ إِذَا نُسِبُوا فَالْأُمُّ وَاحِدَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْأَبَاءِ إِذْ كَثُرُوا
 لم تعرفوا الظعن إلا في أسافيلكم وأنتم في المخازي فتية صبر
 تصبرون على المخازي لأنكم تعودتم عليها

أَخْبَبْتُ إِغْلَامَكُمْ أَنِّي بِأَمْرِكُمْ وَأَمْرٍ غَيْرِكُمْ مِنْ أَهْلِكُمْ خَيْرُ
 خير: خير

تَفَكَّهُوْنَ بِأَعْرَاضِ الْكِرَامِ وَمَا أَنْتُمْ وَذِكْرُكُمْ السَّادَاتِ يَا عُرْرُ
 عرر: جمع عرّة، وعرة قومه أدناهم وأحقهم

هَذَا الْهَجَاءُ الَّذِي تَبَقَّى مَيَاسِمُهُ عَلَى جِبَاهِكُمْ مَا أَوْرَقَ الشَّجَرُ
 مياسمه: علاماته المشبهة بمسم الإبل بحديدة النار

٣٩ لا فرار من الشعر

وقال بهجو أبا أحمد بن الرشيد وكان مدحه فلم يعطه شيئاً:

يَا أَبَا أَحْمَدَ لَا يُنْـ جِي مِنَ الشَّعْرِ الْفِرَارُ
 لِبَنِي الْعَبَّاسِ أَحْلَا مَ عِظَامٌ وَوَقَارُ
 أحلام: عقول

وَلَهُمْ فِي الْحَرْبِ إِقْدَا مٌ وَرَأْيٍ وَاضْطَبَّارُ

وَلَهُمْ أَلْسِنَةٌ تَبِي - رِي كَمَا تَبْرِي الشُّفَارُ
وَلِعِظْفَيْكَ عَنِ الْمَجْدِ - لِشِمَاسٍ وَأَزْوَارُ
لعطفيك، لجانيك، شماس، نفور، وازورار، ميل، عن المجد

إِنْ تَكُنْ مِنْهُمْ بِلا شَكٍّ - فَلِلْعُودِ قُتَارُ
قتار: دخان

وَلِصَّفْوِ الْمَاءِ أَقْذَا - وَلِلْخَمْرِ حُمَارُ
الخمار: صداع الخمر

٤٠ وارحمنا للغريب

وقبل هذا آخر شعر قاله:

وَارْحَمْنَا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّ - زِحِ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا
فَارِقْ أَحِبَّاءَهُ فَمَا انْتَفَعُوا - بِالْعِيشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا انْتَفَعَا
كَانَ عَزِيزاً بِقُرْبِ دَارِهِمْ - حَتَّى إِذَا مَا تَبَاعَدُوا خَشَعَا
خنع: ذَلَّ

يَقُولُ فِي نَأْيِهِ وَغُرَبَتِهِ: عَذَلٌ مِنَ اللَّهِ كُلُّ مَا صَنَعَا

٤١ الأشراف لا تعتدي على الأشراف

وجرت بينه وبين أبي طالب الجعفري وحشة ثم أرسل أبو طالب يعتذر إليه،
فكتب إليه علي بن الجهم:

لَمْ تُذِقْنِي حَلَاوَةَ الْإِنصَافِ - وَتَعَسَّفْتَنِي أَشَدَّ اعْتِسَافِ
تعسفتني: ظلمتني

وَتَرَكْتَ الْوَفَاءَ جَهْلًا بِمَا فِيهِ - فَاسْرَفْتَ غَايَةَ الْإِسْرَافِ
غَيْرَ أَنِّي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى حَقٍّ - بَنِي هَاشِمٍ بَنِ عَبْدِ مَنَافِ
لَمْ أَجِدْ لِي إِلَى التَّشَفُّي سَبِيلًا - بِقَوَافٍ وَلَا بِغَيْرِ قَوَافِ
لِي نَفْسٌ تَأْبَى الدَّيْنَةَ وَالْأَشْرَافِ - رَأْفُ لَا تَعْتَدِي عَلَى الْأَشْرَافِ

دعك من المعنى، وإنه لمعنى شريف، وانظر في صياغة هذا البيت وفي إحكام صنعه. اسمعه
مثلما تسمع الموسيقى. وانظر إلى البيت الذي قبله. . انظر إلى معناه وإلى هذا التكرار الجميل
لكلمة قواف، ثم يأتي تكرار الأشراف. . ألا ترى البيتين يرقصان رقصاً!

٤٢ لست متروكاً

وقال يهجو عمر بن الفرج الرخجي:

جمعتَ أمرينِ ضاعَ الحزمُ بينهما تيةُ المُلوكِ وأفعالُ المَماليكِ
أردتَ شكرًا بلا برٍّ ومِرزَنةٍ لقد سَلَكْتَ طريقاً غيرَ مَسْلوكِ

أردت أن أشكرك، أي أن أمدحك، بلا بر وعطاء من جانبك وبلا مرزنة، بدون خسارة تخسرهما من مالك، وهذا طريق لا يسلكه المرء مع الشاعر

ظَنَنْتَ عِرْضَكَ لَا يُرْمَى بِقَارِعَةٍ وما أراكَ على حَالٍ بِمَثْرُوكِ

القارعة: المصيبة

٤٣ التفضل والتجمل

يمدح المتوكل:

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَتَحَمَّلُ وللدمرِ أيامٌ تَجُورُ وتَعْدِلُ

تجور: تنحرف، تعدل: تسير مستقيمة

وعاقِبَةُ الصبرِ الجميلِ جميلةٌ وأفضَلُ أخلاقِ الرجالِ التَّفَضُّلُ

خير أخلاق الرجال التفضل، أي إعطاء الآخر فوق ما يستحق كرمًا ونيلًا... والنيل حقاً ليس من يقايضك قيراطاً بقيراط، بل الذي يتفضل ويسخو بماله وبوقته وببشره

ولا عارَ أنْ زَالَتْ عن الحُرِّ نِعْمَةٌ ولكنَّ عاراً أنْ يَزُولَ التَّجَمُّلُ

التجمل: الصبر على المكروه، وأن يقسو الكريم على نفسه فلا يظهر الشكوى بل يوسع صدره لشكاوى الناس

وما المالُ إِلَّا حَسْرَةٌ إنْ تَرَكْتَهُ وعُغْنُمُ إذا قَدَّمْتَهُ مُتَعَجِّلُ

إن تركت المال في كيسك فهو حسرة في قلبك، وإن خرجت عنه للأخريين فهو غنيمة لك. وقد رأيت في مقدمتنا معاييب لا تحصى في شخصية علي بن الجهم، لكنه كان يتوق توقاً شديداً إلى أخلاق النبلاء ويحسن وصفها

وللخيرِ أهلٌ يَسْعَدُونَ بِفَعْلِهِ وللناسِ أحوالٌ بِهِمْ تَتَنَقَّلُ

وللهِ فينا عِلْمٌ غَيْبٍ وإنَّمَا يُوقِّقُ مِنَّا مِنْ يَشَاءُ وَيَخْذِلُ

وأَقْوَمُ خَلْقِ اللَّهِ لِلَّهِ بِالَّذِي يُحِبُّ وَيَرْضَى «جَعْفَرُ الْمُتَوَكِّلُ»

فَتَى جمعتُ فيه المَكَارِمُ شَمَلَهَا فما فاتَه منها أخيرٌ وأوَّلُ

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِهِ وَأَعْدَلُهُمْ فِيمَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ
عَنَائَتُهُ بِالْدِينِ تَشْهَدُ أَنَّهُ يَقُوسُ رَسُولَ اللَّهِ يَرْمِي وَيَنْصُلُ
يرمي بقوس الرسول، يسير على سته، وينصل، ثبتت عود سهمه في النصل الذي هو حديدة مديّة
في الرأس

إِذَا مَا رَأَى رَأْيًا تَيَقَّنْتَ أَنَّهُ بِرَأْيِ ابْنِ عَبَّاسٍ يُقَاسُ وَيُعَدَّلُ
أَرَاؤُهُ فِي الدِّينِ تَقَاسٌ وَتَعْدَلُ، تَقَارَنُ وَتَوَازَنُ، بَأْرَاءُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ الْمَعْرُوفُ بِسَعَةِ عِلْمِهِ
لَهُ الْمِنَّةُ الْعَظْمَى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَطَاعَتُهُ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلٌ
أَعَادَ لَنَا الْإِسْلَامَ بَعْدَ دُرُوسِهِ وَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ وَالْأَمْرُ مُهْمَلٌ
دروسه : اندثاره

وَأَثَرَ أَثَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَقَالَ بِمَا قَالَ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ
وَأَلَّفَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِمُنْمِهِ وَأَظْفَأَ نِيرَانًا عَلَى الدِّينِ تُشْعَلُ
يُعَاقِبُ تَأْدِيبًا وَيَعْفُو تَطَوُّلاً وَيَجْزِي عَلَى الْحُسْنَى وَيُعْطِي فَيُجْزَلُ
إِذْ يَعَاقِبُنِي الْمُتَوَكِّلُ فَعَقَابَهُ مِنْ بَابِ تَأْدِيبِ الرَّئِيسِ لِلْمَرْوُوسِ وَلَا عَارَ فِي ذَلِكَ،
ويعفو تطولاً، تفضلاً منه

وَلَا يُتَّبِعُ الْمَعْرُوفَ مَنًّا وَلَا أَذَى وَلَا الْبَخْلُ مِنْ عَادَاتِهِ حِينَ يُسْأَلُ
يُضِيءُ لِأَبْصَارِ الرِّجَالِ كَأَنَّهُ صَبَاحٌ تَجَلَّى يَزْحَمُ اللَّيْلَ مُقْبِلُ
تَأْمُلُ تَرَى لِلَّهِ فِيهِ بَدَائِعاً مِنَ الْحُسْنِ لَا تَخْفَى وَلَا تَتَبَدَّلُ
فَتَضُرُّهُ وَجْهٌ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ وَظَرَفٌ وَإِنْ لَمْ يَأْلَفِ الْكُحْلُ أَكْحَلُ
وَجْهَهُ نَاضِرٌ وَفِيهِ هَيْبَةٌ تَغْضُ طَرَفَ، عَيْنَ، النَّاطِرِينَ إِلَيْهِ، وَلَهُ طَرَفٌ أَكْحَلُ بَلَا كَحْلٍ : عَيْنٌ كَحْلَاءُ
كحلاً رياناً

وَمُعْتَصِمِي الْخَلْقِ لِلْسَيْفِ وَالْقَنَاءِ عَلَيْهِ بَهَاءٌ حِينَ يَبْدُو وَيُقْبَلُ
خَلْقُهُ، أَيُّ جِسْمِهِ وَخَلْقَتُهُ، يَشْبَهُ جِسْمَ الْمُعْتَصِمِ، وَكَانَ جَسِيماً قَوِيّاً، وَبِهِ الْإِقْبَالُ وَهُوَ يَتَحَلَّى
بِسَلَاحِهِ

إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاكَ بِالْبَدْرِ طَالِعاً بَخْسْنَاكَ حَظّاً أَنْتَ أَبْهَى وَأَجْمَلُ
وَنَظْلِمُ إِنْ قَسْنَاكَ بِاللَّيْثِ فِي الْوَعَى فَإِنَّكَ أَحْمَى لِلذِّمَارِ وَأَبْسَلُ
أَنْتَ تَحْمِي الذِّمَارَ، الشَّرَفَ، أَكْثَرُ مِنَ اللَّيْثِ وَأَنْتَ أَبْسَلُ مِنْهُ بَسَالَةً

وَلَسْتُ بِبَحْرِ، أَنْتَ أَعَذْبُ مَوْرداً وَأَنْفَعُ لِلرَّاجِي نَدَاكَ وَأَشْمَلُ

ولا وَصَفَ إِلَّا قَدْ تَجَاوَزْتَ حَدَّهُ ولا سَيَّبَ إِلَّا سَيَّبَ كَفْكَ أَفْضَلُ

السبب: العطاء

رَعَاكَ الَّذِي اسْتَرْعَاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ وكَأَفَاكَ عَنَّا الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ

كافاك: كافاك

٤٤ تهديد غير مبطن

أطلقه طاهر بن عبد الله أمير خراسان من السجن بأمر المتوكل، فمكث علي بن الجهم في خراسان زمناً، وقال للأمير قبل رحيله عائداً إلى بغداد:

أَطَاهَرُ إِنِّي عَنْ خُرَاسَانَ رَاحِلٌ وَمُسْتَخْبِرٌ عَنْهَا فَمَا أَنَا قَائِلٌ؟

سيئالوني في بغداد عن خراسان، فماذا سأقول لهم عنك وعن سخاكت أم بخلك؟

أَصْدُقُ، أَمْ أَكْذِبُ عَنِ الصِّدْقِ؟ أَيُّمَا تَخَبَّرْتُ أَذْنُهُ إِلَيْكَ الْمَحَافِلُ

أقول الصدق أم أئف على الحقيقة بكلام ممغض؟ الأمر عائد إليك فإن أكرمتني قلت ذلك صراحة وإلا فأنتي سأقول كلاماً يفهم سامعه أنك بخلت.. وعلى كل حال سيصلك كلامي، إذ ستردد شعري مجالس الأدب

وَسَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ وَاضْطَفَقَتْ بِهِ أَكْفُ قِيَانٍ وَاجْتَبَتْهُ الْقَبَائِلُ

يسير المسافرون الراكبون الإبل حاملين شعري من بلد إلى بلد، وستغيبه القيان، المغنيات، ويصفقن وهن يغنيه، وستجيبه القبائل، ستختاره لكي تضمه إلى الأشعار التي تتردد في مجالسها

أَلَا مُنْصَفٌّ إِنْ لَمْ نَجِدْ مُتَفَضِّلًا عَلَيْنَا، أَلَا قَاضٍ مِنَ النَّاسِ عَادِلٌ

إن لم نجد من يفضل ويعطي فوق الكفاية فعلى الأقل نريد من ينصفنا ويعطينا ما نستحق لا غير

فَلَا تَقْطَعَنَّ غِيظًا عَلَيَّ أَنَا مِلًّا فَقَبْلَكَ مَا عَضَّتْ عَلَيَّ الْأَنَامِلُ

لا تعض على أناملك لشدة الغيظ إن قلت فيك كلاماً أصف فيه بخلك - هذا إن بخلت -، وقبلك كثيراً ما عض القوم أناملهم لشدة وقع كلامي

أَطَاهَرُ إِنْ تُحْسِنَ فِإِنِّي مُحْسِنٌ إِلَيْكَ، وَإِنْ تَبْخُلْ فِإِنِّي بَاخِلٌ

٤٥ أنا والسري

كَمْ قَدْ تَجَهَّمَنِي السَّرِيُّ وَأَزَالَنِي لَيْلَ يَنْوُءُ بِصَدْرِهِ مُسْتَطَاوِلٌ

كثيراً ما أرهقني السري، سير الليل، وأزالي من بلدي الليل الطويل الذي ينوء بصدري، يتقل علي كأنه جاثم بصدري علي

وَهَزَزْتُ أَعْنَاقَ الْمَطِيِّ أَسْوَمُهَا قَصْداً وَيَحْجُبُهَا السَّوَادُ الشَّامِلُ
وهززت أعناق الإبل وأنا أحنها على السير وأسومها قصداً، أكلفها سيراً نحو مقصدي،
بينما الليل يشملنا

حَتَّى تَوَلَّى اللَّيْلُ ثَانِيَّ عِظْفِهِ وَكَأَنَّ آخِرَهُ خِضَابٌ نَاصِلُ
وتولى الليل وانصرف ثانياً من جنبه، كما ينصرف المرء فيثني جسمه ويولينا ظهره، وآخر الليل
سواد وبياض كصبغة الشعر الناصلة قد نبت الشعر أبيض تحت الصبغ

وَخَرَجْتُ مِنْ أَعْجَازِهِ وَكَأَنَّمَا يَهْتَرُّ فِي بُرْدَيَّ رُمُحٌ ذَابِلُ
وخرجت من أعجاز الليل، وأاخره، قائماً نحيلاً لطول السفر كأنني الرمح الذابل،
الجاف المشذب

٤٦ ذنبي وحرمتي

وكتب إلى طاهر بن عبد الله من الحبس:

إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَلِي حُرْمَةٌ وَالْحَقُّ لَا يَدْفَعُهُ الْبَاطِلُ
وَحُرْمَتِي أَغْظَمُ مِنْ زَلَّتِي لَوْ نَالَنِي مِنْ عَدْلِكُمْ نَائِلُ
وَلِي حَقٌّ غَيْرُ مَجْهُولَةٍ يَعْرِفُهَا الْعَاقِلُ وَالْجَاهِلُ
وَسِيرَةُ الْأَمْلاكِ مَنْقُولَةٌ لَا جَائِرٌ يَخْفَى وَلَا عَادِلُ
سيرة الملوك تتناقلها الناس، ولا يخفى الظالم ولا العادل

وَقَدْ تَعَجَّلْتَ الَّذِي خِفْتُهُ مِنْكَ وَلَمْ يَأْتِ الَّذِي أَمَلُ
عجلت عليّ بالعقاب، وكنت أخشى ذلك، ولم يأتي منك الخير، وكنت آمله

٤٧ ليل الجريح

وقال ليلة وفاته وهو جريح:

أَزِيدَ فِي اللَّيْلِ لَيْلُ أَمْ سَالَ بِالصَّبْحِ سَيْلُ؟
هل زاد طول الليل عن المعهود، أم ذهب سيل جارف بالصبح فلم يعد يأتي؟

يَا إِخْوَتِي بِدُجَيْلٍ وَأَبْنِ مِنْنِي دُجَيْلُ
دجيل: المحلة التي كان يسكنها ابن الجهم في بغداد

٤٨ تبرير المصلوب

حبس المتوكل علي بن الجهم ثم نفاه إلى خراسان وكتب إلى أميرها طاهر بن عبد الله بن طاهر بأن يصلبه إذا ورد لها يوماً إلى الليل. فلما وصل إلى الشاذياخ حبسه طاهر بها ثم أخرج فصلب يوماً إلى الليل مجرداً ثم أنزل فقال:

لَمْ يَنْصَبُوا بِالشَّاذِيَاخِ صَبِيحَةَ الْإِنْسَانِ مَغْمُوراً وَلَا مَجْهُولاً
لَمْ يَصْلُبُوا رَجُلًا مَغْمُوراً أَوْ مَجْهُولَ الْمَكَانَةِ، وَكَانَ الصَّلْبُ عِقَابَ اللُّصُوصِ، وَعِقَابُ كِبَارِ
الْمُتَمَرِّدِينَ عَلَى الدَّوْلَةِ أَيْضاً

نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِلَّةَ عِبُونِهِمْ شَرَفًا وَمِلَّةَ صُدُورِهِمْ تَبْجِيلاً
مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفْعَةً بِنُكُولِهِ وَأَزْدَادَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْهُ نُكُولاً
ازداد هذا المصلوب رفعة بما ناله من تنكيل، وازداد أعداؤه خوفاً منه وإحجاماً عنه . . . والشرح من
محقق الديوان

هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثَ فَارَقَ غِيْلَهُ فَرَأَيْتَهُ فِي مَحْمَلٍ مَحْمُولاً
كَانَ كَأَنَّهُ الْأَسَدَ فَارَقَ غَابَتَهُ، فَجِيءَ بِهِ مَحْمُولاً مَرْفُوعاً!

لَا يَأْمَنُ الْأَعْدَاءُ مِنْ شِدَائِهِ شِدَاءً يُفْضِلُ هَامَهُمْ تَفْصِيلاً
هَامَهُمْ: رُؤُوسَهُمْ

مَا عَابَهُ أَنْ بُزَّ عَنْهُ لِبَاسُهُ فَالْسَيْفُ أَهْوَلُ مَا يُرَى مَسْلُولاً
العري لم يعبه، فالسيف يكون مخيفاً أكثر وهو عار من غمده

إِنْ يُبْتَذَلْ فَالْبَدْرُ لَا يُزْرِي بِهِ أَنْ كَانَ لَيْلَةً تَمُّ مَبْذُولاً
إِنْ ابْتَذَلُونِي، أَيْ أَبْرِزُونِي، فَالْبَدْرُ لَيْلَةٌ تَمَامُهُ بَارِزٌ مَبْذُولٌ لِكُلِّ ذِي عَيْنَيْنِ

أَوْ يَسْلُبُوهُ الْمَالَ يُحْزَنُ فَقْدُهُ ضَيْفًا أَلَمَّ وَطَارِقًا وَنَزِيلاً
إِنْ سَلَبُونِي مَالِي فَهَذَا يُحْزَنُ الضَّيْفُ الَّذِي يَلْمُ بِي، يَأْتِينِي، وَيَنْزِلُ عِنْدِي لِأَنَّهُ لَا يَجِدُ قَرَى أَوْ عَوْنًا

أَوْ يَحْبِسُوهُ فَلَيْسَ يُحْبَسُ سَائِرٌ مِنْ شِعْرِهِ يَدْعُ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا
إِنْ حَبَسُونِي فَلَنْ يَحْبِسُوا شِعْرِي السَّائِرَ، السَّرِيعَ الْإِتِّشَارَ، الَّذِي يَذِلُّ الْعَزِيزَ إِنْ هَجَى بِهِ

إِنْ الْمَصَائِبَ، مَا تَعَدَّتْ دِينَهُ، نَعَمْ وَإِنْ صَعِبَتْ عَلَيْهِ قَلِيلًا
وَاللَّهُ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْ أَمْرِهِ وَكَفَى بِرَبِّكَ نَاصِراً وَوَكِيلاً

لن تسلبوه - وإن سلبتم كل ما خَوَّلْتُمُوهُ - وَسَامَةٌ وَقَبُولَا
لن تسلبوني - وإن سلبتم كل ما خولتُموني، أي منحتموني من عبيد وخدم - لن تسلبوني الوسامة
في الشكل وحسن القبول لدى الناس

هَلْ تَمْلِكُونَ لِدِينِهِ وَيَقِينِهِ وَجَنَانِهِ وَبَيَانِهِ تَبْدِيلًا
الجنان: القلب

لَمْ تَنْقُصُوهُ وَقَدْ مَلَكَتُمْ ظُلْمَهُ مَا النِّقْصُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَهُولًا
لن ملكتم ظلمي، استطعتم أن تظلموني، فلم تنقصوا قدري

كَادَتْ تَكُونُ مَصِيبَةً لَوْ أَنَّكُمْ أَوْضَحْتُمْ ذَنْبًا عَلَيْهِ جَلِيلًا
كانت ستكون مصيبة حقاً لو أثبتتم عليّ ذنباً حقيقياً

إِنْ كَانَ سَفًّا إِلَى الدَّنِيَّةِ أَوْ رَأَى غَيْرَ الْجَمِيلِ مِنَ الْأُمُورِ جَمِيلًا
كان أكون سفت، نزلت، إلى فعلة خسية، أو ارتكبت ما لا يجمل بالشريف ارتكابه

لَوْ تُنْصِفُ الْأَيَّامُ لَمْ تَعْثُرْ بِهِ إِذْ كَانَ مِنْ عَثَرَاتِهِنَّ مُقِيلًا
لو أنصفي الزمن لما عثر بي هذه العثرة، أي السقطة،
خاصة أنني كنت أقيل الناس عثرات الأيام

وَلَتَعْلَمَنَّ إِذَا الْقُلُوبُ تَكْشَفَتْ عَنْهَا الْأَكِنَّةُ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا
ستعلمون إذا انكشفت الأكِنَّة، السور، عن القلوب وتبين الحق، من هو الذي كان على ضلال:
أنا أم الذين سعوا بي

٤٩ سؤال السؤال

أَعَاذَلْ لَيْسَ الْبَخْلُ مِنِّي سَجِيَّةً وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْفَقْرَ شَرًّا سَبِيلَ
لَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ مِنَ الْبَخْلِ لِلْفَتَى وَلِلْبَخْلِ خَيْرٌ مِنْ سَوَالِ بَخِيلِ
لَعَمْرُكَ مَا شَيْءٌ لِيُوجِهَكَ قِيمَةً فَلَا تَلَقَ مَخْلُوقًا بِوَجْهِ ذَلِيلِ
وَلَا تَسْأَلَنَّ مَنْ كَانَ يَسْأَلُ مَرَّةً فَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سَوَالِ سَوُولِ

٥٠ خضوع

لَيْسَ عِنْدِي وَإِنْ تَغَضَّبْتَ إِلَّا طَاعَةٌ حُرَّةٌ وَقَلْبٌ سَلِيمٌ
لن غضبت علي فلن تجد مني إلا الطاعة الحرة، الخالصة، والقلب السليم، الخالي من الحقد

وَانْتَظَرُ الرِّضَا فَإِنْ رِضَا السَّاءِ دَاتِ عِزٍّ وَعَتَبُهُمْ تَقْوِيمُ

ومستجدي متظراً رضاك عني، فرضا السادة عز لمن هو دونهم،
وعتب السادة هو بمثابة التقويم والتأديب

٥١ رثاء أبي تمام

غَاضَتْ بَدَائِعُ فِظْنَةِ الْأَوْهَامِ وَعَدَتْ عَلَيْهَا نَكْبَةُ الْأَيَّامِ
غاضت، جفت، بدائع فطنة الأوهام، وعدت عليها وأذنتها نكبات الأيام، أي الزمن

وَعَدَا الْقَرِيضُ ضَّيْلَ شَخْصٍ بَاكِياً يَشْكُو رَزِيئَتَهُ إِلَى الْأَقْلَامِ
أصبح القريض، أي الشعر، متضائلاً باكياً يشكو رزيته، مصيبته، إلى الأقلام

وَتَأَوَّهَتْ غُرُرُ الْقَوَافِي بَعْدَهُ وَرَمَى الزَّمَانُ صَحِيحَهَا بِسَقَامِ
أودى، مات، مثقف القوافي، مقومها، ومروض صعايبها وغدير روضتها أبو تمام.. وكان أبو تمام
صديقاً لعلي بن الجهم وله فيه شعر مودة

٥٢ إلى شقيق الروح

الْعَيْنُ بَعْدَكَ لَمْ تَنْظُرْ إِلَى حَسَنِ وَالنَّفْسُ بَعْدَكَ لَمْ تَسْكُنْ إِلَى سَكَنِ
كَأَنَّ نَفْسِي إِذَا مَا غَبَّتْ غَائِبَةٌ حَتَّى إِذَا عُذْتُ لِي عَادَتْ إِلَى بَدَنِي

٥٣ البلاء

قال لما هجاه مروان الأصغر في مجلس المنوكل:

بَلَاءٌ لَيْسَ يُشَبِّهُهُ بَلَاءٌ عَدَاوَةٌ غَيْرِ ذِي حَسَبٍ وَدِينِ
يُبْسِحُكَ مِنْهُ عِرْضاً لَمْ يَصُنْهُ وَيَرْتَعْ مِنْكَ فِي عِرْضٍ مَصُونِ
إذا قعدت على كيس فحم فتضيره قليلاً ويضريك كثيراً

٥٤ لا أريد معروفاً يذلني

لَلْبُسِ نَوْبَيْنِ بِالْيَمِينِ وَطَيِّ يَوْمٍ وَلَيْلَتَيْنِ
طي يوم وليلتين: جوع يدوم هذا الزمن

أَيْسَرُ مِنْ مَنَّةٍ لِقَوْمٍ أَغْضُ مِنْهَا جُفُونَ عَيْنِي

٥٥ المحبّرة في التاريخ

وهي قصيدة طويلة، ومن أول ما نُظِم في التاريخ، واجتزأنا بقليل:

الحمدُ لِلَّهِ الْمُعِيدِ الْمُبْدِي حمداً كثيراً وَهُوَ أَهْلُ الْحَمْدِ
المعيد المبدى، من أسماء الله الحسنى، فهو بدأ الخلق وهو يعيده يوم القيامة

أخْبَرَنِي قَوْمٌ مِنَ الثَّقَاتِ أُولُو عُلُومٍ وَأُولُو هَيئَاتِ
أَنَّ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَمَنْ لَهُ الْعِزَّةُ وَالْبَقَاءُ
أَنْشَأَ خَلْقَ آدَمَ إِنْشَاءً وَقَدْ مِنْهُ زَوْجُهُ حَوَاءُ
قَدْ: قطع

مبتدئاً ذلك يومَ الْجُمُعَةِ حتى إذا أكملَ منه صُنْعَهُ
أَسْكَنَهُ وَزَوْجَهُ الْجَنَانَا فكان مِنْ أَمْرِهِمَا ما كانا
غَرَّهُمَا إبليسُ فاغْتَرَا بِهِ كما أبانَ الله في كتابِهِ
دَلَّاهُمَا الْمَلْعُونُ فِيمَا صَنَعَا فَأَهْبِطَا مِنْهَا إِلَى الْأَرْضِ مَعَا
دلاهما، أي أنزلهما، إبليس بسبب ما صنعا من إطاعتها له

وَبَايَعَ النَّاسُ الْإِمَامَ جَعْفَرَا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْأَعَزَّ الْأَزْهَرَا
بعد ثلاثين ومِئَتِي عام وبعدَ حَوْلَيْنِ سَوَى أَيَّامِ
بويج للمتوكل سنة ٢٣٢هـ، قبل انقضاء هذه السنة بستة أيام بحسب المسعودي في مروج الذهب،
فعلى هذا يكون توليه بعد ثلاثة أحوال سوى أيام لا «بعد حولين سوى أيام»

قَدْ سَكَّنَ اللَّهُ بِهِ الْأَطْرَافَا فما تَرى في مُلْكِهِ خِلَافَا
ثُمَّ تَوَلَّى قَتْلَهُ الْفَرَاغِنَةُ وَسَاعَدَتْهُمْ غُصْبَةُ فَرَاغِنَةُ
الفراغنة: قوم من فرغانة، في أوزبكستان اليوم، وساعدتهم جماعة فراغنة، متجبرين

وَبَايَعُوا مِنْ بَعْدِهِ لِلْمُنْتَصِرِ فأصبحَ الرَّابِعُ مِنْهُمْ قَدْ خَيْرِ
المنتصر ابن المتوكل وتواطأ مع القتلة

فَعَاشَ فِي السُّلْطَانِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَخْرَجَهُمْ مِنْ مُلْكِهِ وَالْعَسْكَرِ
عاش المنتصر في الحكم ستة أشهر حاول فيها إخراج قتلة أبيه من مواقعهم خوفاً على نفسه منهم
ثُمَّ أَتَاهُ بَغْعَتَةُ جِمَامُهُ سَبْحَانَ مَنْ يُعَاجِلُ انْتِقَامُهُ
يعاجل انتقام الله الظالمين

٥٦ عيون المها

عَيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالْجِسْرِ جَلَبْنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَدْرِي وَلَا أَدْرِي
الرصافة: على الجانب الشرقي لدجلة ببغداد، والجسر جسر على دجلة

أَعْدَنْ لِي الشَّوْقَ الْقَدِيمَ وَلَمْ أَكُنْ سَلَوْتُ وَلَكِنْ زِدَنْ جَمْرًا عَلَى جَمْرِ
سَلِمَنْ وَأَسْلَمَنْ الْقُلُوبَ كَأَنَّمَا تُشَكُّ بِأَطْرَافِ الْمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ
يدعو لهم بالسلامة مع أنهم أسلمن القلوب، أسلمنها للعدو، فهي تتألم كأنما تشك بأطراف
المثقفة السمر، الرماح

وَقُلْنَ لَنَا نَحْنُ الْأَهْلَةُ إِنَّمَا نُضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي إِلَيْنَا وَلَا نَقْرِي
نحن الأهلة، جمع هلال، نضيء لمن يسري، يسير ليلاً، ولا نقري، لا نطعم الضيف.. أي أننا
من أهل «شم ولا تنق»

فَلَا بَذْلَ إِلَّا مَا تَزَوَّدَ نَاطِرٌ وَلَا وَصَلَ إِلَّا بِالْخَيْالِ الَّذِي يَسْرِي
ما نبذله للعاشق هو ما يتزوده بعينه فقط، أو خيالنا يأتيه في أحلامه

أَحِينَ أَرْزَلْنَ الْقَلْبَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ وَأَلْهَبْنَ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ
صَدَدْنَ صُدُودَ الشَّارِبِ الْخَمَرِ عِنْدَمَا زَوَى نَفْسَهُ عَنْ شُرْبِهَا خَيْفَةَ السُّكْرِ
بعد أن زلزلن القلب صددن عنه مثلما يصد شارب الخمر ويزوي نفسه عنها
ويتعد خيفة أن يسكر

أَلَا قَبْلَ أَنْ يَبْدُو الْمَشِيبُ بَدَأْتَنِي بِبِاسٍ مُبِينٍ أَوْ جَنَحْنَ إِلَى عَذْرِ
لبنهن بدأنني، قبل أن أشيب، بإشعاري بالبأس من وصالهن أو ملن إلى العذر، ففي الشباب يجد
للمرء متسعاً للعثور على بديل، وعند المشيب هي الحسرة لا غير

فَإِنْ حُلْنَ أَوْ أَنْكَرْنَ عَهْدًا عَهْدَهُ فَغَيْرُ بَدِيعٍ لِلْغَوَانِي وَلَا نُكْرٍ
حلن: تحولن، غير بديع: غير غريب ولا منكر عليهن الغدر

وَلَكِنَّهُ أَوْدَى الشَّبَابُ وَإِنَّمَا تُصَادُ الْمَهَا بَيْنَ الشَّبِيبَةِ وَالْوَفْرِ
أودى الشباب ومات، والمها، بقر الوحش أي النساء الجميلات الأعين، تصاد في وقت يجتمع
للمرء فيه الشباب والوفر، أي الغنى

كَفَى بِالْهَوَى غَيًّا وَبِالشَّيْبِ زَاجِرًا لَوْ أَنَّ الْهَوَى مِمَّا يُنْهَنُهُ بِالزَّجْرِ
الهوى نفسه غي، والشيب يزجر المرء ويردعه عن التماذي في العشق.. ولكن ليت العشق ينهنه،
يُردِّع، بالزجر!

أَمَّا وَمَشِيْبٍ رَاعَهُنَّ لَرُبَّمَا عَمَزْنَ نِيَاماً بَيْنَ سَحْرِ إِلَى نَحْرِ
لئن كان شبيي راعهن، أبعدهن وثناهن عني، فكثيراً بقيت الحسان نائمات بين سحري ونحري،
بين صدري وأعلى الصدر

وَبِثْنَا عَلَى رَغَمِ الْحَسودِ كَأَنَّا خَلِيطَانِ مِنْ مَاءِ الْغَمَامَةِ وَالْخَمْرِ
بتنا متعانقين اختلط جسمانا كما يمتزج ماء المطر بالخمير

خَلْبِلَيَّ مَا أَحَلَّى الْهُوَى وَأَمَرُهُ وَأَعْلَمَنِي بِالْحُلُوِّ مِنْهُ وَبِالْمُرِّ
بِمَا بَيَّنَّنَا مِنْ حُرْمَةٍ هَلْ رَأَيْتُمَا أَرْقَ مِنَ الشُّكُوى وَأَقْسَى مِنَ الْهَجْرِ
وَأَفْضَحَ مِنْ عَيْنِ الْمُحِبِّ لِسَرِّهِ وَلَا سِيَّماً إِنْ أَظْلَقْتَ عَبْرَةً تَجْرِي؟
أهناك ما هو أكثر فضحاً لسر المحب من عينه، وخصوصاً إذا أطلقت دمعة؟

وَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَى ظُلُومَ وَقَوْلَهَا لِحَاوَرَتِهَا مَا أَوْلَعَ الْحُبَّ بِالْحُرِّ
قالت لحاورتها ما أشد ولم وتعلق الحب بقلب الرجل الحر

فَقَالَتْ لَهَا الْآخَرَى فَمَا لِصَدِيقِنَا مُعْنَى وَهَلْ فِي قَتْلِهِ لَيْكَ مِنْ عُذْرِ؟
قالت لها: ما له معنى متعب؟ وهل لك عذر في قتله بصدورك عنه؟

عَدِيهِ لَعَلَّ الْوَضْلَ يُخْبِيهِ وَاعْلَمِي بِأَنَّ أَسِيرَ الْحَبِّ فِي أَوْتَنِ الْأَسْرِ
عديه: أعطيه وعداً باللقاء

فَقَالَتْ أَذَارِي النَّاسَ عَنْهُ وَقَلِّمًا يَطِيبُ الْهُوَى إِلَّا لِمُنْهَتِكَ السُّتْرُ
هي تحاول إبعاد الناس عن كشف سر عشقه، ولكن الهوى لا يطيب إلا لمن يتمادى فيه ويحلوه
أن ينهتك سترة وينكشف أمر عشقه

وَأَيَقَنَّا أَنْ قَدْ سَمِعْتُ فَقَالَتَا مَنْ الطَّارِقُ السَّارِي إِلَيْنَا وَلَا تَدْرِي؟
فَقُلْتُ فَتَيَّ إِنْ شِئْتُمَا سَتَرَ الْهُوَى وَإِلَّا فَخَلَاغُ الْأَعْنَةِ وَالْعُذْرِ
خلاع الأعنة والعذر، متهور

عَلَى أَنَّهُ يَشْكُو ظُلُومَ وَبُخْلَهَا عَلَيْهِ بِتَسْلِيمِ الْبَشَاشَةِ وَالْبِشْرِ
يشكو أنها تبخل عليه بالسلام والبشاشة

فَقَالَتْ هُجِينَا، قُلْتُ قَدْ كَانَ بَعْضُ مَا ذَكَرْتَ لَعَلَّ الشَّرَّ يُدْفَعُ بِالشَّرِّ
فَقَالَتْ كَأَنَّا بِالقَوَانِي سَوَائِرُ يَرِدْنَ بِنَا مِصْرًا وَيَصُدُّنَ عَنْ مِصْرِ

كَأَنَّ القَصَائِدَ الَّتِي سَتَهَجُونَا بِهَا سَائِرَةٌ مُمْتَنَةٌ
مَنْ مِصْرَ إِلَى مِصْرٍ، مَنْ بِلَدٍ إِلَى بِلَدٍ

فَقُلْتُ أَسَاةَ الظَّنِّ بِي لَسْتُ شَاعِرًا وَإِنْ كَانَ أَحْيَانًا يَجِيشُ بِهِ صَدْرِي
صَلِّيْ وَاسْأَلِي مَنْ شِئْتَ يَخْبِرُكَ أَنَّنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ نِعَمٌ مُسْتَوْدَعُ السَّرِّ
وَمَا الشَّعْرُ مِمَّا اسْتَظَلُّ بِظِلِّهِ وَلَا زَادَنِي قَدْرًا وَلَا حَطَّ مِنْ قَدْرِي
وَمَا أَنَا مِمَّنْ سَبَّرَ الشَّعْرُ ذِكْرَهُ وَلَكِنْ أَشْعَارِي بِسَبْرِ بِهَا ذِكْرِي
وَلِلشَّعْرِ أَتْبَاعٌ كَثِيرٌ وَلَمْ أَكُنْ لَهُ تَابِعًا فِي حَالِ عُصْرِ وَلَا يُسِرُّ
وَلَا كُلُّ مَنْ قَادَ الْجِيَادَ يَسُوسُهَا وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى يُقَالُ لَهُ مُجَرِّ

مَعَ أَنَّ لِلشَّعْرِ أَتْبَاعًا جَعَلُوهُ مَحْوَرِ حَيَاتِهِمْ فَلَيْسَ كُلُّ شَاعِرٍ بِشَاعِرٍ حَقًّا، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ
كُلُّ مَنْ قَادَ الْخَيْلَ قَادِرًا عَلَى سِيَاسَتِهَا وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا، وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى الْخَيْلَ، سَابِقٌ
بِهَا، يُسَمَّى مُجَرِّيًا. . . وَفِي الشُّطْرِ الْأَوَّلِ فُخِرَ بِأَنَّهُ يَقُودُ الْخَيْلَ وَيَرْكَبُهَا لَكِنَّهُ يَتَرَفَّعُ عَنْ
خِدْمَتِهَا

وَلَكِنْ إِحْسَانَ الْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ دَعَانِي إِلَى مَا قُلْتُ فِيهِ مِنَ الشَّعْرِ
فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بِلْدَةٍ وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

سَارَ شَعْرِي فِي كُلِّ مَكَانٍ كَأَنَّهُ الشَّمْسُ، وَهَبَ كَالرِّيحِ

وَلَوْ جَلَّ عَنْ شُكْرِ الصَّنِيعَةِ مُنْعَمٌ لَجَلَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الشُّكْرِ
فَتَى تَسْعُدُ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِ وَجْهِهِ كَمَا تَسْعُدُ الْأَيْدِي بِنَائِلِهِ الْعَمْرِ

النَّائِلُ الْغَمْرِ: الْعَطَاءُ الْجَزِيلُ

بِهِ سَلِمَ الْإِسْلَامُ مِنْ كُلِّ مُلْحِدٍ وَحَلَّ بِأَهْلِ الزَّيْنِ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ

الزَّيْنُ: الضَّلَالُ

إِمَامٌ هُدَى جَلَّى عَنِ الدِّينِ بَعْدَمَا تَعَادَتْ عَلَى أَشْيَاعِهِ شَيْعَةُ الْكُفْرِ

هَذَا الْإِمَامُ، الْمُتَوَكَّلُ، جَلَّى عَنِ الدِّينِ، أَيُ كَشَفَ وَجْهَهُ الْحَقِيقِيَّ، بَعْدَمَا تَعَادَتْ، تَكَالَبَتْ، عَلَى
أَشْيَاعِهِ، أَنْصَارِهِ، شَيْعَةُ الْكُفْرِ، جَمَاعَاتُ الضَّلَالِ

وَفَرَّقَ شَمْلَ الْمَالِ جُودَ يَمِينِهِ عَلَى أَنَّهُ أَبْقَى لَهُ أَجْمَلَ الذِّكْرِ

إِذَا مَا أَجَالَ الرَّأْيَ أَذْرَكَ فِكْرَهُ غَرَائِبَ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالٍ وَلَا فِكْرٍ
وَلَا يَجْمَعُ الْأَمْوَالَ إِلَّا لِبَذْلِهَا كَمَا لَا يُسَاقُ الْهَدْيُ إِلَّا إِلَى النَّحْرِ

الهدى: الماشية تُهدى لتنحر في موسم الحج

وَمَنْ قَالَ إِنْ الْبَحْرَ وَالْقَطْرَ أَشَبَّهَا نَدَاهُ فَقَدْ أَتْنَى عَلَى الْبَحْرِ وَالْقَطْرِ
وَلَوْ قُرِنْتَ بِالْبَحْرِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ لَمَا أَذْرَكَتْ جَدْوَى أَنَامِلِهِ الْعَشِيرِ

الجدوى: العطاء

وَإِنْ ذُكِرَ الْمَجْدُ الْقَدِيمُ فَإِنَّمَا يَقْصُصُ عَلَيْنَا مَا تَنَزَّلَ فِي الزُّبْرِ
المتوكل عليم بما ورد في الزبر، كتب الدين القديمة

فَإِنْ كَانَ أَمْسَى جَعْفَرٌ مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ فِي سِرِّ الْأُمُورِ وَفِي الْجَهْرِ
لَقَدْ شَكَرَ اللَّهُ الْخَلِيفَةَ جَعْفَرًا وَأَعْطَاهُ مِمَّا لَا يَبِيدُ عَلَى الدَّهْرِ
وَوَلَّى عُهْدَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةً يُحْيَوْنَ بِالتَّأْيِيدِ وَالْعَزِّ وَالنَّصْرِ
أَغْيَرَ كِتَابَ اللَّهِ تَبْعُونَ شَاهِدًا لَكُمْ يَا بَنِي الْعَبَاسِ وَالْمَجْدِ وَالْفَخْرِ

أتطلبون شاهداً غير كتاب الله وغير المجد والفخر؟

كَفَاكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَيْكُمْ وَأَوْحَى أَنْ أُطِيعُوا أُولِي الْأَمْرِ
وَلَنْ يُقْبَلَ الْإِيمَانُ إِلَّا بِحُبُّكُمْ وَهَلْ يَقْبَلُ اللَّهُ الصَّلَاةَ بِلا طَهْرٍ
وَمَنْ كَانَ مَجْهُولَ الْمَكَانِ فَإِنَّمَا مَنَازِلُكُمْ بَيْنَ الْحُجَّوْنَ إِلَى الْحَجْرِ

منازلكم القديمة في مكة بين هذين المكانين

وَمَا زَالَ بَيْتُ اللَّهِ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ تَذُبُّونَ عَنْهُ بِالْمُهَنْدَةِ الْبُثْرِ
الكعبة بين بيوتكم وتذبون عنها، تدافعون عنها، بالمهنة البثر، بالسيف القاطعة

سَقَيْتُمْ وَأَطْعَمْتُمْ وَمَا زَالَ فَضْلُكُمْ عَلَى غَيْرِكُمْ فَضْلَ الْوَفَاءِ عَلَى الْغَدْرِ
سقيتم وأطعتم، لكم السقاية والرفادة للحجيج، وفضلكم على غيركم مطلق كفضل الوفاء على الغدر

وَجُوهُ بَنِي الْعَبَّاسِ لِلْمَلِكِ زِينَةٌ كَمَا زِينَتِ الْأَفْلَاقُ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرُ
وَلَا يَسْتَهْلُ الْمَلِكُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وَهَلْ تَرْجِعُ الْأَيَّامُ إِلَّا إِلَى الشَّهْرِ
يستهل : يبدأ

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

٣٥	والتَّوْحِيدَا	٢١	والبُلُوَى
٣٤	وإِيرَادَا	٢٢	الشتَاءِ
٣٣	شَدِيدُ	١٩	القَضَاءِ
١٠	يُعَمِّدُ	٩	عُلَوَائِهَا
٥٥	الحَمْدِ	٢٨	وَتُرْكِبَا
٣٦	بِوَسَادِ	٢٦	المُذْنَبِ
٨	عِيدِ	٢٤	وَيَتَجَبُّ
١٢	جَدِيدُهَا	٢٥	يَرِبُّ
١٤	هُجُودُهَا	٣٠	المَرَكَبِ
٥	الْأَزْهَرُ	٢٩	مُنْقَلَبِ
٣٩	الْفِرَارُ	٢٧	وَالْخُطْبِ
٢٠	الكَبِيرُ	٢٨	يُرَكَّبِ
٣٧	تُنَكَّرُ	٣	ذَنْبِكَ
١٧	جَعْفَرُ	٧	عَوَاقِبِهَا
٣٨	يَسْتَرُّ	٣٢	بَيْتِ
٥٦	أَدْرِي	٣١	مُتَابَعَاتِ
٢٣	مَنْصُورِ	١٥	وَجَارِحُهُ
٦	بِأَثَارِهَا	١٨	أُبْعَدَا

٤٣	وَتَعْدِلُ	٢	النَّفُوسُ
١٣	الْمُقَصِّلِ	١١	عُمْضًا
٤٩	سَبِيلِ	٤٠	صَنَعًا
٥٠	سَلِيمٍ	٤١	اعْتِسَافٍ
٤	عَرَمَرَمًا	٤٢	الْمَمَالِيكِ
٥١	الْأَيَّامِ	٤٨	مَجْهُولًا
١	اللَّثَامِ	٤٦	الْبَاطِلُ
٥٢	سَكَنِ	١٦	حَالُ
٥٣	وَدِينِ	٤٧	سَبِيلُ
٥٤	وَلَيْلَتَيْنِ	٤٤	قَائِلُ
		٤٥	مُتَطَاوِلُ

أبو تمام (١٨٨هـ - ٢٣٢هـ)

أيها القارئ، بعد عشرة أيام تنقضي سنة ١٤٣٢ هجرية. فهل سمعت أحداً احتفل في هذه السنة بمرور ألف ومئتي عام على وفاة أبي تمام؟ أنا وأنت فقط. (كُتبت هذه المقدمة للمختار من شعر أبي تمام عام ٢٠١١).

ستجد - إن فتشت - من يقدّم أبا تمام، حبيب بن أوس الطائي، على كل شعراء العرب، وستجد من يجعله ثانياً أو ثالثاً أو رابعاً. وستجد من ينفي عنه التقدم في الشعر ويلصق به الحكمة، لكن الإجماع يكاد ينعقد على أنه من أهم شعراء العرب، وعلى أنه الشاعر المحترف الذي اكتمل على يديه تحول الشعر إلى صناعة؛ وفي هذا من القدح ما فيه، فأبو تمام - أكثر من المتنبي والبحتري وابن الرومي - هو المسطرة التي ظل شعراء العرب يقصّون عليها أشعارهم ألفاً ومئة سنة.

أقدم إليك فصلاً ضافياً يضم أكثر من مجرد مختارات من أشعار أبي تمام. في كتابي هذا أرحلُ معك في شعر أبي تمام، ونخوض فيه خوفاً.

طُبِعَ ديوان أبي تمام مرات كثيرة، وشرحه في القديم والحديث شراح كثير. وبلغ بكل أولئك الناسخين والشارحين الكسل أن لم يتزحزح أي منهم - فيما أعرف - عن الترتيب الذي وضعه الصولي للأشعار. كما لم يكلف أي منهم نفسه عناء شرح الديوان شرحاً يحسن أن نسميه شرحاً، إن هي إلا نتف من التعقيبات المتفرقة.

ولأن شعر أبي تمام أصعب شعر، وأعقد شعر، وأغمض شعر، ففي وسعك القول إن ديوان أبي تمام بقي مغلقاً. وما صنعته هنا أنني اخترت أطايب الديوان، وصنفت ما اخترته تصنيفاً يسير مع مراحل حياة الشاعر، وشرحت

الآيات شرحاً وافياً سهلاً، واضحاً شرح كل بيت تحته. وجعلت كلمات الشرح تسير بموازاة كلمات البيت، حتى لو رَكِبْتُ في سبيل ذلك الركابة، ووقفت عند كل كلمة صعبة مفسراً معناها بمرادف وضعته بين قوسين.

لماذا أبو تمام في ربيع طويل؟

بدأت أخط هذه المقدمة فور فراغي من اختيار ألف وميتين وثمانية وستين بيتاً من ديوان أبي تمام، فكنت أكتب الفقرة بعد الفقرة، وأنا في هذه الأثناء عاكف على ما اخترته من أبيات، أشكلها وأضبط نهاياتها حتى تستقيم على وجه الورقة بلا اعوجاج، ثم أشرحها.

ثم إذا بالربيع العربي يربط أيدينا جميعاً، ويجعلنا غير قادرين على التركيز في شيء سواه.

انقطعْتُ عن المقدمة نحو سنة، شهدت فيها ثورتَي تونس (قد يصلح يوم ١٤ يناير/جانفي ٢٠١١ يوم ذكرى لها)، ومصر التي جعلوا يوم بدئها (٢٥ يناير ٢٠١١) يوماً مذكوراً. والتقطت القلم من جديد والثورات مشتتة في بلدان أخرى. وانتصرت ثورة ليبيا بثمن باهظ دفعه شعبها، وثمن مؤجل سيدفعه، وأنا أحاول أن أتخلص من هذه المقدمة ومن كل ما يتبعها سريعاً.

ستلاحظ في الفقرات المقبلة تخليطاً كثيراً، فهي مرآة لذهني الموزع بين عمل أرتزق منه، وهو عمل صحفي شديد الالتصاق بالثورات العربية، وبين أحلامي كرجل يتمنى لقومه من أهل هذه البلاد العربية مستقبلاً أفضل.

عجزت عن التفكير في أبي تمام، وفي هذا الشعر العتيق المصنوع المفبرك، المحبوك حبكاً، والمقدم في رفاع الذل لنيل ذهب الخلفاء والولاة.

رأيت أبناء الوطن العربي يتقاربون، ورأيت وسائل الإعلام الأجنبية تذكر مصطلح «العالم العربي» بعد دهر مضى عليها وهي لا تقول إلا «الشرق الأوسط». ورأيت مراسلي الفضائيات يفزعون إلى ما درسوه في المدارس من شعر قديم يستشهدونه على ما يمر من أحداث جسام.

وآخر بيت سمعته استعمله المراسل كي يصم وفود المحاورين الذين يلتقي بهم أولو الأمر في مصر بأنهم لا يمثلون الجماهير الشابة المتظاهرة، قال المراسل: (وكلُّ يدَّعي وصلاً بليلى/وليلي لا تُقرُّ لهم بذكا). ويبدو على هذا

البيت أنه من أبيات العصر الباهت في الشعر العربي، العصر الذي جاء بعد انهيار الشعر، وانتثار عقد الدولة العربية الإسلامية.

رأيت نفسي أعود إلى أبي تمام.

نحن نستعذب فكرة أننا أصحاب إرث قديم. نجد في حلوقنا لذة إذ نستشهد بيت عتيق.

وانظرُ إلى شعر أبي تمام، على كل ما ذكرناه عنه من أنه مصنوع محبوبك مفبرك إلخ، ألا ترى شباباً وفتيات يقولون كلما حنُّوا إلى حب قديم: (نقل فؤادك حيث شئت من الهوى/ ما الحب إلا للحبيب الأول)؟
فهذا لأبي تمام.

وللرجل نظرات في الحياة وفي اليأس والرجاء وفي الشقاء والكدر وضعها في أبيات تفتح القلب، وإن له لشخصية متميزة.
ما نحتاج إليه ليس أن نطلق تراثنا بالثلاث، بل أن نضعه في مكانه. وألا نخيل أنه معوق للنهوض والتنمية.

يقولون للضيف عندنا إذا شبع من الطعام، ثم جاءت الكنافة فأراد أن يرفع يده عنها: «كلُّ عيشٍ لَهُ كُرَيْش». أي أن لكل لون من الطعام معدة خاصة به، فإذا امتلأت معدة الهريسة والكشري والمقلوبة، ظلت معدة الكنافة فارغة تنتظر حصتها.

ولعل موقفاً كهذا من التراث أن يكون معقولاً: لنفرغ مئة بالمئة من طاقتنا للعلم، ولنلتق بكل أصناف الروحانيات في معدة أخرى من معد عقولنا. وهذا شبيه بالطفل نظنه غير قادر على تعلُّم لغتين في آن معاً، ثم نُفاجأ بأنه قادر على تعلم لغات عديدة معاً دون أن تُدخل إحداها «الضيف على الأخرى» كما قال الجاحظ.

على أنني لا أدعو إلى إحياء الشعر العمودي كي يهزم القوالب الشعرية الجديدة، ولست أدعو إلى القديم دون الجديد. فقط أريده حاضراً في مدارسنا حضوراً جميلاً، وقليلًا.

ومدارسنا تحتفل بالشعر القديم مثلما احتفلت حكوماتنا عبر إعلامها الرسمي بأخبار القضية الفلسطينية: كلمة حق أريد بها باطل. وإليك التفصيل:

كي تتجنب كل دولة من الدول العربية اشتغال وسائل الإعلام الرسمية فيها بإخفاقاتها الداخلية - من فقر وفساد وخضوع لإملاءات صندوق النقد الدولي، ومن ديون، وتدمير للاستثمارات الاستراتيجية كالصناعة والزراعة لصالح استثمارات خدمية كالقرى السياحية - درجت على تخصيص مساحة واسعة للقضية الفلسطينية يتم فيها توجيه سيل من الشتائم إلى إسرائيل. فهذه الطريقة تحرف تلك الأنظمة الأنظار عما يجري محلياً، وتضرب عصفاً آخر بهذا الحجر إذ تستعيز عن اتخاذ مواقف حقيقية من القضية الفلسطينية بالشتم والاستنكار.

ومؤلفو المناهج الدراسية الرسميون، القابضون مرتباتهم من وزارة المعارف، يكثر من الشعر القديم في الكتب المدرسية كي يطغى على الأدب الجديد، فهم من جهة قوم محافظون لا يحترمون الشعر الجديد، وهم من جهة أخرى يسايرون الأنظمة التي لا تحب الأدب الجديد الجريء. وفي بعض الدول العربية - بل عليّ أن أعمم وأقول في كل الدول العربية - يعمد مؤلفو مناهج اللغة العربية والأدب العربي إلى أشعار عمودية ضعيفة لشعائير معاصرين، أشعار ضعيفة في المبنى والمعنى صاغها ناسٌ أطفالٌ فكرياً، بعضهم ضعيف في عربيته لا يقيم الوزن إلا بارتكاب كل الجوازات، ثم يستر ضعفه وركاكته بكلمات صعبة ينزعها من بطن القاموس نزعاً فتبدو في قصيدته بشعة كأنها العجوز الدرديس في «الكوفي شوب»، وبعضهم إمعة في عقله وفي سلوكه يقول الرأي وهو يتلفت يميناً وشمالاً، ومعظمهم يجمع الركاقة والفهاة إلى الضحالة والتفاهة؛ وقد يدرك مؤلفو الكتب المدرسية، وقلما يدركون، أن هذا الشعر العمودي المعاصر ضعيف، ولكنهم سعداء بأنه يؤدي رسالة تربوية: فهو شعر ديني، أو اجتماعي، يحض على التقوى أو على تماسك الأسرة؛ يعمدون إليه فيملأون به كتب المدارس.

لست أشك طرفة عين في أن الوطن العربي محتاج إلى نهضة كبيرة وحقيقية. نهضة في الصناعة وفي الزراعة؛ ونهضة في مكافحة الأمية، ونهضة في الثقافة العالية؛ وأعني بها توسيع النخب لكي يكون في كل بلد آلاف المستنيرين الواقعيين القادرين على قراءة جداول الإحصاءات قراءة صحيحة، والمندمجين مع الدنيا في معارفها، والشاعرين بضرورة البحث عن مصادر بديلة للطاقة، والمطلعين على التطور العلمي والتقني في العالم، هذا بالإضافة إلى

تخصصاتهم، إذ قد تجد أحد أفراد هذه النخب عاملاً أو طبيباً أو معلماً أو ربة منزل أو نقابياً أو محامياً. فما أكثر المتخصصين في بلادنا وما أقل المثقفين الأحرار. تجد الواحد منهم طبيباً بارعاً في تخصصه، وتناقشه في سياسة أو في أدب أو في فكر فتراه مرعوباً بفعل دوغمات استقرت في عقله. والأدب معول ثقافي مهم، يهدم طبقات الكلس المترسبة في العقول، ويفتح الطريق للأكسجين.

المطلوب في البلدان الناطقة بالعربية أن تتعب كثيراً لتنهض نهضة عاقلة. فأما النهضة المباركة التي شهدها الوطن العربي في أوائل القرن العشرين، بعد انتهاء الحكم العثماني فكانت ضعيفة؛ وأما نهضته في الأربعينات والخمسينات بعد التخلص من الشكل المباشر للاستعمار فكان فيها من العواطف أضعاف ما فيها من عناصر النهوض الحقيقية، وهي مباركة أيضاً. لكننا مللنا من النهضات المباركة، ونريد نهضة «غير مباركة»، نريد نهضة طويلة النفس.

وماذا يصنع أبو تمام هنا؟

لا شيء متميزاً. لا أبو تمام، ولا البحتري. هذا كله ترف يرافق النهضات، وهو من لوازم الحضارة. الناس في كل الدنيا يدرسون تراثهم القديم لمجرد التسلية في الغالب. لست أزعم لك أن مئات الكتب التي صدرت ولا تزال تصدر عن شكسبير تؤثر في الصناعة الحاسوبية في بلاد الإنجليز. ولكنني أؤكد أن كل إنجليزي يحفظ من شكسبير عشرات الأبيات، وأن صحافتهم تستعمل شكسبير يومياً في التعبير عن عواطف ومواقف شتى. وفي انتفاضة مصر الحاضرة سمعت مراسلة تستعمل بيت أبي الطيب المتنبي: «نامت نواطير مصر عن ثعالبها/ فقد بشمن وما تفنى العناقيد». (كنت ظننت الثعلب لا يأكل إلا الدجاج، ثم كشفت في «غوغل» فإذا هو يأكل كل أنواع الفواكه مع تفضيله للحم).

يزعجني أنني عاكف على الكتابة عن أبي تمام وشعره. أريد أن أكتب عن التنمية في الوطن العربي، وأن أستكشف الطرق المفصلة إلى تقوية مثل هذه التنمية. ولكن هذا قد لا يكون مفيداً جداً لأنني غير متخصص في شيء.

لذا أكمل كتابتي عن أبي تمام.

ما زال العالم العربي مشتتلاً: ليبيا قتلت القذافي، وفي جوفها رجل

يغلي بالتناقضات، واليمن يحاول جاهداً بدء حربه الأهلية، أو منعها - الأمر يعتمد على المكان الذي تنظر منه إلى الوضع -، وسوريا تستولي على مقدمة نشرات الأخبار منذ أزيد من ستة أشهر وقد وصل عدد قتلى الأحداث فيها إلى ثلاثة آلاف، والبحرين غير هادئة، ولا الأردن، ولا المغرب، وفي مصر يستمر التوتر بين المجلس العسكري وشباب الثورة والإخوان المسلمين، والتيارات الليبرالية الضعيفة. وتونس أجرت انتخابات جمعيتها التأسيسية وفاز إسلاميو حركة النهضة بأكثر من أربعين في المئة، وهي مرشحة أكثر من غيرها للسير على طريق الاستقرار.

والسودان الذي فقد ثلث أرضه في مطلع العام يعيش قلقاً في الثلثين الباقيين، ويعالج مسائل جديدة قد تؤدي إلى ما ينسبه حروبه الجنوبية التي امتدت عقوداً. والصومال مر بمجاعة كبيرة في الصيف. والجزائر هادئة، كأنما لأنها دفعت الفاتورة في حرب أهلية بشعة في التسعينات، والعراق ما زال منذ ثماني سنين يدفع فاتورة تاريخه الطويل، ودول الخليج ترتجف.

وأبو تمام؟

هو شاعر البلاط الذي لبس قناعاً طول عمره. لا أدعوك إلى تقييمه لا فكرياً ولا خلقياً، فصاحبنا كتلة من الكذب في مواقفه. لا أعرف شاعراً ذكر كلمة «الإسلام» أكثر منه، ولم يكن مؤمناً ولا تقياً ولا مصلحاً ولا صواماً، وأغلب الظن أن تحوله عن النصرانية كان تحولاً نفعياً بحتاً. كان كتلة من الكذب في شعره: وإلا فماذا تسمي هذا الإغراق في الصناعة؟

كان مستجدياً أبشع استجداء، يمدح بأبيات يلصق فيها خده بالتراب كي يداس، ثم في آخر القصيدة يطلب المال بقحة، فإذا لم يعط مალأ عاتب كالمومس المقتضية، ثم يأتي الهجاء. يا لاشمزازي منه وهو يراوح بين المدح والوعيد! يا لقرفي منه وهو يذكر السبايا ويتلمظ تلمظ المغتصب.

لكنه إنسان: سافل، نعم، (والأفضل كلمة ضيع)، وشيق إلى المال والشهرة، وفنان. وما بالنا نمضي في هذا الهذر. ألا نفعل مثلما فعل الأقدمون فنقيم الشعر تقييماً فنياً، وننسى كل الاعتبارات الأخلاقية؟

نعم، يحسن بنا أن نفعل. ولأننا نفعل، نكتب عن أبي تمام، وندرس شعره.

الشاعر ذو الأسلوب الملتوي

أساير لك أبا تمام، أمشي معه في النظم كلمة فكلمة. أذهب معه إلى مكان الجريمة، وأطلب إليه تمثيلها.

كيف لي أن أفهم أصعب وألغز شاعر عربي دون اللجوء إلى أدوات كهذه.

فأما الشارحون القدامى فلا كبيرَ تعويل عليهم: التبريزي جاء ببعض ما يُحسن من تحليل نحوي، وعدا في الشرح على كثير مما سبقه إليه المرزوقي. والصولي أفادنا في مناسبات القصائد مستفيداً من المعاصرة. والشارح المحدثون استناموا إلى السرقة من القدامى. ولئن كان القديم يسرق ذكياً، إذ إن كتابه لن يُنسخ إلا بضع عشرات من النسخ، وقد يموت الشارح ولما يكتشف أحد سرقاته، فإن المحدثين يسرقون أغبياء وهم يرون الكتب التي سرقوا منها مطبوعة ومنشورة بأيدي الناس.

هؤلاء الشراح المحدثون قوم اشتروا شهادات جامعية، نالوا بها وظائف جامعية تقوتهم وتدفع الجوع عن أولادهم، ثم ألحت عليهم شهوة أن يظهروا أمام تلامذتهم بمظهر المؤلفين الذين يضعون أسماءهم مسبوقة بحرف الدال على أغلفة الكتب، فشرحوا أشعار القدماء سارقين، غير مفكرين كبير تفكير في معاني الشعر.

لم نعثر على شرح معاصر لأبي تمام ينقع الغلة، وينفي العلة. فعبد السلام هارون شرح همزيات أبي تمام فقط في ستين صفحة، ورغم علو كعبه في فهم الشعر واللغة القديمة فلم يقدم نموذجاً في شرحه. ذلك أن أبا تمام شاعر قديم ذو طرائق في التعبير مختلفة عن طرائق القدماء. وبطرس البستاني شرح مقاطع قليلة من قصائد قليلة. وههنا موضع التنويه بهذا المتأدب الذواقة ذي الحس الجميل العميق. كنت أتمنى لو ترك «مدرسة الحكمة»، وترك طلابه، وتفرغ لدواوين الشعراء، فهو نافذ الفهم، صادق، جميل العبارة في شرحه. وقد عثرت على شرح للبناني آخر هو ملحم إبراهيم الأسود، ظفرت بالجزء الأول من شرحه لديوان أبي تمام وهو مطبوع سنة ١٩٢٨، ولعله لم يُصدر سوى نصف الديوان لأن عمر فروخ في ثبوت المراجع (في «تاريخ الأدب العربي») لا يذكر سوى الجزء الأول لشرح الأسود. على أنه أفضل من شروح الدكاترة الذين تدفقوا علينا في الزمن الأخير. كان ملحم الأسود صادقاً ومجتهداً: أخذ عن قدماء الشارحين، وأي ضير في ذلك، لكنه لم ينسخ نسخاً غيباً.

ولإيليا الحاوي كتاب طريف اسمه «أبو تمام: فنه ونفسيته وشعره»، طرافته أنه يقع في ستمئة وخمسين صفحة، وأنه كان يمكن أن يكون مئة صفحة. ولو أنفق الحاوي شطر جهده في هذا الكتاب في شرح الديوان شرحاً وافياً عوضاً عن ذلك الشرح الذي نشره في كتاب آخر وحشر فيه كل غلطة مطبعية ممكنة وملاه بـ «عدم الشرح» - أقصد بتجنب الأماكن الوعرة، والاكتفاء بإعطاء المعنى العام - لكان أدى لديوان أبي تمام خدمة جليلة. لكن كتابه الأول ممتع؛ أحبت فيه حماسة المؤلف الشديدة وهو يدافع عن أبي تمام وحداثته. وأحببت لغة الكاتب وجراته.

جملة القول أن ديوان أبي تمام بحاجة إلى شرح جديد كامل.

أعود إلى شرح التبريزي المشهور الذي طبعه محمد عبده عزام سنة إحدى وخمسين. لقد قرأت شعر أبي تمام أول ما قرأته بهذا الشرح. وكانت قراءتي تلك في لندن، واستعرت الشرح جزءاً بعد جزء من مكتبة «مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية» التي كان عزام يعمل بها وقت إصداره تحقيق شرح التبريزي. ولعل تلك النسخة التي استعرتها هي عين النسخة التي قدمها عزام إلى المكتبة. فأما عمله كمحقق فهو في النهاية من الجودة، وأما ما أضافه إلى التبريزي فيكاد يكون عدماً. ولا نطالب المحقق بأن يزيد في الشرح؛ حسبه أن يحقق وأن يدقق، وفي هذا من النصب ما حدثنا أهل التحقيق عنه كثيراً.

والتبريزي في شروحه المختلفة (الحماسة وديوان أبي تمام والمفضليات والمعلقات الخ) تخطف بصره النكت النحوية، وهو يهبط من سماء القصيدة إلى أفق البيت، ثم ينحط إلى دركة اللفظة. فيشرح شرحاً لغوياً فيه نفع، وفيه زيغ. على أنه في شرحه لديوان أبي تمام زاد واحدة: فهو يشرح بيتاً ويترك أبياتاً، ويشرح واضحاً ويدع غامضاً، فكأنه من شراحنا المعاصرين.

ولم أر شرح الصولي أنفع من شرح التبريزي، فهو مجتزأ. بدأه صاحبه نشاطاً يشرح من القصيدة أبياتاً كثيرة، لكنه بعد بضع قصائد فتر وأصبح يشرح بيتاً هنا وبيتاً هناك. وإذا صلح هذا مع بعض الشعراء فلا كذلك مع أبي تمام. أبو تمام اللغز فقير إلى شرح مستفيض.

ما كان أحوجنا إلى شرح من أبي العلاء لأبي تمام. وقد وصلتنا بعض آراء أبي العلاء من تلميذه التبريزي، ومن شذرات في كتابه «ذكرى حبيب».

وأحسن من شرح أبا تمام الأعلام الشَّتَمَرِيّ. وعندما قرأت شرحه المطبوع في المغرب في جزأين (ط ١: ٢٠٠٤) رأيته منكباً على المعنى تاركاً النكت البلاغية والنحوية. فما أشبه طريقته بما ارتضيناه لأنفسنا. على أن الأعلام الشتَمري صنع صنيع كل شراح أبي تمام القدامى، فبدأ شرحه نشاطاً يأخذ كل بيت وحده، ولم يتجاوز بضع عشرات من الصفحات حتى أخذ يلخص الثلاثة الأبيات والأربعة والخمسة تلخيصاً. ونسخة الشتَمري من الديوان ناقصة نقصاً كبيراً، ويقول طابع الشرح إنها تستند إلى نسخة الإفليلي المستندة إلى قراطيس كتبها أبو تمام بخطه وجلبها أبو علي القالي إلى الأندلس مضيفاً إليها ما رواه عن ابن درستويه. على أننا تعقبنا رواية هذا الشرح للأبيات التي وقع خلاف في بعض كلماتها فيها فلم نجدها أفضل مما ورد في الشروح المشرقية.

كنت أتمنى، وقد كتبت ما كتبت أعلاه، أن أشمر لشرح ديوان أبي تمام كاملاً. لكنني - أنا الناعي على الكسالى كسلهم، وعلى الجهلة جهلهم - لا أملك ما يكفي من الوقت، ولا ما يكفي من العلم ولا أي قدر من الدربة في علاج المخطوطات لكي أتصدى لهذا الأمر. أنا رجل أحب الشعر وأختار منه الرائق المدهش، وأشرح ما أختار، وحسب. ولأنني ملأت عقلي بمعلومات كثيرة غير نافعة في مجال اللغة القديمة والشعر القديم لم يبق في ذاكرتي حيز كاف؛ ولأنني لحقت لقمتي في ميادين الصحافة عشرات السنين، ولأنني قليل الصبر، تجدني ناقص الأداة مضطراً إلى القواميس والشروح القديمة أتكى عليها جميعاً. وتجدني أصطنع أداة أخرى أحسبها طريفة لفهم الشعر القديم:

أساير الشاعر: أسير معه منذ ما قبل النظم إلى ما بعد تمام التحكيك. أراه فوق ناقته قاصداً الممدوح. وأراه يفكر في المعاني، وأشهد جبريله يلقنه أبعاض أبيات، وأشاهده مغمض العينين رافعاً رأسه إلى أعلى كفرخ حمامة أعمى يريد أن يلتقط كل إلهامٍ تسقط عليه من السماء فيلبسها كلمات. وأدخل في عقله، وأجاده في كل كلمة يختارها، وأفهم عنه لماذا أثرها على سواها. وأراه صاغ البيت وارتضى له قافية. كل هذا يحدث وأنا أقرأ القصيدة. ثم أكر كرة أخرى فأنفي من القصيدة أبياتاً كثيرة هي كلام. وأستخرج الأبيات التي هي شعر. ثم أسعى في الربط ما بين الأبيات التي هي شعر، فأضطر إلى اقتباس أبيات كلامية هنا وهناك حتى تستقيم القصيدة. ثم أعود لأستذكر رحلتي مع الشاعر وهو ينظم ويستلهم. وأشرح شعره بكلام أقصد أن يكون مفهوماً لقارئ

القرن الحادي والعشرين. وقد أخالف القدماء في شرحهم. فأما إذا كان الشارح شاعراً فذاً - وهذا نادر جداً ولم يقع لي غير مرة واحدة - فلسن أخالفه.

هذه المرة كانت مع أبي العلاء المعري. فقد شرح المعري شعر المتنبي. ومن حسن حظ الأدب أن شرح المعري وصلنا. وقد شكك بعض النقاد في نسبة هذا الشرح إلى المعري بعض تشكيك. وها أنا أقول لهم: دعكم من كل هذا. دعكم من مقارنة النسخ الخطية، وحشد الحجج، واقرأوا شرح المعري للمتنبي تروه شرح رجل يعرف الشعر. ولا أتذكر أنني خالفت المعري في شرحه على المتنبي (وهو شرح كامل لكل بيت) إلا في بيت واحد زعمت لنفسي ولقرائي أنه شرحه متسرعاً. وذلك البيت هو:

إن التي سفكت دمي بجفونها لم تدر أن دمي الذي تتقلد

وكنت كتبت عن المتنبي، وفي سياق شرحي لذلك البيت قلت إن الشروح الستة لديوان المتنبي التي كنت فارشها أمامي قد أساءت فهم البيت.

وأعود بك إلى أبي تمام

أعود إلى بيت اضطرب فيه الشارحون. وأبين لك طريقتي في الفهم وفي الشرح.

يصف أبو تمام غيمة مدرارة وأرضاً عطشى:

(ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب)

تلبدت السماء بالغيوم، ورأى أبو تمام غيمة عظيمة أخذت تسخّ سحاً؛ مطر جاء في غير أوانه، وقد عم الجفاف واقشعر وجه التراب يبساً. قال أبو تمام «ديمة» والديمة هي الغيمة التي «يدوم» مطرها. وقال «سمحة القياد» يريد أن يصف الغيمة بالسماحة والكرم (والسمح من الرجال هو الذي يسمح بماله): إنها غيمة سلسة. نعم هي سلسلة سلاسة عجيبة في إدرار المطر، ولكن كلمة «القياد» جاءت فوراً بعد «سمحة»، فالغيمة «سمحة القياد»، إنها مأمورة بقائد هو الريح. والغيمة سكوب تسكب المطر. والثرى المكروب من الجفاف مستغيث بهذه الغيمة. يرى أبو تمام في ذهنه صورة التراب الجاف وقد ارتفعت منه يدان تستغيثان، وتطلبان المطر.

(ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب)

الثرى يريد أكبر قدر ممكن من الماء من هذه الغيمة العابرة التي جاءت في
أوان الجفاف. الثرى مقيم في مكانه لا يستطيع أن يسير ويلحق هذه الغيمة التي
نسح وهي ماشية ومنصرفه عنه.

ثم يأتي البيت الثاني (وهو موطن الشاهد):

(لو سعت بقعة لإعظام نعمى لسعى نحوها المكان الجديب)

يقول أبو تمام: لو أن بقعة أرض تستطيع المشي لإدامة نعمة المطر
وإعظامها (الاستكثار منها) لخف المكان الجديب الجاف وركض مع الغمامة
سائراً تحتها أنى توجهت.
انتهى شرحنا.

ونظرت في ما شئت من الكتب التي اقتبست هذه الأبيات، والأبيات
مشهورة، ورأيت أن الذين شرحوا هذا البيت الثاني قليلون، وأن كل من شرحه
جعل كلمة الإعظام تعني (التبجيل). فالأرض العطشى تريد أن تمشي مع الغيمة
لكي «تبجلها» حسبما يريدون.

ولست أرى ذلك. بل أرى أن كلمة (إعظام) تعني التكثير والازدياد.

فأما إن قلت لي إن البحري عندما سرق هذا المعنى جعل المنبر يسير
باتجاه الخليفة اشتياقاً، وإن قلت لي إن البلاذري الذي سرق معنى البحري
جعل البُرد يظن ما ظنه تبجيلاً، فهذا كله لا يجعل سير الثرى عند أبي تمام
بغرض التبجيل. لا، ولا أقول إن البحري أساء فهم بيت أبي تمام. بل لعله
فهمه كما فهمته، وسرقه ومال به إلى معنى التبجيل، فالشاعر يسرق روح المعنى
لا تفاصيله.

ولي في هذا السياق كلمة أخيرة: عندما ألتقي بأبي تمام في الحياة
الأخرى قد يقول لي: أنت واهم. عندئذ سأقول: كان هذا مبلغ اجتهادي.
لكن، من يدريك، فقد تلمع عينا شاعرنا، ويقول لي: يا صاح، قد والله
قصدت التبجيل، ولكنك أرشدتني إلى معنى أجمل وأقرب إلى سياق كلامي.

هاك حكايتين على هذا:

نظم شوقي لعبد الوهاب أغنية قال فيها عن البلبل:

مجروح من ساقه، ومن طوقه ما دري بالشوك من شوقه

فخلط عبد الوهاب بين القاف والكاف فجعلها (ما دري بالشوق من شوقه)
فصنف شوقي طرباً، وقال له: هذه أحلى. البلبل لشدة شوقه لم يدر بأنه
مشتاق، أبقيها كذلك. وهكذا سمعناها من عبد الوهاب.

والثانية:

كان شوقي يتمشى في «المنتزه» بالإسكندرية، وعبد الوهاب يحاول اللحاق
به، فشوقي يسير هائماً مسرعاً وهو ينظم. ثم وقف شوقي، وكان يعالج نظم
قصيدة يرثي بها حافظ إبراهيم، وقف وقال لعبد الوهاب: اسمع المطلع:

قد كنت أوتر أن تقول رثائي (يا منصف الأموات والأحياء)

فسكت عبد الوهاب. فأطرق شوقي. ثم قال: بل نجعلها: (يا منصف
الموتى من الأحياء). وهذه، ولا شك، أوقع وأجمل.

ماذا عن أبي تمام؟

قد شرحت لك في الأسطر السابقة أن الذي قادني إلى هذا الفهم لبيت
الديمة مسائرتي أبا تمام في تفكيره. ولا أزعم أنني فتحت فتحاً، فكل شارح
يصنع ذلك. كل شارح يحس بالمعنى ويفهمه، ثم يفصله. لكن رجلاً كأبي تمام
بحاجة إلى أن تتيقظ معه، فهو قين لغة، وصيقل معان، وهو من عبید الشعر
الذين لا ينفع معهم أن تلّمح معنى البيت لمحاً، وتمضي في تسطير شرحه.

مرهق هذا الشاعر، وقد عبده القدماء. وقضوا بضع مئات من السنين
يفضلونه على المتنبي. وبضع مئات أخرى - بعد أن غدا المتنبي قديماً بما يكفي
لنيل شرف التقديم - متحيرين أي الشعارين أسبق. وجاء العصر الحديث ففضل
ناسة المتنبي لأنه ناثر، وكان العرب في النصف الأول من القرن العشرين ناثرين
يظنون أنفسهم على أعتاب نهضة كبيرة فعبدوا أبا الطيب، وأطاحوا بأبي تمام
عن عرش الشعر. ثم جاء الحداثيون، ورأوا في غرابة أبي تمام شيئاً، رأوا
كلماته المثقلة بالمعاني الظاهرة والباطنة، رأوا الكلمة عند أبي تمام تشع
بالمعاني، وأطياف المعاني، وتحتمل الكثير من التفسيرات. أعجبهم أن كلمته
باب صغير وراءه دهليز، ووراء الدهليز دهاليز. وانشغلوا به. وتعلموا من النقاد
الفرنسيين (ولا أتكلم على إيليا الحاوي وحده) أن الشعر ليس فقط الصرخة

النابعة من القلب، بل هو أيضاً الشعور الهادئ المستكن في العقل، فأعادوا إلى أبي تمام الاعتبار.

هذا شاعر العقل، شاعر العبارة الذكية. شاعرٌ يحب أن يلعب باللغة وبالمعاني، ويلهو بالمحسنات، وهو الأستاذ الحقيقي للمتنبي.

قال المتنبي لجلسائه عند الوزير المهلبى (فيما روي لنا): مَنْ أبو تمامكم هذا؟ قالها إنكاراً لا استنكاراً، وهذا أسخف. هو ينكر أنه يعرف أبا تمام! قدك يا أبا الطيب! والله لنشم ريح أبي تمام في كل قصيدة قلتها.

فأما أن أبا تمام أستاذ البحترى فهذه معروفة. طريقة البحترى غير طريقة أبي تمام. البحترى سرق خمسمئة بيت من أبي تمام (كيلاً نغضب صاحب «الموازنة» المؤثر للبحترى نجعلها مئة فقط، وفي هذا كفاية)، ولكنه صاحب ديباجة حلوة سلسة. وليس له من التفكيك والتركيب ما لأستاذه. وأحسن شيخ المعرفة في قوله «إن أبا تمام والمتنبي حكيمان، والشاعر: البحترى». ونُلحقه هو بالحكيم. كل شعرائنا حكماء، وكلهم سفهاء. ولا أدري أيوجد شعر لا يكثر تردده بين السفاهة والحكمة!

أكتب هذا الكلام بعد أن قرأت أبا تمام، سوى قراءة لندن الأولى تلك قبل عشرين سنة، قراءات أخرى في شروح وكتب أخرى، وبعد أن عشت معه في حارة دمشقية، وفي دكان حائك، وسعيت معه في طرقات الفسطاط وقعدت معه في ناحية من جامع عمرو، وقرأت معه شيئاً من كتب اللغة التي كانت ترد مصر في ذلك الزمن من بغداد، أو التي كان يكتبها علماء مصر، ورافقته على ناقته العجفاء متنقلاً بين ممدوحيه. ورأيت رجلاً سفير، فقد الإحساس الذي يحسه معظم الناس بالمكان، واهتزت الأرض تحت قدميه، وصار المكان بالنسبة إليه موقعاً افتراضياً.

أبو تمام نفسه شخصية افتراضية

كان أبو تمام يعيش في «سكند لايف» على هيئة ما. ونراه يحذر أحد ممدوحيه من منحه عقاراً، فهو يريد المال. لكنه كان يفرق المال تفريقاً على الناس. على أنه في ختام حياته طلب بريد الموصل فأعطيه. واستقر في الموصل سنتين، وصار له بها قبر. لست بحاجة إلى جهد كبير وأنت تلمس قلق المتنبي عند أبي تمام. هو قلق جداً، وجوبه الفيافي فيه سعي للمال، لكنه

ليس ذلك السعي الساذج الذي يحدثنا عنه أصحاب الكتب المدرسية عندما يقولون إن شاعرنا كان مداحة نواحة، يركض وراء الدرهم. لعل أبا تمام كان يجشم جسمه عناء الأسفار هارباً من السؤال الوجودي القبيح: ما مصيرنا؟ فصاحبنا لم ينعم باليقين، ولم يكن صاحب صلاة ولا صوم. ها هو المتنبي مرة أخرى يطل برأسه. وصاحبنا أبو تمام متعصب في شعره للإسلام تعصباً عجيباً. في تعصبه سياسة، وفيه إرغام الذات على ارتداء الانتماء الجديد.

ولا قبل لي بالمضي في هذا الحديث دون أن أحدد موقفاً من دين أبي تمام، وأشرح نصرانيته وإسلامه. وسيأتي ذلك.

استطراد

لكنني الآن أمضي في قلبي إنني أكتب هذا الكلام كله بعد قراءة الرجل وسيري معه، وبعد قراءتي ما كتبه الصولي والبديعي عنه في القديم، وما قاله ياقوت وغير ياقوت ممن نقل عن الكتب القديمة. وبعد قراءة مئات الصفحات مما كتبه الحداثيون عن الرجل. وبعد أن غسلت يدي مما كتبه بعض اللاهثين وراء التدكتر.

أهيب بك أن تقرأ شعر أبي تمام الذي اخترته لك، وأن تزلّ بعينك سطرأ لتنظر في شرحي عليه كلما نشطت لذلك، فلن أضن بما يعن لي من أفكار وتأويلات لمعاني شعره ومعاني حياته.

كان انتقاء أبيات من أبي تمام أمراً صعباً. ما أكثر ما أخذت أبياتاً جافة سقيمة كي أسند بها أبياتاً لامعة. وما أكثر ما اخترت أبياتاً ضعيفة لأن معارك نقدية عنيفة دارت حولها. قد تيسر لأبي تمام نقاد من أهل اللغة والنحو أعجبوا بأبيات لصعوبتها، أو أولعوا بها لتعقدها، فهي المرقاة التي يتخذونها لإبراز فحولتهم في ميادين اللغة والنحو. وهذه الميادين ليست ميادين الشعر.

وكل شعر أبي تمام مشهور معروف. ولأنه سرق كثيراً وسرق منه الكثير، فأبياته كلها موضع جدل في الكتب القديمة. ولكنني حاولت ألا أختار إلا ما يحتوي على شعر وخيال.

إذا أردت أن تطل على أجمل وأحلى ما قال الرجل من شعر فهذا على مبعدة صفحات منك، وأما إن كنت تريد درس عيوبه فلن تجد إلا قليلاً من الأبيات السخيفة هنا، اذهب إلى الآمدي صاحب الموازنة وستجده يطلق على

شعر أبي تمام - وعلى مدى ألف وخمسمئة صفحة - قطعاً من كلاب الصيد.

وستجد عندي بعض تعقيده وسخفه، ليس أنني قصدت إلى تضمين ذلك، بل هو مكثّر في الرديء إكثاراً، وهو يخلط الرديء بالجيد خلطاً عجيباً. ما أصدق البحتري عندما قال: «جيده خير من جيدي، ورديئي خير من رديئه».

حياة أبي تمام - المصادر

أبو تمام شخص افتراضي. مثل الذين تصادفهم في غرف الشات. يقول لك الواحد إنه رجل مهيب ذو شنب شنيب، ويكون في الواقع مرافقاً قريب عهد بالحليب.

نأخذ بقول الأب لويس شيخو أخذاً ذريعاً، فشيخو لا مصلحة كبيرة له في نسبة هذا المارق إلى المسيحية، لأنه ارتد عنها ارتداداً ونطق في شعره بالحط من قدر الصليب. والأب شيخو يغص بأقل من هذا. ونأخذ برواية هلموت ريتز في دائرة المعارف الإسلامية، فهو يلخص أقوال القدماء وينتخب منها. على أننا ألمان بما قال صاحب «الأغاني» وياقوت والبديعي صاحب «هبة الأيام» والصولي صاحب «أخبار أبي تمام»، وبأقوال من أخذوا عنهم من المحدثين (أقصد المحدثين الذين نحترم علمهم كعمر فروخ، وليس أولئك البائسين من غربان الجامعات النعّ).

نأخذ بذلك كله ثم نمضي في افتراضنا الذي لا يخرج في أي جزء من أجزائه عن أقوال القدماء والمحدثين. فنحن لا نزع من أننا وقعنا على مخطوط نادر، ولا أننا ضربنا في الرمل فعرّفنا ما لم يعرفه غيرنا. على أننا نستدرك: فدرسنا لشعر أبي تمام جعلنا نأخذ رواية ونترك رواية. وتلفيقنا لروايتنا من الروايات المتضاربة إنما يسنده، ويسد خلله، ما استقيناه من شعر الرجل من فهم لنفسيته. هذا بقدر ما تيسر لنا من فهم، ومن وقت.

حياة أبي تمام (١٨٨ - ٢٣٢)

نشأ أبو تمام ولداً مسيحياً في قرية جاسم بين دمشق وطبريا، في منطقة من هذا الشرق المعقد، هي أشد تعقيداً من سائرته. فعلى مقربة من هذا المكان انهمز الروم عند نهر اليرموك، وتبع فلولهم خالد بن الوليد حتى لحقوا بأسيا الصغرى (تركيا الحديثة)، وبقيت عائلات رومية في دمشق، وعلى الأخص في

قراها، فالناس الذين ترتبط حياتهم بالزراعة يفضلون البقاء في الأرض عند حدوث هزيمة عسكرية تغير وجه التاريخ والمجتمع كتلك الهزيمة؛ يفضلون أن يتأقلموا مع الأحكام الجدد، وقد يغفرون دينهم إذا استقر الوضع سنوات طويلة للحكام الجدد، أو إذا مارس هؤلاء الحكام الاضطهاد الديني. والحكام المسلمون آنذاك كانوا معنيين ببسط نفوذ الدولة الجديدة، ولم يضطهدوا الناس اضطهاداً دينياً بل ساروا فيهم سيرة غريبة على ذلك الزمن، إذ فرضوا ضريبة مقابل الإعفاء من الخدمة في الجيش، تلك هي الجزية، وأضيف إليها فيما بعد الخراج. ولكن، ظلت العائلات المسيحية على مسيحياتها، وحتى المسيحيون العرب (من تغلب وبكر وتنوخ) فالكثير منهم بقي على دينه في سوريا كلها. وكان في تلك المنطقة الوعرة جبالها، الخصبة سهولها، الواقعة بين دمشق وطبريا اختلاط عرقي وديني ساعد في المستقبل على استيطان حركات وعقائد أخرى.

كان تدوس النصراني شاباً متعثراً الحظ من شبان قرية جاسم، لا يملك أرضاً زراعية، بل يشتغل في مزارع الناس بالأجر. وكان كبير القرية من قبيلة طيء المشهورة. وقد اشترى من دمشق جارية سوداء نوبية، كان استرقها من استرقها وباعها من باعها صغيرة، ووصلت في قافلة إلى دمشق واشتراها كبير قرية جاسم، وأتى بها إلى بيته للخدمة. فإذا هي حادة المزاج حادة الذكاء، لكنها خرقاء لا تحسن عملاً. وعندما بلغت زوجها كبير القرية (ولعله كان نصرانياً) من تدوس النصراني بمهر ضئيل. فولدت له ولداً سماه «حبيباً»، اختار اسماً حبيباً إلى قلوب نصارى المنطقة، لكنه يجوز في المسلمين أيضاً. وولدت له «سهماً»، اختار له اسماً بعيداً عن الأسماء الرومية، كاسمه تدوس، لكنه ليس من الأسماء الإسلامية.

ونزح تدوس بأسرته إلى دمشق وعمل فيها في دكان خمار. لا، لم يملك حانة، فلو أنه ملك حانة لجعل ابنه حبيباً يساعده فيها. لكنه اشتغل عند خمار، وشغل حبيباً عند حائك. وعاش حبيب صباه في حارة دمشقية، وتعلم أن يكون محترساً، وأن يكون ابن سوق.

لكنه اشتعل حباً باللغة العربية حتى قبل الهجرة إلى دمشق. وما زال في تلك المنطقة بجنوب دمشق، التي قضى فيها أبو تمام طفولته، من ينطقون العربية أحلى نطق ويخرجون حروفها أجمل مخرج حتى يوم الناس هذا، بل في

تلك المنطقة قرى يقترب حديث أهلها في أيامنا هذه من الفصحى اقتراباً لا تجده في أي مكان في هذا العالم.

لم يعرف حبيب من لغة سوى العربية. وعشقها وهو يسمعها في حلقات المسجد الأموي، وكان لدمشق عراقة لم تكن لبغداد. فهي، وإن خملت وقبعت في الظل بعد بناء بغداد على يدي المنصور قبل خمسين سنة، ما زالت مدينة كبيرة. وسرى المتوكل بعد بضعة عقود يزورها مفكراً في اتخاذها عاصمة بدلاً من سامراء، غير أنه بدا له. كانت دمشق تحتزن تراث تسعين سنة هي عُمر الدولة الأموية، وتراث مئات السنين قبل الإسلام، إذ مرت بها حضارات عربية وسريانية ورومانية ويونانية تركت في نفوس أهلها تحضراً تتبدل اللغات ويبقى كامناً.

حبيب صبي أسمر داكن السمرة، اختلطت في سحنته ملامح أمه النوبية بملامح أبيه الرومي فإذا هو جائز في العرب بسحنته المحيرة. طويل نحيل، لا يهيم الطعام. حاد الذكاء قوي الحفظ، لا يدخل أذنيه بيت شعر ويخرج.

تعلم في دمشق أيضاً أن العرب هم الكبراء، وأن بقية الناس فعلة. ولعله سمع كثيراً عن نفوذ الفرس في بغداد، ولعله سمع أيضاً أن الخليفة العربي هارون الرشيد نكبهم نكبة كبرى قبل سنة أو ستين من ولادته. ثم إن عدداً من كبار قادة الجيوش هم من العرب: من طيء ومن شيبان ومن بكر بن وائل. والجو في الشام أعرب منه في العراق.

كان يرى أباه إذا سأله سائل: ممن الرجل؟ يقول: من طيء. وصار حبيب يقول للذات إنه من طيء. وصنع عمود نسب يصله بجذ القبيلة، صنعه على عجل فجاء ناقصاً ستة أجداد.

لم يكن الدين من همّ تدوس الأب، فلقمة العيش جعلته مسيحياً بالاسم فقط. ولم ينتبه الولد حبيب إلى أن الإنسان عندما يولد يجب أن يكون على دين معين. ترعرع في حارته الدمشقية ولدّاً طائياً، دينه الشعر العربي. انحفرت في ذاكرته لمزات بعض اللامزين في جاسم وهو صغير، ثم في دمشق. كان يعرف حق المعرفة أن أباه نصراني، وأن أمه جارية تربت في كنف طيء. لكنه لبس وجهاً من حجر قابل به العالم. فهو لا يتكلم إلا الفصحى، وإن فاتته حلاوة الصوت؛ إذ كان صوته أجش، وكانت في لسانه حبة.

كان واضحاً لحبيب أن اللغة والشعر مستقبله. فرأى دكان الحائك سجنًا، ورأى دمشق سجنًا. ولم يكن يعرف عن بغداد إلا أنها ذلك البلد البعيد. لكنه سمع عن مصر من أمه. لم تكن تتذكر حقاً عن مصر إلا خيالات وأطيافاً (فقد جاءت إلى الشام وهي في السادسة من عمرها)، لكنها عرفت من الناس أنها قادمة من بلد فيه نهر عظيم هو النيل، وفيه خير كثير، وليس فيه برودة جاسم ولا وعورة منطقتها، جعلوها ترسم لمصر في ذهنها صورة بديعة، نقلتها إلى ولدها.

وتيسرت قافلة ذات يوم، وكان صديق حبيب ذاهباً فيها، وأصر حبيب على الالتحاق بها زميلاً لصديقه على ناقته. وانتهى في الفسطاط. ورأى حلقات الدرس في جامع عمرو بن العاص عامرة، فتخلف عن القافلة وهي قافلة، وأقام يسقي الطلبة الماء مقابل جراية ضئيلة، أرغفة قليلة؛ ثلاث سنين وهو يسمع الدروس، وينتقل من حلقة إلى حلقة. وبدأ يقرزم، واتصل بعياش بن لهيعة أحد قادة الشرطة، فلم يعطه ما يرضيه، فعاتبه وألح عليه، ولكنه لم يحصل على ما كان يؤمل. أمضى على هذه الحال ثلاث سنوات يقرأ كتب الشعر، ويهاجي شعراء مصر قاعداً على باب عياش.

في مصر أتم أبو تمام خروجه من شخصيته الواقعية، ودخوله في شخصيته الافتراضية. وهو الآن عربي طائفي مسلم؛ وسنراه عما قليل شديد المحاماة عن دولة الإسلام. والإسلام بالنسبة إليه قومية أكثر مما هو دين.

بعد ست سنوات في مصر رجع حبيب إلى الشام شخصاً راسخاً في إطاره الجديد. واتخذ اللباس العربي، وتمسك به طول عمره، على ما في ذلك من غرابة في أسواق وقصور بغداد وسامراء وخراسان التي سیرتادها عما قليل. لكنه رجل انعقد منه العزم على أن يعيش حياته في جلد فضله لنفسه.

لم يمكث في دمشق، ولم يرد أن يمكث فيها وفي ذكرياتها التي تعيد إلى ذهنه جلده الأصلي، بل انطلق إلى حمص المزدهرة سياسياً وأدبياً، وزار شاعرها ديك الجن، وهو أسن منه بعشرين أو ثلاثين سنة، وعرض عليه شعره.

وديك الجن شاعر رقيق الدين وكانت له معرفة بأبي نواس، ولقي تقديرًا من دعبل، ودعبل أسن من ديك الجن بنحو عشر سنوات، ولكنه عاش طويلاً ليصبح خصماً لتلميذ ديك الجن أبي تمام.

في حمص تسلى أبو تمام بهجاء عياش بن لهيعة الموظف المصري بأبيات أجود كثيراً من أبياته القديمة في مدحه؛ لعله فضل ما بين الصدق والكذب.
كل ما مر عن حياة أبي تمام محض افتراء مني.

فلم أقرأ في أي مكان أن أمه نوبية، ولم أحقق أن أباه كان خماراً أم عطاراً، على أنني أستبعد أن يشتغل بالطبارة رجل قروي حديث عهد بالمدينة، فهذه مهنة تتعاطاها فيما أقدر أسرة راسخة القدم في حياة المدينة، فأنا أختار الرواية التي قالت إنه كان خماراً. ولم يقل لي أحد إن أبا تمام ذهب إلى مصر في قافلة تجارية. هذا محض افتراء، لكنه ممكن. ثم إنه حقاً ذهب إلى مصر، وحقاً أقام فيها ست سنوات. عرفت أنه أسمر طويل، وأنه يتكلم الفصحى بصوت أجش وأن في لسانه حبسة، وأنه يحرص على الزي العربي البدوي المستغرب. وعرفت أنه سقى الماء في جامع عمرو بالفسطاط، وأنه قال في مصر شعراً. وأنه ذهب إلى حمص والتقى بديك الجن. وكل ما سوى ذلك من عندي. وما سوى ذلك قليل من حيث الحقائق الظاهرية، فأما من حيث نفسيته فنصيب الإفتاء في كلامي أكبر.

ذهبت مع لويس شيخو وعمر فروخ إلى أن شاعرنا نصراني. وخالفت شيخو وأبا الفرج الأصفهاني في أنه عربي قح من طيء. ومن عندي جعلت هذا الشاب الذكي يتمص شخصية صنعها لنفسه، وجعلته يعيش الدور.

ولعل عمر فروخ وهلموت ريتز على صواب في أن أبا تمام ذهب إلى مصر شاباً لا صبيّاً. وأنه عاش مدة في حمص قال فيها شعراً قبل مصر. ولكنني قررت أن أجعله يذهب إلى مصر صغيراً: فهذا أخلق بمن يسقي الماء لطلبة العلم في جامع عمرو، وثمة من نص على أنه رثا من رثا من آل حميد بعد عودته من مصر، وثمة من قال إنه ذهب مع أبيه إلى مصر. وينقل الصولي في «أخبار أبي تمام» عن البحري أن أبا تمام قال: «أول شعر قلته: بقي جمحتي لست طوع مؤنبي، ومدحت بها عياش بن لهيعة وأعطاني خمسة آلاف درهم». وعياش بمصر. وإذا كان أبو تمام قد قعد بحمص للشعراء يأتون إليه ويعرضون شعرهم (وكان من بينهم البحري) فلا بد أنه كان شاعراً ذا مكانة وصيت، على أن للقاءه بالبحري قصة أخرى تناقض هذه، فقد قيل إنه لقيه أول مرة في مجلس أبي سعيد الثوري.

أن يكون بدأ بحمص صغيراً ثم رحل إلى مصر، ثم عاد إلى حمص فأمر

لا ندفعه. القرائن في الاتجاهين كثيرة. ولكنني رأيت شعره في التشوق للشام وهو مقيم بمصر شعر شاب رقيق، بينما شعره في آل حميد شعر شاعر قد استكمل أدواته، واستحكمت فيه مزايا وعيوب الشاعر المحترف.

أقول هذا وأنا على ثقة من أن مزيداً من الدرس خليق بأن يوقفنا على سلسلة زمنية (كروولوجيا) دقيقة لحياة أبي تمام وشعره. ونترك هذا لأهل الاختصاص الجامعي، شرط ألا يكونوا مثل ذلك الشارح الدكتور الذي سود أربعاً وسبعين صفحة في شرح حياة وفن أبي تمام في مقدمة الديوان أتحننا فيها ببعض الآراء النقدية من قبيل: «عارض فيها أبو تمام قصيدة أبي فراس الحمداني: أراك عصي الدمع...» وأبو تمام «يحاكي ما في الروميات...» وفي ظني أن طول ألفته لشعر أبي فراس قد علمته صياغة مثل هذه المواقف، ويذكر شعراً لأبي فراس الحمداني يزعم أن أبا تمام قلده.

فإذا علمت أن أبا فراس - الذي طال ألفة أبي تمام لشعره! - ولد بعد موت أبي تمام بتسعين سنة، رأيت كيف يعبث ويعيث ويُرث هؤلاء الدكاترة، بينما نحن، هواة الأدب، ننتظر شيئاً من التحقيق والتدقيق يأخذون ثمنه معاشات من جامعاتهم، ولا يكتبون لنا إلا هذا الهراء.

في دار الخلافة

عندما ذهب أبو تمام إلى بغداد وجد نفسه من ناحية الدين والتدين والمعتقد. نهاية الجملة. فبغداد تلك كانت عاصمة الدنيا. وكانت تمر بالفكر والفلسفة والاعتزال، وتتوهج بالاسترخاء الحضاري. الحرب مستمرة على الثغور، لكنها حرب مناوشات اعتيادية ما فتئت دائرة منذ عقود طويلة، والدولة الإسلامية قوية تكسب في المناوشات أكثر مما تخسر. وفي بغداد والبصرة والموصل حياة مستقرة، والخليفة قوي متمكن يترع على عرش تؤيده عناصر القوة من عرب وفرس وترك. الاسترخاء مستمر ولما يبدأ الترهل، ولما يبدأ الاضطراب في مراكز القوى. مات قبل سنوات قلائل أبو نواس، وشاخ أو مات صحبه الفُتاك. ولكن مجالس اللهو لم تمت. ولن يعيش أبو تمام ليحضر عصر التهنك المقبل في بلاط المتوكل. لكن بغداد، ثم سامراء، ظلت في زمة تعيش استرخاء سياسياً وحياة ترف لذينة كأنها نومة الضحى يوم الجمعة.

كان الوزراء والكتاب، وحتى أمراء الحرب، يفهمون الشعر ويتذوقونه،

وعندما وصل أبو تمام إلى بغداد كان الخليفة المأمون من كبار متذوقي الشعر. أسماء كبيرة في الدولة: القاضي أحمد بن أبي دؤاد، الوزير محمد بن عبد الملك الزيات، القائد أبو دلف العجلي، ومن هم دون هؤلاء من طبقة الكتاب أيضاً، كلهم كانوا يفهمون الشعر، وينقدونه بذائقة فاحصة، وبعضهم كان يقرضه. تعيش في وجداناتهم أشعار الجاهلية ويقدمسونها، ويعجبون كيف أن تلك الجزالة غدت عصية على التقليد. لكنهم مع ذلك تذوقوا بساطة أبي نواس واختراعاته في جانب المعاني. وأصغوا إلى ما ابتدعه مسلم بن الوليد من توسع في البديع، وهتفوا له، واستعدت ذائقتهم لجرعة أكبر من البديع، فجاءهم أبو تمام شحمة على فطيرة. رحبوا في مجالسهم بهذا الشاعر الشاب الذي بلغ السابعة والعشرين، ويقول شعراً مختلفاً، وتباهوا بفهم دقائق أبياته.

شاعر الخليفة

قال في المأمون قصيدة بالشام والمأمون قافل من غزوة رومية، ولكنه لقي الزجر على باب الخليفة فازدجر. وقال قصيدتين أخريين أو ثلاثاً لم تصادف عند المأمون أذناً مصغية. ثم مات المأمون، وجاء المعتصم، الخليفة شبه الأمي الذي لا يتذوق الشعر، ولا يتقن سوى الحرب. لكن القدر كان قد ابتسم لأبي تمام فباضت حماته على الود. كان لا بد للخليفة من شعراء، فأخواه اللذان سبقاه في الخلافة كان لهما شعراء رفعوا ذكرهما، وأبوه الرشيد كان له شعراء. حسناً، فليكن للمعتصم شعراء. أوصل القاضي أحمد بن أبي دؤاد أبا تمام إلى المعتصم فمدحه، وبعد حين رافقه في حملته التي ظفر فيها بعمورية وأحرقها، وأنشد قصيدته المشهورة «السيف أصدق أنباء». وصنع في الخليفة قصائد أخرى، ومدح وزراءه وقواد جيوشه بعشرات القصائد.

قبل الاتصال بالخليفة وبعده ارتحل أبو تمام في الأقاليم.

سافر إلى أرمينيا، وإلى خراسان (وخراسان هي نيسابور وطوس الموجودتان اليوم شمال شرق إيران، وهرات وبلخ الموجودتان اليوم شمال غرب أفغانستان، وبخارى وسمرقند في أوزبكستان، ومرو في تركمانستان)، وسافر إلى منطقة الجزيرة في شمال شرق سوريا الحاضرة متجاً أميرها التغلبي.

كان يذرع الدولة الإسلامية المترامية الأطراف بلا توقف. ولو رافقتك الخريطة، وأنت تقرأ ديوانه، لملائتها بالخطوط المتقاطعة.

عشر سنوات وأبو تمام يعيش على ظهر ناقته، مثلما يعيش بعض رجال الأعمال اليوم في الطائرة.

الحركية وورشة صناعة الشعر

قد نريد أن نضيف إلى ما أسلفنا، من أن الرجل كان قلقاً لا يجد في نفسه حاجة إلى الارتباط بمكان بعينه، أمراً آخر هو أنه كان ذا طبيعة حركية.

يقسم بعض التربويين المعاصرين الناس إلى فئات فيما يتعلق بطريقة اكتسابهم المعارف: فهناك «البصري» الذي يكتسب المعلومات عبر عينيه، فهو إذا رأى المعلومة ممثلة في لوحة أو خريطة أو فلم تلفزي كان سريعاً إلى فهمها والاحتفاظ بها، وهناك «السمعي» الذي ترن الكلمات والأصوات في أذنيه ويخترنها، وهناك «الحركي»: وهو ذلك الشخص الذي يجلس في الاجتماع فلا يترك القلم من يده، يكتب كلمات ويرسم رسومات، وهو لا يستوعب درسه إلا إذا لخصه على الورق، ثم لا يضيئه بعد ذلك إن رمى بالورق، فالمهم عنده أن يصنع شيئاً وهو يفكر؛ وهذا الشخص كثير الحركة: إذا انشغل ذهنه قام ومشى، وإذا لم يجد شيئاً يصنعه قضم أظفاره، أو ابتدع طرائق للعبث بجسمه.

ونظن أن أبا تمام كان من هذا النوع «الحركي». لم يكن يقرأ شعر القدماء ويحفظه إلا ويديه قلم. وقيل لنا إنه ترك عدة مجموعات شعرية انتخبها من شعر الأقدمين. وقدّر لإحداها أن تصبح أشهر مجموعة منتخبات شعرية عرفتها اللغة العربية، وأن تكون أم هذا الباب من أبواب التأليف الأدبي: تلك هي الحماسة.

لم يكن من هم أبي تمام دفع مجموعاته المنتخبة إلى الوراقين ليصنعوا منها النسخ. فقد كتبها لنفسه، لأنه لم يكن يحسن أن يقرأ الشعر القديم قراءة حفظ ودرس وتبصر إلا وهو يكتب على الورق. وإلا فماذا كان يدعو أبا تمام، وهو أهم وأشهر شعراء عصره، وأروجهم سوقاً، وأقلهم ثباتاً في بلد بعينه، إلى أن يجمع في كراريس «أشعار القبائل»، و«نقائض جرير والأخطل»، و«فحول الشعراء»، و«الوحشيات»، و«الاختيار من شعر الشعراء»؟ يخبرنا التبريزي في مقدمة شرحه على الحماسة أن آل سلمة، الذين دوّن أبو تمام حماسته الأشهر وهو ضيف عليهم، احتفظوا بالحماسة: «إن كتاب الحماسة بقي في خزائن آل سلمة، يضمنون به ولا يكادون يبرزونه لأحد، حتى تغيرت أحوالهم». وعلى هذا

فإن أبا تمام لم يأخذ «الحماسة» معه عندما ودع آل سلمة، بل تركها زاهداً في الورق، وحمل في عقله ألفاظ ومعاني ذلك الشعر القديم.

فلا تَسْلُكَنَّ أبا تمام في المؤلفين، إن هو إلا رجل حركي كان يدرس الشعر القديم مثلما يدرس التلميذ فصول كتابه استعداداً للامتحان، فلا يعرف يدرس إلا وهو يلخص مادة الكتاب.

ومن حسن طالعنا أن أبا تمام كان يلخص تلخيصاً، ولا ينسخ نسخاً. كان في تلخيصه ينتخب أجمل الأبيات وأقواها. كان يدخل في عقل الشاعر، ويعيد نظم القصيدة معه، وقد يُصلح الأشعار، ويغير كلمة هنا وكلمة هناك. وانتقده الأقدمون على هذا الصنيع، وأقره كثيرون عليه. وطارت شهرة عبارة التبريزي: «أبو تمام في حماسته أشعر منه في شعره». كان أبو تمام يدخل في ورشة تدريسية بين الحين والحين يشذب فيها علمه بالشعر. فالشعر عند صاحبنا صنعة. ليس أنه لم يكن يعرف قيمة الإلهام، وقيمة الانخراط في الحدث والشعور به؛ فهو، ولا شك، رأى كيف جاءت قصيدته في فتح عمورية آية في القوة والبلاغة والحرارة؛ وهو، ولا شك، عرف أن مصدر ذلك المعاشة، (كان فخوراً بهذه القصيدة أكثر من إنشادها). على أنه لم يستغن عن الصنعة، وفي قصيدة عمورية نفسها كثير من الصنعة. ثم إنه كان يمدح الناس للمال ويضطر إلى شعر كثير ليس صادراً عن شعور حق، فهنا لا بد من الصنعة. ومن أدوات الصنعة تلك المحسنات البديعية التي أفرط فيها. ومن أدواتها ترصيع القصيدة بالمعارف التاريخية والأدبية. وأبو تمام من أكثر الشعراء احتفالاً بأخبار الشعراء القدامى في شعره. فهو يذكر الشعراء القدامى ويشير إليهم وإلى شعرهم. وللأحداث التاريخية في شعره مكان يستلفت النظر.

بشخصيته المصطنعة التي حدثناك عنها لم يكن في مقدور أبي تمام أن يستدعي إلى ورشته الشعرية عنصراً مهماً هو البراءة. فالرجل الذي صب نفسه في قالب من صنع يديه بعيد عن البراءة. قسا وجفا صاحبنا. قسا على نفسه أولاً. وعاشر الناس بعينين مفتوحتين. فلم يغف في أحضان مجتمع حانٍ، ولم يكن ابن المدينة الذي يشكو ويثن ويفرح ويحزن كابن الرومي البغدادي الذي كتب قصيدة من ١٨٢ بيتاً يحتج بأعلى صوته مستجيراً من قطيعة من كبرى الفطائع: وهي أن الممدوح طلب منه القدوم من بغداد إلى سامراء (١٢٠ كم)، وابن الرومي يريد أن يمكث في بغداد ويرسل قصيدة المدح بالبريد إلى سامراء.

ولم يكن أبو تمام ابن القرية الذي يجمع المال لكي يشتري البيوت لأولاده كما فعل البحري. أبو تمام أشبه بالمتنبي في قلقه وفي تنقله. وهو أقل منه حرارة، وأكثر احتفالاً بالصنعة.

شاعر له لغته

وفي غياب التدفق، وحضور الصنعة، ميز شاعرنا نفسه باستخراج المعاني الدقيقة وإلباسها حلة من اللفظ المختصر. كان يحشر في الكلمتين والثلاث جملة من المعاني. ولا يندر في شعره أن يصطرع معنيان وأكثر على عبارة، فلا تعرف ما الذي قصده الشاعر. ولعل أدب كل لغة محتاج في مرحلة من مراحلها إلى أديب يدق أعناق الألفاظ ويجدها ويلبسها معاني غير ما ألفه أهل اللغة، فتصبح له لغته الخاصة كما يقولون. شكسبير صنع بالإنجليزية هذا الصنيع، («سكّ نحو ألفي لفظة، ومنحنا ما لا يحصى من العبارات، ولم يلعب أحد بأي لغة من اللغات لعب شكسبير بالإنجليزية» والكلام لبيبل برايسون، وبعضهم جعل ما اخترعه شكسبير من الألفاظ ألفاً وستمئة كلمة). وعبد الوهاب صنع بموسيقانا شيئاً شبيهاً. وأنت لو سمعت الموسيقى المصرية في مطلع القرن العشرين لرأيتها تجمدت على أنماط معلومة، ومقامات وأجناس تلتقي وتفرق في هيئة يسهل توقعها. وجاء عبد الوهاب، وعبث بالمقامات عبثاً ذريعاً وهو عارف ما يفعل، متقن كل ما سبقه من فنون النغم، وصاغ لغة موسيقية جديدة.

سترى أبا تمام ضمن شعراء النصرانية، وستراه ضمن شعراء الشيعة. وستراه مبعلاً عند السلفيين لأجل عمورية ولأجل شماتته بالأفشين المتهم بالزندقة. ولكن الوصف الأدق هو أن الرجل كان شاعر السلطان.

وسوى ذلك، فأبو تمام عرف الشذوذ مع الغلمان مثلما عرفه تلميذه البحري وخليفته الأول المأمون، لكن شعره لا يفيدنا كثيراً في مدى تعلقه بهذا الأمر. ونعرف أنه كان يشرب الخمر، ولكننا لا نصدق أنه كان سكيراً، حتى وإن أخبرنا أنه فقد وعيه في مجلس شراب وكسر الآنية.

أبو تمام مسودة المتنبي

عالج أبو تمام اللغة علاجاً عجبياً، وحشر في الكلمة من المعاني فوق ما تحتمل، وراكم الضروب البديعية، من طباق وجناس على الأخص، مراكمة

تجعل البيت أحجية. وأسرف في لعبة «التداعي الحر»: يترك اللفظ يجره إلى معنى، فلفظ، فمعنى. وجاء البحثري فتعلم منه وتبعه في كثير من هذه الأمور، ولكنه لم يسرف إسرافه. وجاء المتنبي فاقتدى بأبي تمام في صنعه ولم يسرف إسرافه، وكان مثله قلقاً وجواب آفاق، فقال شعراً يشبه في نواح منه شعر أبي تمام في الشكل وفي المضمون. وجاء أبو العلاء المعري فاستعمل كل سخافة لفظية ممكنة في سقطه ولزومياته، وأعجز كل من أتى بعده، أو كاد. وسنرى أن هذا اللعب بالألفاظ أنهك الشعر العربي وسلبه عافيته مئات السنين بعد أبي العلاء، فعرفت العربية من ضروب البديع أنواعاً لا أحسب أن لغة أخرى من لغات العالم جمعتها. وعليك بمقامات الحريري وبالمنظومات المسماة البديعيات أمثلة.

أبو تمام هو من فتح هذا الباب على مصراعيه، ولنقل - احتراساً من المبالغة - إن مسلم بن الوليد شق الباب شقاً من قبل.

لكنه شاعر مهم

سوف تصادفك عقبات وأنت تقرأ شعره. ولكنك لن تنفذ إلى روح الشعر العربي العباسي المتأخر، وشعر السنوات الألف التي فصلت أبا تمام عن أحمد شوقي إلا إذا عرفت شعر أبي تمام. وهذه المختارات التي أقدمها إليك مشروحة شرحاً معاصراً لا تمثل كل سخافات أبي تمام وألغائه. فأنا اخترت أجود شعره. على أن الرجل آلى ألا يترك بيتاً إلا وضع فيه شيئاً من طريقته. فافقرأ هذه المختارات فهي خير شعر أبي تمام، وهي تمثله تمثيلاً طيباً.

وأنبهك إلى الحذف المعنوي وإلى الالتفات. فأما الحذف المعنوي - وهو أعم من «الحذف» المذكور في كتب البلاغة - فهو أن الرجل يقول لك عبارة صغيرة، ويستند إلى معرفتك بتقاليد الشعر العربي وحياة العرب لفهم أضعاف هذه العبارة. يقول لك مثلاً:

حتى إذا مَخَضَ اللَّهُ السَّيْنَ لَهَا مَخْضَ الْبَخِيلَةِ، كَانَتْ زُبْدَةُ الْحَقَبِ

وعليك أن تفهم ما يلي: ظل رب الكون يهز سني هذا الدهر مثلما تهز البخيلة كرشة الخروف المملوءة باللبن الحليب؛ تهزها كثيراً لأنها بخيلة تريد ألا تترك شيئاً من الزبدة؛ وبعد هذا جاءت عمورية ووقعت بأيدينا فكانت زبدة الحقب.

وأما الالتفات فهو كقوله في بيتين متتالين لا يفصل بينهما فاصل:

(مضى) طاهر الأثواب لم تبقَ روضةٌ غداةً ثوى إلا اشتَهَتْ أنها قبرُ

(عليك) سلامُ اللهِ وفقاً فإنني رأيتُ الكريمَ الحرَّ ليس له عُمرُ

فهو في البيت الأول يتكلم عنه، ويقول «مضى». ثم نراه في البيت الثاني يخاطبه ويقول «عليك سلام الله». وهذا أمر مألوف في الشعر القديم، ولكن كثرت تعجب القلب. وقد تمر بك في هذه المختارات أبيات كهذين البيتين، فلا تحسب أنني قصصت أبياتاً فيما بين البيتين كان من شأنها أن تجعل السياق مطرداً. كنت أختار بعناية شديدة، ولا أقطع سياقاً حتى لو كلفني الأمر اختيار أبيات ضعيفة كي يستقيم المعنى.

على أنني في الشرح اجتهدت أن أزيل اللبس، وأعوضك بعبارات سهلة عما في القصائد من حذف والتفات.

ما الذي أعجب القدماء في أبي تمام؟

أولاً نعود إلى التذكير بما أعجب المحدثين: أعجبوا بثويره للغة، وبتحميله الألفاظ فوق ما تحتمل، فكأنه أضاف إلى المعجم العربي معاني جديدة ألحقت بالألفاظ المعروفة. هو قد وسع طاقة اللغة التعبيرية. وهنا موضع يحسن فيه اقتباس عبارة لأدونيس، قال إن أبا تمام «أفرغ الكلمات من معناها المؤلف، وخلصها من الحتمية وأسلمها إلى الاحتمال». ولا أرى رأيه في النصف الثاني من العبارة، على جمال صياغته. أرى أن أبا تمام ألبس الكلمات حتميات جديدة. وأما تحيرنا في فهم معانيه فمرده إلى ما عنده من حذف معنوي، وما عندنا من قصور عن متابعته كي نحقق الفهم، فنكتفي بلمح المعنى من وراء ستر. والتحليق في الخيال، مع الوصول بالإيجاز إلى الغاية التي ما بعدها غاية يوهمان المرء بأن أبا تمام يستعمل الكلمة استعمالاً قلماً.

فأما القدماء فأحسبهم افتنوا به لشيئين: معانيه المبتكرة، وجزالته.

ففي العصر العباسي الزاهر، أخذ الشعراء يولدون المعاني الجديدة. ونقصد بكلمة «المعاني» التشبيهات الجديدة والصور الطريفة. ومثال ذلك قول أبي تمام الذي مر بنا: (حتى إذا مخض الله السنين لها/ مخض البخيلة جاءت زبدة الحقب). وقول أشجع السلمي: (وعلى عدوك يا ابن عم محمد/ رصدان: ضوء الصبح والإظلام// فإذا تنبه رعته، وإذا غفا/ سلت عليه سيوفك الأحلام). وقول المتنبي: (بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها/ وقوف شحيح ضاع في

الترب خاتمه). أخذ النقاد يجعلون للمعاني أنساباً، ونشأ ما يمكن أن نسميه بحق «علم السرقات» في نقد الشعر. صاروا يدرسون ديوان الشاعر درساً دقيقاً، ويستخرجون منه المعاني، أي الصور والأفكار، ويعرضونها على محفوظهم، ويا لمحفوظهم في ذلك الزمن الذي لم يكن فيه إنترنت! كانوا يحفظون من الشعر فوق ما يتصور عقلنا المستطیع بغيره. ثم كانوا يصنفون المعاني أصنافاً، ويوبونها أبواباً. ثم يأتون إلى المعنى المحدد، فيقولون إن الشاعر أخذه من فلان، وفلان أخذه من فلان حتى يصلوا بالمعنى إلى شاعر جاهلي. فإذا وقع للشاعر المحدث معنى طريف لم يسبقه إليه أحد راحوا يبحثون عن معنى في باب آخر استلهمه الشاعر وقلبه قلباً، فيقولون إنه أخذه وعدل به عن وجهه. ويختلفون في الأمر ويسفه بعضهم بعضاً بحسب عصبياتهم. فكان الناقد منهم يتعصب لشاعر وصاحبه يتعصب لشاعر آخر، وتقوم المعارك الأدبية الطريفة.

هذا الأمدي في «الموازنة بين الطائيين»: أبي تمام والبحري يناصر البحري مناصرة خفية. ويرد في كتابه على من زعم أن البحري سرق مئاة المعاني من أبي تمام. وفي عصر المتنبي وبعده رسخ علم السرقات، وسودت فيه أوراق كثيرة، فالمتنبي والبحري، وأبو تمام قبلهما، من كبار السراق. كان أبو تمام صاحب قريحة جيدة. وكان دارساً للشعر القديم، وأما أنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة كما زعموا فما لا يقبله عقلنا المعاصر، ولا عقل أي عصر. وكان صانعاً للشعر. سرق الكثير واعياً، والكثير غير واع. لكنه اجتهد في صناعة معاني جديدة. فإذا كان منفعلًا بموضوعه جاءت معانيه المبتكرة حارة تلبس ثوباً جميلاً، وإذا كان شديد الاتكاء على نفسه - كما وصفه أحد معاصريه - جاءت معانيه جافة تلبس ثوباً ضيقاً يزعجها ويقيد حركتها، وكانت صعبة على الفهم، ناتئة على السمع.

قال بعض القدماء إن لأبي تمام مئة وخمسين بيتاً سائرة على كل لسان، لا تجد أحداً إلا يحفظها، وأضاف أنه ليس لشاعر قديم ولا محدث مثل ذلك.

وهذه السيرورة ليست ابنة المعاني المبتكرة فحسب، هي ابنة القريحة الطيبة. فالسائر من شعر أبي تمام يكون أو لا يكون ذا معنى مبتكر، لكنه في معظم الأحوال سهل رائق. أنشد معي: (وإذا أراد الله نشر فضيلة/ طُويت، أتاح لها لسان حسود).

وثمة من شعر أبي تمام ما سار في كتب الأدب سيرورة كبيرة لغثائه

وصعوبته. صرنا نحفظ له أبياتاً من الصعب المرذول لأن النقاد أسرفوا في تقريره عليها. ولا تخلو مختاراتنا من أمثال هذه الأبيات. هذه واحدة: (هن عوادي يوسف وصواحيه/ فعزماً، فقدماً أدرك السؤل طالبه)، القطعة رقم ١٠٨، والبيت مطلعها.

تلك واحدة أحب القدماء أبا تمام لها: المعاني الجديدة.

وأما الثانية فهي الجزالة. وما نقصده بالجزالة - فأما كتب المدارس فالله وحده يعرف ما الذي تقصده عندما تصف القصيدة بالجزالة - ما نقصده نحن هو قوة التعبير، وإيجازه، وشبهه باللغة العربية العتيقة. كل هذا هو الجزالة. والشعر الجزل هو كالخطب الجزل: والخطب الجزل هو الخطب القاسي الذي يدوم اشتعاله مدة طويلة.

لقد خرج أبو العتاهية وأبو نواس عن الجزالة خروجاً مستفظعاً. جاءوا بشعر سهل سلس؛ معانيه قريبة إلى الفهم. ويشار الذي عاش شطر عمره في العصر الأموي كان يمسك بالجزالة بيد وبالرقة بيد.

اسمعوا هذه الحكاية عن بشار وأبي العتاهية في مجلس المهدي:

«قال أشجع السلمي: أذن المهدي للناس في الدخول عليه فدخلنا، فأمرنا بالجلوس، فاتفق أن جلس بجنبي بشار بن برد، وسكت المهدي فسكت الناس، فسمع بشار حساً فقال لي: من هذا؟ فقلت: أبو العتاهية، فقال: أترأه ينشد في هذا المحفل؟

فقلت: أحسبه سيفعل، فقال: فأمره المهدي أن ينشد، فأنشد:

ألا ما لسيدتي ما لها أدلاً فأحمل إدلالها.

قال: فنخسني بشار بمرفقه وقال: ويحك! أرأيت أجسر من هذا؟ ينشد مثل هذا الشعر في مثل هذا الموضع. حتى بلغ أبو العتاهية إلى قوله:

أنته الخلافة منقادةً إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

فقال لي بشار: انظر ويحك يا أشجع، هل طار الخليفة عن سريره (يقصد سروراً بالشعر)؟ قال أشجع: فوالله ما انصرف أحد عن هذا المجلس بجائزة غير أبي العتاهية. «(سقنا هذه القصة في شرحنا للمختار من شعر العتاهي، لكننا هنا أردناها لتشهد على شيء، فاحتملها منا).

قد بدأ العتاهي قصيدته بنسيب على طريقة القدماء، لكنه نسيب سهل مخنث. وعندما مدح الخليفة ظل على سهولته في اللفظ، وكانت ألفاظه على قدِّ معانيه على نحو أعجب بشاراً.

وانقضى زمن بشار، وجاء زمن أبي العتاهية وأبي نواس، ورق الشعر. واستعذب الخلفاء والوزراء هذا الشعر الجديد. كانت بغداد لعهد المهدي فالهادي فالرشيد ترقص الفالس في حلبة الازدهار الإمبراطوري. وفي الوقت نفسه كان أهل اللغة والنحو يدرسون اللغة العربية والشعر القديم، ويجمعون أشعار القدماء جمعاً حثيثاً. كان العصر عصر دراسة، وعصر تجميع وتقنين. ونشأ عن جهود هؤلاء الدارسين تجميد اللغة العربية. وسرى ابن فارس بعد سنوات يقول، في كتابه «الصاحبي»، إن ألفاظ العربية محدودة لا تتغير ولا تتجدد، فالله علم آدم كل الألفاظ، وبالعربية، وبقيت على حالها، وكل ما هو جديد فهو إما فاسد وإما أن له في العربية أصلاً. بهذا النوع من التفكير خاض الدارسون في العربية وفي شعر العربية.

في الشعر كان وضع القوانين أصعب. كان منهم من أوعزت إليه روحه السمحة بقبول كل شعر جميل: أعني الجاحظ. ليس أنه لم يكن ابن عصره في تقدس الشعر القديم، لكنه كان يستعذب أشياء كثيرة لأبي نواس وأبي العتاهية. وقد ضمن الجاحظ كتابيه الكبيرين «الحيوان» و«البيان والتبيين» أبياتاً لأبي تمام في أكثر من عشرين موضعاً، وهذا برهان على تقديره العالي له، والمرء - وخصوصاً في ذلك العصر - لا يحفل بشعر المعاصرين حفله بشعر القدماء، فإذا عرفت أن الجاحظ كان أسبق مولداً من أبي تمام بنحو ثلاثين سنة تبين لك أنه كان يعرف قدر الشاعر الشاب، ويحله مكاناً عالياً.

وكان من أهل النقد واللغة المتشدد الذي رفض كل جديد. كانوا يريدون من الشعر أن يشهد على ألفاظ اللغة، لأنهم أهل لغة لا شعر. وكانوا ذوي مكانة عند الخلفاء. وتأثر الشعراء بتشددهم وينفوذهم، وانحرف الشعر عن سهولته.

تأثر أبو تمام بهذا الجو الأكاديمي الجاف وجاراه. ولأنه من كبار الحفاظين للشعر القديم، وكبار العارفين بألفاظ اللغة، فقد استطاع أن يأتي بشعر مختلف. شعر قلد فيه جزالة القدماء تقليداً.

سكَّ أبياتاً تقولها هي جاهلية في أسلوبها. ولم يعزب عن إدراك أهل النقد

واللغة ما في شعر أبي تمام من جزالة، فأقبلوا عليه. وتوجعوا كثيراً لما فيه من مغايرة لطريقة القدماء وخروج عن عمود الشعر: من إغراق في البديع، ومن تعقيد في المعنى، فهم يعشقون جزالته، وينقبضون عن محسناته البديعية. وما حكى عن ابن الأعرابي ذو دلالة:

كان تلميذه الطوسي يقرأ عليه الأراجيز القديمة فأدخل فيها أرجوزة أبي تمام: (وعاذل عدلته في عدله/ فظن أني جاهل من جهله) زاعماً أنها من شعر قديم، فأمره ابن الأعرابي أن يكتبها، فشرع في كتابتها، ثم توقف وقال لأستاذه إن الأرجوزة لأبي تمام فقال ابن الأعرابي كلمته المشهورة: خرَّق خرَّق!

وأجمل نقد قرأته لشعر أبي تمام، في أوجز عبارة، ما كتبه المستشرق الألماني هلموت ريتز في دائرة المعارف الإسلامية، وهاك ترجمته:

«نضم قصائد أبي تمام، علاوة على وثبات الخيال البارة التي هي أساس شهرته، الكثير من المنغصات. فإلى غرامه بالمفردات الشاذة كان مولعاً بالتركيب المفتعلة التي كثيراً ما تكون ملتوية معقدة، وقد أرهق فهمها الشارحين العرب. ومما يزعج القارئ التشخيص غير الموفق للأفكار المجردة، والاستعارات البعيدة المصطنعة وغير المقنعة، فهي تتلاحق بيتاً بعد بيت إلى أن يعثر القارئ بتعبير شعري رائع. يضاف إلى هذا نزعة مؤسفة إلى الجناس والطباق كثيراً ما يضحى من أجلها بوضوح وجاذبية عبارته.» اه ريتز.

وهلموت ريتز هذا - والحديث ذو شجون - مستشرق ألماني ولد عام ١٨٩٢ ودرس العربية على بروكلمان، المستشرق الخطير، ولبث في ألمانيا حتى الرابعة والثلاثين من العمر متخصصاً في العربية والفارسية والتركية. ثم رحل إلى إستانبول، ودرس التراث التركي درساً عنيفاً وتخرج على يديه كوكبة من الأكاديميين الأتراك (كان يفرض على طلابه أن يتعلموا لغة جديدة في كل سنة.. فتأمل). ولا نستطيع أن نثمن جهوده في مجال التراث التركي، غير أنه مكث في تركيا أربعين سنة ولا نشك في أنه ترك أثراً عظيماً هناك، على أننا نعرف أنه تغلغل في اللغة العربية والأدب العربي بعمق مدهش من شواهدة تحقيقه «أسرار البلاغة» للجرجاني. وريتز ليس سوبرماناً، ولا هو أذكى من الأكاديميين العرب - نكلُتهم - لكنه امتلك المنهجية، وامتلك حرية الفكر، ولم يكن مكبلاً بالوساوس، وامتلك النشاط.

قد أنقلت عليك، في الفقرات السابقة التي كتبتها منجمة على مدى سنة. فأغض عما فيها من تكرار، فإنني اجتهدت في التخلص منه فوفقت حيناً، وأخفقت حيناً.

قد رتبت الأشعار على نحو يساعدك في تتبع سيرة أبي تمام بعض الشيء. جعلت أشعاره المصرية والحمصية في باب، ثم أشعاره في ولاية الأقاليم في باب، ثم أشعاره في دار الخلافة في باب.

ولا يقوم هذا الترتيب بالتسلسل الزمني كل القيام وإن كان يراعيه بعض المراعاة. فشاعرنا مدح المأمون والشاعر في مطلع شبابه، ولكننا ضمنا هذا الشعر إلى الباب الثالث حتى يكون مدحه للخلفاء قريباً بعضه من بعض. وجعلنا قصائد كل أمير أو والٍ أو خليفة متتابعة. وجعلنا أشعاره في الأفشين وبابك في موضع واحد لأنها تروي قصة واحدة.

ولم نرتب القصائد هنا على الأحرف، مع ما في هذا من اليسر علينا، ففهرس قوافٍ يغني، وقد زدنا الكتاب به. وقد تركنا في رأس كل قصيدة السطر الذي يضيء مناسبتها مثلما ورد في شروح القدامى. ولم نسرد من الأحداث التاريخية إلا ما لا بد منه لفهم معنى أو إزالة لبس.

وستجد فهرساً للأغراض، يرشدك بنظرة إلى كل ما يحتويه الباب من شعر في الفخر، أو في الغيوم والأمطار، أو في الغزل، أو في الجهاد. وثمة فهرس للقصائد بعناوينها، يحمل أيضاً وصفاً موجزاً ويدلك على كبريات القصائد، ومشهوراتها.

لم آل في تدقيق هذه المجموعة جهداً، والكمال لمن خلقنا ناقصين.

١٧ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١١

٢٠ ذي الحجة ١٤٣٢

١ فيضان حسب الطلب

قال يمدح عيَّاش بنَ لهيعة بمصر، ويعاتبه (وعياش صاحب شرطة مصر، وهو رجل يمانى النسب، كأبي تمام في نسبه الذي ارتضاه لنفسه، وسليل أسرة من القضاة والعلماء، وكان ذا أدب وفقه):

وَحَيَاةُ الْقَرِيضِ إِحْيَاؤُكَ الْجُودَ دَ، فَإِنْ مَاتَ الْجُودُ، مَاتَ الْقَرِيضُ

القريض: الشعر

كُنْ طَوِيلَ النَّدَى، عَرِيضاً، فَقَدْ سَا رَ ثَنَائِي فِيكَ الطَّوِيلُ الْعَرِيضُ
إِنَّمَا صَارَتِ الْبُحُورُ بُحُوراً أَنَّهَا كُلَّمَا اسْتَفِيضَتْ تَفِيضُ

البحور: الأنهار، وكانوا يستفيضون النيل (يطلبون فيضانه) بالدعاء أو بشعوذات فرعونية بقيت
حتاخذ. وقيل القصيدة في مصر بلد النيل، وكانوا - وما يزال كثيرون في مصر - يسمون النيل
بحراً، وكان شعراء العرب القدامى يصفون الفرات بالبحر

٢ لو كنت حبلً لولدت

وقال يعاتب عياش بن لهيعة:

قَتَلْتُهُ سِرّاً، ثُمَّ قَالَتْ جَهْرَةً قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ: لَا يَطْلُبُنِي أَغْفَرُ
المحبة قتلت حبيبها سراً بهجرانها إياه، وقالت شامة قول الفرزدق: فلتلحق المصيبة به لا يَغْفِرُهُ
منها حتى أهون شيء كظني أغفر (لونه كلون التراب). وبيت الفرزدق: أَقُولُ لَهُ لِمَا أَتَانِي نَعِيُهُ/يُو
لَا يَطْلُبُنِي فِي الصَّرِيمَةِ أَغْفَرَا

نَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَمَا اسْتَتَمَّتْ لَحْظَهَا حَتَّى تَمَنَّتْ أَنَّهَا لَمْ تَنْظُرِ
يبدو أنها صُدمت لهول منظره، ونحوه الشديد

وَرَأْتُ شُحُوباً، رَابِهَا، فِي جَسَمِهِ؛ مَاذَا يَرِيبُكَ مِنْ جَوَادٍ مُضْمَرٍ
رأبها: أثار ربيتها واستغرابها؛ يفاخر بنحوه وكثرة أسفاره، فهو كالحصان المضمر النحيل

مَا إِنْ يَزَالُ بِجَدِّ حَزْمٍ مُقْبِلٍ مُتَوَطِّئاً أَعْقَابَ رِزْقٍ مُدْبِرٍ
يقول الشاعر عن نفسه: ظل بجدّ (بحظّ) أساسه الحزم المقبل (الإيجابي) متوطئاً (ماشياً) في
أعقاب (خلف) رزق مدبر (فاز). يقول: أنا بكل عزم ألاحق رزقاً يفر مني، وحظي ليس حظاً،
بل هو إصراري

كَمْ ظَهَرَ مَرَّتٍ مُقْفِرٍ جَاوَزْتُهُ، فَحَلَلْتُ رُبْعاً مِنْكَ لَيْسَ بِمُقْفِرٍ
ما أكثر ما عبرت ظهر مرتٍ مقفِرٍ (أرضٍ صحراوية) قفرة، كي أحل في ربعك غير المقفر أيها الممدوح

الْفِطْرُ وَالْأَضْحَى قَدْ انْسَلَخَا، وَلِي أَمَلٌ بِبَابِكَ صَائِمٌ لَمْ يُفْطِرْ
انسلخا: مضيا

عَامٌ وَلَمْ يُنْتِجْ نَدَاكَ، وَإِنَّمَا تُتَوَقَّعُ الْحُبْلَى لِتِسْعَةِ أَشْهُرٍ
يُنْتِج (يولد)

جِشْ لِي بِبَحْرِ وَاحِدٍ، أَغْرِفَكَ فِي مَدَحِ أَجِيشْ لَهُ بِسَبْعَةِ أَبْحُرِ
جش: تدفق

قَصَّرُ بِبَذْلِكَ عُمَرَ مَطْلِكَ تَحَوِّ لِي حَمْدًا، يُعَمِّرُ عُمَرَ سَبْعَةَ أَنْسُرِ
قصر المماثلة بالبذل، تحو لي (تأخذ مني) حمداً شعرياً يعمر عمر سبعة نسور. ويضرب المثل
بنسور لقمان السبعة التي وعده الله بحياة بقدر أعمارها جميعاً على التعاقب

كَمْ مِنْ كَثِيرِ الْبَذْلِ قَدْ جَازَيْتُهُ شُكْرًا، بِأَطْيَبِ مِنْ نَدَاهُ وَأَكْثَرِ
ما أكثر الأسخياء الذين جازيتهم بمدح أطيب من سخائهم

شَرُّ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ ذِمَّةٌ لَمْ تُصْطَنِعْ، وَصَنِيعَةٌ لَمْ تُشْكَرْ
أسوأ شيء عند الأولين والآخرين ذمة (عهد) لم يصطنع (لم يُرْعَ)،
وصنيعة (معروف) لم تُشْكَرْ

٣ كل أمري فيك منتقض

وقال يعاتب عياش بن لهيعة:

ذُلُّ السُّؤَالِ شَجَى فِي الْحَلْقِ مُعْتَرِضُ مِنْ دُونِهِ شَرَقٌ، مِنْ خَلْفِهِ جَرَضُ
شجى (شوكة)، الجرض (غصة الموت)

مَا مَاءٌ كَفَّكَ، إِنْ جَادَتْ وَإِنْ بَخَلَتْ، مِنْ مَاءٍ وَجْهِي، إِذَا أَفْنَيْتُهُ، عَوْضُ
ماء كفك (عطاؤك) سواء جدت أم بخلت، لا يعوض ماء وجهي (كرامتي) إذا فقدته

مَنْ أَشْتَكِي، وَإِلَى مَنْ أَعْتَزِّي، وَنَدَى مَنْ أَجْتَدِي؟ كُلُّ أَمْرِي فِيكَ مُتَنَقِضُ
أعتزي (أنتسب)، منتقض (مبعثر، مفكك)

٤ المَطُولُ والملحِف

وقال يعاتب عياشاً:

لَا تَنْسَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ أَنْضَيْتُهَا دَأْبًا، وَأَنْضَيْتُنِي إِلَيْكَ وَنَيْفًا
أنضيتها: أنعبتها

بِقِصَائِدٍ لَمْ يَزِرْ بِحَرَكٍ وَرُدُّهَا، وَلَوْ الصَّفَا وَرَدَّتْ، لَفَجَرَتِ الصَّفَا
قصائد لم يرز (ورودها الماء وشربها) بحرك شيئاً، لأنك لم تعطني شيئاً عليها،
ولو وردت قصائدي الصفا (الصخر) لفجرت منه ماء

إِنِّي أَخَافُ بِلَحْظَتِي عُقْبَاكَ أَنْ تُدْعَى الْمَطُولَ، وَأَنْ أَسْمَى الْمُلْحِفَا
 إِنِّي أَخَافُ بِلَحْظَتِي (بانتظاري) عِقْبَاكَ (نتيجتك) أَنْ تَسْمَى الْمَطُولَ (المماطل) وَأَنْ أَسْمَى أَنَا
 المُلْحِفَ (الملح)

٥ الْبِشْرُ رَوْضٌ، وَالْعِطَاءُ غَدِيرٌ

وقال يعاتب عياش بن لهيعة:

لَيْسَ يَدْرِي إِلَّا اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَيَّ شَيْءٍ تُطَوِّى عَلَيْهِ الصَّدُورُ
 وَيَقُولُونَ: إِنَّكَ الْمَرْءُ، بِالْغَيْدِ بِ مِحَامٍ عَنِ الصَّدِيقِ نَصُورُ
 يقولون إنك تدافع عن الصديق وتنصره في غيته
 فإِذَا جِئْتُ زَائِرًا حَجَبْتُ وَجْهَ هَكَ عَنِّي كَأَبَةٍ وَبُسُورُ
 ولكنني أتيتك فيحتجب وجهك عني بكأبة وبسور (عبوس)
 فَتَطَلَّقْتُ، مَعَ الْعِنَايَةِ؛ إِنَّ الـ جِشْرَ، فِي أَكْثَرِ الْأُمُورِ، بِشِيرُ
 فتطلق (افرد وجهك) مع العناية (البذل)، فالبشر (البشاشة) بشير بالخير
 إِنَّ فِي الْبِشْرِ رَوْضَةً، فَإِذَا كَا نَ بِبَذَلٍ: فَرَوْضَةٌ وَعَدِيرُ

٦ لَا رَضِيْتُمْ

وقال يهجو عياش بن لهيعة:

أَشْكِيْتُمُونِي، فَلَمَّا أَنْ شَكَوْتُكُمْ غَضِبْتُمْ؛ دَامَ ذَاكَ السُّخْطُ وَالْعَضْبُ!
 أشكيتموني (اضطرتموني إلى الشكوى) فلما شكوتكم غضبتكم، فلا رضيتم
 بَنِي لَهْيَعَةٍ! مَا بَالِي وَبَالُكُمْ، وَفِي الْبِلَادِ مَنَادِيحٌ وَمُضْطَرَبٌ
 مناديع: بدائل، مضطرب: مجال للحركة
 عِيَّاشُ! مَا لَكَ فِي أَكْرُومَةِ أَرَبٍ، وَلَا لِأَكْرُومَةِ فِي سَاقِطِ أَرَبٍ
 أَرَب: حاجة

يَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَعْدًا، حَشْوُهُ خُلْفٌ، وَأَكْثَرَ النَّاسِ قَوْلًا، كُلُّهُ كَذِبٌ

٧ ظَلَمْتُكَ

وقال يهجو عياش بن لهيعة:

أَعْيَاشُ أَرْعَ، أَوْ لَا تَرْعَ، حَقِّي وَصِلْ، أَوْ لَا تَصِلْ، أَبَدًا وَسِيلِي
 وسيلي: قرابتي (يشير إلى اشتراكهما في النسب اليماني)

وَأَعْكَفْتُ الْمَنَى فِي ذَاتِ صَدْرِي عُكُوفُ اللَّحْظِ فِي الْخَدِّ الْأَسِيلِ
جعلت الأمانى مخزونة في صدري لا تتحرك مثلما يثبت النظر في الخد الأسيل (الطويل)
متمعنًا في جماله

فَصِرْتُ أَذَلَّ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ بِهِ فَقَرُّ إِلَى ذَهْنٍ جَلِيلٍ
فصرت ذليلاً كمعنى شعري دقيق لم يتيسر له ذهن جليل لكي يصوغه

فَمَا أَذْرِي عَمَائِي عَنِ ارْتِيَادِي دَهَانِي، أُمَّ عَمَّاكَ عَنِ الْجَمِيلِ
لا أدري! هل الذي دهاني هو عمائي عن ارتياد المكان الصحيح،
أم عماك أنت عن صنع المعروف

مَتَى طَابَتْ جَنَى، وَزَكَتْ فُرُوعُ إِذَا كَانَتْ خَبِيثَاتِ الْأُصُولِ؟
الجنى: الثمر، الفروع: الفصون، الأصول: الجذور

نَذِبْتُكَ لِلْجَزِيلِ، وَأَنْتَ لَعُوْ؛ ظَلَمْتُكَ؛ لَسْتُ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيلِ
ندبتك: دعوتك، الجزيل: العظيم، لعو: ساقط من الحساب

٨ الغيرة على الأرغفة

وقال يهجو عياشاً:

صَدَّقْ أَلَيْتَهُ، إِنْ قَالَ مُجْتَهِدًا: لَا وَالرَّغِيفِ! فَذَاكَ الْبِرُّ مِنْ قَسَمِهِ
صدق أليته (قسمه) إن قال مجتهداً (متحمساً): لا والرغيف!
فعلندك يكون صادقاً في الخلف

فَإِنْ هَمَمْتَ بِهِ، فَافْتِكْ بِخُبْرَتِهِ، فَإِنْ مَوَّعَهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ
إن هممت بإيذاه فافتك بخبرته

قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ عَلَى جَرَادِقِهِ كَانَتْ عَلَى حُرْمَةٍ
الجرادق: الأرغفة

٩ جردت في ذمك خيل قصائد

يهجو عياش بن لهيعة:

عَيَّاشُ إِنَّكَ لِلنَّسِيمِ، وَإِنْسِي، مُذْ صِرْتَ مَوْضِعَ مَطْلَبِي، لِلنَّسِيمِ
أنت لئيم، وأنا صرت مثلك عندما قصدتك

السُّحْتُ أَطِيبٌ مِنْ نَوَالِكَ مَطْعَمًا وَالْمُهْلُ وَالْغُسْلَيْنِ وَالزَّقُومُ

السحت: المال الحرام، المهل والغسلين والزقوم: هذا كله شراب وطعام أهل النار، ولا حاجة بنا إلى شرحه، وقد اختلف المفسرون فيه

نَجِسٌ تُدَبِّرُ أَمْرَهُ شَيْمٌ لَهُ شُكْسٌ، يُدَبِّرُ أَمْرَهُنَّ اللُّومُ
شيم شكس: صفات نكدة، اللوم: اللوم

وَمَنَازِلٌ لَمْ يَبَقْ فِيهَا سَاحَةٌ إِلَّا وَفِيهَا سَائِلٌ مُحْرُومٌ
عَرَصَاتٌ سُوءٌ، لَمْ يَكُنْ لِسَيِّدٍ وَطَنَاءٌ، وَلَمْ يَزْتَعْ بِهِنَّ كَرِيمٌ
عرصات: ساحات

لَمَّا بَدَأَ لِي مِنْ صَمِيمِكَ مَا بَدَأَ، بَلْ لَمْ يُصَبِّ لَكَ، لَا أَصِيبُ، صَمِيمٌ..
لما بدا لي من صميمك (أصلك) ما بدا، بل لم يصب (لم يُعثر) لك،
«وإن شاء الله عمره ما يُعثر»، على أصل..

جَرَدْتُ فِي ذَمِّكَ خَبِلَ قَصَائِدِي جَالَتْ بِكَ الدُّنْيَا، وَأَنْتَ مُقِيمٌ
عندئذ جردت (خصصت مفرزة من الجند والخيال) في ذمي إياك خيلاً من القصائد، جالت بك الدنيا وأنت قاعد في مكانك

١٠ أَيْدٍ صُخُورٌ وَأَعْرَاضٌ قَوَارِيرُ

يهجو عياش بن لهيعة:

صَرَّدُ وَنَكْدُ وَزَنْدٌ، أَنْتَ مَعْدُورٌ، أَسْدُ الشَّرَى لَيْسَ تَنْمِيهَا الْخَنَازِيرُ
صرد: خفف العطاء، زند: ضيق، أسد الشرى: أسود تستوطن مكاناً اسمه «الشرى»، تنميتها: تنجها

أَنْظُرْ إِلَيْهِمْ، كَفَانَا اللَّهُ أَمْرَهُمْ: أَيْدٍ صُخُورٌ، وَأَعْرَاضٌ قَوَارِيرُ
انظر إلى هؤلاء الأمراء: أيديهم صلبة كالصخر فلا يعطون شيئاً، وأعراضهم هشة كالقوارير
(كالزجاج)

١١ القبر المقبور

يهجو عياش بن لهيعة بعد موته:

أَعَزُّ بِعَيَّاشٍ عَلَيَّ مُعَيَّبًا؛ فِي غَيْرِ حُفْرَتِهِ الْحِجَابُ وَالْخَيْرُ
أعز علي (ما أصعب الأمر علي) إذ عياش مغيب في قبره؛ تلك حفرة يوجد الحجا (العقل)
والخير (الفضل) في غيرها، أي أنه لم يكن عاقلاً ولا فاضلاً

وَأَرَى نَكِيرًا صَدَّ عَنْكَ، وَمُنْكَرًا ظَنَّنَا بِأَنَّكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ
وَتَضَوَّرَ الْقَبْرُ الَّذِي أُسْكِنْتَهُ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ الْمَقْبُورُ
تضور: تلوى من الألم

١٢ الغريب.. والعجيب

يهجو يوسف السراج الشاعر المصري:

سَمِعْتُ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ نَادٍ وَلَمْ أَسْمَعْ بِسَرَاجٍ أَدِيبٍ
سمعت بكل داهية نادٍ (عظيمة) ولكتني لم أسمع بسراج (صانع سروج) أديب،
فتلك من كبريات الدواهي

أَمَّا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا إِذْنًا لَنَفَذْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
وَمَا لَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ، وَلَكِنْ تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ

الغريب: فرع في الدراسات اللغوية والدينية يتناول غريب اللغة، أي ألفاظها المهجورة، وغريب الحديث وغريب القرآن. وعلى ذكر الدراسات فإن الدكتور محمد عبده عزام (ولم يضع لقب دكتور على غلاف كتابه) سها في هذا البيت فرواه «تعاطيك الغريب هو الغريب»، وهذه رواية نسخة من النسخ، وهي بالطبع غلط سخي يمكن لأي تلميذ أن يصححه. سها عزام فنسخها كما هي، ولم يقع في الغلطة محقق شرح الصولي؛ ولكننا ابتلينا بدكتورين آخرين نسخا الغلط بلا أدنى تفكير. بكلمة واحدة: ديوان أبي تمام بحاجة إلى تحقيق، وإلى شرح، ونحن في عملنا هذا نرسل التنبيه إثر التنبيه على وجود هذه الثغرة، ولكننا نعتزف بأننا لم نراجع المخطوطات، بل اعتمدنا على أولئك الناسخين الذين يسمي الواحد منهم نفسه محققاً لكي يوافونا بنص الديوان، وانظر ماذا يفعلون! ولست أشك طرفة عين في أنني سهوت في شرحي لهذه المجموعة في أكثر من موضع؛ لكن السهو شيء، والإهمال شيء

١٣ الشامي المغترب في مصر

يصف تعذر الرزق عليه بمصر:

أَصِيبٌ بِحُمَيَّا كَأَسْهَى مَقْتَلِ الْعَذْلِ تَكُنْ عَوْضًا، إِنْ عَنَّفُوكَ، مِنْ التَّبَلِ
أصيب بحمياً (بشدة) الخمر مقتل العذل (اللوم)، تكن هذه الخمر عوضاً لك من التبل (الانتقام) إن عنفوك ووبخوك على سلوكك. يقول: اقتل اللوم بشربك الخمر فهي انتقامك من لومهم، فأنت تسكر ولا تدرك نوبيخهم فكأنك قتلتهم

وَكَأْسٍ كَمَغْسُولِ الْأَمَانِيِّ شَرِبْتُهَا وَلَكِنهَا أَجَلَتْ، وَقَدْ شَرِبْتُ عَقْلِي
أجلت: انكشفت، بمعنى فرغت الكأس

إِذَا عَوَّتَتْ بِالماءِ، كان اعتذارُها لهيباً، كَوَقْعِ النارِ في الحَطَبِ الجَزَلِ

يعاتبون الخمرة بالماء (يمزجونها)، فتعذر عن عتابهم بلهيب (لونها يتوهج)، كاللهيب الذي يبدو عندما تنقد النار في الحطب الجزل (الصلب)

إِذَا هِيَ دَبَّتْ فِي الفَتَى، خَالَ جِسْمَهُ، لِمَا دَبَّ فِيهِ، قَرِيَةً مِنْ قُرَى النَّمْلِ

ديبب الخمر في الجسم يجعلك تشعر هكذا، تنميل في كل الجسم

إِذَا ذَاقَهَا، وَهِيَ الحَيَاةُ، رَأَيْتُهُ يُعَبِّسُ تَعْبِيسَ المَقْدَمِ لِلقَتْلِ

يذوق الفتى الخمر، أول رشفة، فتفيض مرارتها ومُزَوِّزُهَا قسماث وجهه، ويعبس كأنما جيء به لقتل

إِذَا اليَدُ نَالَتْهَا بِوَتَرٍ تَوَقَّرْتُ عَلَى ضِغْنِهَا، ثُمَّ اسْتَفَادْتُ مِنَ الرَّجْلِ

إذا نالت اليد الخمرة بوتر (سببت لها ما يوجب الثأر) توقرت الخمرة (ادعت الوقار) على ضغنها (رغم حقدها) ثم استفادت (انقضت) من الرجل. يقول: يدك ترتكب جريمة في الخمرة بمزجها، ومزج الخمرة قتل لها في عرف شعراء العرب، فتمكث الخمرة برهة كاتمة حقدها، ثم تدب في جسمك، وتنتقم من رجلِك إذ تجعل مِشيتك صعبة

سَقَى الرَّائِحِ العَادِي المَهْجُرَ بِلَدَةٍ سَقَنْتَنِي أَنْفَاسَ الصَّبَابَةِ، وَالخَبْلِ

سقى السحاب الرائح (المقبل ليلاً) العادي (المقبل صباحاً) المهجر (المقبل في الهاجرة أي ظهراً)، سقى بلدة (وسنعرف لاحقاً أن هذه البلدة هي موطنه في الشام) كانت سقتني أنفاس الصبابة (العشق) والخبل (جنون الغرام)

سَحَابٌ، إِذَا أَلْقَتْ عَلَى خِلْفِهِ الصَّبَا يَدَا، قَالَتِ الدُّنْيَا: أَتَى قَاتِلُ المَحَلِّ

هذا سحابٌ إذا ألقت ريح الصبا يدها على خلفه (ضربه/ ثديه) فكان الريح تريد أن تحلبه، عندئذ تقول الدنيا أتى قاتل المحل

إِذَا مَا ارْتَدَى بِالبَرْقِ، لَمْ يَزَلِ النَّدَى لَهُ تَبَعاً، أَوْ يَرْتَدِّي الرُّوْضُ بِالبَقْلِ

يرتدي السحاب حلة بلمعان البرق فيه، فيظل الندى، أي المطر، متواصلاً إلى أن يرتدي الروض بالبقل، أي العشب

تَرَى الأَرْضَ تَهْتَزُّ ارْتِياحاً لَوَقْعِهِ كَمَا ارْتَا حَتِ البِكْرُ الهَدْيُ إِلَى البَغْلِ

ترتاح الأرض لوقع المطر كما ترتاح - يزعم أبو تمام - البكر (العذراء) الهدي (المهداة إلى زوجها) للبعل (للزوج)

فَلَمْ يُبْقِ مِنْ أَرْضِ البِقَاعَيْنِ بُقْعَةً وَجَادَ قُرَى الجَوْلَانِ بِالمُسْبِلِ الوَبْلِ

لم يبق المطر بقعة بأرض البقاعين إلا رواها، وجاد (أمطر/ و«الجود» المطر). قرى الجولان بالمسبل (المنساب)، الوبل (الهاتل)

البقاع في لبنان الآن بقاع شمالي وبقاع جنوبي، وكانا في عصر أبي تمام بقاع لبنان وبقاع بعلبك

بِنَفْسِي أَرْضُ الشَّامِ، لَا أَيْمَنُ الْحَمَى، وَلَا أَيْسَرُ الدَّهْنَا، وَلَا وَسَطُ الرَّمْلِ

يفدي أرض الشام، دون غيرها من بلاد العرب

وَلَمْ أَرِ مِثْلِي، مُسْتَهَاماً بِمِثْلِكُمْ، لَهُ مِثْلُ قَلْبِي، فِيهِ مَا فِيهِ، لَا يَغْلِي

لم أر مثلي مستهاماً (مغرمًا) بمثلكم، وله قلب كقلبي، وفيه من الشوق ما فيه، ولا يغلي غلياناً

نَأَيْتُ: فَلَا مَالاً حَوَيْتُ، وَلَمْ أَقِمْ فَأُمْتَعْتُ، إِذْ فُجِعْتُ بِالْمَالِ وَالْأَهْلِ

نأيت (بُعدت) فلا مالاً حويت (حُزنت)، ولم أقم (أُمكث) فأستمتع بمكوئي (في مصر) بعد أن فُجعت (حزنت) بعدم المال ومفارقة الأهل

بَخِلْتُ عَلَى عِرْضِي بِمَا فِيهِ صَوْنُهُ رَجَاءُ اجْتِنَاءِ الْجُودِ مِنْ شَجَرِ الْبُخْلِ

وَلَوْ أَنَّني أَعْطَيْتُ يَأْسِي نَصِيبَهُ، إِذْنٌ لِأَخَذْتُ الْحَزَمَ مِنْ مَأْخِذِ سَهْلٍ

لو أعطيت اليأس نصيبه من الاعتبار (لو يشت باكرًا من الارتفاق في مصر)، لكنت حازماً

١٤ فما يهتدي إلا لأصغرها الشعر

يفخر بقومه عند انصرافه من مصر:

بَكَّتْهُ بِمَا أَبْكَتْهُ أَيَّامَ صَدْرُهَا خَلِيٍّ، وَمَا يَخْلُو لَهُ مِنْ جَوَى صَدْرٍ

عندما عزم على الرحيل بكته المحبوبة بدموع كانت أبكته بمثلها عندما كان صدرها خلياً، وكان هو آنذاك عاشقاً وفي صدره جوى (ألم)

وَقَالَتْ أَتَنْسَى الْبَدْرَ؟ قُلْتُ، تَجَلْدُ: إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ، فَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ

قالت: أتنسَى البدر (تعني نفسها)، فقال تجلداً (متصنعاً الصبر): إذا الشمس لم تغرب، فلا طلع البدر (إذا كان طموحي موجوداً فلا أبالي بالنساء)

وَمَا الدَّمْعُ ثَانٍ عَزَمْتِي، وَلَوْ أَنَّهَا سَقَى خَدَّهَا، مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَهَا، نَهْرٌ

جَمَعْتُ شِعَاعَ الرَّأْيِ، ثُمَّ وَسَمْتُهُ بِحَزَمٍ، لَهُ فِي كُلِّ مُظْلِمَةٍ فَجْرٌ

جمعت شعاع الرأي (ما تفرق منه)، ثم وسمته (ختمت عليه) بحزم يضيء كل مظلمة (ليلة مظلمة) ويحيلها فجراً

وَصَارَعْتُ عَنْ مِصْرٍ رَجَائِي، وَلَمْ يَكُنْ لِيَصْرَعَ عَزْمِي غَيْرَ مَا صَرَعَتْ مِصْرُ

صارعت رجائي في تحصيل المجد بمصر، وما كان عزمي ليصرع غير الرجاء الباطل الذي صرعته مصر في صدري

وما القفرُ بالبيدِ القواءِ، بلِ التي نَبَتْ بي، وفيها ساكنوها، هي القفرُ

ليس القفر هو البيداء القواء (الخالية)؛ بل البلد التي نبت بي (لفظتي)، بينما ساكنوها فيها، هي القفر الحقيقي. بعد مئة سنة سيقول المتنبي مثل ذلك

وَمَنْ قَامَرَ الْأَيَّامَ عَنْ ثَمَرَاتِهَا، فَأَحْجَ بِهَا أَنْ تَنْجَلِي، وَلَهَا الْقَمَرُ

ومن قامر الأيام (لعب معها القمار ليفوز بخيراتها)، فأحج بها (حري بالأيام) أن تنجلي ولها القمر (أن تنكشف ولها الفوز)

مَقَامَاتُنَا وَقَفَ عَلَى الْحِلْمِ وَالْحِجَا، فَأَمَرَدُنَا كَهْلٌ، وَأَشْيَبُنَا حَبْرٌ

مقاماتنا (مواقفنا) وقف على الحلم والحجا (مخصوصة برجاجة العقل)؛ فأمردنا (فانا) الذي لم تظهر لحيته (كهل في رجاجة عقله، وأشيبنا حبر (عالم كبير)

أَلْنَا الْأَكُفَّ بِالْعَطَاءِ، فَجَاوَزَتْ مَدَى اللَّيْلِ، إِلَّا أَنْ أَعْرَاضَنَا الصَّخْرُ

ألنا أكفنا بالعطاء (جعلناها لينة تعطي الآخرين) حتى الغاية القصوى، بيد أن أعراضنا صخر

إِذَا زِينَةُ الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ أَعْرَضَتْ، فَأَزِينُ مِنْهَا، عِنْدَنَا، الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

أبى قدرنا في الجود إلا نباهة، فليس لِمَالٍ عندنا أبداً قدر

لِيُنْجَحَ بِجُودٍ مَنْ أَرَادَ، فَإِنَّهُ عَوَانٌ لِهَذَا النَّاسِ، وَهُوَ لَنَا بِكُرٌ

لِيُنْجَحَ بجود (ليحقق مجده بالسخاء) من أراد، فالسخاء عوان للناس (مستعمل غير جديد/والعوان المرأة التي سبق لها الزواج)، وهو بكر لنا (أي أننا نحن بداناه/والبكر العذراء)

جَرَى حَاتِمٌ فِي حَلْبَةٍ مِنْهُ، لَوْ جَرَى بِهَا الْقَطَرُ شَاوَأً، قِيلَ أَيُّهُمَا الْقَطَرُ

جرى حاتم الطائي في حلبة من الجود لو جرى بها القطر (المطر) شأواً (شوطاً) لساوى حاتماً ولم يزد عليه

فَتَى، دَخَرَ الدُّنْيَا أَنَا، وَلَمْ يَزَلْ لَهَا بَاذِلًا، فَانْظُرْ: لِمَنْ بَقِيَ الذُّخْرُ

الناس دخروا الدنيا (اكتسبوا المال) وحاتم بذله، فبقى لحاتم وحده كنز من السمعة الطيبة

فَمَنْ شَاءَ فَلْيَفْخَرْ بِمَا شَاءَ مِنْ نَدَى؛ فَلَيْسَ لِحَيٍّ، غَيْرَنَا، ذَلِكَ الْفَخْرُ

جمعنا العلى بالجود بعد افتراقها إلينا، كما الأيام يجمعها الشهر

جمعنا بجودنا أطراف المعالي إلينا

بِنَجْدَتِنَا أَلَقَتْ بِنَجْدٍ بَعَاعَهَا سَحَابُ الْمَنَايَا، وَهِيَ مُظْلِمَةٌ كُذِرُ

ولنا نجدة (معونة في الحرب) وبنجدتنا ألفت سحب الموت في نجد بعاعها (وابلها)، وهي سحب سود مكدرة اللون

بِخَبَلٍ لَزِيدِ الْخَيْلِ، فِيهَا فَوَارِسٌ إِذَا نَطَقُوا فِي مَشْهَدِ خَرَسِ الدَّهْرِ
حدث هذا بخيل لزيد الخيل (فارس طيء المشهور) وهذه الخيل فيها فوارس (فرسان) ينطقون
بالسيوف والرماح في مشهد الحرب، فيخرس الدهر

مَسَاعٍ يَضِلُّ الشَّعْرُ فِي كُنْهِ وَصْفِهَا فَمَا يَهْتَدِي، إِلَّا لِأَصْغَرِهَا، الشَّمْرُ
هذه مساع (أمجاد) يضل (يضيع) الشعر في كنه وصفها (حقيقة صفتها)، وكل ما قيل فهو وصف
لأصغرها فقط

١٥ مجد طيء

وقال يصف قومه ويفتخر بهم:

أَلَا صَنَعَ الْبَيْنُ الَّذِي هُوَ صَانِعٌ فَإِنْ تَكَّ مِجْزَاعاً، فَمَا الدَّهْرُ جَارِعٌ
أَسِيءُ عَلَى الدَّهْرِ الثَّنَاءُ، فَقَدْ قَضَى عَلَيَّ بِجَوْرِ صَرْفُهُ الْمَتَابِعُ
أسيء الثناء (أعيب)

وَعَاوِ عَوَى، وَالْمَجْدُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَهُ حَاجِزٌ دُونِي، وَرُكْنٌ مُدَافِعٌ
وعاوٍ عوى (رب هاج يهجوني)، ومجدي حاجز يحول بيني وبينه، ويدفعه عني بلا تعب من جانبي

أَنَا ابْنُ الَّذِينَ اسْتَرْضِعَ الْجُودَ فِيهِمْ، وَسُمِّيَ فِيهِمْ، وَهُوَ كَهْلٌ وَيَافِعٌ
استرضع الجود فيهم (كان عندهم رضيعاً) واتخذ عندهم اسمه، وظل فيهم يافعاً وكهلاً

سَمَا بِي أَوْسٌ فِي السَّمَاءِ، وَحَاتِمٌ وَزَيْدُ الْقَنَا، وَالْأَثْرَمَانِ، وَرَافِعٌ
ارتفع بي إلى السماء هؤلاء الأجداد

وَكَانَ إِيَّاسٌ - مَا إِيَّاسٌ - وَعَارِقٌ، وَحَارِثَةٌ، أَوْفَى الْوَرَى، وَالْأَصَامِعُ
الأصامع: حي من طيء

نُجُومٌ طَوَالِيعٌ، جِبَالٌ فَوَارِعُ غُبُوثٌ هَوَامِيعُ، سُيُولٌ دَوَافِعُ

فوارع: عالية، غبوث هوامع: أمطار هائلة، سيول دوافع: متدفقة. يتجمل أبو تمام بهذا الزحاف الجاهلي الذي لم يعد أحد يركبه في العصر العباسي. لكن الرجل يحب أن «يتبدى»، نسبة إلى البادية؛ ويريدنا أن نحلف بالله العظيم أننا نصدق نسبته إلى قبيلة طيء. وسنجد في الطويل أحياناً، وفي البسيط كثيراً، يركب هذا الزحاف المستكره المهجور. وقد أسرع محقق «هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام» إلى «تصحيح» الكلمتين اللتين وقع فيهما الزحاف فجعلهما «طواليع» و«هواميع». وقال في الحاشية إن البيت مكسور. ولا نرى إلا أن شاعرنا كبر وهلل عندما جاءته هذه السجعة الداخلية المزدوجة (التجزئة بحسب مصطلح صفي الدين الحلي)، ولما رآها تقتضيه زحافاً عتيقاً كبر وهلل مرة أخرى

مَصُورًا، وَكَأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ لَدَيْهِمْ، لِكثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِنَّ، شَرَانِعُ
فَأَيُّ يَدٍ فِي الْمَجْدِ مُدَّتْ، فَلَمْ تَكُنْ لَهَا رَاحَةٌ مِنْ جُودِهِمْ وَأَصَابِعُ
هُمْ اسْتَوْدَعُوا الْمَعْرُوفَ مَحْفُوظَ مَالِنَا، فَضَاعَ، وَمَا ضَاعَتْ لَدَيْنَا الْوَدَائِعُ
وَضَعُوا مَالَنَا الْمَحْفُوظَ وَدِيعةً عِنْدَ الْمَعْرُوفِ، فَضِيعَ الْمَعْرُوفَ الْمَالَ لِسَخَاتِنَا، وَلَكِنَّا لَا نَضِيعُ وَدَائِعَ
النَّاسِ وَحَقُوقَهُمْ

بِهَالِيلُ، لَوْ عَايَنْتَ فَضْلَ أَكْفُهُمْ لَايَقْنَتَ أَنَّ الرِّزْقَ فِي الْأَرْضِ وَاسِعٌ
بِهَالِيلُ: سَادَةٌ كَرَامٌ، تَرَى فَضْلَ أَكْفِهِمْ (مَا يَنْفَقُونَ) فَتَحَسِبُ أَنَّ الرِّزْقَ وَاسِعٌ فِي الدُّنْيَا

إِذَا طَيَّءٌ لَمْ تَطْوِ مَنْشُورَ بَاسِهَا فَأَنْفُ الَّذِي يُهْدِي لَهَا السُّخْطَ جَادِعُ
إِذَا لَمْ تَطْوِ طَيَّءَ بِأَسْهَا، بَلْ نَشَرْتَهُ، فَهِيَ تَجْدَعُ أَنْفٌ مِنْ سَبَبِ لَهَا السُّخْطَ (تَقْطَعُهُ إِذْ لَا لَهُ).
وَالْأَنْفُ الْجَادِعُ: أَيُّ الْمَجْدُوعِ

بِكُلِّ فَتًى: مَا شَابَ مِنْ رَوْعٍ وَقَعَةٍ، وَلَكِنَّهُ قَدْ شِبْنَ مِنْهُ الْوَقَائِعُ
تَصْنَعُ طَيَّءَ ذَلِكَ بَفْتِيَانِ لَا يَشْبِيُونَ مِنْ رَوْعٍ وَقَعَةٍ (خَوْفِ مَعْرَكَةٍ)، وَلَكِنْ الْمَعَارِكُ تَشْبِي مِنْ شَجَاعَتِهِمْ

إِذَا مَا أَغَارُوا، فَاحْتَوَوْا مَالَ مَعْشَرٍ، أَغَارَتْ عَلَيْهِمْ، فَاحْتَوَتْهُ، الصَّنَائِعُ
يَغِيرُونَ غَازِينَ فَيَحْتَوُونَ مَالَ الْقَبَائِلِ (الْمَالُ هُوَ الْإِبِلُ)،
ثُمَّ تَغْيِرُ عَلَيْهِمُ الصَّنَائِعُ (الْمَعْرُوفُ) فَتَسْلِبُهُمُ الْمَالَ

فَقُطْعِي، الَّذِي تُعْطِيهِمُ الْخَيْلُ وَالْقَنَاءُ، أَكُفْتُ لِإِرْثِ الْمَكْرُمَاتِ مَوَانِعُ
أَكْفُهُمُ الْحَامِيَةَ لِإِرْثِ الْمَكَارِمِ تُعْطِي النَّاسَ الْمَالَ الَّذِي أُعْطِيَهُمْ إِيَّاهُ الْخَيْلُ الْغَازِيَةُ وَالْقَنَاءُ (الرَّمَاحُ)

يَمْدُونَ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا، وَهُنَّ سَوَاءٌ وَالسِّيُوفُ الْقَوَاطِعُ
يَمْدُونَ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ (بِالسِّيُوفِ) أَيْدِيًا هِيَ فِي عَزْمِهَا كَالسِّيُوفِ

إِذَا أَسْرُوا، لَمْ يَأْسُرِ الْبَاسُ عَفْوَهُمْ، وَلَمْ يُمَسِّ عَانٍ فِيهِمْ وَهُوَ كَانِعُ
يَأْسُرُونَ الرِّجَالَ فِي الْحَرْبِ، وَلَكِنْ عَفْوَهُمْ لَيْسَ أَسِيرًا، وَلَا يَبِيتُ الْعَانِي (الْأَسِيرُ) فِيهِمْ كَانِعًا
(مَنْقَبُضُ النَّفْسِ)

إِذَا أَطْلَقُوا عَنْهُ جَوَامِعَ غُلِّهِ تَيَقَّنَ أَنَّ الْمَنْ أَيْضًا جَوَامِعُ
إِذَا أَطْلَقُوا عَنْهُ جَوَامِعَ غُلِّهِ (قِيُودُهُ) أَصْبَحَ مَتَيْقَنًا أَنَّ الْمَنْ (الْإِحْسَانَ) هُوَ أَيْضًا جَوَامِعُ (قِيُودُ)..
وَالْمَرْءُ يَقِيدُ أَخَاهُ، أَوْ خَصْمَهُ، بِإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ

أَلَا إِنَّ نَفْسَ الشَّعْرِ مَاتَتْ، وَإِنْ يَكُنْ عَدَاهَا حِمَامُ الْمَوْتِ، فَهِيَ تُنَازِعُ
عَدَاهَا (تَجَاوِزُهَا)

سَأْبُكِي الْقَوَافِي بِالْقَوَافِي، فَإِنَّهَا عَلَيْهَا - وَلَمْ تَظْلِمِ بِذَاكَ - جَوَازِعُ

جوازع: حزينة

كَشَفْتُ قِنَاعَ الشَّعْرِ عَنْ حُرِّ وَجْهِهِ وَطَيَّرْتُهُ عَنْ وَكْرِهِ، وَهُوَ وَقِيعُ

كشفت القناع عن حر وجه الشعر (صفحة وجهه البارزة)، وطيرت الشعر عن وكرهه بعد أن كان واقعاً (هابطاً غير محلوق)

بَغُرَّ يَرَاهَا مَنْ يَرَاهَا بِسَمْعِهِ، فَيَذْنُو إِلَيْهَا ذُو الْحِجَا، وَهُوَ شَاسِعُ

بغر: بقصائد غراء، الحجا: العقل

يَوْدُ وَدَاداً أَنَّ أَعْضَاءَ جَسْمِهِ، إِذَا أُنْشِدَتْ، شَوْقاً إِلَيْهَا، مَسَامِعُ

١٦ أدركتني حرفة الأدب

مَا يَحْسِمُ الْعَقْلُ، وَالدُّنْيَا تَسَاسُ بِهِ، مَا يَحْسِمُ الصَّبْرُ فِي الْأَحْدَاثِ وَالنُّوبِ

النوب: المصائب

الصَّبْرُ كَاسٍ، وَيَظُنُّ الْكَفَّ عَارِيَةً؛ وَالْعَقْلُ عَارٍ، إِذَا لَمْ يُكْسَ بِالنَّشَبِ

الصبر يكون كاسياً (لابساً/مستوراً) حتى ويطن الكف عارية من المال، والعقل يظل عارياً بدون النشب (المال)

مَا أَضْيَعَ الْعَقْلَ إِنْ لَمْ يَرَعْ ضَيِّعَتَهُ وَفَرَّ، وَأَيُّ رَحَى دَارَتْ بِلَا قُطْبِ

ضائع هو العقل (الذكاء والفهم والكياسة) إن لم يرع ضييعته (يحفظ ضيعته) وفر (مال)، ورحى الطاحونة لا تدور بغير قطب (محور)

كَمْ دُفْتُ فِي الدَّهْرِ مِنْ عُسْرٍ وَمِنْ يُسْرٍ، وَفِي بَنِي الدَّهْرِ مِنْ رَأْسٍ وَمِنْ ذَنْبٍ

أَغْضِي، إِذَا صَرَفُهُ لَمْ تُغْضِ سَوْرَتُهُ عَنِّي، وَأَرْضَى إِذَا مَا لَجَّ فِي الْعَصَبِ

أغضي (أغاضي) عندما لا تغاضي سورة (هجنة) الدهر عني، وعندما يلج (يبالغ) الدهر في الغضب فإنني أرضى

وَإِنْ بُلِيْتُ بِجِدٍّ مِنْ حُزُونَتِهِ سَهَّلْتُه، فَكَأَنِّي مِنْهُ فِي لَعِبٍ

إن كان الدهر جاداً في حزنوته (وعورته)

فإنني أسهل الأمر فيبدو كأنني في لعب (مزاح)

مُقَصِّرٌ خَطَرَاتِ الْهَمِّ فِي بَدَنِي، عِلْماً بِأَنِّي مَا قَصَّرْتُ فِي الطَّلَبِ

أقصر بذلك خطرات (جولات) الهم في بدني، علماً بأنني حاولت، وما قصرت

ماذا عَلَيَّ، إذا ما لم يَزُلْ وَتَرِي فِي الرَّمْيِ، أَنْ زُلْنَ أَغْرَاضِي فَلَمْ أَصِبْ؟
ماذا عَلَيَّ (ما ذنبي) إذا لم يزل (لم ينقطع) وتر قوسي وأنا أرمي، ولكن أغراضي (الأهداف) نفسها
زالت، فلذلك لم أصب؟

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَظَافِيرِي مُقَلَّلَةً تَسْتَنْبِطُ الصُّفْرَ لِي مِنْ مَعْدِنِ الذَّهَبِ

مقللة: مثلمة، تستنبط: تستخرج، الصفرة: النحاس، معدن الذهب: خاماته في منجمه. يقول:
أحفر منجم الذهب وتتلم أظافري، ولا يخرج لي إلا النحاس

إِذَا قَصَدْتُ لِشَأْوٍ خِلْتُ أَنِّي قَدْ أَدْرَكْتُهُ، أَدْرَكْتَنِي حِرْفَةُ الْأَدَبِ

إذا قصدت لشأو (الغاية) أظن نفسي أدركته (حققته)، أدركتني (لحقت بي) حرفة الأدب
(لعنة الاشتغال بالأدب)

مَا آبَ مَنْ آبَ لَمْ يَظْفَرْ بِبُغْيَتِهِ؛ وَلَمْ يَغِبْ طَالِبٌ لِلنُّجْحِ لَمْ يَخِبْ

بعارته الملتوية يقول شاعرنا: الذي رجع غير ظافر ببغيته (طلبه) فكأنه ما آب (رجع)؛ والذي طلب
النجاح (تحقيق المبتغى) وأنجزه بلا خيبة فكأنه ما غاب عن أهله ولا تجشم عناء السفر. يقول:
العائد فاشلاً كأنه لم يعد إلى وطنه، والذي نجح فكأنه لم يغترب ولم يواجه المشقات. وبعبارة
أوجز: الناجح كأنه ما غاب، والفاشل كأنه ما آب

١٧ مَنَا أَمِيرُهَا

هَلْ اجْتَمَعْتُ عَلَيَّا مَعَدٌّ وَمَذْجٌ بِمُلْتَحَمٍ، إِلَّا وَمَنَا أَمِيرُهَا؟

هل اجتمعت عليا معد ومذج (أشرف قبائل معد العدنانية ومذج اليمانية) بملتحم (بمعركة) إلا
وأمرها من قبيلتنا طيء؟

بَلِ الْبَيْمَنُ اسْتَعَلَّتْ لَدَى كُلِّ مَوْطِنٍ، وَصَارَ لِطَيْئٍ نَاجِهَا وَسَرِيرُهَا

السري (العرش)

مُحَرَّمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلِي فِي الْوَعَى وَمَكْلُومَةٌ لَبَّائُهَا وَنُحُورُهَا

محرمة (محمية من الإصابة) أكفال خيلي (مؤخراتها) لأنني لا أفر، ومكلومة (جريحة) لبائها
(صدورها) ونحورها (ما فوق الصدر) لأنني دائماً أواجه الأعداء

١٨ الرَّئِيسُ وَالْمَرْوُوسُ

وَقَالَ يَمْدَحُ أَبَا الْمَغِيثِ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّافِقِيِّ، وَكُتِبَ بِهَا إِلَيْهِ:

إِبْهَأْ دِمَشْقُ! فَقَدْ حَوَيْتِ مَكَارِمًا بِأَبِي الْمَغِيثِ، وَسُودَدَا قُدُمُوسَا

إبهأ دمشق (زيدينا يا دمشق)، فقد ضمنت، بوجود أبي المغيث، مكارم وسوددا قدموسا (قديماً)

وَأَرَى الزَّمَانَ غَدًا عَلَيْكَ بِوَجْهِهِ جَذْلَانِ بَسَامًا، وَكَانَ عَبُوسًا

نظر الزمن إليك بوجهه جذلان (فرحاً) باسمًا، وكان من قبل عبوساً

لَمْ يَشْعُرُوا حَتَّى طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ بَدْرًا، يَشُقُّ الظُّلْمَةَ الْحِنْدِيْسَا

لم يشعروا إلا وقد طلعت عليهم مثل البدر الذي يشق الظلمة الحنديس (الشديدة)

مَا فِي النُّجُومِ سِوَى تَعَلَّةٍ بَاطِلٍ قَدَمْتُ، وَأُسِّسَ إِنْكُهَا تَأْسِيْسَا

قراءة العرافين حركات النجوم هي منذ القدم تعلقة باطل (سبب باطل لوقوع الأحداث المقبلة)، وإفكها (كذبها) مؤسس تأسيساً في الأذهان

إِنَّ الْمُلُوكَ هُمْ كَوَاكِبُنَا الَّتِي تَخْفَى وَتَطْلُعُ، أَسْعُدًا وَنُحُوسَا

الملوك (الولاة) هم كواكبنا التي تجلب السعد أو النحر. وكانوا يمدحون الوالي بأنه مسبب للخير وللشر معاً، وبأنه يمنح ويمنع

فَتَنٌّ جَلَوَتْ ظِلَامُهَا، مِنْ بَعْدِ مَا مَدُّوا عُيُونًا نَحْوَهَا، وَرُؤُوسَا

تلك كانت فتناً جلوت ظلامها، من بعد ما مدوا نحو الفتن عيونهم ورؤوسهم، فكلُّ يريد أن يستفيد من الأوضاع المضطربة

كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ: إِنَّمَا نَفَقَاتُهُمْ مَالٌ، وَقَوْمٌ يَنْفَقُونَ نَفُوسَا

ما أكبر الفارق بين قوم ينفقون من مالهم، وبين قوم ينفقون نفوسهم ويخاطرون في المعارك

سَارَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ، مُوسَى، سِيرَةً سَكَنَ الزَّمَانُ لَهَا، وَكَانَ شَمُوسَا

سيرته الحسنة هذأت الأحوال، وكان الزمان قبله شمساً (معانداً)

أَلْوَى، يُذِلُّ الصَّعْبَ إِنْ هُوَ سَاسَهُ، وَيَلِيْنُ جَانِبَهُ إِذَا مَا سَيَّسَا

الممدوح ألوى (شديد)، يذل البعير الصعب إن ساسه (رؤضه)، - يقصد أنه يجعل الخصم ذلواً منقاداً للطاعة - ولكن الممدوح في الوقت نفسه يلين لمن يكون رئيساً له فهو منضبط

مَنْ لَمْ يُقَدِّ، فَيَطِيرَ فِي خَيْشُومِهِ رَهْجُ الْخَمِيْسِ، فَلَنْ يَقُوْدَ خَمِيْسَا

من لم يقد، ولم يجرب كيف يطير رهج الخميس (غبار الجيش) في خيشومه (أنفه)، فلن يستطيع قيادة جيش

١٩ المَدَّاحُ الْمُحْتَرَفُ

يمدح أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي:

الآن جُرِّدَتِ المَدَائِحُ، وَانْتَهَى فَيْضُ الْقَرِيضِ إِلَى عُبَابِ الْوَادِي

الآن جردنا فصائد المدح (استلناها كالسيوف)، وانتهى فيض القرىض (الشعر) إلى عباب الوادي (خضم الوادي/ أي إلى الممدوح الذي هو وادي الجود)

وَتَبَجَّسْتَ لِلْجُودِ مِنْ نَفَحَاتِهِ قُلُبٌ يَكْذَنُ يَقْلُنُ: هَلْ مِنْ صَادٍ؟
تبجست (نفجرت) للكرم من نفحاته (عطاياه) قُلُبٌ (آبار) تكاد لغزارة مياهها تقول: هل بقي من
صاد (عطشان) لم يشرب بعد؟

لَمْ أَبْقِ حَلْبَةَ مَنْطِقِي إِلَّا وَقَدْ سَبَقْتُ سَوَابِقَهَا إِلَيْكَ جِيَادِي
لم أترك حلبة منطقي (قول) إلا وقد سبقت سوابق هذه الحلبة (جياذها السابقة) جيادي أنا (قصائدي)
أَبْقَيْنَ فِي أَعْنَاقِ جُودِكَ جَوْهَرًا أَبْقَى مِنَ الْأَطْوَاقِ فِي الْأَجْيَادِ
هذه القصائد هي جواهر في أعناق كرمك، وستدوم أكثر من أطواق الأجياد (الرقاب). فطوق عتق
الحمامة خلقة ولا يزول كباقي الأطواق

٢٠ صحراء عليها باب

يهجو أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي:

فَاضَ اللَّثَامُ، وَغَاضَتِ الْأَحْسَابُ وَاجْتُنَّتِ الْعَلْيَاءُ، وَالْآدَابُ
غاضت: نشفت؛ الأحساب: الأمجاد، اجنّت: اقتلعت

هَبْ مَنْ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ حِجَابَهُ، مَا بَالُ لَاشِيٍّ عَلَيْهِ حِجَابٌ؟
هب (افرض) أن من عنده سلطة يريد وضع حاجب على بابه، فما بال الذي يملك «لاشيء» قد
وضع عليه حجاباً؟

مَا إِنْ سَمِعْتُ، وَلَا أَرَانِي سَامِعًا، أَبْدَأُ بِصَحْرَاءٍ عَلَيْهَا بَابُ
مَنْ كَانَ مَفْقُودَ الْحَيَاءِ، فَوَجْهُهُ، مِنْ غَيْرِ بَوَابٍ، لَهُ بَوَابُ

٢١ أمدحك مع الخلق وأهجوك وحدي

وقال بمدح أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي، ويعتذر إليه:

أَتَانِي مَعَ الرُّكْبَانِ ظَنٌّ ظَنَنْتُهُ، لَفَقْتُ لَهُ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ الْمَجْدِ
جاءني مع الركبان (الوافدين) ظن (تهمة) ظنيتها (أنهم بها) ففطيت وجهي خجلاً من مجدك

وَكَيْفَ! وَمَا أَخْلَلْتُ بَعْدَكَ بِالْحِجَا، وَأَنْتَ، فَلَمْ تُخْلِلْ بِمَكْرَمَةٍ بَعْدِي؟
وكيف يكون ذلك، وأنا ما أخللت (قصرت) بالحجا (التعقل)، وأنت لم تخلل بالمكارم؟

أَلْبَسُ هُجَرَ الْقَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ إِذْنٌ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي؟
فهل يمكنني أن ألبس (أكسو) هجر القول (القول المعيب/الهجاء) شخصاً لو هجوته لكان معروفاً
إلني هجاء لي

كَرِيمٌ مَنَى أَمْدَحُهُ أَمْدَحُهُ وَالْوَرَى مَعِي، وَمَتَى مَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحَدِي
 وَلَوْ لَمْ يَزْعُمْنِي عَنْكَ غَيْرَكَ وَازْعُ لَأَعْدَيْتَنِي بِالْحِلْمِ، إِنَّ الْعُلَى تُعْدِي
 لو لم يزعمني (يردعني) عن ذلك الهجاء المزعوم وازع (رادع) سواك، لكان كافياً أنك نقلت إليّ
 عدوى الحلم، والعلی (المكارم) تعدي

أَرُدُّ يَدِي عَنْ عَرَضٍ حُرٍّ وَمَنْطِقِي، وَأَمْلَأُهَا مِنْ لِبْدَةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ
 خير لي أن أضع يدي في لبدة (فروة رأس) الأسد الورد (الضارب للحمرة) من أن أمس بها عرض
 رجل حر، أو أن أتعرض له بمنطقي (بقولي)

٢٢ رياض الباطل

يهجو موسى بن إبراهيم الرافقي:

كَمْ مِنْ لَثِيمٍ قَدْ عَزَّزْتُهُ قِصَائِدِي وَدَأْبَنَ فِيهِ، فَمَا ظَفِرُنَ بِطَائِلِ
 غزوته بالقصائد محاولاً نيل عطائه، عبثاً

لَا خَفَّفَ الرَّحْمَنُ عَنِّي، إِنَّنِي أَرْتَعْتُ ظَنِّي فِي رِيَاضِ الْبَاطِلِ
 أرتعت ظني: جعلته يرتع ويرعى

مَا أُنْسَلْتُ حَوَاءً أَحْمَقَ لِحَبَّةٍ مِنْ سَائِلٍ يَرْجُو الْغِنَى مِنْ سَائِلِ
 سائل: مستجد

٢٣ السلام عليك، يا أبا تمام!

وقال في سياق مدح أبي نصر سليمان بن نصر، وقالها في حمص:

كُلُّ قَدَمٍ أَخَافُ حِينَ أَرَاهُ مُقْبِلاً أَنْ يَشْجَنِي بِالسَّلَامِ
 قدم: غبي، يشجني: يجرح رأسي

رَافِعاً كَفَّهُ لِبَرِّي، فَلَا أَحَدَ سَبُّهُ جَاءَنِي لِغَبْرِ اللَّطَامِ
 لبري: للإحسان إليّ بطرح السلام، اللطام: الصفع

٢٤ ما كل رؤيا تصدق

وقال يهجو عتبة بن أبي عاصم، شاعر أهل حمص:

أَخْرَسَتْ إِذْ عَايَنْتَنِي، حَتَّى إِذَا مَا غَبَّتْ عَنْ بَصْرِي، ظَلَلْتُ تَشَدُّقُ
 عندما رأيته سكّ، حتى إذا ما ابتعدتُ عنك ظلمت تشدق (تفاصح) بالكلام

عَيْرٌ رَأَى أَسَدَ الْعَرِينِ، فَهَالَهُ حَتَّى إِذَا وَلَّى، تَوَلَّى يَنْهَقُ
 أَنْتَ كَالْعَيْرِ (الحمار) الَّذِي رَأَى أَسَدَ الْعَرِينِ فَهَالَهُ، فَلَمَّا وَلَّى الْأَسَدُ تَوَلَّى (بدأ) الْحَمَارُ يَنْهَقُ
 هَيْهَاتَ! غَالِكَ أَنْ تَنَالَ مَآثِرِي إِسْتَبَ بِهَا سَعَةً، وَبَاعَ ضَيْقُ
 بُغْذِكَ! لَقَدْ غَالِكَ (أهلكك) قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى مَآثِرِي (أفعالي) فَفَقْهَ وَاسِعَةً (فَأَنْتَ مِمَّنْ يَلَاظُ بِهِ)
 وَبَاعَ ضَيْقُ (قَدَّرَ سَافِلُ)

وَتَنَقَّلُ مِنْ مَعْشَرٍ فِي مَعْشَرٍ، فَكَأَنَّ أُمَّكَ أَوْ أَبَاكَ الزُّبَيْقُ
 وَأَعْجَزَكَ عَنِي تَنَقُّلُ بَيْنَ الْأَقْوَامِ فِي النَّسَبِ، لِأَنَّكَ دَعَيْ
 وَفُسُوقُ وَالِدَةٍ، حَسَتْ جُرْعَ الرَّدَى، وَأَظْنُهَا فِي اللَّحْدِ أَيْضًا تَفْسِيقُ
 حَسَتْ جُرْعَ الرَّدَى: لَعَقَتْ جُرْعَاتِ الْمَوْتِ

جَذَعًا لَأَنْفِ طِيٍّ إِنْ فُتَّهَا، وَلَوْ أَنَّ رُوحَكَ بِالسَّمَاءِ مَعَلَّقُ
 فَلْتَجِدْ (لَتَقَطَعْ) أَنْوْفَ قَبِيلَةِ طِيٍّ إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَفُوتُهَا وَيَسْبِقُهَا

إِنِّي أَرَاكَ حَلُمْتَ أَنَّكَ سَالِمٌ مِنْ بَطْشِهِمْ؛ مَا كُلُّ رُؤْيَا تَصْدُقُ
 إِيَّاكَ يَعْينِي الْقَائِلُونَ بِقَوْلِهِمْ: «إِنَّ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يُخْنَقُ»
 نُسِبَ الشُّطْرُ لِلْمَسَاوِرِ بْنِ هَنْدٍ، وَالْيَتِ بِتَمَامِهِ: شَقِيَّتُ بَنُو أَسَدٍ بِشَعْرِ مَسَاوِرٍ/ إِنْ الشَّقِيَّ بِكُلِّ حَبْلٍ يَخْنَقُ

سِرٌّ أَيْنَ شَتَّ مِنَ الْبَلَاءِ، فَلِي بِهَا سُورٌ عَلَيْكَ، مِنَ الرِّجَالِ، وَخُنْدَقُ
 أَخَذْنَا بِرَوَايَةِ الْجَاخِظِ، فِي الْبَيَانِ وَالتَّبَيُّنِ، لِهَذَا الْبَيْتِ، دُونَ رَوَايَاتِ الدِّيَّانِ بِنَسْخِهِ الْمَخْتَلِفَةِ
 وَقَصَائِدُ تَسْرِي إِلَيْكَ كَأَنَّهَا أَحْلَامُ رُغْبٍ، أَوْ خُطُوبُ طُرُقُ
 خُطُوبُ: مَصَائِبُ، طُرُقُ: قَادِمَاتُ لَيْلٍ

مِنْ مُنْهَضَاتِكَ، مُقْعِدَاتِكَ، خَائِفًا مُسْتَوْهَلًا، حَتَّى كَأَنَّكَ تَطْلُقُ
 قَصَائِدِي تَقْبِلُكَ وَتَقْعِدُكَ وَأَنْتَ خَائِفٌ مُسْتَوْهَلٌ (خَائِفٌ)، كَأَنَّكَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَطْلُقُ قَبِيلَ الْوَلَادَةِ
 مِنْ شَاعِرٍ وَقَفَ الْكَلَامُ بِبَابِهِ، وَاکْتَنَنَ فِي كَنَفِي ذَرَاهُ الْمُنْطِقُ
 اكْتَنَنَ: احْتَمَى، ذَرَاهُ: كَنَفُهُ وَحِمَايَتُهُ

٢٥ لَا لِلْمَشَاتِمَةِ

يَهْجُو عَتَبَةَ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ:

نُبِّئْتُ عُتْبَةَ يَغْوِي كِي أَشَاتِمَهُ اللَّهُ أَكْبَرُ! أُنَى اسْتَأْسَدَ النَّقْدُ
 النَّقْدُ: صَغَارُ الْغَنَمِ

إِنِّي لَأَعْجَبُ مِمَّنْ فِي حَقِيبَتِهِ مَنِ الْمَيِّ بُحُورٌ، كَيْفَ لَا يَلِدُ؟
 حقيبتة: هنا معناها «جوفه».. بيت منسوب إلى كثر، ولعلنا - غفلة منا - قد ضممناه في مختاراتنا
 إلى غير شاعر

٢٦ بلى، تموت فتستريح

يهجو عتبة بن أبي عاصم:

بنو عبد الكريم نجومٌ عَزَّ، تُرى في طَيِّءٍ أبداً تلوخُ
 إذا كان الهجاءُ لَهُم ثواباً، فأخِرني: لِمَنْ خُلِقَ المديحُ؟
 وما لك حيلةٌ فيهم، فتُجدي عليك؛ بَلَى، تموتُ فتستريحُ

٢٧ أحبا وأمات في الصحارى

يهجو عتبة بن أبي عاصم:

فإنَّكَ إِنْ تُسَاجِلْنِي تَجِدْنِي لِرَأْسِكَ جَنْدَلًا، وَلِفِيكَ ثُرْبًا
 الجندل: الصخر

تَجِدُ صِلًا تَخَالُ بِكُلِّ عَضْوٍ لَهُ مِنْ شِدَّةِ الحركاتِ قلبا
 الصل: الثعبان

أخا الفلواتِ، قد أخيا وأزدى ركاباً في صَحَاصِحِها، ورَكَبَا
 تجدني أخا (قرين) الفلوات (الصحارى)، الذي أخيا في صحاصحها (براريها)
 ركاباً (إبلًا) ورَكَبَا (وراكبين) بالوصول بها وبهم إلى الأمان، وأردى (أَمَاتَ)
 إبلًا وأصحاباً لم يتحملوا المشقات

٢٨ نحن مادة السَّمَر

يمدح عمر بن عبد العزيز الطائي من أهل حمص:

يا هذه أقصيري، ما هذه بشرُ ولا الخرائدُ من أترابِها الأخرُ
 يا هذه العاذلة أقصري (كُفِّي) فهذه الفتاة ليست من البشر لحسنها النادر، وكذا الخرائد (الحسان)
 من أترابها (صاحباتها)

لولا العيونُ وتَفَاحُ الخدودِ إِذْنُ ما كان يحسدُ أعمى مَنْ لَهُ بَصَرُ

بِالشَّعْرِ طَوَّلَ إِذَا اصْطَلَكْتَ قَصَائِدَهُ فِي مَعْشَرٍ، وَبِهِ عَنْ مَعْشَرٍ قِصْرُ

يطيل الشاعر في مدح من يستحقون المدح. وينقل شرف الدين المستوفي (في الصفحة ٤٨ من الجزء الثاني من مخطوطته «النظام») عكس ذلك في الشرح: فالشعر يكون أطول من بعض الناس لأنهم دونه في القامة، ويكون قصيراً عن القوم الكرام. وهذا - فيما نرى - بعيد. لكنه يخبرنا بين المعنيين؛ وقد اخترنا

هَلْ أَوْرَقَ الْمَجْدُ إِلَّا فِي بَنِي أَدَدٍ، أَوْ اجْتُنِي مِنْهُ، لَوْلَا طِيءٌ، ثَمَرُ؟

المجد يورق عندهم

لَوْلَا أَحَادِيثُ، بَقَّتْهَا مَأَثَرُنَا، مِنَ النَّدَى وَالرَّدَى لَمْ يُعْجِبِ السَّمَرُ

لولا ما تركت مآثرنا للناس من الأحاديث عن الكرم وقتل الأعداء ما كان السمر يعجب الناس

٢٩ فافعل ما تشاء

يَعْرُضُ بَعْضُ بَنِي حَمِيدٍ، بَعْدَ مَقْتَلِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمِيدٍ، وَلَمْ يَصِرْ بِهَجَانِهِ، لِأَنَّهُ كَانَ مَدْحُهُمْ، وَلِأَنَّهُ طَائِيٌّ، وَثَمَّةُ شَكٍّ فِي نِسْبَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ:

إِذَا جَارَيْتَ فِي خُلُقٍ ذَنْبِيًّا فَأَنْتَ وَمَنْ تُجَارِيهِ سَوَاءٌ

رَأَيْتُ الْحُرَّ يَجْتَنِبُ الْمَخَازِي وَيَحْمِيهِ عَنِ الْقَدْرِ الْوَقَاءُ

وَمَا مِنْ شِدَّةٍ، إِلَّا سَيَّأَتِي لَهَا مِنْ بَعْدِ شِدَّتِهَا رَخَاءُ

لَقَدْ جَرَّبْتُ هَذَا الدَّهْرَ، حَتَّى أَفَادَتْنِي التَّجَارِبُ وَالْعَنَاءُ

إِذَا مَا رَأَسُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَلَّى بَدَا لَهُمْ مِنَ النَّاسِ الْجَفَاءُ

يَعِيشُ الْمَرْءُ، مَا اسْتَحْيَا، بِخَيْرٍ وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ

في النبات يبقى الغصن مورقاً نضراً ما بقي له لحاؤه، وكذا فالمرء يظل بخير ما بقي مستوراً بالحياء

فَلَا وَاللَّهِ، مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ، وَلَا الدُّنْيَا، إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي، وَلَمْ تَسْتَحْيَ، فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ

٣٠ انتجاع الموت

يُرثِي بَنِي حَمِيدٍ بْنُ قَحْطَبَةَ:

أَيُّ الْقُلُوبِ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يَنْصَدِعُ وَأَيُّ نَوْمٍ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يَمْتَنِعُ؟

يَنْتَجِعُونَ الْمَنَايَا فِي مَنَابِتِهَا، وَلَمْ تَكُنْ قَبْلَهُمْ فِي الدَّهْرِ تُنْتَجَعُ

يتنجعون المنايا (يزورون الموت وكأنهم يذهبون للرعي)

لَوْ خَرَّ سَيْفٌ مِنَ الْعَيُوقِ مُنْصَلِتاً مَا كَانَ إِلَّا عَلَى هَامَاتِهِمْ يَقَعُ

لو خر سيف من العيوق (نجم في السماء) منصلاً (مجرداً من غمده) ما وقع إلا على رؤوسهم. فهم محترفو حرب لا يموتون حتف أنوفهم

إِذَا هُمْ شَهِدُوا الْهَيْجَاءَ هَاجَ بِهِمْ تَغَطَّرْتُ فِي وُجُوهِ الْمَوْتِ يَطْلُعُ

الهيحاء: الحرب، تغطرف: اعتزاز، يطلع: يبرز

وَأَنْفُسٌ تَسْعُ الْأَرْضَ الْفُضَاءَ، وَلَا يَرْضُونَ أَوْ يَجْشِمُوهَا فَوْقَ مَا تَسْعُ

نفوسهم كبيرة، ومع ذلك لا يرضون إلا أن يجشموها (يحملوها) فوق طاقتها

يُودُّ أَعْدَائِهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ قُتِلُوا، وَأَنَّهُمْ صَنَعُوا بَعْضَ الَّذِي صَنَعُوا

أعداؤهم يتمنون لو أبدوا مثل شجاعتهم حتى لو كان القتل هو الشن

عَهْدِي بِهِمْ تَسْتَنْبِرُ الْأَرْضُ إِنْ نَزَلُوا فِيهَا، وَتَجْتَمِعُ الدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعُوا

ويضحك الدهر منهم عَنْ غَطَارِقَةٍ كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ أُنْسِهَا جُمِعَ

يضحك الدهر منهم (يضحك بسببهم) عن غطارقة (سادة)،

وأيامهم مليئة بالأنس، فكانها كلها يوم جمعة

فِيمَ السَّمَاةِ إِعْلَاناً بِأَسَدٍ وَعَى، أَفَنَاهُمْ الصَّبْرُ إِذْ أَبْقَاكُمُ الْجَزَعُ

فلماذا تشمتون بهم علانية وهو أسود الوغى (الحرب)، لقد صبروا حتى الموت، وأنتم عشتم لأنكم فررتهم خوفاً

٣١ ثم انثنى فتقطعا

يرثي أبا نصر محمد بن حميد الطائي:

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي، وَإِنْ كَانَ أَسَمَعَا وَأَصْبَحَ مَغْنَى الْجُودِ، بَعْدَكَ، بَلَقَعَا

الناعي (ناقل خبرك) أصمنا بالخبر (جعلنا صماً لهول الخبر)، لكننا سمعناه، وأصبح مغنى (مكان) الجود بعدك بلقاعاً (قفرأ)

فَتَى، كُلَّمَا ارْتَادَ الشُّجَاعُ مِنَ الرَّدَى مَفَرّاً غَدَاةَ الْمَازِي، ارْتَادَ مَضَرَعَا

إِذَا سَاءَ يَوْمٌ فِي الْكَرِيهَةِ مَنْظَرًا تَصَلَّاهُ، عِلْمًا أَنَّ سَيَحْسُنُ مَسْمَعَا

الكرهية: الحرب، تصلاه: اصطلى بناره

فَإِنْ تَرَمَّ عَنْ عُمُرٍ تَدَانَى بِهِ الْمَدَى فَخَانَكَ، حَتَّى لَمْ تَجِدْ فِيهِ مَنْزَعًا..

فإن كنت ترمي بقوسك، ووتره عمرك الذي وصل مداه، وخانك الوتر ولم يبق فيه منزع (مدى لمزيد من الشد)..

فَمَا كُنْتُ إِلَّا السِّيفَ لَأَقَى ضَرْبِيَّةَ فَقَطَّعَهَا، ثُمَّ انْثَنَى فَتَقَطَّعَهَا

فما كنت إلا سيفاً لاقى ضربة (ضحية السيف المضروبة به) فقطعها، ثم تقطع هو. هذا أقصى ما استطعنا فهمه. وفي أبي تمام تشحك المفردات بمشاعر ومعان تؤلف فيما بينها صورة أو تصنع جواً. ولا تحاول أن تفسرها بالبحث عن مقابل موضوعي دقيق فتفسدها، فأنت معه كالمتفرج على آلاف الصبية في ستاد الأولمبياد يحملون لوحات ملونة تصنع صورة ضخمة، ثم تتموج وتتحرك بشكل عجيب، فإذا اقتربت فقدت جمال المنظر. لقد ظن عبد السلام هارون بأبي تمام شراً، وحسبه غير دقيق في استخدام اللغة، ثم درسه من كتب فغير رأيه، ووصل به الاقتناع بأبي تمام أن شرح همزياته في كتاب مستقل ونشره، خطوة أولى لشرح الديوان، لكنه مات وترك سبعة وعشرين حرفاً نعالج منها ما نعالج. وافتتن إيليا الحاوي بأبي تمام افتتاناً، فشرح ديوانه شرحاً رديئاً فيه العمومية المفرطة وفيه نسخ لأوهام من سبقه واجتهاداتهم، وفيه إسقاط بيت هنا وبيت هناك من باب الغفلة، وفيه مئات الأغلاط المطبعية، ومع كل هذا الذي قلناه فإيليا الحاوي رجل يعرف الأدب العربي القديم معرفة حسنة ويتذوقه؛ ثم وضع إيليا كتاباً ضخماً عن أبي تمام فيه هيام بهذا الشاعر «الحداثي». والحق أن أبا تمام شاعر متفرد؛ ومع أنني وصمته في المقدمة بعيوب كثيرة، فهو شاعر يجعل المعنى يتوقد في المفردة، ويردفها بغيرها على نحو يزيد المعنى بهاء وإن لم يزد وضوحاً، وما ينتهي البيت إلا وقد تكونت في قلبك حالة نفسية متكاملة صاخبة، وتكونت في عقلك صور شتى تنظر إليها معاً فتفهم، وتحاول التحقق منها فرادى فلا تجد شيئاً خطيراً. أبو تمام شاعر الإيحاء. وقد أزعج هذا النقاد القدماء كثيراً، فتعقبوه وعابوه وتسقطوا أخطاءه، لكن المؤلفين ظلوا يقتبسون في كتبهم أبياتاً كثيرة له. وظل شعره حياً. وكما ذكرت في ملاحظة سابقة، فإن الله لم يوفق أحداً إلى شرح ديوان أبي تمام شرحاً تقليدياً حرفياً يصل بقارئه إلى الفهم الدقيق للمفردة ومعناها ثم يضعها في مكانها من البيت. وسبب ذلك لغة الرجل المتفجرة، واحتمالاتها الكثيرة، ومَوَازَن هذه المفردات بالمعاني وظلال المعاني. وقد حاولت في هذه المختارات التي لا تتعدى العشرين بالمئة من ديوان الرجل أن أشرح الشرح الحرفي كي يصل القارئ إلى الصورة الكاملة والحالة النفسية بعد تمام الفهم، ووصلت إلى هذا البيت فذكرني بأن أبا تمام صعب وبأنه مختلف، وانظر إلى البيت الأخير، فكيف نشرحه؟ هل نصور لك بطلاً أسطورياً نزل الميدان كي يفني الأعداء وعندما أفتانهم انتهى مبرر وجوده فوق الأرض فقرر الوفاء للأسطورة فتبخر في الجو مفنياً نفسه لكي يتحول إلى ذكرى أسطورية رائعة، بطل لا يشيخ، بطل حياته صراع، بطل هو سيف لا إنسان، بطل يمثل لك مفهوماً: مفهوم أن كل الحياة فوق الأرض صراع. هو رمز لسر الحياة، وسر المجتمع الإنساني: رمز للصراع؟ لا بل نشرح البيت بكلمات بسيطة ونترك لك أن تستمتع به. فعلنا مثل هذا في عشرات الأبيات المشحونة بأمثال هذه اللوحات النفسية. شرحناها شرحاً لغوياً، وتركناك معها لتعيش حياتك. وأمامي في عطلتي الحالية من عملي ستة أيام، فإن لم أجد شيئاً أصنعه فسوف أكر راجعاً على كثير من الأبيات التي شرحتها شرحاً لغوياً ظاهرياً فأضيف إليها بعض التفلسف، وأحليها بتأملاتي في مغازيها. قد أجد من يقول لي: عافاك الله، الأمر أهون مما تظن!

٣٢ قتيل الحفاظ

يرثي محمد بن حميد، وأخاه قحطبة:

هنيهات! لا يأتي الزمان بمثليه، إنَّ الزمانَ بمثليه لَبَخِيلُ
يا ليتَ شِعري بالمكارمِ كلِّها، ماذا، وقد فَقَدْتَ نَدَاكَ، تقولُ؟
يا يومَ قحطبةٍ لقد أَبْقَيْتَ لي حُرَقاً، أَرَى أَيَّامَهَا سَتَطْوُونَ
لما رَأَى جمعاً قليلاً في الوغى؛ وأولو الحفاظِ مِنَ القليلِ قليلٌ..
رأى أصحابه في الحرب قلة، وأولو الحفاظ (الذين يحفظون الشرف) قليل من القليل

لأَقَى الكريهة، وهو مُغْمِدٌ رَوْعِهِ فِيهَا، وَلَكِنْ سَيْفُهُ مَسْلُوكٌ
لأَقَى الحرب وقد أغمد (خبأ) روعه (خوفه)، ولكنه استل سيفه

ومشى إلى الموتِ الزَّوَامِ، كَأَنَّمَا هُوَ، فِي مَحَبَّتِهِ إِلَيْهِ، خَلِيلُ
الموت الزَّوَام: السريع

٣٣ عبث

يرثي بعض بني حميد في مريثة أبي الفضل الحميدي:

لو يعلمُ الناسُ عِلْمِي بِالزَّمانِ، وما عَائَتْ يَدَاهُ؛ لما رَبَّوْا ولا وَلَدُوا

٣٤ الموت ولا المذلة

يرثي جعفر الطائي:

رَحِمَ اللَّهُ جَعْفَرًا، فَلَقَدْ كَانَا أَيْيًّا، شَهْمًا، وَكَانَ رَحِيمًا
مَثَلَ الْمَوْتِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَالذُّلَّ - ، فَكُلًّا رَأَى خَطْبًا عَظِيمًا
ثُمَّ سَارَتْ بِهِ الْحَمِيَّةُ قُدَمَاءَ فَأَمَاتَ الْعِدَى، وَمَاتَ كَرِيمًا

٣٥ كذا فليجل الخطب

يرثي محمد بن حميد الطوسي الطائي الذي قتل في خلافة المأمون وهو يحارب
الخُرَّمِيَّة:

كَذَا فَلْيَجَلِّ الْخَطْبُ، وَلْيَقْدَحِ الْأَمْرُ فَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرٌ
هكذا فلتكن المناحات، وليكن الأمر جليلاً وفادحاً، ولا عذر لعين لم تبك على الميت

تُوَفِّيَتِ الْأَمَالَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ، وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ
 ماتت آمال الناس بعد محمد بن حميد، وانشغل السفر (المسافرون) عن بدء سفرهم أو إكماله
 وما كَانَ إِلَّا مَالٌ مِّنْ قَلٍّ مَّالُهُ، وَذُخْرًا لِّمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ
 كان محمد مالا للفقير، وذخراً (كنزاً مذكوراً) لمن ليس له كنز

وَمَا كَانَ يَدْرِي مُجْتَدِي جُودٍ كَفَّهُ إِذَا مَا اسْتَهْلَتْ أَنَّهُ خُلِقَ الْعُسْرُ
 المجتدي (المستجدي) من كف محمد إذا ما استهلت (أمطرت) بالمال كان ينسى أن في الدنيا
 عسراً (فقراً)

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ عُظْلَتْ لَهُ فِجَاجُ سَبِيلِ اللَّهِ، وَانْتَعَرَ الثَّغَرُ
 مات في سبيل الله هذا الذي تعطلت بموته الفجاج (الطرق الجبلية) المؤدية إلى الجهاد، وانتعر
 الثغر (اختلت الحدود مع الأعداء)

فَتَى كُلَّمَا فَاضَتْ عَيُونُ قَبِيلَةٍ دَمًا، ضَحِكْتُ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذُّكْرُ
 تبكيه القبائل دماً، ولكن سُمعته ضاحكة

فَتَى دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوِبُهُ: فِي بَأْسِهِ شَطْرٌ، وَفِي جُودِهِ شَطْرٌ
 فتى كان دهره مقسوماً شطرين (نصفين) نصف للبأس (الشجاعة والقسوة) ونصف للسخاء

فَتَى مَاتَ بَيْنَ الضَّرْبِ وَالطَّعْنِ مِيتَةً نَقُومُ مَقَامَ النُّصْرِ، إِذْ فَاتَهُ النَّصْرُ
 وما ماتَ حتى ماتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنْ الضَّرْبِ، وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا السُّمُرُ
 ما مات حتى تلثم سيفه من الضرب، واعتلت (مرضت وتلفت) القنا (الرماح) السمر

وَقَدْ كَانَ قَوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا، فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الْحِفَاطُ الْمَرُّ، وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ
 كان قوت (تجنب) الموت سهلاً، ولكن الحفاظ (حفظ الشرف) المرّ رده إلى الموت ومنعه من
 الفرار، وكذا خلقه الوعر (الشديد)

وَنَفْسٌ تَعَاَفَ الْعَارَ، حَتَّى كَأَنَّهُ هُوَ الْكَفَرُ يَوْمَ الرَّوْعِ، أَوْ دُونَهُ الْكُفْرُ
 ومما رده إلى الموت أيضاً في يوم الروع (يوم المعركة)
 نفس تعاف العار فكأنه الكفر

فَأَبَّتْ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رِجْلَهُ وَقَالَ لَهَا: مِنْ تَحْتِ أَخْمَصِكَ الْحَشْرُ
 عرف أن الموقف موقف النهاية فبَّت رِجْلَهُ في هذا المستنقع وقال لها تحت أخمصك يوم الحشر،
 أي أنه وعد نفسه بالجنة

غدا غُدُوَّةٌ وَالْحَمْدُ نَسْجُ رِدَائِهِ ، فلم يَنْصَرِفْ إِلَّا وأكفأه الأجرُ
غدا غدوة (صباحاً) وهو يرتدي رداء من الحمد (الشعور بالكرامة)، وما انصرف عن موقفه ذاك إلا
وهو مكفن ليس بثوب بل بأجر وثواب لأنه شهيد

تَرَدَّى ثِيَابُ الْمَوْتِ حُمْرًا، فما أتى لها اللَّيْلُ، إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ
ليس كفنًا أحمر من دمه، وما جاء الليل إلا والكفن من سندس (حرير) أخضر،
لباس أهل الجنة

كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومٌ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ
كان قومه نجوم فقدت قمرها

يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ الْعُلَى ، وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْجُودُ وَالْبَاسُ وَالشُّعْرُ
يعزيهم الناس عن ثاو (مقيم بلا حراك)، والعلی (الأمجاد) أيضاً تُعَزَّى به لأنها فقدته

وَأَتَى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ، وقد مضى إلى الموتِ، حَتَّى اسْتَشْهِدَا هُوَ وَالصَّبْرُ !
كيف لهم أن يصبروا عليه وقد كان مثلاً للصبر، فلما استشهد مات الصبر نفسه معه

فَتَى كَانَ عَذَبَ الرُّوحِ لَا مِنْ غَضَاضَةٍ، وَلَكِنَّ كِبْرًا أَنْ يُقَالَ: بِهِ كِبْرُ !
كان أنيساً ولكن ليس من غضاضة (ذل)؛
ومن الكبر (الإثم) القول إنَّ به كِبْرًا (تكبراً)

أَمِنْ بَعْدِ طَيِّ الْحَادِثَاتِ مُحَمَّدًا يَكُونُ لِأَثْوَابِ النَّدَى أَبَدًا نَشْرُ؟
إِذَا شَجَرَاتُ الْعُرْفِ جُدَّتْ أَصُولُهَا فَفِي أَيِّ فَرْعٍ يَوْجَدُ الْوَرَقُ النَّضْرُ؟
إذا جذت (قطعت) شجرات العرف (المعروف) من أصولها (جذورها)،
فكيف يكون على الفروع ورق؟

لِئِنْ أَبْغَضَ الدَّهْرُ الْخَوَوْنَ لِفَقْدِهِ لَعَهْدِي بِهِ يَمَنَّ يُحِبُّ لَهُ الدَّهْرُ
لِئِنْ أَلْبَسَتْ فِيهِ الْمَصِيبَةُ طِيَّ لَمَّا عَرِثَتْ مِنْهَا تَمِيمٌ وَلَا بَكْرُ
كَذَلِكَ مَا نَنْفُكُ نَفَقْدُ هَالِكَا يَشَارِكُنَا فِي فَقْدِهِ الْبَدْوُ وَالْحَضْرُ
مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ؛ لَمْ تَبْقَ رَوْضَةٌ، عَدَاةُ ثَوَى، إِلَّا اسْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ
طاهر الأثواب: عفيف، ثوى: همد

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفًا، فَإِنِّي رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمُرُ
وقفاً (مخصصاً بك)

٣٦ حوار مع ميت

يرثي محمد بن حميد:

مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْلَقَتْ رِمْمُهُ أُرَيْقَ مَاءِ الْمَعَالِي مُذْ أُرَيْقَ دَمُهُ
أخَلقت: اهترأت، رemme: بقايا جثته

رَأَيْتُهُ يَنْجَادِ السِّيفِ مُحْتَبِيًّا، كَالْبَدْرِ حِينَ انْجَلَتْ عَنْ وَجْهِهِ ظِلْمُهُ
رأيتَه جالساً يسند ظهره بحماثل السيف، فكانه البدر وقد انجلى عن وجهه الغمام، والاحتباء أن
تضع مقعدتك على الأرض وتجمع ظهرك إلى ركبتيك بشال أو نحوه

فِي رَوْضَةٍ قَدْ عَلَا حَافَاتُهَا زَهْرٌ، عَلِمْتُ عَنْدَ انْتِبَاهِي أَنَّهَا نِعْمَةٌ
رأيتَه (أبو تمام يتخيل أنه رآه) فِي رَوْضَةٍ يَحْفَا الزَّهْرُ، وَلَكِنِّي عِنْدَمَا انْتَبَهْتُ (صَحَوْتُ مِنْ نَوْمِي)
فَسَرْتُ الزَّهْرَ بِأَنَّهُ مَعْرُوفُهُ الَّذِي أَنْعَمَ بِهِ عَلَيَّ النَّاسُ

فَقُلْتُ، وَالْدَّمَغُ، مِنْ حُزْنٍ وَمِنْ فَرَحٍ، يَجْرِي، وَقَدْ مَلَأَ الْخَدَيْنِ مُنْسَجِمُهُ:
منسجمه: سائله

أَلَمْ تَمُتْ يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مُذْ زَمَنْ؟ فَقَالَ لِي: لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرَمُهُ

٣٧ مزاحفة الأيام

يمدح نوح بن عمرو السكسكي من كندة:

يَوْمَ الْفِرَاقِ! لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلًا لَمْ تُبْقِ لِي جَلْدًا وَلَا مَعْقُولًا
يا يوم الفراق لم تبق لي جلدًا (صبراً)، ولا معقولا (عقلاً)

قَالُوا: الرَّحِيلَ، فَمَا شَكَّكَ بِأَنَّهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تَرِيدُ رَحِيلًا
الرحيل: قرأها كم شئت من الطبقات ومن الكتب بالضمّة،
وقرأتها بالفتحة على تقدير «تريد»، إغراء

أَتُظَنُّنِي أَجْدُ السَّبِيلِ إِلَى الْعَرَا؛ وَجَدَ الْحِمَامُ إِذْنِي إِلَى سَبِيلَا
أتظنني أجد طريقة للعزاء (النسيان)؟ فليجد الحمام (الموت) إذن طريقه إليّ لو فعلت

رَدُّ الْجُمُوحِ الصَّعْبِ أَسْهَلَ مَطْلَبًا مِنْ رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصَابَ مَسِيلًا
إن ردّ الجموح الصعب (الحصان الهائج) إلى هدوئه، أسهل من ردّ دمع (منع) دمع قد أصاب (وجد)
مسيلًا (طريقاً)

إِنِّي تَأَمَّلْتُ النَّوَى، فَوَجَدْتُهَا سَيْفًا عَلَيَّ، مَعَ الْهَوَى، مَسْلُولا

لا تَأْخُذْنِي بِالزَّمَانِ، فَلَيْسَ لِي تَبَعًا، وَلَسْتُ عَلَى الزَّمَانِ كَفِيلًا
لا تأخذيني بالزمان (لا تعاتيني بذنوب الزمان) فالزمان ليس تابعاً لإرادتي، ولست كفيلاً بتغيير
صروفه

مَنْ زَاخَفَ الْأَيَّامَ، ثُمَّ عَبَا لَهَا غَيْرَ الْقَنَاعَةِ، لَمْ يَزَلْ مَفْلُولًا
من زاحف الأيام (من حارب أحداث الأيام زاحفاً بجيشه عليها) ثم عبا لها (جهز لها) سلاحاً
سوى القناعة لم يزل (ظل) مفلولاً (مهزوماً)

مَنْ كَانَ مَرَعَى عَزَمِهِ وَهَمُومِهِ رَوْضُ الْأَمَانِيِّ، لَمْ يَزَلْ مَهْزُولًا
من كان رَوْضُ الْأَمَانِيِّ (أحلام اليقظة) المرعى الذي ترتاده همومه (طموحاته) سيظل مهزولاً في
مثل ذلك المرعى

لَوْ جَاَزَ سُلْطَانُ الْقُنُوعِ وَحُكْمُهُ فِي الْخَلْقِ، مَا كَانَ الْقَلِيلُ قَلِيلًا
لو جاز (نفذ) سلطان القنوع (قوة القناعة) في البشر لما وجدوا المال القليل قليلاً
الرزقُ: لا تَكْمَدُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَأْتِي، وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْهِ رَسُولًا
تكمد: تحزن

لَا تَدْعُونَ نُوحَ بْنَ عَمْرٍو دَعْوَةً لِلْحَظْبِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَلِيلًا
لا تستنجد بنوح بن عمرو في الخطوب (المشكلات) الصغيرة بل في الكبيرة. (جاء رجل
إلى سيد من سادات العرب وقال له: أريد منك خدمة صغيرة، فأجاب: اذهب والتمس
لها رجلاً صغيراً. ومن أدب الإنجليزي أنه يقصدك في معاملة يومية بسيطة فيبدأك
بالقول: هل لك أن تسدي إليّ معروفًا كبيراً؟ ثم يطلب تأجيل الاجتماع ربع ساعة، مثلاً)

لَوْ أَنَّ طُولَ قَنَاتِهِ يَوْمَ الْوَعَى مِيلٌ، إِذَنْ نَظَمَ الْفَوَارِسَ مِيلًا
يقول: لو كان طول رمحه ميلاً لشكَّ في الرمح أجسام الفرسان، مثلما تشكُّ قطع
اللحم في سيخ الشّيء، ميلاً كاملاً. الميل: قياس روماني من ألف خطوة، وجعله
قدماء العرب ثلث فرسخ، نحو ثلاثة كيلومترات؛ وفيه أقوال أخرى. البيت غير
موجود عند التبريزي والصلولي والحاوي، وأورده محيي الدين الخياط؛ وتنسبه بعض
المصادر لبكر بن النطاح، وخلو النسخ الموثوقة منه يعزز هذه النسبة

٣٨ ولا عذرٌ لطائيٍّ لئيم

يمدح بعض بني عبد الكريم الطائيين:

وَمِمَّا ضَرَمَ الْبُرْحَاءُ: أَنِّي شَكَوْتُ، فَمَا شَكَوْتُ إِلَى رَحِيمٍ
ضرم (أشعل)، البرحاء (الثَّدَّة)

ولَيْلٍ بَتْ أَكَلَوْهُ، كَأَنِّي سَلِيمٌ، أَوْ سَهَرْتُ عَلَى سَلِيمٍ
رب ليل بت أكلوه (أرقبه) كأني سليم (ملدوغ)، أو ساهر على شخص ملدوغ. وكانوا يسهرون
على من لدغته أفعى حتى لا ينام فيسرع سريان السم فيه

فَأَقْسِمُ: لَوْ سَأَلْتَ دُجَاهُ عَنِّي لَقَدْ أَنْبَأَكَ عَنْ وَجْدٍ عَظِيمٍ
دجاء (ظلامه)، أنباك (أخبرك)

أَنْحَنَا فِي دِيَارِ بَنِي حَبِيبٍ بَنَاتِ السَّيْرِ، تَحْتَ بَنِي الْعَزِيمِ
بنات السير (الإبل)، بنو العزيم (نحن، ذوو العزيمة القوية)

لِكُلِّ مَنْ بَنِي حَوَاءَ عُذْرٌ، وَلَا عُذْرٌ لِبَطَائِي لَثِيمٍ
أَحَقُّ النَّاسِ بِالكَرَمِ امْرُؤٌ لَمْ يَزَلْ يَأْوِي إِلَى أَصْلٍ كَرِيمٍ

٣٩ من كان يألفهم في المنزل الخشن

وقال في أبي الحسن علي بن مر:

قَوْمٌ إِذَا هَظَلْتُ جُوداً أَكْفُهُمْ عَلِمْتَ أَنَّ النَّدَى، مُذْ كَانَ، فِي الْيَمَنِ
كَمْ وَقَعَةٍ لَكَ، مَا يَنْفَكُ يَذْكُرُهَا خَلِيفَةُ اللَّهِ، فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنِ
وقعة: معركة

لَمْ يَبْقَ مِنْ شَجَرِ الْبَغْيِ، الَّتِي غُرِسَتْ بِجَانِبِ الشَّامِ، مِنْ جِذْمٍ وَلَا فَنٍّ
جذم: جذر، فن: غصن

وَكُلُّ شَيْءٍ لَهُ شَيْءٌ يَكُونُ بِهِ فَسَادُهُ؛ وَفَسَادُ الْكَلْبِ فِي السَّمَنِ
أي أن العصاة أكلوا من مال الدولة وسمنوا فكان في ذلك فسادهم

لِي حُرْمَةٌ بِكَ، فَاحْفَظْهَا، وَجَارِ بِهَا يَا حَافِظَ الْعَهْدِ، وَالْعَوَادِ بِالْمَنْنِ
المنن: المعروف العواد: الزائرون

أَوَّلَى الْبَرِيَّةِ حَقًّا أَنْ تُرَاعِيَهِ، عِنْدَ السُّرُورِ، الَّذِي آسَاكَ فِي الْحَزَنِ
آساك: واساك

إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَثِينِ
أسهلوا: تحسنت أحوالهم

٤٠ الكبيرة للكبير

وقال في مرض إلياس بن أسد:

اللَّهُ عَافَاكَ مِنْهَا عِلَّةً عَرَضًا لَمْ تَنْحُ أَظْفَارُهَا إِلَّا عَلَى الْكَرَمِ
عافاك الله من مرض عارض لم تنح (تنجه) أظفاره إلا إلى الكرم المتمثل فيك

إِنَّ الرِّيَّاحَ إِذَا مَا أَعْصَفَتْ قَصَفَتْ عِيدَانٌ نَجْدٍ، وَلَمْ يَعْْبَأَنَّ بِالرَّثَمِ
العيدان: النخلات، الرثم: نبات دقيق الساق

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلَوَى، وَإِنْ عَظُمَتْ، وَيَبْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعَمِ

٤١ عندما يفكر الدهر

وقال يمدح أبا المستهل محمد بن شقيق الطائي:

تَحَمَّلَ عَنْهُ الصَّبْرُ يَوْمَ تَحَمَّلُوا وَعَادَتْ صَبَاهُ فِي الصَّبَا وَهِيَ شَمَالُ

تحمل: حمل متاعه على الجمال متأهباً للرحيل، الصبا: ريح طيبة، الشمال: ريح تشتت السحاب، وهي مذكومة. يقول: رحل صبر العاشق يوم رحل الأحباب، وأصبحت رياح الشباب المنعشة رياحاً ذميمة

بَيَّومٍ كَطُولِ الدَّهْرِ فِي عَرَضٍ مِثْلِهِ وَوَجْدِي، مِنْ هَذَا وَهَذَاكَ، أَطُولُ

كان يوم الرحيل طويلاً عريضاً، وكان وجدي (حزني) أكبر من طوله ومن عرضه

تَحَمَّلْتُ مَا لَوْ حُمِلَ الدَّهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ دَهْرًا: أَيُّ عِبَائِهِ أَثْقَلُ

تحملت من الأسى ما لو حمل الدهر شطره (نصفه) لقضى دهرًا يفكر أي العباين (الحملين) أثقل: عبء كونه دهرًا، أم العبء الجديد. لمن يقرأون الشروح المختلفة ويحققون، ويهمهم التنقيب: شرح هذا البيت المرزوقي، وسرق شرحه التبريزي، وسرقه الحاوي، وسرقه صبحي، وشرحه شرف الدين المستوفي، وعلق على البيت بكلام كثير الآمدي ولم يشرح العباين. وجاءت حاشية غفل في نسخة من النسخ، وفيها شرح يوافق ما ذكرناه (أوردنا محقق شرح الصولي خلف رشيد نعمان في الهامش). وأما الشرح الذي تهافت عليه القوم ففطير. لنفترض أن «مبدعه» سها، ألا وقفة ثوان معدودات قبل السطو؟ جاء في الشرح الفطير: (الدهر وقف حائرًا أمام النصفين لكي يختار أخفهما). فهل يقوم هذا بقوله «عبايه»؟ ثم إن الدهر فكَّرَ «بعد» أن حمل النصف، وليس «قبل». ورأينا الشتيمري قد فهم البيت كما فهمناه فاطمان القلب. والله أعلم

لِيَهْنِ امْرَأاً أَتْنَىٰ عَلَيْكَ بَأْئُهُ يَقُولُ، وَإِنْ أَرَبَىٰ، فَلَا يَتَقَوَّلُ
هنيئاً لمن يشي عليك، فمهما قال حتى لو أربى (زاد في المدح)
فهو لا يتقول (لا يفتري)

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْخَيْرَ مِنْكَ سَجِيَّةٌ، وَلَكِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ عِنْدِي الْمَعْجَلُ

٤٢ الأفاعيل

وينسب إلى أبي تمام القول:

وَدَهْرٌ أَسَاءَ الصُّنْعَ، حَتَّىٰ كَأَنَّمَا يُقْضَىٰ نُدُوراً فِي مَسَاءَتَيِ الدَّهْرِ
كَانَ الزَّمَنُ يَفِي بِنَدْرِ نَدْرِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَهُوَ أَنْ يَسِيءَ إِلَيَّ

فَعَلُّنُم بِأَبْنَاءِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ أَفَاعِيلَ، أَدْنَاهَا الْخِيَانَةُ وَالْغَدْرُ
وَمِنْ قَبْلِهِ أَخْلَفْتُمُ لَوْصِيَّهِ بِدَاهِيَةِ دَهْيَاءَ لَيْسَ لَهَا قَدْرُ
وصي النبي: علي بن أبي طالب

وَشُدَّ بِهِ أَزْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، كَمَا شُدَّ مِنْ مُوسَىٰ بِهَارُونِهِ الْأَزْرُ

٤٣ الليث يفترس الكلب

يهجو مفران المباركي:

رَجَا أَنْ يُنَجِّيهِ خَسَاسَةُ قَدْرِهِ وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ اللَّيْثَ يَفْتَرَسُ الْكَلْبَا
رجا هذا الرجل أن ينجيه شيء هو خساسة قدره، ولكنني مستعد للنزول إلى مستواه،
فالأسد يفترس الكلب

٤٤ حزناً على السيدة الحنون

يهجو مفران المباركي:

إِمْرَأَةً مَفْرَانٌ مَاتَتْ بَعْدَ مَا شَابَا فَحَسَّتِ السَّلْعَ الْفَتْيَانُ، وَالصَّابَا
بموتها حسَّت (شرَّبت) الفتيان السلع (شجر ثمره مُرٌ)
والصاب (نبات عصارتُه بيضاء مُرَّة)

لَمْ يَبْقَ خَلْقٌ بِبَابِ الشَّامِ نَعْرِفُهُ بِالْفَتَكِ، مُذْ هَلَكْتَ، إِلَّا وَقَدْ تَابَا
الفتك (التجرؤ على المعارم)

يَا نَكْبَةً هَشَمْتَ أَنْفَ السُّرُورِ بِهَا، وَمِيتَةً أَبَقْتَ الْعُرَّابَ عُرَّابَا

النكبة بها (بموتها) هشمت أنف سرور أولئك العراب، فقد ظلوا عُرَّاباً بعد موتها. هذا فن من الشعر حذق فيه أبو تمام، وعلمه تلميذه البحرى. أنشد أبو تمام تلميذه البحرى أبياتاً يصف فيها الفرس، ويصف حوافره الصلبة، وختم بالقول: «أَبَقْتُ، إِنَّ لَمْ تَنْبُتْ، أَنَّ حَافِرَهُ/ مِنْ صَخْرٍ تَذْمُرُ أَوْ مِنْ وَجْهِ عُثْمَانَ». ثم قال له: ما هذا الشعر؟ فقال البحرى: لا أدري. قال أبو تمام: هذا الاستطراد. فالشاعر يوهمننا بأنه يصف الفرس ثم يختم القطعة بالقول إن حافر الفرس في صلابته يشبه وجه عثمان. وصلابة الوجه تعني: الوقاحة. و«الاستطراد» في الشعر غيره في النثر. ففي النثر هو الخروج من موضوع إلى موضوع. أما في الشعر فهو ما مربك. ويكون أقوى ما يكون إذا خرج الشاعر إلى الهجاء. فهنا يكون أشبه شيء بالنكتة. (انظر القطع: ٤٥، ٤٦، والبيت الأول من ٤٨، والقطعة ٥٠، ففيها كلها أسلوب الاستطراد)

٤٥ فيما يقال..

يهجو مَقران المباركي:

يَا زَوْجَةَ الْمُسْكِينِ مَقْرَانَ الَّتِي عَظُمْتَ عَلَى الْمُتَظَرِّفِينَ وَقَاتُهَا

المتظرفين، بالطاء المعجمة، قراءة. وما يبدي من طبعات راوح بين منظرين ومتظرفين. فإذا أنكرت أن يفعل المتظرف ما يرميه به أبو تمام فاسمع أبا نواس يضرب المثل بـ «تیه مغن وظرف زندیق»

خَلَّتِ الْقُبُورُ بِظَبْيَةٍ، عَهْدِي بِهَا، فِيمَا يُقَالُ، لَذِيذَةٌ خَلَوَاتُهَا

تَرَكَتْ عَلَى الْمُسْكِينِ عِدَّةَ صَبْيَةٍ مِثْلَ الْفِرَاحِ، تُخَرِّمَتْ أُمَاتُهَا

تخرمت (ماتت) أماتها (أمهاتها/ تستعمل لغير العاقل)

لَوْ كَانَ أَحْصَى بَابَهُ، أَوْ دَارَهُ، قَلَّتْ بَنُوهَا عِنْدَهُ، وَيَنَاتُهَا

هذا أسلوب الاستطراد في الشعر، (انظر القطع: ٤٤، ٤٦، والبيت الأول من ٤٨، والقطعة ٥٠، ففيها كلها أسلوب الاستطراد الذي تراه في هذه القطعة)

٤٦ يا ذا القرنين

يهجو محمد بن يزيد الأموي الشاعر:

يَا ابْنَ تِلْكَ الَّتِي بِحَرَآنَ، لَمَّا نَبَيْتَ، أَنْبَيْتَ عُصُونَ السَّفَاحِ

أي أن السفاح (الزنا) ولد معها

لا تَهْوِلَنَّكَ الْكِبَاشُ، فَقَدْ أَعْرَ طَيِّتَ مَا شِئْتَ مِنْ أَدَاةِ النُّطَاحِ
 أي أنك ذو قرنين مثل الكيش. والقرنان رمز للرجل المخدوع عن حريمه، أو الديوث.
 (انظر القطع: ٤٤، ٤٥، والبيت الأول من ٤٨، والقطعة ٥٠، ففيها كلها أسلوب الاستطراد
 الذي تراه في هذه القطعة)

٤٧ أَشْرَجْتَ وَأُنْحَفْتَ

يهجو محمد بن يزيد:

أَشْرَجْتَ قَلْبَكَ مِنْ بُغْضِي عَلَى حُرْقٍ أَضَرَّ مِنْ حُرْقَاتِ الْهَجْرِ فِي الْجَسَدِ
 أشرجت: خيَّطت، أي أنك كتمت في قلبك الغيظ الشديد مني
 أُنْحَفْتَ جِسْمَكَ، حتى لو هَمَمْتُ بِأَنْ أَلْهُو بِصَفْعِكَ يَوْمًا، لَمْ تَجِدْكَ يَدِي

٤٨ الْعِقَابُ الْجَمَاعِي لِلْبَشَرِيَّةِ

يهجو ابن الأعمش:

لَوْ يَقْدِرُ الْمُسْكِينُ، وَمِمَّا بِهِ، لَا سَتَدْخَلَ الْفَيْشَةَ بِالْعَرْضِ
 لو يقدر المهجو، مما به من إدمان على اللواط، لطلب إدخال الفيشة (ذلك الشيء) ليس بالطول
 ولكن بالعرض.. فتأمل، (انظر القطع: ٤٤، ٤٥، ٤٦، و٥٠، ففيها كلها أسلوب الاستطراد
 الذي تراه في هذا البيت)

لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ الرَّدَى كُلَّهُ حَتْمٌ عَلَى الرَّاتِعِ فِي عِرْضِي
 قد بلغه علمٌ بذلك في البيت السابق

كَوْنُكَ فِي صُلْبِ أَبِيْنَا الَّذِي أَهْبَطْنَا جَمْعًا إِلَى الْأَرْضِ

كونك موجوداً في صلب أبينا (أي: في صلب آدم، وسينجبك أحد أحفاده) هو
 الذي جعلنا نهيط من الجنة. النسخة الموسومة بالحرف «ر» تريد أن تزيدنا علماً:
 فالرجل الذي كان في الجنة هو آدم، فوضعت كلمة «آدم» مكان كلمة «الذي» في
 البيت، وليذهب علم العروض إلى الجحيم؛ وقد اعتمدها عزام بدون إشارة
 هامشية، واعتمدها بعده الدكاترة الناسخون، رغم إشارة بعضهم في الهامش إلى
 الرواية التي أوردناها هنا (وهي رواية الصولي) والتي بها يقوم البيت معنىً ومبنىً.
 وعلى ذكر العروض يحسن بأحد الدكاترة أن يراجع الكامل المرفل، ويعلم أنه لا
 يكون إلا مجزوءاً؛ فأما ما وسمه بالكامل المرفل فهو تام لكنه أخذ في ضربه
 وعروضه، وقد يكون مضرباً في الضرب أو لا يكون، هذا في موضع آخر فأما
 هذه القطعة فهي من السريع

٤٩ أيها الدميم

قال في ابن الأعمش:

كُحِلْتُ بِقُبْحِ صَوْرَتِهِ، فَأَضْحَى لَهَا إِنْسَانٌ عَيْنِي فِي السَّيَاقِ
اكتحلت عيني بصورته القبيحة فأضحى إنسان عيني (بؤبؤها) في السياق (في النزاع الأخير)
مَسَاوٍ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الْعَوَانِي لَمَّا جُهِزْنَ إِلَّا بِالطَّلَاقِ
مساو (مساوي)

قُبُحَتْ، وَزِدَتْ فَوْقَ الْقُبْحِ، حَتَّى كَأَنَّكَ قَدْ خُلِفْتَ مِنَ الْفِرَاقِ

٥٠ رحمها الله

يهجو معدان:

لَا تَرَكْنَنِي إِلَى الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا فَإِنَّ أَوْطَانَهَا لَيْسَتْ بِأَوْطَانِ
وَامْهَدْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ، وَلَا يَغْرُزُكَ كَثْرَةُ أَصْحَابِ وَإِخْوَانِ
لَوْ أَنَّهُمْ نَفَعُوا خَلْقًا لِحُرْمَتِهِ لَدَافَعُوا الْمَوْتَ عَنْ إِمْرَأَةِ مَعْدَانَ
الخلاصة: زوجة معدان كانت كثيرة الأصحاب والإخوان، رحمها الله. (انظر القطع: ٤٥، ٤٦،
والبيت الأول من ٤٨، ففيها كلها أسلوب الاستطراد الذي تراه في هذه القطعة)

٥١ واجاريتاه

يرثي جارية له:

أَلَمْ تَرَنِي خَلَيْتُ نَفْسِي وَشَانَهَا وَلَمْ أَخْفِلِ الدُّنْيَا، وَلَا حَدَثَانَهَا
حدثانها: مصائبها

لَقَدْ خَوَّفْتَنِي النَّائِبَاتِ صُرُوفُهَا، وَلَوْ أَمْنَتْنِي مَا قَبِلْتُ أَمَانَهَا
وكيف على نار اللبالي مُعَرَّسِي! إِذَا كَانَ شَيْبُ الْعَارِضِينَ دُخَانَهَا
كيف يكون على نار اللبالي (عذاب الزمن) معرسي (نزولي وإقامتي)، وشيب العارضين (السالفين)
بكل قسوته هو مجرد دخان تلك النار. ولك أن تتخيل الشيب في أوائله رمادياً كالدخان في لونه

أَصِبتُ بِخَوْدٍ، سَوْفَ أَغْبُرُ بَعْدَهَا حَلِيفَ أَسَى، أَبْكِي زَمَانًا زَمَانَهَا
خود: فتاة ناعمة، أغبر: أصبح، حليف أسى: ملازماً للحزن

يَقُولُونَ: هَلْ يَبْكِي الْفَتَى لِخَرِيدَةِ مَتَى مَا أَرَادَ اغْتَاضَ عَشْرًا مَكَانَهَا؟
خريدة: لؤلؤة

وَهَلْ يَسْتَعِضُّ الْمَرْءُ مِنْ خَمْسٍ كَفَّهُ؟ وَلَوْ صَاعٌ مِنْ حُرِّ اللَّجَيْنِ بَنَانَهَا

خمس كفه: أصابعه الخمس، حر اللجين: الفضة الخالصة

٥٢ كان الذي خفت أن يكونا

يرثي ابناً له (وفي نسبة القصيدة شك):

كَانَ الَّذِي خِفْتُ أَنْ يَكُونَا إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ
حِينَ انْتَهَى، وَاسْتَوَى شَبَاباً وَحَقَّقَ الرَّأْيَ وَالظُّنُونَا
أَصِيبْتُ فِيهِ، وَكَانَ عِنْدِي عَلَى الْمَصِيبَاتِ أَنْ يُعِينَا
كَانَ مَفْرُوضاً أَنْ يَعِيتَنِي عَلَى الْمَصَائِبِ، لَا أَنْ يَكُونَ مَوْتُهُ أَحَدَهَا

كَنتُ عَزِيزاً بِهِ كَثِيراً، وَكُنْتُ صَبّاً بِهِ ضَنِينَا
كَنتَ بِهِ عَزِيزاً، وَكُنْتُ بِهِ كَثِيراً، أَي صَاحِبَ عَزْوَةٍ وَكَثِيرَ الْإِنصَارِ

دَافَعْتُ، إِلَّا الْمَمْنُونَ، عَنْهُ؛ وَالْمَرْءُ لَا يَدْفَعُ الْمَمْنُونَا
يَشْخَصُ، طَوَّراً بِنَاطِرِيهِ، وَتَارَةً يُطَبِّقُ الْجُفُونَا
ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ، فَأَمْسَى فِي جَدَثٍ لِلثَّرَى دَفِينَا
بُنَيَّ يَا وَاحِدَ الْبَنِينَا! غَادَرْتَنِي مُفْرِداً حَزِينَا
هَوْنٌ رُزْئِي بِكَ الرَّزَايَا عَلَيَّ فِي النَّاسِ أَجْمَعِينَا
بِمَوْتِكَ لَمْ أَعِدْ أَهْتَمِ لِأَيَّةِ مَصِيبَةٍ أُخْرَى

٥٣ لله الحاظه والموت يكسرهما

لِلَّهِ الْحَاطَةُ، وَالْمَوْتُ يَكْسِرُهَا كَأَنَّ أَجْفَانَهُ سَكْرَى مِنَ الْوَسَنِ
شَكُوْتُ اللَّهِ عَذَابِي وَأَنَا أَرَى الْحَاطَةَ (نظراته) وَالْمَوْتَ يَكْسِرُهَا؛
كَانَ أَجْفَانُهُ بِهَا سُكْرٌ مِنَ الْوَسَنِ (النعاس)

يَرُدُّ أَنْفَاسَهُ كُرْهَاءَ، وَتَعَطِّفُهَا يَدُ الْمَنِيَّةِ عَطَفَ الرِّيحِ لِلْغُصْنِ
يَا هَوْلَ مَا أَبْصَرْتُ عَيْنِي، وَمَا سَمِعْتُ أُذُنِي؛ فَلَا بَقِيَتْ عَيْنِي، وَلَا أُذُنِي
لَمْ يَبْقَ مِنْ بَدَنِي جُزْءٌ عَلِمْتُ بِهِ إِلَّا وَقَدْ حَلَّهَ جُزْءٌ مِنَ الْحَرَنِ

٥٤ أصبحت الأرض إذن سماء

يصف المطر:

أَلَا تَرَى مَا أَصْدَقَ الْأَنْوَاءَ

أصدق: أقوى، الأنواء: الأمطار

قَدْ أَقْنَيْتِ الْحَجْرَةَ وَاللَّوَاءَ

الحجرة: سنة القحط، اللواء: الشدة

فَلَوْ عَصَرْتَ الصَّخْرَ صَارَ مَاءً

مِنْ لَيْلَةٍ بَيْنَنَا بِهَا، لَيْلَاءُ

إِنْ هِيَ عَادَتْ لَيْلَةً عَدَاءُ

عداء: على التوالي

أَصْبَحَتِ الْأَرْضُ إِذْنُ سَمَاءَ

٥٥ غيمة

وقال يصف غيثاً:

لَمَّا بَدَتْ لِلْأَرْضِ مِنْ قَرِيبٍ

تَشَوَّفَتْ لِوَبْلِهَا السَّكُوبِ

تشوفت الأرض (تطلعت) لوبلها (مطرها) السكوب (المدرار)

تَشَوَّفَ الْمَرِيضُ لِلطَّبِيبِ

وَطَرَبَ الْمُحِبُّ لِلْحَبِيبِ

وَفَرَحَ الْأَدِيبُ بِالْأَدِيبِ

وَحَيَّمَتْ صَادِقَةُ الشُّؤْبُوبِ

صادقة: قوية، الشؤبوب: الزخ والتدفق

فَقَامَ فِيهَا الرِّعْدُ كَالْخَطِيبِ

وَحَنَّنَ الرِّيحُ حَنِينَ النَّيْبِ

حنين النيب: أنين النياق

كَأَنَّمَا تَهْمِي عَلَى الْقُلُوبِ

كأن هذه الغيمة تهمني (تمطر) على القلوب لشدة فرحنا بهطولها

٥٦ اليأس من الناس

إصْبِرِي أَيُّتُهَا النَّفْسُ س، فَإِنَّ الصَّبْرَ أَخْجَى
أحجى: أزلى

نَهْنِهِي الحُزْنَ، فَإِنَّ الـ حُزْنَ، إِنَّ لَمْ يُنْهَ، لَجَا
نهني: خففي عنك، إن لم ينه: إن لم يمنع، لج: ألح
والبَسِي اليأسَ مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّ اليأسَ مَلَجَا
ملجا: ملجأ

٥٧ برق ومطر

بصف المطر:

يَا سَهْمُ! لِلْبَرْقِ الَّذِي اسْتَطَارَا
يا سهم (اسم أخي أبي تمام) عجباً للبرق الذي يتطاير. وذكر أبو تمام أخاه سهماً في شعره أربع
مرات فيما أحصينا

بَاتَ، عَلَى رَغَمِ الدُّجَى، نَهَارَا
حتى إذا ما أَنْجَدَ الْأَمْصَارَا
وَبَلَا جَهَارَا، وَنَدَى سِرَارَا
يمطر الأرض بالوابل علانية، وبالندى سراً
أَضَ لَنَا مَاءٌ، وَكَانَ نَارَا
هذا البرق أض (صار) لنا ماء وكان ناراً
أَرْضَى الثَّرَى، وَأَسْحَطَ الْغُبَارَا
أرضى المطر التراب، وأسخط الغبار لأنه أهبطه وأنهى وجوده

٥٨ أقرضني ثم اقتضى

أَسْحَطَنِي دَهْرِي بَعْدَ الرِّضَا وَارْتَجَعَ الْعُرْفَ الَّذِي قَدْ مَضَى
لَمْ يَظْلِمِ الدَّهْرُ، وَلَكِنَّهُ أَقْرَضَنِي الْإِحْسَانَ، ثُمَّ اقْتَضَى
اقتضى: طلب رد الدين

٥٩ هذه الغرام

أَعْطَاكَ دَمْعُكَ جَهْدَهُ فَشَكَافُوا ذَكَ وَجْدَهُ
حَمَلْتَ جِسْمَكَ فِي الْهَوَى مَا لَمْ يُطِيقْهُ، فَهَدَهُ
يَا شَامِتاً بِي إِذْ رَأَى هَجَرَ الْحَبِيبِ وَصَدَهُ
لَا تَشْمَتَنَّ، فَإِنَّهُ مَوْلَى يُؤَدِّبُ عَبْدَهُ

مولى: سيد

٦٠ نزهة اليد

لَا شَيْءَ أَحْسَنَ مِنْهُ لَيْلَةً وَضَلْنَا وَقَدْ اتَّخَذْتُ مِخْدَةً مِنْ خَدِّهِ
وَقَمِي عَلَى فَمِهِ، يُسَامِرُ رِيقَهُ، وَيَدِي تَنْزَرُهُ فِي حَدَائِقِ جِلْدِهِ

٦١ كأنها من خده تعصر

وَقَهْوَةٌ كَوَكَّبُهَا يَزْهَرُ يَسْطَعُ مِنْهَا الْمُسْكُ وَالْعَنْبَرُ
قهوة: خمرة، يزهر: يلمع، يسطع: يفوح

وَرْدِيَّةٌ يَحْتَثُّهَا شَاوِدٌ كَأَنَّهَا مِنْ خَدِّهِ تُغْصَرُ

يحتثها: يسرع بها، شادن: ولد الظبية. احتثاث الخمر شيء رأيناه عند أبي نواس الذي قال: إذا ما دنا وقت الصلاة رأيتهم/يحتنونها حتى تفوتهم سكرًا// وقال: قالوا شمطت فقلت ما شمطت يدي/عن أن تحت إلى فمي بالكأس// . ولم أجد في اللسان ولا في التاج ولا في القاموس ولا في الصحاح، ولا في تنبيه ابن بري عليه، شيئاً في مادة «حت» يتعلق بالخمرة. ولكن دوزي التقط فعل «حت» وقال فيه: «وحين يكون الشارب أو الكأس مفعول حث فإن معناه يكون أعجله إعمالاً متصلاً بحيث إن الكؤوس تتابع مسرعة»، ثم يقول ناقلاً: «بدأت القينة تغني فصار من الغريب أن حثَّ شربه هو عليه وأظهر الطرب» وينقل: «ممن دينة حث الكأس». اهـ رينهارت دوزي. ولعلنا بعد هذا نقول إن الحث هو الموالاة في الشراب، فالساكر يشعر ببديب الخمر، فيطلب المزيد سعياً لاستتمام النشوة، فهذا هو الحث. وأما عندما تغدر به الخمر وتفقد عيه فباب آخر

٦٢ عذبت قلب الشاعر

أَعْمَدُ عَنِ الْمُهْجَاتِ سَيْفِ النَّاطِرِ فَلَقَدْ فَتَرَنَ مِنَ اللَّحَاطِ الْفَاتِرِ
أعمد سيف الناظر (العين) عن المهجات (القلوب)، فلقد فترت قلوبنا (ضعفت) من اللحاط (النظر) الفاتر. يقول: أيتها الحسناء أدخلني سيف عينك في عمده وارجعيني

كَيْفَ اغْتَدَلْتُ مَعَ اغْتِدَالِ الْغُضَنِ فِي حَرَكَاتِهِ، وَقَعَلْتُ فِعْلَ الْجَائِرِ
اعتدل قوامك فكان كالغصن ولكن فعلك هو فعل الجائر الظالم (طباقي بين العادل والظالم)
يا شاعراً في طَرْفِهِ وبِهَائِهِ وَجَمَالِهِ، عَذَّبْتُ قَلْبَ الشَّاعِرِ

٦٣ الوجه والقفا

ونسبت لأبي نواس:

يا أبا جعفر! خُلِقْتَ بَدِيعاً فَاقَ حُسْنَ الْوَجْهِ حُسْنَ قَفَاكَ
يا أبا جعفر! هَلِ النَّأْيُ يُنْجِي مِنْكَ؟ هَيْهَاتَ! بَلْ يَزِيدُ هَلَاكَ

٦٤ محاسنه في وجنتيك

بَعَثْتُكَ رَائِداً، فَسَرَقَتْ مِنْهُ مُحَاسِنُهُ بِلَخْطَةِ نَاطِرِيكَ
بعثتك أيها الرسول رائداً تفتح لي الطريق فرقت محاسن المحبوب بنظرك إليه
وَجِئْتَ تَقُولُ: لَمْ أَرَهُ، وَهَذِي مُحَاسِنُهُ تَلُوحُ بِوَجْنَتَيْكَ
وزعمت أنك لم تره، ولكنني أرى محاسنه في وجنتيك

٦٥ ما الحب إلا للحبيب الأول

وقال:

الْبَيْنُ جَرَّعَنِي نَقِيعَ الْحَنْظَلِ وَالْبَيْنُ أَثْكَلَنِي، وَإِنْ لَمْ أَثْكَلِ
نقيع الحنظل: الماء المر الذي نقيع فيه الحنظل
مَا حَسَرْتَنِي أَنْ كَذْتُ أَقْضِي، إِنَّمَا حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَفْعَلِ
نَقْلُ فُؤَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ بِأَلْفِهِ الْفَتَى وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ

٦٦ في دعوة الأحلام

إِسْتَزَارَتْهُ فِكْرَتِي فِي الْمَنَامِ فَأَتَانِي فِي خُفْيَةٍ، وَاكْتِنَامِ
استزارته فكرتي (طلبت منه أفكاره وعقلي الزيارة)
يَا لَهَا لَذَّةٌ تَنْزَهَتْ الْأَرْوَاحُ فِيهَا سِرّاً مِنْ الْأَجْسَامِ
هي متعة تنزهت الأرواح فيها، سرّاً من (مع التكميم على) الأجسام

مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ

٦٧ تكسير أبصار

أَلَيْسَ عَجِيباً أَنَّ بَيْتاً يَضُمُّنِي وَإِيَّاكَ، لَا نَحْلُو وَلَا نَتَكَلَّمُ
إِشَارَةُ أَقْوَاهُ، وَغَمْرُ حَوَاجِبِ وَتَكْسِيرُ أَبْصَارِ، وَطَرَفُ يُسَلِّمُ

٦٨ زدني ألما

أَنْتَ فِي حِلٍّ، فَزِدْنِي سَقَمًا أَفْنِ صَبْرِي، وَاجْعَلِ الدَّمْعَ دَمًا
وَارِضَ لِي الْمَوْتَ بِهَجْرِكَ، فَإِنْ لَمْ أُمْتُ شَوْقًا، فَزِدْنِي أَلْمًا
مِخْنَةُ الْعَاشِقِ فِي ذُلِّ الْهَوَى، وَإِذَا اسْتُودِعَ سِرًّا كَتَمًا
لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَكَا عِلَّتَهُ؛ مَنْ شَكَا ظَلَمَ حَبِيبٍ ظَلَمًا

٦٩ تساكنتا

لِخَدَّيْهِ دَقَائِقُ لَوْ تَرَاهَا إِذَنْ لَسَأَلْتُ عَنْهَا فِي الْمَعَانِي
دقائق: تفاصيل دقيقة، في المعاني: في علم المعاني بما فيه من تعقيدات
تَسَاكَنْتَا، وَقَلْبَانَا جَمِيعًا بِأَلْفَاظِ الْهَوَى يَتَكَلَّمَانِ
تساكتا: تبادلنا السكوت

٧٠ قتل العيون

بَلِيَّ الْجِسْمِ، لَكِنْ الشَّوْقُ حَيٌّ لَيْسَ يَبْلَى، وَلَيْسَ تَبْلَى الشُّجُونُ
إِنْ لَلَّهُ فِي الْعِبَادِ مَنَابَا سَلَّطْنَهَا عَلَى الْقُلُوبِ الْعَيُونُ!

٧١ مكانك مصون

لَعَمْرِي لَئِنْ قَرَرْتُ بِقُرْبِكَ أَغْنِيَنَّ لَقَدْ سَخَنْتُ بِالْبَيْنِ مِنْكَ غَيُونُ
فَمِيرْ أَوْ أَقِمْ، وَقِفْ عَلَيْكَ مَحَبَّتِي مَكَانُكَ مِنْ قَلْبِي عَلَيْكَ مَصُونُ

٧٢ الأصل في بدني

الْحُسْنُ جُزْءٌ مِنْ وَجْهِكَ الْحَسَنِ يَا قَمْرًا مُوفِيًا عَلَى غُضُنِ
موفياً: مشرفاً ومعتلياً

إِنْ كُنْتَ فِي الْحَسَنِ وَاحِداً، فَأَنَا، يَا وَاحِدَ الْحُسْنِ، وَاحِدُ الْخَزَنِ
كُلُّ سَقَامٍ تَرَاهُ فِي أَحَدٍ فَذَاكَ قَرْعٌ، وَالْأَصْلُ فِي بَدَنِي
كَوَامِنُ الْحَبِّ، قَبْلَ كَوْنِكَ فِي أَفْئِدَةِ الْعَاشِقِينَ، لَمْ تَكُنْ

٧٣ اقشعرارهن من الشيب

أَرَى أَلْفَاتٍ قَدْ كُتِبْنَ عَلَى رَاسِي بِأَقْلَامِ شَيْبٍ، فِي مَهَارِقِ أَنْفَاسٍ
أَرَى أَحْرَفَ الْأَلِفِ (شعرات بيض) قَدْ كُتِبْنَ عَلَى رَاسِي فِي مَهَارِقِ (أوراق) أَنْفَاسٍ (مسودة بالحبر).
فِي هَذَا التَّشْبِيهِ الْوَرَقَةُ سُودَاءُ وَالْحَبْرُ أَبْيَضُ

فإِنْ تَسْأَلِينِي: مَنْ يَخْطُ حُرُوفَهُ؟ فَأُيَدِي اللَّيَالِي، تَسْتَمِدُّ بِأَنْفَاسِي
الَّذِي يَخْطُ هَذِهِ الْحُرُوفَ هُوَ أَيْدِي اللَّيَالِي (المصائب)
وَهِيَ تَسْتَمِدُّ (تستقي المداد، أي الحبر) مِنْ أَنْفَاسِي

جَرَتْ فِي قُلُوبِ الْغَانِيَاتِ، لِشَيْتِي، قُشْعَرِيرَةٌ، مِنْ بَعْدِ لَيْنٍ وَإِنَاسٍ
كَانَتِ الْفَتَيَاتُ الْحَسَانَ يَأْنَسْنَ بِي وَالْآنَ تَجْرِي قُشْعَرِيرَةٌ اِشْتِرَازٍ فِي قُلُوبِهِنَّ مِنِّي

٧٤ الفعل لمالك والشهرة للغيوم

يَمْدَحُ مَالِكُ بْنُ طُوقٍ التَّغْلَبِيَّ:

بَنَى بِهِ اللَّهُ، فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرٍ، لِيَوَائِلِ سُورٍ عِزٌّ غَيْرَ مُنْهَدِمٍ
لَوْ كَانَ يَأْمُلُ عَمْرُوٌ مِثْلَهُ شَبْهًا مِنْ صُلْبِهِ، لَمْ يَجِدْ لِلْمَوْتِ مِنْ أَلَمٍ
لَوْ كَانَ عَمْرُو بْنُ كَلْثُومٍ الْفَارِسِيُّ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ، يَأْمُلُ أَنْ يَكُونَ فِي ذِرْتِهِ الْمَقْبَلَةُ رَجُلًا يَشْبَهُهُ
كَمَالِكُ بْنُ طُوقٍ، لَمَاتَ مُسْتَرِيحًا بَلَا أَلَمٍ

وَلَا أَرَى دِيمَةً أَمْحَى لِمَسْغَبَةٍ مِنْهُ؛ عَلَى أَنَّ ذِكْرًا طَارَ لِلدَّيَمِ
لَا غَيْمَةً أَكْثَرَ مَحْوًا لِمَسْغَبَةٍ (لِجُوعٍ) مِنْ مَالِكِ بْنِ طُوقٍ، وَلَكِنْ..
لِلْأَسَفِ اسْتَأْثَرَتِ الدَّيَمُ (الْغَيُومُ) بِالذِّكْرِ (الشَّهْرَةِ)

٧٥ صادق معك، كاذب مع غيرك

يَمْدَحُ عَمْرُ بْنُ طُوقٍ التَّغْلَبِيَّ:

نَفَقَ الْمَدِيحُ بِبَابِهِ، فَكَسَوْتُهُ عِقْدًا مِنَ الْيَاقُوتِ غَيْرَ مُثَقَّبٍ
نَفَقَ الْمَدِيحُ (رَاجَ) بِيَابَهُ (عِنْدَهُ) فَكَسَوْتُهُ قَصِيدَةً كَأَنَّهَا عَقْدُ يَاقُوتٍ لَكِنَّهَا تَتَمَيَّزُ بِأَنَّ يَاقُوتَهَا غَيْرُ مَثْقُوبٍ
فَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ أَيْبَاتِ شَعْرٍ

غَرَبْتُ خَلَائِقَهُ، وَأَغْرَبَ شَاعِرٌ فِيهِ، فَأَحْسَنَ مُغْرِبٌ فِي مُغْرِبٍ

خلائقه (صفاته) غريبة بسموها، وشعري غريب بجودته

لَمَا كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقٍ حَقٍّ، فَلَمْ أَتَمِّ وَلَمْ أَتَحَوِّبْ
لأنك كريم حقاً فلم أتجاوز الحق في مدحك، لذا ليس عليّ إثم الكذب ولا حوبه (إنمه أيضاً)

ومتي امتدحتُ سواكَ كُنْتُ مَتَى يَضِقُّ فِي وَصْفِهِ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَكْذِبِ
تعليق عمران القفيني: (هذا البيت هدم معنى سابقه. ما الذي يقنعني أنه لم يكذب في البيت
السابق، وقد أقر أنه كذاب أثير ههنا؟ في كل واد يهيمن)

٧٦ أتيتك مضطراً

يمدح مالك بن طوق ويستبطنه:

قَفَّ بِالطَّلُولِ الدَّارَسَاتِ «عُلَانَا» أَمَسَتْ حِبَالُ قَطِينِهِنَّ رِثَانَا

قف يا «علانة» (غلام أبي تمام) بالطلول الدارسات (المحموة) التي أصبحت حبال قطينهن
(ساكنيهن) رثاناً (رثة مهترئة). أي أن الصلة انقطعت بين المكان وساكنيه فغداً أطلاقاً

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا: بَيْنَ الصَّبَا وَقَبُولِهَا وَدُبُورِهَا، أَثْلَانَا
قسم الزمان ربوع هذه الديار ما بين الرياح الثلاث: الصبا والقبول والدبور، فلكل ريع ثلث في التخریب

عَمَرُوا بَنُ كُلْثُومٍ بِنِ مَالِكٍ الَّذِي تَرَكَ الْعُلَى لِبَنِي أَبِيهِ ثُرَانَا
عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة الذي ورث أحفاده المجد..

أَلْقَى عَلَيْهِ نِجَارَهُ، فَأَتَى بِهِ يَقْظَانٌ، لَا وَرَعاً وَلَا مُلْتَأَانَا
عمر بن كلثوم ألقى بنجاره (بأصله الطبيب) على الممدوح، فأنجبه متيقظاً، وليس ورعاً (جباناً)،
ولا ملتأناً (بطيئاً بليداً)

وَزَعُوا الزَّمَانَ وَهُمْ كُھُولٌ جِلَّةٌ وَسَطُوا عَلَى أَحْدَاثِهِ أَخْدَانَا
هؤلاء الأحفاد وزعوا الزمان (ردعوا الزمان عن الإتيان بشر) وهم كهول أجلاء، وتحكموا في سير
أحداثه وهم أحداث (ناشئون)

يَا مَالِكُ ابْنُ الْمَالِكِينَ! أَرَى الَّذِي كُنَّا نُوْمِلُ مِنْ عَطَانِكَ رَأَا
راث (أبطأ)

لَوْلَا رَجَاؤُكَ كُنْتُ ذَا مَنْدُوحَةٍ عَنْ «بَرْقَعِيدٍ» وَأَرْضٍ «بَاعِيْنَاثَا»
لولا ترقبي عطايك لكنت ذا مندوحة (مستغنياً) عن القدم إلى برقعيد وباعيناث

وَالْكَامِخِيَّةُ لَمْ تَكُنْ لِي مَنَزِلًا، فَمَقَابِرُ اللَّذَاتِ مِنْ قَبْرَانَا

وَلَا كُنْتَ نَزَلْتَ بِـ«الْكَامِخِيَّةِ»، وَلَا قَبْرَتْ لَذَاتِي فِي «قَبْرَاتِ»

لَمْ آتِهَا، مِنْ أَيِّ وَجْهِ جِئْتُهَا، إِلَّا حَسِبْتُ بَيَوْتَهَا أَجْدَاثَا

أَجْدَاثَ (قُبُور)

بَلَدُ الْفِلَاحَةِ، لَوْ أَتَاهَا جَرَوُلٌ، أَعْنِي الْحُطَيْئَةَ، لَاغْتَدَى حَرَانَا

هَذِهِ بَلَدُ فِلَاحَةٍ لَا شَيْءَ آخَرَ فِيهَا، وَلَوْ أَتَاهَا الشَّاعِرُ الْحُطَيْئَةُ جَرُولُ بْنُ أَوْسٍ، الَّذِي قَالَ فِي شِعْرِهِ
إِنَّهُ لَمْ يَمْتَنِ الْحَرَاةَ، لَعَدَا حَرَانَا

تَضَدَّا بِهَا الْأَفْهَامُ بَعْدَ صِقَالِهَا، وَتَرَدُّ ذُكْرَانِ الْعُقُولِ إِنَانَا

يَصِيبُ الصَّدَا الْعُقُولَ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، وَالْعَقْلُ الذَّكَرُ (السَّدِيدُ) يَتَحَوَّلُ إِلَى عَقْلِ أُنْثَى

أَرْضٌ خَلَعْتُ اللَّهْوُ، خَلَعِي خَاتِمِي، فِيهَا، وَطَلَّقْتُ السُّرُورَ ثَلَاثَا

٧٧ الغباء والتغابي

يَمْدَحُ مَالِكُ بْنُ طُوقٍ التَّغْلِبِيَّ (وَيَشْفَعُ لَدَيْهِ فِي قَبِيلَةٍ مِنْ تَغْلِبَ شَقَتْ عَصَا طَاعَتِهِ):

لَا جُودَ فِي الْأَقْوَامِ يُعْلَمُ، مَا خَلَا جُودًا حَلِيفًا فِي بَنِي عَنَابٍ

لَا يَوْجَدُ كَرَمَ نَعْرِفُ عَنْهُ إِلَّا الْحَلِيفَ (الْمَلَاذِمَ) فِي بَنِي عَنَابٍ (فِرْعَ مِنْ تَغْلِبَ، وَهُمْ قَوْمُ الْمَمْدُوحِ)

مَتَدَفِّقًا صَقَلُوا بِهِ أَحْسَابَهُمْ؛ إِنْ السَّمَاحَةَ صَيَّقَلُ الْأَحْسَابِ

جُودَهُمْ مَتَدَفَّقٌ وَبِهِ صَقَلُوا أَحْسَابَهُمْ (شَرَفَهُمُ الْعَرِيقُ)، فَالسَّمَاحَةُ (السَّمَاحُ يَبْذُلُ الْمَالَ) صَيَّقَلُ،
وَالصَيَّقَلُ هُوَ الصَّاقِلُ، الْأَصْلُ الطَّيْبُ

لِلْجُودِ بَابٌ فِي الْأَنَامِ، وَلَمْ تَزَلْ يُمْنَاكَ مِفْتَاحًا لِذَاكَ الْبَابِ

فَأَقِلْ «أُسَامَةَ» جُرْمَهَا، وَاصْفَحْ لَهَا عَنْهُ، وَهَبْ مَا كَانَ لِلْوَهَابِ

أَقِلْ قَبِيلَةَ أُسَامَةَ (وَهِيَ جُزءٌ مِنْ بَنِي تَغْلِبَ أَيْضًا) جُرْمَهَا (اجْعَلْهَا تَنْهَضُ مِنْ عَثْرَتِهَا)، وَسَامَحَهَا،
وَامْسَحْ مَا فَعَلْتَهُ بِلِحْيَتِكَ الطَّيْبَةِ

لَا رِقَّةَ الْحَضَرِ اللَّطِيفِ عَذَّتُهُمْ، وَتَبَاعَدُوا عَنْ فِطْنَةِ الْأَعْرَابِ

فَهُمْ لَا يَتَمَتَّعُونَ بِرِقَّةِ أَهْلِ الْمَدَنِ، وَلَيْسَ فِيهِمْ مَا فِي الْأَعْرَابِ مِنْ فِطْنَةٍ وَنَبَاهَةٍ

فَإِذَا كَشَفْتَهُمْ وَجَدْتَ لَدَيْهِمْ: كَرَمَ النُّفُوسِ، وَقِلَّةَ الْأَدَابِ

نُفُوسُهُمْ كَرِيمَةٌ، لَكِنْ عِنْدَهُمْ قِلَّةُ أَدَبٍ جَعَلَتْهُمْ يَخَالِفُونَ أَوْامِرَكَ

لَيْسَ الْعَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ، لَكِنْ سَيِّدٌ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

السَّيِّدُ يَكُونُ فَاهِمًا مَا يَدُورُ حَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُ يَتَصَنَّعُ عَدَمَ الْفَهْمِ أَرِيحِيَّةً مِنْهُ وَسَمَاحًا

فَاضْمُمْ أَقَاصِيَهُمْ إِلَيْكَ، فَإِنَّهُ لَا يَزْخَرُ الْوَادِي بِغَيْرِ شِعَابٍ
ضَمَّ تَحْتَ كَفْكَ أَقَاصِيَهُمْ (من ابتعد منهم عن طاعتك) فهم سند لك، والوادي لا يزخر ويتدفق
بدون شعاب (روافد)

وَالسَّهْمُ بِالرِّيشِ اللَّوَامِ، وَلَنْ تَرَى بَيْتاً بِلَا عَمَدٍ وَلَا أَطْنَابٍ
السهم يصح جيداً بالريش اللوام (المتلائم)، والبيت (الخيمة) لا تقوم بلا أعمدة وبلا أطناب
(جبال). يقول: لا يكتمل السؤدد إلا بلوازمه الفرعية، فالسهم الجيد محتاج إلى الريش الذي يلائم
بعضه بعضه (والقبيلة المذكورة تلائم الممدوح لأنها من تغلب مثله)

يَا خَاطِباً مِدْحِي إِلَيْهِ بِجُودِهِ؛ وَلَقَدْ خَطَبْتَ قَلِيلَةَ الْخُطَابِ
مدحي (قصائدي المدحية) كالعذارى، وأنت خطبتها إليك بكرمك؛ ولا يقدر على خطبتها سوى
القليلين لأنها غالية

خُذْهَا ابْنَةَ الْفِكْرِ الْمَهْدَبِ فِي الدُّجَى وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الْجِلْبَابِ
خذ هذه القصيدة فهي وليدة فكر مهذب لها في الدجى (بشذوها في ساعات الليل، ساعات الإبداع)
عندما يكون الليل حالك الثوب. والمهذب بكسر الذال قراءتي، وخالفت فيها التبريزي والصولي
والأسود اللبثاني، وكلهم قَتَحَ

بِكُرّاً تَوَرَّثَ فِي الْحَيَاةِ، وَتَنَشَنِي فِي السَّلْمِ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْأَسْلَابِ
قصيدي العذراء هذه (الجديدة المخصصة لك) يمكن لك توريثها لأولادك وأنت حي، فهي
تكسبهم جميعاً مجداً وحسنَ ذكر، وتعود عليهم بأسلاب (غنائم) كثيرة دون حرب، وهذه الغنائم
هي السمعة الطيبة. كذا قرأت البيت: بفتح الراء من (تورث)، وخالفت التبريزي والصولي والأسود
الذين كسروها جميعاً. والشاعر العربي لا يتباهى بأن قصيدته عادت عليه بالمال الكثير، بل بأنها
سُكِّبَ الممدوح صيتاً وستبقى على الأجيال. والله أعلم

وَيَزِيدُهَا مَرُّ اللَّيَالِي جِدَّةً، وَتَقَادُمُ الْأَيَّامِ حُسْنَ شَبَابٍ
وقصيدي خالدة على مر الأيام

٧٨ وليس لي عمل زاك فأدخلها

يمدح مالك بن طوق:

قُلْ لَابِنِ طَوْقٍ، رَحَى سَعْدٍ إِذَا خَبَطْتُ نَوَائِبُ الدَّهْرِ أَعْلَاهَا وَأَسْفَلَهَا ..
قل لمالك بن طوق: إذا ضربت مصائب الدهر رحى الطاحون في قبيلة سعد (رمز المنعة للقبيلة/
والرحى هي القبيلة القوية) من شقها الأعلى وشقها الأسفل ..

أَضْبَحَتْ حَاتِمَهَا جُوداً، وَأَخْنَفَهَا جِلْماً، وَكَيَّسَهَا عِلْماً وَدَغَفَلَهَا ..
عندئذ فانت كحاتم الطائي في الجود، وكالأخنف بن قيس في الحلم، وكزيد بن الكيس
و«دغفل النشابة» في علمهما بالأنساب

ما لي أرى الحُجْرَةَ الفَيْحَاءَ مُقْفَلَةً عَنِّي، وقد طالما اسْتَفْتَحْتُ مُقْفَلَهَا!
لماذا تبقى الحجرة الفيحاء مقفلة دوني، مع أنني كثيراً ما استفتحت (حاولت فتح) مقفلها
(حالتها وهي مقفلة) بما أقوله من شعر المدح

كأنها جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مُعْرِضَةٌ، وليس لي عَمَلٌ زَاكِ فَأَدْخُلُهَا
معرضة: مائلة، زاك: طيب

٧٩ إفراط الحزن لا يليق بالسادة

بمدح مالك بن طوق، ويعزيه عن أخيه القاسم بن طوق:

أَمَالِكُ! إِفْرَاطُ الصَّبَابَةِ تَارِكٌ جَنًّا، وَاغْوِجَاجًا فِي قَنَاءِ الْمَكَارِمِ
الصبابة: الحزن، جنا: انحناء

تَأْمَلْ رُوَيْدًا! هَلْ تَعُدُّنَّ سَالِمًا، إِلَى آدَمَ، أَمْ هَلْ تَعُدُّ ابْنَ سَالِمٍ؟
لا أحد من الآن ورجوعاً حتى آدم سلم من الموت

مَتَى تُزْعِ هَذَا الْمَوْتَ عَيْنًا بَصِيرَةً تَجِدُ عَادِلًا مِنْهُ شَبِيهَا بِظَالِمٍ
تُزْعِ الأمر عينك: تجعل عينك ترعاه وترافقه

خُلِقْنَا رِجَالًا لِلتَّصَبُّرِ وَالْأَسَى، وَتِلْكَ الْغَوَانِي لِلْبُكََا وَالْمَاتِمِ

٨٠ السمع السخي

يرثي القاسم بن طوق:

فَتَى لَمْ تَكُنْ تَغْلِي الْحُقُودَ بِصَدْرِهِ وَتَغْلِي الْأَضْيَافِ الشَّيْءَ مَرَاكِجْلُهُ
مراجله: قدوره، فهو يطعم الأضياف

٨١ إن الألمعي منجم

بمدح مالك بن طوق حين عزل عن الجزيرة:

حَسَدُ الْقَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ قَرْحَةٌ أَعْيَتْ عَوَانِدُهَا، وَجُرْحُ أَقْدَمِ
قرحة: جرح، أعيت عواندها: أعجزت جروحها الأطباء

تِلْكَ قُرَيْشٌ: لَمْ تَكُنْ آرَاؤُهَا تَهْفُو، وَلَا أَحْلَامُهَا تَتَقَسَّمُ
لم تكن آراء قريش تهفو (تخطئ)، ولم تكون أحلامهم (عقولهم) تشتت

حتى إذا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فِيهِمْ، عَدَّتْ شَحَاؤُهُمْ تَتَضَرَّمُ
شحناؤهم تتضرم: أحقادهم تشتعل

لَمَا أَقَامَ الْوَحْيُ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ وَرَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمَدَ مِنْهُمْ...
عَزَبَتْ عُقُولُهُمْ؛ وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ إِلَّا وَهُمْ، مِنْهُمْ أَلْبٌ وَأَحْزَمُ
عزبت عقولهم (ابتعدت عنهم)، وأصبح كل معشر ألب (أعقل) منهم وأكثر حزمًا

إِنْ تَذَهَّبُوا عَنْ مَالِكٍ، أَوْ تَجْهَلُوا نُعْمَاهُ، فَالرَّحِمُ الْقَرِيبَةُ تُعْلَمُ
كَانَتْ لَكُمْ أَخْلَاقُهُ مَغْسُولَةً، فَتَرَكْتُمُوهَا وَهِيَ مِلْحٌ عَلَقَمٌ
حتى إذا أَجَنَّتْ لَكُمْ، دَاوَتْكُمْ مِنْ دَائِكُمْ؛ إِنَّ الشَّقَافَ يَقُومُ
حتى إذا أخلاقه أجنّت لكم (تغيرت عليكم)، داوتكم من أحقادكم، والشقاق (بري الرمح) يقوم
فَقَسَا لِيَتَرَدَّجِرُوا، وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا، وَحِينَ يَرْحَمُ
لتزدجروا: ليكون في فعله زجر لكم وتقريع

وَأَخَافُكُمْ كَيْ تُغْمِدُوا أَسْبَافَكُمْ، إِنَّ الدَّمَ الْمَغْتَرَّ يَحْرُسُهُ الدَّمُ
أخافكم كي توقفوا التهور بينكم، فالدم المغتر (الأقارب المتهورون) يحرسه الدم (بجميعهم من
تهورهم أقارب آخرون)

وَلَقَدْ جَهَدْتُمْ أَنْ تُزِيلُوا عِزَّهُ، فَلِذَا أَبَانَ قَدْرَسًا، وَيَلْمَلِمُ
علمتم على إزالة عزه فإذا هو راسخ راسٍ مثل جبل «أبان» و«يللم»

وَلَقَدْ عَلِمْتُ، لَكُنْ لَجَجْتُمْ، أَنَّهُ مَا بَعْدَ ذَاكَ الْعُرْسِ إِلَّا الْمَاتَمُ
قد علمت عندما لججتم (عاندتم) أنه سيكون بعد عرس العصيان ماتم

عِلْمًا طَلَبْتُ رُسُومَهُ فَوَجَدْتُهَا فِي الظَّنِّ، إِنَّ الْأَلْمَعَ مُنْجَمُ
معرفتي هذه طلبت رسومها (بحثت عن أصلها في آثارها). فوجدت ذلك في الظن، أي أنني اهتمت
إلى ذلك بمجرد التفكير، والشخص الذي يتنبأ بما سيكون، فكأنه منجم

٨٢ غفلات الشباب

يمدح أبا سعيدٍ محمد بن يوسف الثغري:

مِنْ سَجَايَا الطُّلُولِ أَلَّا تُجِيبَا فَصَوَابٌ مِنْ مُقْلَةٍ أَنْ تَصُوبَا
من سجايا (صفات) الطلول ألا تجيبك وأنت تسألها عن الأحباب، ولذا من الصواب أن تصوب
مقلتك (تمطر بالدمع)

فَاسْأَلْنَهَا، وَاجْعَلْ بُكَاءَكَ جَوَاباً، تَجِدِ الشَّوْقَ سَائِلاً وَمُجِيباً

ومع ذلك فاسأل الأطلال، وليكن الجواب منك بكاءً،
فهذا تجد أن السائل والمجيب هما شوقك لأحبائك

قَدْ عَهِدْنَا الرُّسُومَ وَهِيَ عُكَاظٌ لِلصَّبَا، تَزْدَهِيكَ حُسْنًا وَطِيبًا

عهدنا الرسوم (الأطلال) وهي عكاظ (مزدحمة كسوق عكاظ) للشباب، تزدهيك (تفتك) بحسنها وطيبها

أَكْثَرَ الْأَرْضِ زَائِراً وَمَزُوراً وَصَعُوداً مِنَ الْهَوَى وَصُبُوباً

عهدناها أكثر أماكن الأرض ازدحاماً بمن هو زائر ومن هو مزور، وأكثر البقاع صعوداً (تلة) مما
فيها من الهوى والحب وصبوباً (منخفضاً) فلك الأطلال كانت مسارج للحب، فيها وعورته
وعذابه، وفيها سهولته وجماله

وَكَمَاباً كَأَنَّمَا أَلْبَسْنَاهَا عَفَلَاتُ الشَّبَابِ بُرْداً قَشِيباً

وكانت الأطلال أكثر البقاع كعاباً (فتيات) ألبسهن عفلات الشباب (براءة الفتيات)
برداً قشيباً (ثوباً جديداً)

بَيْنَ الْبَيْنِ فَقَدَمَا. قَلَّمَا تَغُفَّرُ فُقْدَاً لِلشَّمْسِ حَتَّى تَغِيْبَا

بين لي البين (الفراق) فقد أولئك الفتيات (قيمتهن).
وأنت قليلاً ما تدرك قيمة الشمس إلا بعد أن تغيب

لَعِبَ الشَّيْبُ بِالمَفَارِقِ، بَلْ جَدَّ - فَأَبْكَى تَمَاضِراً وَلَعُوبَا

لعب الشيب بمفارق رأسي، بل هو جاد لا لاعب، فقد أبكى «تماضراً» و«لعباً» أسفاً

خَضَبَتْ حَدَّهَا إِلَى لُؤْلُؤِ الْعُقْفِ حِدَ دَمًا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيْبَا

الحبيبة خضبت (لونت) خدها بدمع ممزوج بالدم وصل حتى عقدها لأنها رأت شواتي (جلدة
رأسي) خضياً (مخضوبة: مصبوعة لستر الشيب)

كُلُّ دَاءٍ يُزَجِّي الدَّوَاءَ لَهُ، إِلَّا - الفَظِيْعَيْنِ: مِيتَةً وَمَشِيْبَا

لو رأى الله أن للشيب فضلاً جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبَا

إذن ففي الجنة ستسود شعورنا! شكرًا أبا تمام على المعلومة. هل يكتسي الأصلع شعراً أيضاً؟

كُلَّ يَوْمٍ تُبْدِي صُرُوفَ اللَّيَالِي خُلُقًا مِنْ أَبِي سَعِيدٍ رَغِيْبَا

رغيب: مرغوب فيه

سَبَقَ الدَّهْرَ بِالتَّلَادِ، وَلَمْ يَنْتَ تَحْظُرِ النَّائِبَاتِ حَتَّى تَنْوَبَا

سبق الدهر بالتلاد، ولم ينتَ يبذل التلاد (المال الموروث)،

ولا ينتظر أن تأتي الحاجة الماسة حتى يعطي

فَإِذَا مَا الْخَطُوبُ أَغْفَتْهُ كَانَتْ رَاحَتَاهُ حَوَادِثًا وَخُطُوبًا

فإذا لم تأت خطوب (مصائب)، كانت يده حوادث ومصائب على الأعداء

وَصَلِيبُ الْقَنَاةِ وَالرَّأْيِ وَالْإِسْلَامِ، سَائِلٌ بِذَاكَ عَنْهُ الصَّلِيبُ

قناته صلبة (عزيمته قوية)، وكذا رأيه وتمسكه بالإسلام، وأسأل الصليب
(فقد لقي منه الروم حرباً شرسة)

لَقَدْ انْصَعَتْ، وَالشِّتَاءُ لَهُ وَجْهٌ يَرَاهُ الْكُمَاءُ جَهْمًا قُطُوبًا

لقد انصعت (مضيت) والشتاء ذو وجه قطوب (مكفر) كما يراه الكماء (المسلحون)

فِي لَيَالٍ تَكَادُ تُبْقِي بِخَدِّ الشَّمْسِ - مَسٍ، مِنْ رِيحِهَا الْبَلِيلُ شُحُوبًا

في ليالٍ ترك في خد الشمس شحوباً من ريحها البليل (الباردة المحملة بالمطر)

فَضَرَبْتَ الشِّتَاءَ فِي أَخْذَعَيْنِهِ ضَرْبَةً غَادَرْتَهُ عَوْدًا رَكُوبًا

ضربت الشتاء في أخدعيه (عرقن في العنق) ضربة غادرته (جعلته) عوداً (جَمَلًا) ركوباً (مذلاً).
أي أنك طوعت فصل الشتاء للحرب

وَأَرَادُوكَ بِالْبَيَاتِ، وَمَنْ هَـذَا يُرَادِي مُتَالِعًا وَعَسِيبًا

أرادوك بالبيات (أرادوا خداعك والهجوم ليلاً)، ومن ذا الذي يرادي (يرجم بالحجارة) متالِعاً
وعسيباً (هذين الجبلين الكبيرين)، فأنت أكبر من خدعة كهذه

فَرَأَوْا قَشَعَمَ السِّيَاسَةِ قَدْ ثَقَّفَ - فَمِنْ جُنْدِهِ الْقَنَا وَالْقُلُوبَا

رأوا قشعم (نسراً مستأً محنكاً) السياسة (سؤس الناس وقيادتهم) قد ثقف (قَوِّمَ) من جنوده القنا
(الرماح) والقلوب أيضاً

أَنْضَرْتُ أَيْكَتِي عَطَايَاكَ، حَتَّى صَارَ سَاقًا عُودِي وَكَانَ قَضِيبًا

عطايك جعلت أيكتي (روضتي) ناضرة،
وصار عودي ساقاً مخضرة بعد أن كان قضيباً عارياً من الورق

مُمْطِرًا لِي بِالْجَاهِ وَالْمَالِ، لَا أَلْ- حَقَاكَ إِلَّا مُسْتَوْهَبًا، أَوْ وَهُوبًا

أنت تمطر لي إما بجاهك أو بمالك: فأراك تستوهب لي المال (تطلب من الآخرين إعطائي)،
أو تهيه لي

فَإِذَا مَا أَرَدْتَ كُنْتَ رِشَاءً، وَإِذَا مَا أَرَدْتَ كُنْتَ قَلِيبًا

فأنت إما رشاء (حبل الدلو) - أي واسطة للعتاء - أو قليب (بثر)

٨٣ السيوف المغيظة

يمدح أبا سعيد الثغري:

قَلُّوا، وَلَكِنَّهُمْ طَابُوا، فَأَنْجَدَهُمْ جَيْشٌ مِنَ الصَّبْرِ، لَا يُحْصَى لَهُ عَدَدُ
قُلْ عَدَدُهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا صَادِقِينَ، فَكَانَ الصَّبْرُ جَيْشاً لَهُمْ: جَيْشاً بِلَا جُنُودٍ فَلَا عَدَدَ لَهُ كَيْ تَحْصِيَهُ
إِذَا رَأَوْا لِلْمَنَايَا عَارِضاً لَيْسُوا مِنَ الْيَقِينِ دُرُوعاً مَا لَهَا زَرْدُ
إِذَا رَأَوْا لِلْمَنَايَا عَارِضاً (سَحَاباً مَاطِراً) لَبَسُوا لَاتِقَاتِهِ دُرُوعاً مِنَ الْيَقِينِ (الْإِيمَانِ) لَيْسَ لَهَا زَرْدُ
(حَلَقَاتُ)

نَأُوْا عَنِ الْمُضْرِيخِ الْأَدْنَى، فَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا السِّيُوفُ، عَلَى أَعْدَائِهِمْ مَدَدُ
ابْتَعَدُوا عَنِ الْمَصْرَخِ (الْمَنْجَدِ) الْأَدْنَى لَتَوَغْلَهُمْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ، فَلَمْ يَبْدَ لَهُمْ مَدَدُ (نَجْدَةُ) إِلَّا السِّيُوفُ
وَلَّى مُعَاوِيَةُ عَنْهُمْ، وَقَدْ حَكَمَتْ فِيهِ الْقَنَا، فَأَبَى الْمَقْدَارُ وَالْأَمَدُ
هَرَبَ مُعَاوِيَةَ (اسْمُ بَابِكِ الْخُرْمِيِّ/ أَوْ اسْمُ أَخِيهِ)، وَقَدْ حَكَمَتْ فِيهِ الْقَنَا (الرَّمَاخُ) بِالْمَوْتِ، وَلَكِنْ
الْمَقْدَارُ (الْقَدَرُ) وَالْأَمَدُ (مُدَّةُ الْعُمُرِ) مَنَحَاهُ عُمُرًا فَرَّ سَالِمًا

نَجَاكَ فِي الرُّوْعِ مَا نَجَى سَمِيكَ فِي صِفِّينَ، وَالْخَيْلُ بِالْفُرْسَانِ تَنْجَرِدُ
نَجَاكَ يَا مُعَاوِيَةَ فِي الْحَرْبِ مَا نَجَى سَمِيكَ (الْمِمَاتِلُ لَكَ فِي الْاسْمِ: مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ) فِي
مَعْرَكَةِ صِفِّينَ عِنْدَمَا كَانَتِ الْخَيْلُ تَنْجَرِدُ (تَعْدُو) بِالْفُرْسَانِ

إِنْ تَنْفَلَيْتُ، وَأَنْوُفَ الْمَوْتِ رَاغِمَةً، فَادْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ الرِّكْضِ يَا لَبْدُ
فَلْتَنْ هَرَبْتَ رَغْمَ أَنْفِ الْمَوْتِ الَّذِي يَطْلُبُكَ، فَأَنْتَ طَلِيقُ الرِّكْضِ (نَاجٍ بِسَبَبِ الْفِرَارِ) يَا لَبْدُ (يَا طَوِيلَ
الْعُمُرِ: وَلَبْدٌ هُوَ سَابِعُ نَسْرِ لِقْمَانَ، إِذْ قَبِلَ لِلْقِمَانِ: اتَّخَذَ سَبْعَةَ نَسْرٍ تَعِشُ بِقَدْرِ عُمْرِهَا، فَكَانَ
يَتَّخِذُ نَسْرًا بَعْدَ نَسْرٍ، وَكَانَ سَابِعُهَا «لَبْدٌ» أَطْوَلُهَا عُمُرًا، وَبِمَوْتِهِ مَاتَ لِقْمَانُ)

لَا يَوْمَ أَكْثَرَ مِنْهُ مَنْظَرًا حَسَنًا، وَالْمَشْرِفِيَّةُ فِي هَامَاتِهِمْ تَخِذُ
المشرفية: السيوف، تخذ: تركض

كَأَنَّهَا وَهْيٌ فِي الْأَوْدَاجِ وَالْغَةِ، وَفِي الْكُلَى، تَحِذُ الْغَبِظَ الَّذِي نَحِذُ
كَأَنَّ السِّيُوفَ وَهْيٌ فِي الْأَوْدَاجِ (عُرُوقِ الْعُنُقِ) وَالْكُلَى وَالْغَةِ (شَارِبَةُ) تَحْسُ بِالْغَيْظِ الَّذِي نَجِدُهُ فِي
صُدُورِنَا مِنْ هَذَا الْعَدُوِّ

كَأَنَّ بَابَكَ بِالْبَدَّيْنِ بَعْدَهُمْ نُؤْيٍ أَقَامَ خِلَافَ الْحَيِّ أَوْ وَتَدُ
كَأَنَّ بَابَكَ الْخُرْمِيِّ فِي الْبَدَّيْنِ (اسْمُ مَكَانٍ) بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ نُؤْيٍ (قَنَاةُ الْخِيْمَةِ: يَحْفَرُونَ قَنَاةً تَدُورُ حَوْلَ
الْخِيْمَةِ لِكَيْ يَنْزِلَ فِيهَا الْمَطَرُ، وَلَا يَدْخُلُ الْخِيْمَةَ)، أَوْ وَتَدُ بَقِي مَوْجُودًا بَعْدَ رَحِيلِ الْحَيِّ (الْقَوْمِ).
أَيُّ أَنْ وَضَعَ بَابَكَ صَارَ مَهْتَرًا كِبَقَايَا الْمَنْزِلِ بَعْدَ رَحِيلِ أَهْلِهِ

بِكُلِّ مُنْعَرَجٍ مِنْ فَارِسٍ بَطْلٍ، جَنَاجِنٌ فَلَقٌ فِيهَا قَنَا قَصْدُ
 فِي كُلِّ مُنْعَرَجٍ (طريق منعطف) جناجن فلق (عظام صدر مفلقة) لفارس بطل،
 وفيها قنا قصد (رماح مكسرة)

لَمَّا عَدَا مُظْلِمَ الْأَحْشَاءِ مِنْ أَشْرِ أَسْكَنْتَ جَانِحَتَيْهِ كَوَكَبًا يَقْدُ
 لَمَّا أَصْبَحَ الْفَارِسُ مُظْلِمَ الْأَحْشَاءِ (القلب) مِنْ أَشْرِ (بطير بالنعمة) أَسْكَنْتَ جَانِحَتَيْهِ (جانبَي صدره)
 كَوَكَبًا يَقْدُ (كوكباً متقدماً: سنان الرمح)

يَوْمٌ بِهِ أَخَذَ الْإِسْلَامُ زِينَتَهُ بِأَسْرِهِا، وَاكْتَسَى فَخْرًا بِهِ الْأَبَدُ
 لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَتْ، إِنَّ لَمْ تَثْبُ، أَنَّهُ لِلْسَّيْفِ مَا تَلِدُ
 فَاغْخَرْ، فَمَا مِنْ سَمَاءٍ لِلنَّدَى رُفِعَتْ إِلَّا وَأَفْعَالُكَ الْحُسْنَى لَهَا عَمَدُ
 عمد: أعمدة

وَاعِزُّ حَسُودَكَ فِيمَا قَدْ خُصِصَتْ بِهِ؛ إِنَّ الْعُلَى حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا الْحَسَدُ

٨٤ مداراة الرؤساء

يُمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري:

عَدَا الْهَمُّ مُحْتَطًا بِفُودَيَّ خِطَّةَ طَرِيقِ الرَّدَى، مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ، مَهْيَعُ
 أَصْبَحَ الْهَمُّ وَقَدْ اخْطَطَ فِي فُودَيَّ (سالفَيَّ) خِطَّةَ (طريقاً) يَعْنِي الشَّيْبَ، وَهَذَا الطَّرِيقُ يَمُرُّ مِنْهُ الرَّدَى
 (الموت) إِلَى الْمَرءِ، وَهُوَ طَرِيقُ مَهْيَعٍ (وَاسِعٍ)

لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَبْيَضُ نَاصِعٌ، وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ
 أسفع: مسود

وَنَحْنُ نُنْزِجِيهِ، عَلَى الْكُرْهِ وَالرَّضَا؛ وَأَنْفُ الْفَتَى مِنْ وَجْهِهِ، وَهُوَ أَجْدَعُ
 نَحْنُ نُنْزِجِيهِ (نَتَمَاشِي مَعَهُ) رَضِينَا أَمْ أَبِينَا؛ وَأَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ (هَذَا مِثْلُ مَعْنَاهُ: عَلَيْكَ أَنْ
 تَرْضَى بِقِسْمَتِكَ، وَالْأَجْدَعُ الْمَشْرُومُ)

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءُ مَجْدُ ابْنِ يَوْسُفَ وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا، بِذِي الْفَضْلِ، مُوَلَّعُ
 مَجْدُ الرَّجُلِ أَحَزَنَ أَعْدَاءَهُ، وَالنَّاقِصُ مُوَلَّعُ (مُغْرَى/مَنَافِكُ) بِذِي الْفَضْلِ

هُوَ السَّيْلُ: إِنْ وَاجِهْتَهُ انْقَدَتْ طَوْعَةً، وَتَقْتَادُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ فَيَتَّبَعُ
 إِنْ عَانَدْتَهُ فَهُوَ كَالسَّيْلِ يَقُودُكَ وَيَجْرُفُكَ، وَإِنْ دَارَيْتَ السَّيْلَ وَجْتَهُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ اسْتَقَيْتَ مِنْ مَانِهِ،
 وَكَذَا الرَّئِيسُ فَلَا تَوَاجِهَهُ مُوَاجَهَةً، بَلْ احْرَصْ عَلَى مَدَارَاتِهِ كَيْ يَلْبِي رَغْبَاتَكَ. كَثِيرُونَ مِنْ مَدْرَاءِ
 الدَّوَاثِرِ فِي آيَامِنَا يَظُنُّونَ أَنفُسَهُمْ مِنْ وِلَاةِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ فَيَعَانِدُونَ الْمُوظَّفِينَ وَيَعْطِلُونَ مُطَالِبَهُمْ إِذَا
 وَاجَهُوهُمْ بِصِرَاحَةٍ، وَيَفْضَلُونَ الْمُوظَّفَ الْمُتَمَلِّقَ. وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ رُؤَسَاءَ وَمُلُوكَ لَا يَزَالُونَ يَحْكُمُونَ
 شُعُوبًا عَرَبِيَّةً بِعَقْلِيَّةِ الْوَالِي الْعَبَّاسِيِّ

وَلَمْ أَرْ نَفْعاً عِنْدَ مَنْ لَيْسَ ضَائِراً، وَلَمْ أَرْ ضُراً عِنْدَ مَنْ لَيْسَ يَنْفَعُ

الزعيم الذي ينفَعُ هو من له سطوة، فينفع المقرين ويضر الأعداء

رَأَى الْبُخْلَ مِنْ كُلِّ فَظِيعاً، فَعَاقَهُ عَلَى أَنَّهُ، مِنْهُ، أَمْرٌ وَأَفْطَحُ

قد رأى الممدوح البخل فظيعاً من كل الناس، ولأنه كريم فالبخل مستفزع منه أكثر من غيره

وَكُلُّ كُسُوفٍ فِي الدَّرَارِيِّ شُنْعَةٌ، وَلَكِنَّهُ فِي الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ أَشْنَعُ

فكل كسوف في الدراري (النجوم) شنع، ولكن الكسوف في الشمس والبدر أشنع، لما لهما من بهاء

مَعَادُ الْوَرَى بَعْدَ الْمَمَاتِ؛ وَسَيِّبُهُ مَعَادُ لَنَا قَبْلَ الْمَمَاتِ وَمَرْجِعُ

معاد الوري (مبعث الناس) يكون بعد موتهم، ولكن سيبه (عطاءه) هو لنا كالمبعث، ولما نُمْتُ

٨٥ رَأْيِي كَالشَّعْلَةِ، شَعْلَةٌ كَالسَّيْفِ

يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري:

قَطَبَ الْخُشُونَةَ وَاللِّيَانَ بِنَفْسِهِ قَعْدًا جَلِيلًا فِي الْقُلُوبِ لَطِيفًا

قطب (مزج) داخل نفسه خشونة وليناً، فأصبح في قلوب الناس مبعلاً؛ لكن، محبوباً في الوقت نفسه

هَزَّتْهُ مُغْضِلَةُ الْأُمُورِ، وَهَزَّهَا، وَأَخِيفَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ، وَخِيفَا

هزته الأمور المغضلة (الجسيمة)، لكنه هزها أيضاً بالتصدي لها،

وهو يخاف الله ويتقيه، والناس يهابونه

يَقْظَانُ أَحْصَدَتِ التَّجَارِبُ حَزْمَهُ شَزْرًا، وَتُقَفَّ عَزْمُهُ تَشْقِيفًا

أحصدت التجارب (أحكمت قتل الحبل) حزمه شزراً (قتلاً)، وتُقَفَّ عزمه تشقيفاً (ثُذِبَ)

وَاسْتَلَّ مِنْ آرَائِهِ الشُّعْلُ الَّتِي لَوْ أَنَّهُنَّ طِيْعَنَ كُنَّ سُيُوفًا

٨٦ أمدحك بسهولة

يمدح أبا سعيد الثغري:

سَيَّرْتُ فِيكَ مَدَائِحِي، فَتَرَكْتُهَا غُرْرًا تَرُوحُ بِهَا الرُّوَاهُ وَتَغْتَدِي

أذعْتُ فِي مَدْحِكَ قِصَائِدَ غِرَاءٍ يَرُويهَا الرُّوَاهُ رَوَاحًا وَغُدُوًّا (مساءً وصباحاً)

مَا لِي إِذَا مَا رُضْتُ فِيكَ غَرِيبَةً جَاءَتْ مَجِيءَ نَجِيبَةٍ فِي مَقُودٍ!

ما لي كلما رضت (حاولت ترويض) غريبة (قصيدة صعبة كالفرس الصعبة الترويض) جاءتني

كالنجيبة (الفرس الأصلية) ويعنفها المقود

وإذا أَرَدْتُ بِهَا سِوَاكَ فَرَضْتُهَا، واَقْتَدْتُهَا بِثَنَائِهِ، لَمْ تَنْقُدْ!
وَلِرَاحَتِيهِ دِيمَتَانِ: قَدِيمَةٌ لِي بِالْوِدَادِ، وَدِيمَةٌ بِالْعَسْجِدِ
لِرَاحَتِكَ سَحَابَتَانِ وَاحِدَةٌ تَمْطُرُنِي وَوَادًا، وَوَاحِدَةٌ عَسَجَدًا (ذَهَابًا)

٨٧ دفاعاً عن الاغتراب

يمدح محمد بن يوسف، أبا سعيد الثغري:

سَرْتُ تَسْتَجِيرُ الدَّمَخَ خَوْفَ نَوَى عَدِي وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلَّ مَرْقَدِ
سرت (أمت) تستعين بالدمع خوفاً من فراق الغد، وأصبح مرقدها قتاداً (شوكة)

وَأَنْقَذَهَا مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ أَنَّهُ صُدُودُ فِرَاقِي، لَا صُدُودُ تَعَمُّدِ
وأُنقذها من غمرة الموت (هجمة الموت) أن صدودي هو لوجوب مفارقتي البلد، وليس صدوداً
متعمداً عن المرأة

هِيَ الْبَدْرُ، يُغْنِيهَا تَوَدُّدُ وَجْهِهَا إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَتْ، وَإِنْ لَمْ تَوَدِّدْ
هي بدر، وفي وجهها تودد وبشاشة طبيعية تواجه بها الناس، وتغنيها عن التودد المصطنع

وَلَكِنِّي لَمْ أَحُوْ وَفَرَأُ مُجْمَعًا فَفَزْتُ بِهِ، إِلَّا بِشَمْلٍ مُبْدَدِ
لكنني لم أحو (لم أنل) وفراً مجمعا (مالاً) إلا بتبدد الشمل وبالرحيل

وَلَمْ تُعْطِنِي الْأَيَّامُ نَوْمًا مُسَكَّنًا أَلَذُّ بِهِ، إِلَّا بِنَوْمٍ مُشَرَّدِ
ولم يهدأ بالي، ولم أنم، إلا بعد السهر في طلب المعالي

وَطَوَّلُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِذِيْبَاجَتِيهِ. فَاعْتَزَبَ تَتَجَدَّدِ
طول مكث الرجل في الحي (مع القوم) مخلق لذيواجه (يُلي خديه: يجعله خاملاً مملولاً).
فاغترب تتجدد

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ حُبَّةً إِلَى النَّاسِ، أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ
سرمد: أبدية

حَلَفْتُ بِرَبِّ الْبَيْضِ تَذْمِي مَتُونُهَا، وَرَبِّ الْقَنَا الْمُنَادِ وَالْمُتَقَصِّدِ
حلفت برب (بصاحب) البيض (السيف) التي يسيل الدم من متونها (نصالها)، ورب القنا (الرماح)
المناد (المعوج لكثرة الطعن به) والمتقصد (المكثّر)

لَقَدْ كَفَّ سَيْفُ الصَّامِتِي مُحَمَّدٍ تَبَارِيحَ ثَارِ الصَّامِتِي مُحَمَّدِ
لقد كف سيف محمد الصامتي (الممدوح محمد بن يوسف) تباريح (آلام) ثار محمد الصامتي
(محمد بن حميد)، وكلاهما يتسبان إلى جد واحد هو «الصامت»

عَطَطْتُ، عَلَى رَغَمِ الْعِدَا، عَزَمَ بَابِكَ بِصَبْرِكَ، عَطَّ الْأَتْحَمِيُّ الْمُعَضَّدُ

عططت (شقت) عزم بابك (معنوياته)، عط الأتحمي المعضد (كشق القماش المخطط)

فَلَا يَكُنْ وَلَّى بِشَلْوٍ مُقَدِّدٍ هُنَاكَ، فَقَدْ وَلَّى بِعَزْمٍ مُقَدِّدٍ

فلئن لم يكن فر بشلو مقدد (بعضو ممزق) فقد فر بعزم ممزق

وَقَدْ كَانَتْ الْأَرْمَاحُ أَبْصَرْنَ قَلْبَهُ فَأَرْمَدَهَا سَيْتَرُ الْقَضَاءِ الْمُمَدِّدِ

لقد رأت الرماح موضع قلبه واتجهت نحوه، ولكن سترأ من القضاء والقدر أرمدها (أصابها) بالرمد، فلم تعد ترى

رَأَى سَدِيدَ الرَّأْيِ وَالرُّمَحِ فِي الْوَعَى تَأَزَّرُ بِالْإِقْدَامِ فِيهِ وَتَرْتَدِي

رأى بابك سديد الرأي (حكيماً) وسديد الرمح، وتأزر بالإقدام في الوعى (الحرب) وترتدي (تلبس) الشجاعة إزاراً ورداء

وَلَيْسَ يُجَلِّي الْكَرْبَ رَأْيٌ مُسَدِّدٌ إِذَا هُوَ لَمْ يُوْنَسَ بِرُمَحٍ مُسَدِّدٍ

لا بد للحكمة من رمح مسدد يؤنسها ويعينها

وَكَانَ بَعِيدَ الْقَعْرِ مِنْ كُلِّ مَاتِحٍ فَعَاذَرْتَهُ يُسْقَى، وَيُشْرَبُ بِالْيَدِ

كان العدو كالبئر البعيدة القعر على كل ماتح (مستقى) فتركته قريباً كماء بئر يمكن شربه باليد دون حاجة إلى دلو. يقول: كان يبدو أن النيل من بابك مستحيل، فجعلته يبدو سهلاً

فَمَهْمَا تَكُنْ مِنْ وَقْعَةٍ، بَعْدُ، لَا تَكُنْ سِوَى حَسَنِ مِمَّا فَعَلْتَ، مُرَدِّدٍ

فالمعارك المقبلة ستكون مجرد تكرار لهذه

مَحَاسِنُ أَصْنَافِ الْمَغْنَيْنِ جَمَّةٌ، وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمَعْبِدٍ

والمهم من الرجال السابق. فالمغنون المجيدون أكثر،

ولكن السابق الذي رسم لهم الطريق هو «معبد»

إِلَيْكَ هَتَكْنَا جُنْحَ لَيْلٍ، كَأَنَّهُ قَدْ اكْتَحَلَتْ مِنْهُ الْبِلَادُ بِإِثْمِدٍ

جنتناك وقد هتكنا جنح ليل (خرقنا جناح الليل) كأنه قد كحل البلاد بالإثمد (الكحل)

نَقْلَقُلْ بِي أَدُمَ الْمَهَارَى وَشَوْمَهَا عَلَى كُلِّ نَشْزٍ مُتَلَبِّبٍ وَقَدْفَدٍ

تقلقل (تهتز) بي المهارى (الإبل) الأدم (الداكنة) والشوم (السود) على كل نشز (مرتقى) متلبب (مرتفع) وقدفد (صحراء)

نُقَلِّبْ فِي الْآفَاقِ صَيْلًا، كَأَنَّمَا يُقَلِّبُ فِي فَكِّهِ شِقَّةَ مِبْرَدٍ

هذه الإبل تقلبني في البلاد؛ وإني لصل (ثعبان)؛ وإني لأقلب في فمي لساناً كشقة (قطعة) المبرد

تَلَا فَي جَدَاكَ الْمُجْتَدِينَ فَأَصْبَحُوا وَلَمْ يَبْقَ مَذْخُورٌ، وَلَمْ يَبْقَ مُجْتَدٍ
تلافي جذاك المجتدين (أدرك عطاؤك السائلين)، فأصبحوا ولم يبق عندك شيء مذكور (مذكّر)،
ولم يبق فيهم مجتد (سائل فقير)

إِذَا مَا رَحَى دَارَتْ، أَذَرْتُ - سَمَاحَةً - رَحَى كُلِّ إِنْجَازٍ عَلَى كُلِّ مَوْعِدٍ
إذا ما دارت الرحى (حجر الطاحون) فأنت تدبر لسماحتك (كرمك) رحى الإنجاز على كل موعد
(وعد). فأنت تطحن الوعود وتلغياها بتحقيقها

٨٨ سله كيف نجا

بمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي، ويذكر وقعته بالخرمية:

لَمَّا قَرَأَ النَّاسُ ذَاكَ الْفَتْحَ قُلْتُ لَهُمْ: وَقَائِعُ حَدَّثُوا عَنْهَا، وَلَا حَرْجًا
عندما قرأ الناس رسالة البشير بنصرك قلت لهم: حدثوا بما علمتم، ولا حرج عليكم، فهو صحيح

أَضَاءَ سَيْفِكَ، لَمَّا اجْتَثَّ أَصْلُهُمْ، مَا كَانَ مِنْ جَانِبِي تِلْكَ الْبِلَادِ دَجَا
أضأت بسيفك - عندما اجتثت أصلهم (قطعت أصل الأعداء) - ما كان قد دجا (أظلم) في جانبي البلاد

لَمَّا أَبَوْا حُجَجَ الْقُرْآنِ وَاضِحَةً كَانَتْ سَيُوفُكَ فِي هَامَاتِهِمْ حُجَجًا
بيض (سيوف) وسمر (رماح) إذا غمرة زخرت للموت (سيل طما/ مصيبة مميتة وقعت) فإنك عندئذ
تخوض بأسلحتك أرواح الأعداء ونفوسهم

إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبُو نَصْرِ فَمَنْ قَدِيرٌ تَنْجُو الرُّجَالُ، وَلَكِنْ سَلُهُ كَيْفَ نَجَا
لئن استطاع أبو نصر (أحد قادة الأعداء/ وقيل هو بابك نفسه) أن ينجو فإنما هذا من صنع القدر،
لكن أسأله كيف نجا! لقد نجا مذعوراً تاركاً سلاحه

قَدْ حَلَّ فِي صَخْرَةٍ صَمَاءٍ مُعْنَقَةٍ فَانْجَثَّ بِرَأْيِكَ فِي أَوْعَارِهَا دَرْجًا
اعتصم القائد الهارب بصخرة صماء معنقة (عالية)؛ فانجث برأيك (بتدبيرك) في هذا المرتقى الوعر
درجا يوصلك إليه. وكانت لبابك قلعة حصينة

وَعَادِهِ بِسَيُوفٍ طَالَمَا شُهِرَتْ فَأَخْلَفْتُ مُتَرَفًا مَا كَانَ قَبْلَ رَجَا
وغاديه (بكر إليه) بسيوف كثيراً ما شهرت (جُرُدت) فأخلفت ظن المترف (الذي لا قبل له بالحرب)
فيما كان يرجوه من النجاة

وَشُرِّبَ مُضْمَرَاتِ طَالَمَا خَرَقَتْ مِنْ الْقَتَامِ الَّذِي كَانَ الْوَعَى نَسَجًا
وبكر إليه أيضاً بشرب مضمرات (خيل نحيفة) كثيراً ما خرقت (مزقت) القتام (الغبار) الذي نسجه
الوغي (الحرب)

٨٩ كم ترك الأول للآخر

يمدح أبا سعيد الثغري:

لَا زِلْتَ مِنْ شُكْرِي فِي حُلَّةٍ لَا يَسُهَا ذُو سَلْبٍ فَاجِرٍ
أَدْعُو أَنْ تَظَلَّ لَا بَسًا حِلَّةَ (ثوبًا) مِنْ مَدَائِحِي، وَلَا بَسَهَا ذُو سَلْبٍ (ثوب) فَاجِرٍ

يَقُولُ مَنْ تَقَرَّعَ أَسْمَاعَهُ: كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلُ لِلْآخِرِ

يقول من يسمع قصائدي: ما أكثر ما ترك الأول (الشعراء الأقدمون) للآخر (للشعراء المعاصرين) من معاني!

٩٠ أمد إليك آمالاً طوالا

يعاتب أبا سعيد ويستبطنه:

إِذَا مَا الْحَاجَةُ انْبَعَثَتْ يَدَاهَا جَعَلْتَ الْمَنْعَ مِنْكَ لَهَا عَقْلًا
حَاجَتِي كَالنَّاقَةِ الَّتِي انْبَعَثَتْ يَدَاهَا (تَحَرَّكَتْ قُدَمَاهُ)؛
وَجَعَلْتَ أَنْتَ مَنَعَكَ عَقْلًا (رِبَاطًا) لَهَا يَكْفِيهَا عَنِ السَّيْرِ

فَأَبْنَ قَصَائِدُ لِي فِيكَ تَأَبَى، وَتَأْنِفُ، أَنْ أَهَانَ، وَأَنْ أَذَالَ
مِنْ السَّحْرِ الْحَلَالَ لِمُجْتَنِبِهِ، وَلَمْ أَرْ قَبْلَهَا سِخْرًا حَلَالًا
فَلَا يَكْدُرُ غَدِيرُكَ لِي، فَإِنِّي أُمِدُّ إِلَيْكَ أَمَالًا طَوَالًا

٩١ إعصار على حيطان القسطنطينية

يمدح أبا سعيد الثغري:

لَا أَنْتَ أَنْتَ، وَلَا الدِّيَارُ دِيَارُ خَفَّ الْهَوَى، وَتَوَلَّى الْأَوْطَارُ

تغير كل شيء، ورحل شبابك يا أبا تمام، وخف الهوى (رحل) وتولت (ذهبت) الأوطار (الرغبات). رواية الصولي «أنت» بقاء مفتوحة، وقد اخترناها على رواية التبريزي التي يخاطب فيها مؤنثاً، فالشاعر يرى نفسه ويخاطب نفسه. والحيية رحلت من زمن بعيد فلا وجه لتخيل أنها تغيرت، بل الوجه أن يظل يراها الشاعر شابة، لأن صورتها ثبتت في خياله على ما كانت. وقد لحق بالتبريزي أحد الدكاترة، ولكن إيليا الحاوي وإبراهيم الأسود ومحيي الدين الخياط فتحوها مع الصولي

قَدْ صَرَّحَتْ عَنْ مَحْضِهَا الْأَخْبَارُ، وَاسْتَبَشَّرَتْ بِفُتُوحِكَ الْأَمْصَارُ

يمدح: صرحت الأخبار عن محضها (كشفت عن حقيقتها، كما يكشف اللبن الحليب عن حقيقته بانقشاع الرغوة)، واستبشرت نواحي البلاد بفُتُوحِكَ

قُدَّتِ الْجِيَادُ، كَأَنَّهُنَّ أَجَادِلُ، بِقَرَى «دَرُولِيَّةٍ» لَهَا أَوْكَارُ

قُدت الخيل كأنها أجادل (صقور) لها أوكار في الجبال التي تقع فيها قرى درولية

حَتَّى التَّوَى، مِنْ نَقَعٍ قَسَطَلَهَا عَلَى حَيْطَانٍ قُسْطَنْطِينَةَ، الإِعْصَارُ

قُدت الجياد حتى تلوى من نقع قسطلها (غبار/ غبارها) إعصار وصل سور القسطنطينية

إِلَّا تَكُنْ حُصِرَتْ، فَقَدْ أَضْحَى لَهَا، مِنْ خَوْفِ قَارِعَةِ الْحِصَارِ، حِصَارُ

فلئن لم تكن القسطنطينية قد حوصرت فعلاً،

فقد أصبح خوفها من قارعة (مصبية) الحصار حصاراً

خَشَعُوا لِصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عَنْدهُمْ كَالْمَوْتِ بِأَنِّي لَيْسَ فِيهِ عَارُ

خشعوا هناك لصولتك (لهجمتك)، وهي بالنسبة لهم شبيهة بالموت: فيه ألم ولكن ليس فيه عار،
لأنه مكتوب لا مفر منه

فَالْمَشْيِ هَمْسٌ، وَالنَّدَاءُ إِشَارَةٌ خَوْفِ انتِقَامِكَ، وَالْحَدِيثُ سِرَارُ

فأصبح مشيهم همساً (الهمس: صوت المشي الخفيف)، وأصبحوا ينادون بعضهم بالإشارة خوف
انتقامك، وأصبح حديثهم سراراً (وشوشة)

٩٢ شجاعة الصدر والقفا

يمدح أبا سعيد الثغري:

هَلْ اجْتَمَعَتْ أَحْيَاءُ عَدْنَانَ كُلِّهَا بِمُلْتَحَمٍ، إِلَّا وَأَنْتَ أَمِيرُهَا؟

ما تجتمع قبائل عدنان في ملتحم (معترك) إلا وأنت أميرها (والأمير الممدوح من طيء اليمنية،
وعدنان غير يمانية)

بِكَ الْيَمَنِ اسْتَعَلَّتْ عَلَى كُلِّ مَوْطِنٍ، فَصَارَ لَطْفِي تَاجُهَا وَسَرِيرُهَا

السريـر: العرش

مُحَرَّمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلِكَ فِي الْوَعَى، وَمَكْلُومَةٌ لِبَائِهَا وَنُحُورُهَا

أنت لا تنهزم فأكفال خيلك (مؤخراتها) محرمة لا تصاب، ولكن لبائتها (صدورها) ونحورها
(صدورها) مكلومة (معجوجة)

حَرَامٌ عَلَى أُرْمَاحِنَا طَعْنُ مُذِيرٍ وَتَنْدَقُ فِي أَعْلَى الصُّدُورِ صُدُورُهَا

ورماحنا لا تطعن المدير (الفار)، ولكن تندق صدور صدور الرماح

(أعاليتها) في صدور الأعداء

٩٣ حقن ماء الوجه

يمدح أبا سعيد الثغري:

رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهِهِ فِي صَحِيفَتِهِ رَدَّ الصَّقَالِ بَهَاءَ الصَّارِمِ الْحَذِمِ
الصقال: الصقل؛ الصارم، والخزم: السيف القاطع

وما أُبَالِي، وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ، حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِ، أَوْ حَقَنْتَ دَمِي

٩٤ الثلثة بين الرأيين

يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف وقد غاب عنه:

مَتَى كَانَ سَمْعِي خُلْسَةً لِلَّوَائِمِ؟ وَكَيْفَ صَغَتْ لِلْعَاذِلَاتِ عَزَائِمِي؟
منذ متى كان سمعي خلسة (نهباً متاحاً) للوائم (العاذلات)، وكيف صغت (مالت) للعاذلات عزيبي؟

إِذَا الْمَرْءُ أَبْقَى بَيْنَ رَأْيَيْهِ ثُلْمَةً نُسِدْتُ بِتَعْنِيفٍ، فَلَيْسَ بِحَازِمٍ
إذا المرء ترك ثغرة بين رأيين يكون محتاراً بينهما - وبالطبع سيملا الناس هذه الثغرة بالتعنيف والتدخل في شؤونه - فليس حازماً

فَتَى فَيُضِلُّ الْعِزْمَ، يَغْلَمُ أَنَّهُ نَشَأَ رَأْيُهُ بَيْنَ السُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
يمدح: هذا الفتى عزمه منسوب للفصيل (السيف)، ورأيه نشأ (ارتفع) ما بين السيوف القواطع

أَسَاءَتْ يَدَاهُ عِشْرَةَ الْمَالِ بِالنَّدَى، وَأَحْسَنَتَا فِينَا خِلَافَةَ حَاتِمِ
أساء عشرة الأموال فهو يبددها، وهو خير خلف لحاتم الطائي

٩٥ بشق النفس

يمدح أبا سعيد الثغري وقد قدم من مكة:

إِنَّ عَهْدًا لَوْ تَعَلَّمَانِ دَمِيمًا أَنْ تَنَامَا عَنْ لَيْلَتِي، أَوْ تُنِيمَا
أيها الصديقان إنه لذميم (معيب) في العهد (رابطة الأخوة بيتنا) أن تناما أنتما وأنا أقاسي ليلتي الصعبة، أو حتى أن تتركا أحداً ينام، بل شاركانني السهر والحزن

كَنتُ أَرْعَى الْبُدُورَ، حَتَّى إِذَا مَا فَارَقُونِي، أَمْسَيْتُ أَرعى النُّجُومَا
كنت أرقب (أراقب) البدور (وجوه الأحبة)، وصرت بعد فراقهم أراقب نجوم السماء ساهراً

أَصْبَحْتُ رَوْضَةَ الشَّبَابِ هَشِيمًا وَغَدْتُ رِيحَهُ الْبَلِيلِ سَمُومًا
هشيماً: يابسة العشب، ريحه البليل: نسيمه المنعش، السموم: ريح حارة سافية

شُعْلَةٌ فِي الْمَفَارِقِ اسْتَوْدَعْتَنِي، فِي صَمِيمِ الْفؤَادِ، تُخْلَا صَمِيمَا
الشَّيْبِ مِثْلَ الشُّعْلَةِ فِي الْمَفَارِقِ (الرَّأْسِ) وَقَدْ اسْتَوْدَعْتَنِي (تَرَكْتُ لِي) فِي صَمِيمِ قَلْبِي إِحْسَاسًا بِشَكْلِ
(فَقَدْ) الشَّبَابِ

حَلَمْتَنِي - زَعَمْتُمْ - وَأَرَانِي، قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ، كُنْتُ حَلِيمًا
شُعْلَةُ الشَّيْبِ تَزْعُمُونَ أَنَّهَا حَلَمْتَنِي (جَعَلْتَنِي حَلِيمًا وَقَوْرًا)، لَكُنْتِي حَلِيمٌ مِنْ يَوْمِي
لَنْ يَنَالَ الْعُلَى خُصُوصًا مِنَ الْفِتَنِ يَانِ مَنْ لَمْ يَكُنْ نَدَاهُ عُمُومًا
نَشَأْتُ مِنْ يَمِينِهِ نَفَحَاتٌ، مَا عَلَيْهَا إِلَّا تَكُونُ غُيُومًا
يَتَكَلَّمُ عَنِ الْمَدُوحِ: ارْتَفَعَتْ مِنْ يَدِهِ نَفَحَاتُ (هَبَاتُ رِيحٍ)، فَلَمْ لَا تَحْوِلْ إِلَى غَيُومٍ (عَطَايَا سَخِيَّةٍ)؟

قَدْ بَلَّوْنَا أَبَا سَعِيدٍ حَدِيثًا، وَبَلَّوْنَا أَبَا سَعِيدٍ قَدِيمًا
فَعَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ، إِلَّا بِشَيْقُ النَّدِ - نَفْسٍ، صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا
طَلَبَ الْمَجْدُ يُوْرِثُ الْمَرْءَ خَبَلًا وَهُمُومًا تُقْضِضُ الْحَيُزُومَا
السَّعْيُ لِلْمَجْدِ يُوْرِثُ الْمَرْءَ خَبَلًا (جَنُونًا)، وَهُمُومًا تُقْضِضُ (تَكْسُرُ) الْحَيُزُومَ (الْمَدْرَ)
فَتَرَاهُ، وَهُوَ الْخَلِي، شَجِيحًا وَتَرَاهُ، وَهُوَ الصَّحِيحُ، سَقِيمًا
الْخَلِي: الْفَارِغُ الْبَالِ، الشَّجِي: الْمَهْمُومُ

تَيَمَّمْتُهُ الْعُلَى، فَلَيْسَ يَعُدُّ الْـ جُبُوسٌ بُؤْسًا، وَلَا النَّعِيمَ نَعِيمًا
أَجْدَرُ النَّاسِ أَنْ يُرَى وَهُوَ مَغْبُورٌ نٌ؛ وَهَيْهَاتَ أَنْ يُرَى مَظْلُومًا
هُوَ أُخْرَى النَّاسِ أَنْ تَرَاهُ مَغْبُورًا (يَحِبُّ - لِسَخَاةٍ - أَنْ يَتَغَاْفَلَ النَّاسُ وَيَأْخُذُوا أَمْوَالَهُ)،
لَكِنَّهُ أَبْيُّ يَرْفُضُ أَنْ يُظْلَمَ

وَإِذَا كَانَ عَارِضُ الْمَوْتِ سَحًّا خَضَلًا بِالرَّدَى، أَجَشَّ هَزِيمًا ..
إِذَا كَانَ عَارِضُ (سَحَابِ) الْمَوْتِ سَحًّا (هَاطِلًا)، خَضَلًا (نَدِيًا) بِالرَّدَى، أَجَشَّ (رَاعِدًا) هَزِيمًا (رَاعِدًا) ..
وَاكْتَسَتْ ضُمُرُ الْجِيَادِ الْمَذَاكِي مِنْ لِبَاسِ الْهَيْجَاءِ دَمًا وَحَمِيمًا
وَاكْتَسَتْ ضُمُرُ الْجِيَادِ (الْخِيُولُ النَّحِيلَةُ) الْمَذَاكِي (الْمَكْتَمَةُ النَّمُو) مِنْ لِبَاسِ الْهَيْجَاءِ (الْمَعْرَكَةُ) دَمًا
وَحَمِيمًا (عَرَقًا) ..

فِي مَكْرٍ تَلَوَّكُهَا الْحَرْبُ فِيهِ، وَهِيَ مُقَوَّرَةٌ تَلَوُّكَ الشَّكِيمَا
وَالْخَيْلُ فِي مَكْرٍ (مَعْتَرِكٍ) تَلَوَّكُهَا الْحَرْبُ، بَيْنَمَا هِيَ مُقَوَّرَةٌ (ضَامِرَةٌ نَحِيلَةً) تَلَوُّكَ الشَّكِيمِ (الْحَدَاتِ)
(فِي أَفْوَاهِهَا) ..

قُمْتُ فِيهَا بِحُجَّةِ اللَّهِ، لَمَّا أَنْ جَعَلْتَ السُّيُوفَ عَنْكَ خُصُومًا
عِنْدَئِذٍ قَاتَلْتَ وَقُمْتَ بِحُجَّةِ اللَّهِ (بَنَصَرَ دِينَهُ وَإِثْبَاتَ صَحَّتِهِ)، وَذَلِكَ عِنْدَمَا جَعَلْتَ السُّيُوفَ خُصُومًا
عَنْكَ (نَوَّابًا عَنْكَ فِي مَجَالِ الْحِجَاجِ وَالْإِحْتِكَامِ)

٩٦ وداع فصيام

يمدح أبا سعيد الثغري ويذكر غمه بفراقه:

لَأَوْدَعَنَّكَ، ثُمَّ تَدَمَعُ مُقْلَتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعَ الشَّانِي
وَأَصُومُ بَعْدَكَ عَنْ سِوَاكَ، وَأَعْتَدِي مُتَقَلِّدًا صَوْمَيْنِ فِي رَمَضَانِ

٩٧ الهيق

وقال يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني:

لَيْسَنَ ظِلِّينِ: ظِلٌّ أَمِنَ مِنَ الدَّ - هَرٍ، وَظِلًّا مِنْ لَهْوِهِ وَدِدِهِ
هؤلاء الفتيات المنعمات الغنيات يتفیان بأمن من الزمن، وباللهو والدد (اللعب)

فَهَنْ يُخْبِرَنَّ عَنْ بُلْهَنِيةِ ال - عَيْشِ، وَيَسْأَلَنَّ مِنْهُ عَنْ جَحْدِهِ
ويستطعن إخبارك عن بلهنية العيش (العيش الرغد) فهن يعرفنه، لكنهن يسألن عن جحد العيش .
(العيش القاسي) لجهلهن به

سَأَخْرِقُ الْخَرْقَ بِابْنِ خَرْقَاءَ، كَال - هَيْقِ إِذَا مَا اسْتَحَمَّ فِي نَجْدِهِ

سأخترق الخرق (الصحراء) بجمل ابن خرقاء (ناقة سريعة) كالهيق (النعام) إذ يستحم في نجده (عرقه)
والنعام لا تعرق، بل تلهث كالكلب إذا احترت. والجمل لا يعرق عرقاً نراه، بل
ينز قليلاً تحت فروته عند اشتداد الحر ولا يرى له عرق، فضلاً عن الاستحمام به.
ولو كان يستحم في عرقه لما كان سفينة الصحراء، ولا ضُرب به المثل في تحمل
العطش. ما اقتبست لك البيت إلا كي يوصلنا إلى الممدوح. وكنت أحب أن أتمس
العذر لأبي تمام فأجعل ابن الخرقاء هذا حصاناً (فمن معاني الخرقاء: الأرض
الخلا)، والحصان يعرق، ولكن الأمر لم يستقم لي لأن شاعرنا مضى في وصف
سنام الجمل فقطع علينا الطريق. وتناول البيت الأمدي - وهو الناقد المتحامل
على أبي تمام المفتش عن عيوبه - وجعل الاستحمام استجماماً بالجيم، ولكنه شرح
النجد بالعرق، وقال: ابن خرقاء: يريد بعيراً. ولم ير في المعنى، مع ذلك، ما رأينا
من خلل. لا بل عَقِبَ على البيت وإخوة له قائلاً: «وهذه معان صحيحة، ولكن
النسج لا حلاوة له، ولا طلاوة عليه.» ويندر من الأمدي أن يجد لأبي تمام معاني
صحيحة، فإن وجد هذا المعنى صحيحاً فهو يفتح نافذة على الشك في نقدنا نحن.
وسأكون مسروراً أن يتعقبني أحد في هذا فيرشدني إلى ما قد يكون غاب عني.
(لاحقاً لهذا التحليل الطويل وجدت من يتعقبني، ها هي ملاحظة عمران القفيني:
«تعال نتفاوض: ألا يكون هذا من «الإحالة» التي يعيب بها النقاد على الشعراء
مبالغاتهم؟ أي أن هذه التي لا تعرق في الصحراء: النعام والجمل، سأمطيها حتى
تستحم في عرقها وصولاً إلى الممدوح. أو ربما سأقطع صحارى لا قبل لجمل ولا
لنعام بقطعها وصولاً إليه، حتى أنها استحمت بعرقها من طول الطريق أو
صعوبتها؟»)

إِلَى الْمُفَدَّى أَبِي يَزِيدَ الَّذِي يَصِلُ غَمْرُ الْمُلُوكِ فِي ثَمِدَةٍ
فَاصِداً أبا يَزِيدَ الَّذِي يَضِيعُ غَمْرُ الْمُلُوكِ (ماؤهم الغامر أي عطاؤهم الكثير) فِي ثَمِدَةٍ (مائه القليل).
فَقَلِيلُ عَطَائِهِ أَكْثَرُ مِنْ كَثِيرِ عَطَائِهِمْ

ظِلُّ عَفَاةٍ، يُجِبُّ زَائِرَهُ حُبَّ الْكَبِيرِ الصَّغِيرِ مِنْ وَلَدِهِ
هُوَ ظِلٌّ يَسْتَظِلُّ بِهِ الْعَفَاءُ (الْفُقَرَاءُ)، وَيَحِبُّ زَائِرِيهِ حُبَّ الْأَبِ الْمُتَقَدِّمِ فِي السِّنِّ أَصْغَرُ أَوْلَادِهِ
إِذَا أَنَاخُوا بِبَابِهِ أَخَذُوا حُكْمِيهِمْ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ
إِذَا أَنَاخَ الْوَافِدُونَ إِلَيْهِمْ فِي بَابِهِ أَخَذُوا حُكْمَهُمْ (مَا شَاءُوا) مِنْ لِسَانِهِ تَرْحِيماً، وَمِنْ يَدِهِ مَالاً

٩٨ القصيدة المغرورة

يَمْدَحُ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ مَزِيدٍ الشَّيْبَانِيَّ:

مَضَوْا وَهُمْ أَوْتَادُ نَجْدٍ وَأَرْضِيهَا، يُرَوْنَ عِظَاماً كُلَّمَا عَظُمَ الْخَطْبُ
انصرفت أيامهم وكانوا أوتاد نجد (ركائزها)، وكنا نراهم عظاماً على مستوى الحدث
وَمَا كَانَ بَيْنَ الْهَضْبِ، قَرَقٌ، وَبَيْنَهُمْ؛ سَوَى أَنَّهُمْ زَالُوا، وَلَمْ يَزَلِ الْهَضْبُ
لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْهَضَابِ الرَّاسِخَةِ فَرْقٌ إِلَّا أَنَّهُمْ مَاتُوا وَبَقِيَ الْهَضَابُ

فَيَا وَشَلَ الدُّنْيَا بِشَيْبَانَ لَا تَغْضُ، وَيَا كَوَكَبَ الدُّنْيَا بِشَيْبَانَ لَا تَحُبُّ
يَا وَشَلَ الدُّنْيَا (مَا تَبَقِيَ مِنْ مَائِهَا) لَا تَغْضُ (لَا تَجْفُ) بِشَيْبَانَ (بِجَفَافِ شَيْبَانَ، فَهَمُ كُلِّ مَا تَبَقِيَ مِنْ خَيْرِ
فِي الدُّنْيَا)، وَيَا كَوَكَبَ الدُّنْيَا لَا تَحُبُّ (لَا تَحْمَدُ) بِشَيْبَانَ (بِخُمُودِ شَيْبَانَ)، فَخُمُودُهُمْ خُمُودٌ لِلدُّنْيَا
فَمَا دَبَّ إِلَّا فِي بُيُوتِهِمْ النَّدَى وَلَمْ تَرْبُ إِلَّا فِي حُجُورِهِمْ الْحَرْبُ
فَمَا دَبَّ (مَشَى) الْكَرَمُ إِلَّا فِي بُيُوتِهِمْ، وَلَمْ تَرْبُ (تَكْبَرُ وَتَتَرَعَّرُ) الْحَرْبُ إِلَّا فِي حُجُورِهِمْ (أَحْضَانَهُمْ)
أَوَّلَاكَ بَنُو الْأَحْسَابِ، لَوْلَا فَعَالُهُمْ، دَرَجَنَ، فَلَمْ يُوجَدْ لِمَكْرُمَةٍ عَقْبُ
أَوَّلَاكَ (أَوَّلُكَ) بَنُو الْأَحْسَابِ (الشُّرَفِ)، وَلَوْلَا فَعَالُهُمْ (أَمْجَادُهُمْ) لِدَرَجَنَ (لِدَرَجَتِ الْأَحْسَابِ، أَيْ
انْقَرَضَتْ)، وَلَمَّا لَقِيتُ عَقْباً (جَيْلاً جَدِيداً) لِلْمَكَارِمِ

لَهُمْ يَوْمٌ ذِي قَارٍ، مَضَى وَهُوَ مُفَرَّدٌ وَجِيدٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ، لَيْسَ لَهُ صَحْبُ
حَارِبُوا فِي يَوْمِ ذِي قَارٍ ضِدَّ الْفَرَسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ فَرِيداً لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا قَرِينَ

بِهِ عَلِمَتْ صُهْبُ الْأَعَاجِمِ أَنَّهُ بِهِ أَغْرَبَتْ عَنْ ذَاتِ أَنْفُسِهَا الْعُرُبُ
عَلِمَتْ الْأَعَاجِمُ الصُّهْبُ (الشُّقْرُ) فِي هَذَا الْيَوْمِ أَنَّ الْعَرَبَ تَرِيدُ أَنْ تَعْرِبَ عَنْ بَأْسِهَا وَحَقِيقَةِ
مَشَاعِرِهَا الْإِسْتِقْلَالِيَّةِ

هُوَ الْمَشْهُدُ الْفَضْلُ الَّذِي مَا نَجَا بِهِ لِكِسْرَى بْنِ كِسْرَى لَا سَنَامٌ وَلَا صَلْبٌ
كان مشهداً فاصلاً ولم ينج فيه لكسرى ابن الأكاسرة لا سنام ولا صلب (فقد كسرى كل شيء: فسنام
الجمال يذوب مع طول الرحلة ويعود للنمو بالراحة والجمام، لكن كسرى فقد السنام والظهر نفسه أيضاً)

أَقُولُ لِأَهْلِ الثَّغْرِ: قَدْ رُبَّبَ الثَّأْيُ، وَأُسْبِغَتِ النِّعْمَاءُ، وَالتَّامَ الشَّعْبُ
أقول لساكني الثغر (مناطق الحدود) لقد ربب الثأى (رتق الخرق)، وأسبغت النعماء (وزعت
الأموال)، والتأم الشعب (التحم الكسر)

فَسَيِّحُوا بِأَطْرَافِ الْفَضَاءِ وَأَرْتِعُوا؛ قَنَا خَالِدٍ، مِنْ غَيْرِ دَرْبٍ، لَكُمُ دَرْبٌ
فاسرحوا وأرتعوا (اجعلوا مواشيكم ترتع)، قنا خالد (رماحه) هي دريكم (جبلكم) إذا لم يكن لكم
جبل يقيمكم عدوان الروم. والدرب هو الممر الجبلي المفضي إلى بلاد الروم، واستعارها لكل جبل

فَتَى عِنْدَهُ خَيْرُ الثَّوَابِ وَشَرُّهُ، وَمِنَ الْإِبَاءِ الْمِلْحُ، وَالكَرْمُ الْعَذْبُ
عنده الثواب والعقاب، وإبائه ملح (مالح)، وكرمه عذب

أَشْمُ شَرِيكِي، يَسِيرُ أَمَامَهُ، مَسِيرَةَ شَهْرٍ، فِي كِتَابِهِ الرُّعْبُ
أشم شريكي (منسوب إلى «شريك» أحد أجداده) يسبقه الربع مدة شهر قبل وصوله إلى الأعداء.
جاء في الحديث: «نصرت بالربع مسيرة شهر»

وَلَمَّا رَأَى تُوفِيلُ رَايَاتِكَ الَّتِي إِذَا مَا اتَّلَابَتْ لَا يُقَاوِمُهَا الصُّلْبُ
لما رأى توفيل (توفلس قائد الروم) راياتك التي إذا اتلابت (تلاحقت) لا تستطيع الرايات الموسومة
بالصلبان أن تقاومها..

تَوَلَّى، وَلَمْ يَأَلِ الرَّدَى فِي اتِّبَاعِهِ، كَأَنَّ الرَّدَى فِي قَضِيهِ هَائِمٌ صَبٌّ
.. تولى (انصرف) ولم يأل (لم يتوان) الردى (الموت) في اللحاق به، فكان الموت هائم به صب
(محب) له

عَدَا خَائِفًا يَسْتَنْجِدُ الْكُتْبَ، مُذْعِنًا، عَلَيْكَ، فَلَا رُسْلٌ ثَنَتْكَ، وَلَا كُنْتُ
خاف وصار يستجد عليك الكتب (رسائل الحوار وطلبات التفاوض)، ولكن هذا لم يثنك (لم
يردك عن عزيمتك)

وَمَا الْأَسَدُ الضَّرْعَامُ يَوْمًا بِعَاكِسٍ صَرِيْمَتَهُ إِنْ أَنْ، أَوْ بَصْبَصَ الْكَلْبُ
الأسد لا يعكس (يغير) صريمته (عزمه) إذا صدر من الكلب أنين أو بصيص (حرك ذنبه مستعطفاً)

جُعِلَتْ نِظَامُ الْمَكْرُمَاتِ، فَلَمْ تَدُرْ رَحَى سُودْدٍ إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا قُطْبُ
أنت نظام (عقد) المكرمات (الفضائل) تجمعها جمعاً، وإذا دارت رحى سودد (حجر طاحون
السيادة) فأنت لها القطب الذي هو محور دورانها

وسيارة في الأرض، ليسَ بِنازِحٍ على وَخْدِهَا حَزَنٌ سَحِيقٌ ولا سَهْبٌ
ورب قصيدة (هي قصيدتي هذه) سيارة (تسير على كل لسان بكل بلد)، وليس بنازح (ببعيد) على
وخذها (سيرها السريع) حزن سحيق (جبل بعيد) ولا سهب (سهل)

إذا أَتَشِدَّتْ فِي الْقَوْمِ ظَلَّتْ كَأَنَّهَا مُسِيرَةٌ كَبِيرٌ، أَوْ تَدَاخَلَهَا عُجْبٌ
عندما يجري إنشادها تكون القصيدة نفسها فخورة وكأنها مسرة كبر (مخفية زهواً وإعجاباً بنفسها)
أو كأنه تداخلها عجب (دخل قلبها الغرور). هذا تشخيص طريف وأيم الحق

٩٩ خرّ صريعاً بين أيدي القصائد

بمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني:

يقول أناسٌ في «حَبِيناءَ» عَايَنُوا عِمَارَةَ رَحْلِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ:
يقول هؤلاء الذين عاينوا (رأوا) في «حبيناء» عمارة رحلي (حمولة جملي) التي فيها الطريف
(الجديد) والتالد (الموروث)

أَصَادَفْتُ كَنْزاً أَمْ صَبَحَتْ بِغَارَةٍ ذَوِي غَرَّةٍ حَامِيهِمْ غَيْرُ شَاهِدٍ؟
يقولون: أصادفت كنزاً، أم صبحت بغارة (هجمت صباحاً) أناساً ذوي غرة (غافلين) وفرسانهم
الذين يحمونهم غائبون؟

فَقُلْتُ لَهُمْ: لَا ذَا، وَلَا ذَاكَ دَيْدَنِي، وَلَكِنِّي أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ خَالِدٍ
ديدني: عادي

جَذَبْتُ نَدَاهُ غُدْوَةَ السَّبْتِ جَذْبَةً فَخَرَّ صَرِيْعاً بَيْنَ أَيْدِي الْقَصَائِدِ
فَأَلْبَسَنِي مِنْ أَمْهَاتِ بِلَادِهِ وَالْبَسْتُهُ مِنْ أَمْهَاتِ قَلَائِدِي

تلاده: ماله القديم، قلائدي: قصائدي. للآمدي صاحب «الموازنة» في هذه الأبيات
أسطر نقدية ما زالت تضحكني كلما قرأتها وهاكها بحرفها: «ومن رديء خروجه لفظاً
ومعنى قوله: «يقول أناس في حبيناء عاينوا/ عمارة رحلي من طريف وتالد// أصادفت
كنزاً أم صبحت بغارة/ ذوي غرة حاميمهم غير شاهد// فقلت لهم لا ذا ولا ذاك ديدني/
ولكنني أقبلت من عند خالد» وهذا من معاني العوام أن يقولوا لمن رأوا حاله قد
حسن: على من أغرت، أو أي كنز وجدت. وما ظننت مثل هذا يُنْظَمُ شعراً. وقوله:
«أقبلت من عند خالد» كلام كالفارغ. وإنما كان ينبغي لمن ابتلاه الله بهذا المعنى أن
يقول في جوابهم: نعم كنز خالد، وأغار على ندى خالد. ولكنه، لعمرى، بيّن المعنى
في البيت الثاني، وعرفهم سبب عمارة رحله بأن قال: «جذبت نداء غدوة السبت
جذبة/ فخر صريعاً بين أيدي القصائد». وهذا، وأبيه، معنى متناوٍ في برده وغثائه
وركاكته، ولشتمته الممدوح عندي بالزنى أحسن وأجمل من جذب نداء حتى يخثر
صريعاً. ولو لم يُعلمنا أن ذلك كان غدوة السبت كيف كان يتم بُرْدُ المعنى؟ وحبيناء
اسم موضع، في غاية القبح والهجانة. فإنهم وإن كانوا قالوا ما قالوا في هذا الموضع
فإنه لم يك مضطراً إلى ذكره، كما أنه لم يك مضطراً إلى ذكر غدوة السبت» اهـ الآمدي

١٠٠ الخلود الدنيوي

يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني:

راحَتْ غَوَانِي الْحَيِّ، عَنْكَ غَوَانِيَاً يَلْبَسْنَ نَأِيّاً تَارَةً وَصُدُودَا
أصبحت غواني الحي (حسانه) مستغنيات عنك، يبدن النأي (البعد) والصدود

أَخْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِعاً مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا
أكثر ما تحب المرأة في الرجل أن يكون شاباً ناعم الخدين مثلها

فَاطْلُبْ هُدُوءاً بِالتَّقَلُّقِ، وَاسْتَشِرْ بِالْعَيْسِ مِنْ تَحْتِ السُّهَادِ هُجُودَا
فاطلب الهدوء (العيش الهانئ) بالتقلقل (التنقل)، وعليك أن تستشير - بالعيس (بالإبل) التي تحمل بك - الهجود (النوم الهادئ) من تحت السهاد (السهر). الراحة تأتيك بأن تسافر، والنوم الهادئ تنتزعه من سهرك (وكانوا يسIRON ليلاً طلباً للبرودة، فيفضون ليلهم ساهرين سائرين فوق الإبل)

نَسَبَ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى نُوراً، وَمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُودَا
يمدح خالد بن يزيد الشيباني: نسبه مشرق، كأنَّ عليه من فلق الصباح (انشقاق الفجر) عموداً (ضوء الفجر)

وَإِذَا رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدٍ فِي نَدَى، وَوَعَى، وَمُبْدِيَّ غَارَةٍ وَمُعِيدَا
أَيَقْنَتَ أَنَّ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً تُدْمِي، وَأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُودَا
إذا رأيته في السخاء وفي الحرب أدركت أن السماح (الكرم) تخرج منه شجاعة تدمي العدو، وأن الشجاعة يرافقها الجود

وَإِذَا سَرَحْتَ الظَّرْفَ حَوْلَ قَبَائِهِ لَمْ تَلَقْ إِلَّا نِعْمَةً وَخُسُودَا
إذا أجلت نظرك حول بيوته رأيت نعمة على الناس بسبه، ورأيت من يحسده على عظمته
وَمَتَى حَلَلْتَ بِهِ أَنَا لَكَ جَهْدُهُ، وَوَجَدْتَ بَعْدَ الْجَهْدِ فِيهِ مَزِيدَا
أنالك: أعطاك، جهده: أقصى استطاعته

أَبْقَى يَزِيدٌ وَمَزِيدٌ وَأَبُوهُمَا وَأَبُوه، رُكْنَكَ فِي الْفَخَارِ شَدِيدَا
يا خالد: أبوك يزيد وجدك مزيد وأبوهما، أي أبا جدك، وأبوه أي جد جدك أبقوا لك ركناً شديداً من المجد تفخر به

سَلَفُوا يَرَوْنَ الذِّكْرَ عَقَباً صَالِحاً وَمَضَوْا يَعُدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُودَا
مضوا وهم يعدون الذكر (حسن السيرة) عقباً صالحاً (مثل الأحفاد الصالحين)، ويعتبرون ثناء الناس عليهم خلوداً

١٠١ حُطَّ الرِّحْلُ وَالظَّنُّ

يرثي خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني:

لِتَبْكِ الْقَوَافِي شَجْوَهَا بَعْدَ خَالِدٍ بَكَاءَ مُضِلَّاتِ السَّمَاحِ نَوَاشِدٍ

لتبك القصائد شجوها (حزنها) بعد خالد بكاء من ضاع منه السماح (الجود) فهو ينشده (يبحث عنه). يقول: القصائد مضلات الجود (قد ضيعته فهن يبحثن عنه بعد موت خالد)

تَقْلَصَ ظِلُّ الْعُرْفِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَأُطْفِئَ فِي الدُّنْيَا سِرَاجُ الْقَصَائِدِ

العرف: المعروف

وَيَا شَائِمًا بَرَقًا خَدُوعًا، وَسَامِعًا لِرَاعِدَةٍ دَجَّالَةٍ فِي الرَّوَاغِدِ..

يا شائماً (مرتقباً) برقاً خادعاً من سحابة لن تمطر،

ويا سامعاً لسحابة راعدة لكنها كاذبة ولن تمطر..

أَقِمْ، ثُمَّ حُطَّ الرِّحْلُ وَالظَّنُّ، إِنَّهُ مَضَتْ قِبْلَةُ الْأَسْفَارِ مِنْ بَعْدِ خَالِدٍ

أقم (امكث ولا ترحل)، وأنزل رحلك (متاعك) أرضاً، وكذلك أنزل ظنك (رجاءك) أرضاً، فموت خالد لم يعد هناك قبلة للمسافرين لكي يقصدها طلباً للعطاء

فَيَا وَخْشَةَ الدُّنْيَا، وَكَانَتْ أَنْيَسَةً، وَوَحْدَةً مَنْ فِيهَا لِمَضْرَعٍ وَاحِدٍ

١٠٢ يَا كَاسِرِي كَسْرِي!

يمدح أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي:

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلَاعِبٍ أُذِيلَتْ مَصُونَاتُ الدَّمُوعِ السَّوَائِبِ

على مثل هذه الأطلال من الأربع (الربوع، الأماكن) والملاعب (الأماكن التي تلعب فيها الرياح) أذيلت (أهينت) الدموع السواكب (المنهمرة) التي كانت مصونة من قبل. يقول: لست أول من يبكي على الأطلال، فقد بكى على مثلها أناس قبلي

وَرَكِبٍ يُسَاقُونَ الرِّكَابَ زُجَاجَةً مِنْ السَّيْرِ، لَمْ تَقْصِدْ لَهَا كَفَّ قَاطِبٍ

رب ركب (مسافرين) يساقون (يشربون ويسقون) الركاب (الإبل) من زجاجة (كأس) هي عبارة عن السير، وهذه الزجاجة لم تتناولها يد قاطب (مازج لها بالماء). يقول: نحن نتساقى مع إبلنا كؤوس السير فنسكر تعباً لكن: بالسير لا بالخمير

فَقَدْ أَكَلُوا مِنْهَا الْعَوَارِبَ بِالسَّرَى، فَصَارَتْ لَهَا أَشْبَاحُهُمْ كَالْعَوَارِبِ

لقد أكل المسافرون غوارب الإبل (أسنمتها) بالسرى (سير الليل)، وصارت أشباحهم (أجسامهم المهزولة) وهم يركبون إبلهم كأنها أسنمة لها. وسنام الجمل يذوب مع قلة الأكل وشدة التعب. على بعد ما بين طرفه بن العبد وأبي تمام فكلاهما عايش الناقة وسافر عليها

إِذَا الْعِيسُ لَاقَتْ بِي أَبَا دُلْفٍ، فَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ
 إِذَا الْعِيسُ (الإبل) جعلتني أبا دلف، فقد انقطع ما بيني وبين المصائب لأنه سيكفيني شرها
 هَذَاكَ تَلَقَى الْجُودَ حَيْثُ تَقَطَّعَتْ تَمَائِمُهُ، وَالْمَجْدَ مُرَخًى الدَّوَائِبِ
 عند أبي دلف تلقى الجود، فعنده ترعرع الجود وقطعت عنه توائمه (أزيلت الأحرار والحُجب
 والتعاويد من عقه كما تزال من عنق الصبي عندما يكبر)، وتلقى المجد مرخى الدوائب (منسدل
 الخصلات شاباً يافعاً)

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جَنُونُهَا إِذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِنِعْمَةِ طَالِبٍ
 تكاد عطاياه (أمواله المجهزة للإعطاء) تجن جنوناً إذا لم يعوذها (يضع عليها تعويذة، تيممة) هي ..
 عبارة عن نعمة طالب (سؤال طالب للعتاء)

إِذَا حَرَّكَتُهُ هَزَّةُ الْمَجْدِ غَيَّرَتْ عَطَايَاهُ أَسمَاءَ الْأَمَانِيِّ الْكَوَاذِبِ
 إذا اهتز الممدوح تمهيداً للعتاء فإن عطاياه تغير أسماء الأماني الكاذبة (مثل أمنية،
 ورجاء، واحتمال) وتجعلها حقائق (مثل فوز، وظفر، ونجاح). والإنسان الكريم إذا
 عزم على دفع مبلغ كبير اهتز جسمه، كأنه بجسمه يريد أن يمنع عقله من التراجع عن
 نيته، وما أكثر ما وصف الشعراء اهتزاز الممدوح طرباً أو كرمًا. الأريحي يهتز كتفاه
 ويبدل، والشحيج يجمد جسمه ويصمت عقله بوجل في مواقف النجدة

تَكَادُ مَغَانِيهِ تَهْشُ عِرَاصُهَا، فَتَرْكَبُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبٍ
 مغانيه (بيوته) تكاد عراصها (ساحاتها) تهش (تبسط أساريها فرحاً)، فكان هذه الساحات تريد أن
 تركب الناقة لتصل إلى الفقير بدل أن يركب هو الناقة ليصل إليها

يَرَى أَقْبَحَ الْأَشْيَاءِ أَوْبَةَ آيِبٍ كَسَتْهُ يَدُ الْمَأْمُولِ حُلَّةَ خَائِبٍ
 أقيح شيء عند الممدوح أن يرى أوبة (رجمة) الزائر وقد كست يد المأمول (الممدوح) حلة (لباس) الخيبة

وَأَحْسَنُ مِنْ نَوْرِ تَفْتَحُهُ الصَّبَا بَيَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ
 أجمل من نور (زهر الشجر) الذي تفتحه ريح الصبا، العطايا البيضاء التي تصادف مطالب (حاجات)
 سوداً. فالعطايا بيض مشرقات ومطالب الناس سود لشدة الفقر والحاجة

إِذَا أَلْجَمَتْ يَوْمًا لُجَيْمٌ، وَحَوْلَهَا بَنُو الْحِصْنِ، نُجُلُ الْمُحْصَنَاتِ النَّجَائِبِ ..
 إذا ألجمت قبيلة لجم خيلها (وضعت اللجام على فم كل حصان استعداداً للحرب)، ومعهم بنو
 الحصن من أقاربهم، وهؤلاء هم نُجُلُ (أنجال) النساء المحصنات (الطاهرات) النجائب (أمهات
 النجباء) .. فعندئذ ..

فَإِنَّ الْمَنَايَا وَالصَّوَارِمَ وَالْقَنَا أَقَارِبُهُمْ فِي الرَّوْعِ دُونَ الْأَقَارِبِ
 .. فإن المنايا (الموت للأعداء) والصوارم (السيوف) والقنا (الرماح) تصبح جميعاً أقاربهم أكثر
 من الأقارب المعروفين

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدِ عَوَاصٍ عَوَاصِمِ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ
يمدون ما شئت من الأيادي العواصي (الآية) العواصم (المجبرة الحامية) التي تصول بسيوف
قواض (تقضي بإرادتها، وتجبر الأعداء على حكمها) قواضب (قاطعة)

إِذَا الْخَيْلُ جَابَتْ قَسْطَلَ الْحَرْبِ صَدُّعُوا صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكُتَاتِبِ
إذا الخيل جابت قسطل الحرب (غبارها) صدعوا (كسروا) صدور العوالي (أطراف الرماح) في
صدور الكتائب (في صدور جنود الكتائب)

إِذَا افْتَحَرْتُ يَوْمًا تَمِيمٌ بِقَوْسِهَا، وَزَادَتْ عَلَى مَا وَطَّدَتْ مِنْ مَنَاقِبٍ..
إذا افتحرت قبيلة تميم بقوس حاجب بن زرارة (وكان كسرى طلب رهنًا من سيد تميم لشأن كان
بينهما، فأعطاه قوسه، فضحك أصحاب كسرى، فقال لهم: خذوها، فإنه لا يتركها. فأخذوا
القوس. ثم إن حاجبًا وفي، واستردَّ قومه القوس)، وإذا زادت تميم بعض الزيادة على مناقبها
(فضائلها) الحقيقية التي وطدتها (رسختها) ..

فَأَنْتُمْ بِذِي قَارٍ أَمَأَلْتُمْ سِيوفُكُمْ عُروشَ الَّذِينَ اسْتَرْهَنُوا قَوْسَ حَاجِبٍ
.. فأنتم في موقعة ذي قار أطختم إطاحةً بعرش كسرى الذي أخذ قوس «حاجب» رهينة

وقد مر بك في القطعة ٩٨ أن بني شيبان هزموا كسرى في ذي قار،
فاعلم أنه كان معهم بنو عجل أيضاً

مَحَاسِنُ مِنْ مَجْدٍ مَتَى تَقَرَّنُوا بِهَا مَحَاسِنُ أَقْوَامٍ تَكُنْ كَالْمَعَايِبِ
محاسنكم عظيمة، إذا قورنت بمحاسن غيركم تبدو محاسن الغير صغيرة كأنها العيوب

مَكَارِمُ لَجَّتْ فِي عُلوٍّ، كَأَنَّهَا تُحَاوِلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ
مكارمكم لجت (تمادت) في العلو، وكأنها تريد إدراك ثار عند بعض الكواكب

وَقَدْ عَلِمَ الْأَفْشِينُ، وَهُوَ الَّذِي بِهِ يُصَانُ رِذَاءُ الْمَلِكِ عَنْ كُلِّ جَاذِبٍ،
قد علم القائد الأفشين، وهو الذي يسان (يحفظ) به الملك عمن يريد اجتذابه لنفسه واغتنابه ..

بَأَنَّكَ، لَمَّا اسْحَنْتَكَ الْأَمْرُ، وَاكْتَسَى أَهَابِيَّ تَسْفِي فِي وُجُوهِ التَّجَارِبِ،
.. علم بأنك - لما اسحنتك الأمر (ادلهم واسودَّ الموقف) - واكتسى الأمر أهابيَّ (أثرية) تسفي
(تثور ونهب) في وجوه التجارب. فالموقف صعب وفيه غبار يعمي عيون التجارب، ولا ينفع
الإنسان طول خبرته في مثل هذه المواقف ..

تَجَلَّلَتْهُ بِالرَّأْيِ، حَتَّى أَرَيْتَهُ بِهِ مِلءَ عَيْنَيْهِ مَكَانَ الْعَوَاقِبِ
تجللت الموقف بالرأي (علوت على الموقف بالحكمة والبصر الثاقب)، حتى أريت الأفشين برأيك
الثاقب ملء عينيه مكان (العواقب) النتائج المحتملة

سَلَلْتُ لَهُ سَيْفَيْنِ: رَأْيَا وَمُنْصَلَاً وَكُلُّ كَنْجَمٍ فِي الدُّجْنَةِ ثَاقِبٍ
 سللت لخدمة القائد الأفشين سيفين: أحدهما رأيك، وثانيهما نصل سيفك الحقيقي، وكلاهما لأمع
 كالنجم الثاقب (المشتعل)

إِلَيْكَ أَرْحُنَا عَازِبَ الشَّعْرِ، بَعْدَمَا تَمَهَّلَ فِي رَوْضِ الْمَعَانِي الْعَجَائِبِ
 هذا الشعر العازب (السارح يرعى في الخلاء) أرحناه (جعلناه يعود مساء) إليك بعد أن تمهل (رعى
 مرتاحاً) في روض المعاني، وجمع لك أجملها

عَرَائِبُ لَأَقْتُ فِي فِنَائِكَ أَنْسَهَا مِنْ الْيَوْمِ، فَهِيَ الْآنَ غَيْرُ عَرَائِبٍ
 هذه معانٍ شعرية غريبة وجديدة، وفي جوارك أصبحت أنيسة غير غريبة. واعلم أن «عرائب الإبل»
 هي التي تضل وتأتي قوماً غير قومها، فهم يضربونها لتبتعد عنهم وتبتعد معها شبهة السرقة؛
 واستئناس الوحشي من الحيوان هو تدجينه. وأبو تمام يشبه معانيه المصنوعة العجيبة - وإنها
 لكذلك - بالإبل الشاردة، ولكنها تأتس بالممدوح، وتصبح داجنة عنده لأنه يستحقها

وَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشَّعْرُ أَفْنَاءَ مَا قَرَّتْ حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الذَّوَاهِبِ
 لو كان الشعر يفنى لأفناه ما قرت (جمعت) حياضك (أحواضك) منه في السنين المنصرمة. يقول:
 لكثرة ما مدحك الشعراء لم يتركوا معنى إلا طرقوه، ولو كان الشعر يفنى لفنى بسبب ذلك..
 وَلَكِنَّهُ صَوَّبَ الْعُقُولَ، إِذَا انْجَلَّتْ سَحَابَاتُ مِنْهُ أَعْقَبَتْ بِسَحَابٍ
 ولكن الشعر صوب (مطر) العقول، فإذا انقشعت غيومه أعقبت (أردفت) بغيوم جديدة

١٠٣ الطرف القلقل

وقال لأبي دلف القاسم بن عيسى المجلي:

عَجِبْتُ، لَعَمْرِي، أَنَّ وَجْهَكَ مُعْرِضٌ عَنِّي، وَأَنْتَ بِوَجْهِ نَفْعِكَ مُقْبِلٌ
 عجيب أن تبتعد بوجهك عني، مع أن منفعتك مقبلة عليّ

بِرُّ بَدَأَتْ بِهِ، وَدَارَ بِأُهَا لِلْخَلْقِ مَفْتُوحٌ، وَوَجْهَكَ مَقْفَلٌ
 هذا برُّ بدأت به (قدمته قبل السؤال)، ودارك مفتوحة لكل الناس ووجهك مقفل لا يش
 أَوْ لَا تَرَى أَنَّ الطَّلَاقَةَ جُنَّةٌ مِنْ سُوءٍ مَا تَجْنِي الطُّنُونُ، وَمَقْفَلٌ؟
 ألسنت ترى أن الطلاقة (البشاشة) جنة (وقاية) ومقفل (حصن) ضد الطنون السيئة وما تجنيه؟

حَلِي الصَّنِيعَةِ أَنْ يَكُونَ لِرَبِّهَا لَفْظٌ يُحَسِّنُهَا، وَطَرَفٌ قُلُقُلٌ

حلي (زينة) الصنعة (العطية) أن يكون لربها (صاحبها) لفظ يحسنها (كلام يزيد بها جمالاً) وطرف
 (نظر) قلقل (متذبذب). فالمضيف الكريم الشوش لا يركز نظره في وجه ضيفه فيحرجه، بل يردد
 النظر إليه مرة بعد مرة. وقال التبريزي إن أبا تمام لم يسبق إلى استعارة هذه اللفظة. ولعمري، إنه
 لبيت دقيق المعنى

إِنْ تُعْطِ وَجْهًا كَاسِفًا، مِنْ تَحْتِهِ كَرَمٌ، وَحِلْمٌ خَلِيقَةٌ لَا تُجْهَلُ...
 إن تعط الناس وجهاً كاسفاً (حزيناً)، وتحت كرم، وحلم خليفة (سماحة طبع)
 معروفة عنك وغير مجهولة...

فَلَرُبَّ سَارِيَةٍ عَلَيْكَ مَطِيرَةٍ، قَدْ جَادَ عَارِضُهَا، وَمَا يَتَهَلَّلُ
 قرب سارية (غيمة) ماطرة جاد (هطل) عارضها (سحابها)،
 بدون أن يتهلل (يتسمم/ أي يرسل البرق قبل المطر)

١٠٤ السكوت وعد

يعاتب أبا دلف وقد حجه، وقيل هي في عبد الله بن طاهر:
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّائِي بِرُؤْيَيْهِ، وَجُودُهُ لِمُرْجِي جُودِهِ كَثُبُ
 رؤيته صعبة، وسخاؤه لراجيه كثيب (قريب)
 لَيْسَ الْحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا؛ إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ
 الحجاب (وجود الحجاب، وإغلاق الأبواب) ليس مقصياً (مبعداً) أملي فيك، فالسماء عندما
 تحتجب بالغيوم ترجى (يرتجى منها المطر)
 مَا دُونَ بَابِكَ لِي بَابٌ أَلُوذُ بِهِ وَلَا وَرَاءَكَ لِي مَثْوًى وَمُطْلَبُ
 ليس قبل بابك ولا بعده باب ألوذ به، وليس لي مثوى (إقامة) أو طلب عند أحد سواك
 يَا خَيْرَ مَنْ سَمِعْتُ أُذُنً بِهِ، وَرَأْتُ عَيْنً، وَمَنْ وَرَدَتْ أَبْوَابُهُ الْعَرَبُ
 أمّا السكوت، فمطوي على عدة؛ وفي كلامك غر المال ينتهب
 سكوتك مطوي على عدة (وعد)، وعندما تتكلم وتأمر بالعطاء فكلامك يجعلنا نهب المال نهياً

١٠٥ تهديد بالرحيل الغاضب

يعاتب أبا دلف:
 أبا دُلْفِ! لَمْ يَنْقُ طَالِبٌ حَاجَةً مِنْ النَّاسِ غَيْرِي؛ وَالْمَحَلُّ جَدِيدُ
 لم يبق طالب حاجة إلا أخذها سواي، والمكان جديد وبنا حاجة
 يَسْرُكَ أَنِّي أَبْتُ عَنْكَ مُحَبِّبًا؟ وَلَمْ يَرْ خَلْقٌ، مِنْ جَدَاكَ، يَخِيبُ
 أبت: رجعت
 وَأَنْنِي صَيَّرْتُ الثَّنَاءَ مَذْمَةً، وَقَامَ بِهَا فِي الْعَالَمِينَ خَطِيبُ؟

أَقَمْتُ شُهْرًا فِي فَنَائِكَ خَمْسَةً لَقَيْ، حَيْثُ لَا تَهْمِي عَلَيَّ جَنُوبُ

أقمت لقي: مكنت مهملاً، تهمي: تمطر، جنوب: ريح الجنوب

فَإِنْ نِلْتُ مَا أَمَلْتُ فَبِكَ، فَإِنِّي جَدِيرٌ، وَإِلَّا فَالرَّحِيلُ قَرِيبُ

١٠٦ قطعة من الجاه

قال لإسحق بن أبي ربيعي كاتب أبي دلف، وقد شَفَّعه في أمر:

إِنَّ الْأَمِيرَ بَلَاكَ فِي أَحْوَالِهِ فَرَآكَ أَهْزَعَهُ عَدَاةَ نِضَالِهِ

بلاك (جربك) الأمير في حالات شتى، فوجدك أهزعه (السهم الأخير في كنانته) صيحة نضاله

أَسَيْتُهُ فِي الْمَكْرُمَاتِ، وَلَمْ تَزَلْ رُكْنًا لِمَنْ هُوَ مُتَمَسِّكٌ بِحَبَالِهِ

أسيته (أشبهته) في المكرمات، وظللت ركناً لمن هو متمسك بالولاء للأمير

فَعَدَوْتُ مُحِبُّوْبًا إِلَى أَضْيَافِهِ، وَغَدَوْتُ مَقْلِبِيًّا إِلَى عُذَالِهِ

مقلياً: مكروهاً

فَمَتَى النُّهُوضُ بِحَقِّ شُكْرِكَ إِنْ جَنَتْ بِالْغَيْبِ كَفُّكَ لِي ثِمَارَ فِعَالِهِ؟

فمتى سأنهض بشكرك (سأقوم بشكرك) إذا جنث (قطفت) لي كفك، بالغيب (وأنا غائب) ثمار الأمير وعطاياه؟ هذا شكر مشروط. فهو يسأل: متى سأتمكن من شكرك، لكن بشرط أن تستطيع تحقيق مطلبي، عندما تكلم الأمير بشأني بينك وبينه، في غيابي؟

فَلَقَيْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ حُلُوَ عَطَائِهِ وَلَقَيْتُ بَيْنَ يَدَيَّ مُرَّ سُؤَالِهِ

وعندئذ أكون قد لقيت من يدك عطاء الأمير وهو حلو، ولقيت أنت عندي سؤال الأمير، والسؤال مرٌّ وكره دائماً

وَإِذَا امْرُؤٌ أَسَدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ، فَكَأَنَّهُا مِنْ مَالِهِ

١٠٧ خائف على عنقي

بمدح إسحق بن أبي ربيعي:

بَا مِنَّةً لَكَ، لَوْلَا مَا أَخَفَّفَهَا بِهِ مِنَ الشُّكْرِ، لَمْ تُحْمَلْ وَلَمْ تُنْقَ

منة: معروف

بِاللَّهِ أَذْفَعُ عَنِّي حَقَّ فَادِحِهَا، فَإِنِّي خَائِفٌ مِنْهَا عَلَى عُنْقِي

فادحها: ثقيلها

١٠٨ وركب كأطراف الأسنّة

يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب:

هُنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ؛ فَعَزَمًا، فَقِدَمًا أَدْرَكَ السُّؤْلُ طَالِبُهُ

النساء عوادي النبي يوسف (صارفاته عن عزمه)، وصواحيبه (المذكورات معه). فلا تلتفت للنساء وتخوفيهن إياك من الرحيل ومحاولة صرفك عن همتك، واعقد عزمًا؛ فقدمًا (دومًا، منذ القَدَم) أدرك السؤل (الأمنية) من يطلبه. يقول أبو تمام إن النساء هن من عرفناهن في قصة يوسف، فقد حاولت زليخا إغواءه، ثم اجتمعت النساء ينظرن إلى جماله وقطعن أيديهن، (ويذكرنا بحديث النبي إذ وافته المنية، فراجعت عائشة وحفصة في شأن من يصلي بالناس فقال: «إنكُنَّ لأنتنَّ صواحب يوسف»). لست تدري وأنت تفسر أبا تمام ما الذي يشير إليه. ليس بالضرورة أن يكون المعنى في بطن الشاعر، فشاعرنا ممتلئ بالثقافة العربية الإسلامية، والكلمة تقفز إلى ذهنه ثم تستقر في بيته وقد تكون آتية من أكثر من مكان، فلا غرو أن يتنازع البيت أكثر من معنى. وهذا البيت لم يلق قبولاً من أبي العميل مسؤول الشعراء في حاشية الأمير، في قصة طويلة، ملخصها أنه قال لأبي تمام: لم لا تقول ما يفهم؟، فقال له أبو تمام: ولم لا تفهم ما يقال؟ (والتعليق منسوب لأبي سليمان الضير في رواية أخرى) وأما الشطر الثاني فقد استرذله الأمدى، وأتى بأربعة بدائل كلهن أرى أجود منه. هذا، ولم نذكر الخرم في أول البيت

أَعَاذَلْتِي! مَا أَخَشَنَ اللَّيْلَ مَرْكَبًا. وَأَخْشَنُ مِنْهُ فِي الْمُلَمَّاتِ رَاكِبُهُ

أبنتها اللاتمة لي على السفر! ألا فاعلمي أن الليل مركب خشن (ناقة صعبة)، وأخشن من الليل وأقسى منه من يركبه في الملمات (في الأزمات)

دَرِينِي وَأَهْوَالَ الزَّمَانِ أَفَانِيهَا، فَأَهْوَالُهُ الْمُعْظَمَى تَلِيهَا رَغَائِبُهُ

أتركيني مع أهوال الزمان كي أفانيها (أحارها حرب فناء)، فأهوال الزمان تأتي بعدها رغائبه (مسرته)

أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الزَّمَاعَ عَلَى السَّرَى أَخُو النَّجْحِ، عِنْدَ النَّائِبَاتِ، وَصَاحِبُهُ؟

الزمام (التصميم)، على السرى (سير الليل)، أخو النجح (مرافق للإنجاز)

دَعِينِي عَلَى أَخْلَاقِي الصُّمِّ لِلَّتِي هِيَ الْوَفْرُ، أَوْ سِرْبُ تُرْنُ نَوَادِبُهُ

أتركيني على أخلاقي الصم (التي لا تسمع اللوم) لتحقيق الغاية التي هي الوفرة (الغنى)، أو أموت ويأتي سرب من النسوة تُرْنُ نوابه (تنوح نادباته)

وَقَلْقَلْ نَائِي مِنْ خُرَاسَانَ جَاشِهَا، فَقُلْتُ: أَطْمِئِنِّي، أَنْضِرُ الرُّوْضِ عَازِبُهُ

قلقل نائي من خراسان جاشها (هز خبر جائي من خراسان، بوجوب الذهاب إليها، قلبها)، فقلت لها: اطمئني، فإن أنضر روض عازبه (بعيدته). فالروض البعيد عن المواشي يكون نضراً نامي العشب، وكذا خراسان فهي بعيدة لا يغشاها الشعراء كثيراً، وفيها للشاعر المادح خير كثير

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَيْسَنَةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلِهَا، وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَابُهُ

رب ركب (مسافرين) نحيلين، فكانهم أطراف أسنة الرماح، وقد عرسوا (قضوا الليل) على مثلاً (على ظهور نياق هزيلة لطول الرحلة فهي أيضاً مثل أطراف الأُسنة)، وكانت غياهب الليل (ظلماته) تسطو (تهجم). فهؤلاء القوم مسافرون يقضون الليل فوق ظهور الجمال لاجتهادهم في السير، والسير الليلي فيه اجتناب للحر

لَأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

لقد ركبوا الجمال من أجل أمر عليهم (واجبهم) أن تتم صدوره (مقدماته)، وأما عواقبه (ناتجه) فليست بيدهم. طبعاً هي بيد الممدوح الذي يرجى منه أن يكون سخيّاً

عَلَى كُلِّ رَوَادٍ الْمِلَاطِ، تَهْدَمْتُ عَرِيكَتُهُ الْعَلِيَاءِ، وَانْضَمَّ حَالِبُهُ

سافرنا على ظهر كل جمل رواد الملاط (متحرك الأكثاف، إذ يسير حثيثاً)، وقد تهدمت (اهترأت) عريكته العليا (سنامه)، وانضم حالبه (لهزال الجمل تتقارب عروق بطنه)

رَعْنَةُ الْفَيَافِي، بَعْدَ أَنْ كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا، وَمَاءُ الرُّوْضِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ

رعت الفيافي (الصحراء) جسم هذا الجمل وأنهكته، فكانها أكلته، وكان الجمل حقةً من الزمن يرمى عشب الفيافي في زمان انسكاب المطر

إِلَى مَلِكٍ لَمْ يُلْقَ كُلُّكَ بِأَيْسِهِ عَلَى مَلِكٍ إِلَّا وَلِلذَّلِ جَانِبُهُ

سافرنا إلى ملك (أمير أو قائد/ وكل صاحب سلطة عصرئذ «ملك») لم يضع كللك بأسه (صدر جبروته) على قائد آخر، إلا والحقّ الذل بجانب ذلك القائد

سَمَا لِلْعُلَى مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا سُمُوْ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ

ارتفع هذا القائد للمجد من كلا طرفي المجد مثلما يرتفع الماء عالياً وقد جاشت (اصطخبت) غواربه (أمواجه). والتعبير بالمشئ «من جانبيها» يعني الإحاطة فكأنه يقول: من الشرق والغرب، أو من اليمين واليسار

فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ، وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يَحَارِبُهُ

نول (أعطى) حتى لم يبق من هو بحاجة للعطاء، وحارب حتى أفنى الأعداء

وَيَوْمَ أَمَامَ الْمَلِكِ دَحْضٌ وَقَفَّتُهُ وَلَوْ خَرَّ فِيهِ الدِّينُ لَانْهَالَ كَاتِبُهُ

رب يوم دحض (زلق) وقفت فيه أمام الملك (هنا تعني الخليفة) مدافعاً عنه، ولو كان الدين قد خر (سقط) في ذلك اليوم لانْهَالَ كاتبه (كثييه)

جَلَوْتُ بِهِ وَجْهَ الْخِلَافَةِ، وَالْقَنَا قَدْ اتَّسَعَتْ بَيْنَ الصُّلُوعِ مَذَاهِبُهُ

جلوت بهذا اليوم وجه الخلافة (بيضت وجهها)، وكانت الرماح قد اتسعت مذهبها (ممراتها) بين ضلوع المتحاربين

فَلَوْ نَطَقَتْ حَرْبٌ لَقَالَتْ مُحِقَّةٌ: أَلَا هَكَذَا فَلْيَكْسِبِ الْمَجْدَ كَاسِبُهُ

لو كان للحرب أن تتكلم لقات، وهي على حق، هكذا يكون كسب المجد

وَيَا أَيُّهَا السَّاعِي لِیُدْرِكَ شَأْوَهُ تَزَحْزَحُ قَصِيًّا؛ أَسْوَأُ الظَّنِّ كَاذِبُهُ

يا من يسعى لإدراك شأو (مدى) هذا القائد، ورائك... ترحزح بعيداً، فأسوأ الظن (الأماني) ما كان كاذباً

١٠٩ مطلع الجود

وقال في عبد الله بن طاهر وقد خرج إليه:

يَقُولُ فِي «قَوْمَسٍ» صَحْبِي، وَقَدْ أَخَذْتُ مِنَّا السَّرَى، وَخُطَا الْمَهْرِيَّةِ الْقَوْدِ

يقول صحبي ونحن في «قومس»، وقد نالت منا السرى (سير الليل)، وخطا المهرية القود (الإبل الكريمة الطويلة الأعناق)

أَمَطَّلَعَ الشَّمْسُ تَنَوَّى أَنْ تَوْمَ بِنَا؟ فَقُلْتُ: كَلَّا، وَلَكِنْ مَطَّلَعَ الْجُودِ

يقولون: هل توم بنا (تقودنا إلى) مكان طلوع الشمس (إلى اللانهاية)؟ فقلت لهم: كلا، بل مطلع الجود

١١٠ الشواهد والشمائل

وقال يرثي ابني عبد الله بن طاهر وكانا صغيرين:

نَجْمَانِ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا يَظْلُعَا إِلَّا ارْتِدَادَ الظَّرْفِ، حَتَّى يَأْفُلَا

طلع هذا النجمان بقدر طرفة العين، ثم أفلا

إِنْ الْفَجْجِيَّةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِرَا لَأَجَلُ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَابِلَا

لَوْ يُنْسَانِ، لَكَانَ هَذَا غَارِبَا لِمَكْرُمَاتِ، وَكَانَ هَذَا كَاهِلَا

ينسان: يوجلان، الغارب: الظهر، الكاهل: أعلى الظهر ما بين الكتفين

لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهِمَا، لَوْ أُمِهَلْتُ حَتَّى تَكُونَ شَمَائِلَا

واحسرتا على الشواهد (البشائر) على نجابة الولدين، لو كان الزمن أمهلها حتى تصبح شمائل (صفات)

إِنَّ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نُصُوءَهُ أَيْقَنْتَ أَنْ سَيَكُونُ بَدْرًا كَامِلًا

١١١ إخفاء المعروف سرقة

يمدح أبا زيد كاتب عبد الله بن طاهر، ويشكر سعيه له في حاجة:

وَأَخَفْتُ مَا جَسَمَ امْرُؤٌ، وَسَعَى لَهُ يَوْمًا لِذِي النُّعْمَى، النَّئَاءُ الصَّادِقُ

جسم: تجشم وتحمل (أقل واجبك علينا أن نتني عليك)

أَأَرَى الصَّنِيعَةَ مِنْكَ، ثُمَّ أُسِرُّهَا! إِنِّي، إِذَنْ، لِيَدِ الْكَرَامِ لَسَارِقُ .

الصنِيعَة: المعروف، أسرها: أخفيها، اليد: المعروف

١١٢ التضاد

يمدح عبد الحميد بن غالب، والفضل بن محمد بن منصور، وإبراهيم ابن وهب،
كتاب عبد الله بن طاهر:

والحادثاتُ، وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا، فَهُوَ الَّذِي أَنْبَاكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا

١١٣ كل غانية هند

يمدح محمد بن الهيثم بن شبانة:

إِذَا انصَرَفَ المحزُونُ قَدْ قَلَّ صَبْرُهُ سَوَّالُ المَغَانِي، فالبكاءُ لَهُ رُدُّ
إِذَا انصَرَفَ (أصبح) الحزين قد هزم صبره سؤال المغاني (الديار) عن الأحباب الراحلين، فالجواب
الوحيد هو أن يبكي. أخذنا برواية الصولي لكلمة «رد»، بفتح الراء

فَلَا تَحْسَبَا هِنْدًا لَهَا الغدْرُ وحدهَا سَجِيَّةُ نَفْسٍ. كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ
رَقِيقُ حَوَاشِي الحِلْمِ، لَوْ أَنَّ حِلْمَهُ بِكَفِّكَ مَا مَارَيْتَ فِي أَنَّهُ بُرْدُ
يمدح: هذا الرجل حلِيم، فكأن حلمه ثوب حواشيه (أطرافه) رقيقة، ولو لمست حلمه لما ماريت
(جادلت) في أنه حقاً برد (ثوب)

وَذُو سَوْرَةٍ تَفْرِي الفَرَى شَبَاتُهَا؛ وَلَا يَقْطَعُ الصَّمْصَامُ لَيْسَ لَهُ حَدُّ
على أنه ذو سورة (هجمة) تفري الفري (تفعل الأفاعيل) شباتها (نصلها)؛ وَلَا يَقْطَعُ الصَّمْصَامُ
(السيف) الذي ليس له حد. فالسيف أيضاً ناعم لامع فيه رقة، ولكن له حداً قاطعاً

فَقَدْ نَزَلَ المُرْتَادُ مِنْهُ بِمَاجِدٍ مَوَاهِبُهُ عَوْرٌ، وَسُوْدُدُهُ نَجْدُ
لقد نزل المرتاد (طالب العطاء) منه بماجد، أي نزل بمن هو ماجد، مواهبه غور (عطاياه أرض
مطمئنة فياضة)، وسووده نجد (سيادته هضبة لا ينالها العدو)

١١٤ الحب المنكوح

يمدح محمد بن الهيثم بن شبانة:

وَقَالَتْ: نِكَاحُ الحُبِّ يُفْسِدُ شَكْلَهُ، وَكَمْ نَكَحُوا حُبًّا وَلَيْسَ بِفَاسِدٍ!

هي ترى أن المعاشرة الجسدية تفسد الحب، ويقول لها شاعرنا إن الاثنين يسيران معاً

سَاوِيْ بِهَذَا الْقَلْبِ مِنْ لَوْعَةِ الْهَوَى إِلَى ثَغْبٍ مِنْ نُطْفَةِ الْيَاسِ بَارِدٍ

سألجأ بقلبي، للتخفيف من لوعة الهوى، إلى ثغب (جدول ماء)
بارد هو عبارة عن نطفة (قطرة) الياس

وَأَرْوَعَ لَا يُلْقِي الْمَقَالِدَ لَامَرِيْ، فَكُلُّ امْرِيٍّ يُلْقِيْ لَهُ بِالْمَقَالِدِ

رب أروع (شجاع) لا يلقي المقاليد (يسلم المفاتيح/يسلم أموره) لأحد، بل الناس تكل إليه أمورها

بَصْدٌ عَنِ الدُّنْيَا إِذَا عَنَّ سُوْدُدٌ، وَلَوْ بَرَزَتْ فِي زِيٍّ عَذْرَاءٌ نَاهِدٍ

يصد عن ملذات الدنيا إن عَنَّ (ورد) واجب يعزز السؤدد (الشرف)، ولو برزت إليه الدنيا مغربة
كانها عذراء ناهد (ارتفع صدرها)

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزْهَدْ، وَقَدْ صُبِغَتْ لَهُ بِعَصْفُرِهَا الدُّنْيَا، فَلَيْسَ بِزَاهِدٍ!

إذا المرء لم يزهد في الدنيا، وقد صبغت له ملابسها بالعصفر (تزيئاً)، فليس زاهداً حقيقياً. يقول:
الزهد أن تزهد والدنيا مؤاتية؛ وكان الكبراء العباسيون عندما يريدون الجلوس للشرب والفرح
يلبسون ثياباً معصفرة صفراء

أَذَابَتْ لِي الدُّنْيَا يَمِينُكَ، بَعْدَمَا وَقَفْتُ عَلَى شُحْبٍ مِنَ الْعَيْشِ جَامِدٍ

جعلت يمينك الدنيا (النعمة) تذوب لي مثلما يذوب في الفم التمر أو حتى الدمع، بعد أن وقفت
على (ثلث) الشُحْب (دفقة من حليب الناقة وقت حلبها)، وكان قليلاً كأنه جامد

أَفْضَتْ عَلَى أَهْلِ الْجَزِيرَةِ نِعْمَةً إِذَا شُهِدَتْ لَمْ تُخْزِهِمْ فِي الْمَشَاهِدِ

جَعَلْتُ صَمِيمَ الْعَدْلِ ظِلًّا، مَدَدْتَهُ عَلَى مَنْ بِهَا مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ مُعَاهِدٍ

المعاهد: الذمي

سَأَجْهَدُ حَتَّى أُبْلِغَ الشَّعْرَ شَأْوَهُ، وَإِنْ كَانَ لِي طَوْعًا، وَلَسْتُ بِجَاهِدٍ

سأتعب نفسي حتى أبلغ بالشعر شأوه (غايته) في مدحك،
على أن الشعر الجيد يأتيني طوعاً بلا تعب

فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدْكَ عَنِّي صَاغِرًا عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنَّنِي غَيْرُ حَامِدٍ

فإن لم يجعل شعري عدوك يحمذك صاغراً (مجبراً)، بروايته هذا الشعر العظيم، فلا والله لا أكون
وفيتك حقك. سيأتي البحري ويسرق هذا المعنى ويجيد كل الإجابة، ويزيد زيادة:

لِيُؤَاصِلَنَّكَ رَكْبُ شِعْرِ سَائِرٍ بِرُؤْيِيهِ فَيْكَ، لِيُحْسِنِيهِ، الْأَعْدَاءُ

فَتَقْطُلُ تَحْمُذُكَ الْمَلُوكُ الصَّيْدُ بِي، وَأَظْلُ يُحْسِنُنِي بِكَ الشُّعْرَاءُ

١١٥ كاش، لو سمحت

يملح أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شُبَّانة:

عَفَتْ آيَاتُهُنَّ، وَأَيُّ رَبِّعٍ يَكُونُ لَهُ عَلَى الرَّمَنِ الْخِيَارُ؟
عفت (امتحت) آيات الديار (علاماتهن/ معالمهن)، وهل هناك ربع له الخيار (يملك خياره) فبصد
على مرور الزمن؟

أَثَافٍ كَالْخُدُودِ لَطِمْنَ حُرْنًا، وَنُؤْيٍ مِثْلَمَا انْقَصَمَ السَّوَارُ

هذه أثاف (حجارة الموقد المسودة) تشبه الخدود التي لطمتها النسوة حرناً، فاختلط
الكحل بالدمع فاسودت؛ وهذا نُؤْي (قناة تدور حول الخيمة لمنع المطر)
قد اندثر بعضه فصار شبيهاً بسوار قد انقصم

وَكَاثَتْ لَوْعَةٌ، ثُمَّ اظْمَأَنْتَ، كَذَاكَ لِكُلِّ سَائِلَةٍ قَرَارُ

كانت (حدثت) لوعة بقلبي ثم هدأت، وكل شيء سائل له استقرار بمكان منخفض فلا يعود يسيل.
ههنا مضرب مثل، فإن تجعل السائلة الدمعة تكن ضيَّعت أبا تمام

مَضَى الْأَمْلَاكُ فَأَنْقَرَضُوا، وَأَمْسَتْ سَرَاةٌ مُلُوكِنَا وَهُمْ تَجَارُ
الأملاك (الملوك) الحقيقيون انقرضوا، وأصبح سراة ملوكنا (الأشراف منهم) تجاراً يكتزون المال،
ولا يبدلون

وُقِفْتُ فِي ظِلَالِ الذَّمِّ تُحْمَى دَرَاهِمُهَا، وَلَا يُحْمَى الذَّمَارُ

واقفون تحت معرَّة الذم: فالدرهم مصونة، والذمار (الشرف) غير مصون

فَلَوْ ذَهَبَتْ سِنَاتُ الدَّهْرِ عَنْهُ وَأَلْقِيَ عَنْ مَنَاكِيبِهِ الدُّنَارُ..

لو ذهبت سنات (غفوات) الدهر عنه، وخلع عن مناكبه (جوانبه) الدنار (الغطاء)..

لَعَدَّلَ قِسْمَةَ الْأَرْزَاقِ فِينَا، وَلَكِنْ دَهَرْنَا هَذَا حِمَارًا

لقسم الأرزاق بالعدل، لكن الدهر حمار (بليد)

نَوْمُ أبا الحسين، وَكَانَ قِدْمًا فَتَى أَعْمَارُ مَوْعِدِهِ قِصَارُ

نوم (نقصد) أبا الحسين، وهو من قديم رجل أعمار وعوده قصيرة، لأنه يفي بها فلا تعود مجرد وعود

لَهُ خُلِقَ نَهَى الْقُرْآنُ عَنْهُ وَذَاكَ عَطَاؤُهُ السَّرَفُ الْبِدَارُ

ومن أخلاقه (خصاله) خلق نهى عنه القرآن، وهو الإسراف والبدار (الإسراع) في العطاء

وَلَمْ يَكْ ذَاكَ إِصْرَارًا، وَلَكِنْ تَمَادَتْ فِي سَجِيَّتِهَا الْبِحَارُ

وهذا ليس إصراراً على مخالفة الشرع، ولكن البحار (الأنهار) تتمادى في سجيَّتها (طبيعتها)

أَرَى الدَّالِيَّتَيْنِ عَلَى جَفَاءٍ لَدَيْكَ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ نَضَارُ
أرى قصيدتي الداليتين (وقد سبقتا في مجموعتنا هذه) مجفوتين (منبوذتين) عندك،
وكل واحدة منهما نضار (ذهب)

إِذَا مَا شِعْرُ قَوْمٍ كَانَ لَيْلًا تَبَلَّجَتَا كَمَا انْشَقَّ النَّهَارُ
تبلجتا (أشرقتا)

أَعْرَثَهُمَا، وَغَيْرُهُمَا مُحَلَّى بِجُودِكَ، وَالْقَوَافِي قَدْ تَغَارُ
جعلت القصيدتين تغاران إذ القصائد الأخرى عليها الحلي من كرمك.
والقوافي - تَرَى - تغار مثل النساء

وَكَانَ الْمَظْلُ، فِي بَدْءٍ وَعَوْدٍ، دُخَانًا لِلصَّنِيعَةِ وَهِيَ نَارُ
المطل (المماثلة) هو كالدخان للصنعة (الإحسان)، والإحسان نفسه هو النار،
فالمطل مؤذ كالـدخان

نَسِيبُ الْبُخْلِ مَذْكَانًا، وَإِلَّا يَكُنْ نَسَبٌ قَبَيْتَهُمَا جَوَارُ
المطل نسب (صهر) للبخل منذ وجداء، وإن لم يكن نسيبه فجاره الملازم له

لِذَلِكَ قِيلَ: بَعْضُ الْمَنَعِ أَذْنَى إِلَى كَرَمٍ، وَبَعْضُ الْجُودِ عَارُ
بعض المنع أدنى (أقرب) إلى الكرم إذا كان منعاً صريحاً بلا تسويف،
وبعض الجود عار إن كان مصحوباً بالتسويف

فَدَعْ ذِكْرَ الضِّيَاعِ، فَبِي شِمَاسٍ إِذَا ذُكِرْتَ، وَبِي عَنْهَا نِفَارُ
اترك الكلام عن منحي ضيعة، فبي شماس (صدود) ونفار (صدود)
لدى قولك إنك ستمنحي أرضاً

وَمَا لِي ضَيْعَةٌ إِلَّا الْمَطَايَا، وَشِعْرٌ لَا يُبَاعُ وَلَا يُعَارُ
وضيعتي (عزيتي) هي في الواقع المطايا (الإبل) وشعري

وَمَا أَنَا وَالْعَقَارُ، وَلَسْتُ مِنْهُ عَلَى ثِقَةٍ، وَجُودُكَ لِي عَقَارُ
وما شأني والعقار! إنني لا أثق به، وعقاري الحقيقي هو سخاؤك

١١٦ السواد الأعظم

يمدح ابن شبابة أبا الحسين محمد بن الهيثم:

إِنْ شِئْتَ أَنْ يَسْوَدَ ظَنُّكَ كُلُّهُ فَأَجِلْهُ فِي هَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ

ليس الصَّدِيقُ بِمَنْ يُعِيرُكَ ظَاهِرًا مُتَبَسِّمًا، عَنْ بَاطِنٍ مُتَجَهِّمٍ

١١٧ ثقل الشكر وثقل تركه

يمدح أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شُبَّانة من أهل مرو:

ولو أَنِّي اسْتَطَعْتُ لَقَامَ عَنِي بِشُكْرِكَ مَنْ مَسَى فَوْقَ التَّرَابِ
فَمَهْمَا شَكَرْتَ فَلَنْتِي لَنْ أَفِيكَ حَقَّكَ

فَأَشْفِي مَنْ صَمِيمِ الشُّكْرِ نَفْسِي وَتَرَكِ الشُّكْرِ أَثْقَلَ لِلرَّقَابِ

فعندئذ سأشفي نفسي من صميم (قلب) الشكر، فإن عدم شكر النعمة يجعلها ثقلة على الإنسان، كأنها قيد في رقبته/ وقد قرأنا أشفي منصوبة على السببية ولم نشايح الصولي والتبريزي والأسود في ضبطهم، والله أعلم

١١٨ ظهور العيس أوطاني

يمدح محمد بن حسان الضبي:

ما اليَوْمُ أَوْلَ تَوْدِيعٍ وَلَا الشَّانِي الْبَيْنُ أَكْثَرَ مِنْ شَوْقِي وَأَحْزَانِي
أَكْثَرُ: كَثُرَ، زَادَ. يَقُولُ: أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وَدَعْتَ الْأَحْبَابَ وَانْكَبْتَ بِنَارِ الْوَدَاعِ

دَعِ الْفِرَاقَ، فَإِنَّ الدَّهْرَ سَاعِدَهُ فَصَارَ أَمْلَكَ مِنْ رُوحِي بِجُثْمَانِي
الْفِرَاقُ، وَسَاعِدُهُ الدَّهْرُ، صَارَ أَشَدَّ تَحْكَمًا بِجَسْمِي مِنْ رُوحِي

خَلِيفَةُ الْخَضِرِ؛ مَنْ يَرْبِعُ عَلَى وَطَنِ فِي بَلَدَةٍ، فَظُهُورُ الْعَيْسِ أَوْطَانِي
أنا خليفة النبي الخضر المشهور بأسفاره التي لا تنقطع؛ هناك من يربع (يمكث) في وطن معين، أما أنا فأوطاني ظهور العيس (الإبل)

بِالشَّامِ أَهْلِي، وَبِغَدَادِ الْهُوَى، وَأَنَا بِالرَّقَّتَيْنِ، وَبِالْفُسْطَاطِ إِخْوَانِي
بِالرَّقَّتَيْنِ: هُنَاكَ رَقَّةٌ فِي ثَلَاثِ دُولٍ عَرَبِيَّةٍ فِيمَا نَعْرِفُ، وَلَعَلَّهُ قَصِدَ بِلَدَتَيْنِ بِهَذَا الْاسْمِ فِي دِيَارِ بَكْرٍ، وَالفُسْطَاطُ هِيَ أَسْلُ قَاهِرَةِ الْيَوْمِ

وَمَا أَظُنُّ النَّوَى تَرَضَى بِمَا صَنَعْتُ حَتَّى تُطَوِّحَ بِي أَقْصَى خُرَاسَانَ
وَلَيْسَ يَعْرِفُ كُنْهَ الْوَصْلِ صَاحِبُهُ حَتَّى يُعَادَى بِنَائِي، أَوْ بِهَجْرَانِي
لَا يَعْرِفُ الْعَاشِقُ حَقِيقَةَ الْوَصْلِ حَتَّى يَغَادِيهِ (يَصْبِحَهُ) نَائِي أَوْ هَجْرَانِي

١١٩ كذلك قدرة الضعفاء

بمدح محمد بن حسان الضبي (وكان والياً على ممالك الجزيرة وقنشرين ثم الموصل وأرمينية):

«قَدْكَ. اتَّبَب. أَرَبَيْتَ فِي الْغُلَّاءِ.» كم تعذِّلونَ، وأنتم سُجَرائِي؟

تقولون لي: «قدك (حسبك/كفى) اتتب (استح) فقد أربيت (بالغت) في الغلواء (التمادي)»، إلى متى ستظلون تعذلونني (تلومونني) بهذه الكلمات وأنتم سجرائي (أصدقائي)؟ خالفنا في تفسيرنا: التبريزي، والصولي، والأعلم الشنمري، وعبد السلام هارون، ومحبي الدين الخياط، وإبراهيم الأسود، واثنين من الدكاترة. وجميعهم رأى أن أبا تمام يخاطب صديقاً له ويقول له: يكفيك، واستح، وبالغت كثيراً، ثم يلتفت ويخاطب جماعة أصدقاء قائلاً: إلى متى اللوم، وأنتم أصحابي؟ ورغم أن هذا النوع من الالتفات مألوف عند أبي تمام، والبيت التالي فيه التفات وهو يعزز ما ذهب إليه الأفاضل جميعاً، فإنني أراه وضع في البداية كلماتهم الموجهة إليه، ثم عاتبهم. فذلك مثل قول الولد لأبيه: «اسكت، اقعده، ادرس.. إلى متى هذه الأوامر؟» والله أعلم

لا تَسْقِنِي ماء الملام، فإنني صَبُّ قَدِ اسْتَعَذَّبْتُ ماء بُكَائِي

لا تلمني فأنا صب (عاشق) استعذبت (تلهذت) ماء بكائي (دمعي). قيل: أراد رجل أن يسخر من أبي تمام، فجاء بكوب وقال له: اسكب لي شيئاً من «ماء الملام». فرد عليه أبو تمام: إيتني أولاً بريشة من جناح الذل. فأفحمه. يشير أبو تمام إلى الآية: «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة». انس كل النكات التي أطلقها الناس على عبارة (ماء الملام)، وانس رد أبي تمام الذي وصفه بالمفحم؛ وانظر إلى عبارة (ماء بكائي)، فأني فن في وصف الدموع بماء البكاء؟ ستقول لي: إنه قالها كي يوازن بها ماء الملام. فلماذا قال «ماء الملام» أصلاً؟ أنا أقول لك: قالها لكي يأتي بعدها بماء البكاء. وهنا السخف حقاً. مثال ذلك: أن يذهب المرء إلى الدكان، ويشترى قنبلة يدوية، ثم يقتل بها ذبابة مزعجة. نسأله لماذا اشترى قنبلة، فيقول: كي أقتل الذبابة. ونسأله: لماذا قتلت الذبابة؟ فيقول: لأنني اشترى قنبلة. هو سخيف لأنه قال ماء الملام، سخيف لأنه قال ماء البكاء، سخيف لأنه اشترى كلمة الماء أصلاً، فهي ليست اللفظة المناسبة لقتل الذبابة. والتشبيه القرآني، الذي احتج به أبو تمام، بعيد كل البعد عن هذا، وهو بليغ وجميل: تشبه الآية الإنسان بطائر يخفض جناحه لأبويه تذلاً، فلا يرفرف ولا يحلق أمامهما، وهذا التذلل ليس من ذل بل من رحمة لهما في كبرهما. لكن، أبا تمام كان موصوفاً بالجواب السريع اللاذع. وما كل من أفحم كان محقاً. ما أتينا بهذا البيت، وسودناه، إلا لأن معركة نقدية حامية الوطيس دارت عليه

وَمُعَرَّسٍ لِلْغَيْثِ تَخْفُقُ فَوْقَهُ رَايَاتُ كُلِّ دُجْنَةٍ وَطَفَاءٍ

رب معرس (موضع) للمطر، تلوح فوقه رايات كل دجته (غيمة داكنة) وطفاء (ذات ذيول متدلّية)

صَبَحَتْهُ إِسْلَافَةٌ، صَبَحْتُهَا إِسْلَافَةُ الْخُلَطَاءِ وَالنُّدْمَاءِ
صَبَحَتْ هَذَا الْمَوْضِعَ بِسِلَافَةٍ (بِخَمْرٍ صَافِيَةٍ)، وَصَبَحَتْ هَذِهِ الْخَمْرَ بِسِلَافَةِ الْخُلَطَاءِ، أَيِ بَأْسَى
الرِّفَاقِ وَالنُّدْمَاءِ

بِمُدَامَةٍ تَغْدُو الْمُنَى لِكُؤُوسِهَا خَوَلًا، عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
هَذِهِ الْخَمْرُ تَصْبِيحُ الْمُنَى خَوَلًا (خَدَمًا) لِكُؤُوسِهَا، فَالْمُنَى تَطُوفُ حَوْلَ كُؤُوسِ الْخَمْرِ، وَتُعْطِي
الشَّارِبِينَ الْفَرَحَ، سِوَاهُ أَكَانُوا مُسْرُورِينَ قَبْلَهَا أَمْ حَزَانِي

رَاحٌ، إِذَا مَا الرَّاحُ كُنَّ مَطِيَّيْهَا، كَانَتْ مَطَايَا الشُّوقِ فِي الْأَحْشَاءِ
رَاحٌ (خَمْرٌ) إِذَا كَانَتْ الرَّاحُ (الْأَكْثَفُ) مَطِيًّا لَهَا (نِيَاقًا تَرْكِيهَا الْكُؤُوسَ)، فَإِنَّ الْخَمْرَ تَصْبِيحُ مَطَايَا
(نِيَاقًا) تَحْمِلُ الشُّوقَ، وَتَبَثُّ فِي الْأَحْشَاءِ (الْقُلُوبِ)

عَنْبِيَّةٌ، ذَهَبِيَّةٌ، سَبَكَتْ لَهَا ذَهَبَ الْمَعَانِي صَاغَةَ الشُّعْرَاءِ
خَمْرٌ مِنَ الْعَنْبِ، وَهِيَ ذَهَبِيَّةُ اللَّوْنِ، وَطَالَمَا صَاغَ الشُّعْرَاءُ لَهَا الشُّعْرَ الْحَافِلَ بِالْمَعَانِي الشَّيْبَةِ
بِالْحَلِيِّ الذَّهَبِيَّةِ الثَّمِينَةِ

أَكَلَ الزَّمَانُ، لِيَطُولَ مُكُثُ بَقَائِهَا، مَا كَانَ خَامَرَهَا مِنَ الْأَقْدَاءِ
مَعَ تَعْتِيقِ الْخَمْرِ وَمَكُونِهَا طَوِيلًا، أَكَلَ الزَّمَانُ كُلَّ مَا خَامَرَهَا (خَالَطَهَا) مِنْ أَقْدَاءٍ (شَوَائِبِ)
صَعُبَتْ، وَرَاضَ الْمَرْجُ سَيِّءَ خُلُقِهَا، فَتَعَلَّمَتْ مِنْ حَسَنِ خُلُقِ الْمَاءِ
هَذِهِ الْخَمْرُ صَعْبَةٌ كَالْفَرَسِ الْجَامِحَةِ الصَّعْبَةِ، وَلَكِنْ مَزَجَهَا بِالْمَاءِ رَوَّضَهَا . تَعْلِيقُ عِمْرَانَ الْقَفِينِي: يَا سَلَامُ!
خَرَقَاءُ يَلْعَبُ بِالْعُقُولِ حَبَائِبُهَا، كَتَلَعَبِ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ
خَرَقَاءُ (عَابَثَةٌ) هَذِهِ الْخَمْرُ وَيَلْعَبُ حَبَائِبُهَا (فَقَاقِيْعَهَا) بِالْعُقُولِ، مِثْلَمَا تَلْعَبُ الْأَفْعَالُ بِالْأَسْمَاءِ فَتَزْدِي
إِلَى نَصَبِهَا وَرَفْعِهَا إلخ

وَضَعِيفَةٌ، فَإِذَا أَصَابَتْ فِرْصَةً قَتَلَتْ، كَذَلِكَ قُدْرَةُ الضَّعْفَاءِ
وَكَاَنَّ بِهَجَّتِهَا، وَبِهَجَّةٍ كَأَيْسِهَا، نَارٌ وَنُورٌ قُبْدًا يَوْعَاءِ

أَوْ دُرَّةٌ بِيضَاءُ بِكُرٍّ أَطْبَقَتْ، حَبَلًا، عَلَى يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءِ
كَانَ الْكَأْسُ الزَّجَاجِيَّةُ دُرَّةً بِيضَاءَ، لَكِنَّا حَبَلِي تَحْمِلُ فِي أَحْشَائِهَا يَاقُوتَةَ حَمْرَاءَ هِيَ الْخَمْرُ
لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ غَدَوْتَ مُودَّتِي بِالْبِشْرِ، وَاسْتَحْسَنْتَ وَجْهَ ثَنَائِي..
لَمَّا رَأَيْتُكَ قَدْ غَدَوْتَ (كَافَأْتَ) مُودَّتِي لَكَ بِالْبِشْرِ (بِالْتَّرْحَابِ)، وَاسْتَحْسَنْتَ مَدِيحِي لَكَ..

أَنْبَطْتُ فِي قَلْبِي لِوَأَيْكَ مَشْرَعًا ظَلَّتْ تَحُومُ عَلَيْهِ طَيْرُ رَجَائِي
أَنْبَطْتُ (حَفَرْتُ) فِي قَلْبِي لِوَأَيْكَ (لِوَعْدِكَ) مَشْرَعًا (مُورِدَ مَاءٍ)، وَأَخَذْتُ طَيُورَ الرِّجَاءِ، رَجَائِي
بِالثَّوَابِ، تَحُومُ عَلَى هَذَا الْمُورِدِ

فَثَوَيْتُ جَاراً لِلْحَضِيضِ، وَهَمَّيْتُ قَدْ طَوَّقْتُ بِكَوَاكِبِ الْجَوَازِ
وثويت أنا (مكثت) مجاوراً للقاء، ولكن هممتي (طموحي) عالية وتلتف حول عتقها كواكب الجوزاء
يَسَّرُ لِقَوْلِكَ مَهْرَ فِعْلِكَ، إِنَّهُ يَنْوِي افْتِضَاضَ صَنِيعَةِ عَذْرَاءٍ
وفر لوعدك مهراً هو فعلك، وهذا الفعل سيكون عبارة عن صنعة (جائزة) عذراء لم يسبق لأحد أن
أعطى مثلاً.. بحث الممدوح على إعطائه جائزة كبيرة

١٢٠ ضميره يتبسم

يمدح محمد بن حسان الضبي:

لَمْ يَنْأَ عَنِّي مَطْلَبٌ، وَمُحَمَّدٌ عَوْنٌ عَلَيْهِ، أَوْ إِلَيْهِ سُلْمٌ
لم يبعد عني مطلب (حاجة) إذا كان محمد معيناً لي عليه، أو مسلماً إليه (واسطة لتحقيقه)
يَمِّنُ إِذَا مَا الشَّعْرُ صَافَحَ سَمْعَهُ يَوْمًا رَأَيْتَ ضَمِيرَهُ يَتَبَسَّمُ
إذا سمع الشعر فوجهه يشرق بنشوة تخرج من أعماقه

١٢١ الحسناء الخجول

يمدح أبا العباس نصر بن منصور بن سيار:

فَلَا دَمْعَ مَا لَمْ يَجْرِ فِي إِثْرِهِ دَمٌّ، وَلَا وَجْدَ مَا لَمْ تَعْنِ عَنْ صِفَةِ الْوَجْدِ
البكاء الحقيقي هو ما سحب الدم فيه الدمع، والوجد (الحزن الذي «يجده» الإنسان في قلبه) هو
ما تعيا (تعجز) عن صفته (وصفه)

تُعْصِفُ خَدَّيْهَا الْعَيُونُ بِحُمْرَةٍ إِذَا وَرَدَتْ كَانَتْ وَبَالاً عَلَى الْوَرْدِ

العيون الناضرة إلى هذه الفتاة تعصف (تصيف) خديها بحمرة الخجل، وهذه الحمرة المحببة إذا وردت
(جاءت) كانت وبالاً (مصبية) على الورد، فحمرة الورد يتضاءل حسنهما بجانب حمرة خدي الفتاة

إِذَا أَزْهَدْتَنِي فِي الْهَوَى، خِيفَةَ الرَّدَى، جَلَبَتْ لِي عَنْ وَجْهِ يُزْهَدُ فِي الزُّهْدِ

كلما جعلتني هذه الفتاة أزهد في الهوى وأتركة مخافة الموت عشقاً، كشفت عن وجه يجعلني أزهد
في زهدي، وأغير رأبي

١٢٢ الليل الطويل

يمدح نصر بن منصور بن سيار:

أَفْنَى، وَلَيْلِي لَيْسَ يَفْنَى آخِرُهُ هَاتَا مَوَارِدُهُ، فَأَيْنَ مَصَادِرُهُ؟

هاتا: هذه، الورد: القدوم نحو الماء، والصدور: الرجوع بعد سقي الإبل. يقول: رأيت الليل
يقبل، ولكن هيهات أن يدبر

لا شيء ضائرٌ عاشقٍ، فإذا نأى عنه الحبيبُ فكلُّ شيءٍ ضائرٌ

١٢٣ ترمي بأشباحنا

يمدح أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي:

لَسْتُ مِنَ الْعَيْسِ، أَوْ أَكَلَفُهَا وَخِذاً يَدَاوِي الْمَرِيضَ مِنْ وَصِيٍّ
لست من العيس (فسروها فقالوا: لست بصاحب هذه النياق) إن لم أجتئها وخداً (سيراً سريعاً)
يداوي المريض من علته (يداويني من فقري). أفهم أن يحلف المرء فيقول «لست من طيء إن لم...»
فهو ينفي نفسه عن قبيلته ما لم يفعل كذا وكذا، أما أن ينفي نفسه عن العيس فذلك خروج بالتعير
عن طريقته. هكذا أنقذه على طريقة الأمدى، وإن لم يتعرض الأمدى للبيت بتقد، مع أنه أورده

تَرْمِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ

النياق ترمي بأشباحنا (توصل أجسامنا المهزولة من طول السفر) إلى ملك (صاحب ولاية، وكل من
يملك أمراً سموه في تلك الحقبة ملكاً) نأخذ من ماله ومن أدبه. وقد عرف العصر العباسي وزراء
متنفذين كثيراً ورأينا ابن الرومي والبحري وأبا تمام، ومن بعدهم المتنبّي، يمدحون الملوك بعلمهم،
وليس فقط بسخائهم

نَجْمُ بَنِي صَالِحٍ، وَهُمْ أَنْجُمُ الدَّعَايِمِ: مِنْ عُجْمِهِ وَمِنْ عَرَبِهِ

رَهْطُ الرَّسُولِ الَّذِي تَقَطَّعَ أَسَدُ جَبَابِ الْبَرَايَا غِداً سِوَى سَبَبِهِ

بنو صالح رهط (قوم) الرسول الذي ستقطع أسباب (واسطات/شفاعات) الخلق كلهم سوى شفاعته

مُهَذَّبٌ، قُدَّتِ النُّبُوَّةُ وَالْإِسْلَامُ، قَدَّ الشِّرَازُ، مِنْ نَسَبِهِ

مذهب (مثقّف) قدت (قُطعت) النبوة والإسلام من نسبه، كما يقد الشراك (الشريط) من قطعة الجلد

مَنْ ذَا كَعْبَاسِهِ، إِذَا اصْطَلَكْتَ الْإِسْلَامَ، أَمْ مَنْ كَعْبِدِ مُطَّلِبِهِ؟

من من الناس يشبه العباس أو عبد المطلب عمّي النبي - وهما من أجداد الممدوح فهما عباس
وعبد مطلبه - إذا اصطكت الأحساب (قورن فيما بين مناقب الناس)

١٢٤ الطامسة الصوى

يمدح حُبَيْش بن المعافى قاضي نَصِيبِينِ ورأس عين:

نَسَائِلُهَا أَيُّ الْمَوَاطِنِ حَلَّتِ وَأَيُّ دِيَارٍ أَوْطَنْتَهَا وَأَيَّتِ

نسأل المحبوبة أين حلت، وأي ديارٍ أوطنت المحبوبة (اتخذت وطناً)

وماذا عليها لو أشارت، فَوَدَّعَتْ، إَلَيْنَا بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ، وَأَوَمَّتْ؟

أومت (أومات/أشارت)

عليها سلامُ اللَّهِ أَنَّى اسْتَقَلَّتْ ، وَأَنَّى اسْتَقَرَّتْ دَارُهَا ، واطْمَأَنَّتِ

استقلت (ارتفعت فوق البعير ورحلت)

وَمَجْهُولَةِ الْأَعْلَامِ طَامِسَةِ الصَّوَى إِذَا اعْتَسَفَتْهَا الْعَيْسُ بِالرَّكْبِ ضَلَّتْ

رب صحراء مجهولة الأعلام (المعالم) طامسة (=مطموسة) الصوى (جمع صَوَة: صخور مميزة يستدل بها على الطريق)، إذا اعتسفتها العيس (سارت فيها الإبل على غير هدى) بالركب (براكبيها) ضلت الطريق

إِذَا مَا تَنَادَى الرَّكْبُ فِي فَلَوَاتِهَا أَجَابَتْ نِدَاءَ الرَّكْبِ فِيهَا ، فَأَصْدَتْ

إذا نادى المرتحلون في فلواتها (أراضيها المقفرة) بعضهم بعضاً أجابت الصحراء نداءهم فأصدت (صنعت صدى)

تَعَسَفَتْهَا وَاللَّيْلُ مُلْتِي جِرَانِهِ وَجَوَزَاؤُهُ فِي الْأَفْقِ حِينَ اسْتَقَلَّتْ

تعسفتها (سرت فيها على غير هدى) والليل قد ألقى جرائه (عنفه/أي تقدم وحل)، وجوزاء الليل قد ظهرت في الأفق حين استقلت (هنا معناها: ارتفعت)

بِمُفْعَمَةِ الْأَنْسَاعِ ، مُوجَدَةِ الْقَرَا أُمُونِ السَّرَى ، تَنْجُو إِذَا الْعَيْسُ كَلَّتْ

لقد سرت بناقة مفعمة الأنساع (ممتلئة السيور الجلدية التي تشدُّ الرحل على الناقة/أي أنها ناقة سميئة)، موجدة القرا (قوة الظهر) أمون السرى (مأمونة في السير الليلي)، تنجو (تسير) إذا العيس كلت (الإبل تعب)

إِلَى خَيْرٍ مَّنْ سَاسَ الرِّعِيَّةَ عَدْلُهُ وَوَطَّدَ أَعْلَامَ الْهُدَى فَاسْتَقَرَّتْ

أعلام الهدى (جبال يهتدى بها). فالمدحود قد ثبت للناس مناهج الحق كأنها الجبال التي يعرف بها السائر في الصحراء طريقه

أَقَرَّ عَمُودَ الدِّينِ فِي مُسْتَقَرِّهِ وَقَدْ نَهَلَتْ مِنْه اللَّيَالِي وَعَلَّتْ

ثبت عمود الدين (والعمود هو الأساس وسط الخيمة، فإذا استقر استقر كل شيء) في موضعه، بعد أن نهلت الليالي وعلت منه (بعد أن شرب منه الزمن مرة أولى ثم مرة ثانية/أي بعد اضطرابه)

وَأَخْبَا سَبِيلَ الْعَدْلِ بَعْدَ دُثُورِهِ وَأَنْهَجَ سُبُلَ الْجُودِ حِينَ تَعَفَّتْ

دثوره (اندثاره)، أنهج (أوضح النهج أي الطريق)، تعفت (امتح)

وَيَجْزِيكَ بِالْحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا وَيَعْتَغِرُ الْعُظْمَى ، إِذَا التَّغْلُ زَلَّتْ

العظمى (الزلة الكبيرة) إذا النعل زلت (إذا انزلقت قدمك/بكناية عن ارتكاب خطأ، أو الوقوع في الفقر)

١٢٥ قلادة السؤدد

يمدح أبا عبد الله حفص بن عمر الأزدي:

أَنْخَتْ، إِلَى سَاحَاتِهِمْ وَجَنَابِهِمْ، رِكَابِي، وَأَضْحَى فِي دِيَارِهِمْ وَقُدِي
أَنْخَتْ إِبْلِي فِي جَوَارِهِمْ، وَغَدَا وَقُدِي (قُدومي) حَاصِلًا فِي دِيَارِهِمْ

إِلَى سَيْفِهِمْ حَفْصِ، وَمَا زَالَ يُتَنَضَّى لَهُمْ مِثْلُ ذَاكَ السَّيْفِ مِنْ ذَلِكَ الْغَمْدِ
أَنْخَتْ إِبْلِي إِلَى سَيْفِهِمْ حَفْصِ، وَقَدْ ظَلَّ يُتَنَضَّى (يُسَلَّ) لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ سَيْفٌ كَهَذَا السَّيْفِ، مِنْ غَمْدِ
كَذَلِكَ الْغَمْدِ (يقول: ظلوا يتوارثون السيادة أبا عن جد)

فَلَمْ أَغْشَ أَبَا أُنْكَرْتَنِي كَلَابُهُ، وَلَمْ أَتَشَبَّثْ بِالْوَسِيلَةِ مِنْ بُعْدِ .
فَلَمْ أَغْشَ (أَتِ) أَبَا أُنْكَرْتَنِي كَلَابَهُ (فَأَنَا لَسْتُ غَرِيبًا، ثُمَّ إِنْ كَلَابَ الْكَرِيمِ لَا تَنْبَحُ الضَّيْفُ لِأَلْفَتِهَا
الْأَضْيَافِ)، وَلَمْ أَتَشَبَّثْ بِوَاسِطَةٍ بَعِيدَةٍ لِلتَّقَرُّبِ فَأَنَا قَرِيبٌ مِنْهُمْ

فَأَصْبَحْتُ: لَا ذُلَّ السُّؤَالِ أَصَابَنِي، وَلَا قَدَحْتُ فِي خَاطِرِي رَوْعَةُ الرَّدِّ
لَمْ أَشْعُرْ بِذُلٍّ لِلسُّؤَالِ (طَلَبِ الرِّفْدِ)، وَلَا قَدَحْتُ (خَطَرْتُ) بِيَالِي رَوْعَةَ الرَّدِّ (خَشْيَةَ الصَّدِّ)

وَأَنْتَ، وَقَدْ مَجَّتْ خُرَاسَانَ دَاءَهَا وَقَدْ نَغَلَّتْ أَطْرَافُهَا نَعْلَ الْجِلْدِ .
أَنْتَ، وَقَدْ مَجَّتْ (لَفْظَتْ) خُرَاسَانَ دَاءَهَا (أَيَ ظَهَرَتْ مُشْكَلَاتُهَا)، وَنَغَلَّتْ (تَلَفَّتْ) نَوَاحِيهَا كَمَا
يَتَلَفُّ وَيَتَهَرَّأُ الْجِلْدُ .

لِيَالِي بَاتَ الْعِزُّ فِي غَيْرِ بَيْتِهِ وَعُظِّمَ وَغُدُّ الْقَوْمِ فِي الزَّمَنِ الْوَعْدِ
. حَدَّثَ هَذَا لِيَالِي (فِي زَمَنِ) انْتَقَلَ الْعِزُّ فِيهِ إِلَى مَنْ لِيَاسَا لَهُ بِأَهْلِ، وَعِنْدَمَا أَصْبَحَ السَّفَلَةُ مَبْجِلِينَ
فِي هَذَا الزَّمَنِ السَّافِلِ

وَرَامُوا دَمَ الْإِسْلَامِ، لَا مِنْ جَهَالَةٍ وَلَا خَطَأٍ، بَلْ حَاوَلُوهُ عَلَى عَمْدٍ
.. وَعِنْدَمَا رَامُوا (طَلَبُوا) إِرَاقَةَ دَمِ الْإِسْلَامِ لَيْسَ جَهْلًا، وَلَا خَطَأً، بَلْ عَمْدًا .

ضَمَمْتُ إِلَى قَحْطَانَ عَدَنَانَ كُلِّهَا وَلَمْ يَجِدُوا، إِذْ ذَاكَ، مِنْ ذَاكَ مِنْ بُدِّ
أَنْتَ عِنْدَئِذٍ ضَمَمْتَ كُلَّ الْعَرَبِ، الْقَحْطَانِيَّةَ وَالْعَدْنَانِيَّةَ، تَحْتَ لَوَائِكَ، وَمَا وَجَدُوا بَدَأَ مِنَ التَّوْحِيدِ

وَمَا كُنْتُ ذَا فَقْرٍ إِلَى صُلْبِ مَالِهِ، وَمَا كَانَ حَفْصٌ بِالْفَقِيرِ إِلَى حَمْدِي
وَمَا كُنْتُ ذَا فَقْرٍ (مُحْتَاجًا) إِلَى مَالِهِ، وَلَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى حَمْدِي (مَدْحِي)

وَلَكِنْ، رَأَى شُكْرِي قِلَادَةَ سُؤدَدٍ، فَصَاغَ لَهَا سِلْكَاً بَهِيًّا مِنَ الرُّفْدِ
رَأَى شُكْرِي (مَدْحِي) لَهُ) قِلَادَةَ سُؤدَدٍ (عَقْدَ سَيَادَةِ وَمَجْدٍ)، فَصَاغَ لِهَذَا الْعَقْدِ سِلْكَاً (الْخِيطَ الَّذِي
تَنْظُمُ فِيهِ الْجَوَاهِرُ/ وَلَمْ يَكُنْ أَيَّامَهَا سُلُوكُ كَهْرَبَاءٍ) هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الرُّفْدِ (الْعَطَاءِ)

فَمَا فَاتَنِي مَا عِنْدَهُ مِنْ حَبَائِهِ ، وَلَا فَاتَهُ مِنْ فَاخِرِ الشَّعْرِ مَا عِنْدِي

الحبَاء: العطاء

١٢٦ صاعاً بصاع

بمدح مهدي بن أصرم:

أَقِيلِي، قَدْ أَضَاقَ بُكَائِكَ دَرْعِي، وَمَا ضَاقَتْ بِنَازِلَةٍ ذِرَاعِي
خَفِي مِنْ بَكَائِكَ أَيْتَهَا الزَّوْجَةُ، فَقَدْ ضَاقَ بِهِ ذَرْعِي، وَلَكِنْ مَا ضَاقَتْ بِأَيَّةٍ نَازِلَةٍ (مَصِيبَةٍ) ذِرَاعِي (لَمْ)
أَقْدُ الصَّبْرَ عَلَى الْمَصَائِبِ

أَلْفَةَ النَّحِيبِ! كَمْ افْتِرَاقٍ أَظِلُّ، فَكَانَ دَاعِيَةً اجْتِمَاعٍ!
كَمْ افْتِرَاقٍ أَظِلُّ (مَا أَكْثَرَ مَا رَمَى الْفِرَاقُ ظِلَّهُ) فَكَانَ دَاعِيَةً (سَبَباً) لِعُودَةِ الْلِقَاءِ

وَلَيْسَتْ فَرَحَةً الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَجِ الْوَدَاعِ
الْأَوْبَاتِ (الْأَوِيَّة: الْعُودَةُ)، مَوْقُوفٍ عَلَى (مَخْصُوصٍ بـ)، تَرَجٍ (حَزَنٍ)

تَوَجَّعُ أَنْ رَأَتْ جِسْمِي نَحِيفاً، كَأَنَّ الْمَجْدَ يُذْرِكُ بِالصُّرَاعِ
تَوَجَّعَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ لِنَحَافَتِي، وَلَكِنَّ الْمَجْدَ لَا يَدْرِكُ
(يَتِمُّ إِحْرَازُهُ) بِالصُّرَاعِ (إِلْقَاءِ الْخَصْمِ أَرْضاً)

بِمَهْدِيٍّ بِنِ أَضْرَمَ عَادَ عُودِي إِلَى إِيرَاقِهِ، وَامْتَدَّ بَاعِي
بِهَذَا الْمَمْدُوحِ عَادَ عُودِي (غَضَنِي) إِلَى إِيرَاقِهِ (اِكْتِسَانَهُ بِالْوَرَقِ)، وَامْتَدَّ بَاعِي (اتَّسَعَ رِزْقِي)

أَطَالَ يَدِي عَلَى الْأَيَّامِ، حَتَّى جَزَيْتُ صُرُوفَهَا صَاعاً بِصَاعٍ
جَعَلَ يَدِي طَوِيلَةً فِي مَخَاصِمِ الْأَيَّامِ (الْأَحْدَاثِ)، فَصَرْتُ أَرْدَ لَهَا الصَّاعَ بِالصَّاعِ

إِذَا أَكْثَدْتُ سَوَامَ الشَّعْرِ أَضَحَّتْ عَطَايَاهُ، وَهَنَّ لَهَا مَرَاعٍ
إِذَا افْتَقَرْتُ سَوَامَ الشَّعْرِ (الْمَوَاشِي/ يَشْبُهُ الْقَصَائِدَ بِالْمَوَاشِي) فَإِنَّ عَطَايَا الْمَمْدُوحِ تَصْبِحُ كَالْمَرَعَى،
وَيَعُودُ الشَّعْرُ نَاضِراً قَوِيّاً

وَلَمْ يَحْفَظْ مُضَاعَ الْمَجْدِ شَيْءٌ، مِنْ الْأَشْيَاءِ، كَالْمَالِ الْمُضَاعِ
الْمَجْدُ الَّذِي ضِيعَ أَهْلُهُ لَا يَحْفَظُهُ شَيْءٌ كَمَا يَحْفَظُهُ تَفْرِيقُ الْمَالِ عَلَى النَّاسِ، فَفِي هَذَا اسْتِعَادَةُ
لِلْمَجْدِ بِالسَّخَاءِ

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ، لَمْ تَزِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ

١٢٧ مات شاباً

برثي محمد بن الفضل الحميري:

إِنَّ رَبَّ الزَّمَانِ يُحْسِنُ أَنْ يُهْـ
لِدِي الرَّزَايَا إِلَى ذَوِي الْأَحْسَابِ
الرزايا: المصائب، الأحساب: الأمجاد

أَنْزَلَتْهُ الْأَيَّامُ عَنْ ظَهْرِهَا، مِنْ بَعْدِ إِبْثَاتِ رَجُلِهِ فِي الرُّكَابِ
كان قد وضع رجله في ركاب الفرس (الأنشطة التي تساعد الفارس في اعتلاء الفرس)، ولم يكدر
يفعل ذلك حتى جاءه الموت. يقول: مات شاباً

حِينَ سَامَى الشَّبَابُ، وَاعْتَدَّتِ الدُّنَى بِيَا عَلَيْهِ مَفْتُوحَةَ الْأَبْوَابِ
سامى (علا ووصل)

قَصَدْتُ نَحْوَهُ الْمَنِيَّةُ، حَتَّى وَهَبْتُ حُسْنَ وَجْهِهِ لِلتَّرَابِ

١٢٨ ساعات الدهر تفترسنا

برثي هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي:

لَنِمْنًا، وَصَرُفُ الدَّهْرِ لَيْسَ بِنَائِمٍ خُزْمَنَا لَهُ قَسْرًا بَغِيرِ خَزَائِمِ
لنمنا (والله لقد نمنا) ولكن مصائب الدهر لا تنام، وقد خُزِمْنَا للدهر (ذللنا له) بغير خزائم (بدون
الحلقات التي تجعل في أنف البعير بغرض تذليله)

أَلَسْتُ تَرَى سَاعَاتِهِ، وَاقْتِسَامَهَا نُفُوسَ بَنِي الدُّنْيَا اقْتِسَامَ الْغَنَائِمِ
هذه المشاعر الوجودية سناها أقوى عند المتنبى، ثم سيوصلها أبو العلاء إلى غاية الغايات
إِذَا فُقِدَ الْمَفْقُودُ مِنْ آلِ مَالِكٍ تَقَطَّعَ قَلْبِي رَحْمَةً لِلْمَكَارِمِ
رحمة لـ (شفقة على)

١٢٩ إني انتجعتك

يعاتب جعفر بن دينار:

مَلِكُكَ، إِذَا مَا الشَّعْرُ حَارَ بِبَلَدَةٍ، كَانَ الدَّلِيلَ لِطَرْفِهِ الْمَتَحَيِّرِ
ملك (حاكم) إذا تحير الشعر فهو الدليل الذي يهديه، لأنه سخي يحب الشعر ويشيب عليه

إِنِّي انْتَجَعْتُكَ يَا أَبَا الْفَضْلِ الَّذِي بِالْجُودِ قَرَّبَ مُورِدِي مِنْ مَصْدَرِي
انتجعتك (قصدتك سائلاً)، وبجودك تقرب بين موطني ومورد رزقي

وَأَعُوذُ بِاسْمِكَ أَنْ تَكُونَ كَعَارِضٍ لَا يُرْتَجَى، وَكَنَابِتٍ لَمْ يُشْمِرِ
العياذ باسمك أن تكون كعارض (سحاب) لا رجاء منه أن يمطر، وكنبات لا ثمر له

١٣٠ التصدق بالخمير

يعاتب أبا علي موسى القمي في نبيذ أهدها إليه:

فَاجَأْتَنَا كَذَرَاءً، لَمْ تُسَبِّ مِنْ تَسْبِ خَنِيمٍ جَرِيَالِهَا، وَلَا سَلْسَبِيلٍ
فوجئنا بخمرك كدراء (غير صافية)، لم تسب (تؤخذ) من تسنيم (عين صافية في الجنة) جريالها
(خمرها)، ولا من سلسيل (عين صافية في الجنة)

وَهِيَ نَزْرٌ، لَوْ أَنَّهَا مِنْ دُمُوعِ الصَّدِّ - بَّ لَمْ تَشْفِ مِنْهُ حَرَّ الْغَلِيلِ
نزر: قليلة، الغليل: الاحتقان

وَكَأَنَّ الْأَنْمَالَ اغْتَصَرَتْهَا، بَعْدَ كَدٍّ، مِنْ مَاءٍ وَجْهِ الْبَخِيلِ
اِحْتِسَاباً بَذَلْتَهَا؟ أَمْ تَصَدَّقُ - سَتْ بِهَا رَحْمَةً عَلَى ابْنِ السَّبِيلِ؟
احتساباً: لوجه الله

١٣١ يكون غلاماً لغلمانه

يعاتب يحيى بن عبد الله:

أَبَا جَعْفَرٍ، وَأَصُولُ الْفَتَى تَذُلُّ عَلَيْهِ بِأَغْصَانِهِ
أصول الإنسان تدل على قيمته بواسطة أغصانه (الناس المقربين إليه)، فالأغصان هي التي نراها
وتدل على الجذور

أَلَيْسَ قَبِيحاً بِأَنَّ أَحَاكَ رَجَاكَ لِحَادِثِ أَرْزَمَانِهِ
فَتَأْمُرُ أَنْتَ بِإِعْطَائِهِ، وَيَأْمُرُ فَتَحُ بِحِرْمَانِهِ
فتح، خادمك، يعني ما أمرت لي به

وَلَسْتُ أَحِبُّ الشَّرِيفَ الظَّرِيفَ يَكُونُ غُلَاماً لِغُلْمَانِهِ

١٣٢ صدقت، ولكن..

مَا ابْيَضَّ وَجْهُ الْمَرْءِ، فِي طَلَبِ الْعُلَى، حَتَّى يُسَوِّدَ وَجْهَهُ فِي الْبَيْدِ
وَصَدَقْتَ: إِنَّ الرِّزْقَ يَطْلُبُ أَهْلُهُ، لَكِنْ بِحِيلَةٍ مُتَعَبٍ مَكْدُودٍ
حقاً الرزق المقدر لك مقدر لك، لكنه لا يأتي إلا بحيلة صاحب الرزق المتعب المكدود (المتعب)

١٣٣ جَدْعُ الْأَنْوْفِ

لَيْسَ جَدْعُ الْأَنْوْفِ جَدْعًا، وَلَكِنْ بَعْضُ مَنْ نَضَطَفِيهِ جَدْعُ الْأَنْوْفِ
 جدع (قطع) الأنوف ليس هو الجدع الحقيقي، بل بعض من نضطفيه (نصادقه)
 هو جدع الأنوف (أي الذلل)

لَوْ بِأَسَدِ الْعَرِيفِ نِيطَتْ عُرَى الْمَنْ - لَذَلَّتْ رِقَابُ أَسَدِ الْعَرِيفِ
 لو نيطت (علقت) عرى (حلقات) المن (التعبير بالعطاء) بأسود منطقة العريف لذلت رقابها

١٣٤ شَكْوَى الْغَرِيبِ

يُصِفُ سُوءَ مَطْلَبِهِ بِنِسَابِ بَوْرٍ وَيَشْكُو الدَّهْرَ:

صَرِيعُ هَوًى، تُغَادِيهِ الْهُمُومُ بِنَيْسَابُورَ لَيْسَ لَهُ حَمِيمٌ
 صريع غرام تغاديه (تباكره صباحاً) الهموم، وليس له في نيسابور حميم (صديق)

غَرِيبٌ، لَيْسَ يُؤْنِسُهُ قَرِيبٌ، وَلَا يَأْوِي لِغُرَبَاتِهِ رَحِيمٌ
 فَقَدْ فَارَقْتُ بِالْغَرِيبِ دَاراً بِأَرْضِ الشَّامِ، حَفَّتْ بِهَا النَّعِيمُ
 الغريب: لم أعرفها، سوى أن الشام تقع غرباً عندما يكون المرء في نيسابور

هِيَ الْوَطْنُ الَّذِي فَارَقْتُ فِيهِ، وَقَارَقَنِي، الْمَسَاعِدُ وَالنَّدِيمُ
 وَكُنْتُ بِهَا الْمَمْنَعُ، غَيْرَ وَغْدٍ وَلَا نَكِيدٍ، إِذَا حَلَّ الْعَظِيمُ
 المنع (المحامي)، العظيم (البلاء الكبير)

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَثَرَاتِ دَهْرٍ أَصِبتُ بِهَا الْعَدَاةَ، فَمَنْ أَلُومُ

١٣٥ أَشْعَرُ الثَّقَلَيْنِ

يُصِفُ حُجَّةً حُجَّاهَا:

وَقَدْ أَمَّمْتُ بَيْتَ اللَّهِ نِضْوَاً عَلَى عَيْرَانَةٍ حَرْفٍ سَعُومٍ
 أمت (قصدت) بيت الله نضواً (مهزولاً) على عيرانة (ناقة شديدة كالبعير) حرف (ناقة ضامرة)
 سعوم (سريعة)

وَبَدَّلَهَا السَّرَى بِالْجَهْلِ جِلْمًا وَقَدْ أَدِيمَهَا، قَدْ الْأَدِيمُ
 جعلها السرى (سير الليل) هادئة وكانت جهولاً (مستارة)، وهذا السير قد أديمها (شقق جلدها) قد
 الأديم (كقطعتك الجلد المدبوغ)

طَوَاهَا طَيِّهَا الْمُؤْمَاةَ وَخَدَاً إِلَى أَجْبَالِ مَكَّةَ وَالْحَطِيمِ

طواها (أهزلها) طيها المومة (قطعها الصحراء) وخداً (جرباً)

قاصدة جبال مكة والحطيم (بناء قرب الكعبة)

أَقُولُ لَهَا، وَقَدْ أَوْحَتْ بِعَيْنٍ إِلَيَّ، تَشْكِي الدَّنْفِ السَّقِيمِ ..

أقول لها وقد أوحى (أومات) بعينها كما يشكي الدنف (المريض) ..

بِكُورِكَ أَشْعَرُ الثَّقَلَيْنِ طُرّاً، وَأَوْفَى النَّاسِ فِي حَسَبِ صَمِيمِ

بكورك (على سرجك) يركب أشعر الثقلين (الإنس والجن) طراً (جميعاً)، وأوفى الناس مع حسب

صميم (نصب متين)

فَمَرَّتْ مِثْلَمَا يَمْشِي شَهِيدٌ سَوِيّاً فِي صِرَاطِ مُسْتَقِيمِ

يبدو أن الناقه فهمت كلامه .. فعندئذ مرت مسرعة

كالشهيد الذي يقطع الصراط المستقيم سوياً (معتداً)

١٣٦ العصر الذهبي

يمدح المأمون:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْإِمَامِ وَمَرْحَبًا، سَهَّلْتَ حُزُونََهُ كُلَّ أَمْرٍ قَرَدَدِ

حزونة: وعورة، قردد: أرض مرتفعة

فِي دَوْلَةٍ لَحَظَ الزَّمَانُ شُعَاعَهَا فَارْتَدَّ مُنْقَلِبًا بِعَيْنَيْ أَرْمَدِ

رأى الزمان (بمصيبياته ومشكلاته) شعاع دولتكم فراجع وفي عينيه رمد

مَنْ كَانَ مَوْلِدُهُ تَقَدَّمَ قَبْلَهَا، أَوْ بَعْدَهَا، فَكَانَ لَمْ يُؤَلَدِ

وَأَرَى الْأُمُورَ الْمَشْكِلَاتِ تَمَرَّقَتْ ظِلْمَاتُهَا عَنْ رَأْيِكَ الْمَتَوَقَّدِ

عَنْ مِثْلِ نَضْلِ السِّيفِ، إِلَّا أَنَّهُ مُذْ سُلَّ أَوَّلَ سَلَةٍ لَمْ يُغْمَدِ

تمزقت المشكلات عن رأيي هو مثل نصل السيف، غير أنه منذ اسلَّ أول مرة لم يعد إلى غمده بل ظل مسلولاً

لَوْ يَعْلَمُ الْعَافُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ أَوْ فَرْحَةٍ لَمْ نُحْمَدِ

لو عرف العافون (الفقراء) مقدار الفرح الذي يتناكب عندما تعطيمهم المال لم يشكروك

١٣٧ الإمام العادل

قال في المأمون:

لَمْ يُذَكِّرِ الْجُودُ إِلَّا خُضَّتْ وَادِيَهُ وَلَا انْتَضَى السِّيفُ إِلَّا خَافَكَ الْقَدَرُ

مَا ضَرَّ مَنْ أَصْبَحَ الْمَأْمُونُ سَائِسَهُ أَنْ لَمْ يَسُسْهُ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ
وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، وَالْمَأْمُونُ يَمْلِكُهَا أَنْ لَا تُضَيَّءَ لَنَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ

١٣٨ فَكَأَنَّهُا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ

يملح المأمون:

دِمْنُ أَلَمَ بِهَا فَقَالَ: سَلَامٌ كَمْ حَلَّ عُقْدَةً صَبْرِهِ الْإِلْمَامُ

هذه دمن (أطلال) المحبوبة، وقد أَلَمَ بها العاشق (زارها) وسلم عليها،
وهذا الإلمام حل العقدة عن صبره، كما يحل المرء عقدة القربة،
فتدفق الصبر ولم يبق لدى العاشق صبر

نُجِرَتْ رِكَابُ الْقَوْمِ، حَتَّى يَغْبُرُوا رَجَلَى؛ لَقَدْ عَنُفُوا عَلَيَّ وَلَا مُوَا.
أدعو الله أن تُنَحَّرَ رِكَابُ (إبل) أصحابي الذين وقفوا معي بالأطلال حتى يغبروا (يصبحوا) رجلى
(مترجلين) يسرون على أقدامهم)، فقد كانوا عنيفين في لومي وتقريعي

وَلَقَدْ أَرَاكَ، فَهَلْ أَرَاكَ بِغُبْطَةٍ وَالْعَيْشُ غَضٌّ، وَالزَّمَانُ غَلَامٌ؟
وإنني لأنظر إليك أيتها الديار الخربة! فهلا رأيتك بعين أخرى سعيدة إذ أنت عامرة، وإذ العيش
غض (طري)، والزمان غلام (أي عندما كنت شاباً وكان الزمان شاباً مثلي)؟

أَعْوَامٌ وَضَلَّ، كَانَ يُنْسِي طَوْلَهَا ذُكْرُ النَّوَى، فَكَأَنَّهُا أَيَّامٌ
هلا رأيتك أيتها الديار في أعوام وصل المحبوبة، وكانت أعواماً طويلة، وكان ذكر النوى (الفراق)
ينسيني طولها، فكأنها كانت أياماً فقط

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ، وَأَهْلُهَا فَكَأَنَّهُا، وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ
اللَّهُ أَكْبَرُ! جَاءَ أَكْبَرُ مَنْ جَرَتْ، فَتَحَيَّرْتُ، فِي كُنْهِهِ الْأَوْهَامُ
الله أكبر! جاء أكبر من جرت في كنهه الأوهام فتحيرت
(من سعت العقول لإدراك حقيقته، فتحيرت)

مَنْ شَرَّدَ الْإِعْدَامَ عَنْ أَوْطَانِهِ بِالْبَذْلِ، حَتَّى اسْتَطَرِفَ الْإِعْدَامُ
جاء الذي شرد (طرد) الإعدام (الفقر) عن أوطانه (أماكن وجوده) ببذل البهال،
حتى لقد استطرف (غُدَّ نادراً) الفقر

وَتَكَفَّلَ الْإِيْتَامَ عَنْ آبَائِهِمْ حَتَّى وَدِدْنَا أَنَّنَا أَيْتَامُ

١٣٩ شماتة الأعداء

قال يمدح خالد بن يزيد الشيباني. وأراد المعتصم معاقبته فألغى قراراً بتوليته على الحرمين، فاستأذن خالد في التوجه إلى مكة للحج فأذن له. ثم شفع فيه أحمد بن أبي دؤاد، فرضي المعتصم عنه وخلع عليه، ولكنه لم يمنحه ولاية الحرمين. فحسنت حاله، واستقر في العراق، ولم يقصد مكة، لا حاجاً ولا بالياً:

قد كان خطبٌ عائرٌ، فأقاله رأيُ الخليفةِ كوكبِ الخلفاءِ
أقاله: يعني أقالك منه، أي عفا عنك

فخرجتَ منه كالشهابِ؛ ولم تزلْ، مُذْ كُنتَ، خَرَّاجاً من الغَمَاءِ
الغماء: المصيبة

ما سرّني بِخِذَاجِها من حَجَّةٍ ما بينَ أُنْدُلُسٍ إلى صنِعاءِ
سررت بخداج (إجهاض) هذه الحجة إلى مكة أكثر من سروري لو كنت ملكت البلاد بين الأندلس وصنعاء. قد جعلها الصولي «حجة» بضم الحاء، وفسر أنها حجة خصم الممدوح الذي كاد له عند المعتصم. ونقل التبريزي تفسير الصولي دون تغيير. وقد ذكر شرف الدين المستوفي أن الأصح حجة بفتح الحاء وقال إن الصولي صَّغف. وهي «حجة» أيضاً في نسخة الإسكوريال التي أطنب محمد عبده عزام محقق شرح التبريزي في وصفها بالدقة. ونعود للصولي فإنه بعد أن فسرنا ذلك التفسير، راح يشرح قصة خالد والحجة التي لم يحجها إلى مكة. وعاد وفسر البيت على ضوء هذا مناقضاً نفسه. وأبى التبريزي إلا أن يصنع صنيعه فقد عاد في ذيل شرحه للبيت ونقل رواية «حجة» بفتح الحاء وفسرها التفسير الصحيح وناقض نفسه. هذا هذا؛ أما شارحو الديوان المحدثون من الدكاترة فنقلوا الغلط واكتفوا به. وأورد التفسير على وجهه ملحم الأسود اللبناني؛ وزاد عبد السلام هارون أن جعلها «حجة» بكسر الحاء مفسراً أنها المرة من الحج على غير قياس. وكتاب هارون صدر قبل طبع شرحي الصولي والتبريزي. وأغلب الظن أنه استقى المتن من طبعة محيي الدين الخياط، و«حجة» عند الخياط غير مشكولة. وهي غير مشكولة في طبعة شاهين عطية ١٨٨٩. وإنما أوردنا عليك هذا كله حتى تطمئن نفسك إلى أننا نخدم الأبيات قدر الاستطاعة، وعندما ترانا لا نورد كل هذه التفاصيل والاختلافات بين الشروح في أبيات أخرى ستسعد لأننا أسقطنا عنك المؤنة، وسيبقى في قلبك الاطمئنان

أجرٌ. ولكنْ، قد نظرتُ فلم أجِدْ أجراً يَفِي بِشِماتَةِ الأعداءِ
قد فأنك أجر (ثواب) الحج. ولكنْ، لا ثواب يفي (يواري) بشماتة الأعداء

١٤٠ السيف أصدق أنباء

يمدح المعتصم، ويذكر انتصاره على الروم في موقعة عمورية:

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حدِّه الحدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعِبِ

السيف أصدق من «الأنباء» التي نقلها المنجمون من كتبهم، وحد السيف هو الحد الفاصل بين الخير الحقيقي وبين اللعب (كلام العرافين). قارن أبو تمام بين أنباء ينقلها السيف وهي صحيحة قطعاً لأن السيف فاعل، وبين أنباء في كتب العرافين. والتقط حقيقة أن السيف والكتب يجوز عليهما حمل الأنباء، لكن، كلاً بطريقته. وصنع جناساً تاماً بين حد السيف، والحد الفاصل بين صدق وكذب، وزاد بجناس ناقص مع كلمة الجد. وبدأ هذا المطلع بكلمة ألسيف، وهمزتها همزة وصل، ولكنك مضطر إلى قطعها، وفي الشطر الثاني تصنع الشدات إيقاعاً فيه تقطيع حاذٍ يشبه وضع حدود فاصلة بسيف قاطع. هذا بيت يمكن الكلام كثيراً على قوته وتأثيره. وكل شطر في البيت يتضمن حكماً قائماً بذاته يحسن السكوت عليه، وهذا من محاسن الشعر في رأي نقادنا القدماء، ولكنه هنا بالفعل أمر مستحسن لأن المناسبة تحتاج إلى القطع والبت. والطباق بين الجد واللعب ظاهر

بيضُ الصفائحِ، لاسودَّ الصفائحُ، في مُتُونِهِنَّ جِلاءُ الشُّكِّ والرَّيْبِ

الصفائح البيض (السيف)، وليس الصفائح السود (أوراق العرافين)، هي التي في متونها (نصالتها) جلاء (كشف) الشكوك. مضى أبو تمام في مقارنة السيف بالكتب، فالتقط كلمتي «الصفائح» و«الصفائح» وصنع منهما جناساً. وجاء بكلمة «متون» وهي كلمة مشتركة أيضاً فالكتاب له متن والسيف له متن

والعلمُ في شُهْبِ الأرماعِ لامعةٌ بينَ الخمسينِ، لا في السَّبعةِ الشُّهْبِ

المعلومة الحقيقية قابضة في سنان الرماح اللامعة كالشهب وهي تتحرك فيما بين الخمسين (الجيشين) المتقاتلين، وليست المعلومة قابضة في الشهب السبعة (الكواكب السبعة في عرف ذلك الزمان). التقط أبو تمام تشبيهاً مطروحاً لأسنة الرماح بالشهب، لكنه زاد فقارنها بالشهب (الكواكب) السماوية السبعة المعروفة آنذاك. سترى في القصيدة عشرات الشواهد على الصناعة اللفظية - المعنوية، وهي قادرة على أن تقوي المعنى وترفع الشعر، وقادرة أيضاً على تبديد حرارته وجعله مفتعلاً. ولأبي تمام من كل نصيب. غير أنه في هذه القصيدة جمع بين الأستاذية في الصناعة والتدفق الشعري كما لم يفعل في أي قصيدة أخرى له

أينَ الرُّوايةُ؟ بل أينَ النجومُ؟ وما صاغوه من زُخْرُفٍ فيها، ومن كَذِبٍ؟

أين رواية المنجمين، وأين نجومهم، وأين ما صاغوه من كلام مزخرف كاذب؟

تَحَرُّصاً، وأحاديثاً ملفقةً ليستَ يَنْبَغِ إذا عُدَّتْ، ولا غَرَبَ

صاغوه تحرصاً (كذباً) وصاغوه أحاديث ملفقة (مركبة من هنا وهناك)، وهي ليست بنبع (شجر صلب) ولا غرب (شجر ضعيف). يقول: ليست أحاديث صحيحة، ولا ضعيفة، بل مجرد أكاذيب

عَجَانِباً زَعَمُوا أَيَّامَ مُجْهِلَةٍ عَنْهُمْ فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ، أَوْ رَجَبٍ
زعموا أن هناك عجائب ستجفل عنها الأيام (ستتصرف الأيام وتمضي، فتكشفها)، وذلك في شهر
صفر الأصفار (صفر ذاك الذي علمتموه بنحسه المعروف) أو في رجب

وَحَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنْبِ
خوفوا الناس من دهياء (مصيبة) عندما يبدو الكوكب الغربي ذو الذنب (مذنب «هالي» فيما قبل،
ورأينا هذا المذنب يظهر في هذا الوقت في شعر علي بن الجهم معاصر أبي تمام)

وَصَبَّرُوا الْأَبْرَجَ الْعُلْبَا مَرْتَبَةً مَا كَانَ مُنْقَلِباً، أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبٍ
وجعلوا أبراج السماء مرتبة، فبعضها سموه منقلباً وبعضها غير منقلب، ورتبوا لها أدواراً في التأثير
في سير الأحداث. أخذنا برواية (مرتبة) بفتح التاء، فيها استقام لنا السياق، وبغيرها لم يستقم

يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا، وَهِيَ غَافِلَةٌ مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا، وَفِي قُطْبٍ
يتكلمون باسم النجوم وهي لا تدري بهم، سواء الدوائر منها في فلك (مدار) أو ما كان جزءاً من
قطب تدور حوله نجوم آخر

لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ لَمْ تُخَفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْتَانِ وَالصُّلْبِ
لو كانت الأبراج تكشف المستقبل لكانت كشفت للمنجمين ما حل بالتماثيل والصلبان في عمورية
من تدمير قبل أن يقع

فَتَحَ الْفُتُوحَ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ، أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطَبِ
هذا فتح عظيم، تعالى (جل) عن أن يصفه بالتفصيل الشعر أو الشر

فَتَحَ تَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لَهُ، وَتَبَرُّزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبِ
فتح تفتح له أبواب السماء بهجة، وتبرز الأرض بأثواب قشبية (جديدة) من العشب والزهر

يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةَ، انْصَرَفَتْ مِنْكَ الْمُنَى حُفْلاً مَعْسُولَةً الْحَلَبِ
يا هذا اليوم لقد انصرفت (رجعت) الأمانى بعدك وقد تحققت، فكانها ضروع الناقة الحافلة
المتملئة بالحليب المعسول (الحلو المذاق)

أُبْقِيَتْ جَدُّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صَعْدٍ، وَالْمَشْرِكِينَ وَدَارَ الشَّرِّكَ فِي صَبَبٍ
يا هذا اليوم لقد أقيت جد (حظ) المسلمين في صعد (مكان عال)، وأبقيت المشركين ودار الشرك
(ببلادهم) في صيب (مكان منخفض)

أُمُّ لَهُمْ، لَوْ رَجَوْا أَنْ تُقْتَدَى جَعَلُوا فِدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ بَرَّةٍ وَأَبٍ
عمورية أم لهم (معقل مهم، ومكان تاريخي)، ولو كان لديهم أي رجاء في إنقاذها لافتدوها بكل
أم برة (بارة) وكل أب

وَبَرَزَةُ الرَّجُلِ قَدْ أَغَيَتْ رِيَاضَتُهَا كِسْرَى، وَصَدَّتْ صُدُوداً عَنْ أَبِي كَرَبٍ
برزة (جميلة) الوجه أنعب ترويضها كسرى، وصدت عن أبي كرب (ملك اليمن) فلم يستطع
امتلاكها. بدأ أبو تمام يشبهها بالفتاة

يَكْرُرُ، فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ، وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوبِ

عذراء، لم تفتزعها (تفتض بكارتها) حادثة (نكبة)،
ولا تجرأت أن ترقى إليها همة النوب (تطلعات المصائب)

مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرٍ، أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ، قَدْ شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي، وَهِيَ لَمْ تَشِبْ
منذ القدم شابت نواصي (سوالف) الليالي السود فايضت،
ولكن عمورية شابة لم يحل برأسها الشيب

حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللَّهْ السُّنَيْنَ لَهَا مَخَضَ الْبَخِيلَةِ، كَانَتْ زُبْدَةَ الْحَقَبِ

ظل رب الكون يهز سني هذا الدهر مثلما تهز البخيلة القربة المملوءة باللبن الحليب؛
تهزها كثيراً لأنها بخيلة تريد ألا تترك شيئاً من الزبدة؛ وبعد هذا جاءت عمورية
ووقعت بأيدينا فكانت زبدة الحقب (الأزمان). مخض بدون شدة فانتبه، وكل محقق
الشروح زينوها بالشدّة، والمخض يستدعي مَخَضَ. قد صفق النقاد لهذا البيت، ولم
يستطع أحد فيما علمت أن يجد له أباً عند القدامى، وقال التبريزي «هذه استعارة لم
تستعمل قبل الطائي»

أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ السُّودَاءُ سَادِرَةً مِنْهَا، وَكَانَ اسْمُهَا قَرَاةُ الْكُرَبِ

جاءت للروم الكربة (المصيبة) السوداء سادرة (هوجاء) من عمورية، وكانوا يتفادلون بها ويسمونها
فارقة المصائب

جَرَى لَهَا الْفَالُ بَرَحًا يَوْمَ أَنْقَرَةٍ إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ وَالرُّحْبِ

جرى لها الفال برحاً (كان طالعها سيئاً) بعد يوم أنقرة التي غودرت وحشة الساحات والرحب
(الساحات). فقد هزم الروم أولاً قرب أنقرة وهجرها أهلها

لَمَّا رَأَتْ أَحْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ

كم بين حيطانها من فارسٍ بطلٍ قَانِي الدَّوَائِبِ مِنْ آتِي دَمٍ سَرِبِ
داخل أسوار عمورية أبطال كثر، تلطخت ذائبهم (خصال شعرهم) بالدم القاني (الأحمر) الآني
(الحار) السرب (المتدفق)

بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِيّ، مِنْ دَمِهِ، لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ، مُحْتَضِبِ

هذا البطل الرومي شعره مختضب (مصبوغ) بدمائه، وذلك على سنة (شرع) السيف والخطي
(الرمح)، وليس مختضباً بالحناء على سنة الدين الإسلامي

لقد تَرَكْتُ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، بها للنارِ يوماً ذليلَ الصخرِ والخشبِ

تركت أيها المعتصم بعمورية يوماً ذا خشب وصخر ذليلاً يهدم البيوت، المبنية بالخشب والحجارة. فهو يوم خشبه وحجارته ذليلة. ويجوز لك أن تجعل كلمة «يوماً» زائدة، وهذا أشبه بالشعر القديم

غَادَرَتْ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضَحَى يَسْأَلُهُ وَسَطُهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ

تركت الليل البهيم (الأسود) وهو ضحى منير، والذي يشل (يطرد) الليل وسط عمورية صبح صناعي سببه اللهب لا الشمس

حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ عَنْ لَوْنِهَا، أَوْ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبْ

فكان جلابيب (ملابس) الليل رغبت عن لونها (كرهت لونها)، أو كان الشمس لم تغرب في ذلك اليوم

ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ، وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضَحَى شَحِبِ

النار تضيء رغم الظلمة العاكفة (الماكئة)، والظلام إنما يأتي من الدخان وسط هذا الضحى الشاحب

فَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ مِنْ ذَا، وَقَدْ أَقْلَتْ وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا، وَلَمْ تَحِبْ

الشمس طالعة من ذا (من اللهب)، مع أنها في الواقع أقلت (غربت)؛ والشمس واجبة (غاربة) من ذا (من الدخان)، لكنها لم تحب (لم تغرب) بسبب اللهب

تَصْرَحَ الدَّهْرُ، تَصْرِيعَ الْعَمَامِ، لَهَا عَنْ يَوْمٍ هَيَجَاءُ مِنْهَا طَاهِرٌ جُنِبِ

تصرح (تكشف) الزمن مثلما يتكشف الغيم وتصفو السماء، وأرأينا يوم هيجاء (حرب) طاهراً لكنه أيضاً جنب (هذا اليوم لحقته الجنابة بالجماع) ..

لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ يَوْمَذَاكَ عَلَى بَانٍ بِأَهْلٍ، وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَرَبٍ

عندما طلعت الشمس لم يكن في جنودنا أحد قد بنى بأهل (اتخذ زوجة)، وعندما غربت الشمس كان كل جندي قد فارق العزوبة وتزوج البنات المسيبات تعرضن للسي وللاغتصاب بحسب أعراف ذلك الزمان. وربما أيضاً بحسب أعراف هذا الزمان. فالجنود الغائبون عن النساء مدة طويلة - عمورية تبعد ١٢٠٠ كم عن سامراء - فعلوا ما وصفه أبو تمام مفتخراً به. وفي حرب البوسنة فعل الجنود بالنساء ذلك. ولعل من أول واجبات الفقيه المسلم الجديد، الذي نرجو أن يبعثه الله، أن يفتينا فتوى معقولة في هذا الأمر غير المعقول. نقرأ هذا الشعر ونقدر أنه قيل في زمن غابر، ولكن هذه الحيوانية في الإنسان تظل مصدر توتير لنا. لكننا نعود ونقول: لن نقيس الشعر بمقاييس الأخلاق. ولن نرضى أن يسرف الغرب المجرم في تعبيرنا بتفاصيل كهذه. فجرمة الغرب في الكونغو - ولا أريد تسمية بلد عربي - يقشعر لها البدن. لأجل معادنها الثمينة يصنع الغرب هناك الحروب الأهلية وغير الأهلية، والنتيجة مقتل خمسة ملايين إنسان. لا تشعر بالفتقر من ملحمة أبي تمام هذه بأكثر مما يجب، فالعرب في الجاهلية كانوا يسبون نساء بعضهم بعضاً. والروم كانوا يسبون المسلمين أيضاً

ما رَنَعَ مَيَّةً، مَعْمُوراً، يُطِيفُ بِهِ غَيْلَانُ أَتَيْهُ رُبَيٌّ مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ
ليس ربع (موطن) «مئة» إذ هو معمور أهل بسانه ويطيف (يطوف) به غيلان (ذو الرمة الشاعر،
حيب مية) ليس هذا الربع بأجمل في عيني غَيْلَان من عمورية إذ هي خربة محترقة في عيون
جنودنا، فما أحلى خرابها وانتصارنا عليها

ولا الخدودُ، وإنْ أذْمِينَ مِنْ حَجَلٍ، أَشْهَى إِلَى نَاطِرٍ مِنْ خَدِّهَا التَّرِبِ
ولا الخدود المحمرة من خجل، فكأنها دامية، أشهى منظراً من خد عمورية المغبر

سَمَاجَةٌ غَنِيَّتْ مِنَّا الْعُيُونُ بِهَا عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَأَ، أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبٍ
هذه سماجة (فتح) استغنت به عيوننا عن كل جمال أو منظر عجب

وَحُسْنٌ مُنْقَلَبٍ تَبَدُّو عَوَاقِبُهُ، جَاءَتْ بِشَاشَتُهُ عَنْ سُوءٍ مُنْقَلَبٍ
وهذا حسن منقلب (نتيجة طيبة) تظهر عواقبه (نتائجه)، وجماله ناشئ عن سوء منقلب الروم

لَوْ يَعْلَمُ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصَرٍ كَمَنْتَ لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ
لو يعلم الكفر كم من عصور مرت والمنية (الموت) كامنة له بين السمر (الرماح) والقضب
(السيف) تنتظر البروز

تَدْبِيرٌ مَعْتَصِمٌ بِاللَّهِ، مُنْتَقِمٌ لِلَّهِ، مُرْتَقِبٌ فِي اللَّهِ، مُرْتَهِبٌ
ما حدث تدبير رجل معتمصم بالله (محتم بالله)، مرتقب لأمر الله، ويرهب عذاب الله

وَمُطْعَمُ النَّصْرِ، لَمْ تَكْهَمْ أَسْنَتُهُ يَوْمًا، وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحٍ مُحْتَجِبٍ
وهو تدبير مطعم النصر (الذي أطعمه الله نصراً) ولم تكهم أسنته (لم تخطيء) ولا حُجِبَتْ عن روح
جندي العدو المحتجب بدرعه وترسه

لَمْ يَغْزُ جَبِشًا، وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ، إِلَّا بَقْدَمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ
ينهد: ينهض

لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى، لَقَدَا، مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَّهَا، فِي جَحْفَلٍ لِحَبٍ
لحب: كثير الضجيج، أي أنه جيش كبير

رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجِيهَا فَهَدَمَهَا؛ وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللَّهِ لَمْ تُصِبِ

لا أدري إن كان أحد قد فطن لهذا البيت وقت انهدام البرجين الكبيرين في نيويورك في حادي عشر
سبتمبر أيلول عام ٢٠٠١. وما قد كادت تمر سنوات عشر على تلك الجريمة البشعة (وأنا أكتب في
يناير كانون الثاني ٢٠١١)، ولكن القلب غير مطمئن إلى هوية الفاعلين. وأستحسن هنا الاستدلال
بالتائج على الأسباب: فما سمعت واشنطن إلى تحقيقه وما حققتة فعلاً في أعقاب، وبذريعة، تلك
الفعلة يدل بعض الدلالة على أن لها ضلعاً

من بعد ما أَشْبُوها وَاثْقِينِ بِها. وَاللَّهُ مِفْتَاحُ بابِ المَعْقِلِ الْأَشِيبِ

لقد تهدمت عمورية من بعد ما أشبوها (حصنها) وثقوا بها. ولكن الله يفتح باب المعقل الحصين

وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ: لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ لِلسَّارِحِينَ، وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثَبِ

قال رئيس الروم: لا يوجد مرتع (مرعى) صدد (قريب) للمسلمين عند عمورية ليسرحوا بمواشيهم، وليس الورد (مورد الماء) من كَثَب (قريب)، لذا فلن يتمكنوا من حصارها وسيذهبون عنها

أَمَانِيًا سَلَبَتْهُمْ نُجَجَ هاجِسِها ظُبَى السِوْفِ، وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلْبِ

كانت هذه أمانيتهم ولكن، سلبتهم نُجَج (تحقق) هذه الهواجس ظبي السيوف (نصالها) وأسنه القنا (الرماح) السلب (الطويلة)

إِنَّ الْحَمَامَيْنِ، مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمرٍ، ذَلُّوا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ ماءٍ وَمِنْ عُشْبِ

إن الموتين: من بيض (سيوف) ومن سمر (رماح)، هما مثل دلوين لحياتين: حياة بالماء وحياة بالعشب. أي أن المسلمين حققوا بأسلحتهم أسباب الحياة، ونالوا الماء والعشب لمواشيهم بالنصر

لَبِيتَ صَوْتًا زَبَطْرِيًّا، هَرَقْتَ لَهُ كَأْسَ الْكُرَى، وَرَضَابَ الْخُرْدِ الْعُرْبِ

أيها المعتصم لقد لبيت صوت المرأة العربية في زِبْطَرَة التي صرخت وامعتصماه، وقد هرقت (أرقت) في سبيل ذلك كأس الكرى (النوم) فسهرت وأنت تقطع المسافة الطويلة وتسير ليلاً، وأرقت أيضاً رضاب الخرد (الفتيات) العُرب (المتحبيات للأزواج) فلم تعاشر النساء. ومن عادات العرب الغضاب أن يحلفوا ألا يمسوا النساء إلا بعد خوض المعركة. وقيل: عندما نقل إلى المعتصم خبر المرأة التي صرخت «وامعتصماه» كانت بيده كأس فوضعهما، وسار من فوره ليتجهز للزحف، وحفظت له الكأس ليشربها بعد عودته

عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثُّغُورِ، وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ

حرارة الثغور (المواقع الحدودية) المستضامة (المظلومة) عداك (صرفك) عن برد الثغور (أفواه النساء)، وعن سلسالها (مائها العذب) الحصب (الذي يترقق بين الحصى). يشبه ثغور النساء وما فيها من ريق وأسنان بجدول يترقق فيه الماء بين الحصى

أَجَبْتُهُ مُعَلِّمًا بِالسِّيفِ مُنْصَلِنًا وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السِّيفِ لَمْ تُجِبْ

أجبت صوت المرأة وأنت معلم (واضع علامة كالريشة التي كان الفارس الشجاع يضعها على رأسه في الحرب) وعلامتك كانت السيف، وكان السيف منصلياً (مسلولاً)، ولو كنت أجبت جواباً بغير السيف لما كان مقتعاً

حَتَّى تَرَكْتَ عَمُودَ الشَّرْكِ مُنْقَعِرًا وَلَمْ تُعَرِّجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطَّنْبِ

تركت (جعلت) عمود الشرك منقعرًا (مقتلاً) ولم تذهب للأوتاد والطنب (حبال الخيمة). فأنت قصدت أكبر مدنها كمن يريد هدم الخيمة فيقتلع عمودها، ولا يأبه بأوتادها وحبالها

لما رأى الحرب، رأى العين، توفّلس؛ والحرب مُشتَقَّةُ المعنى من الحربِ ..
لما أدرك قائدهم توفّلس أنها الحرب الحقيقية؛
والحرب مشتقة من الحرب (سلب الأموال) ..

عَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ جِرْيَتَهَا، فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْعُيُبِ ..
أصبح يبذل المال (محاولاً إغراء المعتصم به) ويريد أن تجري الحرب على هواه بأمواله،
ولكن غلبه التيار والعباب (تيار الزحف الجارف)

قد رأينا تفسير الصولي لجريتها، وتفسير التبريزي المشتق منه، وفسرنا بما فتح الله علينا
هيهات! زُعِزَعَتِ الْأَرْضُ الْوُقُورُ بِهِ عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ، لَا غَزْوِ مُكْتَسِبٍ
الأرض الوقور (الثابتة) تزعزعت من تحت توفّلس، فالغازي محتسب ثواب ربه، وليس مكتسباً
للمال

لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ، الْمُرَبِّي بِكَثْرَتِهِ عَلَى الْحَصَى، وَبِهِ فَقَرُّ إِلَى الذَّهَبِ
والمعتصم الذي أنفق في تجهيز الجيش المال العربي (الزائد)
عن الحصى كثرة ليس مفترراً للذهب

إِنَّ الْأَسْوَدَ، أَسْوَدَ الْعَابِ، هِمَّتُهَا يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ، لَا السَّلْبِ
مسمى الأسود يوم الكربة (الحرب) يكون لنيل روح الشخص المسلوب نفسها وليس لنيل السلب
(الثياب والمال)

وَلَى، وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطِيئَ مَنْطِقَهُ بِسَكْنَةِ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَحْبِ
ولى (فرّ) قائدهم وقد ألجم (أخرس) الخطي (الرمح) منطق (كلامه)، فأسكنه السلاح سكنة كانت
تحتها أحشاؤه تصطبغ من القلق والرعب

أَخَذَى قَرَابِنَهُ صِرْفَ الرَّدَى، وَمَضَى يَحْتِثُ أَنْجَى مَطَايَاهُ إِلَى الْهَرَبِ
أخذى (أعطى) قرابينه (المقربين منه) صرف الردى (الموت الصافي)، ومضى يحتث (يبحث) أنجى
مطاياه (أسرع خيله) هارباً

مُوكَّلًا بِبِقَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ مِنْ خِقَّةِ الْخَوْفِ، لَا مِنْ خِقَّةِ الظَّرَبِ
موكلاً (معنياً) ببقاع الأرض (المرتفع من الأرض) يشرفه (يعتليه) ليراقب هل يلحق به أحد بسبب
خوفه، لا بسبب شعوره بالطرب لنجاته

إِنْ يَغْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدُوَ الظَّلِيمِ، فَقَدْ أَوْسَعَتْ جَا حِمَاهَا مِنْ كَثْرَةِ الْحَطَبِ
إن يركض من حرّها عدو الظليم (ذكر النعام) فإنك مكثت تملأ جاحمها (جحيما) بالحطب
الذين هم جنوده ..

يَسْعُونَ أَلْفًا، كَأَسَادِ الشَّرَى، نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ، قَبْلَ نَضِجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ

قتلت حرقاً تسعين ألف نسمة من أبطال الروم، ونضجت جلودهم قبل نضج التين والعنب اللذين قال المنجمون إن الحظ لن يتسم للمعتصم إلا عند موسم نضجهما

يَا رَبِّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتُنَّتْ دَابِرُهُمْ طَابَتْ، وَلَوْ ضُمَّخَتْ بِالْمِسْكِ لَمْ تَطِبْ

رب حوباء (نفس) طابت (استراحت) لما تم اجتثاث الأعداء، ولو كانت ضمخت (لطخت) بالمسك لما طابت. والعربي إذ يذهب للحرب يقسم لا يمس الطيب ولا النساء إلا إذا ظفر. فالمعتصم كان غير متطيب بالطيب. وطيه الحقيقي كان قتل الروم

وَمُغْضِبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السِّيفِ بِهِ حَيَّ الرِّضَا عَنْ رَدَاهُمْ، مَيَّتَ الْعَضْبِ

ورب مغضب (غاضب)، هو المعتصم، جعلته السيوف البيض يعود وقد أصبح رضا حياً وغبه ميتاً بقتل العدو

وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقٍ لَجِجٍ، تَجْتُوُ الرِّجَالُ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكْبِ

الحرب مشتعلة في مازق (مضيق من الأرض) لجج (ضيق)، تجتو فيه الرجال (تقعي) على ركبهم صغراً (مائلين بأجسامهم) لشدة القتال. يتخيل المحاربين إذا اشتدت المبارزة ووقع أحدهم فواصل المبارزة وهو على ركبته وجسمه يعمل يمينا ويساراً. هذا ما فتح الله به علينا وللشراح أقوال وروايات كثيرة

كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاها مِنْ سَنَا قَمَرٍ، وَتَحْتَ عَارِضِها مِنْ عَارِضِ شَنِبٍ

كم نال جنودنا تحت سنا (ضوء هذه الحرب المحرقة) من سنا قمر (من فتاة مضينة الوجه)، وكم نالوا تحت عارض الحرب (غماتها الماطرة بالموت) من عارض شنب (أسنان عذبة لفتاة سية)

كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِهَا إِلَى الْمَخْدَرَةِ الْعَذْرَاءِ مِنْ سَبَبٍ

وكم قد كان في قطع أسباب (عروق) الرقاب في هذه الحرب من سبب (وسيلة) للوصول إلى عذراء مخدرة (مستورة)

كَمْ أَحْرَزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ، مُصْلَتَهُ تَهْتَزُّ، مِنْ قُضْبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثْبٍ

وكم قد أحرزت قضب الهندي (السيوف) وهي مصلثة (مسلولة) ومهتزة من فتيات هن كالقضب (الأغصان) التي تهتز في الكثب (في كتيبان الرمل). يشبه جسم الفتاة بجذع نحيل كالغصن يتمايل فوق أرداف كبيرة ككثيب الرمل

بِيضٌ إِذَا انْتَضَيْتْ مِنْ حُجْبِها رَجَعَتْ أَحَقَّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنَ الْحُجْبِ

بيض (سيوف) إذا انتضيت (سحبت) من حجبها (أغمادها) رجعت أحق بالبيض أبداناً (الفتيات البيض أجساماً) من الحجب (من الستور التي تحتجب وراءها النسوة)

خَلِيفَةُ اللَّهِ! جَاوَزَى اللَّهُ سَعِيكَ عَنْ جُرْثُومَةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسَبِ
يا خليفة الله، أتابك الله عن سعيك (دفاعك) عن جرثومة الدين (أصله)، وعن الحسب (ذلك أنهم
قالوا إن المرأة العربية التي صرخت «وامعتصماه» كانت هاشمية ذات حسب ونسب)
بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الْكَبِيرَى، فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ الثَّعَبِ
إن كان بين صُروف الدهر من رَجِم مَوْصُولَةٍ، أو ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبٍ..
إن كان بين صُروف الدهر (أحداثه) رحم (نُسب) أو ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبٍ (حُرمة غير مقطوعة)..
فَبَيْنَ أَيَامِكَ اللَّاتِي تُصِرْتَ بِهَا، وَبَيْنَ أَيَامِ بَدْرِ، أَقْرَبُ النَّسَبِ
.. فبين أيام نصرك هذا وبين أيام معركة بدر قرابة

أَبَقْتُ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمَرَضَى، كَاسِمِهِمْ، صَفَرَ الْوُجُوهَ، وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ
أيام نصرك أبقت (جعلت) بني الأصفر الممرض (الروم، وهم أبناء جدهم المسمى «الأصفر» وهو
كثير المرض) جعلتهم صفر الوجوه من الرعب مثل اسمهم، وهذه الأيام جلَّت (بيضت) أوجه
العرب. يقول: جعلتهم أيام نصرك صفر الوجوه مثل اسمهم، فاسمهم بنو الأصفر الممرض،
وأيام نصرك يبيضت أوجه العرب

١٤١ دنيا معاش للورى

يمدح المعتصم:

رَقَّتْ حَوَاشِي الدَّهْرِ، فَهِيَ تَمَرْمُرُ وَغَدَا الثَّرَى فِي حَلِيهِ يَتَكَسَّرُ
صارت أطراف الزمن تتمرمر (تتموج) لما نحن فيه من نعمة وسرور، وأصبح التراب يتكسر
(يتشقق) في حليه (في زينتته/ بسبب ما يخرج منه من نبات)

مَطَرٌ يَذُوبُ الصَّخْوُ مِنْهُ، وَبَعْدَهُ صَخْوٌ يَكَادُ مِنَ الْغَضَارَةِ يُنْطِرُ
مطر يلغي الصخو، ثم يأتي صخو يكاد من الغضارة (الخصب) يطر، فالدنيا طرية والمطر مقطع
لكنه ليس بقليل

مَا كَانَتْ الْأَيَّامُ تُسَلِّبُ بِهِجَةً لَوْ أَنَّ حُسْنَ الرُّوْضِ كَانَ يُعَمَّرُ
يا صاحبي! تَقْصِيًا نَظْرَيْكُمَا تَرَيَا وَجُوهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَصَوَّرُ
يا صاحبي! تقصيا نظريكما (انظرا بعيداً) تريا كيف تتخذ وجوه الأرض في الرياض المختلفة صوراً شتى

تَرَيَا نَهَاراً مُشْمِساً قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرَّبِيِّ، فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ

النهار مشمس، وبوجود الأزهار البهيجة وشمس الربيع اللطيفة والنبات المتكاثف (حيث
تكتسي الأشجار ورقاً)، فكأن النهار مقمر لا شمس وإنما جعله مقمراً لوجود الأزهار
التي هي كالنجوم. والذي التقط العلاقة بين القمر النهاري وبين وجود الأزهار من بين
الشرح هو الأعلام الششمري، ومنه التقطناها، ونزيد فنقول: النجوم توصف بأنها «زهر»
ولعل قوله «زهر الربى» جعل عقله الباطن يفكر بالنجوم الزهر فجاء إليها بقمر

دُنِبَا مَعَاشُ لِلْوَرَى، حَتَّى إِذَا حَلَّ الرَّبِيعُ فَلِئَمَّا هِيَ مَنظَرُ

هذه الدنيا معاش للناس (مخلوقة ليعيشوا فيها)، فإذا حل الربيع أصبحت لوحة تتمتع فيها العين...
هذا بيت عن ديوان

أَضَحَّتْ تَصَوُّغُ بَطُونُهَا لظَهْوِهَا نَوْرًا تَكَادُ لَهُ الْقُلُوبُ تُنَوِّرُ

أصبح بطن الأرض يصوغ لظهورها نوراً (براعم وأزهار) تجعل القلوب تنور (تزهو). كأنه جعل في
باطن الأرض مصنعاً ينتج الأزهار

مِنْ كُلِّ زَاهِرَةٍ تَرَفَّرُقُ بِالنَّدَى، فَكَأَنَّهَا عَيْنُ إِلَيْكَ تَحَدَّرُ

الأزهار يترقق فيها الندى، فكان كل زهرة عين إليك (ناظرة إليك)
تحدّر (تبكي وينحدر دمعها)

تَبْدُو وَيَخْجُبُهَا الْجَمِيمُ، كَأَنَّهَا عَذْرَاءُ، تَبْدُو نَارَةً وَتَخْفَرُ

تبدو الزهرة ثم يحجبها الجميم (خضرة النبات) مع تحرك الأغصان، فكانها عذراء تبدو ثم تتخفر
(تخجل وتتوارى)

حَتَّى غَدَتْ وَهْدَاتُهَا وَنَجَادُهَا فِئْتَيْنِ فِي خِلْعِ الرَّبِيعِ تَبَخْتَرُ

حتى أصبحت وهديات الأرض (سهولها) ونجادها (رباها) فئتين (شكلين مختلفين/ فئات السهول)
مختلف عن نبات الربى العالية) وكلتاها تبختر في خلع (ملابس) الربيع

مُضْفَرَّةٌ مُحْمَرَّةٌ، فَكَأَنَّهَا عُصْبٌ تَيْمَنُ فِي الْوَعَى وَتَمَضَّرُ

أصبحت الأرض مصفرة محمرة بألوان الأزهار فكانها عصب (جماعات) تيمين وتتمضر (فرايات)
اليمين صفر، ورايات مضر حمر)

فِي الْأَرْضِ، مِنْ عَدَلِ الْإِمَامِ وَجُودِهِ وَمِنْ النَّبَاتِ الْغَضِّ، سُرْجٌ تَزْهَرُ

عدل الإمام وكرمه، والنبات الغض (الطري) هذه سرج (مصاييح)
تزهو (تلمع كالنجوم الزاهرة)

سَكَنَ الزَّمَانُ: فَلَا يَدُ مَذْمُومَةٍ لِلْحَادِثَاتِ، وَلَا سَوَامٌ يُذْعَرُ

سكن الزمان (كفَّ شروره المعتادة)، وقصرت يد الحادثات (المصائب)، وحتى السوام (المواشي)
لم يعد ذنب يذعرها

نَظَّمَ الْبِلَادَ، فَأَصْبَحَتْ وَكَأَنَّهَا عِقْدٌ، كَأَنَّ الْعَدَلَ فِيهِ جَوْهَرُ

الإمام (الخليفة) نظم البلاد كأنها عقد، وكأن عدله جواهر العقد

١٤٢ إِلَّا أَنهَآ لَمْ تُقَاتِلِ

أبو تمام يشهد للأفشين بالشجاعة:

لقد لبسَ الأفشينُ قَسْطَلَةً وَغَارَ الوغى (الحرب) لبساً، لبسها مُحْشَأً (محرّكاً الجمر بالمحش/ الحديدية التي يحرك بها الجمر) ولكنه يُحْشُّ بنصل السيف لا بحديدة، ولبس غبار الحرب غير مواكل (غير متكل على غيره بل مباشرة الحرب بنفسه)

ومُحْشَأً بضم الميم قراءتنا، وانفردنا بها (ومن قرأ بكسر الميم أو بإبدال الحاء خاء أعنت نفسه في تعليق الجار والمجرور بعدها)

وسارَتْ به، بين القنابِلِ والقَنَا، عزائِمُ كانت كالقَنَا والقَنَابِلِ القنابل (جماعات الخيل المندفعة)، القنا (الرماح)

قد ظَلَلْتُ عِقْبَانَ أَعْلَامِهِ ضَحَى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ كان يرفع رايات العُقاب (راية سوداء من صوف قيل إنها راية الرسول) وكانت تطير فوقها وتظللها عقبان حقيقية تنتظر وقوع قتلى لكي تنهل (تشرب) من الدم

أقامَتْ مع الرّايَاتِ، حتى كأنها مِنْ الجَيْشِ، إِلَّا أَنهَآ لَمْ تُقَاتِلِ أقامت (مكثت) العقبان مع الرايات، فكانها جزء من الجيش، إلا أنها لم تقاتل

عَشِيَّةَ صَدِّ الْبَابِكِيِّ عَنِ الْقَنَا صُدُودَ الْمُقَالِي، لا صُدُودَ الْمُجَابِلِ حدث هذا عشية (عندما) صد البابكي (بابك الخرمي) عن الرماح صدود المقالي (الكاره) لا صدود المجامل (الذي يفعل الفعل الجميل ويكره قتل الأعداء)

تَحَدَّرَ مِنْ لَهْبَيْهِ يَرْجُو غَنِيْمَةً بِسَاحَةِ لا الْوَانِي ولا الْمَتَخَاذِلِ تحدر (نزل) من لهيه (المضيقيين بين الجبال) راجياً الغنيمة، لكنه نزل بساحة الأفشين الذي لم يكن وانيا (بطيئاً) ولا متخاذلاً (متراجعاً)

فكانَ كَشَاةِ الرَّمْلِ؛ قَيِّضُهُ الرَّدَى لِقَانِصِهِ، مِنْ قَبْلِ نَصَبِ الْحَبَائِلِ فكان بابك كشاء الرمل (البقرة الوحشية). وقد قيضه الردى (يسره الموت) لقانصه، قبل أن ينصب القانص حباله (شبكته)

وعَاذَ بِأَطْرَافِ الْمَعَاقِلِ مُعْصِماً وَأُنْسِي أَنْ اللَّهَ فَوْقَ الْمَعَاقِلِ عَاذَ (التجأ) بابك بمعاقله (حصونه) معصماً (طالباً الحماية) ناسياً أن الله أقوى من الحصون، فهو عدو الله

فَوَلَّى، وَمَا أَبْقَى الرَّدَى مِنْ حُمَاتِهِ لَهُ غَيْرَ أَشَارِ الرَّمَاكِ الذَّوَابِلِ

هرب وما أبقي له الموت من أصحابه الذين يحتمي بهم سوى أسار (بقايا) الرماح الذوابل (الجافة الدقيقة). يقول: لم يبق منهم سوى البقية التي أخطأها الرماح. أخذنا بشرح الخارزنجي للبيت الذي اقتنع به شرف الدين المستوفي. والمستوفي هذا عالم جليل صادق. يفهم الشعر أدق فهم، ويعرض للشروح المختلفة وينسب كل شرح إلى صاحبه. إنه من القلة الذين لا يسرقون أفكار واجتهادات الناس. ولم يطبع - فيما نعلم - كتابه عن أبي تمام والمتنبي، ولكن محققي الشروح الأخرى ينقلون عنه في الحواشي. ونحن نقل بين الفينة والفينة شيئاً من أقواله من الجزء الثاني من كتابه الموجود بصورته المخطوطة على النت في موقع «ودود»

أَمَّا وَأَبِيهِ - وَهُوَ مَنْ لَا أَبَا لَهُ يُعَدُّ - لَقَدْ أَمْسَى مُضِيءَ الْمَقَاتِلِ

وأحلف بأبيه - وليس له أب ذو قيمة أصلاً - أنه صار مكشوف المقاتل، فكان المواضع التي يمكن أن يؤتى منها غدت مضیئة وواضحة للعيان

١٤٣ الأفيشين واصطياد بابك

يمدح الأفيشين:

لَمْ يُقَرَّ هَذَا السَيْفُ هَذَا الصَّبْرَ فِي هَيْجَاءٍ إِلَّا عَزَّ هَذَا الدِّينُ

لم يقر (يطعم) سيفك ما عندك من صبر في الحرب إلا رأينا الدين يزداد عزاً

مَلِكُ تَضِيءِ الْمَكْرُمَاتِ، إِذَا بَدَا لِمَلِكٍ مِنْهُ غُرَّةٌ وَجَبِينُ

لَأَنْتَ مَهْرَتُهُ، فَعَزَّ؛ وَإِنَّمَا يَشْتَدُّ بِأَسْرِ الرُّمَحِ حِينَ يَلِينُ

لان الممدوح وسهل اهتزازه للمكارم فازداد عزاً؛ وأجود للرمح أن يكون ليناً

وَتَرَى الْكَرِيمَ يَعْزُّ حِينَ يَهُونُ وَتَرَى اللَّئِيمَ يَهُونُ حِينَ يَهُونُ

لَوْ أَنَّ هَذَا الْفَتْحَ شَكٌّ لَأَشْتَفَتْ مِنْهُ الْقُلُوبُ، فَكَيْفَ وَهُوَ يَقِينُ؟

وَأَخَذَتْ بَابَكَ حَاثِرًا دُونَ الْمَنَى؛ وَمُنَى الضَّلَالِ مِيَاهُهُنَّ أَجُونُ

بابك: قائد العصيان بابك الخرمي؛ أجون: معكدة

وَرَجَا بِلَادَ الرُّومِ، فَاسْتَعَصَى بِهِ أَجَلُ أَصَمُّ، عَنِ النَّجَاءِ حُرُونُ

حاول اللحاق ببلاد الروم ولكن أجله الذي لا يسمع أمانيه استعصى به (منعه)، فهذا الأجل مثل الحصان الحرون (العنيد) الممتنع عن النجاء (الركض)

هَيْهَاتَ! لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّكَ لَوْ تَوَى بِالصَّيْنِ، لَمْ تَبْعُدْ عَلَيْكَ الصَّيْنُ

توى: أقام

١٤٤ الظفر ببابك الخرمي

وقال يمدح المعتصم ويذكر فتح الخرمية (أصلها ٨٨ بيتاً وهي من ملاحمه):

أَلَتْ أُمُورَ الشُّرْكِ شَرًّا مَالٍ وَأَقَرَّ، بَعْدَ تَحْمُطِ وَصِيَالِ
أَلَتْ أُمُورَ الشُّرْكِ شَرًّا مَالٍ (مصور)، وأقر الشرك بالوحدانية وبسلطة الدولة بعد تخمط (هياج)
وصيال (اندفاع)

غَضِبَ الْخَلِيفَةُ لِلْخِلَافَةِ غَضْبَةً رَحَصَتْ لَهَا الْمُهْجَاتُ، وَهِيَ غَوَالِ
المهجات (القلوب)، غوال (غالية)

لَمَّا انْتَضَى جَهْلَ السِّیُوفِ لِبَابِكَ أَغْمَدَنَ عَنْهُ جَهَالَةَ الْجُهَّالِ
عندما انتضى (استل) الخليفة جهل السيوف (غضبها) لبابك الخرمي المنشق عن الدولة أغمدت هذه
السيوف عن الخليفة (أخَفَّتْ) جهالة الجهال من أنصار بابك وغيرهم من العصاة

فَلَاذْرَبِيَّجَانَ اخْتِيَالًا، بَعْدَمَا كَانَتْ مُعَرَّسَ عِبْرَةٍ وَنَكَالِ
فاختالت أذربيجان مسرورة بعد أن كانت معرس (موضع) عبرة (تأديب) ونكال (تنكيل)

أَظْلَقْتُهَا مِنْ كَيْدِهِ، وَكَأَنَّمَا كَانَتْ بِهٍ مَعْقُولَةً بِعِقَالِ
أطلقتها من كيد بابك، وكان قد قيدها تقيداً بثورته

قَدْ أَتْرَعَتْ مِنْهُ الْجَوَانِحُ رَهْبَةً بَطُلَتْ لَدَيْهَا سَوْرَةُ الْأَبْطَالِ
أتفعت (امتلات) جوانح (أعضاء) بابك رهبة أبطلت سورة (هجمة) الأبطال من رجاله

لَوْ لَمْ يَزْحَفِ الْخَلِيفَةُ رَدًّا عَلَى زَحْفِ رِجَالِ بَابِكَ، لَزَحَفَتْ عَلَيْهِمُ الْأَوْجَالِ (الرعب) الَّذِي فِي
قلوبهم من بطش الخليفة

يَا يَوْمَ أَرَشَقْ! كُنْتَ رَشَقَ مَنِيَّةٍ لِلْخُرْمِيَّةِ صَائِبِ الْأَجَالِ
يا يوم معركة «أرشق»، لقد كنت كرشقات سهام تحمل الموت للخرمية (أصحاب بابك الخرمي)،
وكانت سهاماً مسددة صائبة تأتي بأجالهم

أَسْرَى بَنُو الْإِسْلَامِ فِيهِ، وَأَذْلَجُوا بِقُلُوبِ أَسَدٍ فِي صُدُورِ رِجَالِ
في هذا اليوم (المعركة) أسرى المسلمون (ساروا ليلاً)، وأدلجوا (ساروا قبيل الفجر) بقلوب أسود

مَا طَالَ بَعْغِي قَطُّ إِلَّا غَادَرَتْ غُلَاوَاهُ الْأَعْمَارَ غَيْرَ طَوَالِ
ما طال البغي (الظلم) واستمر إلا غادرت (جعلت) غلواؤه (تماديه) أعمار أهله قصيرة

أُبْنَا بِكُلِّ خَرِيدَةٍ، قَدْ أُنْجِزَتْ فِيهَا عِدَاتُ الدَّهْرِ بَعْدَ مِطَالِ
أَبْنَا (رجعنا) بكل خريدة (بفتيات جميلات)، وبنيها أنجزت لنا عدات (وعود)
الدهر بعد طول مطالة

خَاضَتْ مَحَاسِنَهَا مَخَافُفٌ، غَادَرَتْ مَاءَ الصُّبَا وَالْحُسْنِ غَيْرَ زُلَالِ
وهذه الفتيات خاضت المخاوف في محاسنهن (مثلما يخوض المرء في ماء البركة فيعكرها)، وهذه
المخاوف غادرت (جعلت) ماء الصبا والحسن في وجوههن غير زلال (غير صاف)

أَعْجِلْنَ عَنْ شِدِّ الْإِزَارِ، وَرَبِمَا عُوذْنَ أَنْ يَمْشِينَ غَيْرَ عَجَالِ
عندما تم سبي هؤلاء النسوة جاء الأمر على عجل فلم يشددن أزرن (أرديتهن)، وكن قبلن يمشين
الهونا غير مستعجلات

مُسْتَرْدَقَاتٍ فَوْقَ جُرْدٍ أَوْقَرَتْ أَكْفَالُهَا مِنْ رُجَحِ الْأَكْفَالِ
مستردفات فوق جرد (راكبات على أرداف الخيل)، وقد أوقرت (أثقلت) أكفال الخيل من الفتيات
الراجحات الأكفال (الكبيرات المؤخرات)

وَنَجَا ابْنُ خَائِنَةِ الْبُعُولَةِ، لَوْ نَجَا، بِمُهْفَهْفِ الْكَشْحَيْنِ وَالْأَطَالِ
ونجا ابن خائنة البعول (الأزواج/أي ابن الزانية)، هذا لو كان نجا حقاً، بمهفف الكشحين
(بحصان خفيف الماصرتين) والأطال (الخواصر أيضاً)

لاحظ أن أبا تمام، وقد ذكر الأرداف الثقيلة في البيت السابق، راح هنا يذكر الحصان الرشيق،
فشاعرنا يعشق الطباقي (إيراد المعنى وعكسه) إيماناً

مَا زَالَ مَغْلُولٌ الْعَزِيمَةِ، سَادِرًا حَتَّى عَدَا فِي الْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ
ظل مغلول (مقيد) العزيمة، سادراً (حائراً)، حتى أصبح فعلاً مقيداً وتم القبض عليه

مَا نِيلَ حَتَّى طَارَ مِنْ خَوْفِ الرَّدَى كُلَّ الْمَطَارِ، وَجَالَ كُلَّ مَجَالِ
ما نيل (أخذ أسيراً) حتى طار خائفاً، وتجول في البلاد

وَالنَّحْرُ أَصْلَحُ لِلشُّرُودِ، وَمَا شَفَى مِنْهُ كَنَحْرٍ بَعْدَ طُولِ كَلَالِ
والنحر (الذبح) أصلح للجمل الشرود الكثير الفرار، وليس شيء يشفي الغليل من هذا الجمل
كذبحه بعد طول التعب في ملاحقته

لَاقَى الْحِمَامَ بِسُرٍّ مَنْ رَأَى الْتِي شَهِدَتْ لِمَصْرَعِهِ بِصَدْقِ الْفَالِ
لقي بابلك الحمام (الموت) بسر من راء (سر من رأى)، التي كان اسمها فالاً طياً بمصرعه لأن
هذا المصراع سر من راء

قُطِعَتْ بِهِ أَسْبَابُهُ لَمَّا رَمَى بِالطَّرْفِ بَيْنَ الْفِيلِ وَالْفَيَالِ

وقد قطعت به أسبابه (حباله التي يتعلق بها بهذه الدنيا) عندما رمى بصره بين الفيل وقائده الفيال (فقد أركب على فيل للتشهير به وعرضه على الناس، والتشهير به سيعقبه قتله، ولا مجال بعدها لاستبقائه). وللقارئ أن يرى في بابك الخرمي رأي أبي تمام شاعر الدولة؛ وله أن يرى فيه رأي المتدينين في زمننا، من أنه إياحي وعدو للإسلام، وخائن اتصل بالروم للاستقلال عن الدولة الإسلامية؛ وله أن يرى فيه شعوبياً حريصاً على تراث قومه المتآكل بتأثير توليفة ثقافية مركزية فيها عناصر تركية وعربية وفارسية. على أننا نقرأ هذه القطعة من التاريخ في شعر أبي تمام وهمنا متجه إلى الناحية الفنية، واعلم - حفظك الله - أن المعتصم سيقفل القائد الأفشين بعد قليل متهماً بإياه بالزندقة. واعلم أن مؤرخينا القدامى كانوا أصدق من المعاصرين المشحونين بأحقاد عجيبة وتعصب سخيف، فقد وصف القدامى ما جرى بدقة وتفصيل، فأما المعاصرون فيوردون الأحداث مفرقة وسط أحكام من العبارات المائجة الممتلئة بالفضب للدين، فلا تفهم منهم إلا أن عليك أن تلعن فلاناً وأن تعصب ضد فلان

١٤٥ قتل الأفشين

وقال بمدح المعتصم ويذكر إحراق الأفشين (خيلر بن كاوس) وصلبه:

الْحَقُّ أَبْلَجُ، وَالسُّيُوفُ عَوَارٍ فَحَذَارٍ مِنْ أَسَدِ الْعَرِينِ، حَذَارٍ
الحق أبلج (واضح) والسيوف عوار (عارية مسلولة)، فاحذروا أسد العرين

يَا رَبُّ فِتْنَةٍ أُمَةٍ قَدْ بَزَّهَا جَبَّارُهَا فِي طَاعَةِ الْجَبَّارِ
رب فتنه حدثت في الأمة يزها (غلبها) جبار الأمة (المعتصم) طاعة لله

جَاءَتْ بِخَيْذَرٍ جَوْلَةُ الْمِقْدَارِ فَأَحْلَهُ الطُّغْيَانُ دَارَ بَوَارٍ
المقدار (القضاء)، بوار (هلاك)

كَمْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ كَانَتْ عِنْدَهُ، فَكَأَنَّهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَارٍ
كُسيَتْ سَبَائِبَ لُؤْمِهِ، فَتَضَاعَتْ كُنْضَاؤِلُ الْحَسَنَاءِ فِي الْأَطْمَارِ
كسيت نعمة الله عنده سبائب (أثواب) لؤمه، فتضاعت النعمة (أصبحت قيمته) مثلما تتضاءل الحسناء في الأطمار (الملابس الرثة)

صَادَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِزْبَرْجٍ فِي طَيْهِ حُمَةُ الشُّجَاعِ الضَّارِي
صادى (دارى) الأفشين المعتصم بزبرج (خداع) في طيه حمة الشجاع الضاري
(زبانى الثعبان الشرس)

مَكْرَأَ بَنِي رُكْنَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ وَطَدَ الْأَسَاسَ عَلَى شَفِيرِ هَارٍ
مكر مكرأً وبني ركنيه (أي أركانه، وأبو تمام كثيراً ما يعبر بالمتى عن الشمول)، غير أنه وطد
(ثبت) أساس بنائه على شفير هار (حافة منهارة)

حَتَّى إِذَا مَا اللَّهُ شَقَّ ضَمِيرَهُ عَنْ مُسْتَكِنِ الْكُفْرِ وَالْإِضْرَارِ
إذا ما شق الله ضميره عن الكفر المستكن (الكامن) والإصرار عليه

وَنَحَا لِهَذَا الدِّينِ شَفْرَتَهُ، ائْتَنَى وَالْحَقُّ مِنْهُ قَانِيءُ الْأُظْفَارِ
وعندما نحا (وجّه) الله للدين شفرته (نصله القاطع)، ائتنى (غدا) الأفشين وقد أصبح الحق قانيء
(محمّر) الأظفار من دمه

مَا كَانَ، لَوْلَا فُحْشُ عَذْرَةِ خَيْدَرٍ، لِيَكُونَ فِي الْإِسْلَامِ عَامٌ فِجَارٍ
لولا غدره خيدر (الأفشين) الفاحشة ما كان ليكون في الإسلام عام فيجار (كعام الفجار في
الجاهلية الذي وقعت فيه الحرب في الأشهر الحرم)

مَا زَالَ سِرُّ الْكُفْرِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ حَتَّى اصْطَلَى سَرَّ الزَّنَادِ الْوَارِي
ظل سر الكفر كامناً في قلبه حتى اصطلى سرّ (حشّو) الزناد (أداة قذح الشر) الواري (المشتعل).
ويصر الشارحون الستة الذين ننظر في شروحهم، ونحن نكتب هذا، على أن «سر» الثانية مكسورة
السين كالأولى، وهذا لا معنى له؛ ولا نظنهم التفتوا إلى هذا المعنى الدقيق لـ«سَرَّ» رغم وجوده
في المعاجم، ورغم أن البيت يوجّه الذهن إليه

نَاراً يُسَاوِرُ جِسْمَهُ مِنْ حَرِّهَا لَهَبٌ، كَمَا عَصَفَرَتْ شِقَّ إِزَارٍ
اصطلى ناراً يساور (يوائب ويهاجم) جانب جسمه من حرها لهب مثلما تعصفر (تصبغ بالعصفر
الأصفر) شق إزار (الصف الطولي للوب)

طَارَتْ لَهَا شُعْلٌ، يُهْدَمُ لَفْحُهَا أَرْكَانَهُ هَذِمًا بِغَيْرِ غُبَارٍ
للهِ مِنْ نَارٍ رَأَيْتُ ضِيَاءَهَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِهِ عَلَى النُّظَارِ
الضوء المتولد من هذه النار أضاء الفضاء فملأه كله في أعين الناظرين

مَشْبُوبَةٌ، رُفِعَتْ لِأَعْظَمِ مُشْرِكٍ، مَا كَانَ يَرْفَعُ ضَوْءَهَا لِلْسَّارِي
موقدة هذه النار لمشرك لم يكن يوقد ناراً للساوي (الساير ليلاً) لكي يهتدي وينال الطعام الواجب
تقديمه للضيف

صَلَّى لَهَا حَيًّا، وَكَانَ وَقُودَهَا مَيْتًا، وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْفُجَّارِ
هذا من بدائع التقسيم، فاليبت كعقد: لؤلؤته الأولى الصلاة أثناء الحياة، والثانية الوقود في
الموت، والثالثة الدخول بعد البعث. . . والسلك الناظم هو. . النار. . . ولا تنس التسلسل: حياة،
فموت، فبعث. هذا الجواهرجي أبو تمام في أمثل حالاته

وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ فِي الدُّنْيَا، هُمْ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، جُلُّ أَهْلِ النَّارِ

أهل النار (المجوس)

يَا مَشْهَدًا صَدَرَتْ بِفَرَحِهِ إِلَى أَمْصَارِهَا الْقُصُوى بَنُو الْأَمْصَارِ

صدرت (رجعت)

رَمَقُوا أَعَالِي جِذْعِهِ، فَكَأَنَّمَا وَجَدُوا الْهَلَالَ عَشِيَّةَ الْإِفْطَارِ

رأوا أعالي جذعه (الخشب التي صلب عليها) ففرحوا كأنهم رأوا هلال شوال المؤذن بعيد الفطر

وَاسْتَنْشَقُوا مِنْهُ قُتَارًا، نَشْرُهُ مِنْ عَنَبَرٍ ذَفِيرٍ وَمِسْكِ دَارِي

استنشقوا منه قُتَارًا (رائحة الشواء) نشره (عيره) كأنما هو من العنبر الذفير (النفاذ) والمسك الداري (المجلوب من دارين)

قَدْ كَانَ بَوَاهُ الْخَلِيفَةُ جَانِبًا مِنْ قَلْبِهِ حَرَمًا عَلَى الْأَقْدَارِ

كان الخليفة بواه (أنزله) مكانًا من قلبه آمنًا لا يصل إليه حتى القضاء والقدر

فَسَقَاهُ مَاءَ الْخَفْضِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ، وَأَنَامَهُ فِي الْأَمْنِ غَيْرَ غَرَارٍ

وسقاه ماء الخفض (الرفاهية) غير مصرد (غير مقلل وغير بعيد عن الإرواء)، وجعله ينام في حضن الأمن نوماً غير غرار (غير قصير)

فَإِذَا ابْنُ كَافِرَةٍ يُسِرُّ بِكُفْرِهِ وَجَدًا، كَوَجَدِ الْفَرْزَدَقِ بِنَوَارٍ

فإذا هذا الرجل يسر (يخفي) بكفره وجدًا (غراماً) كغرام الفرزدق بزوجه نوار

يَا قَابِضًا يَدَ آلِ كَاؤُسٍ، عَادِلًا أَتْبَعَ يَمِينًا مِنْهُمْ بَيْسَارٍ

أيها الخليفة الذي قبض يد هذه العائلة، وقوض نفوذها، اقبض على اليد الأخرى. وإنك لعادل فيما تفعل

وَاعْلَمْ: بِأَنَّكَ إِنَّمَا تُلْقِيهِمْ فِي بَعْضِ مَا حَفَرُوا مِنَ الْأَبَارِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْسَّامِرِيِّ قَبِيلُهُ مَا خَارَ عَجَلُهُمْ بِغَيْرِ خَوَارٍ

لولا أن قبيل (قوم) السامري كادوا له (دبروا له) لما خار عجلهم (أصدر صوته، وهو الخوار) بدون خوار (ذلك أنهم أعطوه ذهب نسانهم ليصنع العجل المقنوب الذي يصدر صوتاً كالخوار لمرور الريح فيه، وما هو بخوار حقيقي)

وَتَمُودُ لَوْ لَمْ يُدْهِنُوا فِي رَبِّهِمْ لَمْ تَدَمْ نَاقَتُهُ بِسَيْفِ قُدَارٍ

وقوم تمود لو لم يدهنوا (ينافقوا) في ربهم لما دميت ناقة ربهم، التي أرسلها لهم لتشبعهم لبناً، وذبحت سيف «قدار بن سالف»

ولقد شَفَى الْأَحْشَاءَ مِنْ بُرَحَائِهَا أَنْ صَارَ بَابُكَ جَارَ مَازِيَارِ
شَفَى الْأَحْشَاءَ (القلب) من برحائها (عذابها) أَنْ صَارَ بَابُكَ المصلوب جذعه منذ ستين (٢٢٣هـ)
جاراً لِمَازِيَارِ (وهو قائد آخر قبض عليه مع الأفشين عام ٢٢٥هـ)

ثَانِيهِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ لِاثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ
صار ثانياً له في كيد (وسط) السماء. ولكن «الاثنين» صاحبي الغار ليس لهما «اثنين» آخرين
يكونان زوجاً ثانياً، فشتان بين الرسول وأبي بكر في الغار أثناء الهجرة، وبين هذين الاثنين

وَكَأَنَّمَا انْتَبَذَا، لِكَيْمَا يَطْوِيَا عَنْ «نَاطِسٍ» خَبِراً مِنَ الْأَخْبَارِ
كأنهما انتبذا (ابتعدا) كي يطويا (يخفيا) حديثهما عن ناطس (شقي ثالث كان مصلوباً في مكان
الصلب هذا)

سُودُ الثِّيَابِ، كَأَنَّمَا نَسَجَتْ لَهُمْ أَيْدِي السَّمُومِ مَدَارِعاً مِنْ قَارِ
وهؤلاء المصلوبون الثلاثة كانت ثيابهم مسودة، فكأنما نسجت لهم ريح السموم مدارع (ثياباً) من
قار (قطران)

بَكَرُوا وَأَسْرَوْا فِي مُتُونِ ضَوَامِرٍ قِيدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرْبِطِ النَّجَارِ
كأنهم خرجوا باكراً راكبين متون ضوامر (ظهور خيل مضرة نحيلة) لكنها خيل جُرَتْ لهم بقيودها
من مربط النجار لا من مربط سائس الخيل (فهي أعواد خشبية لا خيول)

لَا يَبْرَحُونَ؛ وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهْمُ أَبْدَأُ عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ
غير أنهم لا يبرحون (لا يتحركون) وإن كان من رآهم ظنهم يزعمون سفرأ

فَاشْدُدْ بِهَارُونَ الْخِلَافَةَ، إِنَّهُ سَكَنُ لِحَوْشَتِهَا، وَدَارُ قَرَارِ
اشدد ساعد الخلافة بابنك هارون (الوائق) فهو يسكن وحشتها (واستوحشت بعد خيانة وإعدام
القائدين الأفشين ومازيار)، ويأتي لها بالاستقرار

بِفَتَى بَنِي الْعَبَّاسِ، وَالْقَمَرِ الَّذِي حَقَّقَتْهُ أَنْجُمُ يَغْرُبُ وَنِزَارِ
هو قمر تحيط به نجوم (كبار القوم) من يعرب (قبائل اليمن) ونزار (قبائل عدنان)

لَيْسَ سِيرَ فِي الْأَفَاقِ سِيرَةً رَافِيَةً وَيَسُوسُهَا بِسَكِينَةٍ وَوَقَارِ
فَالصَّيْنُ مَنظُومٌ بِأَنْدَلُسٍ، إِلَى حَيْطَانِ رُومِيَّةٍ، فَمُلْكُ دِمَارِ
وكان المعتمصم ينوي غزو الأندلس وضمها إلى ملكه ومات عن ذلك. ودمار مملكة يمنية، ورومية
هي القسطنطينية، وقد وصل المعتمصم قريباً من أسوارها فعلاً

وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ مَعْصَمٌ مَا كُنْتَ تَتَرُكُهُ بِغَيْرِ سِوَارِ
وإنك قد علمت أَنَّ الخلافة معصم (رسغ اليد) وكنت لا بد أن تحليه بسوار هو الواائق

فَالْأَرْضُ دَارٌ أَقْفَرْتُ، مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ هَاشِمٍ رَبٌّ لِتِلْكَ الدَّارِ
سُورُ الْقُرْآنِ الْغُرُّ فَيَكُنُّمُ أَنْزَلْتُ، وَلَكُمُ تُصَاغُ مَحَاسِنُ الْأَشْعَارِ
القران: القرآن

١٤٦ اقتال القوافي

بمدح المعتصم بالله:

بِالْقَائِمِ الثَّامِنِ الْمُسْتَخْلَفِ اطَّأَدْتُ قَوَاعِدُ الْمَلِكِ، مُتَدَّأً لَهَا الطَّوْلُ
بالخليفة القائم (الحالي)، وهو ثامن بني العباس في الخلافة، اطَّأَدْتُ (توطدت) دعائم الملك،
وامتد لها الطول (الحبل) أي دامت زمناً طويلاً

يَهْنِي الرِّعْيَةَ أَنَّ اللَّهَ، مُفْتَدِرًا، أَعْطَاهُمْ، بِأَبِي إِسْحَقَ، مَا سَأَلُوا
هنيئاً للرعية! فالله باقتداره أعطاهم في شخص أبي إسحق (المعتصم) أمانهم

لَوْ كَانَ فِي عَاجِلٍ مِنْ آجِلٍ بَدَلٌ، لَكَانَ فِي وَغْدِهِ مِنْ رِفْدِهِ بَدَلٌ
لو كان العاجل ينوب عن الآجل، لكان مجرد وعده يكون بديلاً من رفده، ذلك أنه إذا وعد فلا مجال
للخلف. يسأل الأمدي في «الموازنة»: ولماذا لا يكون في العاجل بدل من الآجل؟ ولو أردنا أن نسأل
أبا تمام عن كل معنى معقد له لما غادرنا بيتاً في ديوانه إلا وعلقتنا عليه الأسئلة تعليقاً

تَغَايَرَ الشُّعْرُ فِيهِ، إِذْ سَهَرْتُ لَهُ، حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَافِيهِ سَتَقْتَلُ

غارت الأبيات بعضها من بعض وأنا سهران أنظم فيه الشعر، وظننت القوافي ستقتل
لتقعد في أماكنها. وحق «قوافيه» أن تكون «قوافيه» بالنصب مفعولاً أول لظن، ولكن:
الضرورة شيء خبره من نظم الشعر: تأتي الكلمة البديعة التي تكون قافية مجلجلة في
آخر البيت، ثم يأتي البيت الذي يليه فيطلب الكلمة نفسها، ويضطرع عليها البيتان؛
أو تأتي كلمات كثيرات كل منها رائع ويصلح لموضع القافية، وتتصارع القوافي
للحلول في نهايات الأبيات. وقد يصنع الشاعر قائمة بالكلمات المناسبة للقافية،
والويل للكلمة التي فاتها قطار القصيدة، ولم تجد لها مكاناً. لم أر شاعراً عبر عن
هذا بأوجز وأحلى من أبي تمام هنا (لهذا البيت قصة، وقصصناها في شرحنا لقصيدة
البحري ذات الرقم ١٠٤ في هذا الكتاب)

شَرِسْتُ، بَلْ لِنْتُ، بَلْ قَانَيْتُ ذَاكَ بِذَا، فَأَنْتَ، لَا شَكَّ، فِيكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
كنت شرساً، بل لبنياً؛ لا، بل قانيت (خلطت) بينهما، ففبك الصفتان

وَمَشْهَدٍ بَيْنَ حُكْمِ الذُّلِّ مُنْقَطِعٍ صَالِيهِ، أَوْ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلٌ..

رب مشهد حربي صاليه (المكتوي بناره) منقطع (منكسر) محكوم عليه بالذل إذا جبن، أو يكون
شجاعاً وعندئذ يصح قريباً من الموت

جَلَيْتَ، والموت مُبْدٍ حُرٍّ صَفَحْتِهِ، وقد تَفَرَّعَنَ فِي أَوْصَالِهِ الْأَجَلُ

هذا المشهد جلّيته (كشفته) بينما الموت كاشف عن حُرِّ صفحته (البارز من وجهه) وقد تفرعن (طغى كفرعون) الموت في أوصال (مفاصل) هذا الموقف. تعليق عمران القفيني: (وقتها قامت قيامة أبي تمام، فضحوه على «تفرعن» لأنها «ليست فصيحة»، ثم مضى زمن طويل وأصبحت الكلمة سائرة لا يخطر ببال أحد أنها لا تستقيم والقياس ولا حتى السماع. سيأتي زمن يا صديقي يترك فيه الناس ما تتسلى به أنا وأنت من غريب اللغة وفصيحها. وهذا الكلام.. إني - وحياتك - أراه قريباً). المؤلف: موافق

آل النَّبِيِّ، إِذَا مَا ظَلَمْتُ طَرَقْتُ، كَانُوا لَنَا سُرُجًا، أَنْتُمْ لَهَا شُعْلٌ

آل النبي هم سرج (مصاييح) الظلمات، وأنتم (يا بني العباس) الشعلة نفسها

يَسْتَعْدِبُونَ مَنَايَاهُمْ، كَأَنَّهُمْ لَا يَبْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

١٤٧ وقفنا على جمر الوداع

يمدح المعتصم:

أَجَلْ! أَيُّهَا الرَّبُّعُ الَّذِي خَفَّ أَهْلُهُ لَقَدْ أَدْرَكْتَ فَبِكَ النَّوَى مَا تُحَاوِلُهُ

نعم، أيها الربع (المكان) الذي خف (رحل) أهله (سكانه)، لقد أدركت النوى (حقّق الفراق) ما تحاوله (فك) (ضدك)، فما قد أصبحت مقفراً خرباً

وَقَفْتُ، وَأَخْشَائِي مَنَازِلُ لِلْأَسَى بِهِ، وَهُوَ قَفَرٌ قَدْ تَعَفَّتْ مَنَازِلُهُ

وقفت بهذا الربع وجوفي قد أصبح منزلاً للحزن، والربع نفسه قفر قد تعفت (امّحت) منازل

أَسْأَلُكُمْ: مَا بَالُهُ حَكَمَ الْبَلَى عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَاتْرُكُونِي أَسْأَلُهُ

فيا أصحابي! لماذا حكم البلى (ال تلف) على هذا الربع؛ وإلا (ألا) تجيبوني: إن لم تجيبوني فاتركوني أسأله!

وَقَفْنَا عَلَى جَمْرِ الْوَدَاعِ عَشِيَّةً، وَلَا قَلْبَ إِلَّا وَهُوَ تَغْلِي مَرَاجِلُهُ

وفي الكَلَّةِ الصَّفْرَاءِ جُوْذُرُ رَمْلَةٍ عَدَا مُسْتَقِيلاً، وَالْفِرَاقُ مُعَادِلُهُ

وداخل الكلة (الستر) التي تجلج الهدج جؤذر رملة (فتاة شبيهة بصغير البقرة الوحشية التي تعيش في الصحراء) أصبح مستقلاً (راكباً)، والفراق معادل (راكب يعادله على الجهة الأخرى). فالفتاة ركبت البعير وركب معها الفراق. ولو شاء أبو تمام لجعل الفراق يبقى في الربع وكفى النقاد القدامى ما خاضوا فيه من قول في هذا البيت

أَتَتْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ أَتَى عَلَيْهَا الْمَلَا: أَدْمَانُهُ وَجَرَاوِلُهُ

أتتك ناقتي يا أمير المؤمنين بعد أن أتى عليها وأنهكها الملا (الأرض الواسعة) بأدمانه (سهوله) وجراوله (حجارته)

رَعَى اللّهُ فِيهِ لِلرَّعِيَّةِ رَأْفَةً تَزَايِلُهُ الدُّنْيَا، وَلَيْسَتْ تَزَايِلُهُ

عند الخليفة رافة بالرعية قد حرسها الله، وهذه الرافة تبقى معه طول عمره

وَقَامَ، فَقَامَ الْعَدْلُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ خَطِيئاً، وَأَصْحَى الْمَلِكُ قَدْ شَقَّ بَازِلُهُ

شق بازل البعير: برز نابه، أي كبر وترعرع

وَجَرَدَ سَيْفَ الْحَقِّ، حَتَّى كَانَتْهُ مِنَ السَّلِّ مُودٍ غِمْدُهُ وَحَمَائِلُهُ

جرد السيف على الأعداء بالحق، وظل مسلولاً حتى ظن المرء أنه مود (منعدم) غمده (جرايه) وحمائله (سيوره التي بها يعلق)

وَكَمْ نَاكِثٍ لِلْعَهْدِ قَدْ نَكَثَتْ بِهِ أَمَانِيهِ، وَاسْتَخَذَى لِحَقِّكَ بَاطِلُهُ

فَأَمَكْنَتْهُ مِنْ رُمَّةِ الْعَفْوِ رَأْفَةً وَمَغْفِرَةً، إِذْ أَمَكْنَتْكَ مَقَاتِلُهُ

فأمكنته من الإمساك برمة (حيل) العفو بعد أن تمكنت منه

وَحَاطَ لَهُ الْإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ رُوحَهُ وَجُثْمَانَهُ، إِذْ لَمْ تَحْطُهُ قَبَائِلُهُ

وحاط (حمى) له اعترافه بالذنب روحه وجسمه، إذ لم تحمه قبائله

إِذَا مَارِقَ بِالْغَدْرِ حَاوِلَ غَدْرَةٍ فَذَاكَ حَرِيٌّ أَنْ تَنْسِمَ حَلَائِلُهُ

تسيم: تترمل، حلائله: أزواجه

فَإِنْ بَاشَرَ الْإِضْحَارَ، فَالْبَيْضُ وَالْقَنَا قِرَاءَهُ، وَأَحْوَاضُ الْمَنَايَا مَنَاهِلُهُ

فإن بدأ بالإضجار (الخروج إلى الصحراء عاصياً) فالبيض (السيف) والقنا (الرماح) قراه (طعامه)، وأحواض الموت مناهله (مواضع شربه)

وَلِنْ يَبْنِ حَيْطَانًا عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا أَوْلِيكَ عُقَّالَاتُهُ، لَا مَعَايِلُهُ

عقالاته: العقال داء يصيب الفرس فيعطله عن السير

يُيْمِنُ أَبِي إِسْحَاقَ طَالَتْ يَدُ الْعُلَى، وَقَامَتْ قَنَاةُ الدِّينِ، وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ

كاهله: ظهره

هُوَ الْيَمُّ: مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتُهُ فَلَجَّتُهُ الْمَعْرُوفُ، وَالْجُودُ سَاحِلُهُ

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا، فَلَيْتَنِي اللّهُ سَائِلُهُ

عَطَاءً لَوْ اسْطَاعَ الَّذِي يَسْتَمِيحُهُ لِأَصْبَحَ، مِنْ بَيْنِ الْوَرَى، وَهُوَ عَاذِلُهُ

يستميحه: يطلب عطاءه. يقول: إن عطاءه كبير حتى ليكاد المحظوظ ينبله يعذله (يلومه) على إسرافه فيه

١٤٨ المشكاة والنبراس

يمدح أحمد ابن الخليفة المعتصم:

ما في وقوفك ساعةً من بَاسٍ نَقْضِي ذِمَامَ الْأَرْبَعِ الْأُدْرَاسِ
لا بأس بوقوفك ساعةً عند أطلال الحبيبة لقضاء ذمام (عهود) الأربع (المنازل) الأدراس
(الدارسة، الممحوة الأثر)

فلعلَّ عينك أن تُعِينَ بِمائها؛ والدمعُ منه: خَاذِلٌ ومُواسٍ
خاذل: مقصر عن النجدة، مواسٍ: الذي يواسي

بَذَرُ أَطَاعَتْ فِيكَ بَادِرَةَ النوى وَلَعَاءُ، وَشَمْسٌ أُولَعَتْ بِشَمَاسٍ
الحبيبة بدر، وقد أطاعت فيك (ضدك) بادرة (مصيبة) النوى (الفراق) وَلَعَاءُ (كَيْدًا)؛ يقول: هي بدر
وقد أطاعت الفراق ففارتك، وهي شمس، وقد أولعت (أغرمت) بالشماس (العناد)

وَإِذَا مَشَتْ تَرَكْتُ بِصَدْرِكَ ضِعْفَ مَا بِحُلِيِّهَا مِنْ كَثْرَةِ الْوَسْوَاسِ
عندما تمشي المحبوبة تترك في قلبك من الوسواس (القلق) ضعف ما يصدره عليها من الوسواس
(خشخشة الأساور والعقود)

قالت، وقد حُمَّ الْفِرَاقُ، فَكَأْسُهُ قَدْ خُوِّلِطَ السَّاقِي بِهَا وَالْحَاسِي:
قالت لي، وقد حم (فُدِّرَ) الفراق، وكأس الفراق قد خولط (جُنَّ) بسبيها الساقى والشارب معاً
(المفارق والماتك كلاهما حزين). جعلها في هذا البيت حزينة أيضاً

لَا تَنْسِينَ تِلْكَ الْعُهُودَ، فَإِنَّمَا سُمِّيتَ إِنْسَانًا لِأَنَّكَ نَاسِي
قالت: لا تنس عهودنا.. تناقض؟ في البداية نراها معاندة ومولعة بالصدود، ثم إذا هي قد جنت
للفراق، وتوصيه بحفظ العهد. مَنْ خَيْرَ الحسان يعرف أن هذا من شأنهن، فلا تناقض

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا أَقْوَاتَهَا لِتَصْرُفِ الْأَحْرَاسِ
الله يوتي المخلوقات أرزاقها لتصرف الأحراس (بسبب تقلب الدهور)، فتقلب الدهر إحساناً لناس
وظلماً لناس يسبب الرزق لكل الناس

فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَى لَهَا، وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَّاسِ
فالأرض - وهي من مخلوقات الله - يعطيها الله قراها (رزقها) من معروف السماء (المطر)، وبنو
الرجاء (الناس) والناس دوماً على رجاء وترقب) ليس لهم إلا بنو العباس

الْقَوْمُ ظِلُّ اللَّهِ، أَسْكَنَ دِينَهُ فِيهِمْ، وَهُمْ جَبَلُ الْمُلُوكِ الرَّاسِي
بنو العباس ظل الله على الأرض. هم حماة الدين، والجبل الراسي الراسخ الذي يحتمي به الملوك
(والملوك في القاموس العباسي هم الولاة وحكام الأقاليم، وكل من يملك قراراً)

أُبْلِيَتْ هَذَا الْمَجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ فِيهِ، وَأَكْرَمَ شَيْمَةً وَنَحَاسٍ
أُبْلِيَتْ أَيُّهَا الْمَمْدُوحُ بِلَاءَ حَسَنًا فِي الْمَجْدِ فَوَصَلَتْ إِلَى أَبْعَدَ مَدَى، وَحَقَّقَتْ الْأَمَلَ مِنْ أَكْرَمَ شَيْمَةٍ
(خَصْلَةٌ) وَنَحَاسٍ (طَبِيعَةٌ)

إِقْدَامُ عَمْرٍو، فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ، فِي جِلْمٍ أَحْتَفَ، فِي ذِكَاةِ إِيَّاسٍ

لك شجاعة عمرو (بن معديكرب الزبيدي)، وسماحة (سَخَاء) حاتم (الطائي)، وحلم
الأحنف (بن قيس)، وذكاء القاضي إياس (بن معاوية). تقول القصة التي رواها كل
من كتب عن أبي تمام، منذ الصولي حتى يومنا هذا: بعدما أنشد أبو تمام هذا
البيت، اعترض أحد جلساء الأمير، وقال: كيف تشبه الأمير بهؤلاء السوقة (يقصد
بالسوقة أنهم ليسوا أمراء)؟ فأكمل أبو تمام إنشاده.. بقية القصة في البيتين التاليين..

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

لا تنكروا أنني أضرب له مثلاً شَرُوداً (سائراً) مثبِّهاً إياه في الندى (الكرم) والبأس (الشجاعة) بمن
هو دونه في القدر. وهنا يطلب الشاعر ألا ينكر المنكرون عليه ضرب أمثلة للأمير ممن هم دونه
في المنزلة..

فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

فالله ضرب لنوره مثلاً من المشكاة (التجويف في الجدار) والنبراس (المصباح
الموضوع فيها).. «الله نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح..»
الآية. خير مثال على ضرب المثل ممن هو أدنى لمن هو أعظم أن الله شبه نوره بنور
مصباح! تنمّة القصة التي بدأناها قبل بيتين: عندما أنهى أبو تمام إنشاد قصيدته،
نظروا في الرقعة التي بيده، فلم يجدوا البيتين السابقين. فعجبوا لحدة ذهنه وسرعة
بديته، فقد ارتجل البيتين، وإنهما لَمِنَ فاخر الشعر، ارتجالاً. ولما خرج أبو تمام
من المجلس، قال الكندي الفيلسوف: هذا الرجل قد استفرغ ذهنه حتى جاء بهذين
البيتين، ولا أراه يعيش بعدهما طويلاً (عبارة صاحب «العمدة»: هذا رجل ينحت من
قلبه). وفعلاً مات أبو تمام بعد أربعين يوماً. من شبه المؤكد أن القصة بكاملها
مصنوعة، رغم أنها - بل لأنها - طريفة، فأبو تمام ارتحل بعد هذه القصيدة إلى
الموصل وعاش بها ستين قبل أن يموت

غَلَبَ السُّرُورُ عَلَى هُمُومِي بِالَّذِي أَظْهَرَ مِنْ بَرِّي، وَمِنْ إِيْنَاسِي

إيناسي: تبديد قلقي

١٤٩ صاحب القلادة الجديد

يمدح الواثق ويهته بالخلافة، ويرثي أباه المعتصم بالله:

لَا قَدْحَ فِي عُودِ الْإِمَامَةِ بَعْدَمَا مَثَّتْ إِلَيْكَ بِحُرْمَةٍ وَذِمَامٍ

لا عيب في الخلافة بعد أن مت إليك (ارتبطت بك) بعهد يحرم نقضه

هَيْهَاتَ! تِلْكَ قِلَادَةُ اللَّهِ الَّتِي مَا كَانَ يَتْرُكُهَا بِغَيْرِ نِظَامٍ

هيهات أن ينالها عيب، فهي قلادة الله (عقده) التي لا يتركها تنتثر

لَسْنَا مُرِيدِي حُجَّةٍ تَشْفِي بِهَا، مِنْ رَبِيبَةٍ، سُقْمًا مِنَ الْأَسْقَامِ

لا نبحث عن حجة لنشفي أي سقم (خلل) نرتاب في وجوده

الصُّبْحُ مشهورٌ بِغَيْرِ دَلَائِلٍ، مِنْ غَيْرِهِ ابْتِغَيْتَ، وَلَا أَعْلَامُ

الصبح لا يشكك فيه أحد، ولا يحتاج دليلاً عليه يُطلب من غير نفسه، ولا أعلاماً (جبالاً): وهي عند العرب معالم يستدلون بها في صحاريهم

١٥٠ في بعض القلوب عيون

يمدح الواصل بالله:

جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِيهِ رَبُّ قَوْلُهُ، سُبْحَانَهُ، لِلشَّيْءِ: كُنْ، فَيَكُونُ

ولقد رأيناها له بقلوبنا؛ وَظُهُورُ خَطْبٍ، دُونَهُ، وَبُطُونُ

رأينا الخلافة لا تصلح إلا له؛ في وقت كانت بعيدة جداً عنه، ودونه (بينه وبينها) ظهور الخطب (الأمم) وبطونه.. أي أن كل الدلائل كانت تشير إلى أن الخلافة لن تكون له

وَلِذَاكَ قِيلَ: مِنَ الظُّنُونِ جَلِيَّةٌ صِدْقٌ، وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عِيُونُ

جلية: حقيقة (ألسنا نقول جليلة الأمر؟)

جَاءَتْكَ، مِنْ نَظْمِ اللِّسَانِ، قِلَادَةٌ سِمْطَانٍ، فِيهَا اللُّلُؤُ الْمَكْنُونُ

قصيدتي كقلادة مزدوجة من سمطين (سلكين)، وفيها اللؤلؤ المكنون (الذي كان مخبأً في محاراته)

إِنْسِيَّةٌ، وَخَشَبِيَّةٌ، كَثُرَتْ بِهَا حَرَكَاتُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَهِيَ سَكُونُ

قصيدتي فيها المأنوس من الألفاظ وفيها الوحشي (الغريب)، ويرويه الناس ويتناقلونها وهي سكون (ساكنة)

أَمَّا الْمَعَانِي: فَهِيَ أَبْكَارٌ إِذَا نُصِّتَتْ، وَلَكِنَّ الْقَوَافِي عَوْنُ

المعاني أبكار (عذارى/ مبتكرة) إذا نُصِّتْ (فُحص عنها)، ولكن القوافي عون (سبق لها الزواج/ استعملها قبلي الشعراء)

أَخَذَاكَهَا صَنَعُ اللِّسَانِ، يُمِدُّهُ جَفَرٌ، إِذَا نَضَبَ الْكَلَامُ، مَعِينُ

أخذاكها (أعطاكها) صنع اللسان (حاذق اللسان)، يُمدُّه جفر (بشر) يظل معيناً (غزيراً) عندما ينضب الكلام (يجف)

وَيْسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا، لَا كَمَنْ هُوَ، بِإِنْهٍ وَيَشْغَرِهِ، مَفْتُونٌ
وهذا الشاعر يسيء الظن بأشعاره، لأنه يسعى دائماً للأفضل، وليس ممن هو مفتون (معجب)
بشعره افتتانه بأولاده

١٥١ السيل حرب للمكان العالي

يمدح الحسن بن رجاء:

كُفِّي وَعَاكِ، فَإِنْسِي لِكَ قَالٍ لَيْسَتْ هَوَادِي عَزَمَتِي بِتَوَالٍ
كفي عني وعاك (صخبك/ والوغي على الأصل الصخب) فإني قال لك (هاجر)، فهوادي (طلانغ)
عزيمتي ليست بالتوالي (المتأخرة في ذيل القافلة)

يقول: عزيمته مثل طلانغ الركب المتقدمة، لا مثل التوالي التي في الخلف

أَنَا ذُو عَرَفٍ، فَإِنْ عَرَّتْكَ جَهَالَةٌ أَنَا الْمَقِيمُ قِيَامَةَ الْعُذَالِ
أنا ذو (الذي/ بلغة طيء) عرف، فإن عرتك (تداخلتك) جهالة بي، فاعلمي أنني شديد على العذال
(اللائمين)

لَا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى فَالَسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي

العطل: الخلو من المكياج والإكسسوارات، والفتاة العاطل هي التي لم تلبس الأساور ولم تزين،
مستغنية بجمالها. يقول: لا تنكري أن يكون الكريم الأصل فاقداً الغنى، فالسيل (المال) حرب
(عدو) للمكان العالي. يقول: السيولة المالية تهرب من الكريم مثلما ينزلق ماء السيل عن الأماكن
المرتفعة

وَتَنْظُرِي خَبَبَ الرِّكَابِ يَنْصُهَا مُحْيِي الْقَرِيضِ إِلَى مِمِيتِ الْمَالِ

ترقي خبب الركاب (سير الإبل) ينصها (يحثها على السير) محيي القريض (الشعر) إلى مميت المال
(الممدوح الذي يفني الأموال ببذلها)

لَمَّا بَلَّغْنَا سَاحَةَ الْحَسَنِ انْقَضَى عَنَّا تَعَجْرُفُ دَوْلَةِ الْإِمْحَالِ

انقضى عنا (زال) تعجرف (قسوة) دولة الإمحال (عهد الفقر)

وَرَأَيْتَنِي، فَسَأَلْتُ نَفْسَكَ سَبَبَهَا لِي، ثُمَّ جُدَّتْ، وَمَا انتظرت سؤالي

سببها: عطاها

كَالْغَيْثِ، لَيْسَ لَهُ، أُرِيدَ عَمَامُهُ أَوْ لَمْ يُرَدْ، بُدُّ مِنَ التَّهْطَالِ

أنت كالمطر الذي ينزل سواء أَرَادَهُ الناس أم لا

١٥٢ ابتسام الرأي والأدب

يمدح الحسن بن سهل:

أَبَدْتُ أَسَى أَنْ رَأَيْتِي مُخْلِسَ الْقُصْبِ وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجَبٍ
حزنت هذه المرأة عندما رأيتي مخلص (مختلط) القُصْب (الخصلات) - أي شاب شعري الشيب -
وقد آل (تحول) عجبها (إعجابها بي) إلى عجب (تعجب)

سِتُّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَأَتَّبِعُهَا إِلَى الْمَشِيبِ، وَلَمْ تَظْلِمِ وَلَمْ تَحِبْ
ست وعشرون سنة تجرني نحو الشيب، ولم تظلمني ولم تحب (والحوب هو الظلم)، فالسنوات
ليست هي سبب الشيب بل الهموم

وَلَا يُورِّقُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ
لا تَأْرُقُ لإيماض (لمعان) القتير (الشيب) برأسك، فالشيب كأنه ابتسام الرأي (الحكمة) والأدب

١٥٣ أنا والشعر

يعاتب أبا القاسم بن الحسن بن سهل:

أَيَّايَ جَارَى الْقَوْمِ فِي الشَّعْرِ! ضَلَّةٌ! وَقَدْ عَايَنُوا تِلْكَ الْقَلَائِدَ مِنْ نَظْمِي
أيجاروني في الشعر؟ أضلهم الله! بعد أن رأوا تلك القلائد التي هي قصائدي

طَلَعْتُ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ كُلِّ تَلْعَةٍ وَأَشْرَفْتُ إِشْرَافَ السَّمَاءِ عَلَى الْخَصْمِ
طلعت عليهم من وراء كل تلعة (تلة) طلوع الشمس، وأشرفت على خصمي كالسماك (نجم بعيد)

وَمَا أَنَا بِالْغَيْرَانِ، مِنْ دُونِ جَارِهِ، إِذَا أَنَا لَمْ أَصْبِحْ غَيُورًا عَلَى الْعِلْمِ
لا أكون غيوراً على جاري (المتجبر بي) حامياً له، إن لم أكن غيوراً على العلم

لَصِيقُ فُؤَادِي، مُذْ ثَلَاثُونَ حِجَّةً، وَصَيْقُلُ ذِهْنِي، وَالْمَرَّوحُ عَنْ هَمِّي
العلم (والشعر عندهم علم نحو وصرفي ومفردات) لصيق بقلبي منذ ثلاثين سنة، وهو صيقل
(صاقل) ذهني، ومخفف همي

١٥٤ أخو الأسفار

يمدح الحسن بن سهل:

وَعَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَشَرَّقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا
حُطُوبٌ إِذَا لَاقِيَتْهُنَّ رَدَدَنِّي جَرِيحاً، كَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْكِتَابَا

وكنْتُ امرأً أَلْقَى الزَّمانَ مُسَالِماً، فَالَيْتُ لا أَلْقَاهُ إِلا مُحَارِباً
أَلَيْتُ: حلفت

١٥٥ حلاوة القصائد

يعاتب محمد بن سعيد كاتب الحسن بن سهل:
لَمْ تُسَقِّ، بَعْدَ الْهَوَى، مَاءً عَلَى ظَمَأٍ كَمَاءٍ قَافِيَةٍ يَسْقِيْكَهَا فَهْمُ
باستثناء الهوى، ليس شيء يرويك رأي الشارب وهو ظمآن،
مثل قصيدة تسمعها من شاعر فهم (ذكي)
مِنْ كُلِّ بَيْتٍ، يَكَاذُ الْمَيْتُ يَفْهَمُهُ حُسْنًا، وَيَحْسُدُهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
ما لي وما لك شبه حين أنشده، إلا زهير، وقد أصغى له هريم
أنا وأنت «كزهير بن أبي سلمى» وهو يمدح «هريم بن سنان»

١٥٦ الإخوة والإخوان

يمدح سليمان بن وهب، ويشفع في سليمان بن رزين بن أبي دعلب الخزاعي:
ذُو الْوُدِّ مِنِّي، وَذُو الْقُرْبَى يَمْنَزِلُهُ وَإِخْوَتِي أُسُوءُ، عِنْدِي، وَإِخْوَانِي
الإخوة: الأشقاء؛ الإخوان: الأصدقاء
عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدَابُهُمْ أَذْيَبِي، فَهْمُ، وَإِنْ فُرِّقُوا فِي الْأَرْضِ، جِيرَانِي
أزواحننا في مكان واحد؛ وغدث أبداننا في شام، أو خراسان

١٥٧ قلبي لكم، وقلبي لغيركم

يمدح سليمان بن وهب:
كُلُّ شَيْعٍ كُنْتُمْ بِهِ، آلَ وَهْبٍ، فَهُوَ شَيْعِي، وَشَيْعُ كُلِّ أَدِيبٍ
شعب: طريق
لَمْ أَرَلْ بَارِدَ الْجَوَانِحِ مُذْ خَضَ خَضَعْتُ دَلْوِي فِي مَاءِ ذَاكَ الْقَلْبِ
ظللت بارد الجوانح (مرتوباً)، منذ خضضت (حركت) دلوي في ماء ذاك القلب (البئر). يقول:
منذ نلت عطاءكم وأنا مرتو
إِنْ قَلْبِي لَكُمْ لَكَالْكَبِدِ الْحَرِّ - ي، وَقَلْبِي لِغَيْرِكُمْ كَالْقُلُوبِ
قلبي حارٌّ من حبكم كأكباد العاشقين، ولغيركم.. عادي

١٥٨ يا فصيح، يا بليغ

يمدح الحسن بن وهب ويصف غلاماً أهده له :

وَإِذَا رَأَيْتُكَ، وَالْكَلَامُ لَآلِيٌّ تُوْمُ فَيَكُرُّ فِي النِّظَامِ وَثِيْبٌ
إِذَا رَأَيْتَكَ وَالْكَلَامُ يَتَسَاوَمُ مِنْ فَمِكَ مِثْلَ اللَّالِيِ التَّوْمِ (التَّوْمَةُ اللَّوْلُؤَةُ الْكَبِيرَةُ)، فَمِنْهَا فِي النَّظَامِ (العقد)
لَوْلُؤَةٌ لَمْ تَقْبَ مِنْ قَبْلِ فَهِيَ بَكْرٌ، وَمِنْهَا لَوْلُؤَةٌ مَثْقُوبَةٌ فَهِيَ ثِيْبٌ (المرأة التي سبق لها زواج) ..
فَكَأَنَّ قُسًا فِي عُكَازٍ يَخْطُبُ، وَكَأَنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ تَنْدُبُ
.. فَكَأَنِّي إِذْ ذَاكَ أَرَى قَسَ بْنَ سَاعِدَةَ يَخْطُبُ فِي سَوْقِ عَكَازٍ، أَوْ كَأَنِّي أَرَى لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ تَنْدُبُ
حَبِيْبَهَا تَوْبَةً مِنَ الْحَمِيْرِ

وَكَثِيْرٌ عَزَّةٌ يَوْمَ بَيْنِ يَنْسُبُ، وَابْنُ الْمَقْفَعِ فِي الْيَتِيْمَةِ يُسْهِبُ
وَكَأَنِّي بِرُؤْيَيْكَ تَتَكَلَّمُ أَرَى كَثِيْرَ عَزَةٍ (كثيْرُ عَزَةٍ) يَوْمَ بَيْنِ (فراق) يَنْسَبُ (يتغزل)، وَابْنُ الْمَقْفَعِ فِي
رِسَالَتِهِ «الْيَتِيْمَةُ» يَسْهِبُ فِي الْقَوْلِ

١٥٩ أفسدتك النعمة

يعاتب الحسن بن وهب :

أَلْهَيْتُكَ، عَنْ حَاجَةٍ ضَيِّعَتْ حُرْمَتَهَا، وَلاِيَةً؛ وَدَوَاعِي النَّفْسِ تُتْهِمُ
مَنْسَبَ الْوَلَايَةِ أَهْلَاكَ عَنْ حَاجَاتِنَا، وَدَوَاعِي النَّفْسِ (مَا يَدْعُو النَّفْسَ إِلَى قَلَةِ الْمَرْوَةِ) هِيَ السَّبَبُ
الَّذِي نَتَّهِمُهُ (نَظَنَّهُ)

أَنْشَبْتَ نَفْسَكَ فِي ظُلْمَاءٍ مُسْدِفَةٍ، وَأَفْسَدْتَكَ عَلَى إِخْوَانِكَ النَّعْمِ
أَنْشَبْتَ (وَرَطْتَ) نَفْسَكَ فِي ظُلْمَاءٍ مُسْدِفَةٍ (كثيفة)، وَأَفْسَدْتَكَ النِّعْمَةَ عَلَى أَصْحَابِكَ
دُنْيَا! وَلَكِنَّهَا دُنْيَا سَتَنْصَرِّمُ، وَآخِرُ الْحَيَاوَانِ الْمَوْتُ وَالْهَرَمُ
سَتَنْصَرِّمُ: سَتَنْتَهِي، الْحَيَاوَانُ: كُلُّ حَيٍّ

١٦٠ أسير كرم آبائه

يمدح الحسن بن وهب، ووجه بها إليه من الموصول :

وَإِبْنُ الْكَرِيْمِ مُطَالِبٌ بِقَدِيْمِهِ عَلِيْقٌ، وَصَافِي الْعَيْشِ لَابْنِ الزُّمَلِ
عَلِيْقٌ: أَسِيرٌ تَعَدَّرَ فِدَاؤُهُ، الزُّمَلُ: الضَّعِيْفُ

وَالْحَمْدُ شَهْدٌ، لَا تَرَى مُشْتَارَةً يَجْنِيهِ إِلَّا مِنْ نَقِيعِ الْحَنْظَلِ
مُشْتَارُ الْعَسَلِ: جَانِيهِ مِنْ خَلَايَاهُ، نَقِيعُ الْحَنْظَلِ: مَاءُ الْحَنْظَلِ الْمَرِّ: يَقُولُ إِنْ السَّمْعَةَ الطَّيْبَةَ عَسَلَ،
وَلَكِنْ لَا بَدَّ قَبْلَ الْحَصُولِ عَلَيْهِ مِنْ تَجَرُّعِ مَاءِ الْحَنْظَلِ أَيْ بِذَلِكَ الْجَهْدِ الْكَبِيرِ

١٦١ صاحب الحظوة

بمدح الحسن بن وهب:

تَشْكَى الْأَيْنَ مِنْ نِصْفِ سَرِيعٍ إِذَا قَامَتْ، وَمِنْ نِصْفِ بَاطِلٍ
تشكى هذه المرأة عند قيامها الأين (التعب) من نصف سريع (نصفها الأعلى) ومن نصف بطيء (مؤخرتها الكبيرة)

وَمَحْدُودِ الذَّرِيعَةِ سَاءَهُ مَا تَرَشَّحَ لِي مِنَ السَّبَبِ الْحَظِيِّ
رب شاعر محدود الذريعة (محروم من الوساطة) قيل قصد بذلك دعلاً الشاعر) وقد ساء ما ترشح لي (وصلني) من السبب الحظي (العلاقة والخطوة)

يَدِبُ إِلَيَّ فِي شَخْصٍ ضَّئِيلٍ، وَيَنْظُرُ مِنْ شَفَا طَرْفٍ خَفِيٍّ
يأتيني متضائلاً، وينظر إلي بحسد من شفا (طرف) نظري خفي. يقول: ينظر إلي بطرف عينه حاسداً

وَيُثْبِعُ نِعْمَتِي بِكَ عَيْنَ ضِعْنٍ، كَمَا نَظَرَ الْيَتِيمُ إِلَى الْوَصِيِّ
الضغن: الحقد

رَجَاءٌ أَنَّهُ يُوْرِي بِرْزَنْدِي إِلَيْكَ، وَأَنَّهُ يَفْرِي فَرِيٍّ
يتمنى أن يوري (يشعل ناره) بزندي (بأداة إيقادي/ ولاعتي)، ويتمنى أن يفري فريي (يفعل فعلي)

وَذَاكَ لَهُ إِذَا الْعَنْقَاءُ صَارَتْ مَرْبَّيَّةً، وَشَبَّ ابْنُ الْخَصِيِّ
هذا يحدث إذا صارت العنقاء (الطائر الخرافي) مربية (داجنة)، وإذا كبر ابن الخصي (والخصي لا يولد له). أبو تمام يتسلى بمبالغة مضاعفة، فالعنقاء مستحيلة أصلاً، ولكنه يريد بها مثل الدجاجة؛ وابن الخصي غير ممكن أصلاً، ويريد أن يشب ويترعز

أَرَى الْإِخْوَانَ، مَا عُيِّتَ عَنْهُمْ، بِمَسْقَطِ ذَلِكَ الشَّعْبِ الْقَصِيِّ
عندما تغيب أيها الأمير عن الإخوان الشعراء فهم نكرات كأنهم قاعدون في مسقط (آخر) ذلك الشعب (الطريق) القصي

وَمَرْدُودٌ صَفَاؤُهُمْ عَلَيْهِمْ، كَمَا رَدَّ النَّكَاحُ بِلَا وَلِيٍّ
ولا أريد صفاءهم (صداقتهم) بل أردته رداً مثلما يرُدُّ الفقيه الزواج لعدم وجود ولي (فالحسن بن وهب وليهم الذي يرر وجودهم في مجلس الأدب)

وإِنَّ لَهُمْ لِإِحْسَانًا، وَلَكِنْ جَرَى الْوَادِي، فَطَمَّ عَلَى الْقَرِيِّ
بعضهم شعراء محسنون، ولكن أنا سيل الوادي الذي يطم على القرى (يغمر الجدول الصغير). رغم أنه مات عن أربع وأربعين سنة فإن أبا تمام حقق في حياته شهرة عظيمة، يكفي أن معاصره الجاحظ (وهو أسنُّ منه بنحو ثلاثين سنة) ينقل أبياتاً له كثيرة في «الحيوان» و«البيان والتبيين» في نحو عشرين موضعاً

وَهَلْ مَنْ جَاءَ بَعْدَ الْفَتْحِ يَسْعَى كَصَاحِبِ هِجْرَتَيْنِ مَعَ النَّبِيِّ؟

هل الذي أسلم بعد فتح مكة متأخراً كمن أسلم باكراً وهاجر مرة إلى الحبشة ومرة إلى يثرب، ورافق النبي

١٦٢ انزلاق النظر

يمدح الحسن بن وهب، ويصف فرساً حمله عليه:

دِمْنٌ لَوْتُ عَزَمَ الْفُؤَادِ، وَمُرَّتْ فِيهَا دُمُوعُ الْعَيْنِ كُلُّ مُمَرِّقٍ

هذه الدمن (أطلال المحبوبة) نثت عزمي عن المضي في السير واستوقفتني، وتمزقت (تفرقت) فيها دموع العين

تَأْبَىٰ مَعَ التَّضَرِيدِ إِلَّا نَائِلًا إِلَّا يَكُنْ مَاءَ قَرَاحًا، يُمَذِّقُ

تأبى المحبوبة مع التصريد (قطع شرب المرء قبل الري) إلا أن تعطينا نائلاً (وصلاً) مغشوشاً: فهو إما ماء قراح (صاف)، أو في أحسن الحالات حليب ممذوق (ممزوج بماء). وهم يعيون على المرء أن يقدم لضيفه ماء صافياً، فالضيف يريد لبناً

نَزْرًا، كَمَا اسْتَكْرَهَتْ عَائِرَ نَفْحَةٍ مِنْ فَارَةِ الْمَسْكِ الَّتِي لَمْ تُفْتَقِ

ونوالها نزر (قليل)، فهو كما استكرهت (اجتلبت بالإكراه) عائر نفحة (شمّة ضالة) من فارة المسك التي لم تفتق (الجلدة التي تحتوي المسك قبل فضاها)

يقول: وصلها قليل جداً فهو مثل تشميك شمّة من فارة مسك قبل فتحها. ويعدون هذا البيت من معاني أبي تمام المبتكرة التي لا يماري أحد في سبقه إليها

صَافِي الْأَدِيمِ، كَأَنَّمَا أَلْبَسْتُهُ مِنْ سُنْدُسٍ بُرْدًا، وَمِنْ إِسْتَبْرَقٍ

يصف الفرس: صافي الأديم (الجلد)، كأنه يلبس برداً (ثوباً) من سندس وإستبرق (من الديباج)

إِمْلِيسُهُ إِمْلِيدُهُ، لَوْ عُלِّقَتْ فِي صَهْوَتَيْهِ الْعَيْنُ لَمْ تَتَعَلَّقِ

إمليسه إمليده (هذا الفرس أملس، وأملد: ناعم)، وكأن العين تنزلق عن صهوته (جانبي ظهره) لملاسته

١٦٣ شاب رأسي

يمدح أحمد بن أبي دؤاد:

شَابَ رَأْسِي، وَمَا رَأَيْتُ مَشِيبَ الرَّ - أَسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ

من فضل (بسبب)

وَكَذَاكَ الْقُلُوبُ، فِي كُلِّ بُؤْسٍ وَنَعِيمٍ، طَلَانَعُ الْأَجْسَادِ

فالقلب، في الخير والشر، يسبق الجسد، فهو كطليعة الجيش التي تسبقه للاستطلاع

طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضِ، وَإِنْ عُمِدَ - رَزْتُ شَيْئاً أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ

مدة طويلة والبياض بشعري قليل فأنا أنكره (أستغرب وجوده)، وإن طال عمري قليلاً سأرى السواد في رأسي غريباً

١٦٤ تنصّل من غير جرم

قال يمدح القاضي أحمد بن أبي دؤاد الإيادي، ويعتذر إليه مما نسب إليه من الافتخار على مضر، وأبو تمام ينسب نفسه إلى طيء اليمانية:

لَقَدْ أَنْسَتُ مَسَاوِيَّ كُلِّ دَهْرٍ مُحَاسِنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُؤَادِ

وما سافرت في الأفاق، إلّا ومن جدواك راحلتي وزادي

جدواك: عطاوك

مَقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي، وَإِنْ قَلِقْتُ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ

ظني (ألمي) مقيم عندك، وإن قلقت (تقلقلت وتحركت) ركابي (إبلي) في البلاد

أَتَانِي عَائِرُ الْأَنْبَاءِ تَسْرِي عَقَارِبُهُ بِدَاهِيَةِ نَادِ

جاءني عائر الأنباء (النبا المنتشر) وعقارب هذا النبا تسري وتحمل معها داهية ناداً (موجعة)

نَنَا خَبِرْ كَأَنَّ الْقَلْبَ أُمْسَى يُجَرِّبُهُ عَلَى شَوْكِ الْقَتَادِ

الداهية هي نأ خبر (انتشار خبر) أصبح القلب بسببه كأنه يجر على شوك نبات القتاد الشائك

بِأَنِّي نِلْتُ مِنْ مُضَرٍّ. وَخَبَّتْ إِلَيْكَ شَكِيَّتِي حَبَبَ الْجَوَادِ

والخبر هو أنني انتقصت من مضر. وقد خبت (أسرعت) إليك شكواي من ظلم ناقلي الخبر إسرار الفرس في عدوه/ هذا هو المعنى الذي ألمحه

وَمَا رَبُّهُ الْقَطِيعَةَ لِي بِرَبْعٍ وَلَا نَادِي الْأَذَى مِنِّي بِنَادِ

النادي: المجلس

وَأَيْنَ يَجُورُ عَنْ قَضْدِ لِسَانِي وَقَلْبِي رَائِحٌ بِرِضَاكَ غَادٍ؟

وكيف يجور (يتحول) عن قصد (عن السيل المستقيم) لساني بينما قلبي دائم الرضا منك

وغيري يأكل المعروف سُحْتاً وَتَسْحُبُّ عَنْدَهُ بِيضُ الْأَيَادِي

سواي يأكل المعروف سحتاً (ينال الأعطيات مالاً حراماً بلا شكر عليه)، وتصبح الأيدي البيض (الإحسان) شاحبة عنده (متغيرة اللون مكدره بالانكران)

تَثَبَّتْ. إِنَّ قَوْلًا كَانَ زُورًا أَتَى الثُّعْمَانَ قَبْلَكَ عَنْ زِيَادٍ

فاستوثق من الخبر. فقديمًا جاء الملك النعمان خير كاذب عن زياد (النابعة الدياني)

إِلَيْكَ بَعَثْتُ أَبْكَارَ الْمَعَانِي يَلِيهَا سَائِقُ عَجَلٍ وَحَادٍ

بعثت إليك قصيدة معانيها أبكار (عذارى لم يقلهن شاعر من قبل) يليها (يتبعها) سائق يسوقها ومعها حادٍ (منشد) يحدوها

شِدَادَ الْأَسْرِ، سَالِمَةَ النَّوَاحِي مِنَ الْإِقْوَاءِ فِيهَا وَالسُّنَادِ

هذه المعاني هي أبيات شعر شديدة الأسر (قوية)، وسالمة من عيوب الشعر كالإقواء والسناد

يُذَلِّلُهَا بِذِكْرِكَ قِرْنُ فِكْرٍ إِذَا حَرَنْتَ فَتَسْلَسُ فِي الْقِيَادِ

يذلل هذه الأبيات (يروضها)، إذا حرنت (استعصت)، شاعر هو قرن فكر (صاحب تمحيص للشعر) فيصبح قيادها سلساً

مَنْزَرَةً عَنِ السَّرْقِ الْمَوْرَى مُكْرَمَةً عَنِ الْمَعْنَى الْمُعَادِ

أبيات منزرة عن السرقة المموهة، ومرتقية عن أن تكون معانيها مكررة

تَنْصَلَّ رُبُّهَا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ إِلَيْكَ، سَوَى النَّصِيحَةِ وَالْوَدَادِ

رب هذه الأبيات (صاحبها) تنصل من ذنب لم يرتكبه أصلاً، وليس لديه سوى النصيحة والوداد

وَمَنْ يَأْذُنُ إِلَى الْوَاشِينَ تُسَلِّقُ مَسَامِعُهُ بِأَلْسِنَةِ حِدَادِ

ومن يأذن (من يعطِ أذنه) للواشين يسلقوا سمعه بألسنتهم الجادة

١٦٥ فائدة الحسود

يمدح أحمد بن أبي دؤاد، ويعتذر إليه، ويستشفع بخالد بن يزيد:

ظَلَعْنَا فَكَانَ بُكَايَ حَوْلًا بَعْدَهُمْ ثُمَّ ارْعَوَيْتُ، وَذَاكَ حُكْمُ لَبِيدٍ

ظلعنا (رحلوا) فكان بكائي بعدهم سنة، ثم ارعويت (امتعت)، وذاك حكم لبيد الشاعر القاتل: ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

أَجْدِرُ بِجَمْرَةٍ لَوْعَةٍ إِطْفَاؤُهَا بِالذَّمِّعِ أَنْ تَزْدَادَ طُولَ وَقُودِ

ما أجدر جمرة اللوعة التي يكون إطفائها بالذم أن تنقد أكثر

يَا أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُؤَادٍ حُطَّتَنِي بِحَيَاظَتِي وَلَدَدَتْنِي بِلَدُودِي

يا أحمد بن أبي دؤاد قد حطتني (رعيتني) بما يناسب قدرتي، ولددتني (داويتني) بلدودي (بالدواء المناسب)

لَمَّا أَظَلَّتْنِي غَمَامُكَ أَصْبَحْتُ تِلْكَ الشُّهُودُ عَلَيَّ وَهِيَ شُهُودِي

لما أظلتني غمامات رضاك أصبح الذين يشهدون ضدي عندك يشهدون معي

مِنْ بَعْدِ أَنْ ظَنُّوا بِأَنْ سَيَكُونُ لِي يَوْمٌ بِبَغْيِهِمْ كَيَوْمِ عَبِيدِ

وكانوا يظنون أن بغيمهم سيجعل لي يوماً كيوم عيد بن الأبرص

(الذي جاء الملك في يوم يؤسه فكان نصيبه القتل)

نَزَعُوا بِسَهْمِ قَطِيعَةٍ يَهْفُوبُهُ رِيشُ الْعُقُوقِ، فَكَانَ غَيْرَ سَدِيدِ

نزعوا (شدوا وتر القوس) بسهم قطعة (وأرادوا أن يرسلوا من قوسهم سهم الوقعة) ويهفو (يطير)

بهذا السهم ريش هو العقوق، فكان السهم طائشاً

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ، أُنَاحَ لَهَا لِسَانُ حُسُودِ

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعْرَفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ

العرف (الرائحة الذكية)

لَوْلَا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

لولا التخوف للعواقب (النتائج الوخيمة) لظل الحاسد أعلى قدراً من المحسود لأنه هو الذي يظهر

فضل المحسود بحسده إياه

خُذْهَا مُثَقَّفَةً الْقَوَافِي، رَبُّهَا لِسَوَابِغِ النِّعْمَاءِ غَيْرُ كُنُودِ

خذ هذه القصيدة مثقفة القوافي (محككة ومشذبة)، ربها (صاحبها) غير كنود (غير جاحد) لسوابغ

النعماء (للنعم الكثيرة)

كَالطَّعْنَةِ النَّجْلَاءِ مِنْ يَدِ ثَائِرٍ بِأَخِيهِ، أَوْ كَالضَّرْبَةِ الْأَخْذُودِ

هذه القصيدة مثل الطعنة النجلاء (الواسعة) من يد ثائر بأخيه (أخذ بئراً أخيه)، أو هي كالضربة

الأخذود (التي تصنع أخذوداً أي شقاً)

كَالدَّرِّ وَالْمَرْجَانِ، أُلْفَ نَظْمُهُ بِالشَّدْرِ فِي عُنُقِ الْفَتَاةِ الرُّودِ

قصيدتي كالدر (اللؤلؤ الكبار) والمرجان (اللؤلؤ الصغار) المنظوم مع الشدر (قطع الذهب الصغار)

في عقد يزين عنق الفتاة الرود (الناعمة)

يُعْطِي بِهَا الْبُشْرَى الْكَرِيمُ، وَيَحْتَبِي بِرِدَائِهَا فِي الْمَحْفِلِ الْمَشْهُودِ

الكريم يعطي من يشره بهذه القصيدة حلواناً، ويحتني بها كالرداء في المحافل (والاحتباء أن تجمع

ظهرك إلي، سافيك بردائك وأنت جالس، فكانك مُسند ظهرك)

١٦٦ المهم رضاك أنت

يمدح القاضي أحمد بن أبي دؤاد:

معشراً أصبحوا حُصُونُ المعالي، ودُرُوعُ الأحسابِ والأغراضِ
كَمْ ظِلَامٍ عَنِ الْعُلَى قَدْ تَجَلَّى بِكَ، والمَكْرُمَاتُ عَنْكَ رَوَاضِ
كَمْ مَعَانٍ وَشَيْئُهَا فَيْكَ قَدْ أُمِدَّ سِتًى، وَأَضَحَّتْ ضَرَائِرُا لِلرِّيَاضِ
ما أكثر المعاني التي وشيتها (زيتها) في مدحك ثم أصبحت ضرائراً (منافسات) للرياض في جمالها
بِقَوَافٍ هِيَ الْبَوَاقِي عَلَى الدَّهْرِ رِ، وَلَكِنْ أَثْمَانُهُنَّ مَوَاضِ
لقد زينت هذه المعاني ضمن قواف (قصائد) هي البواقي (الخالدات)، ولكن أثمانهن من العطايا
مواض (ذاهبات)

ما أُبَالِي، بَعْدَ انبِساطِكَ بِالمَعْدِ رَوِفٌ، مَنْ كَانَ مِنْهُمْ ذَا انْقِبَاضِ

١٦٧ بناء الجار قبل الدار

يمدح أبا الوليد أحمد بن أبي داؤد الإيادي:

بَوَّأْتُ رَحْلِي فِي الْمَرَادِ الْمُبْقِلِ فَرَتَعْتُ فِي إِثْرِ الْعَمَامِ الْمَسْبِلِ
بَوَّأْتُ رَحْلِي (أنزلت متاعي) فِي الْمَرَادِ الْمُبْقِلِ (في المرعى الذي نبت فيه البقل) وَرَتَعْتُ فِي إِثْرِ
(عقب) الْعَمَامِ الْمَسْبِلِ (الهاتل)

مَنْ مُبْلِغٌ أَفْنَاءَ بَعْرُبٍ كُلِّهَا أَنِّي ابْتَنَيْتُ الْجَارَ قَبْلَ الْمَنْزِلِ
أفناء: ساحات

هَتَكَ الظَّلَامَ أَبُو الْوَلِيدِ بِعُرَّةٍ فَتَحْتُ لَنَا بَابَ الرِّجَاءِ الْمَقْفَلِ
مزق الممدوح ستر الظلام بغرة (بوجه مشرق) فتحت لنا باب الرجاء المقفل

بِأَتَمِّ مِنْ قَمَرِ السَّمَاءِ، وَإِنْ بَدَا بَدْرًا، وَأَحْسَنَ فِي الْعُيُونِ وَأَجْمَلَ
مزق الممدوح الظلام بوجه هو أتم استدارة من القمر - حتى والقمر بدر تام الاستدارة -،
والممدوح عندنا أجمل من البدر

١٦٨ الحمد لله على السلامة

وقال في علة أحمد بن أبي دؤاد:

لَا نَالَكَ الْعَثْرُ مِنْ دَهْرٍ، وَلَا الزَّلْزَلُ وَلَا يَكُنْ لِلْعُلَى فِي فَقْدِكَ الشَّكْلُ
العثر/والزلل: السقوط، لَا يَكُنْ: أدعو الله أَنْ لَا يَكُونَ

تَضَاءَلِ الْجُودُ مُذْ مُدَّتْ إِلَيْكَ يَدٌ مِنْ بَعْضِ أَيْدِي الضَّنَى، وَاسْتَأْسَدَ الْبَحْلُ

الضنى: المرض، استأسد البَحْل: ظهرت شراسة البَحْل

لَمْ يَبْقَ فِي صَدْرِ رَاجِي حَاجَةٍ أَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ ذَابَ سُقْمًا ذَلِكَ الْأَمَلُ

بَيْنَا كَذَلِكَ، وَالدُّنْيَا عَلَى خَطَرٍ، وَالْعُرْفُ فَيْكَ إِلَى الرَّحْمَنِ يَبْتَهِلُ

العرف: المعروف

سُقْمٌ أُتِيحَ لَهُ بُرْءٌ، فَذَعَذَعَهُ؛ وَالرَّمْحُ يَنَادُ حِينًا، ثُمَّ يَعْتَدِلُ

ذعذعه: هزه هزاً عنيفاً، ينَاد: يعوّج

وَحَالَ لَوْنٌ، فَرَدَّ اللَّهُ نَظْرَتَهُ وَالنَّجْمُ يَحْمُدُ شَيْئًا، ثُمَّ يَسْتَعِلُّ

حال: تغير وتحوّل

١٦٩ شريعة الشعر

يمدح أحمد بن أبي دؤاد:

يُنَالُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ، وَهُوَ جَاهِلٌ وَيُكْدِي الْفَتَى فِي دَهْرِهِ، وَهُوَ عَالِمٌ

ينال الفتى كفايته من الرزق رغم أنه جاهل، ويكدى الفتى رغم أنه عالم

وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَجْرِي عَلَى الْحِجَا هَلَكَنَ إِذْنٌ، مِنْ جَهْلِهِنَّ، الْبَهَائِمُ

لو كانت الأرزاق توزع بحسب الحجا (وفرة العقل) لهلكت البهائم لجهلها

فَلَمْ يَجْتَمِعْ شَرْقٌ وَغَرْبٌ لِقَاصِدٍ، وَلَا الْمَجْدُ فِي كَفِّ امْرِئٍ وَالِدَّرَاهِمُ

وكما لا يمكن للقاصد (المسافر) أن يتجه شرقاً ويتجه غرباً في وقت واحد، كذلك لا يجتمع

المجد والمال في كف المرء

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ: تُدْعَى حَقُوقُهُ مَغَارِمَ فِي الْأَقْوَامِ، وَهِيَ مَغَانِمُ!

لم أر كالمعروف (إعطاء المال): يزعم بعضهم أن بذله بحق للناس هو مغارم (مخاسر مالية)، بينما

هو غنيمة تعود على السخي بالسمعة الطيبة

وَلَا كَالْعُلَى: مَا لَمْ يُرَ الشَّعْرُ بَيْنَهَا، فَكَأَلَأَرْضٍ غُفْلًا لَيْسَ فِيهَا مَعَالِمُ

ولم أر كالعلى (الأمجاد): فإذا لم يكن الشعر شاهداً على الأمجاد كانت كالأرض الغفل (الجرداء)

ليس فيها معالم

وَمَا هُوَ إِلَّا الْقَوْلُ يَسْرِي فَتَغْتَدِي لَهُ غُرْرٌ فِي أَوْجِهِ، وَمَوَاسِمُ

ما إن يسري القول (الشعر) حتى يصبح له غرر (الغرة: بياض محمود في وجه الفرس)، وله أيضاً

مواسم (الميسم: علامة تكوى كيّاً على جلد البعير ليعرف صاحبه). يقول: الشعر يبيض وجوه

قوم، ويسود وجوه قوم

يُرَى حِكْمَةً مَا فِيهِ، وَهُوَ فُكَاهَةٌ؛ وَيُقَضَّى بِمَا يَقْضِي بِهِ، وَهُوَ ظَالِمٌ!

يكون الشعر مجرد فكاهة فيصير الناس أن يروا فيه حكمة؛ ويظلم الشعر قوماً في هجاء، فيكون قوله فيهم حُكماً قاطعاً. هذه قيمة الشعر وأثره. وفسر المرزوقي الشطر الأول كما يلي: «ترى الكلمة فيه يكون ظاهرها مزحاً فتوجد في الحقيقة حكمة» وهذا تفسير من لم يقرأ البيت على وجهه. وأبو تمام إنما يقول: إن حقيقة الشعر تكون الفكاهة، ولكن الناس يعتبرونه حكمة لشدة تأثيره في نفوسهم. وأما التبريزي فقد سرق تفسير المرزوقي على جاري عادته، فقال: «أي ترى الكلمة فيه يكون ظاهرها مزحاً فتوجد في الحقيقة حكمة»

لَهُ مِنْ إِيَادِ قِمَّةِ الْمَجْدِ حَيْثُمَا سَمَتْ، وَلَهَا مِنْهُ الْبِنَا وَالِدَعَائِمُ
للقاضي أحمد بن أبي دؤاد قمة المجد في قبيلة إياد حيثما سمت (في المكان العالي الذي سمت إليه)، وهو دعائمها وراعيا

أَخَذَتْ بِأَغْضَادِ الْعُرْبِ، وَقَدْ خَوَتْ عُيُونَ كَلِيلَاتٍ، وَذَلَّتْ جَمَاجِمُ
أخذت بأغضاد (بأيدي) العرب (العرب) وقد خوت (فرغت) عيونهم الكليلة (المتعبة) من بريق المجد، وذلت رؤوسهم، لأن العناصر الأخرى من فرس وترك بدأت تغلب على الدولة

فَأُضْحَوْا: لَوْ اسْتَطَاعُوا لِفَرْطِ مَحَبَّةٍ لَقَدْ عُلِقْتُ، خَوْفًا عَلَيْكَ، التَّمَائِمُ
فأصبح العرب لو استطاعوا لعلقوا عليك التمام (الحُب والرقي)

وَلَوْ عَلِمَ الشَّيْخَانِ، أَدَّ وَيَعْرُبُ، لَسَرَّتْ إِذْنُ تِلْكَ الْعِظَامِ الرَّمَائِمُ
لو علم جدًّا العرب «أد» و«يعرب» بنصرك للعرب لسرت عظامهما البالية

فَمَا بَالُ وَجْهِ الشَّعْرِ أَغْبَرَ قَاتِمًا؟ وَأَنْفُ الْعُلَى، مِنْ عُطَلَةِ الشَّعْرِ، رَاغِمٌ؟
فما بال الشعر مهملاً؟ ولماذا يبقى أنف العلَى راغماً (ذليلاً) من عطلة الشعر (لأنه عاطل، غير محلّى بالقصائد)؟

تَدَارَكُهُ. إِنَّ الْمَكْرُمَاتِ أَصَابِعَ، وَإِنَّ حُلَى الْأَشْعَارِ فِيهَا خَوَاتِمُ
تداركه: أنجد الشعر

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْفَظْهُ لَمْ يَكْ بِدَعَةٍ، وَلَا عَجَبًا، أَنْ ضَبَّعَتْهُ الْأَعَاجِمُ
فقد هَزَّ عِطْفِيهِ الْقَرِيضُ تَوَقَّعًا لِعَدْلِكَ مُذْ صَارَتْ إِلَيْكَ الْمِظَالِمُ
هز عطفيه: هز خصره، المِظَالِم: ديوان المظالم

وَلَوْلَا خِلَالُ سَنِّهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى بُغَاةُ النَّدَى مِنْ أَيْنَ تُؤْتَى الْمَكَارِمُ
لولا أخلاقيات سنّها الشعر (جعلها سنة وشرعاً) لما عرف بغاة الندى (الراغبون في بذل مالهم) كيف يحصلون على المكارم

١٧٠ المطر على جثة عطشان

يعاتب ابن أبي دؤاد ويستبطئه وعداً له عليه:

وَمَا نَفْعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ صَادِيًّا إِذَا مَا سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ أَنْهَمَارُهَا
صَادِيًّا: عطشان

وخيبرُ عِدَاتِ المرءِ مُخْتَصِرَاتُهَا، كما أَنَّ خَيْرَاتِ اللَّيَالِي قِصَارُهَا

١٧١ هذا هو التهديد

يهجو أبا الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد:

أَتَذْهَبُ أَيَّ بَارِقَةٍ تَشِيْمُ وَمَهْلَكَةٍ إِلَيْهَا تَسْتَنِيْمُ
بارقة (غيمة فيها برق) تشيم (تتظر)، مهلكة (مصيبة)، تستيم (تطمئن)

فإِنَّكَ لَمْ تُعَوِّذْ مِنْ سُهَادِي إِذَا مَا عَانَقَ السَّنَةَ النَّوْمُ
أنت لم تتعود على سهادي (سهرى) بينما يعانق السنة (النوم) النوم. يقول: أنت لا تعرفني عندما
أسهر وينام النائمون..

وَمِنْ تَقْلِيْبِ قَلْبِي عَنْ لِسَانِي إِذَا بَاتَتْ تُقْلِبُهُ الْهَمُومُ
ولا تعرف كيف يقوم قلبي بتقليب المعاني على لساني إذا بات يتقلب مهموماً

فَمَا أَنْتَ اللَّئِيْمُ، إِذَنْ، وَلَكِنْ زَمَانٌ سُدَّتْ فِيهِ هَوَ اللَّئِيْمُ
أَنْطَمَعُ أَنْ تُعَدَّ كَرِيْمٌ قَوْمٌ وَبَابُكَ لَا يُطِيفُ بِهِ كَرِيْمٌ؟
لَنْمَتْ، وَنَامَ عِرْضُكَ، وَالْقَوَافِي سَوَاحِطٌ، لَا تَنَامُ، وَلَا تُنِيْمُ
لنمت: والله لقد نمت

١٧٢ ديمة سمحة القياد

يمدح محمد بن عبد الملك الزيات:

دِيْمَةٌ سَمْحَةُ الْقِيَادِ سَكُوبٌ مُسْتَغِيْثٌ بِهَا الثَّرَى الْمَكْرُوبُ

هذه ديمة (سحابة) سمحة القياد (سلسة في حركتها) سكوب (ماطرة). ويستغيث بها الثرى (التراب)
المكروب (المصاب بالجفاف)

لَوْ سَعَتْ بُقْعَةً لِإِعْظَامٍ تُعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانُ الْجَدِيبُ

لو أنه يعقل أن تسير بقعة من الأرض، لसार وراء هذه السحابة المكان الجديب (المقفر) لإعظام النعمى (لتكثير نصيبه من نعمة الماء). وقد فسر الشراح البيت على أن إعظام تعني «تعظيم وشكر» ولا وجه لذلك، وإن كانت كلمة «إعظام» توحى بهذا المعنى. ومن قال إن أبا تمام يقصد إلى القريب؟ لا تنس أن السحابة سلسلة في سيرها، وهي تروي المكان وتسير عنه، فجدير بالمكان أن يفكر في اللحاق بها ليشرّب أكثر، أما أن يسير المكان فقط ليشرّكها فليس مما يستدعي السير. فليشرّكها المكان فاعداً في محله ما شاء له، فلماذا يسير؟ وقد تتبعنا هذا البيت المشهور وتفسيره في كل موطن - مثلما تتبع المكان الجديب السحابة - فلم نجد شارحاً وقع على المعنى الذي بسطناه لك، والذي نظنه هو المعنى

لَذَّ شُؤْبُوبُهَا، وَطَابَ فَلَوْ تَسَّ طَبِيعُ قَامَتْ فَعَانَقَتْهَا الْقُلُوبُ

لذ (طاب) شؤبوبها (زخّها) فلو استطاعت قلوب الناس لغادرت صدورهم كي تعانق هذه السحابة

فَهِيَ مَاءٌ يَجْرِي، وَمَاءٌ يَلِيهِ، وَعَزَالٍ تُنْشَأُ، وَأُخْرَى تَذُوبُ

فالسحابة ماء يجري، ثم ماء آخر بعده، إنها مثل عزالٍ (الأفواه السفلى للقرية) تُنْشَأُ (تُرفَع) وأُخْرَى تذوب (تسكب الماء). حار الرواة في «نُشَأ» فجعلوها تهمي (هذه القراءة عند الصولي وأخذها إيليا الحاوي)، ولم يشرح البيت التبريزي. وشرحه - وليته أغفله - الأسود. ولمن يحب الاستقصاء ها-شرحنا مفصلاً: العزلاء: هي الفتحة السفلى للقرية، ويجعلونها لإفراغ القرية من الماء عندما يصلون إلى بئر عذبة ويريدون التخلص مما في قريهم من ماء قد تغير طعمه. وجمعها عَزَالٍ. نُشَأ: أي تُنْشَأُ، سَهَلَتْ همزتها: ومعناها تُرْفَع. (واليك عبارة ابن فارس في «مقاييس اللغة» - وإنما نأخذ المعنى عنه لأن ابن فارس يدل على معنى الجذر في مهده - يقول: «النون والشين والهمزة أصل صحيح يدل على ارتفاع في شيء وسمو، ونُشَأ السحاب ارتفع. وأنشأه الله رفعه.» اهـ). ولسان ابن منظور لهجّ بها المعنى. وعليك أن تتخيل سَفْراً وردوا بئراً واستيقنوا من عذوبة مائها، ثم راح كل منهم يفك الوكّاء (السير الجلدي) عن فم قريته، ثم الوكّاء السفلي عن عزالها (فتحتها السفلى) كي يتدفق الماء الآسن بقوة وبسرعة؛ نرى الرجل منهم يرفع القرية إلى الأعلى ويهزها بعض الهز حتى يتخلص من مائها، بينما آخر قد أوشكت قريته تنفخ. وهكذا قرية وراء قرية، والماء يتدفق. ويتخيل شاعرنا أن سحابته الماطرة ترخ زخات متوالية، لا تكاد الزخة تهدأ حتى تأتي زخة أخرى كقوم واقفين وكل منهم يفرغ قريته

كَشَفَ الرُّوضُ رَأْسَهُ، وَاسْتَسَرَ الْ- مَحَلُّ مِنْهَا، كَمَا اسْتَسَرَ الْمَرِيبُ

أطل الروض برأسه (خرجت براعمه مع المطر)، واستسر المحل (اختبأ) كأنه الشخص المريب (المطلوب بجناية)

فَإِذَا الرَّيُّ بَعْدَ مَحَلٍّ؛ وَجُرْجَا نٌ لَدَيْهَا يَبْرِينُ أَوْ مَلْحُوبٌ :

فإذا بالري (الارتواء) قد حل بعد المحل (الجذب). وإذا بـ«جرجان» لدى هطول هذه السحابة وكأنها «يرين» أو «ملحوب» الغيتان بالكلاً. وقد هام التبريزي والصولي وإلييا الحاوي في صحراء التأويلات. ولسنا نشك في أن إتيان أبي تمام يبلدتين في فارس ومكانين في بلاد العرب هو بعض الأعيه، غير أن المعنى هو ما ذكرنا، لا ينطق البيت بغيره

أَيُّهَا الْغَيْثُ حَيَّهْلًا بِمَغْدَا لَكَ، وَعِنْدَ السُّرَى، وَحِينَ تَوُوبُ

أيها المطر حيَّهلاً بمغداك (مرحبا بقدمك صباحاً)، وعند السرى (مساء)، وحين تَوُوب (حين تأتي ليلاً)

لَأَبِي جَعْفَرٍ خَلَاتِقُ تَحْكِيهِ هِنٌّ؛ قَدْ يُشْبِهُ النَّجِيبَ النَّجِيبُ

للممدوح خلأتق (صفات) تحكيهن أيها المطر (تشبههن)، فالمطر يشبه الممدوح في السخاء؛ ولا عجب فقد يشبه النجيب النجيب

أَنْتَ فِينَا فِي ذَا الْأَوَانِ غَرِيبٌ، وَهُوَ فِينَا فِي كُلِّ وَقْتٍ غَرِيبٌ

أنت أيها المطر غريب إذ تأتي في غير وقتك، وأبو جعفر في كل وقت غريب فهو يفعل من المكارم ما لا يفعل غيره

يَأْخُذُ الزَّائِرِينَ قَسْرًا، وَلَوْ كَفَّ - دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَإِ خَصِيبُ

يصر على استضافة الزائرين، ولو لم يصرَّ لدعاهم إلى زيارته واديه الخصب بسخائه

غَيْرَ أَنَّ الرَّامِي الْمَسْدَدَ يَخْتَا ط، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّهُ سَيُصِيبُ

فمع أنهم سيأتون على كل حال فهو يأخذهم قسراً، مثل رامي السهم المسدد (المصوب تصويماً صحيحاً) يأخذ حيطته ويدقق التصويب رغم اطمئنانه إلى أنه سيصيب

١٧٣ وصف القلم

وقال أبو تمام في محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم وصديق أبي تمام. وهو أديب، وسنراه يرثي أبا تمام بأبيات عذبة بعد سنوات:

مَتَى أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذَاهِلٌ وَقَلْبُكَ مِنْهَا مُدَّةُ الدَّهْرِ آهْلٌ؟

متى ستذهل (ستنسى) المرأة المقيمة في حي بني ذهل، وقلبك آهل (مملوء) منها طول الزمن؟

مِنْ الْهَيْفِ، لَوْ أَنَّ الْخَلَاحِلَ صِيرَتْ لَهَا وَشَحًّا، جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاحِلُ

هذه الفتاة من الهيف (جمع هيفاء أي رشيقة) ولو أن الخلاخيل في رجليها صيرت وشحاً (جمع وشاح يلف كفتها وخصرها) لجالت (تحركت) عليها الخلاخيل لدقة خصرها

أبا جعفر! إِنَّ الجَهَالَةَ أُمُّهَا وَلُودٌ، وَأُمُّ الْعِلْمِ جَدَّاءُ حَائِلٌ
الجهالة منتشرة فأمها كثيرة الأولاد، وأم العلماء جداء (صغيرة الصدر) حائل (غير حبل)
أرى الحَشَوَ والدَّهْمَاءَ أَضْحَوْا كَانْتَهُمُ شُعُوبٌ تَلَاقَتْ دُونَنَا وَقَبَائِلُ
الحشو والدهماء: الرعاع

عَدُّوا وَكَأَنَّ الْجَهْلَ يَجْمَعُهُمْ بِهِ أَبٌ، وَدَوُو الْأَدَابِ فِيهِمْ نَوَائِلُ
أصبح الرعاع مجتمعين متلاحمين وكان الجهل أب لهم جميعاً فسيهم لذلك واحد، بينما أهل
الأدب بين الرعاع نواقل (متقلون بين القبائل لا نسب لهم)

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابِهِ نُصَابٌ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّي وَالْمَفَاصِلُ
أيها الوزير لك القلم الأعلى قدراً الذي تصاب بشبابه (بسنه) الكلّي والمفاصل
(فهو يفعل فعل سن الرمح)

لَهُ الْخَلَوَاتُ اللَّاءُ لَوْلَا نَجِيئُهَا لَمَّا اخْتَفَلَتْ لِلْمُلْكِ تِلْكَ الْمَحَافِلُ
لقلمك خلوات تختلي به فيهن، ولولا نجيتها (المناجاة بين سن القلم ووجه الورقة في هذه
الخلوات) لما اختفلت (اهتمت) المحافل والمجالس بالملك

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ، وَأَزْيُ الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ
لعاب قلمك (حبره) كلعاب الأفاعي، أو هو كالأري (العسل) الذي تشتاره (تجنّيه) الأيدي
العواسل (التي تجمع العسل)

لَهُ رَيْقَةٌ طَلٌّ، وَلَكِنَّ وَقَعَهَا، بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، وَابِلٌ
ريق قلمك كالطلل (الندى) ولكن أثره في كل مكان مثل وابل المطر

فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ، وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ
إذا طلبت من قلمك أن ينطق وهو راكب أصابعك فهو فصيح، وإن كان راجلاً (مترجلاً)
فهو أعجم (لا ينطق)

إِذَا مَا امْتَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافَ، وَأَفْرَغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ، وَهِيَ حَوَائِلُ..
إذا ركب قلمك الأصابع الخمس اللطاف (الدقيقة) وأفرغت عليه شعاب الفكر (جداول أفكارك)،
وهي حوافل (زاخرة مملوءة) ..

أَطَاعَتْهُ أَطْرَافُ لَهَا، وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ، تَقْوِضَ الْخِيَامِ، الْجَحَافِلُ
عندئذ تطيعه أطراف الأصابع، وتقوض (تهدم) لنجواه (لهمساته فوق الورق) جحافل الجنود مثلما
تقوض الخيام

إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الذَّكِيَّ، وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسْفَلُ..

إذا استغزر القلم (طلب المدد الغزير) من الذهن الذكي، وأقبلت أعالي القلم لتصبح أسفل على القرطاس (الورق)، أي عندما يصبح سن القلم، وهو أعلاه، منكساً للأسفل استعداداً للكتابة..

وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصَرَانِ، وَشَدَّدَتْ ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ..

وعندما ترفد القلم (تدعمه) الخنصران (الإصبع الصغير والمجاور له)، وعندما تشد على جهاته الثلاث الأنامل الثلاثة الباقية. لعلك تحسب القلم مستديراً وليست له ثلاث جهات؟ قد أصبت. ولكن، عندما تمسكه بأناملك الثلاث تصبح له ثلاث جهات

رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنَهُ، وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَنْئِيٌّ؛ وَسَمِينًا خَطْبُهُ، وَهُوَ نَاجِلٌ

عندئذ ستري شأنه عظيماً رغم أنه مرهف (رفيع) ضئياً (تعباً)، وسترى خطبه (أثره) سميناً رغم نحوله. رفعت كل الروايات التي بأيدينا «شأنه»، و«خطبه»، على الفاعلية للصفة المشبهة، وفي هذا حرمان «رأى» القلبية من أحد مفعوليها بارزاً، واعتبار الصفة المشبهة نائيةً مناب مفعولين، وهذا الوجه البعيد، أو اعتبار المفعول الأول مستتراً بعد «رأى» كأنه قال «رأيته جليلاً شأنه»، وهو الوجه القريب. كأنهم وقفوا بوجل أمام من قال إن الصفة المشبهة رافعة فاعلها حتماً، ومن منع تأخر ما أصله الفاعل في مفعولي «رأى» عما أصله المفعول، ولا نرى المنع مع توفر القرينة. وقد قرأنا البيت بإضمار فاعل الصفة المشبهة، وإبراز المفعول الأول المؤخر لرأى القلبية. ذلك أن الذهن يتقرب مفعولاً ثم لا يجده، ولا بد للمرء من العود إلى البيت وقراءته مرتين أو ثلاثاً قبل أن تنجلي له الصورة القريبة «رأيته جليلاً شأنه». ورأينا قراءتنا توصل إليك المعنى سائفاً من المرة الأولى، والله أعلم

أَرَى ابْنَ أَبِي مَرْوَانَ: أَمَّا عَطَاؤُهُ فَطَّامٌ، وَأَمَّا حُكْمُهُ فَهُوَ عَادِلٌ

عطاء الممدوح طام (طافح كثير غير معتدل)، وحكمه عادل ليس فيه زيادة ولا نقصان

هُوَ الْمَرءُ: لَا الشُّورَى اسْتَبَدَّتْ بِرَأْيِهِ، وَلَا قَبَضَتْ مِنْ رَاحَتَيْهِ الْعَوَاضِلُ

الشورى لا تجعله متردداً بل يظل له رأي قاطع، والعوادل (اللائمون له على جوده) لا يقبضون يده عن السخاء

أَبَا جَعْفَرٍ! إِنَّ الْخَلِيفَةَ، إِنَّ يَكُنْ لِرُؤَادِنَا بَحْرًا، فَإِنَّكَ سَاحِلٌ

الخليفة هو البحر (يقصد النهر) للواردين منا، وأنت ساحل هذا البحر

وَلَوْ حَارَدَتْ شَوْلٌ عَذَرْتُ لِقَاحَهَا، وَلَكِنْ حُرِمْتُ الدَّرَّ، وَالضَّرْعُ حَافِلٌ

لو حاردت (امتنعت من الحلب) شول (مجموعة نياق قليلة اللبن) لعذرت لقاحها (ناقاتها)، ولكنني حرمت الدَّرَّ (اللبن) وضرع الناقة حافل (ممتلئ لبناً)

مَنْحَتُكُمَا تَشْفِي الْجَوَى، وَهُوَ لَا عِجَّ وَتَبَعْتُ أَشْجَانَ الْفَتَى، وَهُوَ ذَاهِلٌ

منحتك هذه القصيدة التي تشفي الجوى (الحزن) وهو لا عِجَّ (محرق)، والتي تبعث أشجان (نحيب) أشجان الفتى وهو ذاهل (ناسٍ) عن الحزن

فَكَيْفَ إِذَا حَلَّيْتَهَا بِحُلِيِّهَا تَكُونُ، وَهَذَا حُسْنُهَا وَهِيَ عَاطِلٌ؟
فكيف تكون قصيدتي لو أنك حليتها بما يناسبها من الحلي (أي العطايا)، وهي حسنة جداً الآن وهي عاطل (بدون حلي)؟

أَكَابِرْنَا عَظْفًا عَلَيْنَا، فَإِنَّا بِنَا ظَمًا مُرِدًا، وَأَنْتُمْ مَنَاهِلُ
مرد (ميمت)، مناهل (موارد الماء)

فلما قرأ محمد بن عبد الملك الزيات هذه القصيدة استعجبا من جفائه، لكنه احتج على صديقه الشاعر بأنه مدح غيره ممن هم دونه، وبأن إكثار مدحه الناس زهده فيه، فقال ابن الزيات:

رَأَيْتُكَ سَمَحَ الْبَيْعِ سَهْلًا، وَإِنَّمَا يُغَالِي، إِذَا مَا ضَنَّ بِالشَّيْءِ، بَائِعُهُ
رأيتك سمح البيع (متساهلاً)، ويجب على البائع أن يغالي (يرفع سعر) الشيء إذا كان حقاً يضمن به (يقدره عالياً)

فَأَمَّا الَّذِي هَانَتْ بَضَائِعُ بَيْعِهِ، فَيُوشِكُ أَنْ تَبْقَى عَلَيْهِ بَضَائِعُهُ
والذي تهون عليه بضائعه يوشك أن يراها كاسدة وباقية عنده، يقول: كذلك الأشعار إن مدحت بها الكثيرين زهدنا فيها، وكسدت

فقال أبو تمام وكتبها إليه:

أَبَا جَعْفَرٍ إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ شَاعِرًا أَسَاهِلُ فِي بَيْعِي لَهُ مَنْ أَبَايَعُهُ
فقد كنت قبلي شاعراً تاجراً به تُسَاهِلُ مَنْ عَادَتْ عَلَيْكَ مَنَافِعُهُ
فَصِرْتُ وَزِيرًا، وَالْوِزَارَةُ مَكْرَعٌ يَغْصُ بِهِ بَعْدَ اللَّذَازَةِ كَارِعُهُ
بعد أن كنت شاعراً صرت وزيراً، والوزارة مكرع (مشرب) يلذه كارهه (الشارب منه) حيناً ثم يغص به

وَكَمْ مِنْ وَزِيرٍ قَدْ رَأَيْنَا مُسَلِّطًا، فَعَادَتْ، وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ مَطَالِعُهُ
كثيراً ما رأينا وزيراً متسلطاً ثم بعد ذلك سدت عليه مطالعه (انسدت الأبواب في وجهه وعزل)

وَلِلَّهِ قَوْسٌ لَا تَطِيْشُ سِهَامُهَا وَلِلَّهِ سَيْفٌ لَيْسَ تَنْبُو مَقَاطِعُهُ

عقب محمد عبده عزام محقق «شرح التبريزي على ديوان أبي تمام» تعقياً طيباً على هذه القطعة الأخيرة، فشك في أنها لأبي تمام، فلا يجترئ المرء هذا الاجتراء على رجل كابن الزيات الذي نعرف كيده وبطشه. وقد يزيديني شكاً في القطعة الأخيرة أن ابن الزيات لاقى فعلاً هذا المصير فقد قتله المتوكل شر قتلة، فكان الأبيات وُضعت وضعاً بعد مقتل ابن الزيات لتكون كأنها النبوءة. ويحكي لنا الجاحظ أن ابن الزيات اتخذ تنوراً من حديد فيه مسامير بارزة إلى الداخل يضع الناس فيه ويعذبهم حتى الموت. ثم إن المتوكل وضعه في تنوره وقتله بعد أن أذاقه سوء العذاب. وكان ابن الزيات - وهذا ما يقلل من شكنا في أن القطعة الأخيرة قيلت له - شاعراً رقيقاً يحب الشعراء، وكان لأبي تمام صديقاً، وكانت في أبي تمام جرأة على الوزراء المتأدبين، عليها هنا في

مجموعتنا شواهد (القوائد رقم: ١١٥، و١٣٠، و١٥٩، و١٧٠، و١٨٠)

١٧٤ الخوض في لجة اللؤم

يمدح إسحق بن إبراهيم المصعبي:

والدهرُ ألامُ مَنْ شَرِقَتْ بِلُؤْمِهِ، إِلَّا إِذَا أَشْرَقَتْهُ بِكَرِيمِ
الدهرُ ألامُ ما وقف في حلقك وشرقت به، والحل أن تُشرقَه (أن تجعله هو يشرق) بشخص كريم
يكف أذاه عنك

ولقد نَكُونُ، ولا كريمَ نَنَالُهُ حَتَّى نَخُوضَ إِلَيْهِ أَلْفَ لَثِيمِ

مثلاً تفتح آلاف المحارات وترميها حتى تأتي المحارة التي تضم لؤلؤة، نحن نخوض في بحر طام
من أبيات أبي تمام المفتعلة؛ لماذا يا ترى؟ لكي نعر على بيت رائع كهذا يتحدث عن الخوض في
ألف لثيم قبل العثور على كريم

١٧٥ ولي الأمر

قال في إسحق بن إبراهيم:

وَلَيْتَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ تُضَيِّعْ أُمُورَهُمُ الصَّغَارَ، وَلَا الْكِبَارَ
إِذَا مَا كَانَ جَارَكَ مُضَعَبِيًّا فَلَا ضَيْرًا تَخَافُ، وَلَا افْتِقَارًا

١٧٦ الويل للذهب وللفضة

يمدح إسحق بن إبراهيم، ويذكر إيقاعه بالمحبرة بأصحاب بابك، وكانوا تواعدوا
إلى موضع علم به، فوقف لهم فيه، فكل من جاء قتل وحرّز أذنه، حتى وجّه إلى
المعتصم بستين ألف أذن:

أَلَا إِنَّ النَّدَى أَضْحَى أَمِيرًا عَلَى مَالِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ
إِذَا يَدُهُ بِنَائِلِهِ اسْتَهَلَّتْ فَوَيْلٌ لِلنُّضَارِ وَلِلْجَيْنِ

استهلت: أمطرت، بنائله: بغطائه، النضار: الذهب، اللجين: الفضة

نَوَالِكَ رَدَّ حُسَّادِي فُلُولًا، وَأَضْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وَبَيْنِي

١٧٧ لات حين تنصّل

يمدح إسحق بن إبراهيم، قائد شرطة بغداد:

مَشَتْ قُلُوبُ أَنْاسٍ فِي صُدُورِهِمْ لَمَّا تَرَاءَوْكَ تَمْشِي نَحْوَهُمْ قُدَمَا
تحركت قلوب بعض الناس داخل صدورهم، خوفاً، لما تراءوك (راوك) متجهاً نحوهم

أَمْطَرْتَهُمْ عَزَمَاتٍ: لو رَمَيْتَ بها، يَوْمَ الْكَرْيَةِ، رُكِّنَ الدَّهْرُ لَانْهَدَمَا
يوم الكريهة (المعركة)

رَاحَ التَّنَصُّلُ مَعْقُوداً بِالسُّنَنِمْ لَمَّا عَدَا السَّيْفُ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَكَمًا
كَانُوا عَلَى عَهْدِ كَسْرَى فِي الزَّمَانِ، وَلَنْ يَسْتَشِيرِيَ الْخَطْبُ إِلَّا كُلَّمَا قَدَمَا
في الزمان؟ لعل هؤلاء العصاة كانوا في بلد لم يحكمه كسرى (في الشام مثلاً) ولذلك قال «في
الزمان» أي أنهم كانوا على زمان كسرى، لكن لم يثوروا على كسرى نفسه؟ والله أعلم
فِي كُلِّ جَوْشَنِ دَهْرٍ مِنْهُمْ فِئَةٌ تُرْحِي رَحَى فِتْنَةٍ قَدْ أَشْجَتِ الْأَمَمَا
في جوشن (صدر) كل عصر فئة من هؤلاء العصاة ترحي (تدير) رحى (حجر طاحون) فتنة أشجت
(أقلقت) الأمم

حَتَّى إِذَا أَيْنَعَتْ أُنْمَارُ مُدَّتِيهِمْ أَرْسَلَكَ اللَّهُ لِلْأَعْمَارِ مُضْطَرِمًا
حتى إذا أينعت (نضجت) أنمارهم وبرز عصيانهم جلياً، أرسلك الله لكي تضطرم (تقطع) أعمارهم
أَطَعَتْ رَبِّكَ فِيهِمْ؛ وَالْخَلِيفَةُ قَدْ أَرْضَيْتُهُ، وَشَفَيْتِ الْعُرْبَ وَالْعَجَمَا
نَرَكْتَهُمْ سَبْرًا، لَوْ أَنَّهَا كُنِبَتْ لَمْ تَبْقَ فِي الْأَرْضِ قِرْطَاسًا وَلَا قَلَمًا
جعلتهم في خبر كان، مجرد سير (أخبار) لكنها كثيرة وملية بالتفاصيل

سَمَاهُمْ الْبَطْرُ الْأَسَدَ الْغَضَابَ، فَلَمْ تَهْجَعْ سَيُوفُكَ حَتَّى صَبَّروا نَعْمًا
بطرهم (جحدوهم النعمة) جعلهم في عيون الناس شجعاناً، فلم تهجع (تنم) سيوفك حتى جعلتهم
نعماً (مواسي مذلة)

وَلَسْتُ شِبَاطِينُهُمْ عَنْ حَدٍّ مَلْحَمَةٍ كَانَتْ نَجُومُ الْقَنَا فِيهَا لَهُمْ رُجْمًا
هربت شياطينهم عن معركة كانت فيها أسنة الرماح كالنجوم، وكانت لهم رجماً (شهباً يرمي بها الله
الشياطين)

١٧٨ كلمات تنهمر من عينيها

وقال يعرّض بإسحق بن إبراهيم المصعبي لأنه حجة:

بَسَطْتُ إِلَيَّ بَنَانَةً أُسْرُوعًا نَصِيفُ الْفِرَاقِ، وَمُقَلَّةٌ يَنْبُوعَا
أشارت إليّ ببنانة (أنملة) كالأسروع (كالدودة) فكأنّ هذه الإصبع النحيلة تصف الفراق (تنبئ عما
سيفعله الفراق بجسمي من نحول) وكانت مقلتها ينبوعاً من الدمع. هذا هو المعنى الذي لمحت،
ولم أوفق إلى خير منه. وتشبيه أصابع الفتيات بالأساريع (الديدان) سنة سنّها امرؤ القيس في
معلّقه، وحقّ للآمدي أن يستقل هذا من أبي تمام

كَادَتْ لِعِرْفَانِ النَّوَى أَلْفَاظُهَا، مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوَى، تَكُونُ دُمُوعاً
لمعرفتها بوشك الفراق كادت كلماتها أن تكون دموعاً

وَمُحَجَّبٍ حَاوَلْتُهُ، فَوَجَدْتُهُ نَجْماً عَلَى الرُّكْبِ الْعُقَاةِ شُسُوعاً
رب أمير محبوب حاولت الاتصال به فوجدته نجماً شُوعاً (بعيداً) عن الركب (المقبلين من سفر)
العقاة (الفقراء)

لَمَّا عَدِمْتُ نَوَالَهُ، أَعْدَمْتُهُ شُكْرِي، فَرَحْنَا مُعْدِمِينَ جَمِيعاً
المعديم: الفقير

١٧٩ الشكوى فائض البلوى

بستبطيني إسحق بن إبراهيم:

شَكَوْتُ، وَمَا الشَّكْوَى لِمِثْلِي عَادَةً، وَلَكِنْ تَفِيزُ النَّفْسُ عِنْدَ امْتِلَائِهَا

١٨٠ وسائل شعر

يعاتب ويمدح إسحق بن إبراهيم بن مصعب المصعبي الخزاعي (صاحب شرطة
بغداد لعهد المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وله حملات مهمة خارج بغداد
وتوفي سنة ٢٣٥):

إِنِّي، وَإِنْ كَانَ قَوْمٌ مَا لَهُمْ سَبَبٌ إِلَّا قَضَاءُ كَفَاهُمْ دُونِي السَّبَبَا ..
الذين فازوا بالعطايا لم يكن لهم سبب، واسطة، بل كان لهم حظ، بقضاءٍ وَقَدَرٍ، وكفاهم القضاء
السبب، عوضهم القضاء عن وجود واسطة، دوني (أي بخلافي، فأنا صاحب واسطة هي أدبي
الغزير وقربي من الممدوح) ..

لَمُضْمِرٍ غُلَّةٌ فِي الْقَلْبِ، يُضْرِمُهَا أَنِّي سَبَقْتُ، وَتُعْطِي غَيْرِي الْقَصَبَا
إني لمضمر في قلبي غلة (حقداً) يضرمها (يشعلها) أنني أنا السابق، ومع ذلك يأخذ القصة غيري.
وكانوا في سباق الخيل يفرسون في الأرض قصة فمن سبق نزاعها وعاد بها، ومن هنا قولنا «فاز
بقصب السبق»

وَنَادِبٌ رِفْعَةً قَدْ كُنْتُ أَمْلُهَا لَدَيْكَ؛ لَا فِضَّةً أَبْكِي وَلَا ذَهَباً
أندب (أبكي) رفعة شأن كنت أمل الحصول عليها عندك، فلم أكن أطمع في فضة ولا في ذهب

إِحْفَظْ وَسَائِلَ شِعْرِ فَيْكِ، مَا ذَهَبَتْ خَوَاطِفُ الْبَرْقِ إِلَّا دُونََ مَا ذَهَبَا
احفظ وسائل شعر (أشعار كانت وسائل لنيل العطية) قلتها فيك، وقد انتشرت بمدحك في الآفاق
أكثر من انتشار البرق الخاطف

فلا تُضِعْهَا؛ فما في الأرضِ أحسنُ مِنْ نَظَمِ القَوَافِي إِذَا مَا صَادَقَتْ حَسَبًا
يَعْدُونَ مُعْتَرِبَاتٍ فِي الْبِلَادِ، فما يَزَلْنَ يُؤْنِسْنَ فِي الْآفَاقِ مُعْتَرِبًا
هذه الأشعار تغترب في البلاد، وتؤنس في الآفاق (المناطق القصية) الغبراء

أَدْعُوكَ دَعْوَةَ مَظْلُومٍ وَسَيَلَتَهُ. إِنْ لَمْ تُكُنْ بِي رَحِيمًا، فَارْحَمِ الْأَدْبَا
أدعوك دعوة شخص مظلوم وسيلته (مظلوم حقه، وقد أنكرت عليه الوسيلة التي بها يتوسل، أي تجاهلت قصائده). وقد قرأنا البيت قراءتنا، وللصولي والتبريزي فيه كلام

١٨١ ليتني كنت ترابا

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ مَالَتْ بِصَغُورِهَا إِلَى خَطَرَاتٍ قَدْ نَتَجَنَّ أَمَانِيَا:
أقول لنفسي حين مالت بصغورها (بميلها) إلى خطرات (أفكار) قد نتجن (وُلدن) على شكل
أمانيات...

هَبِّينِي مِنَ الدُّنْيَا ظَفِرْتُ بِكُلِّ مَا تَمَنَّيْتُ، أَوْ أُعْطِيتُ فَوْقَ أَمَانِيَا
افرضي، يا نفسي، أنني نلت كل ما أتمنى، وزيادة

أَلَيْسَ اللَّيَالِي غَاصِبَاتِي بِمُهْجَتِي؟ كَمَا غَصَبَتْ قَبْلِي الْقُرُونُ الْخَوَالِيَا
أليست الليالي ستغصبي (تسلبي) روحي؟ ككل من مضى قبلي؟

فَبَا لَيْتَنِي، مِنْ بَعْدِ مَوْتِي وَمَبْعَتِي، أَكُونُ رُفَاتًا: لَا عَلَيَّ، وَلَا لِيَا
أخافُ إِلَهِي، ثُمَّ أَرْجُو نَوَالَهُ، وَلَكِنْ خَوْفِي قَاهِرٌ لِرَجَائِيَا
ولولا رجائي، واتكالي على الذي تَوَحَّدَ لِي بِالصَّنْعِ كَهْلًا وَنَاشِيَا...
الصنع: الإحسان، ناشياً: ناشئاً

لَمَّا سَاعَ لِي عَذْبٌ مِنَ الْمَاءِ بَارِدٌ، وَلَا طَابَ لِي عَيْشٌ، وَلَا زِلْتُ بَاكِيًا
عَلَى إِثْرِ مَا قَدْ كَانَ مِنِّي صَبَابَةً لَيَالِي فِيهَا كُنْتُ لِلْوَغَاصِيَا
صباة: شغفاً

١٨٢ إخوة في الأدب

يمدح علي بن الجهم الشاعر، وقد جاء علي يودعه لسفرٍ أراده علي، وكان له صديقاً:

وَإِذَا فَقَدْتَ أَخَا، وَلَمْ تَفْقِدْ لَهُ دَمْعًا وَلَا صَبْرًا، فَلَسْتَ بِفَاقِدٍ

إِنْ يُكْدِ مُطَرَفُ الْإِخَاءِ، فإِنَّا نَغْدُو وَنَسْرِي فِي إِخَاءٍ تَالِدِ
 (يفشل) مطرف الإخاء (الصداقة الجديدة)، فنحن نغدو ونسري (نذهب صباحاً ونعود مساءً)
 في صداقة تالدة (قديمة)

أَوْ يَخْتَلِفُ مَاءُ الْوِصَالِ فَمَاؤُنَا عَذْبٌ تَحَدَّرَ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدٍ
 وإذا اختلف ماء الوصال (ها قد جعل للوصال ماء)، فماؤنا تحدر (انصب) من غمام واحد
 أَوْ يَفْتَرِقُ نَسَبٌ، يُؤَلَّفُ بَيْنَنَا أَدَبٌ أَقْمَنَاهُ مَقَامَ الْوَالِدِ
 وإذا اختلفنا نسباً أُلِّفَ بيننا (جمعنا) الأدب الذي جعلناه في مقام الوالد (النسب)

١٨٣ الشعر والكيمياء

يَعَاتِبُ عَلِيَّ بْنَ الْجَهْمِ وَيَطْلُبُ إِلَيْهِ انْتِجَازَ وَعْدٍ مِنْ عَثْمَانَ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ بَدْرِ الشَّامِيِّ:
 بِأَيِّ نُجُومٍ وَجْهِكَ يُسْتَضَاءُ أَبَا حَسَنِ! وَشَيْمُكَ الْإِبَاءُ
 نريد أن نستضيء بك، ونتنفع نفعاً لا يضرك ولا ينقص منك شيئاً، نريدك واسطة فقط؛ ونحن نعلم
 أن خلقك الإباء ولهذا صعب عليك التوسط

أَتَتْرُكُ حَاجَتِي غَرَضَ التَّوَانِي؟ وَأَنْتَ الدَّلُوفُ فِيهَا، وَالرِّشَاءُ
 أترك حاجتي غرضاً للتواني (للكسل)، وأنت لها كل شيء: الدلو والرشاء (الحبل)

تَأَلَّفَ آلَ إِدْرِيسَ بْنِ بَذْرِ؛ فَتَسْبِيبُ الْعَطَاءِ هُوَ الْعَطَاءُ
 تألف القوم (اجعل قلوبهم ودودة لنا)، فالواسطة لتسبب العطاء هي كالعطاء نفسه

وَحُذِّهِمْ بِالرُّقَى، إِنَّ الْمَهَارِي يُهَيِّجُهَا عَلَى السَّيْرِ الْحُدَاءِ
 وخذهم بالرقى (التعاويز/ يقصد الكلام اللطيف)، فالمهاري (الإبل الأصيلة) يحثها الحداء (الغناء
 الموقع) على السير

فَإِمَّا جَارَ مِنِّي الشَّعْرُ فِيهِمْ، وَإِمَّا جَارَ مِنْكَ الْكِيمِيَاءُ
 فإما أن ينفع شعري في تليينهم، أو ينفع منك الكيمياء (التحايل)

١٨٤ ملتقى الدموع

يمدح إسماعيل بن شهاب ويشكره:

دِمْنٌ طَالَمَا التَّقَتْ أَدْمُعُ الْمَرْءِ نِ عَلَيْهِا، وَأَدْمُعُ الْعُشَّاقِ
 أطلال المحبوبة يسقيها دمع المزن (السحاب) وتسقيها دموع العشاق، فيلتقي المطر والدمع فيها

حَفِظَ اللَّهَ، حَيْثُ يَمَمَ، إِسْمَا عَيْلُ، وَلَيْسَقِهِ مِنَ الْغَيْثِ سَاقِ

ليحفظ الله إسماعيل أين يمم (حيثما توجه)، وليسقه الغيث

قَدْ سَقَتْنِي الْأَيَّامُ مِنْ يَدِهَا سُمًّا - أَا، لِفَقْدِي لَهُ، بِكَأْسٍ دِهَاقِ

كأس دهاق (ممتلئة)

وَشَجَّتْ بَيْنَنَا الْأُخُوَّةُ؛ إِنَّ الْ - وَدَّ عِرْقُ زَاكِ مِنَ الْأَعْرَاقِ

وشجت (تشابكت)

لَوْ تَرَى ذَبَّهُ هُنَالِكَ دُونِي لَمْ تَلْمَنِي فِي حُبِّ أَهْلِ الْعِرَاقِ

ذبه دوني: محاماته عني

١٨٥ سال بك السيل

يهجو عبد الله الكاتب:

إِثْطَعُ جِبَالِي، فَقَدْ بَرِمْتُ بِكََا وَخَلَّنِي، حَيْثُ شِئْتُ، مِنْ يَدِكََا

أَنْتَ كَثِيرُ الْأَلْوَانِ مُشْتَرِكٌ فَاطْلُبْ خَلِيلًا سِوَايَ مُشْتَرَكَا

أنت شخص متلون، ومشارك (لا تخلص الود للصديق، بل تشارك في أسراه الآخرين)

فَاذْهَبْ، إِلَى حَيْثُ شِئْتُ، مُنْطَلِقًا سَالَ بِكَ السَّيْلُ حَيْثُمَا سَلَكَا

١٨٦ فوق الشرك

يهجو عبد الله الكاتب:

هَلِ اللَّهُ لَوْ أَشْرَكْتُ كَانَ مُعَذِّبِي بِأَكْثَرٍ مِنْ أَنِّي لِجَاهِكَ آمِلُ

١٨٧ ما أضيق الغمد بغير نصله

يهجو صالح بن عبد الله الهاشمي:

وَسُوقَةٌ فِي قَوْلِهِ وَفَعَلِهِ

سوقة: سوقي

بَذَلْتُ مَذْحِي فِيهِ، بَاغِي بَذْلِهِ

طالباً بذله (عطاءه)

فَجَذَّ حَبْلَ أَمْلِي مِنْ أَضْلِهِ

جذَّ: قطع

مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَعْبَدَنِي بِمَظْلِهِ

مطله : ماطلته

يَا وَاحِدًا مَقْتَدِرًا بِعَدْلِهِ

أَلْبَسَتْهُ الْغِنَى فَلَا تُمَلِّهِ

جعلته غنياً فلا تمله (لا تجعله يتمتع طويلاً)

مَا أَضْيَقَ الْغَمْدَ بِغَيْرِ نَصْلِهِ

ما أضيق (ما أشد ضيق وانزعاج) الغمد عندما يدخل فيه نصل غير نصله الأصلي

وَالشُّعْرَ، مَا لَمْ يَكْ عِنْدَ أَهْلِهِ

وكذا الشعر ما أشد انزعاجه عندما يكون عند من لا يستحقونه

١٨٨ إن كنت ممن يفكر

وقال في الوعظ والزهد :

وَقَدْ يَسْتُرُ الْإِنْسَانُ بِاللَّفْظِ فِعْلَهُ فَيُظْهِرُ مِنْهُ الطَّرْفُ مَا كَانَ يَسْتُرُ

الطرف : النظر

تَذَكَّرْ، وَفَكَّرْ فِي الَّذِي أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ عَدَاً، إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُفَكِّرُ

فَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَصِيرَ لِحُفْرَةٍ بِأَثْنَائِهَا تُظَوِّي، إِلَى يَوْمٍ تُنْشَرُ

بأثنائها : في داخلها، تنشر : تُبعث يوم القيامة

تم الشرح في ثاني أضحى عام ١٤٣٢، الموافق للثامن من نوفمبر/تشرين الثاني عام ٢٠١١

فهارس أبي تمام

فهرس القوافي

(القافية فرقم القطعة)

والْعَصْبُ ٦	الأنواء ٥٤
وَيْبُ ١٥٨	الإباء ١٨٣
أَدِيبٍ ١٢	سواء ٢٩
أَدِيبٍ ١٥٧	الخلفاء ١٣٩
الأَحْسَابِ ١٢٧	سُجْرَانِي؟ ١١٩
الترابِ ١١٧	امتلائها ١٧٩
السَّوَاكِبِ ١٠٢	السَّيِّا ١٨٠
عَتَّابٍ ٧٧	الْكَلْبَا ٤٣
عَجَبٍ ١٥٢	المغَارِيا ١٥٤
مُتَقَبِّ ٧٥	ثُرْبَا ٢٧
واللَّعِبِ ١٤٠	تَصُوبَا ٨٢
والثُّوبِ ١٦	والصَّابَا ٤٤
طَالِيَهُ ١٠٨	الْحَطْبُ ٩٨
وَصِيَهُ ١٢٣	المكروِبُ ١٧٢
وَأَيَّتِ ١٢٤	جَدِيبُ ١٠٥
وَفَاتَهَا ٤٥	كَيْبُ ١٠٤
رِنَانَا ٧٦	والآدَابُ ٢٠

وَجَدَهُ ٥٩	أَحْبَى ٥٦
خَدَهُ ٦٠	حَرَجًا ٨٨
وَدِدَهُ ٩٧	تَلَوُّحُ ٢٦
يَدِكَ ١٨٥	السَّفَاحِ ٤٦
اسْتَظَّارَا ٥٧	وَصُدُودًا ١٠٠
الْكِبَارَا ١٧٥	النَّقْدُ ٢٥
الْأُخْرُ ٢٨	رَدُّ ١١٣
الْأَوْطَارُ ٩١	عَدَدُ ٨٣
الْخَنَازِيرُ ١٠	وَلَدُوا ٣٣
الْخِيَارُ؟ ١١٥	الْبَيْدِ ١٣٢
الدَّهْرُ ٤٢	الْجَسَدِ ٤٧
الصدورُ ٥	الفؤادِ ١٦٣
الْقَدْرُ ١٣٧	الْقُودِ ١٠٩
صَدْرُ ١٤	المجدِ ٢١
عُذْرُ ٣٥	الوادي ١٩
والخيرُ ١١	الوَجِدِ ١٢١
والعَبْرُ ٦١	بِفَاسِدٍ! ١١٤
يَتَكَسَّرُ ١٤١	بِفَاقِدِ ١٨٢
يَسْتُرُ ١٨٨	دُؤَادِ ١٦٤
أَغْفَرِ ٢	قَرَدَدِ ١٣٦
الْفَاتِرِ ٦٢	لَيْبِ ١٦٥
الْمَتَحَيِّرِ ١٢٩	مَرْقَدِ ٨٧
حَذَارِ ١٤٥	نَوَاشِدِ ١٠١
فَاجِرِ ٨٩	وَنَالِدِ: ٩٩
أَمِيرُهَا؟ ١٧	وَتَعْتَدِي ٨٦
أَمِيرُهَا؟ ٩٢	وَفْدِي ١٢٥

عَقَالَا ٩٠	انْهَمَارُهَا ١٧٠
مَعْقُولَا ٣٧	مَصَادِرُهُ؟ ١٢٢
يَأْفَلَا ١١٠	قُدْمُوسَا ١٨
التَّكَلُّ ١٦٨	الْأَدْرَاسِ ١٤٨
الطَّرُولُ ١٤٦	أَنْقَاسِ ٧٣
آمِلُ ١٨٦	مَضَى ٥٨
آهِلُ؟ ١٧٣	الْقَرِيضُ ١
شَمَائِلُ ٤١	جَرَضُ ٣
لَبْخِيلُ ٣٢	بِالْعَرَضِ ٤٨
مُقْبِلُ ١٠٣	وَالْأَعْرَاضِ ١٦٦
أَنْكَلِ ٦٥	بَلَقْعَا ٣١
التَّبَلِ ١٣	يُنْبُوْعَا ١٧٨
الرِّزْمَلِ ١٦٠	جَارِعُ ١٥
المَسْبِلِ ١٦٧	مَهْبِغُ ٨٤
يَتَوَالِ ١٥١	يَمْتَنِعُ؟ ٣٠
بِطَائِلِ ٢٢	ذِرَاعِي ١٢٦
سَلْسِيلِ ١٣٠	لَطِيفَا ٨٥
مَوَاكِلِ ١٤٢	وَنَبَقَا ٤
وَصِيَالِ ١٤٤	الْأُنُوفِ ١٣٣
وَسِيلِي ٧	الصَّادِقُ ١١١
وَأَسْفَلُهَا .. ٧٨	تَشَدَّقُ ٢٤
تُحَاوِلُهُ ١٤٧	تُطْقِ ١٠٧
مَرَاكِجُهُ ٨٠	السِّيَاقِ ٤٩
نِضَالِهِ ١٠٦	مُمَرِّقِ ١٦٢
وَفَعْلِهِ ١٨٧	الْعُشَاقِ ١٨٤
تُنِيمَا ٩٥	قَفَاكََا ٦٣

وَأُحْتَمِمْ ٦٦	دَمًا ٦٨
وَذِمَامٍ ١٤٩	رَحِيمًا ٣٤
دَمُهُ ٣٦	قُدَمًا ١٧٧
نَعِيمُهَا ١١٢	أَقْدَمُ ٨١
قَسِمَةُ ٨	الإِلْمَامُ ١٣٨
رَاجِعُونَا ٥٢	تَتَهُمُ ١٥٩
الَّذِينَ ١٤٣	تَسْتَنِيْمُ ١٧١
الشُّجُونُ ٧٠	حَمِيمٌ ١٣٤
عُيُونُ ٧١	سُلْمُ ١٢٠
فَيَكُونُ ١٥٠	عَالَمُ ١٦٩
الثَّانِي ٩٦	فَهُمْ ١٥٥
الحَسِينِ ١٧٦	لَلَّيْمُ ٩
المَعَانِي ٦٩	تَتَكَلَّمُ ٦٧
الْوَسَنِ ٥٣	الْأَعْظَمِ ١١٦
الْيَمَنِ ٣٩	الْحَذِمِ ٩٣
بِأَوْطَانِ ٥٠	الْكَرَمِ ٤٠
غُضَنِ ٧٢	الْمَكَارِمِ ٧٩
وَأَحْزَانِي ١١٨	بِالسَّلَامِ ٢٣
وِإِخْوَانِي ١٥٦	بِكَرِيمِ ١٧٤
أَمَانِيَا: ١٨١	خَزَائِمِ ١٢٨
زَمَانَهَا ٥١	رَحِيمِ ٣٨
بِأَغْصَانِهِ ١٣١	سُعُومِ ١٣٥
بِطَيِّ ١٦١	عَزَائِمِي؟ ٩٤
نَاطِرِيكََا ٦٤	مُنْهَدِمِ ٧٤
	نَظْمِي ١٥٣

القطع المنتخبة بأسمائها وأوصافها

الأرقام أرقام القصائد لا الصفحات

- ١ فيضان حسب الطلب: ٣ أبيات/ لعياش بن لهيعة بمصر
- ٢ لو كنتَ حبلى لولدت: ١١ بيتاً/ فيها نسيب وعتاب مر مع سخرية
- ٣ كل أمري فيك متقضى: ٣ أبيات/ فيها قلقه بمصر
- ٤ المطول والملحف: ٣ أبيات/ في عتاب عياش
- ٥ البشر روض والمطاء غدیر: ٥ أبيات/ عن العبوس والبشاشة
- ٦ لا رضىتم: ٤ أبيات/ هجاء ناعم لعياش
- ٧ ظلمتك: ٦ أبيات/ وهجاء أقوى قليلاً
- ٨ الغبرة على الأرغفة: ٣ أبيات/ هجاء ساخر من عياش
- ٩ جردت في ذمك خيل قصائد: ٧ أبيات/ هجاء حائق لعياش بن لهيعة
- ١٠ أيدٍ صخور وأعراضٌ قوارير: بيتان/ فيهما حنق
- ١١ القبر المقبور: ٣ أبيات/ في هجاء لعياش بعد موته
- ١٢ الغريب.. والعجيب: ٣ أبيات/ في هجاء الشاعر السراج
- ١٣ الشامي المغترب في مصر: ١٦ بيتاً/ مرارة الغربة بمصر وشوق للشام
- ١٤ فما يهتدي إلا لأصفرها الشعر: ١٩ بيتاً/ في اليأس من مصر وفخر طائي قبلي
- ١٥ مجد طيء: ٢٣ بيتاً/ من الفخر القبلي الصرف
- ١٦ أدركتني حرفة الأدب: ١٠ أبيات/ يائس وفقير، نهم للمال
- ١٧ مناً أميرها: ٣ أبيات/ من الفخر اليماني ..
- ١٨ الرئيس والمرؤوس: ١٠ أبيات/ مدح قائد دمشقي
- ١٩ المداح المحترف: ٤ أبيات/ يمدح القائد ويمدح شعره

- ٢٠ صحراء عليها باب: ٣ أبيات/محبوباً ساخطاً
- ٢١ أمدحك مع الخلق وأهجوكم وحدي: ٦ أبيات/مدح مشهور له
- ٢٢ رياض الباطل: ٣ أبيات/خية أمل من الممدوحين
- ٢٣ السلام عليك، يا أبا تمام!: بيتان/رجل يسلم عليه وأبو تمام لا يريد
- ٢٤ ما كل رؤيا تصدق: ١١ بيتاً/هجاء شاعر حمص، وسخرية وفخر بطيء
- ٢٥ لا للمشاتمة: بيتان/هجاء شاعر حمص
- ٢٦ بلى، تموت فتستريح: ٣ أبيات/فخر وهجاء في حمص
- ٢٧ أحيا وأمات في الصحارى: ٣ أبيات/هجاء وفخر ابن الصحراء بقسوته
- ٢٨ نحن مادة السمر: ٥ أبيات/فخر فاخر
- ٢٩ فافعل ما تشاء: ٨ أبيات/قصيدة مشهورة في الحياء والأخلاق
- ٣٠ انتجاع الموت: ٩ أبيات/مدح للطائين وفخر
- ٣١ ثم انثنى فقطعا: ٥ أبيات/رثاء المجاهد محمد بن حميد
- ٣٢ قتيل الحفاظ: ٦ أبيات/رثاء المجاهد نفسه
- ٣٣ عبث: بيت واحد/حكمة
- ٣٤ الموت ولا المذلة: ٣ أبيات/رثاء طائي مجاهد
- ٣٥ كذا فليجل الخطب: ٢٥ بيتاً/الرثائية الكبرى المشهورة، رثاء محمد بن حميد
- ٣٦ حوار مع ميت: ٥ أبيات/رثاء محمد بن حميد، صورة في منتهى العذوبة
- ٣٧ مزاحفة الأيام: ١٢ بيتاً/نسب وحكمة وقليل من مدح
- ٣٨ ولا عذر لطائي لثيم: ٦ أبيات/توجع وسهر وفخر بطيء
- ٣٩ من كان يالفهم في المنزل الخشن: ٧ أبيات/صديقه أصبح قائداً وهو يقتضيه
- ٤٠ الكبيرة للكبير: ٣ أبيات/تهنئة بالشفاء فيها بيت سائر جداً
- ٤١ عندما يفكر الدهر: ٥ أبيات/نسب وشكوى ومدح في كبسولة
- ٤٢ الأفاعيل: ٤ أبيات/في حب آل رسول الله ﷺ
- ٤٣ الليث يفترس الكلب: بيت مفرد/فيه هجاء وحكمة
- ٤٤ حزناً على السيدة الحنون: ٣ أبيات/هجاء ساخر وقذف (أسلوب الاستطراد)
- ٤٥ فيما يقال...: ٤ أبيات/هجاء ساخر وقذف (أسلوب الاستطراد)
- ٤٦ يا ذا القرنين: بيتان/هجاء ساخر وقذف (استطراد)

- ٤٧ أشرجت وأنحفت: بيتان/ هجاء شاعر وسخر منه
- ٤٨ العقاب الجماعي للبشرية: ٣ أبيات/ هجاء ابن الأعمش، فاحش وساخر
- ٤٩ أيها الدميم: ٣ أبيات/ في ابن الأعمش
- ٥٠ رحمها الله: ٣ أبيات/ هجاء قذف مبطن (فن الاستطراد عند أبي تمام)
- ٥١ واجاريتاه: ٦ أبيات/ رثاء جاريتيه
- ٥٢ كان الذي خفت أن يكونا: ٩ أبيات/ رثاء ولده (منسوبة إليه)
- ٥٣ لله الحافظه والموت يكسرها: ٤ أبيات/ في رثاء ولده
- ٥٤ أصبحت الأرض إذن سماء: ٦ أشطر/ أرجوزة في المطر
- ٥٥ غيمة: ٩ أشطر/ أرجوزة في غيمة ماطرة
- ٥٦ اليأس من الناس: ٣ أبيات/ يأس من الناس
- ٥٧ برق ومطر: ٦ أشطر/ أرجوزة في المطر
- ٥٨ أقرضني ثم اقتضى: بيتان/ تسليم بالقدر
- ٥٩ هذه الغرام: ٤ أبيات/ عذاب العاشق
- ٦٠ نزهة اليد: بيتان/ لذة الوصل
- ٦١ كأنها من خده تعصر: بيتان/ خمر وغزل
- ٦٢ عذبت قلب الشاعر: ٣ أبيات/ غزل
- ٦٣ عن أبي نواس أنه قال: بيتان/ مجون
- ٦٤ محاسنه في وجنتيك: بيتان/ غزل مصنوع
- ٦٥ ما الحب إلا للحبيب الأول: ٤ أبيات/ الأبيات المشهورة «نقل فؤادك..»
- ٦٦ في دعوة الأحلام: ٣ أبيات/ غزل
- ٦٧ تكسير أبصار: بيتان/ غزل
- ٦٨ زدني ألما: ٤ أبيات/ غزل كأنه للبهاء زهير
- ٦٩ تساكنتنا: بيتان/ غزل
- ٧٠ قتيل العيون: بيتان/ غزل
- ٧١ مكانك مصون: بيتان/ غزل
- ٧٢ الأصل في بدني: ٤ أبيات/ غزل فيه جملجلة أبي تمام
- ٧٣ اقشعرارهن من الشيب: ٣ أبيات/ تشبيه معقد في وصف الشيب
- ٧٤ الفعل لمالك والشهرة للغيوم: ٣ أبيات/ مدح في ختامه نكتة لطيفة
- ٧٥ صادق معك، كاذب مع غيرك: ٤ أبيات/ مدح مالك بن طوق

- ٧٦ .. أتيتك مضطراً: ١٢ بيتاً/مدح لتغلب، وشكوى من المنطقة الزراعية ..
- ٧٧ الغباء والتغابي: ١٣ بيتاً/إصلاح فيما بين الأقارب، ومدح لقصيدته
- ٧٨ وليس لي عمل زاك فأدخلها: ٤ أبيات/لماذا هذا الحجاب؟ ..
- ٧٩ إفراط الحزن لا يليق بالسادة: ٤ أبيات/ذم الزمان، وتعزية ..
- ٨٠ السمع السخي: بيت مفرد/مدح بدوي ..
- ٨١ إن الألمعي منجم: ١٣ بيتاً/المشكلة مع الأقارب، مالك بن طوق يربّي أقاربه ..
- ٨٢ غفلات الشباب: ٢٣ بيتاً/قصيدة كبيرة، أطلال وشيب وجهاد، ومدح ..
- ٨٣ السيوف المغيظة: ١٥ بيتاً/مواجهة مع بابك الخرمي، حرب وضرب ..
- ٨٤ مداراة الرؤساء: ٩ أبيات/شيب وحكمة ومدح
- ٨٥ رأي كالشعلة، شعلة كالسيف: ٤ أبيات/مدح الثغري بالشجاعة وبعد النظر ..
- ٨٦ أمدحك بسهولة: ٤ أبيات/مدح الثغري وموقف من النظم
- ٨٧ دفاعاً عن الاغتراب: ٢٢ بيتاً/أبيات مشهورة، مدح وفخر وحكمة ..
- ٨٨ سله كيف نجا: ٨ أبيات/أبو سعيد يواجه بابك الخرمي ..
- ٨٩ كم ترك الأول للآخر: بيتان/يمدح شعره ..
- ٩٠ أمد إليك آمالاً طوالاً: ٤ أبيات/عتاب لأبي سعيد ..
- ٩١ إعصار على حيطان القسطنطينية: ٧ أبيات/أبو سعيد يحارب الروم ..
- ٩٢ شجاعة الصدر والقفا: ٤ أبيات/مدح وفخر بطيء ..
- ٩٣ حقن ماء الوجه: بيتان/الحرص على الكرامة ..
- ٩٤ الثلمة بين الرأيين: ٤ أبيات/مدح أبي سعيد، مدح عدم التردد ..
- ٩٥ بشق النفس: ١٧ بيتاً/مقدمة في الشيب ثم وصف جهاد الثغري
- ٩٦ وداع فصيام: بيتان/مدح ووداع ..
- ٩٧ الهيق: ٦ أبيات/قطعة مدحية مكثفة ..
- ٩٨ القصيدة المغرورة: ١٩ بيتاً/مدح شيان بيوم ذي قار، وجهاد الروم ..
- ٩٩ خرّ صريعاً بين أبدي القصائد: ٥ أبيات/مدح خالد بن يزيد ..
- ١٠٠ الخلود الدنيوي: ١٠ أبيات/مدح بالنسب ..
- ١٠١ حطّ الرحل والظن: ٥ أبيات/رثاء عذب لخالد بن يزيد الشيباني ..
- ١٠٢ يا كاسري كسرى!: ٢٦ بيتاً/قصيدة كبيرة، فيها كل عناصر المدح التمامي
- ١٠٣ الطرف القلقل: ٦ أبيات/يعاتب أبا دلف على عبوسه

- السكوت وعد: ٥ أبيات/ يعاتب الحجاب، وتشبيه طريف للحجاب بالنعيم ... ١٠٤
- تهديد بالرحيل الغاضب: ٥ أبيات/ عتاب قوي لأبي دلف ... ١٠٥
- قطعة من الجاه: ٦ أبيات/ شكر للسكرتيرة لأنها أوصلته للمدير ... ١٠٦
- خائف على عني: بيتان/ شكر ... ١٠٧
- وركب كأطراف الأسنة: ١٧ بيتاً/ قصيدة كبيرة، الرحيل إلى عبد الله بن طاهر ... ١٠٨
- مطلع الجود: بيتان/ مشهوران جداً ... ١٠٩
- الشواهد والشماثل: ٥ أبيات/ رثاء ولدين لعبد الله بن طاهر ... ١١٠
- إخفاء المعروف سرقة: بيتان/ شكر الكاتب الواسطة ... ١١١
- التضاد: بيت مفرد/ التصبر ... ١١٢
- كل غانية هند: ٥ أبيات/ أطلال، فمدح ... ١١٣
- الحب المنكوح: ١٠ أبيات/ مدح ابن شبانة، وغزل عجيب ... ١١٤
- كاش، لو سمحت: ١٩ بيتاً/ أطلال، وتنديد ببخل الأمراء ... ١١٥
- السواد الأعظم: بيتان/ يأس من الناس ... ١١٦
- نقل الشكر ونقل تركه: بيتان/ شكر ابن شبانة ... ١١٧
- ظهور العيس أوطني: ٦ أبيات/ شكوى فيها حرقه من الغربة ... ١١٨
- كذلك قدرة الضعفاء: ١٧ بيتاً/ وصف الخمر ... ١١٩
- ضميره يتبسم: بيتان/ مدح الضبي ... ١٢٠
- الحسناء الخجول: ٣ أبيات/ غزل ... ١٢١
- الليل الطويل: بيتان/ طول ليل العاشق ... ١٢٢
- نرمي بأشباحنا: ٦ أبيات/ مدح هاشمي، ومجاملة للعباسيين ... ١٢٣
- الظامسة الصوى: ١١ بيتاً/ صحراء وناقاة ثم ممدوح حلیم ... ١٢٤
- قلادة السؤدد: ١١ بيتاً/ قمع فتنه/ ومدح معتدل جداً ... ١٢٥
- صاعاً بصاع: ٩ أبيات/ الممدوح يساعده على الدهر ... ١٢٦
- مات شاباً: ٤ أبيات/ رثاء فتى ... ١٢٧
- ساعات الدهر نفترسنا: ٣ أبيات/ رثاء وزهد ... ١٢٨
- إني انتجعتك: ٣ أبيات/ مدح بارد ... ١٢٩
- التصدق بالخمير: ٤ أبيات/ سخرية وعتاب على خمر رديئة ... ١٣٠
- يكون غلاماً لغلمانة: ٤ أبيات/ غضب من المرمطة ... ١٣١
- صدقت، ولكن... بيتان/ القسوة في طلب الرزق ... ١٣٢

١٣٣	جدع الأنوف: بيتان/ ذم بعض الأصحاب
١٣٤	شكوى الغريب: ٦ أبيات/ حنين إلى الشام
١٣٥	أشعر الثقلين: ٦ أبيات/ ناقته تحمله إلى مكة
١٣٦	العصر الذهبي: ٦ أبيات/ مدح المأمون
١٣٧	الإمام العادل: ٣ أبيات/ المأمون الشمس والقمر
١٣٨	فكانها وكأنهم أحلام: ٨ أبيات/ مدح المأمون
١٣٩	شماتة الأعداء: ٤ أبيات/ مشكلة خالد بن يزيد في العاصمة
١٤٠	السيف أصدق أنباء: ٧١ بيتاً/ (ملحمة أبي تمام الكبرى)
١٤١	دنيا معاش للورى: ١٤ بيتاً/ وصف الربيع
١٤٢	إلا أنها لم تُقاتل: ٩ أبيات/ جيش الأفشين في حرب بابك
١٤٣	الأفشين واصطياد بابك: ٨ أبيات/ القبض على بابك
١٤٤	الظفر يبابك الخرمي: ٢٢ بيتاً/ ملحمة في السياسة الشرقية لدولة المعتصم
١٤٥	قتل الأفشين: ٤٠ بيتاً/ قصيدة كبيرة، ملحمة إعدام الأفشين وصلبه
١٤٦	اقتال القوافي: ٩ أبيات/ مدح حزم المعتصم
١٤٧	وقفنا على جمر الوداع: ٢٠ بيتاً/ مدح المعتصم، أبيات رفعها النقاد للسماء
١٤٨	المشكاة والنبراس: ١٤ بيتاً/ قال الفيلسوف: بيتان قتلا أبا تمام، وهما هنا
١٤٩	صاحب القلادة الجديد: ٤ أبيات/ تهنئة الواثق بالخلافة
١٥٠	في بعض القلوب عيون: ٨ أبيات/ مدح الواثق
١٥١	السيل حرب للمكان العالي: ٦ أبيات/ مدح مشهورة أبياته جداً
١٥٢	ابنسام الرأي والأدب: ٣ أبيات/ كلام في الشيب
١٥٣	أنا والشعر: ٤ أبيات/ الشعر اختصاصه وروحه
١٥٤	أخو الأسفار: ٣ أبيات/ جواب الآفاق يحارب الزمن
١٥٥	حلاوة القصائد: ٣ أبيات/ أنا كزهر وأنت كهرم
١٥٦	الإخوة والإخوان: ٣ أبيات/ الصداقة
١٥٧	قلبي لكم، وقلبي لغيركم: ٣ أبيات/ يا أولياء نعمتي
١٥٨	يا فصيح، يا بليغ: ٣ أبيات/ مدح الحسن بن وهب
١٥٩	أفسدتك النعمة: ٣ أبيات/ عتاب مر لصديقه الذي وصل
١٦٠	أسير كرم آبائه: بيتان/ حكمة
١٦١	صاحب الحظوة: ١٠ أبيات/ بيت غزل، ثم فخر بتفوقه على الشعراء

- ١٦٢ انزلاق النظر: ٥ أبيات/وصف فرس
- ١٦٣ شاب رأسي: ٣ أبيات/في الشيب
- ١٦٤ تنصّل من غير جرم: ١٦ بيتاً/اعتذار لأحمد بن أبي دؤاد، وفخر بشعره
- ١٦٥ فائدة الحسود: ١٣ بيتاً/فيها بيتان هما أشهر ما قيل في الحسد
- ١٦٦ المهم رضاك أنت: ٥ أبيات/مدح ابن أبي دؤاد
- ١٦٧ بناء الجار قبل الدار: ٤ أبيات/مدح ابن أحمد
- ١٦٨ الحمد لله على السلامة: ٦ أبيات/تهنئة بشفاء أحمد بن أبي دؤاد
- ١٦٩ شريعة الشعر: ١٦ بيتاً/موقف من الشعر ومن دعم ابن أبي دؤاد للعرب
- ١٧٠ المطر على جثة عطشان: بيتان/استعجال وفد أحمد
- ١٧١ هذا هو التهديد: ٦ أبيات/تهديد الوليد بهجاء مر
- ١٧٢ ديمة سمحة القيادة: ١١ بيتاً/وصف غيمة ومدح ابن الزيات
- ١٧٣ وصف القلم: ٢٦ بيتاً/مدح ابن الزيات وعتاب، وأخذ ورد
- ١٧٤ الخوض في لجة اللؤم: بيتان/حكمة السائلين
- ١٧٥ ولي الأمر: بيتان/مدح قائد الشرطة
- ١٧٦ الويل للذهب وللفضة: ٣ أبيات/فائدة القرب من السلطة
- ١٧٧ لات حين تنصّل: ١٠ أبيات/مدح قانع الفتنة
- ١٧٨ كلمات تنهمر من عينيها: ٤ أبيات/تعريض بقائد الشرطة
- ١٧٩ الشكوى فائض البلوى: بيت مفرد/حكمة جميلة
- ١٨٠ وسائل شعر: ٥ أبيات/في عتاب المصعبي
- ١٨١ لبتي كنت تراباً: ٨ أبيات/توبة ورجاء
- ١٨٢ إخوة في الأدب: ٤ أبيات/في صديقه علي بن الجهم الشاعر
- ١٨٣ الشعر والكيمياء: ٥ أبيات/عتاب لصديقه الشاعر
- ١٨٤ ملتقى الدموع: ٥ أبيات/شكر الصديق العراقي
- ١٨٥ سال بك السيل: ٣ أبيات/برم وتأفف من كاتب سمج
- ١٨٦ فوق الشرك: بيت مفرد/هجاء الكاتب
- ١٨٧ ما أضيق الغمد بغير فصله: ٨ أشطر/أرجوزة هجاء
- ١٨٨ إن كنت ممن يفكر: ٣ أبيات/في الزهد

فهرس الأغراض (أبو تمام)

الأرقام أرقام القصائد لا الصفحات

(المدح المباشر مستثنى من هذا الفهرس، لأنه موجود في معظم القطع)

أطلال: ١٨٤/١٦٢/١٤٨/١٤٧/١٣٨/١١٥/١١٣/١٠٢/٨٢/٧٦

اعتذار: ١٦٤/٢١

بخل: ١٣٠/١١٥/٨٤/٢٢/٢٠/١٣/١٠/٩

جهاد: ١٤٥/١٤٤/١٤٣/١٤٠/١٢٥/١٢٤/١٠٨/٩٨/٩٥/٩١/٨٨/٨٣/٨٢/٣٥/١٤٦

حازم عازم: ١٥١/٩٤/٢٧/١٤

حجاب: ١٧٨/١٠٤/٧٨/٢٠/٥

حكمة: ٩٨/٩٥/٨٧/٨٥/٨٤/٨٣/٨٢/٨١/٧٩/٧٧/٥٠/٤٠/٣٩/٣٣/٢٩/١٠٦/١٠٢/١٦٤/١٥١/١٤٣/١٣١/١٢٨/١١٩/١١٦/١١٤/١١٢/١١١/١١٠

١٨٨/١٧٩/١٧٤/١٧٣/١٧٠/١٦٩/١٦٥

خمر: ١٣٠/١١٩/١٣

ذل السؤال: ٧/٣

رثاء: ١٢٨/١٢٧/١١٠/١٠١/٨٠/٧٩/٥٣/٥٢/٥١/٣٦/٣٥/٣٤/٣٢/٣١/٣٠

رحيل: ١٧٨/١٥٤/١٥١/١٢٦/١١٨/١٠٨/١٠٢/١٠٠/٨٧/٦٥/٣٧/١٤/٦

زمن وغد: ١٧٤/١٧١/١٣٤/١١٥/٣٣/٢٠

زهد: ١٨١/١٨٨/١١٤/٥٦/٥٠

سحاب ومطر: ١٦٧/١٥١/١٤١/١٢٩/١١٩/١٠٣/١٠١/٧٤/٥٧/٥٥/٥٤/١٣/١٧٢/١٧٠

سخرية: ٤٩/٤٨/٤٧/٤٦/٤٥/٤٤/٤٣/٢٦/٢٥/٢٤/٢٣/٢٠/١٢/١١/١٠/٨/١٨٦/١٦١/١٣٠/٥٠

سياسة: ١٨/٤٢/٧٧/٨١/٨٣/٨٧/٨٨/٩١/١٠٢/١٠٨/١١٤/١٢٣/١٢٤/١٢٥/
١٣٦/١٣٧/١٣٨/١٣٩/١٤٠/١٤٢/١٤٣/١٤٤/١٤٥/١٤٦/١٤٧/١٤٨/١٤٩/
١٥٠/١٧٣/١٧٥/١٧٧

شجاعة: ٣٠/٣١/٣٢/٣٤/٣٥/٣٦

شحة الرزق: ٢/١٦/٣٧/٨٧/١٣٢

عن الشعر: ١/٢/٤/٧/٩/١٤/١٦/١٩/٢٤/٢٨/٧٥/٧٧/٨٩/٩٠/٩٩/
١٠١/١٠٢/١١٤/١١٥/١٢٠/١٢٥/١٢٦/١٢٩/١٣٥/١٤٦/١٥٠/١٥٣/١٥٥/
١٦١/١٦٤/١٦٥/١٦٦/١٦٩/١٧١/١٧٣/١٨٠/١٨٧

شكر: ١٠٦/١٠٧/١١١/١١٧

شكوى من المماطلة: ٢/٣/٤/٦/٧/٨/٩/٢٢/٤١/٧٨/٧٦/٩٠/١١٥/
١١٩/١٣١/١٧٠/١٧٣/١٨٧

شكوى: ١٣/٢٩/٣٨/٤١/٤٢/٥٨/٧٦/١١٩/١٣٤/١٥٤/١٧٩

شيب: ٧٣/٨٢/٨٤/٩٥/١٥٢/١٦٣

صحراء: ٢/٢٧/٨٧/٩٧/١٠٢/١١٥/١١٨/١٢٣/١٢٤/١٣٢/١٣٥/١٤٧

صدقة: ٣٩/١١٦/١٣٣/١٥٦/١٥٩/١٨٢/١٨٣/١٨٤/١٨٥

عبوس المملوح: ٤/١٠٣

عتاب: ٢/٣/٤/٥/٢٩/٣٩/١٠٥/١٣٠/١٨٣/١٥٩

عوام وسوقة: ٢٣/٣٩/١١٦/١٧٣

فخر بقبيلة طيء: ١٤/١٥/١٧/٢٨/٣٥/٣٨/٩٢

قسوته على نفسه في السعي للرزق: ٢/١٤/١٦/٨٧/٩٤/١٠٨/١٢٤/١٣٢/١٥٤

قمع الفتنة: ١٨/٣٩/٨١/٨٣/٨٧/٨٨/١٢٥/١٤٢/١٤٤/١٤٧/١٧٧

كرامة المرأة: ٣/٩٣

مرض: ٤٠/٥٣/١٦٨

نسب وغزل: ٢/١٤/٢٨/٣٧/٤١/٥٩/٦٠/٦١/٦٢/٦٣/٦٤/٦٥/٦٦/٦٧/٦٨

٦٩/٧٠/٧١/٧٢/٧٣/٨٢/٨٧/٩١/٩٥/٩٧/١٠٠/١٠٨/١١٤/١٢١/١٢٢

١٢٤/١٢٦/١٤٧/١٤٨/١٥١/١٥٢/١٦١/١٦٢/١٦٥/١٧٣/١٧٨

هجاء: ٦/٧/٨/٩/١٠/١١/١٢/٢٠/٢٢/٢٣/٢٤/٢٥/٢٦/٢٧/٢٩/٤٣/٤٤

٤٥/٤٦/٤٧/٤٨/٤٩/٥٠/١٦١/١٧١/١٨٥/١٨٦/١٨٧

وداع: ٩٦/١١٨/١٤٧/١٨٤

وطن: ١٣/٦٥/١١٨/١٣٤

وصف: ١٤١/١٧٢/١٧٣

البُحْثَرِيُّ

(٢٠٦هـ - ٢٨٤هـ)

سماه أهله الوليد. وَكَتَّوْهُ صَغِيرًا - على عاداتهم - فكان أبا عبادة؛ كنية بدوية، سنراه يتظرف في بغداد ويجعلها أبا الحسن، ثم يعود إليها لأن أبا عبادة أميز.

فاسمه على هذا: أبو عُبَادَةَ، الوليد بن عُبَيْد بن يحيى البُحْثَرِيُّ. جده الأعلى (بُحْثَرٌ)، وهو من قبيلة طِيٍّ. وإذ ينقسم العرب إلى عاربة من اليمن، ومستعربة من الشمال، فطيء من العرب العاربة، من عرب اليمن؛ وقد رحلوا إلى الحجاز قبل الإسلام، وشَعَوْا شمالاً وشرقاً، وفي كل مكان. ومن العرب العاربة الأوس والخزرج، ومنهم الغساسنة والمناذرة، وحتى يوم الناس هذا يحلو لبعضهم تقسيم العرب إلى قيس ويمن.

حدثني رجل مسيحي يبيع العَرَق والفسق في بلدة بيرزيت الفلسطينية قال إنهم من القيس، وإن أهالي قرية كذا من اليمن. وعجبت كيف بقيت هذه القسمة موجودة في النفوس لا تعبأ بالدين، ولا بالاحتلال. وكانت حماتي رحمها الله، وهي مقدسية، تسمي الحلوى التي تصنعها من طبقة من الحليب المعقود، فوقها طبقة من عصير البرتقال، المعقود أيضاً، بـ «قيس ويمن»، ذلك أن راية القيس كانت حمراء وراية اليمن بيضاء. فلا نعجب إذا رأينا البحتري يتحدث عن «حيمية شعب جاهلي»، ويفتخر بقومه افتخاراً جاهلياً.

ولد البحتري في قرية زَرْدَفَنَةِ القرية من مَنبِج بشمال سوريا اليوم. ولد سنة ٢٠٦، وتوفي في منبج سنة ٢٨٤. ولثلا يغير النظام الحاسوبي مواضع خانات الأرقام هاكها بالحروف: ولد سنة مئتين وست، وتوفي سنة مئتين وأربع وثمانين، فيكون عاش ثمانياً وسبعين سنة قمرية أي ستاً وسبعين سنة من السنين

التي نقيس بها أعمارنا اليوم. (فإن أنقصت سنة من تاريخ مولده وزدت مثلها على تاريخ وفاته وصلت به إلى ثمانين سنة قمرية. وهذا شيء قال به بعض من أرخ حياة البحري).

وصنعتة الوحيدة، التي لم يعرف غيرها، الشعر. كان وهو صغير يسير في طرقات البلدة ينشد الشعر، يقوله لأهل السوق «لأصحاب البصل والباذنجان».

مزاجه مزاج البدوي الذي سكن قومه قرية، واستقروا فيها وزرعوا وعرفوا حياة الفلاحة.

تعلم في كُتّاب قرينته القرآن والعربية والتقط عدوى الشعر المزمنة صغيراً فيما يبدو، ربما من شيخ الكُتّاب الذي كان ينشد الأولاد القصائد. وساعدته لهجة القبيلة القريبة من الفصحى. ولعله حضر مجالس القاضي والفقيه صبيّاً، يجلس صامتاً، فعرف عن ماضي القبيلة. وكانت القرى والبلدات في بلاد الشام، ولا تزال، مسكونة بناس من أصول قبلية متقاربة.

أربعة أوطان

امتلاً البحري بالولاء لقبيلة طيء. فهي وطنه أولاً، ومنبج وطنه ثانياً، والعروبة وطنه الثالث؛ على أنه كان قابلاً الموالي قبولاً حسناً يمدح الوزراء والقواد من ذوي الأصل الفارسي بلا حرج، ويشيد بماضي الفرس مرتاحاً، غير متخذ موقفاً عروبياً ضد شعوبية ذلك الزمن؛ ذلك أن وطنه الرابع هو الإسلام، رغم ما كان في الرجل من رقة دينٍ لازمته عمره، وكان مبعثها البداءة لا الزندقة.

لعله كان لأبيه أرض يفلحها في زردفنة، ثم تركها سريعاً وعاش في منبج. فالبحري لا يذكر في شعره زردفنة هذه. ومنبج هي الجغرافيا التي يحن إليها، ويَعُدُّها المكان الذي يجب أن تستقر فيه عظامه. ولعل الأسرة رحلت إلى حلب، على بعد مئة كيلومتر، والبحري فتى يافع. وفي حلب عشق علوة، ولها معها.

كان فتى ذكياً، ذا مزاج عامي. عرف شطف العيش في صغره، فبخل في كبره. وعرف قدر الدرهم فصانه. ولكنه انجرف في حبه للشعر انجرافاً منعه من التفكير في زراعة أو حرفة. ولعل مما صرفه عن الزراعة أن الأسرة انصرفت

عن هذا الأمر في طفولته الباكرة؛ ولعل مما صرفه عن الحرفة أن العرب تحتقر المهنة، وليس من شك في أن البحترى قرأ وحفظ صبيّاً الكثير مما قاله جرير والفرزدق في هذا المعنى. ثم إن الشعر كان رائجاً في ذلك الزمن. فما إن بلغ البحترى الثانية عشرة من عمره حتى كان يسمع في مجالس قومه ذكر شاعر القبيلة أبي تمام الذي غدا أشهر شاعر في الدنيا. وكان علي بن الجهم آنذاك يأخذ عطايا الخلفاء ويتولى لهم الأعمال. وكان الناس يرددون أشعار دِغِيل ويعجبون بتمرده وسلطنة لسانه. وليس من شك في أن ديك الجن، الذي لزم بلدته حمص، كان من المذكورين في مجالس القوم. ولعلهم خاضوا في قصته من محبوبته التي قتلها، مثلما خاض فيها نقاد الأدب مئات السنين، وكانت القصة في صبا البحترى طازجة، والأشعار التي قيلت فيها متداولة. ولم تكن قد مرت على وفاة أبي نواس، والبحترى فتىّ واعٍ، سوى سنوات قلائل، وأقل منها على وفاة أبي العتاهية.

بداية الطريق

تدرج البحترى في المدح. قد لا تريد أن تأخذ على محمل الجد أنه مدح بائعي البصل والبادنجان، فلنبدأ من الكُتّاب والقواد والأثرياء في منبج وحلب وحمص. سنّ البحترى أسنانه عليهم. وامتطى الشعر للوصول إلى المال. لكنه كان أيضاً يقول الشعر في هذه السن الطرية في التغزل بعلوة الحلبية، وهي فتاة صباه، وكانت تغني في حفلات الأغنياء تصحبها أمها زريقة التي تشتغل في النهار في غسل ثياب الناس. وهذا افتراض من جانبنا له في شعر البحترى وأخباره أساس.

وعلوة وزريقة هاتان من البشر الذين كان يستنسخهم العصر العباسي من أمهات بلا آباء خارج نطاق القبائل، ويرميهم في سوق الخدمة والغناء والدعارة.

في تلك الفترة افتخر البحترى بقبيلته التي قال لها الله في الحرب «كوني حجارة أو حديدا». وقال شعراً جميلاً في الفخر. ثم التقى بشاعر طيء الكبير، وشاعر شعراء العرب في زمنه أبي تمام. لعله التقى به في حمص، ورواية المرزباني هي أقرب الروايات إلى العقل، وأجودها سنداً وأقربها عهداً، والمرجع كتابه «الموشح».

البحتري وأبو تمام

لقي البحتري أبا تمام في حمص، فشجعه أبو تمام وأثنى على شعره، ووضع رجله على أول طريق التكسب، وعلمه أشياء صغيرة وثمينة. كان أبو تمام ذا بصر بالشعر، قد اتخذ شهوة وصناعة وفتناً، وحياة. وقُدِّرَ للبحتري أن يكون في هذه شبيهاً بأبي تمام. فهو ناقد للشعر جيد، وقد عاناه طول عمره المديد وسارت له نقذات حارقة، أوجب منها قوله في رد حكم نقدي لشعلب: «ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه، ممن يحفظ الشعر ولا يقوله، وإنما يعرف الشعر من دُفع إلى مضايقه». وأحبَّ النقاد القدامى كلمة له في المقارنة بينه وبين أبي تمام؛ قال البحتري: «جيدٌ خير من جيدي، ورديتي خير من رديته».

وعندما قال له أحدهم: يقول القوم إنك أشعر من أبي تمام، قال البحتري: «والله ما ينفعني هذا القول، ولا يضر أبا تمام، والله ما أكلت الخبز إلا به، ولوددت أن الأمر كان كما قالوا، ولكنتي والله تابع له آخذٌ منه لائدٌ به، نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تخفض عند سمائه.» وهذه عبارة بليغة جداً لا يقولها المرء بل يكتبها. وأغلب ظني أنها من صياغة النقاد اللاحقين. على أن أخبار اعتراف البحتري لأستاذه بالتفوق والإمامة متواترة. وانظر في ديوان البحتري تجذبه سرق عشرات المعاني من أبي تمام - قيل سرق منه معاني خمسمئة بيت - (ساعد على هذا وفاة أبي تمام المبكرة، فالبحتري عاش بعده خمسين سنة مشغول اليدين بتناول ما لذ وطاب من ديوان أستاذه).

اتصل البحتري بأبي تمام سبع سنوات تقريباً، لكنه لم يلتقه فيها سوى مرات قليلة فيما نقدر. ومرة تكفي. الشاعر لا يحتاج إلى أن يتعلم الشعر تدريساً وتلقيناً، بل تكفيه الكلمة العابرة، ويكفيه التشجيع إن كان لديه الميل، ويكفيه المثال يحتذيه. وقد رأيت في زماني ذكاترة - عديمهم - يحملون شهادات في الأدب العربي لا يذوق الواحد منهم شعراً ولا يقيم بيتاً.

شاعر متفرد

لم يأكل التكسب بالشعر عقل البحتري تماماً. وإلا لما عددناه شاعراً كبيراً. كان يحب شعره كثيراً ويفتخر به: (فإذا ما بنيت بيتاً تبخرت كأني بنيت ذات العماد). وله في وصف الذئب قصيدة مهمة. خذ منها قوله «كلانا بها ذئب»، واعرف للرجل قدره في الشعر، ولا يحملك الهوى على أن تعصف به،

وتسقطه من حسابك، كما صنع بعض النقاد الذين يشتطون في رفع الشاعر أو في إسقاطه، وكأن الله لم يخلق بين سمائه وأرضه فضاء واسعاً.

أما الأقدمون فسرُّوا بدباجة البحرى. فهو يسوق الكلام سوقاً عربياً، لا يصوغ في شعره المعاني الفلسفية ولا يجعل البيت لغزاً من الألغاز. جاء متوسطاً بين شاعرين معاصرين له صنعا بعض ذلك: أبي تمام قبله بسنوات قليلة، وابن الرومي بعده بسنوات قليلة في الميلاد. وقد عرفهما كليهما، وتأثر بهما. ولكن طبيعته وتربيته لم تتيح له أن يقلد أياً منهما في التعمق وفي تجريح وجه الشعر بالعمل. أحبه الأقدمون، وظلوا يختلفون في شأنه وشأن أبي تمام: أيهما أفضل. وكأنه سباق لا بد فيه من معرفة الفائز الأول حتى نعطيه الكأس. وقال الآمدي صاحب الكتاب الضخم في الموازنة بين الشعارين الطائيين إن البحرى أفضل. قالها في ألفي صفحة. وقال كثيرون غيره العكس.

نعود إلى قصة البحرى: التقى بأبي تمام في حمص، فقال له الشاعر المشهور: قم فأنت شاعر. فاكسب ثقة بنفسه. وتدرج في المدح.

استطراد

نقول شيئاً قلناه أكثر من مرة في أكثر من كتاب سابق. (ملاحظة استطراية داخل الاستطراد: كنت أنوي نشر مختاراتي لكل شاعر على حدة في كتاب مستقل، وعدلت عن هذا، فصرت أضخم شعراء كل عصر في كتاب كبير). نقول: الشاعر بجيده لا برديته. فنحن نُعني النفس بدراسة الخمسة عشر ألف بيت التي قالها البحرى، ثم نأخذ في الموازنة. ونتعب في مقابلة القصيدة الحسنة بالقصيدة الرديئة، والبيت الجيد بالبيت الضعيف؟ ثم نهمل الضعيف وننظر في الجيد، فإذا كان عالياً سررنا به واستمتعنا، واخترناه، ولا يندر أن نترك الكثير من الجيد، ولا سيما في ديوان كبير كديوان البحرى، فالغرض انتقاء الدرر الثمينة. اسمع ما يقول البحرى لممدوحه: (ليواصلنك ركب شعر سائر/ ترويه فيك لحسنه الأعداء/ فتظل تحسدك الملوك الصَّيد بي/ ويظل يحسدني بك الشعراء). هذه دباجة بدیعة، وأما المعنى.. فطبعاً من أبي تمام.

إلى العراق

قطع البحرى الثلاثين كيلومتراً التي تفصل منبج عن نهر الفرات، وعبره ثم سار نحو متين من الكيلومترات إلى رأس العين. وجال في هذه المنطقة - منطقة

الجزيرة الفراتية - متكسباً بشعره، لا يهमे التنقل ولا شطف العيش، فهو قد تربى في كنف القلّة. وصل إلى القادة والزعماء الطائيين بسهولة لأنه طائي، ووصل إلى غيرهم مع اتساع شهرته. ووصل إلى الموصل، ثم انحدر إلى بغداد ووصل إلى علي بن يحيى المنجم. وقبل أن يبلغ البحري الثلاثين من العمر أوصله هذا الأخير إلى الفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكل. ثم وصل إلى المتوكل.

وما كررنا كلمة (وصل) في الفقرة المنصرمة إلا لنقول لك إن الرجل كان وصولياً. فرش البحري في بغداد بساطاً من كرامته وسار عليه إلى بلاط المتوكل، وافاه وهو في بداية خلافته. وقال في ثلاث عشرة سنة قصائد كثيرة في المتوكل. كلها في ديوانه. وقليل فيها المدح الجميل. وظل البحري يمدح الفتح بن خاقان الوزير أو يعاتبه أو يعتذر إليه، وأشعاره في الوزير خير من أشعاره في الخليفة، وقد طرب ابن المعتز كثيراً لشعر الاعتذار الذي قاله البحري للفتح بن خاقان الوزير.

ظل البحري يمدح كبار رجال الدولة في بغداد غير مكتفٍ بأنه الشاعر المقرب للخليفة. المهم أن يدفعوا الإتاوة التي فرضها عليهم أبو عباد. وكان يتجرأ فيشتد في مخاطبتهم وتقريعهم، وهم بالطبع يخشون معرفة لسانه، ويحسبون له حساباً لأنه «واصل» ويحضر مجلس الخليفة. لهذا تراه لا يتورع عن قدح من يحرمه.

وكان البحري على ارتباط مستمر بمنبج. لم ينس قط وهو بالعراق أنه رجل شامي. وفي منبج كان يشتري الأراضي ويبني البيوت شأن المغتربين في دول الخليج في الستين سنة الفائتة.

في هذه السنوات الذهبية من حياة البحري ببغداد كان لاهاً ساكراً حاضراً مجالس الغناء. لم يكن متكبراً. ولم يترفع عن معاشرته الناس. ظل ابن بلد.

لم يكن قارئ كتب فلسفية، ولا صبوراً على مجالس العلم. على أنه ما كان يستطيع - في بغداد تلك - أن يهرب من الثقافة، فهي تلقاء وجهه أيا ن ذهب. وبالتأكيد فقد أقبل على كتب الشعر، يردد النظر فيها عند الوراقين، ويستعير الكتب ويعيدها. ولم يكن يعتني باقتنائها لأنه بخيل ولأنه مقيم طاعن، ولأنه تربى بدوياً. لعل استعارته الكتب دون شرائها هي ما دفعة إلى تدوين الأبيات الجميلة حتى يحتفظ بها. ونظن أن كتابه الموسوم بحماسة البحري نشأ هكذا، ثم إنه نسخته للفتح بن خاقان.

وصف البحري عظمة موكب المتوكل، ووصف بركته المترامية الأطراف.
وذكر في شعره الأحداث السياسية في معرض مدحه للخليفة.

وفي سنة ٢٤٧ قتل المتوكل ذبحاً بالسيف. تأمر عليه مع القادة ولده المنتصر، فقتله الأتراك في مجلسه، وقتلوا معه الفتح بن خاقان وزيره عندما وقع عليه يحميه بجسده. وأما البحري فقليل إنه كان حاضراً المجلس وإنه اختبأ وراء باب. لكنه عاش بحمد الله لكي يصف المشهد بقصيدة بدعية.

بعد المتوكل حج البحري، وذهب إلى منبج قبلها أو بعدها. ثم عاد إلى بغداد. ومدح المنتصر الذي تولى الخلافة بعد مقتل أبيه. كانت ولاية المنتصر ستة أشهر. ومات (٢٤٨هـ) وجاء المستعين من عمومته خليفة، فمدحه البحري. وعُزل المستعين وجاء المعتز (٢٥٢هـ) فمدحه البحري وهجا المستعين المعزول. وأرسل المعتز بعد عدة أشهر رجلاً إلى سجن المستعين فذبحه ذبحاً.

وجاء المهتدي بالله (٢٥٥هـ) فمدحه. كان البحري آنذاك في الخمسين من عمره. مضى عصره الذهبي مع الخلفاء بذهاب المتوكل. لكنه حريص على بغداد وعلى ما تدره عليه من مال، وحريص على الخلفاء، مهتم بما يكسبه من حضوره مجالسهم من مكانة اجتماعية. وقد ظل يفتخر طول عمره بأنه جليس الخلفاء.

وجاء المعتمد على الله سريعاً (٢٥٦هـ) فمدحه. وبقي المعتمد في الخلافة أكثر من عشرين سنة. وحدثت في أيامه ثورة الزنج، وكان خراب البصرة. وكان مغلوباً على أمره، وهذا الخليفة هو صاحب البيت الشهير الذي اقتبسه شوقي: (وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً/ وما من ذاك شيء في يديه). لم يكن للمعتمد سيطرة على أموال الدولة كما كان الأمر في عهد المعتز. كان يأخذ مصروفه من أخيه الموفق طلحة القائد المسيطر على الأمور. على هذا ليس مستغرباً ألا نجد للبحري مدحاً كثيراً في المعتمد مع أنه بقي في الخلافة فوق العشرين سنة. ظل البحري يمدح القادة والوزراء والكتاب. هذه حرفته، وهو يمارسها.

هذا يذكرني بصاحب محل في بلدي نابلس كان وكيلاً لشركة سبيني الإنجليزية التي تصنع الحلوى والبسكوت. وعندما احتل اليهود المدينة سنة ٦٧ جاء الرجل ببضاعة من عندهم لبيعها، فانتقده الناس لأن البسكوت مادة كمالية

ويمكن الاستغناء عنها، فلماذا يستوردها من العدو؟ فقال لهم: بالنسبة لكم هي كذلك، وبالنسبة لي هي تجارتي التي لا أعرف سواها.

ونظن البحري كان - لو اقتضى الأمر - يرجع إلى أصحاب البصل والبادنجان يمدحهم.

على أننا لا نسرف على الرجل، فله في الشعر غير هذا المدح الباهت الرديء البارد؛ ففي هذه الفترة من هبوط الخلافة ذهب أبو عبادة مع ولده أبي الغوث يحيى في زيارة إلى إيوان كسرى على بعد كيلومترات قليلة جنوب بغداد، وقعد على حجر هناك وقال لولده افتح باطية النيذ واسقنا شربة. وشرب. وقال قصيدة بادَ إيوانُ كسرى وستبید القصور الرئاسية التي تلتها، والقصيدة حية. قال السينية العظيمة. ليس فيها مدح لأحد، بل هي شعر رائق وحسب. هناك، في نحو سنة ٢٧٠هـ، قال البحري أعظم قصيدة له. وقد اقتبسناها لك كاملة وتنوَّنا في شرحها. وكلما بلغ كارهو البحري ومنتقدوه هذه القصيدة عضواً على شفاههم، وسكتوا. فهي من الشعر الذي يخلد به الشاعر طول الزمن. اسمعه يقول في البيت الثاني: (وتماسكتُ حين زعزعتني الدهر)، هذا كلام قوي وبلغ جداً.

كان البحري قد جاوز السبعين بسنوات عندما رثا العلاء بن صاعد (القطعة رقم ١٨٩) قائلاً إن هذه الدنيا متقلبة فكأنها ليست من صنع واحد حكيم بل من صنع اثنين: أحدهما حكيم والآخر أخرق. وفي هذا ما يدل على قلة دين، وفيه استهتار. ثار العامة في بغداد على البحري بتحريض من بعض الفقهاء. فقال شاعرنا لولده أبي الغوث: قم بنا نذهب إلى منبج حتى تهدأ هذه الثائرة. فذهبوا. وظل البحري هناك. وشكا من شعوره بالغربة في موطنه بعد عودته. قد كان يجالس الخلفاء في بغداد وها هو يقول لوالي منبج: أيها الأمير!

عُزل المعتمد، ومات سريعاً بعد عزله، وكان أخوه المتسلط الموفق قد مات قبله بقليل، فتولى الخلافة المعتضد ابن الموفق (٢٧٩هـ) وكان البحري قد مدحه قبل توليه الخلافة بقليل بقصيدة ربما كان أرسلها من منبج. كان المعتضد جباراً قاسياً كأبيه. وكان عادلاً، وشديداً في الدين تقياً. ولم يفد عليه البحري بل بقي في منبج شيخاً غنياً ذا خدم وعبيد، يحس بمرارة. في قلبه حسرة لما باع من ماء وجهه في بغداد. ولكنه مستمتع بالثروة، باقٍ على بخله. يعتني

بالأراضي والبيوت كي ينالها الوارثون. وهو في غير حاجة إلى مدح من أحد لذا لا يعطي أحداً. هو سيد المديح، وسيد الزمارين في بلاطات الخلفاء. وإذا راق مزاجه قال شعراً وجدانياً يعرف هو قيمته، ويحبه.

وَصَلْنَا دِيوانه سالماً

نعم، كان يحب شعره، ويحرص على تدوينه وجمعه، ويجد في ذلك مساعدة من ولده (أبي الغوث يحيى بن الوليد) الذي كان راوية ممتازاً لشعر أبيه، شديد الغيرة عليه، يأبى تغيير كلمة فيه حتى لو تبين له أن في البيت خللاً عروضياً. وحفظ لنا شعر البحتري أيضاً علماء بغداد. فنسقه الصولي ونسقه حمزة الأصبهاني. وبين أيدينا ديوان كامل نظيف. لا تقدر فيه أسطورة أن البحتري طلب من ولده إحراق قصائد الهجاء حتى لا يتضرر بها عقبه. فتلك قصة ينفى وجود هجاء كثير في الديوان، ولا نظن أن أبا الغوث قالها إلا دفعاً لتهمة أن البحتري ضعيف في الهجاء. وهذه تهمة ظل النقاد يرددونها. ولا أراها صحيحة. كان البحتري مقبلاً على المدح إقبالاً شديداً لما فيه من فائدة. ولم تكن أبياته المدحية عظيمة، والجميل البارع في قصائده المدحية ما فيها من وصف. وكان كثير المعاتبة. وله شعر جميل في التقرير والتهديد بالهجاء، وهذا لغرض انتفاعي أيضاً: فهو يهز العصا للممدوح المتأخر عن دفع المال. فأما الهجاء المحض فلم يكن من شأن البحتري. كانت نفسيته متوازنة، وكان يحاول الحفاظ على علاقاته في غربته البغدادية حتى يستمر في استئجار المال من الناس. ولعل التهمة بضعف هجائه قد جاءت من مقارنته بمعاصريه ابن الرومي ودعبل، فقد كانا هجاءين خطيرين. وينطلق النقاد في إصاق تهمة الضعف في الهجاء بأبي عباد من قصة له مع ابن الرومي.

هجاء ابن الرومي عدة مرات، فأرسل إليه البحتري هدية، ثم اجتمعا وتناشدا. وحذر ابن الرومي البحتري - الذي يكبره بخمس عشرة سنة - من الهجاء قائلاً إنه لن يبلغ فيه مبلغاً مهماً، وهكذا ترك البحتري الهجاء لابن الرومي. هذه الواقعة مروية في الكتب القديمة على نحو يشعر بأنها حدثت فعلاً، ولكنها لا تعني أن البحتري ترك الهجاء آخذاً بنصح زميله.

مات البحتري في منبج بالسكنة في عام ٢٨٤هـ.

كان قوالاً فصيحاً. قيل كان قذر الثوب، زري الهيئة. وهذه خصلة

شخصية واجتماعية في آن معاً. فالبحتري غير أنيق خلقة. والبشر اثنان: أنيق بالولادة، وزرّي بالولادة. الأنيق يظل أنيقاً حتى لو افتقر، والزرّي الهيشة يبقى زرّيها حتى لو اغتنى. هذا عن الجينات. وأما الأساس الاجتماعي لقلة أناقته ولقدارة ملبسه فهو أنه تربى في أحضان الفقر الريفي. وحياة الريف غير حياة المدينة، وفقر الريف أبعد عن الأناقة ونظافة الملبس من مياسيره، ومن فقراء المدن. وكان فيه سذاجة. لا نرجعها إلى نشأته الريفية إلا قليلاً. فابن الرومي المدني البغدادي القح كان ساذجاً بطريقته. لكن البحتري كان على بعض الجفاء في معاملة الناس وفي اقتضائهم، وفي مطالبتهم باستحسان شعره. وكانوا يضحكون لذلك ويستقلونه في آن.

عملنا في هذا الكتاب

إن كنت تدرس البحتري لإعداد بحث عنه فاعلم أن كتابنا هذا لا يضم شعر البحتري كله، ولا نصفه، ولا رבעه، بل أقل. كتابنا يضم (٨٪) ثمانية بالمئة من شعر البحتري فقط. يضم أبدع وأرق ما قاله ابن منبج العظيم. لكنك أيها الدارس ستجد عندنا من الشرح ومن التدقيق ما نرجو أن يرضيك.

وأما إن كنت محباً للشعر القديم، غير آبه بتلك الأوراق التي توزعها الجامعات على من يدفع القسط السنوي، وتسميها شهادات، فقد وصلت إلى بئر عذبة.

قد تخيرت لك من الخمسة عشر ألف بيت التي تركها لنا البحتري نحو ألف بيت. وشرحتها لك شرحاً بسيطاً سلساً بلغة معاصرة كالتي تقرأها في الجريدة. وقصصت عليك مناسبات القصائد بحسب ما جاء في الكتب القديمة. وقد أشركك في رأيي عن لي هنا أو هناك، قد أستطيب بيتاً فأهتف بك أن انظر فيه ملياً وتأمل بديع صنعه. وما ذاك إلا رغبة في التواصل معك، والتحدث إليك.

استطراد ثانٍ

يا قارئ! أنا تعبان معك. أكتبُ مسدود النَّفس. كنت كتبت لك كتاباً عن أحمد شوقي في خمسمئة صفحة سميته (شاعر الألف سنة) مخضت لك فيه العشرين ألف بيت التي قالها أحمد شوقي وتخيرت زبدة الزبدة وشرحت شرحاً

ذريعاً. ثم كتبت كتاباً عن المتنبي في ثلاثمئة صفحة سميته (عصارة المتنبي)، عصرت لك فيه روح أبي الطيب، وصنعت كما صنعت مع شوقي. ولم يقرأ كتابي أحد. ولم يقل فيهما أحد شيئاً. فإن كنت تظن أنني أكتب لنفسني أو للأجيال المقبلة فاعلم أن لا. لتذهب الأجيال المقبلة إلى سقر. وبعد أن أضع رأسي على طويتي لن يهمني أقال في الناس خيراً أم شراً، أداؤوا على قبري أم وضعوا عليه الورد.

وما أنا أعود وأقدم لك البحترى مختصراً مشروحاً شرحاً أزعم أنه واف بالغرض. وكنت قلت إنني أخطط لتقديم دواوين كثيرة من الشعر القديم بهذه الطريقة. والآن فترت همتي. كنت أريد أن أختصر حقبة شعرية هي أطول وأعظم حقبة شعرية عرفها البشر. حقبة تمتد ألفاً وخمسمئة سنة من التراث الشعري العربي العمودي.

ذلك أن الشعر العمودي مات بالسكته قبل ستين سنة. وصدرت على مدى هذه السنوات الستين شهادات وفاة تثبت أن قلبه توقف عن النبض. واستبدل به العرب شعراً آخر. خرجوا من ثوبهم القديم ولبسوا ثوباً جديداً. كان لشعر التفعيلة عصره الذهبي. وولّى. وجاء شعر آخر منثور. ونهض الشعر العامي بقوايله المتعددة: القديمة المعتمدة على الأشطار المتساوية، أو الجديدة التي استفادت من الشعر الحديث مفاوئة بين شطر وشرط في الطول، وتوزيعاً حراً للقوافي. تجرأ الشعر العامي الآن في كل بلد عربي، وعزز شرعيته. في العراق تسمع قصائد رنانة تحكي الوجع اليومي وترجم المشهد السياسي، وفي الخليج يعيش الشعر النبطي أياماً زاهية، وفي مصر وفلسطين ولبنان وسوريا وبلاد الغرب شعر عامي حار.

التقيت قبل نحو شهر في الدوحة - وأنا أكتب لك في مارس آذار ٢٠١٠ - بالشاعر الشعبي الحمصي عمر الفراء صاحب (ما أريدك) وقرأ لي قصيدة سياسية بالفصحى، ونُبدأ من جديده بالعامية. رأيته جالساً في الردهة ينتظر سيارة تُقلّه إلى مكان احتفال ضمن مهرجان في الدوحة، فجلست إليه وحييته وآتسته حتى تأتي سيارته، لم يهن علي أن يجلس شاعر وحده ينتظر. رأيته في البحترى. صناعته الشعر، وهو يحفظ كل شعره، ويعيب على الشاعر ألا يحفظ كل ما قال.

العرب يعيشون سنوات الحيرة بين العامية والفصحى. وقد تظل هذه الحقبة

معنا بضعة قرون، فنحن بطيئون في حسم الأمور. والمشكلة عميقة وذات رؤوس كثيرة. وها أنا ذا أكتب إليك بالفصحى، ولا أدري لو قرأ كلامي قارئ بعد مئة سنة أكان سيفهم كثيراً من هذه الأسطر.

المهم في كل هذا أن الشعر العربي العمودي عاش حقبة مذهلة في طولها وفي ثرائها. ألفاً وخمسمئة سنة ونحن نقول الشعر على نظام ثابت: ستة عشر بحراً وشطران متساويان، وقافية تختتم الشطر الثاني.

الطريف أن شاعرنا الذي نخصص له هذا الكتاب - البحترى - هو الذي أوحى بتسمية «الشعر العمودي». فقد قال أبو عبادة عندما سئل عن الفرق بينه وبين أبي تمام: (كان أغوص على المعاني مني، وأنا أقوم بعمود الشعر منه).

وما عناه البحترى بعمود الشعر: تقاليده الموروثة، فأبو تمام خرج عن هذا الأساس واستولد المعاني وجدد في طريقة صوغها، وابن الرومي في العصر نفسه خرج عن طريقة القدماء في التعبير كثيراً، وقبلهما كان لأبي نواس خروجه المشهور. فجاء البحترى وراعى عمود الشعر، واحترم تقاليده. وفي زمننا نستعمل تعبير الشعر العمودي اسماً لكل شعر موزون مقفى على بحور الخليل. والسلام.

لقد انتهى الشعر العمودي. وأصبح في مقدورنا أن ننظر إلى كل هذا التراث الهائل من عل.

لم ننقطع عن ذلك التراث انقطاعاً مطلقاً. ولم يكن الشعر العامي منقطعاً عن الشعر العمودي. رأيت صديقي الشاعر الشعبي الخليجي ينظر إليّ نظرة في غاية الذكاء والحدة وأنا أنشده أبياتاً من الشعر العمودي، واستعادني بيتاً عويصاً فأعدته عليه، وعرفت من نظرته أنه فهم وأنه يريدني أن أتابع. علمتني نظرته تلك أن الشعر شعر. وأن الشاعر يحب الشعر كله. وعلمتني أيضاً أن العربي يحب الشعر، وأن الشاعر الشعبي يحب الفصيح ويتعلم منه ويزيد عليه من روحه. وكثير من شعراء الفصحى في لبنان قالوا الزجل. وفي مصر، شوقي مثال ساطع. وفي الأندلس قالوه.

على أن الشعر العمودي مات. والشعر العربي الآن يتخذ معايير جديدة ويضطرب في اتخاذها كثيراً. نعيش معمة. ما زال أحمد مطر يقول شعر التفعيلة ويبقيه حياً. وقد استقرت معايير هذا اللون من الشعر. أقصد المعايير

الشكلية. فأما في معاني الشعر فإن محمود درويش المتأخر هاجر إلى الرمز والإيحاء، واقترب من شعراء النثر في هذا الأمر، ولو عاش لكان هجر التفعيلة أيضاً فيما نقدر.

لأننا في معمعة شعرية، في فترة انتقالية كما يقولون، فإنه مريح للقلب أن يجمع المرء دواوين القدماء والمحدثين من أهل العمودي، ويضعها حوله مثلما يتحصن المقاتل بأكياس الرمل؛ شيء يُشعر بالاستقرار.

وقد أدمنت قراءة هذه الأشعار. وقدمت البسيط المفهوم منها في الإذاعة والتلفزيون سنوات طويلة. وآلمني أن تطور اللغة جعل الكثير من هذا الشعر عصياً على الفهم، فقلت: أنتقي زبدته وأشرحه للناس.

(استطرد متأخراً: أكتب هذا الاستطرد في يوليو تموز ٢٠١٦، وكنت شاركت على مدى الأشهر الماضية في برنامج تلفزيوني اسمه «فصاحة» بثه تلفزيون قطر. كنت عضو لجنة تحكيم، شاركني فيها الأستاذان أحمد الشيخ وعبد الله العذبة.

سافرنا جميعاً إلى تونس والتقينا بـ ١٨٩ شاباً وفتاة واختبرناهم جميعاً، وسافرنا إلى عُمان والتقينا بعشرات الشباب والفتيات هناك، ثم ثوبنا في الدوحة نستقبل العشرات ونمتحنهم.. كل هذا قبل أن يرسو اختيارنا على ستة وثلاثين شاباً وفتاة قام عليهم البرنامج، وبعد إحدى عشرة حلقة، طول الحلقة منها بين الساعة والنصف والساعتين، فاز محمد ياسين صالح بالنصف مليون ريال قطري، وفازت زينب المحمود بثلاثمئة ألف، وفازت غادة تهيمش بمئتي ألف، وفاز أحمد الكلباني بجائزة طيبة. وفزنا نحن أعضاء لجنة التحكيم بلذة الاستماع إلى فصحاء العرب في هذا الزمن. والشاهد في حكايتي كلها أننا، بعد استعراضنا نحواً من ثلاثمئة من شباب العرب، أصبنا بصدمة. فبرنامجنا برنامج نثر، وهو يسعى جاهداً إلى تمييز نفسه عن برامج شبيهة كانت مخصصة للشعر، كنا نريد أن نبرز فصاحة الفصحاء في النثر لا في الشعر. فإذا شباب العرب يتدفقون بالشعر تدفقاً، رغم أنفنا وأنف البرنامج. ووجدنا الكثيرين ممن يتقنون صوغ معانيهم في شعر عمودي.. أكثر بكثير ممن يقولون شعر التفعيلة.

كانت معانيهم وتشبيهااتهم واستعاراتهم قريبة القرب كله من طريقة شعراء التفعيلة، وكانت في أشعارهم رقة وشموخ وتمرد الشعر الجديد، لكن معظم ما سمعناه كان شعراً عمودياً. ونظن أن السبب في هذا قرب عهدهم بما حفظوه

في المدارس من الشعر العمودي، ونظن أنهم سيعدلون بشعرهم إلى التفعيلة، وربما إلى قصيدة النثر بعد حين).

رجع الكلام إلى البحري

تعلم البحري من معاصره علي بن الجهم شيئاً: اجتمع بابن الجهم يوماً، واستعرضا قصيدة لأشجع السلمي فانتقدها ابن الجهم قائلاً: أشجع (يخلي). ولم يفهم البحري المقصود بكلمة يخلي، واستحيا أن يسأل. ذهب إلى بيته، وأمر على ذهنه شعر أشجع. فرأه عادياً لا يكاد يمر فيه بيت بديع. فعلم أن هذا هو المراد بكلمة (يخلي). والكلمة تقال لرامي السهام يضل سهمه عن الهدف فيقال إنه أخلى.

على أن البحري لم يعرف كيف يجعل شعره محكماً مكتنزاً. هو نفسه يخلي كثيراً. تمر بك أبيات كثيرة مغسولة ليس فيها معنى بديع ولا لفظ شريف. وتمر بك قصائد كاملة باردة أو فاترة. ثم يمر بك بيت يجعلك تفق إن كنت قاعداً. وتمر بك قصيدة تجعلك تترنم بأبياتها. ولم يسلم من ذلك أي من الشعراء المداحين. ونعود فنقول: الشاعر بجيده لا برديئه.

طبقات الديوان

قرأت ديوان البحري بصفحاته التي تزيد عن ثلاثة آلاف ومئتين في طبعة حسن كامل الصيرفي الثالثة (واستفاد في هذه الطبعة من ملاحظات عبد السلام هارون الكثيرة التي بلغت أن ملأت كتاباً نشره هارون). والديوان محقق تحقيقاً ممتازاً لا يدانيه تحقيق لديوان، وألحقت به الملاحق والفهارس الكثيرة التي تجعلك تصدق ما قال المحقق في المقدمة من أنه أنفق السنين في عمله. وقد فسر الصيرفي بعض الألفاظ، ولكنه ظل يهرب من المعاني الصعبة. ولا نلومه، فهو محقق لا شارح.

وانتفعت بشرح محمد ألتونجي (١٩٩٣) الذي أقر بجهد الصيرفي. ومتن ألتونجي مطابق لمتن الصيرفي. غير أنه شرح معاني الأبيات، وفي شرحه علة: يشرح لك البيت بكلام عام يهمل المعاني الدقيقة، ولا يندر أن يقع في شرحه بعيداً. في هذا الشرح قدر من الكسل. إنه في معظم الأحوال يلخص مغزى البيت ولا يشرحه. ولو كرس ألتونجي من وقته للشرح ما كرسه الصيرفي

للتحقيق لكان بين أيدينا الآن شرح لديوان البحترى يشابه ما بأيدينا من شروح للمتنبى. ولا نلوم التونجي كثيراً، فطبعته مضبوطة بالشكل ضبطاً جيداً ومماثلاً لضبط الصيرفي.

وأما طبعة دار صادر فكنت قرأت شعر البحترى القراءة الأولى فيها، وعندما رجعت إليها هذه المرة، لم أجدها تضيف شيئاً. ومثلها في هذا طبعة الجوائب وطبعة هندية، والطبعات البيروتية والمصرية المشتقة منهما. حمانا تضبيع الوقت في كل ذلك حسن كامل الصيرفي، فطبعته جوف الفرا، تحتوي كل ما عداها وتزيد زيادة وافرة.

إذن ما فضيلة كتابنا هذا؟

له فضيلتان: الاختيار والشرح. فقد تعمقت روح البحترى. عشت معه، وعشت مع نقاده، مع الأمدى في كتاب الموازنة بين الطائيين بأجزائه الثلاثة، ومع المرزبانى وأبى الفرج الأصفهاني وابن خلكان وياقوت وابن الأثير، والقاضي الجرجاني في اختياراته. وقرأت ما كتب المحدثون عن البحترى: مارون عبود، والمقدسي، وشلق، وشرف الدين. ولطه حسين فصل طيب عن شاعرنا، ولزكي مبارك موازنة مدرسية بين سينية البحترى وسينية شوقي. ورأيت رسالتين جامعيتين عن البحترى أسدِلَ على صاحبيهما ستر الله، وأحتسب عنده الساعات التي قضيتها وأنا أفتش فيهما عن رأي أو معلومة مفيدة.

ولم أعد قراءة حماسة البحترى، وكنت قرأتها قبل نحو من ثلاثين سنة. لم أرد أن أجدد معرفتي بذوق البحترى في الشعر، فموضوعي هو شعر الرجل وكيف تذوّقه الناس في عصره وبعد عصره. على أنني تصفحت الكتاب بطبعة شيخو حتى لا يكون فاتني فيه شيء. واستفدت، عرفت شيئاً عن ثقافة الرجل الشعرية.

أقول، عشت في جو البحترى زمناً. ثم أقبلت على شعره، أقرأه من جديد بذوق أرهفته آراء القدامى والمحدثين دون أن تستولي عليه. قد فات زمن أن يستولي على ذوقي أحد. واخترت لك ما قاله البحترى من قلبه، واخترت ما قاله بفن وصنعة. اخترت ألف بيت تزيد قليلاً، هي خير ما قال شاعرنا.

هذا عن الاختيار.

ثم إنني شرحت الأبيات التي اخترتها شرحاً مفصلاً. ثم رتبت الشعر كله ترتيباً زمنياً. فأنت تقرأ كتابي هذا وتمضي مع البحترى وتراه شاباً فرجلاً

فشيخاً، واستعنت في هذا بتواريخ تقريبية اجتهدتها محقق الديوان الصيرفي. على أن محققنا تحير في المقطعات الغزلية فرماها في صبا البحري رمي الثامة.

وقد شكلت الأبيات وطبعت الشروح بنفسى على الحاسوب، ثم راجعت كل ذلك مرات كثيرة إلى أن أصبحت أشتي أجد غلطة. لكنها موجودة. لا بد أنها موجودة. فإن عثرت عليها ففرحتك بليها مكافأتك. وبعد هذا وضعت لكل قطعة عنواناً حتى يكون لها اسم تتسمى به، ثم رقماً لأجعله المعتمد في الفهرسة. على أنني تركت السطر الذي يصف كل قصيدة على حاله في معظم الأحيان. ثم كتبت هذه المقدمة.

وسأمضي الآن إلى فهرسة الكتاب. وستجد في ذيله فهرساً للقوافي، وكشافاً لأغراض الشعر، وفهرساً عاماً لمحتويات الكتاب.

الدوحة ١٩ مارس/ آذار ٢٠١٠

ملحق بالمقدمة:

ضحك إليّ الزمن في سبتمبر أيلول ٢٠١٥، عندما بعثت إلى صديقي اللغوي المدقق أحمد عبد الرحيم نسخة من مختاراتي البحثية، فأعادها إلي بعد أيام قلائل وبها إشارات بثلاثة ألوان. أشار إلى أخطاء في النحو، وفي الصرف، وفي الرسم، وفي التاريخ، وعارضني في فهم أبيات كثيرة. أعاد إلي النسخة وبها نحو من ألف إشارة. كل هذا بعد أن ذكرت لك في المقدمة أعلاه أنني راجعت كثيراً إلى أن «أصبحت أشتي أجد غلطة».

كثير من تلك الإشارات كان يتعلق بخلاف بيننا في رسم التنوين أو الكسرة تحت الياء، لكن كثيراً منها كان يتعلق بأخطاء في النحو والإملاء والمعلومات يجب أن تصحح.

قد صححتها.

وقد تعلمت أن أضبط أكثر، وأن أتواضع أكثر. وحملت همّاً: فسوف أسير في عملي من الآن فصاعداً ببطء أكبر وشبح أحمد عبد الرحيم ماثلاً أمامي، فإن تفضل ووضع أفلامه الثلاثة في أشغالي المقبلة فهذا هذا، وإلا سأظل أراها تتفافز أمامي، كسيوف الرشيد المسلولة على أعناق أعدائه، إن أفلتوا منها في صحوهم وأروها في منامهم. ولن يرى القارئ ما صححه لي صاحبي، فهذا قد استتر، ولكنه سيرى أثره في تذوق بعض الأبيات، فقد استجاد أحياناً بعينها

لم أكن سودتها، فأنا أسودها ذاكراً له يده البيضاء على هذا الباب .

ملحق آخر: ابتسم لي الزمن ثانية في أواسط عام ٢٠١٦ فقرأ هذا الباب - وكل أبواب هذا الكتاب - صديقي الشاعر عمران الفيني، فكان لهذا الباب قلم رابع تعقب ما بقي فيه من أخطاء .

أقول: إذا كانت أخطائي بهذا القدر، فلماذا لا أريح نفسي وإياكم، وأترك هذا العناء كله؟ على أنني اخترت أن أجتهد. اخترت أن أتعلم من صديقين يصغرنني أحدهما بعشرين، والثاني بثلاثين.. ليتها كانت من الأشهر.. هي من السنين. ولعلي أفتخر أنني شخت وما زلت أتعلم. على أن ما سأنجزه من أبواب وكتب من بعد سيكون أفضل ضبطاً.. قد تعلمت كثيراً.

١ أمجاد بحتر

قال البحتر في صباه الباكر:

تَحَمَّلْنِي الْيَّامُ مَا لَا أُطِيقُهُ وَتَحَمَّلْنِي مِنْهَا عَلَى مَرْكَبٍ وَغَيْرِ
الزمن يحمِّلني ما لا طاقة لي به، ثم يجعلني أركب بعيراً صعباً هو مصائب الزمن. فأنا على هذا حامل الصعب، محمول على الصعب في آن معاً

بَنُو بُحْتَرٍ قَوْمِي، وَمَنْ يَكُ بُحْتَرٌ أَبَاهُ يَكُنْ فِي مُنْتَهَى الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ
وما نحن إلا كالقضاء، فإننا ضربنا جميع الناس بالخير والشر
بنو بحتر مثل القضاء يصيبون الناس بالخير وبالشر. وكان الشاعر القديم يفتخر بأن قومه نفّاعون ضرّارون، المهم أن يكونوا ذوي أثر، ولهم احترام وهبة

أَبَدْنَا جُمُوعَ الرُّومِ حِينَ تَنَازَعَتْ فَوَارُسْنَا الْهَيْجَاءَ فِي وَقْعَةِ الْجَسْرِ

أبدنا جموع الروم إبادة بعد أن تداول فوارسنا (فرساننا) الهيجاء (الحرب) في وقعة (معركة) الجسر. لا بد أن تكون هذه وقعة الجسر المشهورة في زمن عمر (سنة ١٣ - ١٤هـ)، فالبحتر يذكّر الوقعة في قصيدة له أخرى ويصرح فيها باسم «عمر»: (وولي فتح الجسر إذ أغري به// عمر، وفاعل تلكم الفعّلات)، ووقعة الجسر تلك حارب فيها رجال من طيء، قبيلة البحتر. وغريب هنا أمران: أولهما أن وقعة الجسر كانت مع الفرس لا مع الروم، وثانيهما أن العرب هُزموا فيها، فلا موضع للفخر. على أن هناك موضعاً قرب منبج، بلدة البحتر، اسمه (جسر منبج)، ومنبج على حدود دولة الروم. ها مسألة لمؤرخ أدب يحلها ويكتب فيها مقالاً، أو أطروحة، فتاريخ الأدب في جامعات العرب قد آل إلى أوراقٍ تافهة يكتبها تلامذة خائبون وينالون عليها الدرجات الرفيعة، ثم يحتلون كراسي التدريس في الجامعات ليعيدوا إنتاج خيبة أساتذتهم، هابطين عنهم دركة. ولعلك تريد أن تنصب (فوارسنا) على المفعولية فتكون الهيجاء قد تنازعتهم وطحتهم في وقعة الجسر مع الفرس

سَمَوْنَا لَهُمْ فِي غُضْبَةٍ بُخْتَرِيَّةٍ يَكْرُونُ؛ لَيْسُوا يَعْرِفُونَ سِوَى الْكَرِّ

سمونا (برزنا) للأعداء في عصبية (جماعة) يكرون (يهجمون)، ولا يعرفون سوى الهجوم

لَنَا حَسَبٌ لَوْ كَانَ لِلشَّمْسِ لَمْ تَغِبْ وَلِلْبَدْرِ مَا اسْتَوَلَى الْمَحَاقُ عَلَى الْبَدْرِ

لنا حسب (مجد) لو كان للشمس مثله لما غابت في الليل، ولو كان للبدر مثله لما لحق به المحاق

فَأَبْخَلْنَا بِالْمَالِ نَدُّ لِحَاتِمِ وَأَجَبْنَا فِي الرُّوعِ أَشْجَعُ مِنْ عَمْرٍو

أبخل شخص في فرع بخر من قبيلة طيء ند (مساو) لحاتم الطائي المشهور بجوده، وأكثرنا جناً أشجع في الروع (الحرب) من عمرو بن معديكرب الفارس المشهور

٢ مخصوص بالهوى

طَافَ الْهَوَى بَيْنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلَّهُمْ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ، وَقَفَا

قد قلت لما رأيْتُ الموتَ ينزلُ بي وكاد يهتِفُ بي ناعِي، أو هتفا:

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ قَلْبٍ يُجِبُّكُمْ وَمَا يَرَى مِنْكُمْ وَدًّا وَلَا لُطْفًا

٣ الهدف بناتهم

لَعَمْرُكَ مَا يَنْفَكُ يَخْطُرُ بَيْنَنَا مَعَ الرُّومِ حَرْبٌ بِالقَنَا وَالْمَنَاصِلِ

القنا (الرماح)، المناصل (السيوف)

نُقَارِعُهُمْ بِالمَوْتِ دُونَ بَنَاتِهِمْ مُقَارَعَةً الْأُسْدِ الْغَضَابِ الْبَوَاسِلِ

كان السبي فاشياً بين الطرفين في حروب تلك الأزمنة. وقد سبى الروم النساء المسلمات، ولعلمهم باعوهن رقيقاً، ولكن المؤرخ والشاعر العربيين صمتا عن ذلك

٤ الدَّلَّ

وَقَدْ وَثِقْتُ بِالْوَصْلِ مِنْكَ، فَأَصْبَحْتَ تَزِيدُكَ يُغْدَاً كُلَّمَا زِدْتَهَا قُرْبًا

٥ يأس وانتظار

سَأَرْحَلُ عَنْكَ مُعْتَصِماً بِيَاسٍ وَأَقْنَعُ بِالَّذِي لِي فِيهِ قُوْتُ

سأرحل عنك أيها الأمير معتصماً بيأس (مستعيناً بشعور اليأس من عطائك)، وسأقنع بمجرد الحصول على قوتي

وَأُمِّلْ دَوْلَةَ الْأَيَّامِ حَتَّى تَجِيءَ بِمَا أُؤَمِّلُ، أَوْ أَمُوتْ
وسأمل دولة الأيام (تبدل الأيام) حتى تأتيني بأمالي أو يأتيني الموت. واختار المعري في «عبث الوليد» رفع (تجيء) فرفعناها. تعليق عمران القفيني: رفعها المعري حتى يرفع أموت معطوفة عليها فلا يقع إقواء

٦ غربة العاشق

أَنَا فِي أَسْرَتِي وَأَهْلِي كَأَنِّي بَيْنَهُمْ، حِينَ لَا أَرَاكَ، غَرِيبُ
أعيش بين أبناء أسرتي ومع أهلي كالغريب عندما لا أراك أيتها المحبوبة

مِنْ قُرُوحٍ نَبْتَنَ فِي كَيْدٍ، جَا دَعَلِيهَا مِنَ الْبُكَاءِ شُؤْبُوبُ
هذا بسبب قروح (جراحات) نبتت بكبدي التي جاد (أفطر) عليها شؤبوب (رُخ) من الدمع
فَأَهِينِي أَوْ أَكْرِمِي، فَلَعَمْرِي مَا لِأُنْثَى سِوَاكِ عِنْدِي نَصِيبُ
أهينني بحبك أو أكرميني، فليس لأنثى غيرك نصيب في قلبي

٧ عَذَّبُوا

قال في علوة حببية الصبا:

فَإِنْ سَاءَ كُمْ مَا بِي مِنَ الضَّرِّ، فَارْحَمُوا وَإِنْ سَرَّكُمْ هَذَا الْعَذَابُ، فَعَذَّبُوا

٨ عندما يحدث الحديد الحديد

قال يفتخر بنفسه وبقومه، وهذه عندنا (الفخرية الكبرى):

إِنَّمَا الْغَيُّ أَنْ يَكُونَ رَشِيدًا فَانْقُصَا مِنْ مَلَامِهِ، أَوْ فَزِيدَا
الغى (الضلال) بالنسبة لهذا العاشق هو أن يكون رشيداً (عاقلاً)، فانقصا أيها العاذلان في لومه أو زيدا (أكثرًا منه)، فهذا لا يهمه

خَلِّيَاهُ وَجِدَّةَ اللَّهِ، مَا دَا مَ رِذَاءُ الشَّبَابِ غَضًّا جَدِيدًا
خلياه (أتركاه) مع جدّة اللهو (اللهو الذي جاء جديداً إلى حياته) ما دام رداء (ثوب) الشباب غضاً (طرياً) وجديداً

إِنَّ أَيَّامَهُ مِنَ الْبَيْضِ بَيْضٌ مَا رَأَيْنَ الْمَفَارِقَ السُّودَ سُودًا
أيام هذا العاشق بيضاء سعيدة مع الفتيات الحسان البيض ما رأين (ما دمن يرين) مفرق رأسه الأسود ما زال أسود. الفتيات يحفظن الود شرط ألا يهجم الشيب على رأس الفتى

أَيُّهَا الدَّهْرُ! حَبِّدَا أَنْتَ دَهْرًا؛ قِفْ حَمِيدًا، وَلَا تُؤَلِّ حَمِيدًا

ما أجملك أيها الزمن! قف وأنت في أزهى حالاتك، ولا تول (لا تتصرف) عندما تصل إلى الذروة. ما أكثر ما يردد البحري هذا المعنى. كلما رأى الزمن حلولاً طلب منه أن يقف. وقد أبدع شاعر الكلثومية اليتيمة جورج جرداق عندما ختم كلثوميته بقوله: ملء قلبي شوق، وملء كياني/هذه ليلتي، فقف يا زماني

كُلُّ يَوْمٍ تَزْدَادُ حُسْنًا، فَمَا تَبْ عَثُ يَوْمًا إِلَّا حَسِبْنَاهُ عَيْدًا

ما أجمل هذا البيت رديفاً للذي قبله، فافقأهما معاً وترنم

إِنَّ فِي السَّرْبِ، لَوْ يُسَاعِفُنَا السَّرُّ بْ، شُمُوسًا يَمْشِينَ مَشْيًا وَثِيدًا

السرب: سرب الجميلات، يساعفنا: يحنُّ علينا ولا يعبرنا، وثيداً: بطيئاً

رُحْنٌ، وَاللَّيْلُ قَدْ أَقَامَ رُوقًا، فَأَقْمَنَ الصَّبَاحُ فِيهِ عُمُودًا

رحن (رُوحن بالتعبير العامي، أي انصرفن مساءً)، وقد عقد الليل فوق الرؤوس رواقاً (سقفاً) من الظلمة، ويظهرون كَنَ مثل عمود الصبح (الضوء الساطع في الصبح، بخلاف الضوء الخفيف الذي يسمونه الفجر الكاذب)

بِمَهَاةٍ مِثْلِ الْمَهَاةِ، أَبَتْ أَنْ تَصِلَ الْوَضْلَ، أَوْ تَصُدَّ الصُّدُودًا

رحن وبرفقتن مهاة (المحبوبة التي تشبه بقرة وحشية) وهي مثل المهاة حقاً، وقد رفضت أن تصلنا وصلأً حقيقياً، كما أنها لا تصد صدوداً تاماً

ذَاثُ حُسْنٍ، لَوْ اسْتَرَادَتْ مِنَ الْحُسْنِ حِنْ إِلَيْهِ لَمَّا أَصَابَتْ مَزِيدًا

حسناً، لو طلبت زيادة في الحسن (الجمال) لما أصابت (لما وجدت) زيادة تضيفها إلى حسنها

فَهِيَ الشَّمْسُ بِهَجَةٍ، وَالْقَضِيبُ الْغَضُّ لِينًا، وَالرُّثْمُ طَوْقًا وَجِيدًا

القضيب (الغصن)، الغض (الطري)، الرثم (الغزال)

يَا ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ! كَيْفَ يَرَى قَوْمُ مُكِ عَذْلًا أَنْ تَبْخَلِي، وَأَجُودًا؟

أجود (أكون جواداً كريماً)

إِنَّ قَوْمِي قَوْمُ الشَّرِيفِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، أَبُوءُ وَجُودًا

قومي هم قوم مَنْ كان قديمه وحديثه شريفاً، هم قوم من كان شريف الآباء والأجداد. لِمَنْ النَحْوُ مِنْ هَمَّةٍ: الشريف هنا صفة مشبهة عاملة. والأسلوب يشبه قولك: هؤلاء الرجال هم أبناء العظيم أباً، والأسلوب معوج بعض الشيء. فلو أنه قال أنا الشريف قديماً وحديثاً لكان أقرب إلى الذهن

ذَهَبَتْ طَيِّءٌ بِسَابِقَةِ الْمَجْدِ إِدِ عَلَى الْعَالَمِينَ بِأَسْأَ وَجُودًا
قبيلة طيء نالت سابقة المجد (الأولية، والأسبقية) على كل الناس في البأس (القوة) وفي الكرم

مَعَشَرَ أَمْسَكْتَ حُلُومَهُمُ الْأَر ضَ، وَكَادَتْ مِنْ عِزِّهِمْ أَنْ تَمِيدًا
حلومهم (عقولهم الراجعة) راسخة كالجبال وقد ثَبَّتَتْ الأرض في مكانها، ولكن هذه الأرض كادت من عزهم (قوتهم) أَنْ تَمِيدَ (تتزعزع). والعربي في صحرائه يرى كثبان الرمل تتحرك ويتخيل أَنَّ الجبال هي التي تمسك الأرض، ويشبهون الحلوم أو الأحلام (العقول الرزينة) بالجبال. وعندما تجرأ أبو تمام وشبَّه الحلوم بشيء غير الجبال قامت عليه قِيَامَةُ النقاد القدامى

نَزَلُوا كَاهِلَ الْحِجَازِ، فَأَضْحَى لَهُمْ سَاكِنُوهُ طَرًّا عَبِيدًا
نزل قومي من طيء كاهل (ظهر) الحجاز، قادمين من اليمن، وجعلوا سكانه طَرًّا (جميعاً) عبيداً لهم
مَنْزِلًا قَارَعُوا عَلَيْهِ الْعَمَالِبِ قَ، وَعَادَا فِي عِزِّهَا، وَتُمُودًا
اتخذوا الحجاز منزلاً (بلداً) وقارعوا (نافسوا) عليه العمالق (القوم الكبار الأجسام الذين قيل إنهم سكنوا الجزيرة قبل العرب)، ونافسوا قوم عاد وقوم ثمود

وَلُبُوثٌ مِنْ طَيِّءٍ وَغُبُوثٌ لَهُمُ الْمَجْدُ طَارِفًا وَتَلِيدًا
اللبيوث (الأسود)، الغبوث (الأمطار)، الطارف (الجديد)، التليد (الموروث)

فَإِذَا الْمَحَلُّ جَاءَ، جَاءُوا سُبُولًا وَإِذَا النَّفْعُ ثَارَ، ثَارُوا أَسُودًا
المحل (القحط) النفع (الغبار، يقصد غبار المعركة)

يَحْبُسُنُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ وَالْأَحَادِي ثُ، إِذَا حَدَّثَ الْحَدِيدُ الْحَدِيدًا
ذُكِّرهم والحديث عنهم حسن، ولا سيما عندما يتكلم الحديد مع الحديد (عندما تشتبك السيوف في المعركة)

عَدَلُوا الْهَضْبَ مِنْ نِهَامَةٍ أَحْلَا مَا يُثْقَلًا، وَرَمَلَ نَجْدٍ عَدِيدًا
عدلوا (ساووا) الهضب (المرتفعات) من جبال تهامة بأحلامهم الثقيلة (عقولهم الراجعة)، وساووا حبات رمل نجد في كثرة عددهم

مَلَكَوْا الْأَرْضَ قَبْلَ أَنْ تُمْلِكَ الْأَر ضَ، وَقَادُوا فِي حَافَتَيْهَا الْجُنُودًا

قبل أن يملك الفرس والروم الأرض ملكها بنو طيء، وقادوا الجنود في حافتيها. [أرض البحر] قطعة مستوية لها حافتان. ولم يُلَقَّ أبو عبادة بالأل للفرغاني الذي كَوَّرَ الأرض قبل سَنِيَّهَاتِ قلائل (في عصر المأمون، عندما كان عمر البحجري ١١ سنة، كتب الفرغاني كتابه «الحركات السماوية وجوامع علم النجوم»). واثم بأرقام الفرغاني (سموه ألفراغانوس باللاتينية) بعد بضع مئات من السنين كولومبوس خالطاً بين الميل العربي والميل الروماني. وفي كتاب لنا بعنوان «جولة في خريطة العالم السياسية» أوردنا أن يحيى بن أبي منصور قاس، في عهد المأمون أيضاً، محيط الكرة الأرضية بدقة مذهلة]

وَجَرَوْا، عِنْدَ مَوْلِدِ الدَّهْرِ، فِي السُّؤِّ دَدٍ وَالْمَكْرُمَاتِ شَأَوًا بَعِيدًا

قبيلة طيء، كما يخبرنا البحري، كانوا ثَمَّ عند مولد الزمان، وجروا في حلبة (ميدان الخيل)
السؤدد (السيادة) والمكرمات شأواً (شوطاً) بعيداً

سَائِلِ الدَّهْرِ مُذْ عَرَفْنَاهُ: هَلْ يَعْرِفُ مِنَّا إِلَّا الْفَعَالَ الْحَمِيدَا؟

سائل (اسأل) الزمن منذ أن عرفناه، هل رأى منا سوى الفعال الحميد (الأمجاد)

قَدْ، لَعَمْرِي، سُدَّنَاهُ كَهْلًا وَشَيْخًا وَشَبِيبًا وَنَاشِئًا وَوَلِيدًا

كانوا سادة الزمن في كل مراحلهم

نَحْنُ - أَبْنَاءُ يَعْزُبٍ - أَعْرَبُ النَّاسِ لِسَانًا، وَأَنْضَرُ النَّاسِ عُودًا

نحن - أعني أبناء يعرب (ويعرب جد العرب العاربة القحطانيين/ وطيء قبيلة قحطانية يمنية) -
أعرب (أفصح) الناس لساناً، وأنضر الناس عوداً (غصناً). في البيت فخر قحطاني على العدنانيين،
والكتب المدرسية تجعله فخراً عربياً عاماً

وَكَأَنَّ الْإِلَهَ قَالَ لَنَا: فِي الْحَرْبِ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا

من الآيتين: (وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنّا لمبعوثون خلقاً جديداً/ قل كونوا
حجارة أو حديدًا)، وأخذ أبو عبادة أخذاً حلواً. هذه القصيدة: هذا البحري في
أفصح حالاته، وأخذنا معظم أبيات هذه القصيدة. وفيها عربيته الصافية القوية
الفخمة، وفيها حرارة شاعريته وتدفق عصييته، وفيها أيضاً ما أخذه من أبي تمام من
الخروج إلى المجاز، وجعل اللغة ترقص. وفيها خيال وشطح معجبان. وإن يكن
حقاً أنه قالها وهو في السادسة عشرة من عمره، وهذا ينقله الصيرفي عن مصدر قديم
ويطلب إلينا تصديقه، فتلک العجيبة الثامنة. البحري شيطان شعر وفصاحة. ثم إن أبا
الغوث بن الوليد (ابن البحري) قال للصولي - الذي رواها في كتابه «أخبار
البحري»: - (من أول أشعار أبي قوله وهو حدث يفتخر: إنما الغي أن يكون
رشيداً)، فهي من أوائل أشعاره، وكان زمانئذ (حدثاً). والحدث هو الشاب والغلām،
في وصف صاحب اللسان

٩ اعصِ .. واخضع

إِقْبِلْ مَعَازِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا إِنَّ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ، أَوْ فَجَرًا

اقبل معاذير (أعذار) المعتذر، سواء أبرَّ (أصدق) أم فَجَرَ (كذب)

فقد أطاعك مَنْ أَرْضَاكَ ظَاهِرُهُ وقد أَجَلَّكَ مَنْ يَعَصِيكَ مُسْتَتِرًا

فمجرد تظاهره بالسعي لإرضائك يعني أنه مطيع لك، والذي يخالفك في السر يجلك ويجد في نفسه هيبتك. ويروي الصيرفي البيت واضعاً كلمة «أضلك» مكان أَجَلَّكَ. ويصر عليها. وقد وجدها «أَجَلَّكَ» في كتاب «عين الأدب والسياسة» فعلق في الحاشية: «هذا تحريف وصوابه «أضلك» فأَي ضلال في فهم الشعر هذا! وتابعه في هذا الضلال محمد أل-tonجي. ولم ترد الأبيات لا في طبعة هندية للبرقوقي، ولا في طبعة الجوائب. على أنها وردت في كتب كثيرة منها السمت والعقد مع اختلاف في الرواية، فبعضهم جعل «أطاعك» في المصراع الثاني، وهذا يقوم بحق الذوق الأدبي. ولم يتعرض لهذه الهنة عبد السلام هارون في نقده للصيرفي، فهو وقف دون حرف الرأء بكثير في نقد تحقيق الديوان. ونحن اخترنا ألا نأخذ الصيرفي بأغلاطه التي أخذها بها هارون. انظر المزيد عن نقد هارون في أثناء شرحنا القصيدة المقبلة

خَيْرُ الْخَلِيلَيْنِ مَنْ أَغْضَى لِصَاحِبِهِ ولو أَرَادَ انْتِصَاراً مِنْهُ لَانْتَصَرَ

خير صاحبك الذي يغضي (يتغاضى) عن ذنبك، في حين أنه لو أراد الانتقام لوسعه ذلك. «خير الخليلين»: أسلوب في التعبير يفترض وجود نوعين متضادين من الجنس نفسه، كأن تقول: (شر الأميرين المتعجل بالعقاب)

١٠ الفرع بالإبداع

إِنْ تَرَنِني تَرَنِ حُسَاماً صَقِيلاً مَشْرِفِيّاً مِنَ السُّيُوفِ الْجِدَادِ

مشرفياً (سيفاً)، الجِدَاد (الحادة)

ثَانِي اللَّيْلِ، ثَالِثَ اللَّيْلِ وَالسَّيِّ حَرِّ، نَدِيمَ النُّجُومِ، تَرَبَّ السَّهَادِ

ثاني الليل (أي مصاحباً لليل، فالليل أَوَّل وأنا ثانيه)، وثالث الليل (الصحاري) والسير، وجلس النجوم في ليل الصحراء، وترب (قرين) السهاد (السهر)

كَلَّمَ الْخَضِرُ لِي، فَصَبَّرَنِي بَعْدَ لَدِّكَ عَيْنًا عَلَى عِبَارِ الْبِلَادِ

كَلَّمَ بعضهم الْخَضِرَ (النبي الجوال المستور) لي (بشأنني/توسط لي) فجعلني بعد فراقك أيتها المحبوبة عيناً (رقيباً) على عبار البلاد (نظام البلاد). يقول: إنه صار بعد انقضاء الهوى جوالاً كثير الأسفار. ولعمري للإخفاق في الحب يزعج المرء إلى غربة بعد غربة. خص عبد السلام هارون في نقده المثة والأربع والتسعين على تحقيق الصيرفي لديوان البحرني هذا البيت بنقدية. يريد هارون أن يكون معنى عبار البلاد (كثرة الانفلات والمجيء والذهاب في الأرض). وله سند في لسان العرب، وهو لم يقصر في تعصيد رأيه بأكثر مما جاء في لسان العرب، على أنه لم يجعلني أرى المعنى الذي أراد، وإن شككتني. وقد كتب عبد السلام هارون مئة صفحة في نقد الجزء الأول من تحقيق الصيرفي لديوان البحرني. وهذه الصفحات المئة شاهد على فحولة هارون، وتمكنه من أدب العربية ولغتها على نحو يرفعه درجات فوق من عاصره. وقد عاش ومات لا يعرفه سوى قلة من مدمني العربية وحرّسها المخلصين. وله في التحقيق والتأليف مئة وواحد وعشرون كتاباً ليس كمثلها شيء. وما مضى هارون إلا وقد حقق لنا جل المتوفر من كتب الجاحظ. وكنت أتمنى لو كان حقق كتب الشعر، لأنه كان في الشعر علامة قل نظيره

لَيْلَةٌ بِالشَّامِ، ثُمَّتْ بِالْأَمِّ وَارِ يَوْمًا، وَلَيْلَةٌ بِالسَّوَادِ

أقضي ليلة بالشام، ثم يوماً في الأهواز (في إيران، على حدود عراق اليوم)، وليلة بالسواد (ما بين النهرين بالعراق)

وَطَنِي حَيْثُ حَطَّتِ الْعَيْسُ رَحْلِي، وَذِرَاعِي الْوِسَادُ، وَهِيَ مِهَادِي

شردني هواك المبتور فصرت بلا وطن؛ وطني أي مكان تحط الجمال فيه رحلي (متاعي) عن ظهورها، ووسادتي ذراعي، وذراعي هي مهادي (فراشي) أيضاً

لِي مِنَ الشَّعْرِ نَخْوَةٌ وَاعْتِزَازٌ وَهُجُومٌ عَلَى الْأُمُورِ الشَّدَادِ

رأسمالي شعري، وبه تقوى نفسي وأقدم على الأمور الصعبة

فَإِذَا مَا بَنَيْتُ بَيْناً تَبَخَّرْتُ ثُ، كَأَنِّي بَنَيْتُ ذَاتَ الْعِمَادِ

فإذا قلت بيتاً من الشعر تبخترت معتزاً به كأنني بنيت ذات العماد (إرم ذات العماد: مدينة ذات جمال أسطوري وصفها القرآن، وخسفها الله خسفاً) لا يفوتك ما في هذا البيت من جمال. يجعل البحترى بيت الشعر يُبنى بناء، لا يُقال قولاً. وفي هذا البيت تعبير عن لذة الخلق. يصحو الشاعر من نومه ملهوفاً على أبيات قالها في الليلة الفائتة، يسترجعها في ذاكرته، أو في ورقته، وينبض قلبه بحب المولود الجديد نبضاً يعرفه المبدع الفنان. لعل هذه اللفتة هي الخط الفاصل بين الفنان والحرفي

أَوْ كَأَنِّي أَحْوُكُ حَوْكَ زِيَادٍ أَوْ كَأَنِّي أَبُو دُؤَادِ الْإِيَادِي

كأنني أحوك (أنسج) القصيد حوك زياد (الناطقة الذبياني)، أو كأنني أبو دؤاد الإيادي (الشاعر الجاهلي)

لِي مُعِينَانِ: هِمَّةٌ وَاعْتِزَامٌ تِلْكَ مِنْ طَارِفِي، وَذَا مِنْ تِلَادِي

لي مساعدان: همة (طموح) وعزم؛ فالطموح هو طارفي (جديدي، أي مما اكتسبته أنا)، والعزم تلادي (موروثي)

لِي نَدِيمَانِ: كَوَكْبٌ وَظَلَامٌ، لَا يَخُونَانِ صُحْبَتِي وَوِدَادِي

لِي مِنَ الدَّهْرِ كُلُّ يَوْمٍ عَنَاءٌ: فُرَقْتَنِي مَعْشَرِي، وَقَلَّةُ زَادِي

كل يوم يعاني من الغربة ومن الفقر

١١ لذة الشهرة

إِنَّ شِعْرِي سَارَ فِي كُلِّ بَلَدٍ وَاشْتَهَى رِقَّتَهُ كُلُّ أَحَدٍ

فُلْتُ شِعْراً فِي الْغَوَانِي حَسَنًا تَرَكَ الشَّعْرَ، سِوَاهُ، قَدْ كَسَدَ

١٢ سيوف بلا رجال

قال يرثي قومه:

أَبْعَدَ «مُبَشِّرٍ» وَ«أَبِي عُبَيْدٍ» وَ«مَغْيُوفٍ» الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي
وَبَعَدَ أَبِي «أَبِي الْعَطَّافِ» أَرْجُو وَفَاءَ الدَّهْرِ، أَوْ عَهْدَ اللَّيَالِي؟
وَرِثْتُ سِيوفَهُمْ، وَمَضَوْا كِرَامًا، وَمَا نَفْعُ السِّيُوفِ بِلَا رِجَالٍ؟
التسويد لصديقي ومصححي «أحمد عبد الرحيم»، وأنا: موافق

١٣ لا أستطيعها

وَنَدِيمِ حُلُوِّ الشَّمَائِلِ كَالدَّبِّ خَارٍ، مَحْضِ النَّجَارِ، عَذْبِ مُصَقَّى
الشَّمَائِلِ (الصفات)، كالدينار (حتى الآن بعضهم يشبه الشخص الجيد بالليرة الذهب)، محض
النجار (خالص الأصل)

لَمْ أَزَلْ بِالْخِدَاعِ أَسْقِبِهِ، حَتَّى وَضَعَ الْكَاسَ مَائِلًا يَتَكَفَّى
يتكفأ (يتمايل)

قُلْتُ: عَبْدَ الْعَزِيزِ! تَقْدِيكَ نَفْسِي، قَالَ: لَبَّيْكَ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ أَلْفَا
هَآكِهَآ. قَالَ: هَآيَهَآ. قُلْتُ: خُذْهَا قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُهَا، ثُمَّ أَهْقَى
هاكها (خذها)

لم يقل أحد في أدب المنادمة أجمل ولا أرق ولا أحلى من هذه الأبيات.
ورغم الظاهر من نثرية الحوار فالموقف كله يغلي بالشعر غلياناً. هذا شاعر يصف موقفاً مع صديق
أو ربما حبيب له. وأغلب ظني أن البحري ينقل ما حدث نقلاً كما لو بكاميرا فيديو. وسبك
الموقف سبكاً بديعاً

١٤ تمرين في الاستطراد

بمدح مالك بن طوق التغلبي:

فَتَى شَقِيَّتْ أَمْوَالُهُ بِسَمَاحِهِ كَمَا شَقِيَّتْ بَكْرُ بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ
هذا الفتى أمواله شقيت (تعذبت) من سماحه (كرمه) كما شقيت قبيلة بكر برماح قبيلة تغلب،
والممدوح تغلبي. وقد اتكأ البحري على المدح ليخرج إلى هجاء طرف آخر، وهذا أسلوب
الاستطراد في الشعر - كما سماه أبو تمام وبصر البحري به

١٥ حَيَّ عَلَى الرَّحِيلِ

يمدح مالك بن طوق:

مَا لِي وَلِلْأَيَّامِ! صَرَفَ صَرَفُهَا حَالِي، وَأَكْثَرَ فِي الْبِلَادِ تَقْلِبِي
صرف صرفها (بدلت حوادثها)، تقلي (تقلبي)

فَأَكُونُ طَوْرًا مَشْرِقًا لِلْمَشْرِقِ الْـ أَقْصَى، وَطَوْرًا مَغْرِبًا لِلْمَغْرِبِ
أكون في أقصى المشرق فأكون شرقاً له، وأكون كالمغرب بالنسبة للمغرب/ يقول إنه يذرع البلاد
من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب

وَإِذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُلَّةً مُعْدِمٍ فَالْبَسْ لَهُ حُلَلَ النَّوَى، وَتَغَرَّبْ
إذا البسك الزمان حلة (ثوب) معدم (فقير)، فالبس حلل (أنواب) النوى (الفراق)، وتغرب

كان أبو تمام حبيب المرء في الرحيل قائلاً: (ألم تر أن الشمس زيدت محبة/ إلى الناس أن ليست
عليهم بسرمد)، وهذا البحري يتدرب على معاني أبي تمام، وليس معه شمس. ستشرق شمس
البحري فيما بعد، وسيؤسس لنفسه طريقة. امض في المطالعة

١٦ مجد مرفوع مع رفع السماء

يمدح أحمد بن إبراهيم الأزدي:

اللَّهُ أَكْحَسَبَكَ الْمَحَامِدَ مُكْمِلًا لَكَ كُلَّ إِنْسَانِيَّةِ الْإِنْسَانِ
رَفَعَ السَّمَاءَ وَمَجَّدَ فَعْرَكَ، قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ بِوَضْعِ الْأَرْضِ وَالْمِيزَانِ
يبدأ: يبدأ، جاء في الذكر: «والسما رفعها ووضع الميزان» الرحمن ٧

إِنِّي أَتَيْتُ مُودِّعًا؛ وَأَقُولُ: لَوْ لَمْ آتِ فَضْلَكَ طَالِبًا، لَأَتَانِي

١٧ خير المجانين

يهجو دحمان بن نهيك:

أَمُرُّ عَلَى (حَلَبٍ) ذَاتِ الْبَسَاتِينِ وَالْمَنْظَرِ السَّهْلِ، وَالْعَيْشِ الْأَقَانِينِ
مَا كَانَ فِي عُقَلَاءِ النَّاسِ لِي أَمَلٌ فَكَيْفَ أَمَلْتُ خَيْرًا فِي الْمَجَانِينِ؟
لَا تَفْخَرَنَّ، فَلَمْ يُنْسَبْ أَبُوكَ إِلَى بَهْرَامِ جُورٍ، وَلَا بَهْرَامِ شُوبِينَ

يستعرض البحري معرفته بتاريخ الفرس: بهرام جور هو بهرام الخامس الساساني الذي انتهى
حكمه عام ٤٣٨م، وبهرام شوبين هو بهرام السادس الذي حكم سنة انتهت في عام ٥٩١م، لكنه
كان قائداً مهماً قبل اغتصابه الملك

١٨ أنا والذئب والصحراء

إِذَا جُرُزَتْ صَحْرَاءُ الْغَوِيرِ مُعَرِّبًا وَجَارَتْكَ بَطْحَاءُ السَّوَاجِيرِ يَا سَعْدُ
إذا تخطيت صحراء «الغوير»، وأصبحت وراءك بطحاء السواجير
(مسيل الماء عند نهر الساجور قرب منبج) يا سعد..

فَقُلْ لِبَنِي الصَّحَاكِ: مَهْلًا، فَإِنَّنِي أَنَا الْأَفْعَوَانُ الصَّلُّ، وَالضَّيْعُمُ الْوَرْدُ
.. قل لبني الضحاك (قبيلة الحسن بن رعاء): إني أنا، البحرى، الأفعوان الصل (الثعبان
الخبيث)، والضيعم الورد (الأسد المحمر اللون)

يَوَدُّ رِجَالٌ أَنَّنِي كُنْتُ بَعْضَ مَنْ طَوَّتُهُ الْمَنَايَا، لَا أَرُوحُ وَلَا أَغْدُو
بعض أعدائي يودون أن الموت طواني وأصبحت لا رواح ولا مجيء لي على ظهر الأرض

وَلَيْلٍ كَأَنَّ الصُّبْحَ فِي أَخْرِيَاتِهِ حُشَّاشَةٌ نَّصُلِ ضَمَّ إِفْرِنْدُهُ غِمْدُ
ورب ليل كأنه في أواخره حشاشة نصل (بقية سيف) بقيت ظاهرة تلمع
وقد دخل معظم إفرند السيف (صفحته) في الغمد. يشبه بداية الشروق بنصل سيف
خرج قليلاً من غمده

تَسَرَّبَلْتُهُ، وَالذَّئْبُ وَسَنَانٌ هَاجِعٌ بَعَيْنِ ابْنِ لَيْلٍ مَا لَهُ بِالْكَرَى عَهْدُ
هذا الليل تسربلته (لبسته)، بينما الذئب وسنان (ناعس) هاجع (راقد) بعين ابن ليل (لص) ليس له
عهد قريب بالكرى (النوم). فالذئب نائم بعين لص، أي نصف نائم وأخذ حذره

وَأَطْلَسَ مِلْءَ الْعَيْنِ يَحْمِلُ زُورَهُ وَأَضْلَاعَهُ، مِنْ جَانِبَيْهِ شَوَى نُهْدُ
ورب ذئب أطلس (مغبر اللون كالتراب) يملأ العين مهابة، يحمل زوره (أعلى صدره) وأضلاعه
(عظام قفصه الصدري) شوى (قوائم) نهْد (مرتفعة). [أظن هذا هو المعنى]

لَهُ ذَنْبٌ مِثْلُ الرِّشَاءِ يَجْرُهُ وَمَتْنٌ كَمَتْنِ الْقَوْسِ أَعْوَجُ مُنَادُ
له ذنب مثل الرشاء (الحبل) يجره جراً على الأرض،
ومتن (ظهر) كمتن القوس أعوج مناد (معوج)

طَوَاهُ الطَّوَى حَتَّى اسْتَمَرَّ مَرِيرُهُ فَمَا فِيهِ إِلَّا الْعَظْمُ وَالرُّوحُ وَالْجِلْدُ
طواه الطوى (أرهقه الجوع)، حتى استمر مريره (اشتد عزمه)،
فلم يبق فيه إلا العظم والجلد.. والروح. وإضافة (الروح) إلى العظم
والجلد من بدائع البحرى

يُقْضِضُ عَصَلاً فِي أَسْرَتِهَا الرَّدَى كَقَضْقَضَةِ الْمَقْرُورِ أَرْعَدَهُ الْبَرْدُ

يقضض عَصَلاً (يقعقع بأنياه المعوجة)، وفي أَسْرَةٍ هذه الأنياب (في حُزُوزِها) يقبع الردي (الموت)، وهو في قعقعته بأنياه يشبه المقرور (البردان) الذي يرتعش من البرد. لو كان طه حسين نقد هذا البيت لقال: «واسمعه يصف ذنباً يحرق أنياه واسمعه يشبهه بإنسان مقرور، خَصِر، تصطك أسنانه اصطكاكاً متصلاً متتابعاً لا يكاد ينقطع، وردد على نفسك أو على جليسك إن كان لك من تجالس كلمة واحدة؛ أو فلها في قلبك واجعل أذنك تسمعها أو كأنها تسمعها؛ لا إخالك إلا عرفت الكلمة التي إليها أقصد وإياها أعني. إنها كلمة (كقضقضة). انظر في حروفها كيف تخرج من كل مخرج يخرج منه حرف، وتأمل هيأتك وأنت تجاهد فمك في إخراجها جهاداً. وأنا زعيم لك أن ستحس في جسمك رعدة المقرور»، نعتذر عن محاكاة طه، فهو في حديث الأربعاء وقف قبل عصر البحرى بقليل، وإن قال إن خير ما قاله البحرى كان في مدح المتوكل

سَمَا لِي، وَبِي مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ مَا بِهِ، بَيْدَاءَ لَمْ تُحَسِّنْ بِهَا عَيْشَةَ رَغْدُ
سما لي (برز إليّ) - وبى مثل ما به من شدة الجوع - في بيداء لم يشعر الناس فيها قط بعيشة رغد (هنية)

كِلَانَا بِهَا ذُنْبٌ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِصَاحِبِهِ، وَالْجَدُّ يُتَمِصُّ الْجَدُّ
كلانا في هذه البيداء ذنب يحدث نفسه بصاحبه (بييت الغدر بصاحبه)، والجد (الحظ) يتمصسه الجد (يغلبه حظ مضاد له)، أي أن المسألة مسألة حظ: من سيقتل الآخر ويفوز بلحمه؟

عَوَى ثَمَّ أَقْمَى، فَارْتَجَزْتُ، فَهَيْجَتُهُ فَأَقْبَلَ مِثْلَ الْبَرْقِ يَنْتَبِعُهُ الرَّعْدُ
عوى الذئب ثم أقمى على قائمته الخلفيتين، فارتجزت (قلت أشطاراً حماسية من الرجز)، فهيجته (هيجته)، فأقبل عليّ سريعاً كالبرق، عاوياً بصوت كالرعد

فَأَوْجَرْتُهُ خَرْقَاءَ تَحْسَبُ رِيشَهَا عَلَى كَوَكِبٍ يَنْقُضُ وَاللَّيْلُ مُسَوْدُ
فأوجرته خرقاء (ألغمته حربة غير صائبة) كأنها - والريش بذيلها - كوكب يهوي في سواد الليل

فَمَا اِزْدَادَ إِلَّا جُرَاءً وَصَرَامَةً، وَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْأَمْرَ مِنْهُ هَوَ الْجَدُّ
فزاده ذلك جرأة وصرامة، وتأكدت أنه جاد في مهاجمتي

فَاتَّبَعْتُهَا أُخْرَى، فَأَضْلَلْتُ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحِقْدُ
فاتبعت الحربة الأولى بأخرى صائبة، فانغرس نصلها في مكان اللب (الفهم) والرعب والحقْد (أي في القلب)

فَحَرَ، وَقَدْ أَوْرَدْتُهُ مَنَهْلَ الرَّدَى، عَلَى ظَمَأٍ؛ لَوْ أَنَّهُ عَذَّبَ الْوَرْدُ
فخر (فوق) سريعاً - بعد أن جعلته يرد منهل (مورد) الموت - على ظمأ (عطشان)؛ لو أنه عذَّب الورد (ليته كان ورد ماء عذباً بعد هذا العطش، لا بل قد سقيته الموت)

وَقُنْتُ فَجَمَعْتُ الْحَصَى، وَاشْتَوَيْتُهُ عَلَيْهِ، وَلِلرَّمْضَاءِ مِنْ تَحْتِهِ وَقَدْ

شويته بعدئذ على الحصى، والرمضاء (الحصى الحارة) متقدة تحت

وَنَلْتُ خَسِيْسًا مِنْهُ ثُمَّ تَرَكْتُهُ، وَأَقْلَعْتُ عَنْهُ وَهُوَ مُنْعَفِرٌ فَرْدٌ

نلت خسيساً (قليلاً) من لحمه لسد جوعي وتركته، ثم أقلت عنه (فارقته) وهو منعفر بالتراب ومتروك وحده

لَقَدْ حَكَمْتُ فِينَا اللَّيَالِي بِجَوْرِهَا وَحُكْمُ بَنَاتِ الدَّهْرِ لَيْسَ لَهُ قَصْدٌ

هذا حكم الليالي (الزمن) فينا وهو حكم جائر (ظالم)؛ وحكم بنات الدهر (مصائب الزمن) ليس فيه قصد (عدل)

قارن خليل شرف الدين قصيدة البحري هذه في وصف الذئب بقصيدة الشاعر الفرنسي ألفرد دو فيني (مصرع الذئب). وهي قصيدة رومنسية قصصية بلغت في الطول خمسة أضعاف قطعة البحري هذه. ليفرح دو فيني في قبره إذ تقارن قصيدته بقصيدة أحد كبار شعرائنا. ولترك لكل ناس شعرهم، فالشعر لا يترجم. علموا أولادكم الشعر العربي الجديد وبعض القديم، ولا تنسوا هذه القصيدة. وإذا علمتموهم شعر الأقوام الآخرين في المدارس المستوردة فغايتهم فيه أن يكونوا أضيافاً في بيت خال لا يستطيعون مزاحمته بأبٍ جليلٍ كما قال الحماسي. من لنا أن نزاحم الإنجليز في تدوهم شكسبير؟ ومن قال إن شكسبير خير من المتنبي؟ أو أن دو فيني خير من البحري؟ في الشعر قعقة ألفاظ لا يحسها سوى أبناء اللغة. واترك - من فضلك - بيت «كفضضة» السابق، وخذ بيت: عوى ثم أقمى، في هذه القصيدة، وانظر بعينك إلى هذا المشهد المتلاحق، وزه كيف أن الألفاظ تتوالى وتساهم بصوتها - وليس فقط بمعناها - في خلق المشهد

١٩ التنازع في الرئاسة

برثي قومه:

إِنَّ التَّنَازُعَ فِي الرَّئَاسَةِ زَلَّةٌ لَا تُسْتَقَالُ، وَدَعْوَةٌ لَمْ تُنْصَرِ

التنازع في الرئاسة زلة (سقطة)، لا تستقال (لا تقال عثرتها، لا قيام منها)، ودعوة لا تجد أنصاراً

أَفْنَى أَوَائِلَ جُرْهُمِ إِفْرَاطِهِمْ فِيهِ، وَأَسْرَعَ فِي مَقَاوِلِ حِمِيرٍ

أفنى قبيلة جرهم البائدة هذا التنازع، وأسرع في (أي في إثناء) مكاوِل قبيلة حمير (رؤسائها)

٢٠ الانسحاب في الوقت المناسب

بمدح أبا الخطاب الطائي:

رَفَعْتُ مِنَ السَّجْفِ الْمُتَيْفِ، وَسَلَّمْتُ بِأَنَامِلٍ فِيهِنَّ دَرَسُ خِضَابٍ

رفعت السجف المتيف (الستار العالي)، وسلمت بأنامل فيهن درس خضاب (بقايا حناء)

وَتَعَجَّبْتُ مِنْ لَوْعَتِي، فَتَبَسَّمْتُ عَنْ وَاضِحَاتِ، لَوْ لُثِمْنَ، عَذَابٍ
تيسمت عن واضحات (أسنان بيض)، ولهن طعم عذب لو لُثِمْنَ (قُبِّلْنَ)

لَوْ تُسْعِفِينَ، وَمَا سَأَلْتُ مَشَقَّةً، لَعَدَلْتُ حَرَّ هَوَى بِبَرْدِ رُضَابٍ
لو تساعدين - وما سألت مشقة (ما طلبت طلباً صعباً) - لخففت حرارة الهوى في قلبي ببرد
الرضاب (اللعباب) من فمك

وَلَيْنُ شَكْوَتْ ظَمَائِي، إِنَّكَ لَلَّتِي قَدْماً جَعَلْتِ مِنَ السَّرَابِ شَرَابِي
لئن شكوت ظمائي، فأنت سابقاً جعلت شرابي سراباً (يعني: كانت وعودك كاذبة كالسراب)

وَلَقَدْ عَلِمْتُ، وَلِلْمُحِبِّ جَهَالَةٌ، أَنْ الصَّبَا، بَعْدَ الْمَشِيبِ، تَصَابٍ
أنا علمت - رغم جهالة العاشق - أن الصبا (اللهو)، بعد مشيب الرأس، هو من التصابي

وَأَمَّا لَوْ أَنَّ الْغَدَرَ يَجْمُلُ فِي الْهَوَى لَسَلَوْتُ عَنْكَ وَفِيَّ بَعْضُ شَبَابِي
لو كان يجمل (يليق) بي الغدر في الحب لسلوت عنك (نسيتك) في وقت كانت لدي فيه بقية من الشباب

٢١ مطر على خربة

يمدح أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي:

فُوَادُ مَلَاهُ الْحَزْنَ حَتَّى تَصَدَّعَا، وَعَيْنَانِ قَالَ الشَّوْقُ: جُودَا مَعَا مَعَا
لِمَنْ طَلَّلُ جَرَّتْ بِهِ الرِّيحُ ذَيْلَهَا وَحَنَّتْ عِشَارُ الْمُزْنِ فِيهِ فَأَمْرَعَا

لمن هذا الطلل (بقية الدار) الذي جرَّت به الريح ذيلها فعلاه التراب، وحنَّت عشار المزن (الغيوم التي تشبه النياق الحوامل في شهرها العاشر، وحليها يدر غزيراً)، فأمرع (صار خصباً). وحين الناقة على ولدها يأتي بعده الحليب مدراراً. يشبه الغيوم بالنياق في آخر أيام حملها وقد امتلات ضروعها بالحليب

لِللَّيْلَاكَ، إِذْ لَيْلَى تُعَلِّكَ رِبْقَهَا وَتَسْقِيكَ مِنْ فِيهَا الرَّحِيقَ الْمُشْعَشَعَا
هذا الطلل لليلاك، إذ كانت ليلى تسكن هنا وتعلك (تُرثفك) ربقها، وتسقيك من فيها ما يشبه
الرحيق (الخمير) المشعشع (الممزوج بالماء)

٢٢ الوطن .. الحضرن الدافئ

يمدح أبا الحسن بن عبد الملك بن صالح الهاشمي:

يَا بَرَقُ أَسْفِرْ عَنْ (قُؤَيْقَ)، (فَطَرَّتِي حَلَبَ)، فَأَعْلَى الْقَصْرِ مِنْ (بِطْيَاسِ)
يا برق أسفر عن (اكشف) هذه المناطق، والطرة (جانب الوادي). والبرق إذ يلمع ليلاً يكشف
الأشياء؛ معظمنا لم يعد يرى هذا إلا في الأفلام

أَرْضٌ إِذَا اسْتَوْحِشْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهَا حَشَدْتُ عَلَيَّ، فَأَكْثَرْتُ إِيْنَاسِي

إذا أحسست بالوحشة والغربة في قلبي وجئت هذه الأماكن حشدت علي وآتسني
(والمرء يأنس إذ يحتشد حوله الأهل بعد أوبته من غربته، ومن لذيد الاختصار واللمح أن جعل
البحري الأرض «تحشد عليه». أليس هو القائل: والشعر لمح تكفي إشارته/ وليس بالهذر طُولُ
خُطْبَةٍ (القصيد ١٦٥)

الْيَوْمَ حَوَّلَنِي الْمَشِيبُ إِلَى النَّهْيِ وَذَلَّلْتُ لِلْعُذَالِ بَعْدَ شِمَاسِ

اليوم نقلني الشيب إلى النهي (التعقل)، وذللت للعذال (الناصحين اللائمين) بعد شماس
(تمرد)

وَرَفَعْتُ مِنْ نَظَرِي إِلَى أَهْلِ الْحِجَا وَلَوَيْتُ عَنْ أَهْلِ الْعَوَايَةِ رَاسِي

ورفعت نظري متطعماً إلى أهل الحجا (العقل)، ولويت رأسي مبتعداً عن أهل الغواية (الاستهتار)

٢٣ عبث الزمن

يمدح سعيد بن محمد:

إِن الْخُطُوبَ طَوَّيْنَنِي وَنَشَرْنَنِي عَبَثَ الْوَلِيدِ بِجَانِبِ الْقِرْطَاسِ

طوتني الخطوب (المصائب) ونشرتني كعبث الطفل الوليد بالقرطاس (الورقة). والورقة
المفردة في زمنهم تكون ملفوفة، كما نراها في المسلسلات التاريخية، وأتخيل أن
الطفل من شأنه أن ينشرها ثم يتلذذ وهو يراها تكرر راجعة إلى حالتها الأسطوانية مرة
بعد مرة. وقد أوحى هذا البيت إلى المعري - وهو رجل في قلبه عبث كثير رغم قناع
الكآبة الذي اتخذه - بأن يسمي كتابه في نقد شعر البحري «عبث الوليد»، فأصاب
المعري عدة عصافير بهذا الحجر، فاسم البحري «الوليد»، ورأى المعري في شعره
أنه رقيق وأنه يعد كالعبث إذا قيس بشعر المتنبي، وثالثة: أن المعري سلخ من بيت
البحري كلمتين أسمى بهما كتابه

مَا شَبَّتُ مِنْ طُولِ السِّنِّينَ، وَإِنَّمَا طُولُ الْمَلَامَةِ فِيكَ شَيْبَ رَاسِي

٢٤ كان البكاء طويلاً

يمدح أبا جعفر محمد بن علي بن عيسى القمي:

ذَاكَ (وَادِي الْأَرَاكِ) فَاحِشٍ قَلِيلاً مُقْصِراً مِنْ مَلَامَتِي، أَوْ مُطِيلًا

احبس ناقتك يا صاحبي (أجبرها على الوقوف) سواء أختصرت في لومي أم أطلت

إِنَّ بَيْنَ (الْكُثَيْبِ) (فَالْجَزْعِ) (فَالْأَمِّ) رَمَاحاً لَآلٍ هِنْدٍ مُجِيلًا

فيما بين هذه الأماكن ربع (منزل) مجيل (خرب) لأهل المحبوبة هند

وَحِلَافُ الْجَمِيلِ قَوْلُكَ لَلَّذَا كَرِ عَهْدَ الْأَحْبَابِ: صَبْرًا جَمِيلًا
ومن غير الجميل (المناسب) أن تقول لمن يتذكر أحبابه: اصبر صبراً جميلاً، بل اتركه ولوعة قلبه

لَا تَلْمُهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الدَّمِّ ع، فَلَوْمْ لَوْمُ الْخَلِيلِ الْخَلِيلَا
لا تلمه على الاستمرار في ذرف الدموع، فلؤم من الخليل (الصاحب) لوم خليله

عَلَّ مَاءَ الدَّمُوعِ يُخَمِّدُ نَارًا مِنْ جَوَى الْحُبِّ، أَوْ يَبُلُّ غَلِيلَا
لعل الدمع يخمد ناراً سببها جوى (حرقه) الحب أو يبل غليلاً (عطشاً)

لَمْ يَكُنْ يَوْمَنَا طَوِيلًا بِنَعْمَا نَ، وَلَكِنْ، كَانَ الْبُكَاءُ طَوِيلَا
لكل شاعر عندي بيت أسميه المدهش لأنه يدهشني إدهاشاً. أبو نواس أدهشني إذ قال: (من كف ذات حر في زي ذي ذكر/ لها محبان لوطي وزنأه)، وبدوي الجبل أدهشني إذ قال: (الخالدان، ولا أعُدُّ الشَّدَّ /مَسَّ، شعري والزمان)، وإبراهيم بن هرمة أدهشني بيته: (أسأل الله سكرة قبل موتي/ وصياح الصبيان يا سكران). وهذا بيت البحري الذي أدهشني

٢٥ الأضحية الحمارية

وقال لأبي جعفر القمي يستهديه أضحية:

جُعِلْتُ فِدَاكَ، لِي خَبَرٌ طَرِيفٌ؛ وَأَنْتَ بِكُلِّ مَكْرُمَةٍ خَبِيرُ
عَدَاةَ النَّحْرِ يَنْحَرُ كُلُّ قَوْمٍ، وَلَا شَأْءَ لَدَيَّ وَلَا بَعِيرُ
بَلَى عِنْدِي حِمَارٌ لِي، فَقُلْ لِي: أَتَقْبَلُ مِنْ مُضْحِيهَا الْحَمِيرُ؟
لَيْنٌ لَمْ تَفِدِهِ، تَفْدِيكَ نَفْسِي، بِذَبْحٍ، فَهُوَ فِي عَدُوِّ نَحِيرُ
ذبح (أضحية)، نحير (منحور، مذبوح)

٢٦ يرويه فيك لحسنه الأعداء

يمدح أبا جعفر محمد بن علي بن عيسى القُمِّي الكاتب:

لَيْسَ الَّتِي ضَلَّتْ تَمِيمٌ وَسَطَهَا «الدَّ - هَنَاءٌ»، لَا بَلْ صَدْرُكَ الدَّهْنَاءُ
ليست الصحراء التي قيل إن قبيلة تميم تاهت فيها هي الدهناء، بل صدرك أنت الدهناء (صحراء واسعة بنجد). يقول: صدرك أيها الممدوح واسع

مَلِكٌ أَعْرُ، لَالٍ طَلْحَةَ نَجْرُهُ، كَفَّاهُ أَرْضُ سَمْحَةٍ، وَسَمَاءُ
القمي الممدوح ملك أعر (بارز/ وأصل «الأعر» الحصان ذو الغرة البيضاء)؛ ونجره (أصله) يعود لال طلحة، وكفَّاه معطاءان كالأرض السمحة (الخيرة)، وكالسماء الممطرة

أَحْسَمْتَنِي بِنَدَى يَدَيْكَ، فَسَوَدَتْ مَا بَيْنَنَا تِلْكَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ
أحسمتني (أخجلتني) بكرم يديك، فسودت العلاقة ما بيننا هذه اليد البيضاء (المعروف)
لشدة الإحراج

وَقَطَعْتَنِي بِالْجُودِ، حَتَّى إِنَّنِي مُتَخَوِّفٌ أَلَّا يَكُونَ لِقَاءُ
وقطعتني، إذ وصلني بالجدود الغامر، حتى إنني أخاف ألا يحدث بيننا لقاء آخر
صِلَةٌ غَدَتْ فِي النَّاسِ وَهِيَ قَطِيعَةٌ، عَجَباً، وَبِرٌّ رَاحَ وَهُوَ جَفَاءُ
صلتك هذه غدت معروفة بين الناس بأنها سبت القطيعة، فيا للعجب،
والبر (أي المعروف) أصبح جفاء

لِيُوَاصِلَنَّكَ رَكْبٌ شِعْرِ سَائِرٍ يَرْوِيهِ فَيْكَ، لِحُسْنِهِ، الْأَعْدَاءُ
ليواصلنك (والله سيصلك تكراراً) ركب شعر (قافلة قصاد) سائر (شعر مشهور يسير بين الناس)
ويروي هذا الشعر، لجماله، حتى أعداؤك

حَتَّى يَتِمَّ لَكَ الثَّنَاءُ مُخَلِّدًا أَبَدًا، كَمَا تَمَّتْ لِي النِّعْمَاءُ
حتى يكون الثناء عليك خالداً لخلود شعري، مثلما صارت نعمتك عليّ تامة

فَتَظَلُّ تَحْسُدُكَ الْمُلُوكُ الصَّيْدُ بِي، وَأَظَلُّ يَحْسُدُنِي بِكَ الشُّعْرَاءُ
وستظل الملوك الصيد (الكرام) تحسدك بي (بسبي)، ويظل الشعراء يحسدوني بسبيك. إن قال
أحد إن شعر المدح لا خير فيه فأنشده له هذه الآيات الثلاثة الأخيرة. وإذا قالت الكتب إن لشعر
البحثري ديباجة وعذوبة وإنه سلاسل الذهب إلخ، فهذه الآيات برهان وأنموذج. وأصل المعنى
من أبي تمام، ولكن البحثري امتلكه بهذه الديباجة

٢٧ العدو الكامن، والصديق النافر

يمدح إبراهيم بن الحسن بن سهل:

وَمُكَائِدٍ لِي بِالْمَغِيبِ رَمَيْتُهُ بِصَرِيمَةٍ كَالنَّجْمِ فِي مُنْقَضِهِ
رب مكائد لي بالمغيب (متأمر عليّ في غيبي) قد رميته بصريمة (بقطيعة)
كأنها النجم في منقذه (انقضاضه)، أي مثل الشهاب الهاوي، الذي يرجم الله به الشيطان،
بحسب التفسير الحرفي للآية

أَمْضَيْتُ مَا أَمْضَيْتُ فِيهِ، وَلَوْ ثَنَى بِإِشَارَةٍ أَمْضَيْتُ مَا لَمْ أَمْضِهِ
اتخذت فيه القرار الحاسم، ولكنه لو كان ثنى بإشارة (رجع عن غوايته) لكنت اتخذت قراراً آخر
أكثر تسامحاً [كذا فهمت البيت]

وَعِتَابٍ خِلٍّ قَدْ سَمِعْتُ، فَلَمْ أَكُنْ جِلْدَ الضَّمِيرِ عَلَى اسْتِمَاعِ مُمِضِهِ
ورب عتاب سمعته من خل (صاحب) فلم أكن جلد الضمير (قاسي الوجدان) لأحتمل المفض
(الجارج) من هذا العتاب، فلذلك رددت رداً قاسياً

أَنْبَوْتُ عَنْكَ بِزَعْمِهِمْ؟ وَمَتَى نَبَأٌ فِي حَالَةٍ بَعْضُ امْرِئٍ عَنْ بَعْضِهِ
أنبوتُ عنك (هل هجرتك) كما يزعمون؟ ومتى استطاع - في كل الحالات - أن ينبو (يهجر) جزء
من الإنسان عن سائر الأجزاء! . يقول: هيهات أن أهجركَ فانت جزء مني

٢٨ عندما سَكِرَتِ الرِّيحُ

يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي:

حَجَبُوهَا حَتَّى بَدَتْ لِفِرَاقٍ كَأَنَّ دَاءَ لِعَاشِقٍ وَدَوَاءَ
حجبوها حتى بدت لفراق (في يوم رحيلهم)، فكان الفراق داء لقلبي لكنه كان أيضاً دواء
لأنه أتاح لي رؤيتها ساعة ركبت للرحيل

أَضْحَكَ الْبَيْنُ يَوْمَ ذَاكَ وَأَبْكَى كُلَّ ذِي صَبْوَةٍ؛ وَسَاءَ
وهكذا أضحك البين الفراق وأبكى - كل ذي صبوة (غرام)؛ وسرتني وساءني في آن معاً

وَوَشَّتْ بِي إِلَى الْوُشَاةِ دُمُوعُ الْعَيْنِ، حَتَّى حَسِبْتُهَا أَعْدَاءَ
وشت بي (فضحت سري) للوشاة (النمامين) دموعي، حتى حسبت هذه الدموع أعداء لي

كَيْفَ تُنْثِي عَلَى ابْنِ يَوْسُفَ . لَا، كَيْفَ سَرَى مَجْدُهُ، فَفَاتَ الثَّنَاءُ؟
يسأل الشاعر نفسه: كيف تنثي على ابن يوسف؟ ثم يقول: لا، بل الأجدد بنا أن نتعجب كيف
سرى (مشى) مجده، فسبق كل ثناء

جَادَ حَتَّى أَقْنَى السُّؤَالَ، فَلَمَّا بَادَ مِنَّا السُّؤَالُ، جَادَ ابْتِدَاءً
جاد (كُرم) حتى لم يعد هناك محتاج يسأل ويستجدي، فعندما باد (اختفى) سؤالنا واستجدأنا،
جاد (أعطى) ابتداءً (مبتدئاً بلا سؤال من طرفنا)

أَحْسَنَ اللَّهُ فِي ثَوَابِكَ عَنْ ثَغْرِ مِضَاعٍ، أَحْسَنْتَ فِيهِ الْبَلَاءَ
أحسن الله مكافأتك عن ثغر (موقع حدودي) مضاع (مهمل بلا حماية)
أحسنْتَ فيه البلاء (قتال الأعداء)

لَمْ يَكُنْ جَمْعُهُمْ عَلَى الْمَرْجِ إِلَّا زَبْدًا، طَارَ عَنْ قَنَاكَ جُفَاءً
لم تكن جموع الأعداء على المرج (السهل) سوى زبد (رغوة)، وطار هذا الزبد عن قناك (رامحك)
جُفَاءً (فَصْلَاتٍ وَزَوَائِدَ)

حِينَ أَبَدْتَ إِلَيْكَ (خَرَشَنَةً) الْعُدَّ يَا مِنَ الثَّلْجِ هَامَةً شَمْطَاءَ

عندما أظهرت لك مدينة خرشنة العليا من ثلوجها ما يشبه الهامة الشمطاء
(الرأس الذي شابه شيب) ..

مَا نَهَاكَ الشِّتَاءُ عَنْهَا، وَفِي صَدِّ رِكَ نَارٍ لِلْحَقْدِ تُنْهِي الشِّتَاءَ

.. عندئذ لم ينهك (لم يمنعك) الشتاء عن مهاجمتها، ففي صدرك نار الحقد التي تنهي الشتاء

طَالَعْتُكَ الْأُبْنَاءَ مِنْ شُرَفِ الْأَبِّ رَاجٍ زُرْقًا إِذْ تَذْبَحُ الْآبَاءَ

برز لك أبناء القوم من شُرَفَات أبراج المدينة زُرْقًا (زارقين بعيونهم أي ينظرون من أطراف عيونهم
لأنهم مائلون بوجوههم خوف السهام/ هذا المعنى الذي لمحت) ورأوك تذبح آباءهم خارج أسوارها

فِي نَوَاحِي (بُرْجَانٍ) إِذْ أَنْكَرُوا التَّكَّ بَسِيرَ، حَتَّى تَوَهَّمُوهُ غِنَاءَ

حدث هذا في نواحي منطقة برجان حيث الروم لا يعرفون التكبير (قوله الله أكبر) فتوهموا تكبير
الجنود (ظنوه) غناء

حَيْثُ لَمْ تُورِدِ السِّيُوفَ عَلَى خِمِّ سِ، وَلَمْ تُصْدِرِ الرِّمَاحَ ظِمَاءَ

وهناك لم تجعل سيوفك تصل بطيئة، على خمس (كالإبل التي تأتي الماء خامس يوم من أيام
العطش)، ولم تصدر أنت الرماح (تُرْجِعُهَا مِنَ الْمُورِدِ) ظُمَاً، بل جعلتها ترتوي من دماءهم

بَتَعَثَّرْنَ فِي النُّحُورِ وَفِي الْأَوِّ جُهُ، سُكْرًا، لَمَّا شَرِبْنَ الدِّمَاءَ

تعثثر رماحك كيفما اتفق في النحور (أعالي الصدور) وفي الوجوه،
كانها سكرانة مما شربت من دماء

وَأَزَّرْتَ الْخِيُولَ قَبْرَ (امْرِئِ الْقَيْسِ سِ)، سِرَاعًا، فَعُذْنَ مِنْهُ بِطَاءَ

وأزرت الخيول (جعلتها تزور) قبر امرئ القيس الشاعر (وقيل مات ودفن هناك) مسرعة للقاء
العدو، ولكنها مكثت مدة في الحرب فعادت من بلادهم بطاء (بطيئة)

وَجَلَبَتِ الْحَسَانَ حَوْأً وَحُورًا آيَسَاتٍ، حَتَّى أَغَرَّتِ النِّسَاءَ

وجلبت الحسان حوأً (سراوات الشفاه) وحوراً (بيضا) وآيسات (فتيات)، حتى لقد غارت زوجات
المسلمين من هؤلاء السبايا

٢٩ القمر الضائع بين وجوههن

إِسْتَوَى الْحُبُّ بَيْنَنَا، فَعَدَا الْبَدْهُ رُقَصِيرًا، وَاللَّهُوُ غَيْرَ قَصِيرٍ

نادر أن يتساوى مقدار الحب بين العاشق والعاشق؛ لكنه تساوى بيننا، فأصبح الدهر سريع الجريان
قصيراً، فأما اللهو فغير قصير

أَنْخِيلُ «بِعَالِجٍ»، أَمْ سَفِينٌ عَائِمَاتٌ، أَمْ أَوْلِيَّاتُ خُدُورٍ؟
هل هذه نخلات رشقات، أم سفن عائمت تمشي وتتهادى ببطء، أم هن أوليات خدور
(ذوات ستور/أي نساء)؟

ضَعَفَ الدَّهْرُ عَنْ هَوَانَا، وَمَا الدَّهْرُ رُ عَلَى كُلِّ دَوْلَةٍ بِقَدِيرٍ
ضعف الدهر فلم يستطع أن يُنكِّد هوانا؛ والدهر، الموصوف بأنه قاهر كل دولة، لم يقهر دولة
العشق هذه المرة

حَسَنْتُ لَيْلَةَ الْكَثِيبِ، فَكَانَتْ لِي أَنْسَاءً، وَوَحْشَةً لِلْغَيُورِ
بقدر ما لقيت من أنس في ليلة الكتيب (عندما التقيت محبوبتي على كتيب الرمل) وجد الغيور
الحاسد وحشة في قلبه

ضَلَّ بِدْرِ السَّمَاءِ، أَوْ كَادَ، لَمَّا وَاجَهَتْهُ وَجُوهُ تِلْكَ الْبُدُورِ

٣٠ المِعْمُ الْمُخُولُ

يمدح إبراهيم بن الحسن بن سهل:

مَلِكٌ، إِذَا افْتَحَرَ الشَّرِيفُ بِسُوقَةٍ، عَدَّ الْمُلُوكَ خُؤُولَةً وَعُمُومًا
إذا كان أشراف الناس يفتخرون بسوقة (بناس عاديين) فهذا الملك يعدُّ ضمن أسلافه من جهتي الأم
والأب ملوكاً سابقين. أبوه وعمه كانا قائدَين مشهورين في الدولة العباسية، كما أن أصولهم
الفارسية القديمة أصول شريفة

نَزَلُوا بِأَرْضِ الزَّعْفَرَانِ، وَعَادَرُوا أَرْضاً تَرُبُّ الشَّيْخَ وَالْقَيْصُومًا
هم نازلون بأرض فارس التي ينبت فيها الزعفران، تاركين أرضاً ترُبُّ الشيخ والقيصوم
(النباتين الصحراويين). هم فُرس لا عرب

وَابْنُ الَّذِي ضَمَّ الطَّوَائِفَ، بَعْدَمَا أَفْ تَرَقَّتْ؛ فَعَادَتْ جَوْهَرًا مَنْظُومًا
وإبراهيم الممدوح هذا ابن الحسن الذي ضم طوائف المسلمين بعد فتنة الأمين والمأمون، فرجعت
الخلافة إلى وحدتها

وَرَدَ الْعِرَاقَ، وَمُلْكُهَا أَيْدِي سَبَا، فَاسْتَارَ سِيرَةَ أَرْدَشِيرَ قَدِيمًا
كان الحسن بن سهل ورد العراق من خراسان مع المأمون، والحكم يومئذ أيدي سبا (تعبير معناه:
مشتت)، فاستار (سار) سيرة أردشير (الملك الفارسي القديم)

٣١ العثور على الشوق التائه

يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي:

أَخَذَتْ ظُهُورُ (الصَّالِحِيَّةِ) زِينَةً عَجَبًا، مِنْ الصَّفَرَاءِ وَالْحَمْرَاءِ
أخذت ظهور (هضاب) الصالحية زينة عجباً (مُعْجِبَةً) مكونة من الأزهار الصفراء والحمراء

نَسَجَ الرَّيْعُ لِرَبْعِهَا دِيْبَاَجَةً مِنْ جَوْهَرِ الْأَنْوَارِ، بِالْأَنْوَاءِ
نَسج الربيع لربيع الصالحة (موقعها) ديباجة (سجادة حريرية) مكونة من الأنوار (نوار النباتات) الذي
يشبه الجواهر؛ وأداة النسيج هي الأنواء (الأمطار)

فَاشْرَبَ عَلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ، يَشُوبُهُ زَهْرُ الْخُدُودِ وَزُهْرَةُ الصَّهْبَاءِ
فاشرب الخمر على مرأى زهر الحدائق الذي يشوبه (يتخلله) زهر خدود الحسان، وزهرة الصهباء
(صفاء الخمر). وكانوا يشربون الخمر في مجلس مزين بالرياحين والأزهار

مِنْ قَهْوَةٍ تُنْسِي الْهُمُومَ وَتَبْعَثُ الشَّوْ - حَوْ الَّذِي قَدْ ضَلَّ فِي الْأَحْشَاءِ
اشرب.. من قهوة تنسي الهموم وتثير الشوق الكامن الذي كأنه ضل وضاع في الأحشاء
(باطن الإنسان/قلبه)/[ضل في الأحشاء] هذه.. بديعة]

يُخْفِي الزُّجَاجَةَ لَوْنُهَا، فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءٍ
لون الخمر يخفي الزجاجاة (الكأس)، فكان الخمر قائمة في الكف بدون إناء [أكثر القدماء لوم
البحثري على هذا المعنى، وقالوا: لو كان الذي في الزجاجاة دسباً لتلونت الزجاجاة بلونه، فما
الغريب في هذا؟ على أننا نراه معنى جميلاً مطروحاً سبق في لفظ خفيف جميل]

إِنَّ الْأَمِيرَ مُحَمَّدًا لَمْ يَهْذُبْ إِلْ أَفْعَالٍ، فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
مَا زِلْتُ تَقْرَعُ بَابَ (بَابِكَ) بِالْقَنَا وَتَزُورُهُ فِي غَارَةٍ شُمُوءٍ
أيها الأمير ظللت تقرع باب بابك الحُرْمِيِّ (الخارج على الدولة) بالقنا (بالرماح)، وظللت تزوره
مغبراً عليه غارة شُمُوءٍ (متشعبة واسعة)..

حَتَّى أَخَذْتُ، يَنْصُلُ سَيْفِكَ عَنُوءٌ، مِنْهُ الَّذِي أَغْيَا عَلَى الْخُلَفَاءِ
حتى أخذت منه، بقوة السيف، ما أغيا (أعجز) الخلفاء

٣٢ نضوب الدمع

يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري:

فِيمَ ابْتِدَارُكُمْ الْمَلَامَ وَلُوعَا؟ أَبَكَيْتُ إِلَّا دِمْنَةً وَرُبُوعَا؟
لماذا ابتداركم (بدؤكم) اللوم ولوعاً به وإقبالاً عليه؟ فهل بكيت سوى دمنة (خربة)
ومنازل مهجورة؟

عَدَلُّوا، فَمَا عَدَلُوا بِقَلْبِي عَنْ هَوَىٍّ وَدَعَوَا، فَمَا وَجَدُوا الشَّجِيَّ سَمِيعَا
عدلوا (لاموا) فما عدلوا بقلبي (مالوا بقلبي) عن هواه، ودعوني للبنيان فما وجدوا الشجي
(الحزين) سميعاً لدعوتهم

يَا دَارُ، غَيْرَهَا الزَّمَانُ وَفَرَّقَتْ عَنْهَا الْحَوَادِثُ شَمَلَهَا الْمَجْمُوعَا،
لَا تَخْطُبِي دَمْعِي إِلَيَّ، فَلَمْ يَدْعُ فِي مُقْلَتَيَّ جَوَى الْفِرَاقِ دُمُوعَا .

٣٣ الوشاح الجوال

يمدح أبا نوح عيسى بن إبراهيم:

أَمْزُجُ كَأْسِي بِجَنَّا رِيْقِهِ وَإِنَّمَا أَمْزُجُ رَاحاً بِرَاحِ .
أَمْزَجَ كَأْسِي بَجَنَّا (بِقَطَاف) رِيقَ الْمَحْبُوبِ . وَرِيْقُهُ رَاحَ (خَمَر) كَالْخَمَرِ الَّتِي فِي كَأْسِي
إِنْ لَانَ عِظْفَاهُ قَسَا قَلْبُهُ أَوْ ثَبَتَ الْخَلْخَالُ جَالَ الْوِشَاحُ
لَنْ كَانَ عِظْفَاهُ (جَانِبَاهُ) لِيُثَبِّتَ قَلْبَهُ قَاسَ . وَلَنْ ثَبَتَ الْخَلْخَالُ فِي أَسْفَلِ سَاقِ الْمَحْبُوبِ
(لَأَنَّ سَاقَهُ مِمْتَلِئَةٌ) فَإِنْ وَشَّاحَهُ (الْوِشَاحُ هُوَ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِذَلِكَ الشَّرِيطِ الَّذِي تَتَخَذُهُ مَلَكَاتُ
الْجَمَالِ مَائِلاً عَلَى جُسُومِهِنَّ) يَجُولُ عَلَى جِسْمِهِ لِرِشَاقَتِهِ

٣٤ بين شراب وطبيخ

يمدح الحسن بن وهب، وكان الواثق نكب آل وهب وأخذ منهم ألف ألف دينار:

لَنَا فِي الدَّهْرِ أَمَالٌ طَوَالٌ نُرَجِّيْهَا، وَأَعْمَارٌ قِصَارٌ
وَأَهْوَنُ بِالْخُطُوبِ عَلَى خَلِيعٍ إِلَى اللَّذَاتِ لَيْسَ لَهُ عِذَارٌ
مَا أَهْوَنُ الْخُطُوبِ (الْبَلَايَا) عَلَى خَلِيعٍ (مُسْتَهْتَرٍ) يَلْحَقُ لَذَاتَهُ، لَيْسَ لَهُ عِذَارٌ (تَعْبِيرٌ مَعْنَاهُ: مُتَهْتَكٌ)
نَزَلْنَا مَنْزَلَ الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ وَقَدْ دَرَسْتُ مَعَانِيَهُ الْقِفَارُ
نَزَلْنَا مَنْزَلَ (مَحَلَّة) الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ وَقَدْ دَرَسْتُ (أَمَحْتُ) مَعَانِيَهُ هَذَا الْمَنْزَلَ (مَحَاسِنَهُ)
وَصَارَ قَفْراً (خَرَاباً)

تَلَقَّيْنَا الشُّتَاءَ بِهِ، وَزَرْنَا بَنَاتِ اللّٰهُوَ إِذْ قُرْبَ الْمَزَارِ
هَنَّاكَ اسْتَقْبَلْنَا الشَّتَاءَ، وَزَرْنَا بَنَاتِ اللّٰهُوَ - وَكَانَ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ دَوْرٌ لِلْمَحْتَرَفَاتِ - لِقُرْبِهِنَّ مِنَ
الْمَكَانِ

أَقْمَنَّا؛ أَكَلْنَا أَكْلُ اسْتِغْلَابٍ هُنَاكَ، وَشَرِبْنَا شُرْبَ بِدَارٍ
مَكْنَتُنَا هُنَاكَ، وَأَكَلْنَا أَكْلٌ سَرِيعٌ كَأَنَّهُ انْتِهَابٌ، وَشَرِبْنَا شَرْبَ مُتَوَاصِلٍ سَرِيعٍ نَبَادِرُهُ بِدَاراً
تَنَازَعْنَا الْمُدَامَةَ وَهِيَ صِرْفٌ وَأَعْجَلْنَا الطَّبَائِخَ وَهِيَ نَارٌ
لَقَدْ تَنَازَعْنَا الْخَمْرَةَ وَهِيَ صَافِيَةٌ، وَاسْتَعْجَلْنَا فَأَكَلْنَا مَا فِي الْقَدُورِ مِنْ طَبِيخٍ وَهُوَ حَارٌّ كَالنَّارِ

وَلَمْ يَكْ ذَاكَ سُخْفًا، غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ الشَّرْبَ سُخْفُهُمُ الْوَقَارُ

وهذا ليس سخفاً، فأنأ أرى الوقار للشرب (شاربي الخمر) هو السخف الحق

رَضِينَا، مِنْ (مُخَارِقَ) وَ(ابْنِ خَيْرٍ)، بِصَوْتِ الْأَثَلِ إِذْ مَتَعَ النَّهَارُ

رضينا من مخارق وابن خير (بدلاً منهما، وهما مغنيان) بصوت شجر الأثل إذ تحركه الريح عندما متع (توسَّطَ) النهار

تُرْغِزُهُ الشَّمَالُ، وَقَدْ تَوَافَى عَلَى أَنْفَاسِهَا قَطْرُ صَعَارُ

تحركه ريح الشمال، وقد توارد على أنفاس (هبات) هذه الريح رذاذ خفيف

عَدَاةٌ دُجْنَةٌ لِلْغَيْثِ فِيهَا خِلَالُ الرُّوضِ حَجٌّ وَاعْتِمَارُ

حدث هذا غداة (صبيحة) دجئة (ليلة معتمة) كان للغيث فيها صخب في الروض كصخب الحجاج والمعتمرين

كَأَنَّ الرِّيحَ وَالْمَطَرَ، الْمُتَنَاجِي خَوَاطِرَهَا، عِتَابٌ وَاعْتِذَا

كأن الريح والمطر اللذين يناجيان خواطر الغصون (أي الغصون التي تخطر وتتحرك) عتاب واعتذار

أَصَابَ الدَّهْرُ دَوْلَةً آلٍ وَهَبِ وَنَالَ اللَّيْلُ مِنْهُمْ وَالنَّهَارُ

أنزل الدهر مصيبة بدولة آل وهب، ونال منهم الليل والنهار (الزمن)

أَعَارَهُمْ رِدَاءَ الْعِزِّ حَتَّى تَقَاضَاهُمْ، فَرَدُّوا مَا اسْتَعَارُوا

أعارهم الدهر ثياب العز ثم تقاضاهم إياها (استردها منهم) فردوها

وَمَا كَانُوا فَأَوَّجُهُمْ بُدُورٌ لِمُخْتَبِطٍ، وَأَيْدِيهِمْ بِحَارُ

وما كانوا (طيلة وجودهم في السلطة) كانت أوجههم بدوراً يهتدي بها المختبط (الساري ليلاً) وأيديهم كانت بحاراً (سخية بالعطاء)

٣٥ وأعمراً

عَادَيْتُ مِرَاتِي، فَأَذْنَتْهَا بِالْهَجْرِ، مَا كَانَتْ وَمَا كُنْتُ

عاديت مرآتي فأذنتها (أبلغتها) بالهجر طول حياتي وطول حياتها.

كأن مرآته حبيبة وهو يريد أن يهجرها

كَأَنْتَ تُرِينِي الْعُمَرَ مُسْتَقْبَلًا وَهِيَ تُرِينِي الْقَوْتَ مُذْ شَبْتُ

كانت تريني وجهي شاباً والعمر مقبلاً علي، والآن أصبحت المرأة تريني القوت (الذهاب)

منذ حل بي المشيب

وَأَعْمُرَا، نَوْحًا لِفِقْدَانِهِ، سَيَّانٍ عِنْدِي شَبْتُ أُمُّ مُثْ
واعمر (حسرة على العمر)، أنوح لذهابه، ويتساوى عندي حلول الشيب والموت

٣٦ هكذا التعزية!

قال يعزي أبا نهشل محمد بن حميد بن عبد الحميد الطوسي عن ابته:

ظَلَمَ الدَّهْرُ فَيْكُمُ، وَأَسَاءَ فَعَزَاءُ (بَنِي حُمَيْدٍ)، عَزَاءُ
ظالم هذا الدهر فيما أصابكم به يا بني حميد من وفاة ابتكم، فأنا أعزيكم. وانتظر بقية القصيدة
لترى كيف يعزيهم!

يا (أبا القاسم)، المَقْسَمُ فِي النَّجْدِ سِدَّةَ وَالْجُودِ وَالنَّدَى أَجْزَاءُ
يا أبا القاسم، وأنت مقسم النفس بين النجدة (النخوة) والكرم..

وَالْهَزْبُ الَّذِي، إِذَا دَارَتْ الْحَرُّ بُوْهُ، صَرَفَ الرَّدَى كَيْفَ شَاءَ
.. ويا أيها الهزبر (الأسد) الذي، عندما تدور الحرب بك، تُوجِّه الردى (الموت) نحو أعدائك
كيفما شئت..

الْأَسَى وَاجِبٌ عَلَى الْحُرِّ: إِمَّا نَيَّْةٌ حُرَّةٌ، وَإِمَّا رِيَاءُ
الحزن واجب على الحر، إما حقيقة،
وإما رياء (بإظهار الحزن دون وجود حزن حقيقي)

وَسِفَاهُ أَنْ يَجْزَعَ الْمَرْءُ مِمَّا كَانَ حَنِمًا عَلَى الْعِبَادِ قَضَاءُ
وسفاه (خُتْمٌ) أَنْ يَجْزَعَ (يتهيج حزناً) الْإِنْسَانُ مِنْ حَنَمٍ (محتوم) عَلَى كُلِّ النَّاسِ (الموت)

أَتُبْكِي مَنْ لَا يُنَازِلُ بِالسَّيْفِ مُشِيحًا، وَلَا يَهْزُ اللَّوَاءُ؟
هل تُبْكِي (تُبْكِي) شخصاً لا يحارب بالسيف مشيحاً (مُتَقِدِمًا)، ولا يرفع لواء (راية الحرب)؟ يقول:
هل تبكي امرأة؟

وَالْفَتَى مَنْ رَأَى الْقُبُورَ، لِمَا طَا فَ بِهِ مِنْ بَنَاتِهِ، أَكْفَاءُ

الفتى (الرجل الحقيقي) هو الذي يعتبر القبور الأكفاء الحقيقيين لمن طاف حوله من بناته.
والكفاء، في اعتبار فقهاء ذلك الزمن، الرجل المناسب مالا ونسباً ودينياً للزواج من امرأة بعينها.
عمران القفيني يقول: يرجى شتم البحري على هذا البيت. قد فعلنا

لَسَنَ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ، كَعَدِّ الْـ لِّوِ مِنْهَا الْأَمْوَالُ وَالْأَبْنَاءُ

البنات لسن من زينة الحياة، كما عدَّ الله في الآية زينة الحياة الدنيا
فكانت المال والبنين فقط

قَدْ وَلَدَنَ الْأَعْدَاءَ قَدَمًا، وَوَرَّثَ مَنِ التَّلَادِ الْأَقَاصِيَّ الْبُعْدَاءَ
زَوَّجْنَا بَنَاتَنَا قَدَمًا (قديمًا) لغرباء وجاء أبناءُهم أعداءُ لنا، وهن يورثن نصيبهن من التلاد (الميراث)
للأزواج الأَقَاصِي (الغرباء)

لَمْ يَزِدْ كُثْرَهُنَّ (فَقِيسُ تَمِيمٍ) عَيْلَةً، بَلْ حَمِيَّةٌ وَإِبَاءٌ
ولم يَقم قيس بن عاصم (رئيس قبيلة تميم) بؤاد كثرهن
(معظمهن: قِيلَ وَأَذْ ثَمَانِي بَنَاتٍ، وَقِيلَ اثْنَتِي عَشْرَةَ بَنَاتًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ) عَيْلَةً (فقراء)،
بل حَمِيَّةٌ (حفاظًا على الشرف) وإِبَاءٌ (رفضًا للذل)

وَشُعَيْبٌ مِّنْ أَجْلِهِنَّ رَأَى الْوَحْــ لَدَّةً ضَعْفًا، فَاسْتَأْجَرَ الْأَنْبِيَاءَ
والنبي شعيب كان عنده بنتان، ولا ذكور، ولكنه مع ذلك شعر بالوحدة والضعف،
فاستأجر النبي موسى

وَاسْتَزَلَّ الشَّيْطَانُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ - لَمَّا أَغْرَى بِهِ حَوَاءَ
استزَلَّ الشيطان آدم: أوقعه في الزلل (الخطأ)

وَلَعَمْرِي، مَا الْعَجْزُ عِنْدِي إِلَّا أَنْ تَبَيَّتَ الرِّجَالُ تَبْكِي النِّسَاءَ
عجزٌ من الرجل أن يبكي امرأة ماتت

٣٧ احتجاج للشيب

قال يمدح الشيب:

بَكَرَتْ تُعَبِّرُنِي (نَوَارٌ) سَفَاهَةً وَضَحَ الْمَفَارِقِ، وَابْيَضَّ الْمُسْحَلِ
بكرت (جاءت) نوار تعبرني، لسفاهتها، وضح المفاقر (بياض مفرق الرأس)
وبياض المسحل (السالف)

وَيُكْمُ! بَيَاضُ الصُّبْحِ أَحْسَنُ مَنَظَرًا، فِي الْعَيْنِ، مِنْ ظُلُمَاءِ لَيْلٍ أَلْيَلِ
ويكم! (ويحكم) البياض في العين (إذ تراه العين) أجمل من السواد

وَالصَّارِمُ الْمَصْفُولُ أَحْسَنُ حَالَةً، يَوْمَ الْوَعَى، مِنْ صَارِمٍ لَمْ يُصْقَلِ
الصارم (السيف) المصقول اللامع، يكون أفضل في الوعى (الحرب) من سيف صدئ

وَالشَّمْسُ، لَوْلَا ضَوْؤُهَا، مَا اسْتُحْسِنَتْ وَالْبَدْرُ، لَوْلَا نُورُهُ، لَمْ يَجْمَلِ
وكذا الشمس والقمر جمالهما في ضوتهما

٣٨ قاهر الروم

بمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الصامتي:

نَكْرَهُ الْعَاجِزَ الضَّعِيفَ إِذَا جَا ۚ وَكُنْتَ الْقَوِيَّ، فِينَا، الْأَمِينَا
ثَبَّتَ اللَّهُ وَظَاةَ لَكَ، أَمَسَتْ جَبَلًا رَاسِيًا عَلَى الْمُشْرِكِينَا
رُبَّمَا وَقَعَةٍ شَمَلَتْ بِهَا الرُّومَ، فَبَاتُوا أَذْلَةً خَاضِعِينَا
ربما (رَبَّ)

قَدْ أَمِنَّا أَنْ يَأْمُنُوكَ، عَلَى حَا لٍ، وَلَوْ صَبَّرُوا النُّجُومَ حُصُونَا
قد أمتنا (تأكدنا) أنهم لن يأمنوك (لن يكونوا في أمان منك) مهما كان، حتى لو جعلوا النجوم
حصوناً لهم

فَرَزَعُوا بِاسْمِكَ الصَّبِيِّ، فَعَادَتْ حَرَكَاتُ الْبُكَاءِ مِنْهُ سُكُونَا
يخوفون باسمك الصبي عندهم، فإذا بكى الولد ذكروا له اسمك، كما تذكر اليوم للولد الغول،
فيكف عن البكاء خوفاً

وَتَوَافَتْ خَبْلَاكَ مِنْ أَرْضِ (طَرُسُو سَنَ) وَ(قَالِي قَلَا)، (بَارَدَنْدُونَا)
جاءت طائفتان من خيلك من طرسوس وقالي قلا لتحل في أردندون

عَابِسَاتٍ يَحْمِلْنَ يَوْمًا عَبُوسًا ۚ لِأَنَاسٍ عَنْ خَطْبِهِ غَافِلِينَ
الخيال عابسة لشدة تعبها، وهي تحمل نذيراً عابساً للأعداء الغافلين عما سيحل بهم

مَا أَطَاقُوا دَفْنَ الَّذِي أَظْهَرُوهُ؛ كَبُرَ الْحَقْدُ أَنْ يَكُونَ دَفِينَا
لم يستطع الأعداء إخفاء حقدهم لأنه كبير

بَعْضَ بَعْضَائِكُمْ! فَلَيْسَ مُفِيقًا، أَوْ يَرُدُّ الْأَدْيَانَ، بِالسَّيْفِ، دِينَا
بعض بغضائكم (خففوا من كرهكم)! فلن يُفِيقَ (يكف) أبو سعيد إلا عندما يرد (يحول) الأديان
بالسيف ديناً واحداً، بأن يدخل الجميع في الإسلام

وَلَعَمْرِي! مَا مَاءٌ زَمَزَمَ أَحَلَّى عِنْدَهُ مِنْ دَمٍ ۚ بِزَارْمِينَا
الدم المراق في تلك المعركة في زارمين أطيب عنده من ماء زمزم

يَجْعَلُ الْبَيْضَ، حِينَ يَأْسِرُ، أَغْلَا لَا لِأَسْرَاهُ، وَالْمَنَايَا سُجُونَا
يجعل أبو سعيد البيض (السيف) بمثابة أغلال (قيود) للأسرى - أي يقتلهم -،
ويجعل الموت لهم سجنًا

٣٩ الجود عند المقدرة

يمدح الحسن بن وهب:

يَا صَيَقِلَ الشَّعْرِ، الْمُقْلَدُ بِالذِّي يُخْتَارُ مِنْ قَلْعِيَّهِ وَيَمَانِهِ

يا صيقل (صانع السيوف) الشعر المقلد (المتخذ قلادة: عقداً) بأجود الشعر المختار. والقلمي واليماني نوعان من السيوف. يقول: أنت شاعر وعارف بالشعر الجيد وتتقلد القصائد المختارة الجميلة التي يمدحك بها المادحون كما يتقلد صانع السيوف أفضل الأنواع

إِسْمَعُهُ مِنْ قَوْلِهِ تَزْدَدُ بِهِ عُجْبًا، وَطِيبُ الْوَرْدِ فِي أَغْصَانِهِ

اسمع الشعر من قائله (صاحبه) يزداد إعجابك به، لأنه طازج. والورد على غصنه أطيب منه مقطوفاً

أَحْسَنْتُ فِيهِ مُبَرَّرًا، فَجَفَوْتَنِي وَتَبَّرَ أَقْوَامًا عَلَى اسْتِحْسَانِهِ

أنا أحسنت في الشعر وبررت (تفوقت) فجفوتني (أبعدتني) وفي الوقت نفسه تكافئ الناس على استحسانك الشعر

وَالْأَرْضُ تَبْدُلُ فِي الرَّبِيعِ نَبَاتَهَا، وَكَذَلِكَ بَدُلَ الْحُرُّ فِي سُلْطَانِهِ

الأرض تكون معطاء في الربيع، وكذلك الرجل الحر يكون معطاء في زمن سلطانه

وَأَعْلَمَ بِأَنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ، مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِيَّانِهِ

والغيث (المطر) لا ينفع الناس إلا إذا جاء في إيانه (وقته)

٤٠ لست من أكفائه

يهجو أحدهم في معرض مدحه يوسف بن محمد الثغري:

وَمُؤَمَّرٍ صَارَ غُثُّهُ عَنْ عُرْفِهِ فَوَجَدْتُ (قُدْسَ) مُعَمَّمًا بِعَمَائِهِ

رب مؤمر (صاحب إمارة) صار عته عن عرفه (جاهدت للحصول على مال منه)، فوجدته جامداً كجبل قدس المعمم عند قمته بعمائه (بغيومه)

جِدَّةٌ يَذُودُ الْبُخْلُ عَنْ أَطْرَافِهَا، كَالْبَحْرِ يَذْفَعُ مِلْحَهُ عَنْ مَائِهِ

لديه جدلة (غنى) يذود البخل عن أطرافها (يحميها البخل)،

مثل ماء البحر الذي يحميه ملحه من أن نشربه

خَطَبَ الْمَدِيحَ، فَقُلْتُ: حَلَّ طَرِيقَهُ لِيَجُوزَ عَنْكَ؛ فَلَسْتُ مِنْ أَكْفَائِهِ

طلب هذا البخيل مديحي كمن يخطب عروساً، فقلت له: اترك طريق المدح، فلست كفتاً له (والرجل يخطب المرأة إذا كان لها كفتاً من حيث المال والنسب والدين)

٤١ رقيب اللقم

يهجو بعض بني حميد:

جَزَلُ الرِّقَاعَةِ، قَدَمٌ، يَدَّعِي أَدْباً وَلَيْسَ يَفْرُقُ بَيْنَ الثَّيْنِ وَالطَّيْنِ
جزل الرقاعة (كثير الحمافة) قدم (غبي) يدعي الذوق الأدبي، لكنه لا يفرق بين الثين والطين

جَهْمٌ عُبُوسٌ، عَلَى ظَهْرِ الْخَوَانِ لَهُ تَفْرِيقٌ لِحَظٍ كَأَطْرَافِ السَّكَاكِينِ
جهم (عبوس)، يكون له على المائدة إذ يدعو الناس تفريق لحظ (توزيع نظرات) كأنها أطراف السكاكين. رجل بخيل يرشق ضيوفه بنظرات حادة وهم يأكلون

٤٢ الغزو بجيش القوافي

يعاتب إبراهيم بن الحسن بن سهل على عريضة كانت منه عليه:

أَمَّا اسْتَحْيَيْتَ مِنْ مَدَحِ سَوَارٍ بِوَصْفِكَ فِي التَّهَائِمِ وَالنُّجُودِ؟
ألم تستحي من مدح (قصائد مدح) سوار (ساريات مسافرات) تسافر - حاملة وصفك - في التهائم (المرتفعات) والنجود (الأغوار)؟

تَوَدُّ بِأَنَّهَا لَكَ فِيَّ عُجْباً بِجَوْهَرِهَا الْمُفْصَّلِ فِي النَّشِيدِ
أنت تود لو أنك أنت قلت هذه القصائد في مدحي أنا، فأنت تضحى بمدح ذاتك لإعجابك بهذه الدرر التي يُبرز روعتها الإنشاد. [هذا المعنى الذي لمحت]

بَنَتْ لَكَ مَعْقِلاً فِي الشَّعْرِ ثَبْتاً، وَأَبَقَتْ مِنْكَ ذِكْراً فِي الْقَصِيدِ
على أن قصائدي بنت لك حصناً ثابتاً في دنيا الشعر، وتركت لك ذكراً منقوشاً بالشعر

وَتَبَدَّهْنِي إِذَا مَا الْكَأْسُ دَارَتْ بِنَزَقَاتٍ تَجِيءُ عَلَى الْبَرِيدِ
وتبددني (تفاجئني) إذا دارت الكأس بنزقات (عريجات) يشيع ذكرها ويذهب بها البريد إلى كل مكان. [هذا المعنى الذي لمحت]

وَمَا لِي قُوَّةٌ تَنْهَاكَ عَنِّي وَلَا آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدِ
وليس لي قوة تنهاك (تكفك) عني، ولا ظهر لي يسندني من أذاك

سَوَى شَعْلٍ يَخَافُ الْحُرَّ مِنْهَا لَهِيْباً غَيْرَ مَرْجُوِّ الْخُمُودِ
اللهم إلا شعلاً نارياً (أبيات هجاء) يخاف منها الحر الحريص على سمعته لهيباً لا يرجى له انطفاء

وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ - وَأَنْتَ تُرَبِّي عَلَيَّ - لَثُرْتُ ثَوْرَةَ مُسْتَقِيدِ
ولو شئت - رغم أنك تربني (تزيد) عني في البأس - لثرت ثورة مستفيد (طالب للقصاص)

ظَلَمْتُ أَخَا لَوْ التَّمَسَّ انْتِصَارًا عَزَاكَ مِنَ الْقَوَافِي فِي جُنُودٍ
ظلمت أخاً (صاحباً) لو التمس (طلب) انتصاراً (انتقاماً) لغزاك بجنود هي عبارة عن أبيات الهجاء

٤٣ العراق أنت

مودعاً أبا نهشل:

لَا أَطِيقُ السُّلُوَ عَنْكَ، وَلَوْ أَنَّ - فُؤَادِي مِنْ صَخْرَةٍ مَرْمَرِيْسٍ
السلو (النسيان)، مرمريس (ضخمة)

لَيْسَ حُزْنِي عَلَى الْعِرَاقِ، وَمَا يُدْ - بِسُهَا الدَّهْرُ مِنْ نَعِيمٍ وَبُوسٍ
بوس (بؤس)

مَا تُرَابُ الْعِرَاقِ بِالْعَنْبَرِ الْوَرْ دِ، وَلَا مَاءٌ دِجْلَةٍ بِمَسُوسٍ
فتراب العراق ليس من العنبر الورد (الوردي اللون)، ولا ماء دجلة المسوس (الترياق الشافي)
غَيْرَ أَنِّي مُخَلَّفٌ، مِنْكَ، فِي آ خِرٍ بَعْدَادَ، فَضْلَ عِلْقٍ نَفِيسٍ
لكنني خلفت (تركت ورائي) في بغداد منك (أي مثلاً بك) فضل علق نفيس (بقية جوهر ثمين)،
أَيَّ أَنْكَ جَوْهَرَةٌ غَالِيَةٌ عَلَى قَلْبِي

٤٤ نفوسنا تتبعك

قال في وداع سليمان بن وهب:

وَذِي رَاحَةٍ مِثْلِ صَوْبِ الْغَمَا مِ، لَيْسَ لَهُ فِي الْعِلَا مُؤْنِسُ
رُبُّ صَاحِبِ رَاحَةٍ (كفّ) تشبه صوب الغمام (مطر الغيم)، يجلس في العلا (المجد) وحيداً ليس
معه أحد يؤنسّه، لأنّه لا يوجد من هو في علوّه

تَحَمَّلْ نَحْوَ بِلَادِ الشَّآ مِ، يَحْمِلُهُ مَهْمَةٌ أَمْلَسُ
تحمل (زم متاعه للرحيل) نحو الشام، وحمله مهمه أملس (صحراء جرداء)

إِذَا مَجَّهْ بِلْدٌ بِسَبَسُ تَلَقَّمَهُ بِلْدٌ بِسَبَسُ
في ترحاله كان يمجه (يقذفه) بلد بسبس (مقفر) ليتلقفه بلد بسبس آخر

أَقُولُ لَهُ عِنْدَ تَوْدِيعِنَا وَكُلُّ بِحَاجَتِهِ مُبْلِسُ:

أقول له عند الوداع، وبينما كل شخص مبلس (قلق ومشغول) بحاجته (بشأنه)، فهو رجل راحل
وهومومه أمامه، وأنا مقيم ولي شغل يشغلني مختلف عن شغله هو، أقول له..

لَئِنْ قَعَدْتَ عَنْكَ أَجْسَامُنَا لَقَدْ سَافَرْتَ مَعَكَ الْأَنْفُسُ

.. لئن بقينا بأجسامنا، فإن أنفسنا (أرواحنا) تسير معك

هذا شأن من يودع عزيزاً، فهو يتابعه بقلبه؛ فأما من يودّع غير عزيز فهو يترقب انتهاء لحظة الوداع ليعود إلى شأنه ويسقط من حسابه - ولو إلى حين - الشخص المرتحل

٤٥ رابعها لا ثالثهما

بمدح محمد بن عبد الملك الزيات:

يَا نَدِيمِي بِالسَّوَاجِيرِ مِنْ وَدٍّ - ابْنِ مَعْنٍ وَبُخْتَرِ بْنِ عُثُودٍ

يا صاحبي في منطقة السواجير (قرب نهر الساجور عند منبج بشمال سوريا)

أُظْلِمَا ثَالِثاً سِوَايَ، فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَالْدُّجَى وَالْيَمِيدِ

اتركاني وابحثا عن ثالث لكما، فأنا رابع العيس (الجمال) والدجى (الليل) والييد (الصحارى).

يقول إنه رجلٌ سَفَرٍ ومغامرة

٤٦ القنفذ

بمدح يوسف بن محمد بن يوسف:

وَمُخْتَرِسٍ، مِنْ أَيْنَ رُمْتَ اغْتِرَارَهُ وَجَدْتَ لَهُ سَهْمًا إِلَيْكَ مُفَوَّقًا

هذا رجل محترس؛ من أي جهة رمت (أردت) اغتراره (خداعه) رأيته قد سدّد إليك سهماً مفوقاً (مفلوج الذيل كي يثبت فيه الوتر، أي جاهزاً للإطلاق)

٤٧ مع السلطان.. ضد الخارجي

بمدح أبا سعيد محمد الثغري، ويذكر قتاله محمد بن عمرو الشاري الخارجي:

أَفَاقَ صَبٍّ مِنْ هَوًى، فَأُفَيْقًا؟ أَمْ خَانَ عَهْدًا، أَمْ أَطَاعَ شَفِيقًا؟

أفاق (كفّ)، صب (عاشق)، الشفيق (المشفق عليه)

إِنَّ السُّلُوَ، كَمَا تَقُولُ، لَرَّاحَةٌ لَوْ رَاحَ قَلْبِي لِلْسُّلُوِّ مُطِيقًا

مثلما تقول أيها المشفق فإن السلو (النسيان) راحة، هذا لو أطاق (احتمل) قلبي السلو

عَدَّتِ الْجَزِيرَةُ فِي جَنَابِ مُحَمَّدٍ رِيًّا الْجَنَابِ، مَغَارِبًا وَشُرُوقًا

الجزيرة (منطقة في شمال شرق سوريا) رياء الجناب (مرتوية الأنحاء)

رَفَعَ الْأَمِيرُ أَبُو سَعِيدٍ ذِكْرَهَا وَأَقَامَ فِيهَا لِلْمَكَارِمِ سُوقًا

يَسْتَمْطِرُونَ يَدَا يَفِيضُ نَوَالُهَا فَيَغْرِقُ الْمَحْرُومَ وَالْمَرْزُوقَا
الناس يستمطرون (يطلبون المطر والخير) من يده التي يفيض نوالها (عطاؤها) فيعم المحروم والمرزوق

كُنَّا نَكْفُرُ مِنْ أُمِّيَّةٍ غَضَبَةٌ طَلَبُوا الْخِلَافَةَ، فَجَرَّةٌ وَفُسُوقَا
كنا نكفر جماعة من بني أمية سعوا لأخذ الخلافة فجرة (كذباً) وفسوقاً

وَنَلُومُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ كُلِّيهِمَا وَنُعَنْفُ الصَّدِيقَ وَالْفَارُوقَا
ونلوم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، ونوبخ أبا بكر الصديق وعمر الفاروق، وكل هؤلاء
يعدمهم الشيعة مخطئين في مسألة حق آل البيت في الخلافة

وَهُمْ قُرَيْشُ الْأَبْطَحِينَ إِذَا انْتَمَوْا طَابُوا أَصُولاً فِيهِمْ وَعُرُوقَا
نلومهم مع أنهم من قريش الأبطحين (قريش ساكنة البطاح، ونسبها أعلى من بطون قريش الأخرى)

وَنَقُولُ تَيْمٌ قَرَبْتُ وَعَدِيْهَا أَمراً بعيداً، حيثُ كَانَ، سَحِيقَا
وكنا نقول إن تيماً (فرع أبي بكر الصديق) وعدياً (فرع عمر بن الخطاب) قربا الخلافة مع أنها بعيدة
بعداً سحيقاً عن استحقاقهم

حَتَّى عَدَتْ جُشْمُ بْنُ بَكْرٍ تَبْتَغِي إِرْتَ النَّبِيَّ، وَتَدَّعِيهِ حُقُوقَا
والآن تريد قبيلة جشم بن بكر (قبيلة محمد الشاري الطامع في الخلافة) إرث النبي وتراه حقها، فيا
للمسخرة!

جَاءُوا بِرَاعِيهِمْ لِيَتَّخِذُوا بِهِ عَمْدًا، إِلَى قَطْعِ الطَّرِيقِ، طَرِيقَا
جاءوا برجل منهم هو راعي إبل أو غنم وجعلوا مطالبته بالخلافة طريقة لقطع الطريق والنهب

وَأَقَامَ يَنْفُذُ فِي الْجَزِيرَةِ حُكْمَهُ وَيَظُنُّ وَعَدَ الْكَاذِبِينَ صَدُوقَا
وأقام بالجزيرة متسلطاً، وهو يظن وعد حلفائه بمساندته صدقاً

حَتَّى إِذَا مَا الْحَيَّةُ الذَّكْرُ انْكَفَا مِنْ «أَرْزَنِ» حَنِقًا، يَمُجُّ حَرِيقَا
حتى إذا ما انكفا (رجع) الحية الذكر (الرجل القوي المذبر) من منطقة أرزن وهو حق (غاضب)
يمج (ينفث) النار..

عَدَرْتُ أَمَانِيَّ بِهِ، وَتَمَزَّقْتُ عَنْهُ غَيَابَةً سُكْرِهِ تَمْزِيقَا
.. عندئذ غدرت أمانى المشق به، وتمزقت غيابة سكرة (يقصد غيابه عن وعيه سكرًا) والغيابة في
المعجم القعر

طَلَعْتُ جِيَادُكَ مِنْ رَبَا الْجُودِيِّ، قَدْ حُمِّلَنْ مِنْ دُفْعِ الْمُنُونِ وَسُوقَا
طلعت جياذك (خيولك) من ربا جبل الجودي (جبل يقع جنوب شرق تركيا الحديثة)، وهي محملة
وسوقاً (أحمالاً) من دفع المنون (زخات الموت)

يَظْلُبْنَ ثَأَرَ اللَّهِ عِنْدَ عِصَابَةٍ خَلَعُوا الْإِمَامَ، وَخَالَفُوا التَّوْفِيقَا
الإمام (ال خليفة)

٤٨ ترفع عن الشتم

يمدح أبا نهشل محمد بن حميد الطوسي وبعاتبه:

لَا لِحُمَيْدٍ مَذْهَبٌ فَيَّ، لَمْ أَكُنْ لَأَذْهَبَهُ فِيهِمْ، وَلَوْ جَدَعُوا أَنْفِي
لَا لِحُمَيْدٍ طَرِيقَةٌ فِي مَعَامِلَتِي مَا كَانَ يُمْكِنُ أَنْ أَتَبِعَهَا مَعَهُمْ وَلَوْ جَدَعُوا أَنْفِي

وَلَمْ أَزِمِ إِلَّا كَانَ عَرِضُ عَدُوِّهِمْ مِنَ النَّاسِ قُدَّامِي، وَأَعْرَاضُهُمْ خَلْفِي
لَمْ أَكُنْ أَرْمِي بِسَهَامِي (بشعري وهجائي) إِلَّا وَأَعْرَاضُ أَعْدَائِهِمْ أَمَامِي أَرْمِيهَا، وَأَمَّا أَعْرَاضُهُمْ هُمْ
فَبِي خَلْفِي أَحْمِيهَا

جَعَلْتُ لِسَانِي دُونَهُمْ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَهَابُوا بِسَيْفِي كَانَ أَسْرَعَ مِنْ طَرْفِي
جَعَلْتُ لِسَانِي دُونَهُمْ (حامياً لهم)، وَلَوْ أَهَابُوا (طلبوا) أَنْ أَنْصَرَهُمْ بِالسَّيْفِ لَكَانَ سَيْفِي أَسْرَعَ مِنْ
طَرْفِي (نظري). أَي أَنِّي كُنْتُ نَصَرْتَهُمْ بِأَسْرَعَ مِنْ رَمْسَةِ الْعَيْنِ

رَجَعْتُ إِلَى حِلْمِي، وَلَوْ شِئْتُ شُرِدْتُ نَوَافِدُ تَمْضِي فِي الدَّلَاصِيَةِ الرَّغِيفِ
وَبَعْدَ أَنْ دَافَعْتُ بِالْهَجَاءِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ رَجَعْتُ إِلَى حِلْمِي (مسامحتي)، وَلَوْ شِئْتُ لَشُرِدْتُ
(لَا طَلَقْتُ) سَهَامِ نَوَافِدِ (نافذة) تَمْضِي (تدخل) فِي الدَّلَاصِيَةِ الرَّغِيفِ (الدرع الواسعة). يَقْصِدُ لَوْ
شِئْتُ لَأَسْرَفْتُ فِي الشَّتْمِ، وَلَكِنْ..

أَبَى لِي الْعَبِيدُونَ الثَّلَاثَةُ أَنْ أَرَى رَسِيلَ لَيْثِيمٍ فِي الْمُبَادَاةِ وَالْقَذْفِ
.. أَبَى لِي الْعَبِيدُونَ الثَّلَاثَةُ (أسلافه ومنهم أبوه عبيد) أَنْ يَرَانِي النَّاسَ رَسِيلَ (شريك) لَيْثِيمٍ فِي
الْمُبَادَاةِ (تبادل البذاءات) وَالْقَذْفِ (الشتم)

وَأَجْبُنُ عَنْ تَعْرِضِ عِرْضِي لِجَاهِلٍ وَإِنْ كُنْتُ فِي الْإِقْدَامِ أَطْعَمُ فِي الصَّفِّ
أَنَا جَبَانٌ عَنْ تَعْرِضِ عِرْضِي لِجَاهِلٍ (سفيه)، وَإِنْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ أَطْعَمُ صَفَّ الْأَعْدَاءِ

وَلَمَّا تَبَايَذْنَا فَرَزْتُ مِنَ الْخَنَا بِأَشْيَاحِ صِدْقٍ، لَمْ يَقْرُوا مِنَ الرَّحْفِ
لَمَّا تَبَايَذْنَا (تبادلنا الشتم البذيء) هَرَبْتُ مِنَ الْخَنَا (الفحش) مَقْدَماً مِنَ الْعَارِ ذَكَرَى أَشْيَاحِ صِدْقٍ
(أسلاف ذوي مكانة)، كَانُوا شَجْعَاناً لَا يَفْرُونَ مِنَ الرَّحْفِ

وَلِئَلِّي لَيْثِيمٌ إِنْ تَرَكْتُ لِأُسْرَتِي أَوَابِدَ تَبَقَى فِي الْقَرَاطِيسِ وَالصُّحُفِ
سَأَكُونُ لَيْثِماً لَوْ تَرَكْتُ لِأَحْفَادِي أَوَابِدَ (قصائد خالدة) يَقُولُهَا الْأَعْدَاءُ فِي هَجَاتِنَا وَتَبَقَى فِي
الْقَرَاطِيسِ وَالصُّحُفِ (الأوراق)

وَأَنسِي لِأَسْتَبْقِي وَإِدَاكَ لَلَّتِي تُلِمُّ، وَأَرْضِي مِنْكَ دُونَ الَّذِي يَكْفِي
يا أبا نهشل: إني أبقي على الود معك لوقت الملمات، وأما بالنسبة للعطايا والمكافآت المالية
فأنا أرضى منك بأقل مما يكفي حاجتي

وَأَسْأَلُكَ النِّصْفَ اخْتِجَازًا؛ وَرَبِّمَا أَبَيْتُ، فَلَمْ أَسْمَحْ لِغَيْرِكَ بِالنِّصْفِ
أسألك النصف (أن تنصفني فلا تزيد عن الحد الأدنى) اختجأً (فضاً للخلاف)، ومن غيرك لا
أقبل بالحد الأدنى

فَلَا تَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ رِقًّا، فَإِنَّا خُلِقْنَا نُجُومًا لَيْسَ يُمْلِكُنَّ بِالْعُرْفِ
فلا تجعل معروفك عبودية لي، فنحن نجوم لا يملكننا المال

٤٩ تقويم الأضلاع

بمدح يوسف بن محمد بن يوسف:

مَا أَحْسَنَ الْأَيَّامَ! إِلَّا أَنَّهَا يَا صَاحِبِي! إِذَا مَضَتْ لَمْ تَرْجِعِ
كَانُوا جَمِيعًا، ثُمَّ مَرَّقَ شَمْلَهُمْ بَيْنَ، كَتَقْوِيضِ الْجَهَامِ الْمُفْلِحِ
بين (فراق)، كتقويض (كتشتيت) الجهام (السحاب غير الماطر) المفلح (المتبدد)

وَوَرَاءَهُمْ ضُعْدَاءُ أَنْفَاسٍ، إِذَا ذُكِرَ الْفِرَاقُ أَقْمَنَ عُوجَ الْأَضْلُعِ
وبعد ذهابهم كنت أزفر الأنفاس الحرى التي تكاد لشدها تقوم أضلاع صدري المعوجة. أخذ
المعنى إيليا أبو ماضي في قوله: (لقد توشك الحُمى، إذا جَدَّ جِدُّهَا/ تَقُومُ مِنْ أَضْلَاعِي الْمُتَأَوِّدَا)

مَدَّتْ وَلايَةُ يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ سُورًا عَلَى ذَاكَ الْقَضَاءِ الْبَلَقِ
ولاية هذا الرجل كانت بمثابة سور أحاط بالقضاء البلقع (الأرض الواسعة الفارغة) فحمى البلاد
من الأعداء

وَأَعْنَتْهُ الْإِسْلَامُ فِي يَدِ حَازِمٍ قَدْ قَادَهَا زَمَنًا، وَلَمْ يَتَرَعَّرِعِ
أعنة (مقاود، حبال تقاد بها الإبل الخ)

وَلَتَهْنِكَ الْآنَ الْوِلَايَةُ، إِنَّهَا طَلَبَتْكَ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ الْمَنْزَعِ
هنيئاً لك الولاية، فهي التي طلبتك وكنت في بلد بعيد المنزع (المرمى، الموقع)

لَمْ تُعْطِهَا أَمَلًا، وَلَمْ تَشْغَلْ بِهَا فِكْرًا، وَلَمْ تَسْأَلْ لَهَا عَنْ مَوْضِعِ
لم تكن الولاية ضمن أمنيائك، ولم تكن تفكر فيها

وَرَأَيْتَ نَفْسَكَ فَوْقَهَا، وَهِيَ الَّتِي فَوْقَ الْعَلِيِّ مِنَ الرُّجَالِ الْأَرْفَعِ

وَصَلَّتْكَ حِينَ هَجَرْتَهَا، وَتَزَيَّنْتَ بِأَعْرَ وَافِي السَّاعِدَيْنِ سَمِيدِعِ
أنت هجرت المنصب وهو جاءك. وتزين المنصب بك وأنت رجل أغر (بارز) وافي الساعدين
(قوي) سميدع (شريف)

٥٠ نحن محاويج للمباهيج

أَمَّا فُؤَادِي! فَعِنْدَ اللَّهِ حِسْبَتُهُ فَقَدْ تَقَسَّمَهُ الْغُرُّ الْمَبَاهِجُ
عند الله حسبة قلبي (ثوابه عن معاناته/ وفي الدين أن الذي يعاني يؤجر حتى لو لم يصنع خيراً)
فقد اقسام قلبي الغر (اليض) المبايج (الحسان)

الْعَانِيَاتُ اللَّوَاتِي قَدْ رَزَقْنَ غَنًى عَنَّا، وَنَحْنُ إِلَيِهِنَّ الْمَحَاوِجُ
هؤلاء الحسان رزقهن الله غنى عنا (هكذا يظن أبو عبادة)، وأما نحن فنحتاج إليهن

٥١ الشيب الأسود

يمدح أبا أيوب:

وَفُتُوَّةٌ جَمَعَ الثَّقَى أَطْرَافَهَا وَنَدَى أَحَاطَ بِجَانِبَيْهِ السُّؤْدُ
هذه فتوة (شباب مع شهامة) ولكنها محاطة من أطرافها بالثقوى، وندى (كرم) وهو محاط من
جانبه بالسؤدد (السيادة)

وَشَبِيبَةٌ فِيهَا النُّهَى، فَإِذَا بَدَتْ لِذَوِي التَّوَسُّمِ، فَهِيَ شَيْبٌ أَسْوَدٌ
وشبيبة (شباب) فيها النهى (العقل)، فإذا رأها ذوو التوسم (أهل الفراسة) عرفوا أنها شبيبة عاقلة،
فكان أصحابها شابوا ولكن.. شيئاً أسود. أرايت كيف يلوي البحرني اللغة ليّاً حتى يختصر
المعنى ويجعله يرقص داخل عبارة ترقص

٥٢ وما عليّ إذا لم تفهم البقر

يمدح علي بن مرّ الطائي:

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ، لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ، وَوَاعِظٌ مِنْهُ، لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرٌ
يخاطب نفسه كأنه يخاطب شخصاً غائباً: في الشيب زجر (ردع) له لو كان يرتدع، وفي الشيب
واعظ ذاتي له، ولكن هذا الرجل حجر لا يتعظ

إِبْيَضٌ مَا أَسْوَدَ مِنْ فُؤَادِيهِ، وَارْتَجَعَتْ جَلِيَّةُ الصُّبْحِ مَا قَدْ أَغْفَلَ السَّحَرُ
ابيض ما كان مسوداً من فؤديه (سالفه)، واسترجعت جليلة الصبح (انجلاء الصباح) ما كان أغفله
السحر (قبيل الفجر). يقول إن بقايا شعرات سود كانت ما زالت باقية على سوادها، ثم طلع عليها
فجر المشيب فيبيضها

وَلِلْفَتَى مُهْلَةٌ فِي الْحُبِّ وَاسِعَةٌ مَا لَمْ يَمُتْ فِي نَوَاحِي رَأْسِهِ الشَّعَرُ

للفتى مهلة طويلة لكي يعيش، ولكن قبل أن يموت الشعر (يبيض) في جوانب رأسه

قَالَتْ: مَشِيبٌ وَعَشَقٌ رُحْتَ بَيْنَهُمَا، وَذَاكَ فِي ذَاكَ ذَنْبٌ لَيْسَ يُغْتَفَرُ!

قالت له العاشقة: أنت معلق بين مشيب وعشق، والعشق مع وجود الشيب ذنب لا يغفر

عَزَى عَنِ الْحِظِّ أَنَّ الْعَجْزَ يُدْرِكُهُ، وَهَوْنُ الْعُسْرِ عِلْمِي فِيمَنْ الْيُسْرُ

عزاني عن قلة حظي أن المحظوظ سيؤول يوماً إلى عجز عندما يسن، وهون علي العسر (الفقر) علمي في أي الناس يحل الغنى. فالأغنياء هم السفلة، لذلك لست أسفاً على فوات الغنى

لَمْ يَبْقَ مِنْ جُلِّ هَذَا النَّاسِ بَاقِيَةٌ يَنَالُهَا الْوَهْمُ إِلَّا هَذِهِ الصُّورُ

لم يبق من معظم هؤلاء الناس بقية ينالها الوهم (يتصورها العقل) إلا هذه الصور الزائفة

بُخْلٌ وَجَهْلٌ، وَحَسْبُ الْمَرْءِ وَاحِدَةٌ مِنْ تَيْنٍ حَتَّى يُعْقَى خَلْفُهُ الْأَثَرُ

فيهم بخل وجهل، وتكفي المرء واحدة من تين (هاتين) حتى يعقى (يزال) خلفه أثر أقدامه لئلا يكرّ عائداً

إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِي أَدُلُّ بِهَا كَانَتْ ذُنُوبِي، فَقُلْ لِي: كَيْفَ أَعْتَذِرُ؟

إذا كانت محاسني اللاتي أدل بها (أفخر بها) معدودة في الذنوب،

فكيف أعتذر (كيف أجد تسويغاً لمطالبي)

أَهْزُ بِالشَّعْرِ أَقْوَاماً ذَوِي وَسَنِ فِي الْجَهْلِ، لَوْ ضَرَبُوا بِالسَّيْفِ مَا شَعَرُوا

أهز بشعري (أبعث النخوة) أناساً ذوي وسن (نعاس) نائمين في جهلهم، لو ضربوا بالسيف لما شعروا

شعروا لتحجر مشاعرهم

عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي مِنْ مَقَاطِعِهَا وَمَا عَلَيَّ إِذَا لَمْ تَفْهَمْ الْبَقَرُ

عليّ نحت القوافي من أماكن قطعها في الصخر، ولا ذنب علي إن لم تفهم البقر شعري أخذنا رواية «الموازنة» لهذا البيت لأنها أحلى

٥٣ بغال البشر

يخاطب سعيد بن معاوية:

أَشْرَقُ أَمْ أَغْرُبُ يَا سَعِيدُ وَأَنْقُصُ مِنْ زَمَاعِي، أَمْ أَزِيدُ؟

زماعي.: عزمي

تَقَادُفُ بِي بِلَادٌ عَنْ بِلَادٍ كَأَنِّي بَيْنَهَا جَمَلٌ شَرُودٌ

البلاد تتقاذفني كما يتجول الجمل الشroud (الفار) بين الخيام، وكل قوم يضربونه لئيتعد عنهم درءاً

لشبهة السرقعة

وَحَلَفْنِي الزَّمَانُ عَلَى أَنَا فِي جُوهُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ حَدِيدُ

تركني الزمان لكي أرى ناساً وجوههم كثرة وأيديهم جامدة بخلاً

لَهُمْ حُلٌّ حَسَنٌ، فَهَنْ بِيضٌ وَأَفْعَالٌ سَمُجَنٌ، فَهَنْ سُودٌ

لهم حل (ثياب) حسن (جَمَلَن) فهن بيض، ولهم أفعال سمجة (قبيحة) فكانها سوداء

وَأَخْلَاقُ الْبَغَالِ؛ فَكُلَّ يَوْمٍ يَعْنُ لِبَعْضِهِمْ خُلُقٌ جَدِيدٌ

ولهم أخلاق البغال. ونقل لنا الجاحظ: «البغل كثير التلون.. وهو مع هذا قتال لصاحبه»، وصنع في كتابه المعروف قائمة بمن قتلهم بغالهم

وَأَكْثَرُ مَا لِسَائِلِهِمْ لَدَيْهِمْ إِذَا مَا جَاءَ قَوْلُهُمْ: تَعُودُ

أكثر شيء لديهم يعطونه لسائلهم (المستعطي منهم) قولهم: تعود (فوت علينا بكرة)

أَنَاسٌ لَوْ تَأَمَّلَهُمْ لَبِيدٌ بَكَى الْخَلْفَ الَّذِي يَشْكُو لَبِيدٌ

أناس لو تأملهم الشاعر لبكى وترحم على الخلف (الجيل الجديد الطالح) في زمنه الذين هجأهم لسوتهم إشارة إلى بيت لبيد بن ربيعة، وقد أسن كثيراً: (ذهب الذين يعاش في أكتافهم/ ويقت في خلف كجلد الأجر)، فلبيد يتأفف من معاصري شيخوخته لأن الأكارم من السلف ماتوا ولم يبق سوى ناس متعفين رديئين كجلد البعير الأجر. والبحري يقول: هؤلاء الناس في زماني أنا لو رأيهم لبكى على المتعفين شوقاً إليهم، فمعاصري أردأ بكثير

أَلَا لَيْتَ الْمَقَادِرَ لَمْ تُقَدَّرْ وَلَمْ تَكُنِ الْأَحَاطِي وَالْجُدُودُ

ليت الأقدار لم تقدر بشكلها الحالي، وليت لم تكن موجودة الأحاطي (الحظوظ) والجدود (جمع الجَد وهو الحظ). ذلك أن الحظوظ في نظره هي التي ترفع بعضاً وتخفض بعضاً

فَنَنْظُرُ أَيُّنَا يَضْحِكُ وَيُمْسِي لَهُ هَذِي الْمَوَاكِبُ وَالْعَبِيدُ

فلو حدث ذلك لرأينا من الذي يكون له هذه المواكب والعبيد

فَلَوْ كَانَ الْغَنَى حَظًّا كَرِيمًا لِأَخْطَاءِ النَّصَارَى وَالْيَهُودِ

لو كان الغنى شيئاً مشرفاً لما وجدنا أغنياء بين النصارى واليهود

٥٤ فقر الأنبياء

قال ضمن معاتبته يوسف بن محمد:

مَنْ كَانَ يَحْمَدُ أَوْ يَذُمُّ زَمَانَهُ هَذَا، فَمَا أَنَا لِلزَّمَانِ بِحَامِدٍ

فَقَرُّ كَفَقْرِ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَرِبَةٌ، وَصَبَابَةٌ؛ لَيْسَ الْبَلَاءُ بِوَاحِدٍ

صباية (اشتياق)

٥٥ الهجاء بعد المديح

يهجو ابن بنت أبي منصور الكاتب:

زَنْتَ زَمَانًا فَلَمَّا عَنَّسَتْ هَرَمًا قَادَتْ عَلَى كُلِّ قَوَادٍ وَخَمَارٍ

زنت (فعلت الزنا) وهي شابة، فلما كبرت وهربت بلا زواج قادت (صارت قوادة تضارب بنشاطها) على كل خمار وقواد

فهي لم تكتف بالقيادة (أي قيادة النساء للرجال والعكس، يبعاً للجنس وشراء) بل قادت على الخمارين والقوادين فضاربت عليهم في صناعتهم

لَرَهْرَةً مِنْ غَوِيٍّ فِي مَضَارِطِهَا أَشْهَى إِلَى قَلْبِهَا مِنْ أَلْفِ دِينَارٍ

الرهز (الهزُّ والدفع)، الغوي (الضال)، مضارطها (اختر الفتحة الأنسب لمعنى الكلمة)، وقد أسرف البحرى، ومعاصره ابن الرومي في هجاء أمهات الناس، وأوردوا هذا المعنى: أن المومس تلتذد الجنس، ومما يخبرنا به علماء الاجتماع في زمننا نقلاً عن المحترقات أنهم لا يجدن في الجنس مع الرجال المشتريين له أي متعة

جَاءَتْ بِنَغْلٍ وَقَاحٍ بَارِدٍ وَضِرٍ ذِي مَوْلِدٍ نَجِسٍ مِنْ غَيْرِ تَطْهَارٍ

وولدت نغلاً (ابن زنا) وقاح (وقح) بارد (ثقل الدم) وضر (وسخ)، وقد ولدته في فراش النجاسة من غير تطهار (طهارة)، لا يريد بها البحرى أن تكون اغتسلت بعد النفاس؟ هذا المعنى الملموح

وَلَيْسَ يَصْلُحُ، إِنْ كَشَفْتَ هِمَّتَهُ، إِلَّا لِفَاحِشَةٍ، أَوْ حَمَلٍ مِزْمَارٍ

لا يصلح هذا الرجل - إذا كشفت هيمته (طموحه) - إلا لتفعل فيه الفاحشة، أو لعزف المزمارة

مَا زَحَّتُهُ، غَيْرَ ذِي عِلْمٍ بِخُسَّتِهِ، فِي نَظْمٍ مَمْدَحَةٍ مِنْ حُرِّ أَشْعَارِي

نظمت فيه قصيدة مدح على سبيل المزاح، وأنا لا أعلم مدى خسته (حقارته)

فَأَظْهَرَ التَّيَّةَ مِنْ جَهْلٍ، وَقَابَلَنِي بِسَبْيٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ حَقِّ مِقْدَارِي

فأظهر التية (التكبر) لجهله، وقابلني بالسوء

يَا ابْنَ الَّتِي ضَرَطْتُ مِنْ تَحْتِ (بَائِكِهَا) ضَرَطَ الْحِمَارِ ضَعَاً مِنْ كَيْ بِيْطَارٍ

يا ابن التي فعلت كذا تحت كذا (صَحَفَ الباء)، فعل الحمار ضعفاً (نهق) عندما كواه البيطار (الطبيب البيطري)

إِخْدَى النُّوَادِرِ مِنْ قِرْدٍ تَعَرَّضُهُ، مِنْ غَيْرِ مَقْدَرَةٍ، لِلْقَسُورِ الضَّارِي

إن من النوادر (العجائب) التي نراها من القرد أن يتعرض (بتصدي) بغير مقدرة منه للقصور الضاري (للأسد المفترس)

٥٦ مددت يدي .. لكن للصديق

قال في أبي مسلم الكجّي وأسد بن جهور:

أَهْوَى الثَّرَاءُ، وَكَمْ مِنْ ثُرُوءٍ كَسَبْتُ لِي الْعَدَاوَةَ مِنْ رَهْطِي وَمِنْ وَلَدِي
رَهْطِي (قومي)

حَتَّى لَأَنْكَرْتُ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مِنَ الْأَخْلَاءِ، وَاسْتَوْحَشْتُ مِنْ بَلَدِي
الأخلاء (الأصدقاء)

وَكَمْ أَضَفْتُ، وَمَا أَشَقَقْتُ مِنْ بُلْغٍ، وَلَا مَدَدْتُ، إِلَى غَيْرِ الصَّدِيقِ، يَدِي
كثيراً ما أضفت (افتقرت)، ولكنني ما أشققت (خفت) من العيش على بُلْغٍ (تصيرات)، وما مددت
يدي إلا لصديق

٥٧ توليد الذهب من الحديد

بمدح مُرِّ بْنِ عَلِي الطائي:

أَقِيمُوا بَنِي الدِّيَّانِ مِنْ سَفَهَائِكُمْ فَقَدْ طَالَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مَحِيدُهَا
أقيموا (قوموا) يا بني الديان اعوجاج سفهائكم، فقد طال معيدهم (انحرفهم) عن قصد السبيل
(الطريق القويم)

أَمَّا أَنْ يَنْهَى عَنِ الْجَهْلِ وَالْحَنَاءِ قِيَامُ الْمَنَابِيَا فَبِكُمْ وَقَعُودُهَا؟
أما حان الوقت كي ينهاكم عن الجهل (الطيش)
والحناء (البذاءة) استفحال القتل فيكم

قَرَأَبَتَكُمْ، لَا تَظْلِمُوها، فَتَبْعُوا عَلَيْكُمْ صُدُوراً مَا تَمُوتُ حُقُودُهَا
احفظوا أقرباءكم ولا تظلموهم، لئلا تبعوا (تثيروا) عليكم صدوراً لا يموت فيها الحقد،
ولا تنسى الإساءة

لَهَا الْحَسَبُ الرَّازِكِي الَّذِي تَعْرِفُونَهُ وَفِيهَا طَرِيفَاتُ الْعُلَا وَتَلِيدُهَا
قرابتكم فيها الحسب الرازي (السمعة الطيبة) وفيها من المعالي طريفها (مكتسبها) وتليدها
(موروثها)

فَلَا تَسْأَلُوهَا عَنْ قَدِيمِ تَرَائِثِهَا فَعَسَجَدُهَا مِمَّا أَفَادَ حَدِيدُهَا
ولا تسألوا هؤلاء الأقارب عما ورثوه من خير، فمعسجدهم (ذهبهم) اكتسبوه بحديدهم. أي أنهم
نالوا الأموال بالسيف

٥٨ قتيل الكلاب

يرثي حميداً الطوسي:

وَلَمَّا رَأَوْا بَعْضَ الْحَيَاةِ مَذَلَّةً عَلَيْهِمْ، وَعَزَّ الْمَوْتُ غَيْرَ مُحَرَّمٍ
أَبَوْا أَنْ يَذُوقُوا الْعَيْشَ، وَالذَّمُّ وَاقِعٌ عَلَيْهِ، وَمَاتُوا مَيِّتَةً لَمْ تُذَمِّ

رفضوا أن يذوقوا العيش وصفة الذم واقعة عليه (ملتصقة به)،

وماتوا ميتة شريفة غير مذمومة

سَلامٌ عَلَى تِلْكَ الْخَلَائِقِ، إِنَّهَا مُسَلَّمَةٌ مِنْ كُلِّ عَارٍ وَمَأْنَمٍ
وَلَا عَجَبَ لِلْأُسْدِ أَنْ ظَفَرَتْ بِهَا كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
فَحَزْبُهُ وَحَشِيَّ سَقَتْ حَمَزَةَ الرَّدَى، وَخَفَّ عَلَيَّ فِي حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمٍ
وحشي، وهو من العبيد، قتل حمزة عم النبي بحرته؛ وابن ملجم قتل علياً بسيفه، فلا عجب أن
يُقتل الشريف بيد الوضع

أَبَا مُسْلِمٍ لَا زِلْتَ بَيْنَ مُودَعٍ مِنَ الْمَزْنِ مَسْكُوبِ الْحَيَا، وَمُسْلَمٍ
لا زلت (أبقاك الله) بين نوعين من المزن (السحاب): مودع ذاهب بعد أن سكب الحيا (الماء)،
ومسلم (قادم يطرح السلام لكي يهطل). وكانوا يدعون للميت بالسقيا

وَمَا جَدْتُ فِيهِ ابْتِسَامَكَ لِلنَّدَى، إِذَا أَظْلَمَتْ أَجْدَاثُ قَوْمٍ، بِمُظْلِمٍ
والجدث (القبر) الذي يضم الابتسامة - التي كانت ترسم على وجهك وأنت تعطي الناس - قبر
مضيء، في حين قبور الآخرين مظلمة. التسويد من أحمد عبد الرحيم

٥٩ فعي إن شئت أو طبري

حُلِّي سَعَادُ غُرُوضِ الْعَيْسِ، أَوْ سِيرِي وَأَنْجِدِي فِي التِّمَاسِ الْحَظَّ، أَوْ غُورِي
فكي يا سعاد غروض العيس (حبال النياق) وانزلي بالمكان، أو سيرى وارحلي؛ وأنجدي (اصعدي
الهضاب) في التماس (طلب) الحظ، أو غوري (انزلي الوديان)

كُلُّ الَّذِي نَتَرَجَّاهُ وَنَأْمُلُهُ مُضْمَنٌ فِي صَرُورَاتِ الْمَقَادِيرِ

فكل شيء بقدر محتوم

فَمَا يُقَرَّبُ تَقْرِيبي شَوَاسِعَهَا وَلَا يُبَاعَدُ مَا أَذْنَيْنِ تَأْخِيرِي
لا يقرب تقريبي (التقريب: السير السريع على الناقة) شواسع المقادير (النائي منها)، ولا يباعد ما
أذنته (قربته) الأقدار تأخيرتي

تَغْدُو الْكِلَابُ وَلَا فَضْلٌ يُعَدُّ لَهَا سِوَى الَّذِي بَانَ مِنْ نَقْصِ الْخَنَازِيرِ
 كذا هي الحظوظ: فضيلة الكلاب هي معرفتنا أنها أقل نقصاً (عيياً) من الخنازير، ليس أن الكلاب
 ذات فضل حقاً

قَدْ قُلْتُ لِلرَّخَمِ الْمَرْدُولِ مَكْسَبُهَا: خَسَّ الْجَدَا، فَقَعِيَ إِنْ شِئْتُ، أَوْ طِيرِي
 قلت للرخم (نوع طير يأكل المستقذرات) ذات الطعام المردول (الحقير): لقد خَسَّ (قلَّ) الجدا
 (الغطاء)، فقعي (اهبطي واقعةً) أو طيري، فلا يهمني الأمر. يقول: هؤلاء الشعراء الذين يمدحون
 الكبراء لقاء درهمات قليلة لا يهتموني، ولن أناقشهم في مكسبهم الخسيس

٦٠ بدر ينير النقرى

يعاتب علي بن يحيى المنجم، ويستبطئ الفتح بن خاقان:
 وَمَا مَنَّ الْفَتْحُ بِنِ خَاقَانَ نَيْلُهُ وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تُعْطِي وَتَحْرِمُ
 النبل (العطاء)

سَحَابٌ خَطَانِي جَوْدُهُ، وَهُوَ مُسْبِلٌ وَبَحْرٌ عَدَانِي فَيْضُهُ، وَهُوَ مُفْعَمٌ
 سحاب خطاني (تخطاني) جوده (مطره)، وهو مسبل (هاطل)؛ وبحر عداني (نهر) عداني (تعداني) فيضانه
 مع أنه مفعم (مليء)

وَبَدَّرَ أَضَاءَ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعَ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ
 أَأَشْكُو نَدَاهُ بَعْدَمَا وَسِعَ الْوَرَى؟ وَمَنْذًا يَذُمُّ الْغَيْثَ إِلَّا مُذَمَّمٌ!

٦١ هيبه اللقاء

بمدح الفتح بن خاقان، ويصف دخوله إليه وسلامه عليه:
 وَلَيْلَةٌ هَوَمْنَا عَلَى الْعَيْسِ، أَرْسَلْتُ بِطَيْفٍ خَيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
 في الليلة التي هومنا (نعسنا) فيها فوق العيس (الجمال) أرسلت المحبوبة طيفها الذي هو باطل
 وخيال ولكنه أشبه الحق لشدة شعوري به

فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشَبُّثِي بِعِظْفَيْ غَزَالٍ، بَتْ وَهْنًا أَغَارِلُهُ
 ولولا طلوع الصباح لبقيت متشبثاً بعظفي (جاني) غزال بت وهناً (ليلاً) أغارله في أحلامي

وَقَدْ قُلْتُ لِلْمُعْلِيِّ إِلَى الْمَجْدِ طَرَفُهُ: دَعِ الْمَجْدَ، فَالْفَتْحُ بِنِ خَاقَانَ شَاغِلُهُ
 قلت للرافع طرفه (نظره) باتجاه المجد يريد: اترك المجد فهو من نصيب الفتح بن خاقان وحده

سِنَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيْفُهُ وَسَيْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَنَائِلُهُ
 هو سنان (طرف رمح) الخليفة وسيفه، وهو سيبه (عطاؤه)، ونائله (عطاؤه)

وما السَّيْفُ إِلَّا بَرْزُ غَادٍ لِرِزِينَةٍ، إذا لم يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ حَامِلُهُ

ليس السيف سوى بز (ثوب فاخر) لرجل غاد لزيته (ذاهب لحفل)
إذا لم يكن حامل السيف أَمْضَى من سيفه. يقول: السيف مجرد زينة كالثوب الفاخر،
ولكنه يصبح سيفاً حقاً إذا كان حامله شجاعاً

ولما حَضَرْنَا سُدَّةَ الْإِذْنِ أُخْرِتْ رِجَالُ عَنِ الْبَابِ الَّذِي أَنَا دَاخِلُهُ

لما حضرنا إلى سدة الإذن (القاعة الخارجية التي يؤذن لنا فيها بالدخول على الأمير) كنت من
المتقدمين، وبعضهم أخر عني

فَأَفْضَيْتُ، مِنْ قُرْبٍ، إِلَى ذِي مَهَابَةٍ أَقَابِلُ بَدْرَ الْأَفْقِ حِينَ أَقَابِلُهُ

فأفضيت (وصلت) قريباً من رجل ذي هبة، كأنني أقابل البدر إذ أقابله

فَسَلَّمْتُ، وَاعْتَاقْتُ جَنَانِي هَيْبَةً تُنَازِعُنِي الْقَوْلَ الَّذِي أَنَا قَائِلُهُ

طرحت السلام، ثم اعتاقت جناني (أعاقت قلبي) هيته،
فصارت هيته تجاذبني كلامي وتمنعي الإفصاح

فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاةَ، وَأَنْشَنِي إِلَيَّ بِبِشْرٍ، أَنْشَنِي مَخَايِلُهُ

فلما تأملت (رأيت) الطلقة (الانسراح) في وجهه، أنشنتي (شرحت صدري) مخايله (ملامحه)

دَنَوْتُ، فَقَبَّلْتُ النَّدَى فِي يَدِ امْرِئٍ جَمِيلٍ مُحْيَاةٍ، سَبَاطُ أَنَامِلُهُ

اقتربت وقبلت يده فكأنني قبلت الندى (الكرم)، وهو جميل الطلعة،
وسباط أنامله (طويلة أصابعه/ كناية عن الكرم)

٦٢ في بغداد العاصمة

قال البحري (ولعله قالها في أول سنواته ببغداد):

إِخْلَعْ بِبَغْدَادَ الْعِذَارَا وَدَعِ التَّنَسُّكَ وَالْوَقَارَا

اخلع العذار (تهتك، وضح)

فَلَقَدْ بُلِيَتْ بِعُضْبَةٍ مَا إِنَّ يَرُونَ الْعَارَ عَارَا

ففيها ابتليت بعصبة (بجماعة) لا يرون العار عاراً

لَا مُسْلِمِينَ، وَلَا يَهُودَ، وَلَا مَجُوسَ، وَلَا نَصَارَى

هم على دين أبي نواس رحمه الله!

٦٣ قل لي ماذا أفعل

قال، وهي من أوائل ما مدح به الفتح بن خاقان:

لَكَ النِّعْمَاءُ، وَالْخَطَرُ الْجَلِيلُ وَمِنْكَ الرَّقْدُ، وَالنَّيْلُ الْجَزِيلُ
الخطر (القدر)، الرد (العطاء)

أَمِرْتُ بِأَنْ أُقِيمَ عَلَى انْتِظَارِ لِرَأْيِكَ، إِنَّهُ الرَّأْيُ الْأَصِيلُ
أمرني أفراد حاشيتك أن أنتظر

وَرَأَقِبْتُ الرَّسُولَ، وَقُلْتُ بِأَتِي بِتَبَيَّانٍ؛ فَمَا جَاءَ الرَّسُولُ
فليس، بغير أمرِكَ، لي مقامٌ، ولا، عَنْ غَيْرِ رَأْيِكَ، لي رَحِيلُ
وقد أَوْقَفْتُ عَزْمِي وَالْمَطَايَا فَقُلْتُ شَيْئاً، لِأَفْعَلَ مَا تَقُولُ
أوقفت عزمي والمطايا (الدواب) رهن إشارتك، قل لي أرحل أم أبقي؟

٦٤ الإنذار الأخير

يعاتب الحارثي الشاعر:

وَمَا أَنَا بِالظُّمَّانِ فِيكَ إِلَى التِّي أَرَى بَيْنَ قُطْرَيْهَا لِحْنَبِكَ مَضْرَعاً
لست شديد التوق إلى حزة يكون بين طرفيها مصرعك [كذا فهمت المعنى]

أَعَارُ عَلَى مَا بَيْنَنَا أَنْ يَنَالَهُ لِسَانُ عَدُوٍّ لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَظْمَعاً
أغار على الود الذي بيننا أن يتأوله لسان عدو لم يكن يطمع في إلحاق الأذى بك سابقاً

مَلَكْتُ عِنَانَ الْهَجْرِ أَنْ يَبْلُغَ الْمَدَى وَنَهْنَهْتُ قَوْلَ الشُّعْرِ أَنْ يَتَسَرَّعاً
أمسكت بعنان (بحبل) الهجر ومنعته أن يبلغ مداه، ونهنت (خففت) من الشعر حتى لا يتسرع بهجائك

فَإِنْ تَدْعُنِي لِلشَّرِّ أَسْرِعْ، وَإِنْ تُهَبْ بِصُلْحِي فَقَدْ أَبْقَيْتُ لِلصُّلْحِ مَوْضِعاً
فإن فعلت ما يدعوني إلى الشر (المهاجاة) سأسرع، وإن تُهَبْ (تبادر) بالصلح فلأنني تركت للصلح موضعاً

٦٥ الخميس الخامس

قال في علي بن يحيى المنجم:

مَا أَنْصَفْتُ بَغْدَادَ حِينَ تَوَحَّشْتُ لِنَزِيلِهَا، وَهِيَ الْمَحَلُّ الْآئِسُ
توحشت (أصبحت موحشة)

لَمْ يَرْعَ لِي حَقَّ الْقَرَابَةِ طِيَّةً فِيهَا، وَلَا حَقَّ الصَّدَاقَةِ فَارِسُ
 لَمْ يَرَاعِ حَقَّ الْقَرَابَةِ أَبْنَاءَ قَبِيلَةِ طِيَّةٍ (وهي قبيلة البحري)، وَلَا حَقَّ الصَّدَاقَةِ فَارِسُ (الْفُرس)
 أَعْلِيَّ! مَنْ يَأْمُلُكَ بَعْدَ مَوَدَّةٍ ضَيَّعْتُهَا مِنِّي، فَإِنِّي آيِسُ
 يَا عَلِيَّ! إِنْ كَانَ هُنَاكَ مَنْ يَأْمُلُ خَيْرِكَ بَعْدَ تَضْيِيعِكَ مَوَدَّتِي، فَإِنِّي أَنَا آيِسُ (يَائِس) وَلَا أَمَلُ خَيْرِكَ

وَأَعَدَّتْنِي يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَقَدْ مَضَى مِنْ بَعْدِ مَوْعِدِكَ الْخَمِيسُ الْخَامِسُ
 قَدَّمْتُ قُدَّامِي رِجَالًا، كُلُّهُمْ لَبِيتُ طَلِبَاتِ رِجَالٍ آخَرِينَ، وَكُلُّهُمْ مُتَخَلِّفٌ عَنِ غَايَتِي (منخفض عن قدرتي)،
 مُتَقَاعَسٌ (متقهقر، أي أدنى مرتبة)

وَأَنَا الَّذِي أَوْضَحْتُ، غَيْرَ مُدَافِعٍ، نَهَجَ الْقَوَافِي، وَهِيَ رَسْمٌ دَارِسُ
 وَأَنَا الَّذِي أَوْضَحْتُ غَيْرَ مُدَافِعٍ (بلا منازع) نَهَجَ الْقَوَافِي (طريق الشعر)، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ رَسْمًا دَارِسًا
 (معالم ممحوّة)

وَشُهِرْتُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا فَكَأَنَّنِي فِي كُلِّ نَادٍ جَالِسُ

٦٦ عليه اعتمادي

وقال بمدح الفتح بن خاقان:

كَفَّانِي نَائِبَاتِ الدَّهْرِ أَنِّي عَلَى الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ اعْتِمَادِي
 وَلِي هَمَّانٍ مِنْ ظَنَنِ وَلَبَّيْ وَكُلُّ قَدْ أَخَذْتُ لَهُ عَتَادِي
 لِي نِيَّةٌ فِي الظَّنِّ (الرحيل) وَنِيَّةٌ أُخْرَى فِي اللَّبِّ (الإقامة)، وَلِلْحَالِينَ أَخَذْتُ اسْتِعْدَادِي
 فَإِنْ أَوْطِنُ، فَقَدْ وَطَّذْتُ رُكْنِي وَإِنْ أَرْحَلُ، فَقَدْ وَقَّرْتُ زَادِي
 فَإِنْ أَوْطِنُ (إِنْ أَقُمُ) فَأَنْتَ قَدْ وَطَّذْتَ رُكْنِي بِعَطَايَاكَ، وَإِنْ أَرْحَلُ فَقَدْ زَوَّدْتَنِي مَا يَكْفِينِي

٦٧ تفاوت الرجال

يمدح الفتح بن خاقان وابنه أبا الفتح:

وَلَمْ أَرْ أَشْأَلَ الرِّجَالَ تَفَاوُتَ إِلَى الْفَضْلِ، حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ
 لَمْ أَجِدْ مِثْلَ الرِّجَالِ فِي التَّفَاوُتِ فِي الْفَضْلِ، فَالرَّجُلُ الْوَاحِدُ قَدْ يَكُونُ بِأَلْفِ رَجُلٍ

وَلَنْ تَسْتَبِينَ، الدَّهْرَ، مَوْضِعَ نِعْمَةٍ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ
 وَلَنْ تَعْرِفَ الدَّهْرَ (طَوَلَ الدَّهْرَ) مَكَانَ النِّعْمَةِ عِنْدَ شَخْصٍ إِلَّا إِذَا حَسَدَهُ حَاسِدٌ فَذَلِكَ عَلَيْهَا. هَذَا
 بَيِّنٌ سَرَقَ فِيهِ الْبَحْرِيُّ مَعْنَى أَسْتَازَهُ أَبِي تَمَامًا، فَوْقَ دُونِهِ. وَمَا أَكْثَرَ مَا سَرَقَ مِنْ أَبِي تَمَامٍ

٦٨ المنعم المحسود

بمدح أبا نوح عيسى بن إبراهيم:

قَلْبٌ مَشُوقٌ عَنَاهُ الْبَثُّ وَالْكَمْدُ وَمُقَلَّةٌ تَبْذُلُ الدَّمْعَ الَّذِي تَجِدُ
قَلْبَ مَشْتَاقٍ عَنَاهُ (أُنْعِبْ) الْبَثَّ (الْبُوح) كَمَا أَتَعِبَ الْكَمْدَ (الْكُتْمَانَ)، وَعَيْنٌ تَرِيقُ الدَّمْعَ الَّذِي يَتَسَرَّ لَهَا
تَدْنُو سُلَيْمَى، وَلَا يَدْنُو اللَّقَاءُ بِهَا، فَيَسْتَوِي فِي هَوَاهَا الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ
تَقْتَرِبُ سَلِيمَى مَكَاناً وَلَكِنْ اللَّقَاءُ بِهَا لَا يَكُونُ مِيسُوراً، فَلِهَذَا يَتَسَاوَى عِنْدِي قَرِيبُهَا وَبَعْدُهَا
أَلَيْتُ لَا أَجْعَلُ الْإِعْدَامَ حَادِثَةً تُخْشَى، وَعِيسَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ لِي سَنَدُ
أَلَيْتُ (حَلَفْتُ) أَنْ لَا أَجْعَلَ مِنَ الْإِعْدَامِ (الْفَقْرِ) حَادِثَةً (مُعْضَلَةً) أَتَخَوَّفُ مِنْ حُلُولِهَا مَا دَامَ عِيسَى بْنُ
إِبْرَاهِيمَ سَنَدًا لِي

وَلَا يُؤَخَّرُ شُغْلَ الْيَوْمِ يَذْخَرُهُ إِلَى غَدٍ؛ إِنَّ يَوْمَ الْأَعْجَازِ غَدٌ
وَلَا يُؤَخَّرُ إِنْجَازُ مَا يَجِبُ إِنْجَازُهُ الْيَوْمَ وَلَا يَذْخَرُهُ (يَخْبِئُهُ) لِلْغَدِ؛ وَالتَّأْجِيلُ لِلْغَدِ حِيلَةٌ الْأَكْثَرُ عَجْزاً
مِنَ النَّاسِ

مُحَسَّدٌ بِخِلَالٍ فِيهِ فَاضِلَةٌ؛ وَلَيْسَ تَفْتَرِقُ النَّعْمَاءُ وَالْحَسَدُ
مُحْسَدٌ (مُحْسُودٌ) بِخِلَالٍ (بِصِفَاتٍ) فِيهِ فَاضِلَةٌ (مُتَمِيزَةٌ)؛ وَالنَّعْمَةُ دَائِمًا مَقْرُونَةٌ بِحَسَدِ الْحَاسِدِينَ
لصاحبها

٦٩ التصديق بالمديح

قال يخطب محمد بن نصر بن منصور بن بسام:

رَأَيْتُكَ تَهْوَى اقْتِنَاءَ الْمَدِيحِ وَتَجْهَلُ مِقْدَارَ إِيجَابِهِ
(إيجابه (ما يوجب عليك من دفع مقابل)

وَكَيْفَ تُرَجِّي وَصُولاً إِلَيْهِ وَلَمْ تَتَوَصَّلْ بِأَسْبَابِهِ؟
كَيْفَ تَأْمَلُ الْوَصُولَ لِلْمَدِيحِ، وَلَمْ تَتَوَصَّلْ بِأَسْبَابِهِ (تَحْصُلْ عَلَى لَوَازِمِهِ)

لَئِنْ كُنْتُ أَمْنَحُهُ الْأَكْرَمِينَ فَمَا أَنْتَ أَوَّلُ أَرْبَابِهِ
أَرْبَابِهِ (أَصْحَابِهِ)

وَأِنْ أَتَطَلَّبَ بِهِ نَائِلًا فَلَسْتُ مَلِيًّا بِإِظْلَالِهِ
إِنْ أَتَطَلَّبَ (أَطْلَبَ) بِالْمَدِيحِ الَّذِي أَدْقَمُهُ نَائِلًا (عَطَاءً)، فَأَنْتَ يَا هَذَا لَسْتَ مَلِيًّا (جَدِيرًا) بِإِظْلَالِهِ
(بِتَحْقِيقِهِ)

وَأِنْ أَتَصَدَّقْ بِهِ حِسْبَةٌ فَإِنَّ الْمَسَاكِينَ أَوْلَىٰ بِهِ
وإن كنت أتصدق به حبة (لوجه الله)، فالمساكين أولى به منك

٧٠ صحراء بسبعة أبواب

لَنْ تَرَانِي لَكَ الْعَيُونُ بِبَابٍ لَيْسَ مِثْلِي يُطِيقُ رَدَّ الْحِجَابِ
لن أقف ببابك بعد الآن منتظراً إذن الدخول، فلست ممن يحتمل ردّ الحجاب إياه خائباً

يَا أَمِيرًا عَلَى جَرِيبٍ مِنَ الْأَرْضِ لَهُ سَبْعَةُ مِنَ الْأَبْوَابِ
أنت أمير على جريب (أرض يكفيها جراب من البذور لزراعتها)، ومع ذلك لك سبعة أبواب، باباً وراء باب، مغلقة تمنع الوصول إليك

جَالِسًا فِي الْخَرَابِ يُحَجِّبُ عَنْهُ؛ مَا سَمِعْنَا إِمَارَةً فِي خَرَابٍ
يجلس في خراب ويحجب عنه (يحجب الحجاب الناس عن لقائه)، فما هذه الإمارة في الخراب؟

٧١ تَغَيَّرَ بَعْدَمَا أَتَرَى

قال معاتباً:

وَذِي ثِقَةٍ تَبَدَّلَ حِينَ أَتَرَى، وَمِنْ شَيْمِي مُرَاقِبَةُ الثُّقَاتِ

رب صاحب أثق به تبدل حين صار ثرياً، ومن شيمي (صفاتي) مراقبة الثقات (الاهتمام بأهل الثقة). المراقبة هنا معناها الاهتمام الإيجابي وليس الفرجة السلبية

فَقُلْتُ لَهُ: عَتَبْتَ بِغَيْرِ جُرْمٍ فِرَارًا مِنْ مَوْوَنَاتِ الْعِدَاتِ

فقلت له: قد عتبت علي ولا جرم (ذنب) لي، وعتبك هو طريقة لكي تنهرب من مؤونات العداات (مستلزمات الوعود التي كنت قدمتها)

فَعُدْ لِمَوَدَّتِي، وَعَلَيَّ إِلَّا أَبْشَكَ حَاجَةً حَتَّى الْمَمَاتِ

فارجع لمودتي، ولك عليّ ألا أبشك حاجة من حاجاتي حتى الموت

٧٢ مصير العاشق

يمدح أبا نوح عيسى بن إبراهيم:

لَوْ زَارَ، فِي غَيْرِ الْكَرَى، لَشَفَاكَ مِنْ حَبْلِ الْغَرَامِ، وَمِنْ جَوَى بُرَحَائِهِ

لو زار المحبوب بجسمه، وليس في الكرى (في النوم، وأنت تحلم به)، لشفاك من خبل (جنون) الغرام، ومن جوى (ألم) برحائه (آلامه)

فَدَعَ الْهَوَى، أَوْ مَتَّ بِدَائِكَ؛ إِنَّ مِنْ شَأْنِ الْمُتَيِّمِ أَنْ يَمُوتَ بِدَائِهِ

فاترك الحب، أو مت بالداء الذي سببه لك؛
ومن شأن المتيم (طبيعي للعاشق) أن يموت بداء العشق

٧٣ الغزل بالأصابع

قال البحرى لأبي صالح بن عمار يداعبه:

مُنِعِطُ الطَّرْفِ، لَا يَزَالُ يُوَالِي لَحَظَاتٍ يُحْبِلُنْ قَبْلَ النُّكَاحِ

منعظ (متنصب، كما متاع الرجل) الطرف (العين)، يوالي (يكبر) لحظات (نظرات) يحبلن (يؤدين) إلى الحب (يحب) قبل حصول الجماع. فصاحبه هذا نظراته فيها انتصاب

وَمُفِيرٌ عَلَى الْأَصَابِعِ بِاللَّمِّ سِي لَهَا فِي أَسَافِلِ الْأَقْدَاحِ

ويشن غارات على أصابعها يتلمسها بأصابعه في أسفل القدح. لا بد أن أبا عبادة صنع ذلك بنفسه أو رآه، فصعب اختلاق موقف كهذا

٧٤ سمن على غسل

بمدح الفتح بن خاقان:

وَجَدْتُ نَفْسَكَ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ الْمُصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ

يشبهون سهولة الامتزاج بين روحين بسهولة الامتزاج بين الماء والخمر. ولو خلطت زيتاً بماء لطفأ الزيت لخشته، فأما الخمر والماء فكثافتها متقاربة. وأرى أنهم يعنون بالراح، وبالخمر أيضاً، ضرباً من المشروب أقرب إلى العرق والويسكي (نسبة الكحول في كل منهما نحو ٤٠٪)؛ ولهذا فهم يتغنون بمزجها، فأما النبيذ (نسبة الكحول من ١٢،٥٪ - ١٤٪) فلا يخلطه بالماء عاقل

٧٥ السر المفضوح

بمدح الفتح بن خاقان:

عَلَاقَةُ حُبِّ كُنْتُ أَكْتُمُ بَثَّهَا إِلَى أَنْ أذَاعَتْهَا الدَّمُوعُ الْهَوَامِغُ

الهوامع (الهاملات)

إِذَا عَيْنُ الرَّاحِ وَهِيَ عَيْنٌ عَلَى الْجَوَى فَلَيْسَ بِسِرٍّ مَا تُسِرُّ الْأَصَالِغُ

إذا عين المرء راحت (أصبحت) وهي عين (جاسوس) تنفض ما يكنه قلبه من الجوى (الحزن) فلا يعود سراً ما تسر (تخفي) الأصالغ (الفضلوع)

٧٦ القفل المستعصي

يهجو السيي (وبها مدح الحسن بن مخلد):

لَنَا مَوَاقِفُ فِي أَفْنَاءِ عَرَصَتِهِ تَهَانُ أَحْطَارُنَا فِيهَا وَتُطْرَحُ
لَنَا وَقُوفٌ فِي أَفْنَاءِ عَرَصَتِهِ (في نواحي ساحته) تَهَانُ أَحْطَارُنَا (أقدارنا) فِيهَا وَتُطْرَحُ (تُرمى)
نَعْشَاهُ، لَا نَحْنُ مُشْتَاقُونَ مِنْهُ إِلَى أَنْسِ، وَلَا هُوَ مَسْرُورٌ بِنَا فَرِحُ
نَعْشَاهُ (نأتي إليه) لَيْسَ لَشَوْقِنَا إِلَى أَنْسِهِ، وَلَا هُوَ يَفْرَحُ بِنَا

إِذَا طَلَبْنَا بِلَجِينِ الْقَوْلِ غُرَّتُهُ طَلَبْنَا نُعَالِجُ قُفْلًا لَيْسَ يَنْفَتِحُ
إِذَا قُلْنَا لَهُ كَلَامًا لِنَا لَتَنْبِطَ لَنَا غُرَّتُهُ (وجهه/ليهش لنا) فَإِنَّمَا نَعَالِجُ قُفْلًا عَصِيًّا، أَيْ نَحَابِلُ عَلَيْهِ
أَعْيَا عَلَيَّ، فَلَا هَيَّابَةَ فَرِقُ مِنْ الْهَجَاءِ، وَلَا هَشٌّ فَيُمْتَدِّحُ
أَعْيَا عَلَيَّ (أعجزني)، فَلَا هُوَ هَيَّابَةٌ (خوف) فَرِقُ (خوف) مِنْ الْهَجَاءِ، وَلَا هُوَ هَشٌّ (منشرح)
فِيَلِيقُ بِهِ الْمَدْحُ

٧٧ الأهزوجة المشؤومة

بمدح المتوكل على الله:

عَنْ أَيِّ نَغْرٍ تَبْتَسِمُ؟ وَيَأَيَّ طَرْفٍ تَحْتَكِمُ؟
أَيُّهَا الْمَحْبُوبُ مَا هَذَا النِّغْرُ (القم) الْجَمِيلُ الَّذِي تَطْلُقُ مِنْهُ الْابْتِسَامَةُ؟ وَمَا هَذَا الطَّرْفُ (النظر) الَّذِي
تَرْمِقُنَا بِهِ فَتَحْتَكِمُ (تلمي ما تشاء)

أَفْدِيهِ مِنْ ظَلَمِ الْوُشَا وَ، وَإِنْ أَسَاءَ، وَإِنْ ظَلَمَ
قُلْ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرِ الْـ مُتَوَكِّلِ بْنِ الْمُغْتَصِمِ:
يَا بَانِي الْمَجْدِ الَّذِي قَدْ كَانَ قُوضَ فَإِنَّهُمْ
إِسْلَمَ لِإِدِينِ مُحَمَّدٍ فَإِذَا سَلِمْتَ فَقَدْ سَلِمَ

قصيدة مشهورة لقصتها. هذه القصيدة في بساطتها وجمال نغمها تذكرني بقصيدة أبي العتاهية التي أنشدها المهدي (أنته الخلافة). وقصة قصيدة البحري أنه كان يلقيها وهو يميل ذات اليمين وذات الشمال مختلاً معجباً بنفسه (وكانت هذه طريقتة في الإنشاد). فلما فرغ منها بدأ يعيدها. فغمز الخليفة المتوكل شويعراً يقال له أبو العنيس، فقام أبو العنيس وبدأ يقول: (من أي سلح تلتقم// وبأي كف تلتطم) والسلح هو ما يخرج من الدبر. وراح يردد أبياتاً على هذا الوزن، والكل يضحك. وانصرف البحري غاضباً وأبو العنيس يصرخ في إثره (وعلمت أنك تنهزم). ونال أبو العنيس جائزة البحري. شكى البحري إلى صديق له ما جرى، وسأله: أأذهب إلى منبج بغير إذن؟ فهوّن الصديق عليه، وقال له: الملوك تمزح بأكثر من هذا. وأخذه إلى الفتح بن خاقان وزير المتوكل فهوّن عليه وأعطاه مالا

٧٨ قبله على خوف

لِي حَبِيبٌ قَدْ لَجَّ فِي الْهَجْرِ جِدًّا وَأَعَادَ الصُّدُودَ مِنْهُ، وَأَبْدَا
لَجَّ (بَالَتْغَ)، أَعَادَ وَأَبْدَا (عَادَ وَزَادَ)

ذُو فُنُونٍ، يُرَبِّكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ خُلُقًا مِنْ جَفَائِهِ مُسْتَجِدًّا
وَبِنَفْسِي أَقْدِي، عَلَى كُلِّ حَالٍ، شَادِنًا لَوْ يُمَسُّ، بِالْحُسْنِ أَغْدَى
شَادِنًا (غَزَالًا صَغِيرًا)، لَوْ يَمَسُّ لِأَعْدَى بِالْحُسْنِ (لَوْ أَمَكُنْ لَمَسَ الْمَحْبُوبَةَ لِجَعَلْتُ مِنْ يَلَمْسُهَا
جَمِيلًا بِالْعَدْوَى لَشَدَّةَ جَمَالِهَا)

مَرَّ بِي خَالِيًّا، فَأَطْمَعَ فِي الْوَضِّ لِي، وَعَرَّضْتُ بِالسَّلَامِ، قَرْدًا
مَرَّ بِي خَالِيًّا (وَحْدَهُ)، فَأَطْمَعَنِي (جَعَلَنِي أَطْمَعُ) فِي وَصْلِهِ، وَعَرَّضْتُ بِالسَّلَامِ (طَرَحْتُ السَّلَامَ
خَفِيَّةً)، لَكِنَّهُ - وَبِا لِمَفْاجَأَةِ الْحُلُوةِ - رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ

وَنَنَى خَدَّهُ إِلَيَّ عَلَى خَوْفٍ، فَقَبَّلْتُ جُلْنَارًا وَوَرْدًا
الجلنار: زهر الرمان

٧٩ المنافسون الحاسدون

بمدح الفتح بن خاقان:

وإني، وإنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الْعُلَا وَأَعْتَقْتَ مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ أَخْذَعِي
رغم أنك أَوْصَلْتَنِي إِلَى شَرَفٍ (مَرْتَفَعٍ) الْعُلَا وَحَرَرْتَ أَخْذَعِي (بَعْنِي عَنِّي) مِنْ ذُلِّ الْمَطَامِعِ الْمَالِيَةِ
فَمَا أَنَا بِالْمَغْضُوضِ فِيمَا أَتَيْتَهُ إِلَيَّ، وَلَا الْمَوْضُوعِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِي
رغم ذلك فَلَسْتُ بِالْمَغْضُوضِ (الْمَحْتَقَرِّ) بِسَبَبِ مَا أَتَيْتَهُ إِلَيَّ (أَعْطَيْتَنِي)، وَلَسْتُ أَخْذًا فَوْقَ اسْتِحْقَاقِي

وقد نَافَسْتَنِي غُضْبَةً: مِنْ مُقْصِرٍ وَمُنْتَحِلٍ مَا لَمْ يَقُلْهُ، وَمُدَّعٍ
وَالْمُنَافِسُونَ لِي مِنَ الشُّعْرَاءِ هُمْ بَيْنَ مُقْصِرٍ عَنِ التَّجْوِيدِ، وَمُنْتَحِلٍ لِمَعَانِي الْآخَرِينَ، وَمُدَّعٍ لَيْسَ
بشاعر أصلاً

٨٠ المضيئة للمصباح

وقال بصف مغنية (في قصيدة يمدح بها أبا مسلم البصري):

فَأَضَاءَتْ تَحْتَ الدُّجْنَةِ لِلشَّرِّ بَ، وَكَادَتْ تُضِيءُ لِلْمُضْبَاحِ
الشرب (الشاربون)

وأشارت مَعَ الْغِنَاءِ بِالْحَا ظِ مِرَاضٍ، مِنْ التَّصَابِي، صَحَاحِ
 أشارت بغمز من الحاظ مراض (نظرات مسترخية)، وذلك من التصابي (دلال الصبايا)،
 ولكن نظراتها صحيحة بيولوجياً. يقول: نظراتها مريضة مسترخية من الدلال، وعيناها ليس فيهما
 علة جسمية

فَطَرَبْنَا لَهُنَّ قَبْلَ الْمَثَانِي وَسَكَرْنَا مِنْهُنَّ قَبْلَ الرَّاحِ
 طربنا من نظراتها قبل طربنا من المثاني (الموسيقى)، وسكرنا بنظراتها قبل أن نسكر من الراح (الخمر)

٨١ الكريم لثيماً

يهجو البجحاني المغني:

إِذَا رَامَ التَّخَلُّقَ، جَادَبْتُهُ خَلَائِقُهُ إِلَى الطَّبْعِ الْقَدِيمِ
 إذا رام (أراد) التخلق (الطبع بغير طبعه) جذبته خلأقه (أخلاقه) إلى الطبع القديم

تُعَرِّبُ غَيْرَ مُحْتَسِمٍ، وَتَشْدُو فَلَا تَأْتِي بِلَحْنٍ مُسْتَقِيمٍ
 أيها المغني أنت تعربد غير خجلان، وتغني ولا يستقيم لك اللحن

فَتُخْطِئُ فِي الْغِنَاءِ عَلَى الْمُغَنِّي وَتُخْطِئُ فِي النَّدَامِ عَلَى النَّدِيمِ
 مخطئ في غنائك، ومخطئ في كلامك فلست تعرف حرمة الندام (المنادمة على الشراب). ولم
 أفهم مقصده في (على المغني)

نَهَيْتُكَ عَنْ تَعَرُّضٍ عَرَضٍ حُرٍّ فَإِنَّ الدَّمَ مِنْ شَأْنِ الذَّمِيمِ
 مَتَى أُخْرِجْتَ ذَا كَرَمٍ تَخْطِئُ إِلَيْكَ بِبَغْضِ أَخْلَاقِ اللَّئِيمِ
 إذا أخرجت الكريم تجاوز عادته وأذاك بأفعال هي في الأصل من أفعال اللئام

٨٢ المطرب البغيض

يهجو أحمد بن أبي العلاء المغني:

مُغَنِّيكَ لِلْبُغْضِ فِيهِ سِمَةٌ تَلُوحُ عَلَى خِلْقَةٍ مُبْهَمَةٍ
 في مغنيك سمة (علامة مكوية بالحديد المحمى) هي خاتم رسمي بالبغض (كونه بغيضاً كريهاً)،
 وهذه العلامة تبدو في خلقته المبهمة (المختلطة)

تَزِيدُ الْإِهَانَةَ فِي شَأْنِهِ صَاحِحًا، وَتُفْسِدُهُ التَّكْرِمَةَ
 يُرَعِّشُ لَحْيِيهِ عِنْدَ الْغِنَاءِ كَأَنَّ بِهِ النَّافِضَ الْمُؤْلَمَةَ
 يرتعش حنكاه وهو يغني كأنه يعاني النافض (الحمى الراعشة)

وَأَنْفٍ إِذَا اخْمَرَ فِي وَجْهِهِ وَقَامَ تَوَهَّمَتْهُ مِخْجَمَةٌ
مِخْجَمَةٌ (كأس زجاج للحجامة ينزل فيه الدم فيحمر الكأس)

إِذَا صَاحَ سَأَلَتْ لَهُ مَخْطَةً عَلَى الْعُودِ، وَانْقَلَعَتْ بَلْغَمَةٌ
يُبْظَرُمُهُ الْقَوْمُ، مِنْ بُغْضِهِ، جَهَارًا؛ وَقَلَّتْ لَهُ الْبَظْرَمَةُ
لأنه بغض يظمره القوم (يقولون له غَضٌ يَظُرُ أَمَكُ) جهاراً، وهذا قليل عليه

هَرَّاشٌ نُعَانِيهِ طُولَ النَّهَارِ فَمَجْلِسُنَا مَعَهُ مَلْحَمَةٌ
يَجِيءُ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ فَلَوْلَا الْحَيَاءُ كَسَرْنَا فَمَهُ
كسرنا فمه: كسرنا أسنانه

٨٣ لَمْشَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرِ

يمدح المتوكل، ويصف موكبهُ يوم العيد، والبداية غزل:

أَخْفِي هَوًى لَكَ فِي الضُّلُوعِ، وَأُظْهِرُ؛ وَالْأَمُّ فِي كَمَدٍ عَلَيْكَ، وَأَعْزُرُ
خفي هواك أيتها المحبوبة حيناً وأظهره حيناً؛ ويلمونني في الكمد (التكدر) البادي عليّ بسبك،
ويعذرونني حيناً

وَأَرَاكِ خُنْتِ عَلَى النَّوَى مَنْ لَمْ يَخُنْ عَهْدَ الْهَوَى، وَهَجَرْتِ مَنْ لَا يَهْجُرُ
وَطَلَبْتُ مِنْكَ مَوَدَّةً لَمْ أُعْطَهَا؛ إِنَّ الْمُعْنَى طَالِبٌ لَا يَظْفَرُ
المعنى (الموجع)

هَلْ دَبْنُ عَلْوَةٍ يُسْتَطَاعُ، فَيُقْتَضَى؟ أَمْ ظُلْمُ عَلْوَةٍ يَسْتَفِيقُ، فَيُقْصَرُ؟
هل تستطيع المحبوبة «علوة» أن تقضي دينها (وعدها) وتفي به؟ أم هل - على الأقل - يفيق ظلمها
من جنونه ويقصر (يكف)

بَيْضَاءُ يُعْطِيكَ الْقَضِيبُ قَوَامَهَا وَيُرِيكَ عَيْنَيْهَا الْغَزَالُ الْأَحْوَرُ
علوة بيضاء. وأنت ترى القضيب (الغصن) فيعطيك (يمثل لك) قوامها، وترى الغزال الأحمر (ذا
العينين الواسعتين الصافيتين) فترى فيه عينها

تَمْشِي فَتَحْكُمُ فِي الْقُلُوبِ بِدَلِّهَا وَتَمِيسُ فِي ظِلِّ الشَّبَابِ فَتَخْطُرُ
تمس (تمايل)

وَتَمِيلُ مِنْ لَيْنِ الصَّبَا فَيُقِيمُهَا قَدْ يُؤْنِتُ تَارَةً، وَيُذَكِّرُ

تمایل هذه الغدورة الحلبية سكرى بخمر شبابها، ثم تعتدل بقدر جميل هو قد أنثى في مقاييسه، وقد غلام في رشاقتة. وكانوا يحبون الفتاة الرسحاء (الخفيفة من وراء) الرشقة ويقولون إنها غلامية. والبحتري من هؤلاء الذين أشبهوا أبا نواس في ميلهم للولدان. وكان لأبي عبادة مع الغلمان قصص شتى، وإن لم ينحرف في الأمر انحراف النواسي

إِنِّي، وَإِنْ جَانَبْتُ بَعْضَ بَطَالَتِي وَتَوَهَّمِ الْوَاشُونَ أَنِّي مُقْصِرٌ،

رغم أنني جانبت (هجرت) بعض بطالتي (استهتاري)، ورغم أن الواشين (النمامين) توهموا أنني مقصر (منقطع عما كنت فيه)..

لَيْشَوْقُنِي سِحْرُ الْعُيُونِ الْمُجْتَلَى وَيَرُوقُنِي وَرْدُ الْخُدُودِ الْأَحْمَرِ

.. مع ذلك يشوقني سحر العيون المجتلى (البادي للرائي) وتروقي حمرة الخدود

اللَّهُ مَكَّنَ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ مُلْكًا يُحَسِّنُهُ الْخَلِيفَةُ جَعْفَرُ

الآن ينتقل إلى مدح الخليفة جعفر المتوكل: لقد مكَّن له الله ملكاً وهو يحسِّنه (يجعله أكثر حسناً) بكونه على رأس هذا الملك). للشاعر ما ليس لأحد: له أن يخاطب الخليفة باسمه مجرداً

نُعْمَى مِنَ اللَّهِ اصْطَفَاهُ بِفَضْلِهَا وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَيَقْدُرُ

الله اصطفى (اختار) المتوكل لنيل فضل هذه النعمة

بِالْبِرِّ صُمْتُ، وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ، وَيُسُنَّةُ اللَّهِ الرَّضِيَّةُ تُفْطِرُ

مصحوباً بعمل الخير كان صيامك رمضان أيها الخليفة، والآن على سنة الله تحفل بعيد الفطر. لا أدري إن غاب عني شيء من المعنى؛ أليس كل صوم يكون براً، وأليس كل فطر يكون بسُنَّةِ الله؟ كذا البحتري، يقول أبياتاً حلوة اللفظ رشيقة، والمعنى قد يكون عادياً أو - كمثل هذا البيت - نافلاً. لم أره في هذا البيت أتى بشيء، إلا بالدباجة البحترية المشهورة. هذا يذكرني بالمذيعين الذين يصرون على «أسعد الله أوقاتكم... بالخير» وكأن السادة المستمعين لا تكون أوقاتهم سعيدة إلا بركوب الكباثر، فالمذيع يؤكد أنه يدعو لهم بسعادة مشروطة بالخير

فَانْعَمَ بِيَوْمِ الْفِطْرِ عَيْنًا، إِنَّهُ يَوْمٌ أَعْرُ مِنْ الزَّمَانِ مُشْهَرٌ

فيوم الفطر هذا أعر (وضيء) ومشهر (بارز بين أيام الزمان)

أَظْهَرْتَ عِزَّ الْمُلْكِ فِيهِ بِجَحْفَلٍ لَعِبٍ يُحَاظُ الدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُ

أبرزت عز الخلافة بجحفل (جيش) لعب (صخب لكثرة جنوده) يحاط (يحمى) به الدين وينصر

خَلْنَا الْجِبَالَ تَسِيرٌ فِيهِ، وَقَدْ غَدَتْ عُدَّتُ عُدْدًا يَسِيرُ بِهَا الْعَدِيدُ الْأَكْثَرُ

خلنا (توهننا) الجبال تسير مع الجيش وقد غدت الجبال عدداً (سلاحاً وعتاداً)، ويسير بها الجنود الكثر

فَالْخَيْلُ تَصْهَلُ، وَالْفَوَارِسُ تَدْعِي وَالْبَيْضُ تَلْمَعُ، وَالْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ
الخيال تصهل، والفوارس تدعي (الفرسان يتسبون إلى قبائلهم أو شعوبهم بفخر)، والبيض (الخوذ)
تلمع، والأسنة (رؤوس الرماح) تزهر (تتلألأ)

وَالْأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقَلِهَا وَالْجَوُّ مُعْتَكِرُ الْجَوَانِبِ أَغْبَرُ
والأرض خاشعة من هذا الحشد تميد (تميل) بما أثقل ظهرها، والجو معتكر مغبر، وقال
المؤرخون إن ذلك اليوم كان حقاً بهذه الصفة أثناء ذلك الاستعراض العسكري

وَالشَّمْسُ مَاتِعَةٌ تَوَقَّدُ فِي الضُّحَى طَوْرًا، وَيُطْفِئُهَا الْعَجَاجُ الْأَكْثَرُ
الشمس كانت ماتعة (مرتفعة) متوقدة في وقت الضحى (قبيل الظهر)، ولكنها كانت أحياناً تغمى
بسبب العجاج (الغبار) الأكثر (القاتم)

حَتَّى طَلَعَتْ بِضَوْءِ وَجْهِكَ، فَانْجَلَى ذَاكَ الدُّجَى، وَانْجَابَ ذَاكَ الْعَثِيرُ
حتى طلعت على الحشد بضوء وجهك فانجلي الظلام، وانجاب (زال) العثير (الغبار)

وَأَفْتَنَّ فِيكَ النَّاطِرُونَ: فَإِصْبَعْ يَوْمًا إِلَيْكَ بِهَا، وَعَيْنٌ تَنْظُرُ
فتنت الناظرين فهذه إصبع يوماً (بشار) بها إليك، وتلك عين تنظر

ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ النَّبِيِّ، فَهَلَّلُوا لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصُّفُوفِ، وَكَبَّرُوا
خطر ببال الجمع النبي عندما طلعت عليهم فهللوا (قالوا لا إله إلا الله)، وكبروا (قالوا الله أكبر)

حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى الْمُصَلَّى لَا بِسَاءَ نَوْرَ الْهُدَى يَبْدُو عَلَيْكَ وَيُظْهَرُ
وَمَشَيْتَ مَشْيَةً خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ لِّهِ، لَا يُزْهَى، وَلَا يَنْكَبَّرُ
يزهى (يتكبر)

فَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ، لَمَشَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ

إذ أنت تمشي نحو المنبر ودَّ المنبر لو مشى هو نحوك ليلايك، لو كان ذلك مستطاعاً.
بيت أعجب الأقدمين كثيراً. وأخذ البحري معناه من بيت أبي تمام: (لو سعت بقعة
للإعظام نعمي/ لسمي نحوها المكان الجديد) يقول أبو تمام إن المكان المجذب لو
استطاع أن يمشي للازدياد من نعمة المطر لمشى في اتجاه تلك الغيمة الماطرة
ولحقها. وتفنن الشعراء في الإتيان بالمعنى نفسه في قوالب مختلفة فقال البلاذري
يمدح المستعين بعد أن تحداه المجلس في الإتيان بمعنى البحري في بيت أحسن من
بيت البحري: (ولو أن برد المصطفى إذ لبسته/ يظن، لظن البرد أنك صاحبته)، وثنى
البلاذري ببيت جميل رقيق: (وقال، وقد أعطيته ولبسته: / نعم هذه أعطاه ومناكبته)

أَيَّدَتْ مِنْ فَضْلِ الْخُطَابِ بِخُطْبَةٍ تُنْبِئُ عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَتُخَبِّرُ
وُفِّت من فصل الخطاب (الخطب التي تبدأ بالتحميد ثم بعبارة أما بعد) إلى خطبة تنبي (تبلغ) عن الحق

وَوَقَفَتْ فِي بُرْدِ النَّبِيِّ مُذْكَرًا بِاللَّهِ، تُنْذِرُ تَارَةً وَتُبَشِّرُ
ووقفت وأنت ترتدي برد النبي (الثوب الموروث عن النبي فيما زعموا)، وذُكِّرتَ الناس بالله،
وسقت إليهم الوعد والوعيد. هذه القصيدة أحبها القدماء، ومؤلفو كتب المدارس أيضاً، حباً جمّاً
لجمال ألفاظها وسلاستها. لم لا

٨٤ مشاور السيف

يمدح يوسف بن محمد:

رَأَيْتُ أَبَا يَعْقُوبَ، وَالنَّاسُ: ذُو حِجَاً يُؤَمِّلُهُ، أَوْ ذُو ضَلَالٍ يُحَازِرُهُ..
الناس في شأن أبي يعقوب نوعان: ذو حجا (عقل) يرجو خيره، وذو ضلال يحذر أذاه، وقد رأيته..

إِذَا وَقَعْتُ بِالْقَرْبِ مِنْهُ مُلِمَّةٌ نَنَى طَرَفُهُ نَحْوَ الْحُسَامِ يُشَاوِرُهُ
رأيتُه إذا اقتربت منه ملمة (مشكلة) انتنى بعينه نحو السيف يشاوره في أمرها، فهو يسارع إلى الحسم

وَمَا كَانَ (بُقْرَاطُ بْنُ أَشُوطَ) عِنْدَهُ بِأَوَّلِ عَبْدٍ أَسْلَمَتْهُ جَرَائِرُهُ
القائد الأرمني «بقراط بن أشوط» ليس أول أسير لأبي يعقوب أسلمته جرائره (أدت ذنوبه إلى
تسليمه لعدوه)

وَقَدْ شَاغَبَ الْإِسْلَامَ خَمْسِينَ حِجَّةً فَلَا الْخَوْفَ نَاهِيَهُ، وَلَا الْحِلْمَ زَاجِرُهُ
فقد ظل يناوش الدولة الإسلامية خمسين سنة لا هو خائف، ولا حلم المسلمين (تغاضيه) عنه
زاجره (ناهيه)

وَلَمَّا التَّقَى الْجَمْعَانِ لَمْ تَجْتَمِعْ لَهُ يَدَاهُ، وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى الْبَيْضِ نَاطِرُهُ
عندما التحم الجيشان اضطربت يدا القائد الأرمني، ولم يثبت على البيض (السيوف) ناظره
(بصره)، أي زاغ بصره رعباً

وَلَمْ يَرْضَ مِنْ (جُرْزَانَ) حِرْزاً يُجِيرُهُ وَلَا فِي جِبَالِ الرُّومِ رَيْدًا يُجَاوِرُهُ
لم يرض هذا القائد الأرمني من «جرزان» حرزاً يجيره (مقلاً يحميه)، ولا رضي ريداً (جرفاً
جلبياً) في جبال الروم يجاوره (ياوي إليه)

فَجَاءَ مَحِيءَ الْعَبِيرِ، قَادَتْهُ حَبِيرَةٌ إِلَى أَهْرِتِ الشُّدْقَيْنِ تَدْمَى أَظْفَرُهُ
بل جاء إليك مثلما يجيء العير (حمار الوحش) لشدة حيرته نحو الأسد الأهرت الشدقين (الواسع
القم) الدامي الأظافر

فَإِنْ أَذْرَكَتُهُ بِالْعِرَاقِ مَنِيَّةٌ فَقَاتِلْهُ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ آسِرُهُ
فإن قرروا في العراق قتله، فإن الذي تمكن منه وقتله، عند الخليفة (بالنسبة للخليفة)، هو الذي أسره

بِتَدْبِيرِكَ الْمَيِّمُونَ أَغْلِقَ كَيْدُهُ عَلَيْهِ، وَكَلَّتْ سُمْرُهُ وَبَوَاتِرُهُ
بتدبيرك الميمون (المبارك) أغلق صندوق كيد هذا العدو عليه، وكلت (ضعفت) سمره (رماحه
السم) وبواتره (سيوفه القاطعة) عن نصره

وَلَمْ يَبْقَ بِطَرِيقٍ لَهُ مِثْلُ جُرْمِهِ (بِأَرَانٍ) إِلَّا عَازِبُ اللَّبِّ طَائِرُهُ
لم يبق في «أران» طريق (قائد رومي) له مثل جرمه (ذنبه) إلا وهو عازب اللب (شارد العقل)
وطائر القلب

كَسَرْتَهُمْ كَسَرَ الرُّجَاجَةِ بَعْدَهُ؛ وَمَنْ يَجْبُرُ الْوَهْيَ الَّذِي أَنْتَ كَاسِرُهُ؟
بعد أسرك بقراط ذاك كسرتهم مثلما تكسر الزجاجاة، ومن يستطيع جبر (إصلاح) الوهي (الشرح)
الذي صنعته؟

وَقَدْ عَلِمَ الْعَاصِي، وَإِنْ أَمَعَنْتَ بِهِ مَحَلَّتُهُ فِي الْأَرْضِ، أُنْكَ زَائِرُهُ
وقد علم كل عاصي آخر، مهما أمعنت به محلته (ابتعدت منطقته)، أنك قادر على القدوم إليه

٨٥ المكرمات وجديس وجرهم

بمدح الفتح بن خاقان:

لَقَدْ جَشِمَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ خُطَّةً مِنْ الْمَجْدِ، مَا يَسْطِيعُهَا الْمُتَجَشِّمُ
جشم (تكفل) الفتح بن خاقان بخطة مجد (أمر مجيد) لا يستطيعها (يستطيعها) المتجشم (المتكفل
غير ما في طبعه)

رَبَا فِي حُجُورِ الْمُلْكِ، يُغْرِيه بِالْحِجَا خَلَائِفُ مِنْهُمْ مُرْشِدٌ وَمُقَوِّمٌ
حجور (أحضان)، الحجا (العقل)، خلايف (خلفاء)

فَاضَ كَمَا آضَ الْحُسَامُ، تَرَادَفَتْ عَلَيْهِ الْقِيُونُ، فَهُوَ أَبْيَضُ مِخْدَمٌ
آض (أصبح) كالسيف الذي ترادف عليه (توالى عليه) القيون (الحدادون)، فأصبح مصقولاً أبيض
مخدماً (قاطعاً)

وَلَوْ بَلَغَ الْجَانِي أَقَاصِي حِلْمِهِ لَأَعْقَبَ بَعْدَ الْحِلْمِ مِنْهُ التَّحَلُّمُ
لو وصل الجاني إلى أقصى موقع في حلم (صفح) الفتح بن خاقان، لأعقب (لتلا) بعد وصول
الحلم مداه التحلم (تكلف الحلم). يقول: لو كانت الجنابة مما لا يحتمله صفح الفتح فإن التحلم
سيأتي بعد الحلم لينقذ الجاني

أَرَى الْمَكْرَمَاتِ اسْتُهْلِكَتْ فِي مَعَاشِرٍ وَبَادَتْ، كَمَا بَادَتْ جَدِيسٌ وَجُرْهُمُ
المكرمات انتهت وانقرضت كانقراض قوم جديس وقوم جرهم

وَمُشْرِقَةً فِي النَّظْمِ غَرًّا، يَزِيدُهَا بَهَاءً وَحُسْنًا أَنَّهَا لَكَ تُنْظَمُ
ورب قصيدة مشرقة غراء (بيضاء الجبين كالفرس ذات الغرة البيضاء)، يزيدنها جمالاً أنها منظومة
في مدحك

٨٦ ليلة مع الحبيب

بَرَّحَ بِي حُبُّكَ الْمُعَنَّيَ وَعَرَّنِي مِنْكَ مَا يَغُرُّ
برَّح بي حبك (أوجعني) المعنّي (المؤلم)، واغتررت بك

تَذْكُرُكُمْ لَيْلَةٌ لَهَوْنَا فِي ظِلِّهَا، وَالزَّمانُ نَضُرُّ؟
غَابَ دُجَاهَا، وَأَيُّ لَيْلٍ يَذْجُو عَلَيْنَا وَأَنْتَ بَذُرُّ؟
دجاها (سوادها)

تَمْرُجُ لِي رَيْقَةً بِخَمَرٍ؛ كِلَا الرُّضَابَيْنِ مِنْكَ خَمْرُ

٨٧ الأموال الفضيحة

قال في ضرب صالح بن وصيف «أحمد بن إسرائيل» و«أبا نوح»:

نَهَيْتُكُمْ عَنْ صَالِحٍ، فَأَبَى بِكُمْ لَجَّاجُكُمْ إِلَّا اغْتِرَّاراً بِصَالِحٍ
نهيتكم أيها الناس عن اتهام صالح فأبى لكم لجاجكم (عنادكم) إلا اغتراراً (انخداعاً)
بأن صالحاً غافل عنكم

فَقَدْ ظَهَرَتْ أُمُوالُكُمْ، بَعْدَ سَتْرِهَا وَبَعْدَ تَخْفِيفِهَا، ظُهُورَ الْفَضَائِحِ
والآن ظهرت أموالكم - التي كنتم تسترونها - كما تظهر الفضائح

دَخَائِرُ ذَيْدِ الْحَقِّ عَنْهَا، وَأُرْتَجَتْ عَلَيْهَا مَعَالِيقُ الصُّدُورِ الشَّحَائِحِ
إنها ذخائر (مدخرات) ذيد (أبعد) الحق عنها، وأرتجت (أغلقت) عليها مغاليق (أقفال) الصدور
الشحائع (البخيلة)

أَبَا الْفَضْلِ! لَا تَعْدَمْ عُلُوءاً مَتَى اعْتَدَى لِسَانُ عَدُوٍّ، أَوْ صَغَا قَلْبُ كَاشِحٍ
يا أبا الفضل! لا حرمت من العلو كلما اعتدى عليك لسان عدو، وكلما صغا (أشاح) عنك قلب
كاشح (مبطن العداوة)

تَقَطَّعَتِ الْأَسْبَابُ بِالْقَوْمِ، وَانْتَهَوْا إِلَى حَدَثٍ مِنْ نَبْوَةِ الدَّهْرِ فَادِحِ
تقطعت الأسباب بالقوم (تفرقوا) وانتهوا (آل بهم المال) إلى حدث فادح من نبوة الدهر (المصيبة)

فَلَمْ تَبْقَ إِلَّا سَطْوَةٌ مِنْ مُطَالِبٍ بِأَضْغَايِهِ، أَوْ نِعْمَةً مِنْ مُسَامِحٍ
 وكل ما بقي بالنسبة لهم سطوة رجل يطلب الاشتفاء من أضغانه (أحقاده)، أو نعمة رجل يسامحهم
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تُضْرِبْ عَنِ الْحَقْدِ لَمْ تَفُزْ بِذِكْرٍ، وَلَمْ تَسْعَدْ بِتَقْرِيطِ مَادِحٍ
 إذا لم تضرب (تكف) عن الحقد، فلن تفوز بالذكر (السمعة الحسنة)،
 ولن تسعد بتقريط (بمدح) مَادِحٍ

وَلَنْ يُرْتَجَى فِي مَالِكٍ غَيْرِ مُسْجِحٍ فَلَا حَ، وَلَا فِي قَادِرٍ غَيْرِ صَافِحٍ
 ولن يرتجى فلاح من رجل ذي نفوذ لكنه غير مسجح (متسامح)، ولا فلاح أيضاً لرجل قادر لا
 يصفح. وهذا كلامُ النثر أليقُ به من الشعر. فالبحتري يخاطب صالح بن وصيف كي يصفح عن
 المخطئين، ولكن ديباجة البحتري الجميلة تجعل المرء يصغي إليه

٨٨ الشرب على غير عطش

مَرَّتْ بِالْبَحْتَرِيِّ الْجَارِيَةِ بُرْهَانَ وَمَعَهَا كُوزُ مَاءٍ. سَأَلَهَا: لِمَنْ تَأْخُذِيهِ؟ فَقَالَتْ:
 لِسَنِي قَبِيحَةٍ. وَقَبِيحَةٌ هِيَ جَارِيَةُ الْمُتَوَكِّلِ الْأَثِيرَةِ، فَأَخَذَ الْكُوزَ وَصَبَهُ فِي حَلْقِهِ عَابثاً.
 فَعَرَفَ الْمُتَوَكِّلُ الْخَبَرَ (بِحَسَبِ رَوَايَةِ أَبِي الْفَرَجِ) فَقَالَ لِلْبَحْتَرِيِّ: قُلْ فِي هَذَا شِعْراً.
 فَقَالَ:

مَا قَهْوَةٌ مِنْ رَحِيقٍ كَأَسْهَأَ ذَهَبٌ جَاءَتْ بِهَا الْخُورُ مِنْ جَنَاتِ رِضْوَانٍ
 قهوة (خمر)، رحيق (خمر)، رضوان (اسم حارس الجنة)

يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْ مَاءٍ، بِلَا عَطَشٍ، شَرِبْتُه، عَبَثاً، مِنْ كَفِّ بُرْهَانٍ

٨٩ الملك فيه وفي بنيه

وقال يمدح المتوكل (٢٤٠هـ): وقيل إن المتوكل وهبه خاتماً كان بيده، فنظر
 البحتري إلى يد الخليفة الأخرى وفيها خاتم، وأطرق، فسأله المتوكل: ماذا بك؟ فقال:
 أفكر بأبيات أستخرج بها الخاتم الآخر. ثم قال هذا الشعر، وأخذ الخاتم الثاني.
 والقطعة تنسب أيضاً إلى علي بن الجهم:

بِسُرٍّ مَنْ رَأَى لَنَا إِمَامٌ تَغْرِفُ مِنْ بَحْرِهِ الْبِحَارُ
 بسر من را (بسامراء) لنا إمام (خليفة) كريم كالبحر، بل إن البحر يحتاج إلى أن يغرف منه

خَلِيفَةُ يُرْتَجَى وَيُخْشَى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
 كَلِمَتَا يَدِيهِ تَفِيضُ سَحّاً كَأَنَّهَا ضَرَّةٌ تَغَارُ

كل يد من يديه تفيض سحاً (مطولاً) كأن كل يد ضرة للأخرى وتغار منها

فَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينُ شَيْئاً إِلَّا أَتَتْ مِنْهَا الْيَسَارُ
 فَالْمُلْكُ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ مَا بَقِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
 ما بقي (طيلة بقائه). أين بنو العباس اليوم؟ يقول عبود الشالجي في كتابه (موسوعة العذاب) إنه لا يُعرف في العراق اليوم سوى عائلتين تنسبان إلى بني العباس، واحدة ببغداد وواحدة بالبصرة

٩٠ مذهبولون بأبهة الخلافة

بمدح المتوكل، ويذكر وفد الروم عليه:

عَرَّجَ عَلَى حَلَبٍ فَحَيَّ مَحَلَّةً مَأْنُوسَةً، فِيهَا لِعَلْوَةٍ مَنْزِلُ
 يحيي في حلب محلة (حيّاً) مأنوسة (معمورة بأهلها، وليست خبرة كالأطلال التي يحييها الشعراء عادة)، وفي هذا الحي يوجد منزل علوة

وَأَعَزُّ، ثُمَّ أَذِلُّ ذِلَّةً عَاشِقِي، وَالْحُبُّ فِيهِ تَعَزُّزٌ وَتَذَلُّلُ
 إِنَّ الرَّعِيَّةَ لَمْ تَزَلْ فِي سَبْرَةٍ عُمَرِيَّةٍ مُذْ سَاسَهَا الْمُتَوَكِّلُ
 اللَّهُ أَثَرُ بِالْخِلَافَةِ جَعْفَرًا وَرَأَاهُ نَاصِرَهَا الَّذِي لَا يُخْذَلُ
 أثر (خصص)

هِيَ أَفْضَلُ الرُّتَبِ الَّتِي جُعِلَتْ لَهُ دُونَ الْبَرِّيَّةِ، وَهُوَ مِنْهَا أَفْضَلُ
 لَا يَعْدَمَنَّكَ الْمُسْلِمُونَ، فَإِنَّهُمْ فِي ظِلِّ مُلْكِكَ أَذْرَكُوا مَا أَمَلُوا
 فَادَيْتَ بِالْأَسْرَى، وَقَدْ عَلِقُوا، فَلَا مَنْ يُنَالُ، وَلَا فِدَاءَ يُقْبَلُ
 غلقوا (احتبسوا بلا فداء)، من (عفو)

وَرَأَيْتُ وَفَدَ الرُّومَ، بَعْدَ عِنَادِهِمْ، عَرَفُوا قَضَائِكَ الَّتِي لَا تُجْهَلُ
 لَحَظُّوكَ أَوَّلَ لَحْظَةٍ، فَاسْتَصَفَرُوا مَنْ كَانَ يُعْظَمُ فِيهِمْ وَيُبَجَّلُ
 من النظرة الأولى إلى طلعتك استصغر أفراد وفد الروم رؤساءهم الذين كانوا حثّاثد مبجلين في عيونهم

حَضَرُوا السَّمَاطَ، فَكَلَّمَا رَامُوا الْقَرَى مَالَتْ بِأَيْدِيهِمْ عُقُولٌ ذَهَلُ
 حضروا السماط (المائدة) فكلما راموا القرى (التمسوا الطعام)، مالت أيديهم لأن عقولهم ذاهلة من عظمة المشهد

نَهَوِي أَكْفُهُمْ إِلَى أَفْوَاهِهِمْ فَتَجَوَّرُ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، وَتَعْدِلُ
 تتجه أكفهم إلى أفواههم ثم تفضل الطريق، وتعدل (تنحرف)، لذهولهم

وَيُودُّ قَوْمَهُمُ الْأَلَى بَعَثُوا بِهِمْ لَوْ ضَمَّهُمْ بِالْأَمْسِ ذَاكَ الْمَحْفِلُ
وكان يودُّ الروم في القسطنطينية الذين أرسلوا هذا الوفد أن يكونوا هم في هذا المحفل بدلاً من
رُسُلهم

٩١ الحب الأخير

يمدح الفتح بن خاقان:

وَلَمَّا تَزَايَلْنَا مِنْ «الْجَزْعِ»، وَانْتَأَى مُشْرِقُ رَكْبٍ مُضْعِداً عَنْ مُغْرَبٍ
لما تزايلنا عن (فارقتنا) موضع «الجزع»، وانتأى (ابتعد) الركب (القافلة) المشرق، وهو صاعد
هضبة، عن الركب المغرب ..

تَبَيَّنْتُ أَنْ لَا دَارَ مِنْ بَعْدِ «عَالِجٍ» تَسُرُّ، وَأَنْ لَا خَلَّةَ بَعْدَ زَيْنَبٍ
تبينت (تأكدت) أن لا دار سترني بعد «عالج»، ولا خلة (صاحبة) سترني بعد زينب

٩٢ دماء ودموع وحمية جاهلية

يمدح المتوكل، ويذكر صلح بني تغلب:

مُنَى النَّفْسِ فِي أَسْمَاءَ لَوْ تَسْتَطِيعُهَا، بِهَا وَجَدَهَا، مِنْ غَادَةٍ، وَوُلُوعُهَا
منأي (منحصرة) في أسماء لو أنني أستطيع الوصول إليها. ووجد نفسي وولوعها هو بأسماء،
ويا لها من غادة

وَقَدْ رَاعَنِي مِنْهَا الصُّدُودُ، وَإِنَّمَا تَصُدُّ لِشَيْبٍ فِي عِذَارِي يَرُوعُهَا
راعني صدودها، وسببه الشيب في عذارى (سألفي)

حَمَلْتُ هَوَاهَا يَوْمَ (مُنْعَرَجِ اللَّوَى) عَلَى كَيْدٍ قَدْ أَوْهَنْتَهَا صُدُوعُهَا
أوهنتها صدوعها (أضعفت كبدي الشقوق التي فيها)

وَكُنْتُ تَبِيعَ الْغَانِيَاتِ، وَلَمْ يَزَلْ يَذُمُّ وَقَاءَ الْغَانِيَاتِ تَبِيعُهَا
تبيع (ملاحق)

وَحَسَنَاءَ لَمْ تُحْسِنْ صَنِيعاً، وَرُبَّمَا صَبَوْتُ إِلَى حَسَنَاءَ سِيءٍ صَنِيعُهَا
صبوت (اشتقت)، سيء (ساء)

عَجِبْتُ لَهَا: تُبْدِي الْقَلَى، وَأَوْدُهَا؛ وَلِلنَّفْسِ: تَعْصِينِي هَوَى، وَأُطِيعُهَا
عجبت لأسماء تبدي القلى (الصدود) وأبستم في حبي لها، وعجبت لنفسي تعصيني عندما أريد
الفكاك من هذا الحب .. وأطيعها

أَسِيَتْ لِأَخْوَالِي (رَبِيعَةً) إِذَا عَفَتْ مَصَانِعُهَا مِنْهَا، وَأَقَوْتُ رُبُوعَهَا
أَسِيَتْ (تَأَلَّمْتُ) لِأَخْوَالِي مِنْ قَبِيلَةِ رَبِيعَةٍ إِذَا عَفَتْ (خَرِبَتْ) مَصَانِعُهَا (مَبَانِيهَا)، وَأَقَوْتُ رِبُوعَهَا
(أَقْفَرْتُ مَنَازِلَهَا)

بِكُرْهِمِي أَنْ بَاتَتْ خَلَاءَ دِيَارُهَا، وَوَحْشَاءَ مَغَانِيهَا، وَشَتَّى جَمِيعُهَا
أَنَا كَارَةٌ أَنْ أَصْبَحْتُ دِيَارَ رَبِيعَةٍ مَهْجُورَةٍ، وَمَغَانِيهَا (مَنَازِلَهَا الْعَامِرَةَ) مَوْحِشَةً،
وَجَمِيعُهَا (اجْتِمَاعَ شَمْلِهَا) شَتَّى (مُتَفَرِّقًا)

إِذَا انْتَهَتْ وَقَعَةٌ جَمَعَتَهُمْ لِأُخْرَى دِمَاءٌ مَا يُطْلُ نَجِيئُهَا
إِذَا انْتَهَتْ وَقَعَةٌ (مَعْرَكَةٌ) اجْتَمَعُوا لِيَخُوضُوا غَيْرَهَا بِسَبَبِ دِمَاءٍ أُرِيقَتْ فِي الْمَعْرَكَةِ الْأُولَى يَرِيدُونَ
الْثَّارَ لَهَا، مَا يُطْلُ (لَا يَذْهَبُ هَذَرًا) نَجِيعُهَا (دَمُهَا)

تَذُمُّ الْفَتَاةُ الرُّودُ شَيْمَةً بَعْلِهَا إِذَا بَاتَ دُونَ الثَّارِ وَهُوَ ضَجِيعُهَا
الْفَتَاةُ الرُّودُ (النَّاعِمَةُ) تَذُمُّ شَيْمَةً (خُلُقًا) بَعْلَهَا إِذَا بَاتَ مَعَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ الثَّارَ

حَمِيَّةُ شَعْبٍ جَاهِلِيٍّ، وَعِزَّةٌ كُلَيْبِيَّةٌ أَعْيَا الرِّجَالَ خُضُوعُهَا
هَذِهِ حَمِيَّةُ شَعْبٍ جَاهِلِيٍّ الطَّبِيعِ، وَعِزَّةٌ كُلَيْبِيَّةٌ (كَاعْتَرَاكَ كَلِيبٌ، وَاطَّلَ أَخِي الْمَهْلَهْلُ وَقَتِيلُ جَسَاسٍ،
بِنَفْسِهِ) أَعْيَا الرِّجَالَ إِخْضَاعُهَا

وَفُرْسَانُ هَبْجَاءٍ تَجِيشُ صُدُورُهَا بِأَحْقَادِهَا، حَتَّى تَضْبِقَ دُرُوعُهَا
هَؤُلَاءِ فُرْسَانُ هَبْجَاءَ (حَرْبٍ) تَجِيشُ صُدُورَهُمْ بِأَحْقَادِهَا (تَضْطَرِمُ بِالْحَقْدِ) فَيَكَادُ الْحَقْدُ يَخْرُجُ مِنْ
الدَّرُوعِ الَّتِي يَلْبَسُونَهَا

تُقَتِّلُ مِنْ وَتَرٍ أَعَزَّ نُفُوسِهَا عَلَيْهِا، بِأَيْدٍ مَا تَكَادُ تُطْبِعُهَا
هَؤُلَاءِ الْفُرْسَانُ يَقْتُلُونَ مِنْ وَتَرٍ (لِغَرَضِ الثَّارِ) أَنَا سَاءٌ مِنْ أَقَارِبِهِمْ عَزِيزِينَ عَلَيْهِمْ، يَقْتُلُونَهُمْ بِأَيْدٍ لَا
تَكَادُ تُطْبِعُهُمْ فِي عَمَلِهِمْ هَذَا

إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْمًا، فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى، فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا
إِذَا احْتَرَبَتْ الْفُرْسَانُ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتُ صِلَةَ الْقَرَابَةِ فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا

شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ تُقَطِّعُ بَيْنَهُمْ شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قُطُوعُهَا
شَوَاجِرُ أَرْمَاحٍ (رَمَاحٍ مُشْتَبِكَةٍ) تَقَطِّعُ صِلَاتِ الرَّحِمِ الْمُشْتَابِكَةِ، الَّتِي يَلَامُونَ عَلَى قَطْعِهَا

فَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَطُولُهُ لَعَادَتْ جُيُوبُ وَالِدَمَاءِ رُدُوعُهَا
لَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَطُولُهُ (قُدْرَتُهُ) لَعَادَتْ الْجُيُوبُ (الْمَلَابِسُ) وَالِدَمَاءُ رُدُوعُهَا (زَعْفَرَانُهَا)،
فَالْمَلَابِسُ كَانَتْ تَنْطِيبُ بِالدَّمِ بَدَلًا مِنَ الزَعْفَرَانِ قَبْلَ تَدَخُّلِ الْخَلِيفَةِ

وَلَا عُذْرَ إِلَّا أَنْ جِلْمَ حَلِيمِهَا تَسْقَهَ فِي شَرِّ جَنَاهُ خَلِيعُهَا

وليس للمتقاتلين من عذر سوى أن الحليم دخل في السفاهة والحقاقة بسبب جنايات جناها الخليج
(المستهتر المنشق عن القبيلة)

وَمُشْفِقَةٍ تَخْشَى الْجِمَامَ عَلَى ابْنِهَا لِأَوَّلِ هَيْجَاءٍ تَلَاقَى جُمُوعُهَا

ورب امرأة مشفقة (خائفة) على ابنها من الموت في أول مرة يدخل فيها الحرب..

رَبَطَتْ بِصُلْحِ الْقَوْمِ نَافِرَ جَاشِئِهَا، فَفَرَّتْ حَشَاها، وَاطْمَأَنَّتْ ضُلُوعُهَا

.. ربطت، أيها الخليفة بالصلح الذي عقدته، جأش هذه المرأة النافر (قلها المضطرب)، فاستقر
حشاها (قلها) واطمأنت (سكنت) ضلوعها

٩٣ بين أطلال سعدى

قِفِ الْعِيسَى، قَدْ أَذْنَى خُطَاها كَلَالُهَا وَسَلَّ دَارَ سَعْدَى، إِنَّ شَفَاكَ سُؤَالُهَا

قف (أوقف) العيس (الإبل) فقد أذنى خطاها كلالها (جعل خطواتها متقاربة تعبها)،
واسأل بقايا دار سعدى عن الحبيبة الراحلة، إن كان في مجرد السؤال شفاء لنفسك؛
فأما الجواب، فلا جواب

وَمَا أَعْرِفُ الْأَطْلَالَ مِنْ بَطْنٍ (تُوضِحُ) لِيَطُولَ تَعَقُّبِهَا، وَلَكِنْ إِخَالُهَا

لا أكاد أتعرف على بقايا الديار في هذه المنطقة لطول تعقبها (خرايبها)،
لكن إخالها (أخمن مكانها تخميناً)

إِذَا قُلْتُ: أُنْسَى دَارَ لَيْلَى عَلَى النَّوَى، تَصَوَّرَ فِي أَقْصَى ضَمِيرِي مِثَالُهَا

كلما قلت إنني سأنسى دار ليلي (بغير الشاعر اسم محبوبته في القصيدة الواحدة.. عادي) مع
النوى (الفراق)، تمثلت صورتها في أعماق قلبي

تَمَنَيْتُ لَيْلَى بَعْدَ قَوْتٍ، وَإِنَّمَا تَمَنَيْتُ مِنْهَا خُطَّةً لَا أَنْالُهَا

فوت (فوات الأوان)، خطة (أمر)

٩٤ السقوط من الحظوة

يعاتب الفتح بن خاقان، ويعتذر إليه:

عَذِيرِي مِنَ الْأَيَّامِ رَتَقَنْ مَشْرِبِي وَلَقَّيْنِنِي نَحْساً مِنَ الطَّيْرِ أَشْأَمَا

عذيري (عبارة شعرية معناها: منذ الذي يقبل عذري) فلاأيام (الزمن) رتقن (كدرن) مشربي،
ولقَّيْنِنِي (جلبن علي) نحساً أشأَم من نحس الطير (إذ تنجه شمالاً، وهذا نحس)

وَأَكْسَبَنِي سُخْطَ امْرِئٍ بَثَّ مَوْهِنًا أَرَى سُخْطَهُ لَيْلًا مَعَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا
واكسبني الأيام سُخْطَ رجل، هو الفتح بن خاقان، بَثَّ مَوْهِنًا (ليلاً)
وأنا أرى سُخْطَهُ يزيد الليل سواداً

تَبْلَجَ عَنِ بَعْضِ الرِّضَا، وَأَنْطَوَى عَلَى بَقِيَّةِ عَنَبٍ شَارَفَتْ أَنْ تَصْرَمًا
تبلج (أشرق) وجه الفتح عن قليل من الرضا عليّ، ثم انطوت نفسه على بقية عتاب شارفت
(كادت) أَنْ تَصْرَمَ (تتقضي)

إِذَا قُلْتُ يَوْمًا: قَدْ تَجَاوَزَ حَدَّهُا تَلَبَّثَ فِي أَعْقَابِهَا، وَتَلَوَّمَا
كلما قلت قد تجاوز الفتح حدَّ بقية العتاب، إِذَا به يَتَلَبَّثُ (يبطئ) في أعقابها (أواخرها)
وَيُتَلَوَّمُ عليّ باللوم

وَأَصِيدَ إِنْ نَازَعْتُهُ اللَّحْظَ، رَدَّهُ كَلِيلًا، وَإِنْ رَاجَعْتُهُ الْقَوْلَ جَمَجَمَا
رب أصيد (عزيز) إِنْ نَازَعْتُهُ اللحظ (اصطادات عيني عنه مرة بعد أخرى) رد لحظه كليلًا (ضعيفاً)
وانصرف بنظره عني، وإذا راجعته بالقول فيما بيننا جمجم (تمتم)

ثَنَاهُ الْعِدَى عَنِّي، فَأَصْبَحَ مُعْرِضًا وَأَوْهَمَهُ الْوَاشُونَ، حَتَّى نَوَّهَمَا
ثناه العدى عني (صرفه الأعداء) فأعرض، ودس له الواشون الأوهام حتى علقت بقلبه

وَقَدْ كَانَ سَهْلًا وَاضِحًا، فَتَوَعَّرْتُ رُبَاهُ؛ وَطَلَقًا ضَاحِكًا، فَتَجَهَّمَا
كان سهل المعاملة معي واضحاً (مكشوفاً)، فأصبحت رباه وعرة، وكان ضاحكاً لي فتجهم (كشر)

يُخَوِّفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعَشَرٌ، وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ تَجُورَ وَتَظْلِمَا
يخوفني قوم من سوء رأيك معشر، والخوف الحقيقي هو أَنْ تَجُورَ (تظلم)، وهذا بالطبع غير وارد...

أُعِيدُكَ أَنْ أَخْشَاكَ، مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ تَبَيَّنَ، أَوْ جُرِمَ إِلَيْكَ تَقْدَمًا
اعيدك (أجلك) أَنْ أَخْشَاكَ دون أَنْ يكون بدر مني حادث أو جرم، فَأَنْتَ لَا تَظْلَمَ بلا سبب

أَلَسْتُ الْمُوَالِيَّ فَبِكَ نَظَمَ قَصَائِدٍ هِيَ الْأَنْجُمُ، افْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا؟
ألسْتُ الموالي (المواصيل) فبك قصائد المدح التي تشبه النجوم

فَلَوْ أَنَّنِي وَقَّرْتُ شِعْرِي وَقَارَهُ وَأَجَلَلْتُ مَذْحِي فَبِكَ أَنْ يَتَهَضَّمَا
يُتَهَضَمُ (يُظْلَم)

لَأَكْبَرْتُ أَنْ أُوْمِيَ إِلَيْكَ بِإِصْبَعٍ تَضَرَّعُ، أَوْ أَذْنِي لِمَعْذِرَةٍ فَمَا
لوجدتها كبيرة أَنْ أُوْمِيَ (أشير) إِلَيْكَ بِإِصْبَعٍ تَضَرَّعُ (تتوسل)، أَوْ أَنْ أَذْنِي (أقرب) الاعتذار من فمي

وكانَ الذي يَأْتِي به الدَّهْرُ هَيِّنًا عَلَيَّ، ولو كانَ الحِمَامَ المُقَدِّمًا

ولكان كل ما يَأْتِي به الزمن هيناً عَلَيَّ حتى لو كان الموت العاجل

ولِكِنِّي أُعْلِي مَحَلَّكَ أَنْ أَرَى مُدِيلاً وَأَسْتَحْيِيكَ أَنْ أَتَعَظَّمَا

ولكنني مع ذلك أنزعج، لأن مقامك أعلى من أن أدلّ عليك (أتمادى عليك)، وأستحي منك أن أتعظم (أستكبر)

أَعِدْ نَظْرًا فِيمَا تَسَخَّطْتَ؛ هَلْ تَرَى مَقَالًا دَنِيًّا أَوْ فَعَالًا مُذَمَّمًا؟

راجع نفسك في الذي أغضبك، فهل رأيته قلت قولاً دنيئاً فيك، أو فعلت فعلاً ذمياً

رَأَيْتُ الْعِرَاقَ أَتَكَرَّرْتَنِي؛ وَأَقْسَمْتُ عَلَيَّ صُرُوفُ الدَّهْرِ أَنْ أَتَشَأَمَا

تكررت لي العراق، وحلفت عليّ مصائب الزمن لأذهبن إلى الشام

وكانَ رَجَائِي أَنْ أُؤُوبَ مُمْلِكًا، فَصَارَ رَجَائِي أَنْ أُؤُوبَ مُسَلِّمًا

كنت أرجو أن أرجع إلى موطني بالشام وأنا ذو أملاك، فصار أقصى رجائي أن أعود سالماً

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْمَرْءَ لَمْ تَكُنْ تُحَلِّلُ بِالظَّنِّ الذِّمَامَ الْمُحَرَّمَا

أكبر ظني أنك ذلك المرء الذي لا يحلل بمجرد الظن الذمام (العهد والعشرة) الذي يحرم نقضه

وَلَمْ أَعْرِفِ الذَّنْبَ الَّذِي سُوِّتَنِي لَهُ فَاقْتُلْ نَفْسِي حَسْرَةً وَتَنَدُّمَا

لم أعرف سبب سخطك عليّ حتى أقتل نفسي حسرة وتندماً

أَذْكُرُكَ الْعَهْدَ الَّذِي لَيْسَ سُودَدَا تَنَاسِيهِ، وَالوُدَّ الصَّحِيحَ الْمُسَلِّمَا

أقر بما لم أجنيه مُتَنَصِّلاً إِلَيْكَ، عَلَى أَنِّي إِخَالُكَ أَلَوَّمَا

إني أقر بذنب لم أجته ولا أعرفه، وأتصل منه تقريباً إليك، وأغلب ظني أنك أنت أولى باللوم مني

وَمِثْلُكَ إِنْ أَبَدَا الْفَعَالُ أَعَادَهُ وَإِنْ صَنَعَ الْمَعْرُوفَ زَادَ وَتَمَّمَا

ومثلك إذا أبداً (بدأ) بفعل طيب كرهه، وإن صنع المعروف أكمله وزاد عليه

٩٥ الموت ولا الشيب

حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ وَبِالْوَجْدِ مِنْ قَلْبِي بِهَا الْمُتَعَلِّقِ

حلفت لها بوجد قلبي المتعلق بها

وَبِالْعَهْدِ، مَا الْبَذْلُ الْقَلِيلُ بِضَائِعِ لَدَيَّ، وَلَا الْعَهْدُ الْقَدِيمُ بِمُخْلِقِ

حلفت لها بأن البذل القليل (العتاء القليل. منها) لا يضيع لدي، والعهد القديم لا يخلق (يهترئ)

وإني، وإن ضننت عليّ بوُدّها، لأرتاح منها لِلخَيَالِ الْمُؤرّقِ
أرتاح لطيفها الذي يأتيني فيؤرقني (يذهب بنومي)

أجِدْكَ! مَا وَضِلُ الْعَوَانِي بِمُطْمَعٍ، وَلَا الْقَلْبُ مِنْ رِقِّ الْعَوَانِي بِمُعْتَقٍ
أجِدْكَ (تعبير للقسم معناه: وحياتِكَ) ليس وصل الغواني مما يُطمع (يجعلني أطمع في الوصل)،
ولا القلب من رق (عبودية) الغواني (الحسان) بمعق (متحرر)

وَدِدْتُ بَيَاضَ السَّيْفِ، يَوْمَ لَقَيْتَنِي، مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ كَانَ بِمَفْرَقِي
لبت بياض صفحة السيف - يوم لقيتني الحسان - كان بمفرق رأسي بدلاً من بياض الشيب

وَصَدَّ الْعَوَانِي عِنْدَ إِيْمَاضِ لِمَتِي وَقَصَّرَنَ عَنْ: «لَبَيْكَ» سَاعَةً مَنُطْقِي
صدت النساء عني عند إيماض (إشراق) لمتي (شعري) بياض الشيب،
ولم يعدن يقلن لبيك عندما أكلهن

إِذَا شِئْتَ أَلَّا تَعْدِلَ، الدَّهْرَ، عَاشِقًا عَلَى كَمَدٍ مِنْ لَوْعَةِ الْحُبِّ، فَاعْشَقِ
تعذل (تلوم)، الدهرَ (طول الزمن)، كمد (حزن)

٩٦ دمشق الجميلة

يمدح المتوكل عند قدومه إلى دمشق: (٢٤٤هـ)

الْعَيْشُ فِي لَيْلٍ دَارِيًا إِذَا بَرَدًا وَالرَّاحُ تَمْزُجُهَا بِالْمَاءِ مِنْ بَرَدَى
العيش الحقيقي إنما هو في ليل داريًا (قرية بغوطة دمشق) عندما يبرد الجو في هذا الليل، ونحن
في هذه الأثناء نمزج الخمر بماء بارد (نهر دمشق)

قُلْ لِلإِمَامِ الَّذِي عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ شَرْقًا وَغَرْبًا، فَمَا نُحْصِي لَهَا عَدَدًا:
الإمام: الخليفة المتوكل على الله، فواضله: خيراتُه (وهي في الأساس الأموال التي يجمعها له
جنوده وولاته بحد السيف من الفلاحين الفقراء ويوزعها على أعوانه وشعرائه بحمق)

اللَّهُ وَلَآكَ عَنْ عِلْمٍ خِلَافَتُهُ وَاللَّهُ أُعْطَاكَ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا
قل للمتوكل إن الله ولاه الخلافة عالمًا بقدرته عليها وحقه فيها

وَمَا بَعَثْتَ عِتَاقَ الْخَيْلِ فِي سَفَرٍ إِلَّا تَعَرَّفْتَ فِيهِ الْيُمْنَ وَالرَّشَدَا
عتاق الخيل (الخيال الأصيلة)، اليمن (البركة). ما أرسلت الخيل في سفر إلا وأنت تعرف أن في
السفر خيرًا

أَمَّا دِمَشْقُ فَقَدْ أَبَدَتْ مُحَاسِنَهَا وَقَدْ وَفَى لَكَ مُطَرِّيَهَا بِمَا وَعَدَا
أبدت دمشق محاسنها، ووفى لك مطريها (مادحها) بوعده. وكان القوم وصفوا للمتوكل جمال
دمشق، فها هو يتبين صدق وصفهم. وخطر للمتوكل أن يجعل دمشق عاصمته، ثم غير رأيه
إِذَا أَرَدَتْ مَلَأَتِ الْعَيْنَ مِنْ بَلَدٍ مُسْتَحْسَنِ، وَزَمَانٍ يُشْبِهُ الْبَلَدَا
ما أجمل المكان والزمان

يُمَسِّي السَّحَابُ عَلَى أَجْبَالِهَا فِرْقًا وَيُضْبِحُ النَّبْتُ فِي صَحْرَائِهَا بَدَا
الغيوم تسمى (تكون في المساء) متفرقة فوق جبالها، والنبات يصبح صباحاً وهو في صحراء دمشق
بدداً (متفرقاً). ذلك أن الغيوم تمطر وتجعل النبات ينمو في الصحراء

فَلَسْتُ تُبْصِرُ إِلَّا وَكِفًا خَضِلًا أَوْ يَانِعًا خَضِرًا، أَوْ طَائِرًا غَرْدَا
الواكف الخضل (المبتل الندى)، اليانع الخضر (الطري الأخضر). باختصار: الماء والخضرة والجمال

٩٧ أُنْبِيكَ عَنْ عَيْنِي وَطُولِ سَهَادِهَا

قال يذكر جارية له ماتت بدمشق:

أُنْبِيكَ عَنْ عَيْنِي، وَطُولِ سَهَادِهَا، وَحُرْقَةِ قَلْبِي بِالْجَوَى، وَاتَّقَادِهَا
أُنْبِيكَ (أخبرك) عن طول سهاد (سهر) عيني، وعن حرقة قلبي بالجوى (الهجران) واتقاد هذه الحرقة

وَأَنَّ الْهُمُومَ اعْتَدَنْ بَعْدَكَ مَضْجَعِي وَأَنْتِ الَّتِي وَكَّلْتَنِي بِاعْتِيَادِهَا
وأن الهموم اعتدن (أتين) بعد فراقك مضجعي (فراشي)، وأنت كنت حملتني الهموم في حياتك
لعشقي لك

٩٨ حيرت قلبي معك

يمدح الفتح بن خاقان ويعاتبه:

يُرِيبُنِي الشَّيْءُ نَأْتِي بِهِ وَأُكْبِرُ قُدْرَكَ أَنْ أَسْتَرِيبَا
يريبني (يجعلني مرتاباً متخوفاً) الشيء - الذي - تأتي به (تفعله)، ولكنني أجلك عن إبداء شكوكي
أَكْذَبُ ظَنِّي بِأَنْ قَدْ سَخِطْتَ وَمَا كُنْتُ أَعْهَدُ ظَنِّي كَذُوبَا
متحير البحري في الفتح بن خاقان، فهو لا يعرف لسخط الوزير سبباً؛ يكذب ظنه، ولكنه يعلم في
قرارة نفسه أن ظنه لا يكذبه

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطًا لَمْ أَكُنْ أَذُمُّ الزَّمَانَ وَأَشْكُو الْخُطُوبَا

سخطك عليّ هو السبب الوحيد لذمي الزمان وشكواي من الخطوب (المصائب)

وَلَا بُدَّ مِنْ لَوْمَةٍ أَنْتَحِيَّ عَلَيْكَ بِهَا، مَخِطًا أَوْ مُصِيبًا

ولا بد من لومة أنتحي عليك بها (أوجهها لك)،
سواء أصبت أم أخطأت، فأنت تحيرني

أُصْبِحُ وَرْدِي فِي سَاحَتَيْكَ طَرْقًا، وَمَرْعَايَ مَحَلًّا جَدِيدًا؟

أصبح وردي (مائي الذي أريدُه) في ساحتيك (يقصد: عندك) طَرْقًا (مكدرًا ملوثًا)، ويصبح مرعاي
الذي أرعى فيه لديك محللاً مجدداً؟

وَلَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ ذَنْبًا، لَمَّا تَخَالَجَنِي الشُّكُّ فِي أَنْ أُتُوبَا

لو عرفت ذنباً اقترفته لما تخالجني (داخلني) الشك في وجوب التوبة

سَأَصِيرُ حَتَّى أَلَاقِي رِضًا كَ، إِمَّا بَعِيدًا، وَإِمَّا قَرِيبًا

سيأتيني رضاك في النهاية أكان بعيداً عني أم قريباً مني. هذه من قصائد البحري
للفتح بن خاقان التي تخلط الاعتذار بالعتاب خلطاً طريفاً. وقد أعجب القدماء
بهذه القصائد، وعدها ابن المعتز من أجمل ما قيل في هذا الباب منذ اعتذارات
الناطقة للنعمان. ولم أر القدماء نوهوا بهذا الخلط بين الاعتذار والعتاب مع تأكيد
المحبة. فأجبت أن أكتب في هذا كلمة. والواقع أن قضية الخلط هذه موجودة
في غرضين آخرين - وفي قصائد أخرى للبحري - ذاك الغرضان هما المدح
والهجاء. تراه يمدح أحدهم فيخرج إلى العتاب، ومنه إلى لسعات هجاء لا
تخفى، كأنه يريد أن يذيقه بعض ما يمكن أن يصيبه إن هو تأخر في دفع
المستحقات. وهذا شأن بشري طبيعي. ترى الموظفة تدخل على مديرها بوجه
مختلط تصعب قراءته، وتقول له: يا سيد الكل، جئت أطرح السلام، ودائرتنا -
ما شاء الله - أحسن دائرة بوجودك. ودعك عن كل ما يقولون. يتدخل المدير
ويقول: وما هذا الذي يقولون؟ ومن هم؟ تقول له: لا، ليس له قيمة. أنا مثلاً،
صحيح أنني لم أنل ما أستحق من زيادة، ولكنني أعرف أنك تخطط على المدى
البعيد. هنا ينشغل عنها المدير بتفحص شاشته وصندوق رسائله، فتمضي إلى
القول: لقد رأيت أمس في الندوة عضو مجلس الإدارة فلاناً. وهو أيضاً يسمع
عما سماه نجاحات. لكنني أكدت له عدم وجود شيء كهذا. ملخص الأمر أن
تلك الموظفة تعطي مديرها موشحاً يخلط الطاعة بالتمرد، والمدح بالعتاب
بالتهديد. الناس فيهم كثير من هذا. ولا أقول الكرام من الناس. فالكرام
يكاشفون، ولا يسترون إلا ما يقدمونه من خير. والبحري لم يكن من كرام
الناس. كان جشعاً لا يشبع

٩٩ الحلال المخلوط

في العشق ضمن مدح للمتوكل:

عَادَةً بِتَّ أَحْمِلُ اللَّوْمَ فِيهَا، وَعَنَاءُ الْمُحِبِّ طَوْلُ الْمَلَامِ

أُنْتُتْ ثُمَّ دُكِّرَتْ فِيهَا ذُلٌّ - فَتَاةٌ رُوْدٌ، وَقَدْ غُلَامٌ

فيها من صفات الفتاة الرود (الناعمة) الدلال، ولها من الغلام قده الرشيقي. وكان بعض أهل ذلك الزمن في بغداد يحبون الفتاة التي ضمرت أكفاله فكانها غلام في قدها؛ أما قدماء الشعراء فكانوا يمدحون اكتناز العجيزة

وَلِحُسْنِ الْحَلَالِ فَضْلٌ، إِذَا مَا شَابَهُ، فِي الْعُيُونِ، ظَرْفُ الْحَرَامِ

الحلال يكون فيه فضل (زيادة) إذا شابه (اختلط به) قليل من الحرام الظريف

١٠٠ لست من أنداده

وقال في مدح المتوكل:

قَدْ قُلْتُ لِلْعَيْمِ الرُّكَّامِ، وَلَجَّ فِي إِبْرَاقِهِ وَأَلَحَّ فِي إِرْعَادِهِ

قلت للعيم المتراكم، وقد لجج (استمر) في إبراقه وألح في إرعاده

لَا تَعْرِضَنَّ لِجَعْفَرٍ مُتَشَبِّهًا بِنَدَى يَدَيْهِ، فَلَسْتُ مِنْ أُنْدَادِهِ

لا تعرضن (لا تعرض) لجعفر (للمتوكل) متشبهًا بكرم يديه، فلست نداء له

١٠١ واهب «البدر»

قال يمدح المتوكل:

تَنَاءَتْ دَارُ عُلُوَّةٍ، بَعْدَ قُرْبٍ، فَهَلْ رَكْبٌ يُبَلِّغُهَا السَّلَامَا؟

وَرُبَّتْ لَيْلَةٌ قَدْ بَتَّ أَسْقَى بِعَيْنَيْهَا وَكَفَّيْهَا الْمُدَامَا

ربت (رب)

قَطَعْنَا اللَّيْلَ، لَثَمًا وَاعْتِنَاقًا وَأَفْنَيْنَاهُ، ضَمًّا وَالتِّزَامَا

لثما (تقيلاً)، التزماً (معانقة)

لَئِنْ أَضْحَتْ مَحَلَّتُنَا عِرَاقًا مُشَرَّقَةً، وَجَلَّتْهَا شَامَا

الحلة والمحلة (المكان الذي يقيم به القوم)

فَلَمْ أُحْدِثْ لَهَا إِلَّا وَدَادًا، وَلَمْ أَرْدَدْ بِهَا إِلَّا غَرَامَا

خِلَافَةً جَعْفَرٍ عَدْلٌ وَأَمْنٌ وَجِلْمٌ لَمْ يَزَلْ يَسْعُ الْأَنَامَا

إِذَا وَهَبَ الْبُدُورَ رَأَيْتَ وَجْهًا تَخَالُ بِحُسْنِهِ الْبَدْرَ التَّمَامَا

البدور (أكياس النقود، وقيل البدره الواحدة ألف درهم). يمنح المال وهو مبتسم

عَنِّي أَنْ يُفَاخِرَ أَوْ يُسَامِيَ جَلِيلٌ أَنْ يُفَاخَرَ أَوْ يُسَامَى
 غني (مستغن) أن يفاخر أحداً أو أن يساميه (يعلو فوقه)، وهو جليل القدر عن أن يفاخره أحد أو
 يعلو عليه

١٠٢ الفتح يواجه الأسد

يمدح الفتح بن خاقان، ويذكر منازلته الأسد:

وَمَا نَقَمَ الْحُسَادُ إِلَّا أَصَالََةً لَدَيْكَ، وَفِعْلاً أَرِيحِيًّا مُهَذَّبًا
 ما نقم الحساد (اغتاظوا من) إلا أصالة لديك (رأياً ثاقباً)، وإلا فعلاً أريحياً (فيه انشراح للمعروف)
 مهذباً (متمدين حضارياً). والرجل المهذب في شعر القدماء هو الذي ليس فيه جفاء الأعراب، بل
 عنده إتيكيت السلوك الحضري

وَقَدْ جَرَّبُوا بِالْأَمْسِ مِنْكَ عَزِيمَةً فَضَلَّتْ بِهَا السَّيْفُ الْحُسَامَ الْمُجَرَّبَا

وقد رأوا بأعينهم مؤخراً عزيمة التي فضلت بها الحسام (تفوقت على السيف) المجرب

عَدَاةً لَقِيتَ اللَّيْثَ، وَاللَّيْثُ مُخِيرٌ يُحَدِّدُ نَاباً لِلْقَاءِ وَمِخْلَبَا

حدث هذا صبيحة لقائك الأسد وهو مخدر (قابع في خدره، مَحْيَا) يحدد ناباً (يشحد) نابه ومخلبه
 لهذا اللقاء

يُحَصِّنُهُ، مِنْ نَهْرٍ (نَيْزِكَ)، مَعْقِلٌ مَنِيْعٌ تَسَامَى غَابُهُ وَتَأَشَّبَا

كان يحصن الأسد معقل منيع (حصن حصين) هو عبارة عن نهر نيزك، وهذا الحصن تسامى
 (ارتفع) غابه (قصبه) وتأشب (صار منيعاً). ونهر نيزك قناة جرها المتوكل إلى منطقة الجير في
 سامراء. وكانت بها غابة كبيرة فيها الوحوش على أنواعها فيما يشبه حديقة حيوان. ونهر نيزك كان
 يصب في بركة ضخمة سرى البحري يصفها في قصيدة مشهورة (رقم ١٠٤ هنا)

إِذَا شَاءَ غَادَى عَانَةً، أَوْ عَدَا عَلَى عَقَائِلِ سِرْبٍ، أَوْ تَقْنَصَ رَبْرَبَا

إذا شاء هذا الأسد غادى (أغار صباحاً) عانة (سرباً من حمر الوحش)، أو عدا على (هاجم)
 عقائل سرب (إنائه)، أو تقنص (اصطاد) ربرباً (بقرة وحشية)

يَجْرُ إِلَى أَشْبَالِهِ كُلِّ شَارِقٍ عَيْبَطًا مَدْمَى، أَوْ رَمِيلاً مُخَضَّبَا

يجر الأسد إلى أشباله كل شارق (صباح) عيبطاً مدمى (ذبيحاً ملطخاً بدمه)، أو رميلاً مخضباً
 (ذبيحاً مرغاً بالرمل وملطخاً بدمه)

وَمَنْ يَبْغِ ظُلْمًا فِي حَرِيمِكَ يَنْصَرِفْ إِلَى تَلَفٍ، أَوْ يَتَّخِذَ حَزْبَانًا أَحْيَبَا

والذي يريد أن يظلم حريمك (من هم في جوارك وحرملك، أي هذه الحيوانات) يؤول إلى تلف
 (هلاك)، أو يتنهي (يرتد) بالخزي والخيبة

شَهِدْتُ لَقَدْ أَنْصَفْتَهُ يَوْمَ تَنْبَرِي لَهُ مُصْلِتًا عَضْبًا مِّنَ الْبَيْضِ مِقْضَبًا
أشهد أنك أنصفت الأسد (أعطيته جزاءه) عندما انبريت له مصلتاً عضباً (موجهاً سيفاً) من البيض
(السيف) مقضباً (ماضياً)

فَلَمْ أَرْ ضِرْعَامَيْنِ أَصْدَقَ مِنْكُمَا عِرَاكًا، إِذَا الْهَيَّابَةُ النَّكْسُ كَذَّبًا

لم أر أسدين أشد منكما عراكاً، في حين الهياة (الخواف الجبان) النكس (الدون من الرجال) يكذب إذ يتحدث عن شجاعة مزعومة. انتقد القدماء البحري على هذا البيت. وقالوا: الأجدر أن يقول: إن الشجاع يكذب وأما أنت أيها الفتح فأشجع من الشجاع؛ فأما القول إنك أشجع من الجبناء فليس فيه مدح. وأنا أرى أن البحري لا يقارن بل هو كمن يقول: أنت العظيم الشجاع، وليخسأ الجبناء. وجاء شيء كهذا كثيراً في شعر العرب

هَزِيرٌ مَشَى يَبْغِي هَزْبَرًا، وَأَغْلَبُ مِّنَ الْقَوْمِ يَغْشَى بَاسِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبًا

هزير (أسد) مشى يريد هزبراً مثله، وأغلب من الناس (ذو رقة غليظة/ ووصف العرب القدماء سادتهم بهذا الوصف) يغشى (يدهم) باسل الوجه (مكشر الوجه) أغلب (غليظ الرقة) و«الأغلب» من أسماء الأسد على كل حال

فَأَحْجَمَ، لَمَّا لَمْ يَجِدْ فَبِكَ مَطْمَعًا وَأَقْدَمَ، لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا

أحجم الأسد عندما وجد أنه لا سبيل للطمع في قهره، لكنه عاد فتقدم إذ لم يجد عنك مهرباً

فَلَمْ يُغْنِهِ، أَنْ كَرَّ نَحْوَكَ مُقْبِلًا وَلَمْ يُنْجِهِ، أَنْ حَادَ عَنْكَ مُنْكَبًا

فلم يفده تقدمه، ولا نجاه أن حاد (انحرف) عنك منكباً (متجنباً). وقد وضعنا فاصلة (،) في الشطر الأول، ومثلها في الثاني بغير حاجة ماسة يحوجها توصيل المعنى، لكننا أردنا أن ندلك على طريقة البحري في تقسيم أبياته. وكثيراً ما وضعنا أمثال هذه الفواصل لتكشف صنعة البحري في هذا التقسيم المتوازن المتناظر الجانبين. فكانه الخطاط محمد حسني، الذي كانت لوحاته آيات في التوازن و«التوزيع» بتعبير الخطاطين، فإذا نظرت إلى اللوحة عن بعد رأيت فيها هندسة تروق العين. ووصف بعض القدماء شعر البحري بأن تقسيماته أحسن من تقسيمات إقليدس

حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ، لَا عَزْمُكَ انْتَهَى وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ، وَلَا حَدَّهْ نَبَا

حملت عليه السيف (هجمت) فلا عزمك تراخي، ولا يدك رجعت بالخيبة، ولا حد السيف نبا (انحرف)

١٠٣ لِدَات أَبِي ثُمَّ لِدَاتِي

يفتخر ويمتاب قوماً من أهل بلده:

أُبْنِي! إِنِّي قَدْ نَضَوْتُ بَطَالَتِي فَتَحَسَّرْتُ، وَصَحَوْتُ مِنْ سَكْرَاتِي

يا بني! أنا نضوت (خلعت) بطالتي (عشي) فتحسرت (انحسرت وزالت)

نَظَرْتُ إِلَيَّ الْأَرْبَعُونَ فَأَصْرَخْتُ شَيْبِي، وَهَزَّتْ لِلْحُنُوقَانِي

نظرت إليّ الأربعون سنة (وهي عمري) فأصرخت شبيبي (جعلته يصرخ/ والشيب عند بعض شعرائنا القدامى يعلن عن نفسه بالصراخ)، وهزت هذه الأربعون للحنو قناتي (جعلت قامتني تهتز، وجعلتها محنية). كان الفرزدق قال: والشيب ينهض في الشباب كأنه/ ليل يصبح بجانيه نهار.. وللفرزدق في هذا «الصباح» عند النهار مسوغ إذ هو يلمح إلى صباح الديك في النهار، وصراخ «البحثري» من باب آخر، ولعله يقصد بأصرخت: أنجذت.. ولم نجد لها وجهاً

وَأَرَى لِدَاتِ أَبِي تَتَابَعُ كُثْرُهُمْ فَمَضَوْا، وَكَرَّ الدَّهْرُ نَحْوَ لِدَاتِي

وأرى لدات أبي (مجايليه/ المولودين وقت مولده) قد تتابع كثرم (أكثرهم) نحو الموت، وكر الدهر (هجم) نحو لداتي أنا

وَمِنْ الْأَقَارِبِ مَنْ يُسَرُّ بِمِيتَتِي سَفْهَاءَ، وَعِزُّ حَيَاتِهِمْ بِحَيَاتِي

من أقاربي من يسرون بموتي لأنهم سفهاء، فحياتي تجلب العز لهم

إِنْ أَبَقَ، أَوْ أَهْلِكَ، فَقَدْ نِلْتُ التِّي مَلَأَتْ صُدُورَ أَصَادِقِي وَعُدَاتِي

سواء أبقيت أم هلكت فإنني نلت الأمان التي ملأت صدور أصادقي (أصدقائي) بالسرور، وصدور عداتي (أعدائي) بالغضب

وَعَنِيْتُ، نَدَمَانَ الْخَلَائِفِ، نَابِهَا ذِكْرِي، وَنَاعِمَةَ بِهِمْ نَشْوَاتِي

غنيت (تمتعت) وأنا ندمان (نديم) الخلفاء (الخلفاء)، وذكرى نابه (صيتي منتشر)، ونشواتي (جلسات الخمر) ناعمة بهم (لذيذة مع الخلفاء) يقول: تمتعت وأنا نديم للخلفاء، أجالسهم على الخمر، وتمتعت بالشهرة

وَشَفَعْتُ فِي الْأَمْرِ الْجَلِيلِ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْجَلِيلِ، فَأَنْجَحُوا طَلَبَاتِي

وكنت أشفع للخلفاء في الأمر المهم بعد الأمر المهم، وأنجحوا طلباتي

وَصَنَعْتُ فِي الْعَرَبِ الصَّنَائِعَ عِنْدَهُمْ مِنْ رِفْدِ طُلَّابٍ، وَفَكَّ عُنَاةٍ

وصنعت الصنائع (حققت الخدمات) للعرب لدى الخلفاء، ومن ذلك رفق الطلاب (تزويد طالبي الحاجات) وفك العناة (إطلاق الأسرى). والعرب أيامئذ هم بدو الشام، ومنهم البحثري، وبدو العراق؛ وكانوا مستضعفين فقراء مع تغلب العنصر الفارسي ثم التركي في عاصمة الخلافة. وكانوا يقتتلون أو يتمردون على الدولة، ويتعرضون للأسر في الحاليتين. وعند شاعرنا وصف طيب لنزاعاتهم اخترنا منه قطعة على حرف العين (القصيد رقم ٩٢) هي من أجمل شعره وأكثره حرارة

جَدِّي الَّذِي رَفَعَ الْأَذَانَ (بِمَنْبِجٍ) وَأَقَامَ فِيهَا قِبْلَةَ الصَّلَاةِ

جدي هو الذي أدخل الإسلام في منبج (مدينة بشمال سوريا)، وأقام محراباً للصلاة يتجه للقبلة

١٠٤ وصف بركة المتوكل

يمدح المتوكل، ويصف البركة:

مِيلُوا إِلَى الدَّارِ مِنْ لَيْلَى نُحْيِيهَا نَعَمْ، وَنَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا
ميلوا (عرجوا) إلى الدار، دار ليلي نحييها، ونسألها عن بعض أهلها (عن ليلي التي رحلت عنها)

يَا دِمْنَةَ جَادِبَتْهَا الرِّيحُ بِهِجَّتَهَا تَبَيَّتْ تَنْشُرُهَا طَوْرًا، وَتَطْوِيهَا
يا دمنة (خربة) جاذبتها الريح بهجتها (أخذت الريح تشد بهجتها منها، فالريح تشد والدار تشد ويتجاذبان حتى فقدت الدار بهجتها)، والريح تنشر الرمل على آثار الدار الخربة ثم تطويه، فكأنها تنشر الديار ثم تطويها

قَدْ أَطْرُقَ الْعَادَةُ الْحَسَنَاءُ مُقْتَدِرًا عَلَى الشَّبَابِ، فَتُضَيِّنِي وَأُضِيئُهَا
قد أطرق العادة الحسنة (أزورها ليلاً)، وأنا ممتلئ بطاقة الشباب، فتضيئني (تستهويني) وأضيئها
فِي لَيْلَةٍ، لَا يَنَالُ الصُّبْحُ آخِرَهَا، عَلِقْتُ بِالرَّاحِ أَسْقَاهَا وَأَسْقِيهَا
لطول الليلة لا يكاد الصبح يصل بها إلى نهايتها؛ وأنا متعلق بالخمير، والمحبوبة تصب لي، وأنا أصب لها

عَاطَيْتُهَا غَضَّةَ الْأَطْرَافِ مُرْهَفَةً، شَرِبْتُ مِنْ يَدِهَا خَمْرًا، وَمِنْ فِيهَا
عاطيتها (أخذت وأعطيت الخمر) مع غضة الأطراف مرهفة (فتاة ناعمة الأطراف)،
كأنه ينظر بعين خياله إلى أصابعها وهي تناوله القدح)، وشربت الخمر من يدها،
ومن فمها أيضاً

يَا مَنْ رَأَى الْبِرْكََةَ الْحَسَنَاءَ رُؤْيُهَا، وَالْأَنَسَاتِ، إِذَا لَاحَتْ مَغَانِيهَا
يا من رأى البركة الحسنة رؤيتها (التي تحسن رؤيتها)، ورأى الفتيات، إذ بدت مغانيها (أماكنها)،
وقال بطرس البستاني إنه كان للجواري مقصورات للاغتسال حول البركة

بِحَسْبِهَا أَنَّهَا، مِنْ فَضْلِ رُؤْيِهَا، نَعْدُ وَاحِدَةً، وَالْبَحْرُ ثَانِيهَا
يكفي البركة أنها، لعلو منزلتها، تعتبر واحدة (الأولى)،
والبحر (نهر دجلة) يأتي ثانياً بعدها

مَا بَالُ دِجْلَةٍ كَالْغَيْرَى تُنَافِسُهَا فِي الْحُسْنِ طَوْرًا، وَأَطْوَارًا تُبَاهِيهَا؟
ما بال دجلة غيرى تنافسها في الحسن طويلاً، وأطواراً وتباهيها؟

أَمَّا رَأَتْ كَالِإِسْلَامِ يَكْلُوْهَا مِنْ أَنْ تُعَابَ، وَبَانِي الْمَجْدِ يَبْنِيهَا؟
ألم تر دجلة كالي (حامي) الإسلام يكلوها من أن يلحق بها عيب (ذلك هو المتوكل على الله)

كَأَنَّ جِنَّ سُلَيْمَانَ الَّذِينَ وَلُوا إِبْدَاعَهَا، فَأَدَقُّوا فِي مَعَانِيهَا
 كَانَ الْجَنِّ الَّذِينَ سُحِّرُوا لِسُلَيْمَانَ وَبَنُوا لَهُ الْقُصُورَ هُمُ الَّذِينَ وَلُوا (تَوَلَّوْا) إِنْشَاءَ الْبَرَكَةِ، فَأَدَقُّوا
 (تَفَنَّنُوا) فِي مَعَانِيهَا (فِي رَمُوزِهَا، فَهِيَ رَمَزُ لِعَظَمَةِ الْخَلِيفَةِ)

فَلَوْ تَمَرُّ بِهَا بِلَقَيْسٍ عَنْ عُرْضٍ قَالَتْ: هِيَ الصَّرْحُ، تَمْثِيلًا وَتَشْبِيهًا
 لو مرت الملكة بلقيس بالبركة عن عرض (من جانبها) لقاتل إن البركة هي الصرح
 (القصر الزجاجي الذي بناه سليمان). وكانت بلقيس ظنت أرضية البهو، عندما وردت
 على سليمان، مغمورة بالماء فرفعت طرف ثوبها، ولكن الأرض كانت من زجاج
 و... جافة

تَنْحَطُّ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مُعْجَلَةً كَالْخَيْلِ خَارِجَةً مِنْ حَبْلِ مُجْرِيهَا
 تنحط (تنصب هابطة) في البركة المياه وافدة من دجلة كأنها الوفود المعجلة (التي وراءها من
 يستعجلها)، وهي تشبه خيل السباق عندما تخرج متدفعة إذ يفلت الشخص الذي يجريها لها الحبل
 إيذاناً ببدء السباق

كَأَنَّمَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ، سَائِلَةٌ مِنْ السَّبَائِكِ، تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا
 كأن الفضة البيضاء - وهي سائلة من سبائكها عند الصائغ - تجري في قنوات المياه القادمة من
 دجلة إلى البركة

إِذَا عَلَتْهَا الصَّبَا أَبْدَتْ لَهَا حُبُكًا مِثْلَ الْجَوَاشِينِ، مَصْفُولًا حَوَاشِيهَا
 إذا مرت ريح الصبا فوق البركة أظهرت حبكاً (تموجات) مثل الجواشن (الدروع)
 التي صقلت حواشيها (أطرافها)، شبه سطح الماء المتموج بالدروع المنسوجة
 من حلقات الحديد

فَرَوْنَقُ الشَّمْسِ، أَحْيَانًا يَصَاحِكُهَا وَرَيْقُ الْغَيْثِ، أَحْيَانًا يُبَاكِبُهَا
 رونق الشمس (ضوءها) يصاحك البركة أحياناً وينعكس فوقها، وريق الغيث (أول المطر) أحياناً
 يباكيها (يقطر على سطحها فتستجيب لقطراته)

إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا لَيْلًا، حَسِبْتَ سَمَاءً رُكِبَتْ فِيهَا
 لا يَبْلُغُ السَّمَكُ الْمَحْضُورُ غَايَتَهَا لِبُعْدِ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا
 واسعة هذه البركة فلا يكاد السمك المحصور فيها يصل إلى آخرها. لست أعرف سرعة ذلك
 السمك ولا حيوته، على أن (الأغاني) يخبرنا أنه بلغ من اتساع هذه البركة أن كان المتوكل يعث
 بالشاعر الماجن أبي العبر فيأمر بأن يُقذف به بالمنجنق من شاطئ البركة فيقع فيها. لا بد أنها
 كانت كبيرة

يَعْمُنَ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مُجَنَّحَةٍ، كَالطَّيْرِ تَنْفُضُ فِي جَوْ حَوَافِيهَا

تعموم الأسماك ووسط جسمها مجنح بالزعانف، فكانها الطير التي تنفض في الجو خوافيها (ريشاتها)، وخوافيها حقها النصب بفتحة على الباء واضطر الشاعر. (كنت في نحو العشرين من العمر عندما عهد إليّ بإخراج الكتاب السنوي للجامعة، وكنت في السنة الثانية. وجدت صورة لفتاة من الخريجات، كانت الفتاة محجبة، فلما أخذت لها صورة لنشرها في الكتاب السنوي خلعت الحجاب. فإذا هي نور على نور. فكبرت الصورة وجعلتها في صفحة وحدها، وكتبت تحتها «طيف أأناني في المنام وقال... هيهات أن يخفي الحجاب جمالا». ومرت أربعون سنة. وجاءني الصديق خالد سليم، وهو لغوي مدقق، وأشدني هذا البيت. فابتهمت، فاستفسر. فقلت له: هذا البيت لي. وقصصت عليه قصته. ولم يترك القصة تمر كنادرة طريفة جاءته بعد أربعين سنة، فقال: «أن يخفي» حقها أن تكون «أن يخفي» بفتحة على الباء. فأفسد عليّ بيتي. على أنني أقول: المضارع الواوي واليائي أحمل نصبه الشعراء كثيراً، ويقع فيه المذيعون ليل نهار. وثمة بيت فيه معنى من أبدع المعاني وسأقص قصته: اجتمع الناس وفيهم أبو الشيص الشاعر ببغداد يتناشدون الأشعار. فإذا شاب في أخريات المجلس يشدهم، ومر في إنشاده بيت يصف فيه شعره: (تغاير الشعر فيه إذ سهرت له/ حتى ظننت قوافيه ستقتل)، فكان أبيات الشعر غار أحدها من الآخر وأصبحت كلمات القافية تقتل لكي تحل في مواضعها. عندما مر هذا البيت عقد أبو الشيص خنصره. ثم انفض المجلس. وعلق أحد الحاضرين: للآن ما دريت أعقد أبو الشيص خنصره لروعة البيت أم لأن الشاب المنشد لم ينصب كلمة (قوافيه) اضطراراً. وللآن لا ندري لم عقد أبو الشيص خنصره. لكننا ندري أن ذلك الشاعر الشاب كان أبا تمام

لَهُنَّ صَحْنٌ رَحِيبٌ فِي أَسَافِلِهَا إِذَا انْحَطَطْنَ، وَبَهُوَ فِي أَعَالِيهَا
للسمك صحن (قاع) واسع في أسفل البركة إذا انحططن (هبطن)، ولهن بهو (صالة) في الأعلى

صُورٌ إِلَى صُورَةِ الدُّلْفَيْنِ، يُؤْنِسُهَا مِنْهُ انْزِوَاءٌ بِعَيْنَيْهِ، يُوَارِيهَا
الأسماك صور (مائلات) تنظر بخوف إلى تمثال الدلفين بجانب البركة، ولكنها تطمئن إذ ترى عينيه منزويتين إلى الجهة الأخرى، فهذا الانزواء كأنه يوارى الأسماك عنه. كل الطبقات تصر على أنها (يوازها) بالزاي، وأنا أقرأ (يوارها) بالراء. وقراءتي تجعل للبيت معنى جميلاً. وأما يوازها فليست بشيء. إذا لقينا البحر في جنة أو في نار فسوف نسأله أي الوجهين يختار، ويغلب على ظني أنه سيقول: أنستني أهوال الموقف كل شعري

تَغْنَى بَسَاتِينُهَا الْقُصْوَى، بِرُؤْيَيْهَا، عَنِ السَّحَائِبِ مُنَحَلًّا عَزَالِيهَا

تغنى (تستغني) بساتين البركة القصوى (البعيدة) بمجرد رؤيتها للبركة عن الغيوم التي انحلت عزاليها (العزالي: فتحات القرب السفلية، فإذا أرادوا إفراغ القربة من مائها لملئها بماء جديد فكوا فمها، وفكوا عزلاتها، فينزل الماء من العزلة سريعاً) مرة أخرى بعضهم أراد بدل (برؤيتها) (برؤيتها). أي أن البركة تروي البساتين البعيدة. وهذا ليس شعراً بل زراعة وبستنة. فأما أن تكون البساتين - البعيدة - تكتفي بمجرد رؤية البركة وتستغني عن المطر فهذا، أي نعم، شعر

كَأَنَّهَا حِينَ لَجَّتْ فِي تَدْفُقِهَا يَدُ الْخَلِيفَةِ، لَمَّا سَالَ وَادِيهَا

قنوات البركة عندما لجت (تلاطمت) متدفقة بالمياه كأنها يد الخليفة المتدفقة بالمال

وَزَادَهَا زِينَةً، مِنْ بَعْدِ زِينَتِهَا، أَنَّ اسْمَهُ، حِينَ يُدْعَى، مِنْ أَسَامِيهَا
زاد القنوات جمالاً فوق جمالها أن اسم الخليفة هو بعض أسمائها (واسمه جعفر، وجعفر بعض
أسماء الجدول، ومعنى جعفر «النهر الصغير»)

مَحْفُوفَةٌ بِرِيَاضٍ، لَا تَزَالُ تَرَى رِيشَ الطَّوَاوِيسِ تَحْكِيهِ وَيَحْكِيهَا

البركة محفوفة (محاطة) برياض. وأنت ترى ريش الطواويس فتجده يحكيها (يشبهها)

إِذَا مَسَاعِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَدَتْ لِلْمَوَاصِفِينَ، فَلَا وَصْفَ يُدَانِيهَا

مساعي (أمجاد)

إِنَّ الْخِلَافَةَ، لَمَّا افْتَرَزَ مِنْبَرُهَا بِجَعْفَرٍ، أُعْطِيَتْ أَقْصَى أَمَانِيهَا

بتولي جعفر الخلافة نال هذا المنصب كل ما يتمنى من عز وقوة

أَبْدَى التَّوَاضُعَ لَمَّا نَالَهَا، رِعَةً مِنْهُ، وَنَالَتُهُ فَاخْتَالَتَ بِهِ نِيهَا

لما نال جعفر المتوكل على الله الخلافة أبدى التواضع رعة (ورعاً وتقوى)؛ وأما الخلافة فعندما
نالت جعفرًا اختالت (تكبرت) نيتها (غروراً)

مَا ضَبَّعَ اللَّهُ، فِي بَدْوٍ وَلَا حَضَرٍ، رَعِيَّةً أَنْتَ، بِالْإِحْسَانِ، رَاعِيهَا

وَأُمَّةٍ كَانَ قُبْحُ الْجَوْرِ يُسْخِطُهَا دَهْرًا، فَأَصْبَحَ حُسْنُ الْعَدْلِ يُرْضِيهَا

رب أمّة كان الجور (الظلم) يفضيها، أصبحت راضية بذلك. وقبل المتوكل كان أخوه الواثق
شديداً، وكان كثير الإهانة للمتوكل، بل كان يأمر الوزير ابن الزيات بتوبيخه، وجاء المتوكل فقتل
ابن الزيات بعد بضعة أشهر تعذيباً، ورجع عن سياسة أخيه في مسألة خلق القرآن فاستراح أهل
السنة. ولكنه شدد على الطالبين فامتعض الشيعة من حكمه. وفي أيام المتوكل كان الشعراء
يقدحون في أخيه الواثق والمتوكل راضٍ مسرور (علي بن الجهم: أنا المتوكل هوى ورأياً وما
بالواقعية من خفاء).

مَا زِلْتُ تُرْجَى لِعَافِيَا، فَكَيْفَ وَقَدْ قَابَلْتَنَا وَلَكَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا؟

كنت رجاء لعافينا (فقيرنا) يرجوك رجاءً قبل الخلافة، فكيف الآن وأنت تقابلنا ولك الدنيا وما
فيها؟ «قابلتنا» هذه قلقة، وأحسن منها (أتيتنا) لو كان قالها، لكن لم ترد لا عند الصيرفي ولا
الجوانب ولا البرقوقي

أَعْطَاكَهَا اللَّهُ عَنْ حَقِّ رَأَاكَ لَهُ أَهْلًا، وَأَنْتَ بِحَقِّ اللَّهِ تُعْطِيهَا

أعطاك الله الدنيا (متاع الدنيا والأموال) وهي حق لك، وأنت أهل له، وأنت تمنح الأموال للناس
بالحق

١٠٥ فساد العمال

قال في رجل كان يتولى بريد الرقة واسمه نهشل:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَمَّا غِيَاثُ نُؤْمَلُهُ؛ فَقَدْ طَالَ الْقُنُوطُ؟

غياث (إعانة)

أَبَى عُمَّالُنَا إِلَّا فُسُوقاً لِكُلِّ مِنْ أَحْبَبَتْهُمْ شُرُوطُ

المقربون للولاة يشترطون.. وشروطهم واضحة من البيت التالي..

فَمِنْ وَالٍ يُلَاطُ بِهِ فَتَحْزَى رَعِيَّتُهُ، وَمِنْ وَالٍ يَلُوطُ

تخزي (يصيبها العار). وكان اللواط في ذلك الزمن منتشرًا

وكان مجتمع الطبقة الحاكمة متساهلاً بشأنه

١٠٦ إما عدل وإما عفو

يمدح المتوكل:

شَرَفًا بَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّ أَبَاكُمْ عَمُّ النَّبِيِّ وَعِيْضُهُ الْمُتَفَرِّعُ

فلتشرّفوا شرفاً يا بني العباس، فأبوكم (جدكم الأعلى) هو عم النبي، وعيْضه (شجرته العظيمة) المتفرع، أي العالي. يقصد أن العباس من «أصول» النبي، والعم من الأصول. سيقول شوقي بعد ألف سنة (شرفاً أبا العباس، هذا مُلْكُ مصرَ وذي خزائنه، وذلك دَسْتُه) في مدح الخديوي توفيق، وكان شوقي من المفتونين بالبحثري

وَأَرَى الْخِلَافَةَ، وَهِيَ أَعْظَمُ رُتْبَةٍ، حَقًّا لَكُمْ، وَوِرَاثَةً مَا تُنْزِعُ

الخلافة حق لكم بالوراثة. وكان الشعراء في عهد هارون الرشيد قد استنفدوا هذا المعنى وقرروا أن بني العم أحق بالوراثة من بني البنت؛ أي أن العباسيين، بني العباس عم النبي، أولى بالخلافة من العلويين أبناء بنت الرسول فاطمة (مروان بن أبي حفصة: أنى يكون وليس ذاك بكائن/ لبني البنات وراثة الأعمام). وهذه مساهمة بسيطة من البحثري، رغم ما قيل من أنه كان يميل شيئاً ما إلى آل البيت. إن كان مؤسفاً أن يدور نقاش كهذا في عصر زاهر كالعصر العباسي، فاقراً ما يكتبه شبابنا الناهض في منتديات الإنترنت عن حق الخلافة بين الشيعة والسنة واستحمد العصر العباسي وتغفر له سيئاته؛ اقرأ الشتائم التي يتبادلها أبناء الطوائف والأديان، واقرأ وراءها كمية الحقد الدفين

مَا زَالَ لِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ مَوْئِلٌ أَوْيَ إِلَيْهِ مِنَ الْخُطُوبِ، وَمَفْزَعُ

ما زال لي من حسن رأيك (مواضع) موئل (ملاجاً) من المصائب، ومفزع (ملجأ)

فَعَلَامَ أَنْكَرْتَ الصَّدِيقَ، وَأَقْبَلْتَ نَحْوِي رِكَابَ الْكَاشِحِينَ تَطْلَعُ؟

فلماذا أنكرت من هو لك صديق، وجاءتني ركاب الكاشحين
(وفود المبطنى العداوة) يتطلعون إليّ بشماتة

وَأَقَامَ يَطْمَعُ فِي تَهْضُمِ جَانِبِي مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ فِيهِ يَطْمَعُ؟

وأقام (صار) يطمع في تهضم جانبي (انتقاص حقي) من لم يكن يجرو على ذلك وأنت عليّ راضٍ

إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ، فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ، فَعَفْوُكَ أَوْسَعُ

إن لم يكن لي ذنب فعذلك واسع، وإن كان لي ذنب عفوك أوسع. استشهد ابن زيدون في رسالته الجدية بهذا البيت. وسترانا في كتب خمسة نورد فيها زبدة الشعر العربي لا نلتفت إلى الأندلس. كانوا مقلدين. ويجعل الأكاديميون في زمننا ابن زيدون على رأس شعراء الأندلس، وقد لزمناه مدة، وخلصنا إلى أنه مقلد، وله فلتات قليلات كقوله (يقرع السن على أن لم يكن.. زاد في تلك الخطى إذ ودعك) أي أنه نادم لأنه لم يسر مع المحبوب خطوات إضافية ساعة الوداع. وقصيدته التي لا تمل كتب المدارس من تعذيب الطلبة بها (أضحى الثنائي) ليست سوى تمرين في التناظر النصفى.. فكل شطر قد حلف يميناً بالله أن يكون عكس الشطر المقابل له.. شيء يغني النفس. هذا شيء ليس بحسن، ولا حتى في الزخرفة. لأمر ما أحب ابن زيدون هذا البيت المتناظر نصفياً للبحري. وعند أبي عبادة كثير من التقسيم.. لكنه خفيف على القلب

١٠٧ المتوكل القتيل

قال يرثي المتوكل:

مَحَلٌّ عَلَى (الْقَاطُولِ) أَخْلَقَ دَائِرُهُ وَعَادَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ جَيْشاً تُغَاوِرُهُ

هذا الموقع على نهر القاطول (قصر الجعفري الذي فيه قتل المتوكل) قد أخلق (بلي) دائره (ما دثر وتهدم من بنائه)، وعادت صروف (مصائب) الزمن وكأنها جيش يغاوره (يشن الغارات عليه). اضح من هذا المطلع أن رثاء المتوكل جاء بعد مدة طويلة من قتله، فالقصر متهدم. وفي هذه المدة مات المنتصر ابن الخليفة الذي تأمر على أبيه، وزال الخطر عن البحري. وأما ما قاله بعض النقاد (ثعلب)، ونقلنا كلامه من زهر الآداب) من أن البحري «صرح تصريح من أذهلته المصائب عن تخوف العواقب» فلا يستقيم مع ما عُرف عن البحري من جبن. والأمثل أن البحري قال الرثاء الحار ضمن هذه القصيدة يوم مقتل المتوكل أملاً أن يتولى المعتز الخلافة، ثم آل الأمر سريعاً إلى المنتصر، فحبس البحري القصيدة. وبعد زمن طويل أضاف إليها وصف أطلال قصر الجعفري، ثم أظهرها. ويقول زكي مبارك في «الموازنة بين الشعراء» إن البحري كان في قصيدته هذه «من أشجع الناس وأوفاهم..». ويورد كلمة ثعلب. أما الشجاعة فلم يذكرها أحد للبحري قبل زكي مبارك.. وأما الوفاء فنحب أن نورد عليك ما قاله شارل بللا في دائرة المعارف الإسلامية: «خلافاً لكل توقع لا يبدو أن البحري رثا أبا تمام الذي كان أول من شجعه، وكان أبرز من تعلم البحري على

يديه، وهذه أولى بوادر النكران والانتهازية؛ وسيقدم البحري لاحقاً الدليل الساطع عليهما. (ط ١٩٨٦ ليدن، ص ١٢٩٠، ج ١). ولعل المحصلة هي أن البحري لحق به الغم بعد مقتل المتوكل فحج البيت، ثم عاد سريعاً ليمدح ابنه، المتأمر على قتله، المنتصر. ومات المنتصر بعد ستة أشهر من مقتل أبيه. وروى الصولي في أخبار البحري أنه سأل ابن المعتز: أكان البحري يجسر أن يقول لما قتل المتوكل في يوم المنتصر: لنعم الدم المسفوك. (وروى ثلاثة أبيات) فقال [ابن المعتز]: إنما عمل هذه الأشعار في أيام المعتز، يتقرب بها إليه. «وملاحظة الصيرفي محقق الديوان مهمة إذ يقول: «والأبيات التي ذكرت هنا فيها حرارة متصلة بالحرارة التي تصدر القصيدة كلها. ولو كان قد نظمها في أيام المعتز لفترت حرارتها. «إن كافة الأدلة موجودة في كلمات القصيدة، وكلما أمعن المرء فيها استخرج براهين جديدة على الأوقات التي نظمت فيها شذراتها

كَأَنَّ الصَّبَا تُوْفِي نُدُورًا إِذَا انْبَرَتْ تَرَاوِحُهُ أَذْيَالُهَا وَتَبَاكِرُهُ
ريح الصبا، التي تمر على هذا الموقع مرة بعد مرة، مصممة على تهديمه، فكانها توفي نذراً نذرته بأن تُخَرَّبَ القصر، وأذْيَالُ هذه الريح تراوح القصر وتباكره (تأتيه بكرة وعشياً)

وَرُبَّ زَمَانٍ نَاعِمٍ ثُمَّ عَهْدُهُ تَرَقُّ حَوَاشِيهِ، وَيُونِقُ نَاصِرُهُ
ورب زمان ناعم (رغد) ثم (هناك) كان عهده، وكان زماناً ترق حواشيه (تهناً أيامه) ويونق ناصره (تسر القلب نضارته)

تَغَيَّرَ حُسْنُ الْجَعْفَرِيِّ، وَأَنَسُهُ وَقُوضَ بَادِي الْجَعْفَرِيِّ، وَحَاضِرُهُ
انقلب حال قصر الجعفري، وتقوض (انهدم) بادية وحاضره (أي كل شيء فيه). البدو والحضر هم كل الناس بحسب مفهوم ذلك الزمان. فإذا قلت البادي والحاضر فكأنك تقول الأخضر واليابس، أي كل شيء، ومن أتى بالتقيضين فقد شَمَلَ

تَحَمَّلَ عَنْهُ سَاكِنُوهُ فُجَاءَةً فَعَادَتْ سَوَاءَ دُورُهُ وَمَقَابِرُهُ
تحمل (رحل) ساكنو القصر فجأة بعد مقتل المتوكل، فأصبحت سواء (متساوية) الدور والمقابر فيه

إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَّ لَنَا الْأَسَى وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَبْهَجُ زَائِرُهُ
إذا زرناه الآن أجدّ (جدد) لنا الأسى (الحزن)، وكان في أيام عزه يهَج (يتنهج) زائره

وَلَمْ أُنْسَ وَخَشَ الْقَصْرَ إِذْ رِيعَ سِرُّهُ وَإِذْ ذُعِرَتْ أَطْلَاؤُهُ وَجَاذَرُهُ
لم أنس الوحوش هناك إذ ريع سربها (أخيفت ففترت)، وإذ ذعرت الأطلاء (صغار الطباء) والجاذر (صغار المها). وقيل إن ذلك الموضع كان فيه شبه حديقة حيوان، وكان فيها من كل الحيوانات حتى الأسود. ولا أرى تفسيراً للبيت غير ما فسرت

وَإِذْ صَبِيحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهَتَّكَتْ، عَلَى عَجَلٍ، أَسْتَارُهُ وَسَرَائِرُهُ

لم أنس عندما صاح القوم بالرحيل، فهتكت (خلعت) بسرعة الستائر، وما كان أكثرها في الجعفري، لحجب النساء، وسرائره (ما يخفيه من أسرار) هتكت أيضاً. وقال لنا بعض المؤرخين إن المتوكل كان لديه أربعة آلاف جارية، وزادوا بأنه وطهن كلهن

وَوَحْشَتُهُ، حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يُقِمَّ بِهِ أُنَيْسٌ، وَلَمْ تَحْسُنْ لِعَيْنٍ مَنَاطِرُهُ

وَلَمْ أُنْسَ وَحْشَةَ الْقَصْرِ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَزْلاً لِلأُنَيْسِ (البشر)، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَطَّ جَمِلاً

كَأَنَّ لَمْ تَبْتَ فِيهِ الْخَلَاةُ طَلَقَةً بِشَاشَتِهَا، وَالْمُلْكُ يُشْرِقُ زَاهِرُهُ

وَكَانَ الْخَلَاةُ لَمْ تَكُنْ مَقِيمةً فِيهِ طَلَقَةً (سعيدة) ذات بشاشة، وَالْمُلْكُ زَاهِراً

وَلَمْ تَجْمَعِ الدُّنْيَا إِلَيْهِ بِهَاءِهَا وَبَهْجَتِهَا، وَالْعَيْشُ غَضٌّ مَكَاسِرُهُ

وَكَانَ جَمَالُ الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ يَجْتَمِعُ فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ، هَذَا عِنْدَمَا كَانَ الزَّمَانُ غَضُّ الْمَكْسَرِ (طري العود/أي كان زمناً حلواً). بِالطَّبِيعِ، كَانَ الْخَرَاஜُ يَجْبَى مِنَ الْفَلَاحِينَ فِي الْبِلَادِ وَيُصَبُّ فِي حُضْنِ الْخَلِيفَةِ لِيُنْفِقَ عَلَى نِسَائِهِ وَشِعْرَانِهِ. كَانَتْ حَقّاً تَجْمَعُ الدُّنْيَا لِنَتِصَبِّ فِي الْجَعْفَرِيِّ. وَإِذَا بَدَتْ لَكَ عَزِيزِي الْقَارِئُ هَذِهِ الْمَلَاخِظَةُ اشْتِرَاكِيَّةً فَاسْمَعِ الْجَوَاهِرِي، وَكَانَ شُيُوعِيّاً، يَتَوَجَّعُ لِلْجَعْفَرِيِّ عِنْدَمَا زَارَ أَطْلَالَ: (وَلَقَدْ شَجَّنِي عِبْرَةُ رُقْرُقَةِ/حَيْرَانَةٍ فِي الْعَيْنِ عِنْدَ دُخُولِهِ). عَلَى أَنَّنَا لَا نَحَاكُمُ عَصراً بِمَعَايِيرِ عَصَرِ آخِرِ

فَأَيْنَ الْحِجَابُ الصَّعْبُ حَيْثُ تَمَنَعْتُ بِهِيَبَتِهَا أَبْوَابُهُ وَمَقَاصِرُهُ؟

أَيْنَ الْحِجَابُ الصَّعْبُ (مَنْعَ الْقَاصِدِينَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَّا بِإِذْنٍ شَدِيدٍ)؟، وَكَانَ هَذَا الْحِجَابُ يَسْبِغُ عَلَى أَبْوَابِ الْقَصْرِ وَمَقَاصِرِهِ (غُرَفِهِ) هِيئةً كَبِيرَةً

وَأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فِي كُلِّ نَوْبَةٍ تَنْوُبُ، وَنَاهِي الدَّهْرِ فِيهِمْ وَأَمْرُهُ؟

وَأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ (مَرْجِعُهُمْ) فِي كُلِّ نَوْبَةٍ (مَشْكَالَةٍ) تَنْوِبُهُمْ (تَعْرِضُ لَهُمْ)، وَالَّذِي كَانَ يَنْهَى وَيَأْمُرُ الزَّمْنَ، فَيُطِيعُهُ الزَّمَنُ؟

تَخْفَى لَهُ مُغْتَالُهُ تَحْتَ غِرَّةٍ، وَأَوَّلَى لِمَنْ يَغْتَالُهُ لَوْ يُجَاهِرُهُ

تَخْفَى لَهُ مُغْتَالُهُ تَحْتَ غُرَّةٍ (خُدْعَةٍ)، وَأَوَّلَى بِالْقَاتِلِ أَنْ يَكُونَ شَجَاعاً فَيُجَاهِرُ الْخَلِيفَةَ وَيَنَازِلُهُ وَلَا يَتَأَمَّرُ. أَبَا عِبَادَةَ! إِذْنُ لَا يَعُودُ هَذَا اغْتِيَالاً!

فَمَا قَاتَلْتُ عَنْهُ الْمُنُونُ جُنُودُهُ وَلَا دَافَعْتُ أَمْلَاكُهُ وَذَخَائِرُهُ

لَمْ تَتَصَدَّ جُنُودُ الْخَلِيفَةِ لِلْمُنُونِ (الْمَوْتِ) دِفَاعاً عَنْهُ، وَلَا دَافَعْتُ عَنْهُ مَمْلَكَاتِهِ وَكُنُوزَهُ

وَلَا نَصَرَ الْمُعْتَرِّ مَنْ كَانَ يُرْتَجَى لَهُ؛ وَعَزَّيْزُ الْقَوْمِ مَنْ عَزَّ نَاصِرُهُ

وَلَمْ يَنْصُرِ الْأَمِيرَ الْمُعْتَرِّ ابْنَ الْمُتَوَكَّلِ مَنْ كَانَ يَرْتَجَى أَنْ يَنْصُرَهُ، (وَلِلَّذَلِكَ فَازَ الْمُتَنَصِّرُ ابْنَهُ الْآخَرَ بِالْخَلَاةِ، ثُمَّ عَزَلَ أَخُوهُ الْمُعْتَرِّ وَالْمُؤَيَّدَ عَنِ الْوَلَايَةِ الْعَهْدِ؛ وَالْعَزِيزُ هُوَ مَنْ يَجِدُ لَهُ سِنْدًا قَوِيًّا

تَعَرَّضَ رَبُّبُ الدَّهْرِ مِنْ دُونِ «فَتْحِهِ» وَغُيِّبَ عَنْهُ فِي خُرَاسَانَ «طَاهِرُهُ»

اعْتَرَضَ رَبِّبُ الدَّهْرِ (الْمُصِيبَةُ) لِفَتْحِهِ (الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ وَزِيرَ الْمُتَوَكَّلِ الَّذِي قَتَلَ مَعَهُ)، وَكَانَ قَائِدَهُ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ غَائِباً فِي خُرَاسَانَ

وَلَوْ عَاشَ مَيِّتٌ، أَوْ تَقَرَّبَ نَازِحٌ لَدَارَتْ مِنَ الْمَكْرُوهِ نَمَّ دَوَائِرُهُ

ولو عاش له الفتى، أو كان طاهر قريباً، لكنت الدوائر دارت ثم (هناك) على المعتدين

وَلَوْ لِعُبِيدِ اللَّهِ عَوْنٌ عَلَيْهِمْ لَصَاقَتْ عَلَى وَرَادٍ أَمْرِ مَصَادِرُهُ

ولو وجد عبيد الله، أخو الفتى، أنصاراً لصاقت على المهاجمين الواردين طريق الصدور (العودة) بعد تنفيذ خطتهم

حُلُومٌ أَضَلَّتْهَا الْأَمَانِي، وَمُدَّةٌ تَنَاهَتْ، وَحَنَفٌ أَوْشَكْتُهُ مَقَادِرُهُ

حلوم (عقول) أضلتها الأماني، فكل ما قلت في الآيات السابقة أمانيات مستحيلة؛ هذا أجل نحقق وغمر وصل متناه، وحنف (موت) أوشكته مقاديره (أسرعت به أقذاره). التسويد من أحمد عبد الرحيم، وكتب: «هذا بيت قصيد القصيدة»

وَمُتَّصَبٌ لِلْقَتْلِ لَمْ يُخْشَ رَهْطُهُ وَلَمْ يُحْتَشَمْ أَسْبَابُهُ وَأَوَاصِرُهُ

هذا الخليفة الذي قتل غضباً (بغير رضا الفقهاء ولا مشورة أحد) لم يخش قاتلوه رهطه (قومه) ولم يحتشموا (يراعوا) أسبابه (مرجعيتيه وأحققيته) وأواصره (أقاربه). وزراء وكبراء وقواد كثر قتلوا في العشرين سنة التي سبقت مقتل المتوكل وفي عشرات السنين التي تلتها، وكانت مؤسسة الخلافة حريصة دائماً على نيل صك فقهى بقتلهم، سواء برضا الفقهاء الحقيقي أم بختلهم. واضطر الخلفاء في عدة نوبات إلى قتل الكبراء بالعطش، يقدمون لهم الطعام الفاخر ويمنعونهم الماء، ويحرصون على ألا يظهر على الجنة أثر لتعذيب. وسيموت بالتعطيش ابن المتوكل المعتز بالله بعد سنوات قليلة. لعل البحري استعمل كلمة (مغتصب) ليشير إلى أن قتل المتوكل كان اغتصاباً وخروجاً عن مألوف

صَرِيحٌ تَقَاضَاهُ السُّيُوفُ حَشَاشَةً يَجُودُ بِهَا وَالْمَوْتُ حُمُرٌ أَظَافِرُهُ

صريح (ملقى أرضاً) تقاضاه السيوف حشاشة (تأخذ منه السيوف بقية روحه)، وهو يجود بروحه بينما الموت يطل عليه بأظافر حمر

أَدَافِعُ عَنْهُ بِالْيَدَيْنِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَشْنِي الْأَعَادِي أَعَزَلَ اللَّيْلِ حَاسِرُهُ

البحري هنا يتكلم عن نفسه، فقد حضر المقتلة. ويقول إنه دافع القتلة بيديه، ولكن لم يكن ليشيهم (يرددهم) رجل أعزل في تلك الليلة وحاسر (لا يلبس خوذة). قيل: بل اختبأ البحري خلف الباب

وَلَوْ كَانَ سَيْفِي سَاعَةَ الْقَتْلِ فِي يَدِي دَرَى الْقَاتِلُ الْعَجَلَانُ كَيْفَ أُسَاوِرُهُ

لو كان سيفي - يقول أبو عباد - في يدي ساعة قتلوا المتوكل لعرف القاتل المستعجل كيف أساوره (أوابه، وأبارزه)

حَرَامٌ عَلَى الرَّاحِ بَعْدَكَ، أَوْ أَرَى دَمًا بِدَمٍ يَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ مَائِرُهُ

أحرم على نفسي الراح (الخمر) بعدك، حتى أرى دم قاتلك يجري على الأرض مائره (المائر: المترقق) مقابل دمك

وَهَلْ أَرْتَجِي أَنْ يَطْلُبَ الدَّمَ وَاتِرٌ، يَدَ الدَّهْرِ؛ وَالْمَوْتُورُ بِالدَّمِ وَاتِرُهُ؟

وهيهات أن يطلب الدم واتر (قاتل) يد الدهر (طول الزمن)؛ والموتور (المطالب بالنار) في حالتنا هذه هو الواتر (القاتل)

أَكَانَ وَلِيَّ الْعَهْدِ أَضْمَرَ عَذْرَةً؟ فَمِنْ عَجَبٍ أَنْ وَلِيَّ الْعَهْدِ عَادِرُهُ

فهل كان ولي العهد (المنتصر) قد أضمر (بَيَّت) عذراً؟ وعجيب أن يوليَّ العهد من يغدر، سوّدنا هذا البيت، وإن لم نجد فيه معنى لافتاً، إكراماً لظه حسين الذي كان شديد الإعجاب به

فَلَا مُلِّيَ الْبَاقِي تَرَاثَ الَّذِي مَضَى وَلَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدُّعَاءَ مَنَابِرُهُ

فلا مُلِّيَ (استمتع) الباقي تراث من مضى، ولا حملت منابر الخطباء في المساجد الدعاء له، وكانوا يدعون في آخر خطبة الجمعة للخليفة. وفي هذه الآيات ما يبعث على الظن بأن البحترى قال الشعر في عهد المنتصر المتأمر على أبيه. ولعله قالها فعلاً قبل موت المنتصر، ثم بعدئذ أضاف إليها الآيات الأولى السابقة في وصف خراب القصر، ثم أذاع القصيدة في الناس بعد انقضاء عهد المنتصر

وَلَا وَآلَ الْمَشْكُوكُ فِيهِ، وَلَا نَجَا مِنْ السَّيْفِ نَاضِي السَّيْفِ، عَذْرَاءُ، وَشَاهِرُهُ

ولا وآل (نجا) المشكوك في أنه المجرم، ولا نجا من السيف من نضاه (سله) وشهره عذراً

لِنِعْمَ الدَّمُ الْمَسْفُوحُ لَيْلَةً جَعْفَرٍ هَرَقْتُمْ وَجُنَحَ اللَّيْلِ سُودٌ دِيَا جِرُهُ

نعم الدم دم الخليفة جعفر المتوكل الذي هرقتم (أرقتم) بينما جنح الليل سُود دياجره (ظلامه)

كَأَنَّكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا مَنْ وَلِيُّهُ وَنَاعِيهِ تَحْتَ الْمُرْهَفَاتِ وَثَائِرُهُ

كانكم لم تعلموا من ولي ذلك الدم (المطالب به)، ومن سينعاه في ظل السيوف المرهفة (الحادة) وثائره (الآخذ بثأره)

وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تُرَدَّ أُمُورُكُمْ إِلَى خَلْفٍ مِنْ شَخْصٍ لَا يُعَادِرُهُ

وأرجو أن يعود أمر الخلافة إلى امرئ يكون فعلاً خليفة للمتوكل لا يغادر خطه (يقصد ابنه المعتز الذي كان ولي عهد ثم خلعه المنتصر المتأمر)

مُقَلِّبٍ آرَاءٍ تُخَافُ أَنَاتُهُ إِذَا الْأَخْرَقُ الْعَجْلَانُ خِيَقَتْ بَوَادِرُهُ

هذا المرجو للخلافة متأن، ولكن أناته مرهوبة لما سيتمخض عنها من أفعال، وليس كالأخرق الذي يخاف المرء من بواده (غضباته). هذه الآيات الأخيرة تشي بأن أجزاء شتى من هذه القصيدة إنما قيلت بعد تولي المعتز. وكأن البحترى قصد إلى الإيهام بأنه قال القصيدة كلها بعيد مقتل المتوكل، ولكن شعره دل عليه

١٠٨ مدح القاتل

يمدح الخليفة المنتصر بالله:

وما أَنَسَ لَا أَنَسَ عَهْدَ الشَّبَابِ وَعَلَوَةَ إِذْ عَيَّرْتَنِي الْكِبَرَ
مهما نسيت فلن أنسى عهد الشباب وعلوة، إذ عيرتني بالتقدم في السن

وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْ - ن: إِمَّا الشَّبَابِ، وَإِمَّا الْعُمُرِ
في نهاية المطاف يجب على المرء أن يترك الشباب ويكبر، أو يترك العمر ويموت

حَجَجْنَا الْبَنِيَّةَ شُكْرًا لِمَا حَبَّانَا بِهِ اللَّهُ فِي الْمُنْتَصِرِ
حججنا البنية (الكعبة) شكرًا لما حبانا به الله في شخص «المنتصر» الخليفة

تَطَوَّلَ بِالْعَدْلِ لَمَّا قَضَى وَأَجْمَلَ فِي الْعَفْوِ لَمَّا قَدَّرَ
تطوّل (تفضل) بالعدل، وكان له عفو جميل عندما تمكن له الأمر

تَلَاقَى الرَّعِيَّةُ مِنْ فِتْنَةٍ أَظْلَهُمْ لَيْلَهَا الْمُعْتَكِرُ
جَنَّبَ النَّاسَ الْفِتْنَةَ الَّتِي أَظْلَهُمْ (خيم عليهم) ليلها المعتكر (الدامس). هذا بعد مقتل والده المتوكل. قال من شئت من المؤرخين إن للمنتصر اليد الطولى في تدبير قتل والده. كان أبوه المتوكل يقول له ساخرًا: (سميتك المنتصر وسماك الناس لحملك المنتظر، وصرت الآن المستعجل) يشير إلى أنه مستعجل موت أبيه لكي يخلفه

سَدَادٌ فَتَلَّتْ بِهِ يَوْمَذَا لَكَ حَبْلَ الْخِلَافَةِ حَتَّى اسْتَمَرَ
كان عندك سداد (حكمة) فتلت به حبل الخلافة حتى استمر (قوي)

وَسَطَّوْا نَبْتَ بِهِ قَائِمًا عَلَى كَاهِلِ الْمُلْكِ حَتَّى اسْتَقَرَّ
وعندك سطو (بطش) جعلك تثبت على كاهل (كتف) الملك حتى استقر. رأينا البحر ي بعد موت المنتصر (الذي مات بعد توليه بسة أشهر) يقول قصيدة طويلة يرثي بها المتوكل ويتهم المنتصر بالتآمر لقتله. مطلعها: (مَحَلٌّ عَلَى الْقَاطُولِ أَخْلَقَ دَائِرَةً/ وَعَادَتْ ضُرُوفُ الدَّهْرِ جَيْشًا تَغَاوَرَهُ). وقد اخترنا منها هنا قدرًا صالحًا، ووضعناها قبل هذه لأن الظن أنه قال قسمًا منها فور مقتل المتوكل ولكنه لم يظهرها إلا بعد موت المنتصر (انظر القصيدة ١٠٧)

١٠٩ لا سؤال ولا جواب

يمدح محمد بن عبد الله بن طاهر:

وَقَفْنَا عَلَى دَارِ الْبَخِيلَةِ فَانْبَرَتْ بَوَادِرُ قَدْ كَانَتْ بِهَا الْعَيْنُ تَبْخُلُ

وقفنا على دار المحبوبة التي كانت بخيلة بوصلها، فانبرت (خرجت) بواذر (بدايات الدموع) كانت العين بخيلة بها من قبل

فَلَمْ يَذَرِ رَسْمُ الدَّارِ كَيْفَ يُجِيبُنَا ، وَلَا نَحْنُ مِنْ فَرْطِ الْجَوَى كَيْفَ نَسْأَلُ

رسم الدار (بقايا الدار المهجورة)

١١٠ لا فائدة منك

قال لعلني بن يحيى الأرمني:

وَلَمْ أَرِ مِثْلِي قَيْدَ بِالْمَظَلِّ وَالْمُنَى وَلَا مِثْلَ نَفْسِي لِلدَّنِيئَةِ ذَلَّتْ

لم أر مثلي قيد (تم اقتياده) بالمظل (المماطلة) والأمانى،

ولا مثل نفسي التي ذلت للعطايا الدنيئة (القليلة)

وَقَدْ كَانَ عِنْدِي لِلصَّنِيعَةِ مَوْضِعٌ لَوْ أَنَّ سَمَاءَ مِنْ نَدَاكَ اسْتَهَلَّتْ

وقد كان عندي للصنعة موضع (كنت جديراً بوضع الإحسان عندي) لو أن سماء نذاك (كرمك)

استهلت (أمطرت)

تَرَكَّاكَ ، لَا يُبْكِي الرَّجَاءُ الَّذِي أَنْقَضَى وَلَا تُنْدِبُ الْآمَالُ حِينَ اضْمَحَلَّتْ

تركناك ونحن لا نبكي رجاءنا الذي مضى، ولا نندب (نتحسر على) الآمال التي اضمحلت

وَمَا فِيكَ لِلرَّكْبِ الْمُرْجَيْنِ مَرْعَبٌ فَتُلْقَى ، وَلَكِنَّ الرُّكَّائِبَ كَلَّتْ

وليس فيك للركب (المسافرين) الراجين للعطاء مرغب (رغبة) فيأتوا للقائك؛ ولكنهم

ظلوا مقيمين في بلدك لأن الركائب (الإبل) كلت (تعبت). فهم يستريحون فقط استعداداً

للمرحيل عنك. أخي القارئ لا تستطل الشرح، فوالله ما أركب الركافة والتطويل إلا من

أجلك؛ على أنني أقول لك: لا تقرأ الشرح إلا بعد أن تقرأ البيت مرة ومرة، فالشعر

والفصاحة موجودان في البيت، ولسنا نشرح هذا الشرح الفاضح المفصل إلا لتعزير

جمال الشعر في نفسك، ولنتنقلك من حال الاستمتاع بإيقاع البيت إلى حال الاستمتاع

بإيقاعه وبمعناه معاً. وكائن رأينا صاحباً يتغنى ببيت شعر، ويقول يا سلام! متعجباً من

جماله، وهو يفهم منه عكس ما أراد الشاعر. ولا بأس. لا بأس أن يترنم المرء

بما يريد أن يترنم به، وأن يطرب على طريقته مخطئاً أم مصيباً. على أن معاني الشعر

العربي القديم واضحة المعالم، وخير لنا ألا نغالي في القوة الإيحائية لللفظة

١١١ اشتغل بها عنهم

وقال يهجو الشاعر علي بن الجهم:

إِذَا مَا حُصِّلَتْ عَلِيًّا قُرَيْشٌ فَلَا فِي الْعِيرِ أَنْتَ وَلَا التَّنْفِيرِ

إذا ما حصلت (عُزِّلَتْ) عليا قریش (أي قریش العليا، وليس الفروع الأدنى منها) عندئذ لا نراك

في العير ولا في التنفير (لا شأن لك بالأمر). وعلي بن الجهم قرشي من بني سامة، وليسوا من

قریش العليا، وفي نسبهم بعض مغمز

لَأَيَّةِ حَالَةٍ تَهْجُرُ عَلِيًّا بِمَا لَفَّقَتْ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ؟
 وكان علي بن الجهم يطعن على علي بن أبي طالب وعلى العلويين في زمن المتوكل الذي عاضى
 العلويين

أَمَا لَكَ فِي اسْتِكَ الْوَجَعَاءِ شُغْلٌ يَكْفُكَ عَنْ أَذَى أَهْلِ الْقُبُورِ؟
 استك الوجعاء (الاست والوجعاء بمعنى، وكلاهما: فتحة الدبر). يهجو به بأنه يلاط به

١١٢ تفنن في التعذيب

يهجو علي بن الجهم:

يَا ثَقِيلاً عَلَى الْقُلُوبِ، إِذَا عَنَّ - لَهَا أَيْقَنْتَ بِطُولِ الْجِهَادِ
 أيها الثقيل على القلوب، الذي إذا عَنَّ (ذُكِر) أيقنت القلوب بطول الجهاد (المعاناة)

يَا رُكُودًا فِي يَوْمِ غَيْمٍ وَصَيْفٍ يَا وَجُوهَ الثُّجَارِ يَوْمَ الْكَسَادِ
 أنت مثل الركود (الجو القابض للنفس) في يوم غيم في فصل الصيف، وأنت مثل وجوه التجار في
 يوم الكساد

خَلَّ عَنَّا، فَإِنَّمَا أَنْتَ فِيْنَا وَأَوْ عَمَرُوْهُ أَوْ كَالْحَدِيثِ الْمُعَادِ
 «افرقنا» يا هذا، فأنت لا قيمة لك كحرف الواو غير المنطوق في كلمة «عمرو»،
 أو كالحديث المكرر

أَمْضِ، فِي غَيْرِ صُحْبَةِ اللَّهِ مَا عِشْتُ، مُلَقِّئِي فِي كُلِّ فِجٍّ وَوَادٍ
 اذهب ولا صحبتك سلامة الله طول عمرك، ولتكن ملقئ (منكوباً) في كل فج (طريق) وواد

يَتَخَطَّى بِكَ الْمَهَامَةَ وَالْبَيْدَ لَدَلِيلٍ أَعْمَى كَثِيرُ الرُّقَادِ
 وليصحبك في المهامة (الصحارى) دليل أعمى، كثير النوم والسهو. لم يكتف أن جعل دليله أعمى
 حتى جعله غافلاً لا يهتدي

خَلَفَكَ الثَّائِرُ الْمُصَمَّمُ بِالسَّيْفِ، وَرِجْلَاكَ فَوْقَ شَوْكِ الْقَتَادِ

وليكن خلفك طالباً رأسك ثائر (طالب ثار) يحمل سيفاً، ولتكن رجلاك فوق شوك القتاد
 الشوكي. هذا هجاء من لون نادر. فيه تقليل شأن، وفيه اشمئزاز من المهجو،
 وفيه دعاء عليه مبالغ فيه كثيراً بقصد السخرية، وفيه تصوير كثير وفن. وعلي بن
 الجهم رجل فيه صلف، وكان شاعراً مهمماً ومقلداً معاصراً للبحتري، ومزاحماً له عند
 الممدوحين. وابن الجهم - على شاعريته القوية - كان رجلاً صلب الوجه (أي وقحاً)
 بحسب تعبير القدماء. وقد أخرج ديوانه خليل مردم بك، واخترنا منه أبياتاً كثيرة، في
 باب سابق في هذا الكتاب. وهو، بعد، صاحب (عيون المها بين الرصافة والجسر)

١١٣ تأليب

من قصيدة يمدح بها الخليفة المستعين، يهجو أحمد بن الخصب:

لَا بِنِ الْخَصْبِ الْوَيْلُ، كَيْفَ أَنْبَرَى بِإِفْكِهِ الْمُرْدِي وَإِبْطَالِهِ؟

الويل لأحمد بن الخصب كيف ظهر بإفكه (كذبه) المردي (الميمت) وإبطاله (تعطيله الخيرات). وكان ابن الخصب وزيراً للمتصر ثم للمستعين بعده، وسريعاً ما نكبه المستعين ونفاه إلى إقريطش (جزيرة كريت). وكان ابن الخصب وزيراً متجبراً كثير الشر، قيل: رفض رجلاً جاءه بشكوى في صدره فقتله

فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ زِقْمَةً غَيَّرَتِ النُّعْمَةَ مِنْ حَالِهِ

يَا نَاصِرَ الدِّينِ! انْتَصِرْ مُوشِكَاً مِنْ كَائِدِ الدِّينِ وَمُغْتَالِهِ

أيها المستعين انتصر (انتقم) موشكاً (مرعاً) من الذي يكيد للدين ويغتاله

فَهُوَ حَلَالُ الدِّمِّ وَالْمَالِ، إِنْ نَظَرْتَ فِي بَاطِنِ أَحْوَالِهِ

فدمه حلال وماله حلال للمصادرة إن تعمقت في باطنه، إذ يطن الغدر والفسق. تعليق أحمد عبد الرحيم: «أهذا شعر؟»

وَالرَّأْيُ كُلُّ الرَّأْيِ فِي قَتْلِهِ بِالسَّيْفِ، وَاسْتِصْفَاءِ أَمْوَالِهِ

والرأي الحصيف قتله واستصفاء (مصادرة) أمواله. نقل المرزباني في الموشح عن أحمد بن أبي طاهر بسند يطمئن إليه القلب: «ما رأيت أقل وفاء من البحري ولا أسقط، رأيت قائماً ينشد أحمد بن الخصب مدحاً له فيه، فحلف عليه ليجلسن، ثم وصله واسترضى له المنتصر وكان غضبان عليه... ثم نكّب المستعين أحمد ابن الخصب بعد هذا بشهور، فلعهدي به [بالبحري] قائماً ينشده: ما الغيث... كان ابن العليجة فقيهاً يفتي الخلفاء في قتل الناس، نزحه الله، ثم ختم القصيدة بقوله: والرأي كل الرأي في قتله...». تعليق أحمد عبد الرحيم على القصيدة: «قطعة لا جمال، ولا شعر فيها البتة!»

١١٤ أحلى من النوم والأمنيات

يمدح الخليفة المعز بالله:

أَيُّهَا الْأَمِيرِ بِتَرْكِ التَّصَابِي! رُمْتُ مِنِّي مَا لَيْسَ مِنْ إِمْكَانِي

وَنَدِيمِ نَبْهَتُهُ، وَدَجَى اللَّيْلِ لِي وَضُوءُ الصَّبَاحِ يَعْتَلِجَانِ

نبهت نديمي من نومه بينما عتمة الليل وضوء المصباح يعتلجان (يتصارعان)

قُمْ نَبَادِرْ بِهَا الصِّيَامَ، فَقَدْ أَفَ حَمَرَ ذَاكَ الْهَلَالَ مِنْ شَعْبَانَ
 قم نادر بها الصيام (نسابق بالخمير الصيام) فهلال شعبان صار قمراً، أي أن شعبان انتصف ولم
 يبق على رمضان سوى نصف شهر

بِنْتُ كَرَمٍ، يَذْنُو بِهَا مُرْهَفُ الْقَدِّ - غَرِيرُ الصَّبَا، خَضِيبُ الْبَنَانِ
 بنت كرم (خمرة) يقترب بها ليسقينا شخص مرهف القد (رشيق القوام) غرير الصبا (بريء لصفر
 السن) خضيب البنان (على رؤوس أصابعه الحناء) فهو إذن بنت

أَرْجَوَانِيَّةٌ، تُشَبِّهُ فِي الْكَأْسِ بِشُقَّاحٍ خَدَّهِ الْأَرْجَوَانِي
 الخمر أرجوانية (حمراء)

بَاتَ أَحْلَى لَدَيَّ مِنْ سِنَةِ النَّوْمِ، وَأَشْهَى مِنْ مُفْرِحَاتِ الْأَمَانِي
 بات الحبيب وهو أحلى عندي من سنة النوم (الإغفاء) ومن الأمانى المفرحة

١١٥ فما يكلم إلا حين يتسم

يمدح المعتز بالله:

لِلَّهِ مُعْتَمِدٌ عَلَى اللَّهِ اكْتَفَى بِاللَّهِ وَالرَّأْيِ الْأَصِيلِ الْأَوْثَقِ
 طَلَّقَ، فَإِنْ أَبْدَى الْعُبُوسَ تَطَاطَأَتْ شُوسُ الرَّجَالِ، وَخَفَضَتْ فِي الْمَنْطِقِ
 طلق (باسم) فإن عبس تطاطأت رؤوس شوس الرجال (الرجال ذوو النظرات الحادة الغاضبة)،
 وخفضوا أصواتهم لهية الخليفة

١١٦ خلف الدجاج

وقال يمدح المعتز، ويهجو المستعين (وكان المعتز يرى أن المستعين خرب
 الملك خراباً لا يتجبر بعده، وكان يحب أن يسمع ثلبه، وأدرك البحري ذلك فتقرب
 إلى المعتز به، وكان المعتز يذوق الشعر، ويرى في البحري زيادة في أبهة خلافته):

بَكَى الْمَنْبِرُ الشَّرْقِيُّ، إِذْ خَارَ فَوْقَهُ عَلَى النَّاسِ ثَوْرٌ، قَدْ تَذَلَّتْ عَبَاغِبُهُ
 بكى المنبر الشرقي (مركز الخلافة في بغداد أو سامراء) عندما خار (صوّت الثور، وصوته هو
 الخوار) من فوقه ثور تذلت غباغبه (جلدة ما تحت العنق في الثور)

ثَقِيلٌ عَلَى جَنْبِ الثَّرِيدِ، مُرَاقِبٌ لِشَخْصِ الْخَوَانِ يَبْتَدِي فَيَوَائِبُهُ

وهو ثقیل في جلوسه على الثريد، ويراقب الخوان (المائدة) يشغف ثم يبدأ فيوائبه (يصارعه).
 «يوائبه» كلمة جرّتها القافية، ولكنها تصنع صورة حلوة لرجل يأتي المائدة لكي يخوض مع طعامها
 مباراة مصارعة: يثب على الطعام، والطعام يثب عليه

إِذَا مَا احْتَشَى مِنْ حَاضِرِ الرَّادِّ لَمْ يُبَلِّ أَضَاءَ شَهَابِ الْمُلِكِ، أَمْ كُلَّ ثَاقِبِهِ

فإذا حشا جوفه من الطعام الحاضر أمامه لم يبل (لم يبال) أضاء شهاب الملك (ازدهرت الخلافة)
أَمْ كُلَّ ثَاقِبِهِ (أَمْ ضَعُفَ بَرِّقُهُ الثَّاقِبِ الْمُشْتَعِلِ)

وَلَمْ يَكُنِ الْمُعْتَرِّ بِاللَّهِ إِذْ سَرَى لِيُعْجِزَ، وَ(الْمُعْتَرِّ بِاللَّهِ) طَالِبُهُ

هذا المعتز بالله (الذي غره تأخر جزاء الله) لم يكن إذ سرى (مضى) في طريقه الموعج ليعجز الناس
عن إصلاح الأمر، خصوصاً وأن المعتز بالله يطلبه ويتعقبه

رَمَى بِالْقَضِيبِ عَنُودَهُ وَهُوَ صَاغِرٌ وَعُرِّيَ مِنْ بُرْدِ النَّبِيِّ مَنَاقِبُهُ

رمى المستعين، الخليفة المخلوع، بالقضيب (صولجان الخلافة) عنوداً (غضباً عنه) وهو صاغر
(ذليل)، وعُرِّيَ من برد النبي (من عباءة النبي المتوارثة) مناكبه (أكتافه). انظر التعليق اللاحق
بالبیت الثالث قبل الأخير من القصيدة (٨٣) وفيه بيتان للبلاذري يصف فيهما لبس المستعين لبرد
النبي، وفيه كلمة (مناكبه)، وبيتا البلاذري منسوجان على منوال بيت للبحتري، وهنا يأخذ البحتري
من البلاذري العبارة

وَقَدْ سَرَّنِي أَنْ قِيلَ: وَجَهَ مُسْرِعاً إِلَى الشَّرْقِ تُحْدِي سُفْنُهُ وَرَكَائِبُهُ

سرنى أن قيل إنه أرسل إلى الشرق تحدى (تساق) سفنه وركائبه (إبله)

إِلَى (كَسَكِرَ) خَلْفَ الدَّجَاجِ، وَلَمْ تَكُنْ لَتَنْشَبَ، إِلَّا فِي الدَّجَاجِ، مَحَالِبُهُ

وأرسل إلى كسكر (الواقعة بين البصرة والكوفة، والمشهورة بالفرايج)، وهو لا يصلح إلا لأكل
الدجاج. تكلمة القصة أن الخليفة المعتز بعث بـرجل ليذبح عنه المستعين.. وذبحه

١١٧ في العجلة السلامة

قال يمدح المعتز بالله ويعتذر للموالي:

عَاجِلُ بِنَا الرَّاحِ وَالرَّيْحَانِ مُبْتَكِراً فَلَيْسَ يَحْسُنُ إِلَّا فِيهِمَا الْعَجَلُ

الراح (الخمر) وكانوا يشربونها في مجلس يزينونه بالرياحين

وَاشْرَبَ عَلَى دَوْلَةِ الْمُعْتَرِّ، إِنَّ لَهَا حَظًّا مِنَ الْحُسْنِ، لَمْ تَسْعَدْ بِهِ الدُّوَلُ

اشرب نخب دولة المعتز بالله. كانوا يشربون على الخبر المفرح والقصيدة الجميلة والأغنية الرائقة

أَمَّا الْمَوَالِي فَجُنْدُ اللَّهِ، حَمَلَهُمْ أَنْ يَنْصُرُوكَ، فَقَدْ قَامُوا بِمَا احْتَمَلُوا

الموالي (أنصار وقواد الخليفة غير العرب)

بَقَاؤُهُمْ عِصْمَةُ الدُّنْيَا، وَعِزُّهُمْ سِتْرٌ عَلَى بَيْضَةِ الْإِسْلَامِ مُنْسَدِلٌ

بقاء هؤلاء القادة عصمة (حماية) في هذه الدنيا، وعزهم ستر منسل (نازل) على بيضة الإسلام
(تعبير يقصد به حماية ما هو هش وجاذب للأعداء)

١١٨ العدو في ثوب صديق

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
كُتِرَ هُمُ الْإِخْوَانُ الَّذِينَ لَا تَسْتَكِرُّ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِمْ شَيْئاً مَا دُمْتَ غَنِيّاً

مُتَّصِنٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالتَّرْحِيبِ وَالْبِشْرِ
يكون الواحد منهم متصنعاً في حبه لك، يلقاك بالترحيب والبشر (الانشرح)

فَإِذَا عَدَا - وَالذَّهْرُ ذُو غَيْرٍ - دَهْرٌ عَلَيْكَ، عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
فإذا عدا (هجم) عليك الزمن، والزمن ذو غير (تقلب)، عدا (هجم) هذا الصديق عليك مع الزمن

١١٩ الحلاف المهين

سَأَلُونِي الْيَمِينَ، فَارْتَعْتُ مِنْهُمْ لِيَقْرُوا بِذَلِكَ الْإِزْبَاعِ
طلبوا مني أن أحلف اليمين، فارتعت (خفت) منهم مراعاة فقط، ليقروا (ليطمئن بهم) من ارتياحي، ويشعروا أنني رجل أرى اليمين شيئاً عظيماً

ثُمَّ أَمَرَزْتُهَا كَمُنْحَدِرِ السَّبَبِ لِي تَهَاوَى مِنَ الْمَكَانِ الْبَفَاقِ
ثم أطلقت اليمين لتمر من فمي كالسيل المنحدر الذي يهوي من مكان مرتفع

١٢٠ الدين أنتم

وقال يمدح المعتر:

قَدْ لَبِسْتُ الْهَوَى، وَإِنْ كَانَ ضُرّاً وَتَحَمَّلْتُهُ، وَإِنْ كَانَ ثِقْلاً
وَتَذَلَّلْتُ، جَاهِداً، لِمَلِيكِي وَقَلِيلٌ مِنْ عَاشِقٍ أَنْ يَذِلَّ
أَضَبَحْتُ رُبَّةَ الْخِلَافَةِ لِلْمُعْجَمِ بِاللَّهِ مَنْزِلاً وَمَحَلّاً
جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهَا فِي يَدَيْهِ وَرَأَاهَا مَكَاناً وَأَهْلاً
لَا يَسُّ حُلَّةَ الْوَقَارِ: وَمِنْ أَبَى - هَذِهِ السَّيْفِ أَنْ يَكُونَ مُحَلِّى
مَنْ أَبِي حُبِّكُمْ فَلَيْسَ مِنَ الدَّ - هُوَ، وَلَوْ صَامَ أَلْفَ عَامٍ وَصَلَّى

١٢١ مدح المعتر

سَلَاهَا: كَيْفَ ضَيَّعَتِ الْوَصَالَ وَبَيَّتَتْ مِنْ مَوَدَّتِنَا الْحَبَالَا؟
بَيَّتَتْ (قطعت)

وَلِي كِبِدٌ تَلِينُ عَلَى التَّصَابِي وَتَأْبَى فِي الْهَوَى إِلَّا اشْتِعَالَا
 وَقَدْ عَلِمَ الْوُشَاةُ ثَبَاتَ عَهْدِي، إِذَا عَهْدُ الَّذِي أَهْوَاهُ حَالَا
 حَالٌ (تحول)

وَأَنِّي لَمْ أَزَلْ كَلِيفاً بِلَيْلَى عَلَى كُرْهِ الْوُشَاةِ، وَلَنْ أَزَالَا
 كلف (مشغوف)، على كره (رغم أنف)

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! وَأَنْتَ أَرْضَى عِبَادِ اللَّهِ، عِنْدَ اللَّهِ، حَالَا
 إِذَا الْخُلَفَاءُ عُدُّوا يَوْمَ فَخْرٍ وَبَرَزَ مَجْدُهُمْ، فَسَمَا وَظَالَا
 سما (ارتفع)

عَدَوْتُ أَجَلَهُمْ خَطِراً وَذِكْراً وَأَغْلَاهُمْ وَأَشْرَفَهُمْ فَعَالَا
 خطراً (أهمية)

وَمَا حَسَنْتُ نَوَاحِي الْأَرْضِ حَتَّى مَلَكَتِ السَّهْلَ مِنْهَا وَالْجِبَالَا
 بِوَجْهِ يَمْلَأُ الدُّنْيَا ضِيَاءً وَكَفَّ تَمْلَأُ الدُّنْيَا نَوَالَا
 نوالاً (عطاء)

فُتُوْحٌ يَدْرِكُنَ مِنَ النَّوَاحِي كَمَا اِدْرَكَ السَّحَابُ إِذَا تَوَالَى
 يَدْرِكُنَ (يتابعن)

وَجَاءَكَ بِالرَّغَائِبِ مَالٌ مُضِرٍ فَلَمْ أَرِ مِثْلَهَا ظَفِيراً وَمَالَا
 الرغائب (النفائس)

يُحَسِّنُ مِنْ مَدِيحِي فَبِكَ أَنِّي مَتَى أَعْدُدُ عُلاكَ أَجْدَ مَقَالَا
 ما يجعل مديحي أجود أنني أجد مادة للقول فأمجاده كثيرة. التسويد لأحمد عبد الرحيم

وَلَسْتُ أَلَامُ فِي تَقْصِيرِ شُكْرِي وَقَدْ حَمَلْتَنِي الْمِنَّةَ الثَّقَالَا
 لست ملوماً إذا قصرت في الشكر فإنك حملتني عبئاً كبيراً بإحسانك الكثير الذي لا يوازيه شكر

لَقَدْ نَوَّهْتَ بِي شَرْقاً وَغَرْباً وَقَدْ حَوَّلْتَنِي جَاهاً وَمَالَا
 نوّهت بي (جعلتني مشهوراً)، حولتني (جعلت في خدمتي) الجاه والمال

وَمَا أَلْفٌ بِأَكْثَرِ مَا أَرْجِي وَأَمْلُ مِنْ نَدَاكَ إِذَا تَوَالَى
 والألف ليست أقصى ما أرجو وأمل من نذاك، أي كرمك

وَبَكَتْ، فَاسْتَنَارَ مِنِّي بُكَاءُهَا زَفْرَةً مَا تُطَبِّقُهَا أَضْلَاعِي

١٢٣ جيوش ملأ الأرض

يمدح المعتر بالله:

أَقَامَ قَنَاءَ الدِّينِ بَعْدَ اعْوِجَاجِهَا وَأَرْبَى عَلَى شَعْبِ الْعَدُوِّ الْمُشَاغِبِ
أَقَامَ قَنَاءَ الدِّينِ (جعل رمح الدين مستقيماً)، وَأَرْبَى (فَاقَ) فِي الشَّدَّةِ عَلَى مَا أَبْدَاهُ الْعَدُوُّ مِنْ شَغَبِ
أَخُو الْحَزْمِ قَدْ سَاسَ الْأُمُورَ، وَهَذَّبَتْ بَصِيرَتَهُ فِيهَا صُرُوفُ النَّوَائِبِ
إِنَّهُ أَخُو حَزْمٍ (ذُو حَزْمٍ) وَقَدْ سَاسَ الْأُمُورَ (أَدَارَهَا)، وَقَدْ أَدَّتْ صُرُوفُ النَّوَائِبِ (تَفَاصِيلُ الْمَصَائِبِ)
إِلَى تَشْذِيبِ بَصِيرَتِهِ (رَأْيِهِ)

إِمَامٌ هُدًى، عَمَّ الْبَرِيَّةَ عَدْلُهُ فَأَصْحَى لَدَيْهِ أَمِنًا كُلُّ رَاهِبٍ
إِمَامٌ يَهْتَدِي بِهِ النَّاسُ وَقَدْ عَمَّ (شَمَلَ) الْبَرِيَّةَ (الْخَلْقَ) عَدْلُهُ، فَأَصْبَحَ كُلُّ رَاهِبٍ (خَائِفٍ)
أَمِنًا فِي مَلِكِهِ

تَدَارَكَ، بَعْدَ اللَّهِ، أَنْفُسَ مَعْشَرٍ أَطْلَلْتُ عَلَى حَتْمٍ مِنَ الْمَوْتِ وَاجِبٍ
تَدَارَكَ (أَنْقَذَ) - بِفَضْلِ اللَّهِ - أَرْوَاحَ أَنَاسٍ كَانَتْ مَوْشَكَةً عَلَى مَوْتٍ مُحْتَمٍ

وَقَالَ: لَعَا لِلْعَاثِرِينَ، وَقَدْ رَأَى وَثُوبَ رِجَالٍ فَرَطُوا فِي الْعَوَاقِبِ
وَقَالَ لِلْعَاثِرِينَ (الْمُتَعَثِّرِينَ بِأَغْلَاطِهِمْ) لَعَا (كَلِمَةً تَقَالُ لِمَنْ يَتَعَثَّرُ. كَمَا نَقُولُ الْيَوْمَ: «اللَّهُ» أَوْ «اسْمُ اللَّهِ عَلَيْكَ»)، وَهُوَ يَرَى وَثُوبَ (تَمَرْدَ) رِجَالٍ فَرَطُوا فِي الْعَوَاقِبِ (تَجَاهَلُوا نَتَائِجَ أَعْمَالِهِمْ)

تَجَافَى لَهُمْ عَنْهَا، وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ لَعَنَفَ بِالتَّثْرِيبِ، إِنْ لَمْ يُعَاقِبْ
تَجَافَى لَهُمْ عَنْهَا (غَفَرَهَا لَهُمْ)، وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ فِي مَكَانِهِ لَعَنَفَ الْمَذْنِبِينَ بِالتَّثْرِيبِ (بِالتَّوْبِيخِ)، هَذَا إِنْ لَمْ يُعَاقِبْهُمْ

وَلَوْلَا تَلَاْفِكِ الْخِلَافَةِ لَانْبَرَتْ لَهَا هِمَمُ الْعَاوِينَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
لَوْلَا تَلَاْفِكِ الْخِلَافَةِ (إِنْقَاذُكَ إِيَّاهَا) لَتَصَدَّتْ لِهَذِهِ الْخِلَافَةِ هِمَمُ الْغَاوِينَ (طُمُوحَاتِ الضَّالِّينِ)
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

فَمَا زِلْتُ حَتَّى أَذْعَنَ الشَّرْقَ عَنُوءَ وَدَانَتْ عَلَى صُغْرِ أَعَالِي الْمَغَارِبِ
ظَلَلْتُ مَصْصَمًا حَتَّى أَذْعَنَ الشَّرْقَ (مَنَاطِقَ الدَّوْلَةِ شَرْقِي الْعِرَاقِ) بِالْقُوَّةِ، وَدَانَتْ (أَذْعَنْتْ) عَلَى صُغْرِ
(يَذُلُّ) أَعَالِي الْمَغَارِبِ (مَنَاطِقَ الدَّوْلَةِ غَرْبِي الشَّامِ)

جُيُوشٌ مَلَأْنَ الْأَرْضَ، حَتَّى تَرَكْنَهَا وَمَا فِي أَقْاصِيهَا مَفَرٌّ لِهَارِبٍ
مَدَدَنْ وَرَاءَ (الْكُوكَبِيِّ) عَجَاجَةً أَرْتُهُ نَهَاراً طَالِعَاتِ الْكُوكَبِ
مدت هذه الجيوش وراء الكوكبي (متنمرد علوي على الدولة) عجاجة (سحابة غبار) جعلته يرى في
النهار الكواكب الطالعة (لمعان السيوف والأسنة وسط الغبار مثل الكواكب)

وَقَدْ أَفْنِ (الصَّفَّارُ) حَتَّى تَطَلَّعَتْ إِلَيْهِ الْمَنَايَا فِي الْقَنَا وَالْقَوَاضِ
وقد أفن (حُمق) الصفار (يعقوب الصفار المتنمرد) إلى أن رأى المنايا (الموت) في القنا (الرماح)
والقواضب (السيوف)

حَنَوْتُ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أَشْرَفَ الرَّدَى عَلَى نَفْسٍ مُزَوَّرٍ عَنِ الْحَقِّ نَاكِبٍ
حنوت عليه (ضمته برفق) بعد أن كاد الموت يقضي على نفسه، وهو المزور (المتنعد) عن الحق
الناكب عنه (المجتنب له)

تَأَنِّيْتُهُ حَتَّى تَبَيَّنَ رُشْدُهُ وَحَتَّى اكْتَفَى بِالْكَتُبِ دُونَ الْكِتَابِ
تأنيته (ترفتت به) إلى أن عرف رشده، وصار يكفي بالكتب (بالرسائل)
ولم يعد يلجأ للكتاب

بِلُطْفٍ تَأْتُ مِنْكَ مَا زَالَ ضَامِناً لَنَا طَاعَةَ الْعَاصِي وَسِلْمَ الْمُحَارِبِ
فعلت هذا بلطف تأت منك (بالمحاسنة والإقناع)، وهذا التأتي يضمن لنا دوماً طاعة العاصي
(المخالف) وسلم (مسالمة) المحارب

فَعَادَ حُسَاماً عَنْ وَلِيِّكَ ذُبُهُ وَحَدَّ سِنَانٍ فِي عِدْوِكَ نَاشِبٍ
فعاد (فأصبح) العاصي حساماً، ذبه (دفاعه) عن وليك (نصيرك)، وأصبح العاصي حد سنان (رأس
رمح) ناشب (منغرس) في قلب عدوك

١٢٤ فراق من أجل اللقاء

بُودِّيَ لَوْ يَهْوَى الْعَدُوُّ، وَيَعْشُقُ فَيَعْلَمُ أَسْبَابَ الْهَوَى، كَيْفَ تَعْلُقُ
أسباب (حبال)

أَرَى خُلُقاً، حُبِّي لِعُلْوَةٍ دَائِماً إِذَا لَمْ يَذُمَّ بِالْعَاشِقِينَ التَّخَلُّقُ
حبي لعلوة صار كأنه خلق (طبع من طباعي)،
وليس مجرد تطبع زائل كحال العاشقين الآخرين

فَأَحْسِنَ بِنَا وَالِدَمْعِ بِالْدَّمْعِ وَاشْبِجْ تَمَارُجُهُ، وَالْخَدُّ بِالْخَدِّ مُلْصَقُ
أحسين بنا (ما أجملنا) ودمعي مختلط بدمعها، وخدي على خدها

وَمِنْ قُبَلٍ، قَبْلَ التَّشَاكِي وَبَعْدَهُ، نَكَادُ لَهَا، مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ، نَشْرُقُ
 هذه الـ «ومن» في أول البيت أسلوب بحريّ. انظر قوله: (ومن شجر رد الربيع لباسه. .)،
 وستأتيك بعد بضع صفحات (القصيد ١٣٠). المعنى: كانت بيننا قُبْلٌ قَبْلُ أَنْ نَتَبَادَلَ الشَّكْوَى
 وبعده، ومن شدة الوجد (الشوق) نكاد نشرق بقبلاتنا

فَلَوْ فَهِمَ النَّاسُ التَّلَاقِي، وَحُسْنَهُ لَحَبَّبَ مِنْ أَجْلِ التَّلَاقِي التَّفَرُّقُ

١٢٥ بقي منها تذكُّرها

بمدح المعتر بالله ويذكر علوة:

كَمْ لَيْلَةٍ فِيكَ بِتْ أَسْهَرُهَا وَلَوْعَةٍ فِي هَوَاكِ أَضْمَرُهَا
 وَحُرْقَةٍ وَالْدُمُوعُ تُظْفِفُهَا ثُمَّ يَعُودُ الْجَوَى فَيُسْعِرُهَا
 يسعرها (يوقدها)

يَا عَلُو! عَلَّ الزَّمَانَ يُعْقِبُنَا أَيَّامَ وَضَلٍ نَظْلُ نَشْكُرُهَا
 يا علو (يا علوة)، يعقبنا (يكافئنا)

بَيْضَاءُ رُودُ الشَّبَابِ، قَدْ غُمِسَتْ فِي خَجَلٍ ذَائِبٍ يُعْصِفُهَا
 رود الشباب (ناعمة)، يعصفها (يجعلها صفراء محمرة خجلاً، ونبات العصفر أصفر مشوب بحمرة)
 مَجْدُولَةٌ هَزَّهَا الصَّبَا، فَشَفَى قَلْبَكَ مَسْمُوعُهَا وَمَنْظَرُهَا
 مجدولة (قوامها متناسق)

لَا تَبْعَثُ الْعُودَ تَسْتَعِينُ بِهِ وَلَا تَبِيتُ الْأَوْتَارَ تَخْفَرُهَا
 لا تبعث في طلب عودٍ لتستعين به في غنائها، ولا تريد من أوتاره أن تخفرها (تحرسها) من النشاز

اللَّهُ جَارٌ لَهَا، فَمَا امْتَلَأَتْ عَيْنِي إِلَّا مِنْ حَيْثُ أَبْصَرُهَا
 الله يحميها! فلا يملأ عيني إلا رؤيتها

إِنَّ قُورَيْقًا لَهُ عَلَيَّ يَدٌ بِالْأَمْسِ بَيْضَاءُ، لَسْتُ أَكْفُرُهَا
 نهر قويق له علي يد بيضاء (معروف)، ولست أجحدها

وَلَيْلَةَ الشُّكِّ، وَهُوَ ثَالِثُنَا، كَانَتْ هَنَاتٌ وَاللَّهُ يَغْفِرُهَا

في ليلة الشك (الليلة التي يرقب فيها الناس هلال رمضان) كان نهر قويق هو الثالث معي أنا
 وعلوة، وقد حدثت هنات (أمور بسيطة) والله يغفرها. ما أجمل هذا الاستقبال لرمضان! وهي -
 بعد - هنات، ثم إن رمضان لم يدخل!

أَيَّامُ لَهْوٍ فِي جَانِبَيْ حَلْبٍ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا تَذْكُرُهَا
لم يبق من أيام اللهو في حلب إلا الذكرى

١٢٦ عشيرتي

أَقْرِي الْحَوَادِثَ، إِنْ حَلَلَنْ، تَجَلَّدَا؛ وَأَعُدُّ شَأْنَ عَشِيرَتِي مِنْ شَانِي
أقري (أقدم الطعام للضيف). إذا حلت الحوادث (المصائب) فإني أقدم لهذا الضيف النازل تجلداً
(صبراً)؛ وأنا أعد ما يهم عشيرتي شأناً من شؤوني

قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ، يَوْمَ الْوَعَى، مَشْغُوفَةً بِمَوَاطِنِ الْكِثْمَانِ
قومي تندق رماحهم في الحرب في مواطن الكتمان (في القلوب)

١٢٧ أنطق القوافي

وقال يمدح يونس بن بغا:

سَبِّدْ أَنْطَقَ الْقَوَافِي بِنُعْمَا هُ، وَكَانَتْ، مِنْ قَبْلُ، ذَاتَ وَجُومٍ
عطاياه أنطقت الشعراء بالقصائد، وكانت القصائد قبل ذاك واجمة (ساكنة)

١٢٨ زبدة قريش

يمدح الخليفة المهتدي بالله، وهو أزهد خلفاء بني العباس:

قَضَى اللَّهُ أَنِّي مِنْكَ ضَامِنٌ لَوْعَةٍ تَقَضَّى اللَّيَالِي، وَهِيَ بَاقٍ مُقِيمُهَا
قضى الله عليّ بأنني ضامن (مضمر) لوعة في قلبي منك (بسيك)، تنقضى (تنقضي) الليالي واللوعة
باقية مقيمة. باقٍ مقيمها معناها (مقيم مقيمها)، وهذا أسلوب قديم في الشعر العربي للوصول إلى
القافية، أعان الله الشعراء

أَمِيلُ بِقَلْبِي عَنْكَ، ثُمَّ أَرُدُّهُ وَأَعِزُّ نَفْسِي فَيْكَ، ثُمَّ أُلُومُهَا
إِذَا الْمُهِتْدِي بِاللَّهِ عُدْتُ خِلَالُهُ حَسِبْتَ السَّمَاءَ كَاثَرْتُكَ نُجُومُهَا
خلاله (مزاياه)، كاثرتك (فاخرتك بالكثرة)

لَقَدْ خَوَّلَ اللَّهُ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا خُصُوصَ مَعَالٍ، فِي قُرَيْشٍ عُمُومُهَا

خول الله الخليفة (أعطاه) الأمجاد المخصوصة الفريدة التي عمومها في قريش. فقريش ذات مجد،
ولكن المهتدي له زبدة هذا المجد

بَنُو هَاشِمٍ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ كِرَامُ بَنِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ كَرِيمُهَا

بنو هاشم (وهم فرع من قريش) هم أكرم الخلق، وأنت كريم بني هاشم الأول

تَذَارَكَ مَظْلُومُ الرَّعِيَّةِ حَقَّهُ وَخَلَّى لَهُ وَجَهَ الطَّرِيقِ ظَلُومُهَا

أدرك المظلوم من الرعية حقه، وأما الظلوم (الظالم) فقد اضطر إلى ترك طريق الظلم

وَقَدْ أَعْطَتِ الرُّومُ الَّذِي طُوْلِبَتْ بِهِ (بِإِيرِيقَ) لَمَّا خُبِّرَتْ مَنْ غَرِبَها

والروم رضيت بشروط الصلح في منطقة (إيريق) عندما علمت أنك أنت غريمها (خصمها)

هَجَرَتْ الْمَلَاهِي حِسْبَةً، وَتَفَرَّدَا بِآيَاتِ ذِكْرِ اللَّهِ يُثْلَى حَكِيمُهَا

هجرت الملاهي (اللهو) حسبة (اختساباً للثواب عند الله) وكي تخصص الوقت كله لذكر الله. كان الخليفة المهتدي العباسي زاهداً حقاً، لذا لم يدم حكمه سوى سنة.. وقتل بعصر الخصيتين

١٢٩ نهر بين النهرين

يمدح سليمان بن عبد الله بن طاهر، وكان السلطان أقطعه (المخرم) ببغداد فقال

فيه البحترى هذا الشعر، وسأله إقطاع ناحية منه يبني بها منزلاً فأقطعه ألف ذراع في ألف ذراع:

شَفِيعِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُمْدَتِي سُلَيْمَانُ، أَحْبُوهُ الْقَرِيضَ الْمُنْمَمَا

أحبوه القريض المنمم (أهديه الشعر المنشق)

فَصَائِدُ، مَنْ لَمْ يَسْتَعْرِ مِنْ حُلِيِّهَا تُخَلِّفُهُ مَحْرُوماً مِنَ الْحَمْدِ، مُحْرِمَا

من لم يستعر بعض أبياتي كي يتحلى بها يظل محروماً من الحمد مُحْرِمَا

(لابساً ثوب الإحرام الذي لا زينة فيه)

وَكَمْ لَبِسْتَ مِنْكَ الْعِرَاقُ صَنِيعَةً يُشَارِفُ مِنْهَا الْأَفْقُ أَنْ يَتَغَيَّمَا

أنعمت على العراق حتى لقد إن أفق السماء يشارف (يكاد) أن يظهر فيه الغيم (والغيم بركة)

ثَلَّثْتُ فُرَاتَيْنِهَا بِجُودِ سَجِيَّةٍ. وَجَدْنَاكَ أَوْلَى بِالتَّدْفُقِ مِنْهُمَا

كنت ثالث الفراتين (دجلة والفرات) بجود سجية (كرم طابع). وقد وجدناك أولى بالتدفق من هذين النهرين لكثرة عطايك

١٣٠ أذاك الربيع

وقال يمدح الهيثم بن عثمان الغنوي:

أَلَسْتَ تَرَى مَدَّ الْفُرَاتِ، كَأَنَّهُ جِبَالُ (شَرَوْرَى) جِثْنُ فِي الْبَحْرِ عَوْماً؟

ألا ترى مد الفرات وفيضانه كأنه جبال شرورى وقد حملها البحر (النهر) عائمة فيه؟

وَلَمْ يَكُ مِنْ عَادَاتِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ رَأَى شَيْمَةً مِنْ جَارِهِ، فَتَعَلَّمَا
ولم يكن هذا من عادة القرات، ولكنه رأى شيمة (طبعاً) من جاره الهيثم هي الفيضان بالعطايا
فتعلم منه

وَمَا نَوَّرَ الرَّوْضَ الشَّامِيَّ؛ بَلْ قَتَى تَبَسَّمَ مِنْ شَرْقِيٍّ فَتَبَسَّمَا
وليس هذا النوار نوار روض شامي، بل إن ابتسام هذا الفتى شرق الشام (أي في العراق) أعدى
الرياض فتبسمت

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ، يَخْتَالُ ضَاحِكًا مِنْ الْحُسْنِ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَا
جاءك الربيع الطلق (الباسم) يخال (يتختر) من شدة جماله، حتى كاد أن يتكلم لقوة ما فيه من تعبير
وَقَدْ نَبَّهَ النَّوْرُوزُ فِي غَلَسِ الدُّجَى أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا
نبه النوروز (عيد الربيع) في غلس الدجى (في ساعات الليل) أوائل ورد (براعم) كانت أمس
مضمومة نائمة فخرجت في آخر الليل زهوراً نراها مع إشراق الصبح

يُفْتَقُّهَا بَرْدُ النَّدى، فَكَانَ يَشِيعُ حَدِيثًا كَانَ بِالْأَمْسِ مُكْتَمًا
يفتق الندى البارد النوار، فكان الندى يشيع حديثاً كان بالأمس سرّاً مكتوماً. يشبه بروز الأزهار
بشكل يلفت الأنظار بقوة لما فيها من ألوان وبهجة، بشيوع السر الذي كان من قبل مكتوماً ثم إذا
به يملأ المجالس

وَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبِيعُ لِبَاسَهُ عَلَيْهِ، كَمَا نَشَرَتْ وَشْيًا مُنَمَّمًا
وهذا شجر أعاد له الربيع أوراقه، فكانها مع الزهر وشي منمنم (قمماش مطرز). هذه الـ «ومن»
تبدو معلقة، ولها عند البحري مثيلات. وقد تكون معطوفة على «من الحسن» قبل بيتين. أي أن
الربيع يخال ضاحكاً من شجر ارتدى لباساً جديداً من الورق.

أَحَلَّ، فَأَبْدَى لِلْعُيُونِ بَشَاشَةً وَكَانَ قَدْ دَيَّ لِلْعَيْنِ، إِذْ كَانَ مُحْرِمًا
أحل الشجر (خلع لباس الإحرام البسيط وليس الملابس المزركشة)، فأبدى للعيون بشاشة بعد أن
كان منظره قدى للعين يؤذيها وهو مُحْرِم

وَرَقَّ نَسِيمُ الرَّبِيعِ، حَتَّى حَسِبْتَهُ بِحَيٍّ بِأَنْفَاسِ الْأَحْبَةِ نَعْمًا
رق النسيم حتى حسبناه يحمل أنفاس الأحباب نَعْمًا (وهم مسرورون/ وهذا غير الزفرات الحري
المعتادة في الأحبة)

١٣١ الرعاع

وقال يهجو قوماً من غني:

بَنِي عُثْمَانَ أَنْتُمْ فِي «غَنِيٍّ» رَعَاعٌ، وَهِيَ فِي «قَيْسٍ» رَعَاعٌ
أنتم رعاع (حثة) عشيرة غني، وهم رعاع قبيلة قيس

مَتَى يُقْرَى السَّدِيفُ بِسَاحَتَيْكُم مُمْرُ الْمَاءِ عِنْدَكُم يُبَاعُ؟
منذ متى يقرى (يقدم للأضياف) السديف (شحم السنام) في دياركم، وأنتم الذين تبيعون الماء المرّ بيعاً؟

١٣٢ التقي السّاطي

وقال يمدح المهدي بالله:

عَلِمَ اللَّهُ سِيرَةَ الْمُهْتَدِي بِأَلِّهِ فَاخْتَارَهُ لِمَا يَخْتَارُ
علم الله أن الخليفة المهدي سيكون تقياً فاختاره للخلافة

ولديه، نَحْتَ السَّكِينَةِ وَالْإِخْوَةِ . بَاتَ، سَطَوُ عَلَى الْعِدَى وَافْتِدَارُ
ولديه، نحت السكينة (الوقار) والإخبات (الخشوع) سطو (بطش) على الأعداء وقدره

١٣٣ الوصل

وقال بتغزل ضمن قصيدة يمدح بها الخليفة المعتمد على الله:

جَائِزٌ فِي الْحُكْمِ، لَوْ شَاءَ قَصْدُ أَخَذَ النَّوْمَ، وَأَعْطَانِي السَّهْدُ
جائر (ظالم)، قصد (عدل)، السهد (السهر)

كَيْفَ يَخْفَى الْحُبُّ مِنَّا، بَعْدَمَا قَامَ وَاشٍ بِهَوَانَا وَقَعَدُ؟
واش (نمام)، قام بهوانا وقعد (اشتغل بنا وبحبنا)

لَسْتُ أَنْسَى لَيْلَتِي مِنْهُ، وَقَدْ أَنْجَزْتَ عَيْنَا بِخَيْلٍ مَا وَعَدُ
لن أنسى ليلتي تلك منه (مع المحبوب)، وقد أنجز عيننا بالبخل (يقصد حبيبته، وما أكثر ما وصفوا
المحبة بالبخل) وعده. فهي في تلك الليلة أعطته ما أراد. وكلمة تنبيه: كان البحري ممن يتعشق
الغلمان، ولكن شعره يشي بأن ذلك لم يكن متمكناً من نفسه، كان فقط يجاري تقليعة العصر

عَلِقْتُ كَفَّ بِكَفِّ بَيْنَنَا وَاعْتَنَقْنَا، فَالتَّقَى خَذٌ وَخَذُ
وَتَشَاكَيْنَا مِنَ الْحُبِّ جَوَى مَلَأَ الْأَحْشَاءَ نَاراً تَنْقِذُ
تشاكينا: تبادلنا الشكوى، جوى: حزن

١٣٤ هارب من الفراق

وقال في أبي جعفر بن سهل المروزي، وتفارقاً بلا وداع، فكتب إليه:

اللَّهُ جَارُكَ فِي انْطِلَاقِكَ تَلْقَاءَ شَامِكَ، أَوْ عِرَاقِكَ
لَا تَعْذُلْنِي فِي مَسِيرِي يَوْمَ سِرَّتْ، وَلَمْ أَلَاقِكَ

إِنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفَ اللَّبِثِ تَسْفَحُ غَرْبَ مَاقِكَ

خشيت مواقف البين (الفراق) التي تسفح (تُريق) غرب ماقلك (دمع عينك)

وَعَلِمْتُ أَنَّ بُكَاءَنَا حَسَبَ اشْتِيَاقِي وَاشْتِيَاقِكَ

وَذَكَرْتُ مَا يَجِدُ الْمُودُّ - عُنْدَ ضَمِّكَ وَاعْتِنَاقِكَ

فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا وَخَرَجْتُ أَهْرُبُ مِنْ فِرَاقِكَ

النكتة في هذه الأبيات موجودة هنا: أَهْرُبُ مِنْ فِرَاقِكَ

١٣٥ أصبحت العراق عراقي

يملح إبراهيم بن المدير:

حَفِظَ الْقَرِيضُ فَمَا يُضَيِّعُ حَقَّهُ أَبَدًا، وَأَنْتَ لَهُ مِنَ الْعُشَّاقِ

القرىض (الشعر)

هَآ إِنَّهُ وَعَطَاؤُكَ الْجَمُّ اللّٰهِي أَخَوَانٍ: ذَا فَنٍ، وَهَذَا بَاقٍ

ها إن الشعر يواخي ويلازم عطاءك الجم (الكثير) الله (العطاء)، والعطاء يفنى والشعر خالد

أُنِّي عَلَيْكَ بِمَا بَسَطْتَ بِهِ يَدِي وَحَلَلْتَ مِنْ أَسْرِ الزَّمَانِ وَثَاقِي

أنني عليك بالعطاء الذي جعلت به يدي مبسطة لأعطي الآخرين، وحللت به وثاقي (قيدي) الذي أسرنى به الزمان

كُنْتُ الْغَرِيبَ، فَمَذُّ عَرَفْتُكَ عَادَ لِي أَنَسِي، وَأَصْبَحْتَ الْعِرَاقَ عِرَاقِي

١٣٦ تجاربي

وَجَرَّبْتُ حَتَّى مَا أَرَى الدَّهْرَ مُغْرِبًا عَلَيَّ بِصَرْفٍ لَمْ يَكُنْ فِي تَجَارِبِي

مغرباً (أتياً بشيء غريب)، صرف (موقف صعب). هذا البيت يتنازعه أكثر من شاعر

وَمَا غَرَّنِي حُسْنُ الْمَبَادِي، لِأَنَّهُ مِنْ الدَّهْرِ مَخْتَوْمٌ بِسُوءِ الْعَوَاقِبِ

المبادي (بدايات الأمور)، سوء العواقب (النتائج السيئة)

١٣٧ انحدار وارتفاع

يملح إبراهيم بن المدير:

فَذَنْكَ أَكْفُ قَوْمٍ مَا اسْتَطَاعُوا مَسَاعِيكَ الَّتِي لَا تُسْتَطَاعُ

لنفذك أكف الناس الذين لم يستطيعوا من مساعيك (أمجادك) ما استطعت أنت

عَلَّوْتَهُمْ بِجَمْعِكَ مَا أَشْتَوَا مِنْ الْعَلْيَا، وَحِفْظِكَ مَا أَضَاعُوا
تفوت عليهم بأنك جمعت من المجد ما فرقوا، وحفظت منه ما ضيعوا

دَنَوْتُ تَوَاضَعًا، وَبَعُدْتُ قَدْرًا فَشَأْنَاكَ: انْحِدَارٌ وَارْتِفَاعٌ
لتواضعك فأنت قريب، ولعظمتك فأنت عالٍ، فهذان متناقضان فيك: انحدار وارتفاع

كَذَلِكَ الشَّمْسُ تَبْعُدُ أَنْ تُسَامَى وَيَذْنُو الضَّوُّ مِنْهَا وَالشَّعَاعُ
فأنت في هذا كالشمس بعيدة فلا تُسَامَى (لا يعلوها شيء)، ولكن ضوءها قريب يغمرنا

١٣٨ اجعلها مزدوجة

يمدح إبراهيم بن المدير:

وَمَا زَالَتِ الْعَيْسُ الْمَرَايِلُ تَنْبَرِي فَيُقْضَى، لَدَى آلِ الْمُدَبِّرِ، حَاجُهَا
ظلت العيس (الإبل) المراسيل (السهلة في سيرها) تنبري (تهزل ويبريها طول السير) - وعليها
راكبوها - فيقضي آل المدير حاجاتها

أُنَاسٌ، قَدِيمُ الْمَكْرُمَاتِ وَجَدْتُهَا لَهُمْ؛ وَسَرِيرُ الْعُجَمِ فِيهِمْ وَتَاجُهَا
أناس لديهم المكرمات (الأمجاد) القديمة، وفيهم سرير (عرش) العجم وتاجهم

إِذَا خَيَّمُوا فِي الدَّارِ ضَاقَتْ رِبَاعُهَا وَإِنْ رَكَبُوا فِي الْأَرْضِ نَارَ عَجَاجُهَا
وهم كثر (والقدماء يفتخرون بكثرة العدد) تضيق بهم رباع الدار (ربوع المحلة التي ينزلون بها)،
وإن ركبو الخيل نار عجاج الأرض (غبارها)

مَلِئُونَ أَنْ تُسْقَى الْبِلَادُ غِيَاثُهَا بِأَوْجُهِهِمْ حَتَّى تَسِيلَ فِجَاجُهَا
ملئون (جديرون) أن تُسْقَى البلاد بالمطر ببركة وجوهمهم حتى تسيل فجاجها (وديانها)

فَإِنَّ عَلَى بَغْدَادَ ظِلَّ غَمَامَةٍ بِجُودِ أَبِي إِسْحَقَ، يَهْمِي أَنْتِجَاجُهَا
وفوق بغداد غمامة (غيمة) - تمثل بكرم أبي إسحق - يهمي (يهطل) انتجاجها (زُخْها)

يَدُ لَكَ عِنْدِي قَدْ أَبَرَّ ضِيَاؤُهَا عَلَى الشَّمْسِ حَتَّى كَادَ يَخْبُو سِرَاجُهَا
لك عندي يد (معروف) أبرّ (زاد) ضوءها على ضوء الشمس حتى كاد يخبو سراج الشمس لسطوع معروفك

هِيَ الرَّاحُ تَمَّتْ فِي صَفَاءٍ وَرَقَةٍ فَلَمْ يَبْقَ لِلْمَصْبُوحِ إِلَّا مَزَاجُهَا
هذه النعمة منك هي مثل الراح (الخمر) صافية ورقيقة (والخمر الجيدة فيها رقة، وليست كثيفة ولا
لزجة، فاعلم!)، ولم يبق للمصبوح (الشارب الخمر صباحاً) إلا مزج الخمر بالماء. يقول: نعمتك
عظيمة، ولم يبق سوى القليل لكي تكون تامة

فَإِنْ تُلْحِقِ التُّعْمَى بِتُّعْمَى، فَإِنَّهُ يَزِينُ اللَّالِي فِي النَّظَامِ أَزْدَوَاجَهَا

فإن تلحق التعمى (المعروف) بنعمى أخرى فهذا يتممها، فاللآلى في النظام (العقد) تزداد حسناً بازدواجها (بأن تكون مضاعفة فكل لؤلؤة في الجانب الأيمن تقابلها مثيلة لها في الأيسر). سيأخذ أحمد شوقي بعد ألف سنة الشطر الثاني ليهجو المويلحي. في كتابنا الرابع من هذه السلسلة الخمسية سنعرض لشعر شوقي، أما هذا فالكتاب الثاني

١٣٩ قبل أن يتلون الألوانا

أَمَّا الْعُدَاةُ فَقَدْ أَرَوْكَ نُفُوسَهُمْ فَأَقْصِدْ بِسُوءِ ظُنُونِكَ الْإِخْوَانَا

قد عرفت يا بحرّي الأعداء وكشفوا لك صفحتهم، فالآن كن سيء الظن بالإخوان (الأصدقاء)

وَأَخِفُّ عَنْ كَتِفِ الصَّدِيقِ نَزَاهَةٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَلَوْنَ الْأَلْوَانَا

إنني أخفف حضورى عند الصديق متزهاً متزهاً، قبل أن يتلون ويتغير عليّ

وَأَخْ أَرَابَ، فَلَمْ أَجِدْ فِي أَمْرِهِ إِلَّا التَّمَّاسُكَ عَنْهُ، وَالْهَجْرَانَا

ورب أخ أراب (صار مريباً) فلم أجد من سلوك سوى التماسك (الانقباض عنه) والابتعاد عنه

أَغْبَبْتُهُ أَنْ أَسْتَمِيعَ لَهُ يَدًا أَوْ أَنْ أُعْنِيَ فِي مِنْهُ لِسَانَا

أغيبته (أقللت رؤيته) فلم أستمع يده (لم أطلب معرفته) ولم أكلفه بأي كلام في الاعتذار

وَأَرَاهُ، لَمَّا لَمْ أَطَالِبْ نَفْعَهُ، أَنْشَأَ يَضُرُّ تَغْيِبًا وَعِيَانَا

وأراه الآن - وأنا لا أكلفه أي عطاء - قد أنشأ (بدأ) يسمي في ضرري تغيباً (في غيبي) وعياناً (وفي حضوري)

وَكَمَا يَسْرُكُ لِيَنْ مَسِّي رَاضِبًا فَكَذَاكَ، فَاخْشَ خُشُونَتِي غَضَبَانَا

مثلما تسرك ليوتني في وقت الرضا فليكن أن تخشى خشونتي عندما أغضب

١٤٠ مرسل الريح

قال في ريح خرجت من وهب بن سليمان في حضرة الوزير:

أَبِينِي لَنَا أَيُّهَا الْوَاسِعَةُ أَعَاصِيَةٌ أَنْتِ أَمْ طَائِعَةٌ؟

يكلم البحرّي فقحة وهب. يسألها: أنت عاصية له أم مطيعة؟

فَقَدْ أَنْكَرَ النَّاسُ مَا قَدْ جَنَيْتِ فَهَلْ أَنْتِ فِي مِثْلِهَا رَاجِعَةٌ؟

فقد أنكر الناس الجناية التي بدرت منك، فهل ستعودين إلى مثلها؟

أَيَا وَهْبُ! لِمَ هَتَفْتَ بِالْوَزِيرِ؟ لَعَلَّكَ بَيَّتَهَا جَائِعَةً
يا وهب! لماذا تركتها تهتف في حضرة الوزير؟ هل جعلتها تبيت جائعة (قصده أن الرجل لم
يستدخل شيئاً من دبر)

فَجَاءَتْ تَظَلُّمٌ مِّنْ ظَالِمٍ إِلَى مُنْصِيفٍ أَذْنُهُ سَامِعَةٌ
فجاءت تظلم (ترفع شكواها) لمن ينصفها ويسمع منها

١٤١ قف يا زماني

يمدح أبا الحسين محمد بن صفوان العقيلي:

لِلَّهِ أَيَّامُنَا مَا كَانَ أَحْسَنَهَا لَوْ أَنَّ دَهْرًا تَوَلَّى ذَاهِبًا وَقَفَا
لله تلك الأيام ما كان أحسنها، لو أن الزمن الذي انقضى قد توقف ولزم حاله الأولى
لَا تُكَذِّبَنَّ! فَمَا الدُّنْيَا بِرَاجِعَةٍ مَا فَاتَ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَمَا سَلَفَا
لا يكذبن عليك أحد! فليست الدنيا راجعة (مُرْجِعَة) ما فات (ذهب) من ملذاتها

١٤٢ تفريط الطبيب

يمدح أبا المعمر الهيثم بن عبد الله:

أَمَّا (لِرَبِيعَةِ الْفَرَسِ) انْتِهَاءٌ عَنِ الزَّلْزَالِ فِيهَا، وَالْحُرُوبِ؟
ألا تنتهي هذه القبيلة عن الزلزال (المصائب) فيها والحروب؟

وكَانُوا رَقَعُوا أَيَّامَ سَلَمٍ عَلَى تِلْكَ الْقَوَارِحِ وَالنُّدُوبِ
وكانوا جعلوا بضعة من أيام السلم رقعا تغطي تلك القوارح (الجروح) والندوب (آثار الجروح)

إِذَا مَا الْجُرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ نَبَّيْنَنَ فِيهِ تَفْرِيطُ الطَّبِيبِ
ولكن الجرح إذا رم (تم ترميمه) على فساد (دون تنظيف)، فيظهر تفريط (إهمال) الطبيب

يُشَقُّ الْجَنْبُ، ثُمَّ يَجِيءُ أَمْرٌ يُصَغَّرُ فِيهِ تَشْقِيقُ الْجِيُوبِ
يُشق الجنب (يمزق القميص)/وفي المصيبة كانوا يمزقون أقمصتهم)، ويأتي بعدئذ أمر أخطر مما
سبق، يصبح تمزيق الأقمصة هينا بالنسبة إليه

وَفِي حَرْبِ الْعَشِيرَةِ مُؤَيَّدَاتٍ تُضَعِّعُ تَالِدَ الْعِزِّ الْمَهِيبِ
في الحرب العشائرية مؤيّدات (مصائب) تضعضع تالد (موروث) العز المهيّب

١٤٣ قتل القروذ

يرثي أخا الصابوني قاضي أنطاكية، وكان قَتَلَهُ سيما الطويل حاكمها:
وَنُنَكِّرُ أَنْ تَطَّرَقْنَا الْمَنَايَا، كَأَنَّا قَدْ خُلِقْنَا لِلْخُلُودِ
تَطَّرَقْنَا (تعترض طريقنا)

وَمَا بَرِحَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ حَتَّى أَرْتَنَا الْأَسَدَ قَتْلَى لِلْقُرُودِ
ما زالت صروف الدهر (مصائبه) تتابنا حتى أرتنا الأسود قتلى بيد القروذ

١٤٤ يا صاحب البريد

يهجو ابن أبي قماش:

دَهَتْكَ بَعْلَةٌ الْحَمَامِ فَوُزَّ وَمَالَتْ فِي الطَّرِيقِ إِلَى سَعِيدِ
دهتك (خدعتك) بعلة (بحجة) الحمام فوز زوجتك، ومالت في طريقها إلى سعيد. قالت لزوجها
إنها ذاهبة للحمام العمومي!

أَرَى أَخْبَارَ بَيْتِكَ عَنْكَ تُطْوَى، فَكَيْفَ وَلَيْتَ أَخْبَارَ الْبَرِيدِ؟
أخبار بيتك تطوى (تحجب) عنك، فكيف وليت (توليت) ديوان البريد!

١٤٥ الحمار المرزوق

يمدح صاعد بن مخلد، ويهجو يعقوب بن أحمد بن صالح بن شيرزاد:

وَإِخَاءٍ مِنْهُ لَوْ يُغْرِضُ لِلْـ بَيْعٍ فِي سُوقِ الثُّلَاثَا مَا نَفَقَ
لا أحد يريده. إخاءه (صداقته)، فلو عرضت صداقته للبيع في هذه السوق الأسبوعية - لا أدري لعلها
سوق للماشية - ما نفقت (ما بيعت)

لَا تَعَجَّبْ أَنْ تَرَى خَاتِمَهُ وَعَلَيْهِ: «الْجَحْشُ بِاللَّهِ يَنْقُ»!
لا تعجب (تتعجب) أن ترى خاتمه منقوشاً عليه عبارة «الجحش بالله ينق». وكانوا في القديم يتخذ
كل أحد شعاراً ينقشه على خاتمه

لَوْ صَفَرْنَا عَبَّ فِي الْمَاءِ، وَلَوْ مَرَّ مُجْتَازاً عَلَى الْأَثْنِ نَهَقَ
هذا المهجو له إحساس الحمار، فلو صفرنا له كما نفعل للحمار عب في الماء (شرب)، ولو كان
مجتازاً (ماراً) على الأثن (إناث الحمير) لنهق

إِنْ مَشَى هَمَلَجٌ، أَوْ صَاحَ إِلَى صَاحِبِ عَشَرَ، أَوْ مَاتَ نَفَقٌ
وهذه هي المفردات الثلاثة به: هملج (مشى رويداً، وهي للحمار والبغل)، عَشْرَ (نَهَقَ عَشْرًا)، نفق (مات، وتستعمل للحِوان)

تُخْطِئُ الدُّنْيَا الْمُقَادِيرَ، فَفِي الْـ جَوَّ مَنْ لَمْ يَكُ فِي قَعْرِ النَّفَقِ
الدنيا تخطئ في فهم مقادير الناس (أقدارهم) فيكون أحدهم في أعالي الجو بينما مقداره لا يجيز له أن يكون حتى في قعر النفق

كَانَ يُخَيِّ مَيِّتًا مِنْ ظَمَأٍ فَضُلٌ مَا أُوتِيَ مَيِّتًا مِنْ غَرَقٍ
كان يمكن أن يحيي الميت من العطش فضلُ (بقية) الماء التي أوبقت (أهلكت) الآخر غرقاً.
يقول: بعض يموت عطشاً وبعض يموت غرقاً، فإساءة التوزيع. وكان يمكن للمياه التي غرقت هؤلاء أن تروي أولئك. (أكتب هذه الإضافة في ٢٠ أغسطس آب ٢٠١٠، وقد بلغ قتلى الفيضان في باكستان ألفاً وخمسمئة، بينما الناس في النيجر يموتون عطشاً)

١٤٦ إذا جحد الله والمرسلين..

يهجو أحمد بن صالح وولده:

عَلَيْجُ يَدِينُ بِأَنَّ لَا إِلَهَ وَأَنْ لَا قَضَاءَ، وَأَنْ لَا قَدَرَ
عليج (علج حقيق/ العلوج هم العواثم من غير العرب) يدين (يعتقد) بعدم وجود الله، ولا يؤمن بقضاء ولا يقدر

وَشَتَامَةٌ لِصِحَابِ النَّبِيِّ - يُزَجِّرُ عَنْهُمْ فَمَا يَنْزَجِرُ
وهو شتامة (كثير الشتم) للصحاباء، ويُزجر (يعتف) عن شتمهم فلا ينزجر

إِذَا جَحَدَ اللَّهُ وَالْمُرْسَلِينَ فَكَيْفَ نُعَاتِبُهُ فِي عَمَرٍ؟
وهو ينكر الله والأنبياء فكيف نعابه في عدم احترام عمر بن الخطاب؟

١٤٧ أرميهم باسمك

يمدح إسماعيل بن بلبل الوزير:

وَإِنِّي لَمَرْفُودٌ عَلَى كُلِّ تَلْعَةٍ بِنَصْرِ ابْنِ خَالٍ، يَحْمِلُ السَّيْفَ، أَوْ عَمَّ
إنني مرفود (حاصل على العون) فوق كل تلعة (ربوة) إذ ينصُرني أبناء الخؤولة والعمومة بسيوفهم

وَمَا أَبْهَجْتَنِي كِبَوَةُ الْجَحْشِ، إِذْ كَبَا لِفِيهِ، لَوْ أَنَّ الْجَحْشَ أَقْلَعَ عَنْ ظُلْمِي
وما كنت أبتهج لكبوة الجحش (سقطه) الجحش إذ سقط لفيه
(على فمه، على وجهه) لو أنه كان كفَّ عن ظلمي

فَلَوْلَا أَبُو الصَّقْرِ الْأَعْرُ وَجُودُهُ، رَضِيتُ قَلِيلِي، واقتَصَرْتُ عَلَى قِسْمِي

لولا أبو صقر الأعر (المشرق) ولولا جوده لرضيت بالقليل واقتصرت على ما قسم الله لي من الرزق

كَأَنَّكَ مِنْ جِذْمٍ مِنَ النَّاسِ وَاحِدٍ، وَسَائِرَ مَنْ يَأْتِي الدَّنِيَّاتِ مِنْ جِذْمٍ
كَأَنَّكَ، يا أبا الصقر، مخلوق من جذم (أصل) من بين هؤلاء الناس، وسائر الذين يقدمون على
الدنيات (أفعال السوء) من أصل مختلف

وَكَمْ دُذْتُ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ حَادِثٍ وَسُورَةِ أَيَّامٍ حَزَزْنَ إِلَى الْعَظَمِ
كثيراً ما دذت عني (دَقَعْتُ عَنِّي) تحامل حادث (وطأة مصيبة) وسورة (هجمة) أيام صعبة حزت
لحمي ووصلت إلى العظم

أَحَارِبُ قَوْمًا لَا أَسْرُ بِسُوءِهِمْ، وَلَكِنِّي أَرْمِي مِنَ النَّاسِ مَنْ تَرْمِي
إنني أحارب أناساً لا عداوة بيني وبينهم، ولست أَسْرُ بأن يلحق بهم السوء، وذلك نصرة لك، فأنا
أرمي بأسهم من ترمي أنت

١٤٨ مشغول بقطع الأرزاق

يمدح أبا الصقر إسماعيل بن بلبل ويهجو أحمد بن صالح بن شيرزاد:

وَصَلَنْ الْعَوَانِي حَبْلَهُ وَهُوَ نَاشِئٌ وَقَارَضْنَهُ الْهَجْرَانَ وَالشَّيْبُ وَاخِطُهُ
وصلت العواني حبله (بادلته الحسان الغزل) وهو ناشئ (شاب)، وقارضنه الهجران (تعاملن معه
بالهجر) والشيب واخطه (والشيب متسلل إلى رأسه)

لَعَمْرُكَ مَا فِي شِيرَزَادَ وَلَا ابْنِهِ مَكَانٌ تُدَانِيهِ الْعُلَا أَوْ تُخَالِطُهُ
ليس في هذا الرجل ولا في ابنه موضع يقترب منه المجد

يَبِيتُ مُعْنَى النَّفْسِ، مِنْ لُؤْمٍ أَضْلِهِ، بِأَنْ يُقْبِضَ الرِّزْقُ الَّذِي اللَّهُ بِأَسِطُهُ
للؤم أصله يبيت شيرزاد معنى النفس (مُتَعَبًا نَفْسِيًّا) وهو يفكر كيف يقطع الرزق الذي بسطه الله
لأحد الناس

١٤٩ أتعبت شكري

يمدح إسماعيل بن بلبل:

أَتَعَبْتُ شُكْرِي، فَأَضْحَى مِنْكَ فِي نَصَبٍ فَادْهَبْ، فَمَا لِي فِي جَدْوَاكَ مِنْ أَرْبٍ
جعلت شكري في نصب (تعب)، فادْهَبْ فما لي في جدواك (عطائك) أرب (غرض)

لا أَقْبَلُ، الدَّهْرَ، نَيْلًا لَا يَقُومُ بِهِ شُكْرِي، وَلَوْ كَانَ مُسْدِيهِ إِلَيَّ أَبِي
لا أقبل الدهرَ (طول الدهرِ) نَيْلًا (عطاءً) لا يقوم به شكري (لا يوازيه شكري)، حتى لو كان مسديه
(مقدمه) إلي والدي

١٥٠ عمري شباب وزماني ربيع

قال في وداعه أبا غانم الشاه ابن ميكال عند خروجه إلى البصرة:

رُكْنِي بِآلَاءِ أَبِي غَانِمٍ ثَبْتُ، وَكَهْفِي فِي ذَرَاهُ مَنِيعٌ
ركني (دعامتي) بسبب آلاء (نعم) أبي غانم ركن ثابت، وكهفي (يقصد حمايتي) في ذراه (في كنفه)
(منيع (حصين)

كَمْ أَدَّتِ الْإِيَّامُ لِي ذِمَّةً مَحْفُوظَةً فِي ضِمْنِهِ مَا تَضِيعُ
كم أدى الزمن إلي ذمة (أمانة) كانت محفوظة في كفاله لا ضياع لها

وَكَمْ لَبِسْتُ الْخَفْضَ فِي ظِلِّهِ عُمُرِي شَبَابٌ، وَزَمَانِي رَبِيعٌ
كثيراً ما تمتعت بالخفض (الدعة) في ظله. عمري شباب وزماني ربيع (هذا الشطر الثاني شعر رائع جداً)

١٥١ ابن أصل

يمدح إسماعيل بن بلبل:

لَا تُلْحِقَنَّ إِلَى الْإِسَاءَةِ أَحْتَهَا شَرُّ الْإِسَاءَةِ أَنْ تُسِيءَ مُعَاوِدًا
وارفع يدك إلى السَّامَاةِ مُفْضِلًا إِنَّ الْعُلَا فِي الْقَوْمِ لِلْأَعْلَى يَدًا
مفضلاً (متكرماً)

وَيَسُرُّنِي أَنْ لَيْسَ يَكْرُمُ شَيْمَةً، مِنْ مَعْشَرٍ، مَنْ لَيْسَ يَكْرُمُ وَالِدًا
شيمة (خُلُقًا)

١٥٢ أشق الأفعال

يمدح بني مخلدٍ وكاتب ابن لَيَّوَيْهِ:

ثَقُلْتُ وَطْأَةَ الزَّمَانِ عَلَى جَا نِبٍ وَفَرِي، وَأَقْسَمْتُ لَا تَخِفُ
الوفر (الغنى)

وَأَشَقُّ الْأَفْعَالِ أَنْ تَهَبَ الْأَنْفُ مَنْ مَّا أُغْلِقَتْ عَلَيْهِ الْأَكْفُ
من أصعب الأشياء على النفوس أن تهب (تمنح) مالاً حصل في كيسها

يَفْسُدُ الْأَمْرُ، ثُمَّ يَضْلُجُ مِنْ قُرْبٍ؛ وَلِلْمَاءِ كَذْرَةٌ ثُمَّ يَضْفُو

من قرب (من أهون سبيل)

١٥٣ استرقاق بالجوذ

يملح ابن الفرات:

كُلَّمَا قَلْتُ: أَعْتَقَ الْمَذْحُ رِقِّي، رَجَعْتَنِي لَهُ أَيْدِيهِ عَبْدًا

كلما ظننت أن مدحي له خلصني من عبوديتي لإحسانه رجعتني (أرجعتني) أيديه (أعطياته) عبداً له

١٥٤ اغتتم الفرصة

وقال لصاعدي، وقد طالبه بإقطاع:

بَيْنَنَا حُرْمَةٌ وَعَهْدٌ وَثِيقٌ وَعَلَى بَعْضِنَا لِبَعْضٍ حُقُوقٌ

فَاغْتَتِمُ فُرْصَةَ الزَّمَانِ، فَمَا يَدُ رِي مُطِيقٌ لَهَا، مَتَى لَا يُطِيقُ

لا يدري المطيق للفرصة (الذي يستطيع استغلالها) متى تفلت منه

١٥٥ كل شيء بقدر

لَنْ تَنَالَ الْمَزُورِيَّ عَنْكَ بِتَذْيِيرٍ، وَلَنْ تَضَعَدَ السَّمَاءُ بِحِيلَةٍ

المزوي عنك (المنوع عنك)

وَإِذَا مَا اِغْتَبَرْتَ ظَاهِرَ حَالِي كَانَ خُطْباً مِنَ الْخُطُوبِ الْجَلِيلَةِ

١٥٦ لعنه الله من كار

وقال يستبطن جماعة من كتاب الجبل، وكان أنفذ إليهم بغلامه نصرٍ لتنجز رسومه

فأبطأ عليه:

وَصَدَّتْ (رَبِيعَةً) عَنْ شَاعِرٍ يُسَمِّي (رَبِيعَةً) أَخْوَالَهُ

فَلَا بُورِكَ الشُّعْرُ مِنْ صَنَعَةٍ وَمَنْ قَبِلَ فِيهِ، وَمَنْ قَالَ

١٥٧. الكنيف

يهجو أبا أحمد بن المنجم:

بَلَوْتُ أبا أَحْمَدٍ مَرَّةً فَأَلْفَيْتُ مِنْهُ بَخِيلًا سَخِيفًا

بلوت (جربت)، ألفيت منه (ألفيته)

ولولا الضَّرُورَةُ لَمْ آتِهِ وَعِنْدَ الضَّرُورَةِ آتَى الْكَئِيفَا
الكئيف (المرحاض)

١٥٨ النجيب حقاً

يمدح إسحاق بن إسماعيل نوبخت:

وَأَرَى النَّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَمَامُهَا لِنَجِيبٍ قَوْمَ لَيْسَ بِابْنِ نَجِيبٍ
النجابة (الذكاء والنجاح) لا تتم لشخص إلا إذا كان أبوه نجيباً أيضاً

١٥٩ خوش تعزية

يعزي أبا الحسن بن الفرات عن ابنته:

وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ، لَا شَكَّ فِيهِ، بَقَاءُ الْبَنِينَ، وَمَوْتُ الْبَنَاتِ
لِقَوْلِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَا مُ: دَفَنُ الْبَنَاتِ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ
والحديث يتردد في الكتب ولكنه في رأي الثقات ضعيف، وقال ابن الجوزي إنه موضوع. [انظر
مثالاً آخر لتعزية البحرى في الأثنى (القصيد ٣٦)]

١٦٠ الداهية الأريب

يمدح إسحاق بن إسماعيل بن نوبخت:

أَحْكَمْتَ مَا دَبَّرْتَ بِالتَّبَعِيدِ، وَالتَّ - قَرِيبِ، وَالتَّضْعِيبِ، وَالتَّسْهِيلِ
لقد ضبطت أمورك بكثير من الحيلة وابتاع طرق شتى مع أناس شتى
لَوْلَا التَّبَائِنُ فِي الطَّبَائِعِ لَمْ يَقُمْ بُنْيَانُ هَذَا الْعَالَمِ الْمَجْهُولِ
التباين (الاختلاف) في طبائع الناس هو أساس العالم

١٦١ الخِذْلَان

وما زال خَذَلَ الدهرِ حَتَّى تَوَقَّعْتُ يَمِينِي، غَدَاةَ النَّصْرِ، خَذَلَ شِمَالِي
ظل خذل (خِذْلَان، وعدم مساعدة) الزمن يريني عجائبه حتى توقعت يدي اليمنى غداة النصر (وقت
الحاجة للنصرة) أن تخذلها يدي اليسرى

عَلَى أَنَّ لِي سُلْطَانًا رَغْبٍ وَرَهْبَةً أَصُولُ بِهِ فِي الْعِزِّ كُلِّ مَصَالٍ
لكن لي سلطان ترغيب وترهيب بشعر الممدح والهجاء، وأنا أصول وأجول كل مصال (صولان) في
ميدان العز بسبب سلطة شعري

١٦٢ صديق الكلب ضاربه

يمدح محمد بن بدر:

الأَرْضُ أَوْسَعُ مِنْ دَارِ أَلِطَ بِهَا، وَالنَّاسُ أَكْثَرُ مِنْ خِلِّ أَجَاذِبُهُ
الأرض أوسع من دار أَلِطَ بها (ألتصق بها)، والناس أكثر من مجرد خل أجاذبه (صديق أخذ
وأعطى معه)

أَعَاتِبُ الْمَرْءَ، فِيمَا جَاءَ، وَاحِدَةً ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْهِ، لَا أَعَاتِبُهُ
أعاب المرء فيما جاء (فيما فعل) مرة واحدة، ثم أفء عنه ولا أعود لعتابه

وَلَوْ أَحْفَتُ لِثِيَمِ الْقَوْمِ جَنَّبَنِي أَذَاتُهُ؛ وَصَدِيقُ الْكَلْبِ ضَارِبُهُ
ولو كنت أخيف اللثيم وأهدده بالهجاء لجئني أذاه، كالكلب الذي يصادق من يضربه

١٦٣ حبذا لو يقف الزمان

يمدح علي بن محمد بن الفياض:

شَطَّ مِنْ سَاكِنِ (الْعُؤَيْرِ) مَزَارُهُ وَطَوَّئَهُ الْبِلَادُ، فَالَّلَهُ جَارُهُ
شط (ابتعد) مزار (مكان) سكان «العوير» لرحيلهم، وقد طوتهم البلاد فالله الآن جارهم، فقد
أصبحوا بعيدين ولم يعودوا جيرانني

كُلَّ يَوْمٍ عَنْ (ذِي الْأَرَاكِ) خَلِيطٍ يَلْتَوِي وَضْلُهُ، وَتَعْفُو دِيَارُهُ
في كل يوم يرحل عن وادي «ذي الأراك» خليط (قوم) فيلتوي وصلهم (يتعذر اللقاء بهم)، وتعفو
ديارهم (تمحي آثار مخيماتهم)

يَبْتَغِي الْمَرْءُ وَقْفَةَ الْعَيْشِ، وَالْعَيْدِ شُ سَجَالٍ كَثِيرَةً أَطْوَارُهُ
يتمنى المرء أن يقف الزمن وقفةً لينعم بلذة اللحظة الهائلة، ولكن العيش سجال (مقلب) كثير
الأطوار

لَبِيتَ شِعْرِي عَنِ اللَّثِيمِ إِذَا لَبِ سَمَ عَلَى قَرْطٍ بُخْلِهِ، مَا اعْتَذَارُهُ؟
ليم (تلقى اللوم). بيت وجدناه رافقاً في القصيدة وسط حشف كثير فالصقناه في ذيل القطعة

١٦٤ كل ممنوع..

لَيْسَ يَحْلُو وَجُودُكَ الشَّيْءَ تَبْغِيهِ إِهَ النِّمَاسُ، حَتَّى يَعْزَّزَ طِلَابُهُ

ليس حلواً وجودك الشيء تبغيه (عشورك عليه) الذي تريده وتلتمسه (تطلبه) إلا إذا عز طلابه (صعب مناله)

١٦٥ كلفتمونا حدود منطقكم

وقال يهجو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (وهو من كبراء الدولة، وكان شاعراً، وقد هجا البحري، فرد عليه البحري بهذه القصيدة. وبحسب شرح طويل في ذيل تحقيق الصيرفي للديوان فإن ابن الرومي والأمير تعاونوا في هجاء البحري). وفي القصيدة أدناه ينال البحري من ابن الرومي وتطويله في الشعر دون أن يسئبه:

لَا الدَّهْرُ مُسْتَفْتَدٌ، وَلَا عَجَبُهُ تَسْؤُمُنَا الحَخْفَ كُلُّهُ نُوبُهُ
الدهر ليس مستفدّاً (متهاً) وكذلك أعاجيبه، وتسومنا ألوان الخسف (ترغماً على الذل) نوب
(مصابه) الدهر

نَالَ الرِّضَا مَادِحٌ وَمَمْدَحٌ فَقُلْ لِهَذَا الْأَمِيرِ مَا غَضَبُهُ؟
المادح والمدح راضيان، فعلام غضب هذا الأمير؟

وَنَحْنُ مَنْ لَا تُطَالُ هَضْبَتُهُ وَإِنْ أَنَاكَتْ بِفَاخِرِ رُتْبَةٍ
نحن من لا تطال هضبته (لا أحد يبلغ شرفنا)، مهما أناكت (ارتفعت) بالفاخر (الذي يفخر علينا) رتبة

لَوْ أَعْرَبَ النَّجْمُ عَنْ مَنَاقِبِهِ لَمْ يَتَجَاوَزْ أَحْسَابَنَا حَسْبُهُ
لو أن النجم نفسه كشف مناقبه (محاسنه)، لما تجاوز حسبه (مجده) أحسابنا

لَوْلَا غَرَامِي بِالْعَفْوِ قَدْ لَقِيَ الظُّ - أَلَمْ شَرّاً، وَسَاءَ مُنْقَلَبُهُ
لولا حبي للعفو للقي الظالم جزاء ظلمه، وساء منقلبه (عوقب نتيجة فعله)

وَخَيْرَتِي عَقْلٌ صَاحِبِي، فَمَتَى سُقْتُ الْقَوَافِي فَخَيْرَتِي أَذْبُهُ
خيرتي (ما يهمني فأختاره) عقل صاحبي، ولكنني إذا قلت شعراً فالذي يهمني ما عنده من فهم للأدب

كَلَفْتُمُونَا حُدُودَ مَنْطِقِكُمْ وَالشَّعْرُ يُغْنِي عَنْ صِدْقِهِ كَذِبُهُ
أيها النقاد والمتحدلقون بشأن معاني الشعر قد كلفتمونا حدود (تعريفات) المنطق؛ والشعر يغني فيه
الكذب عن الصدق (فيه خيال ووهم كثير)

وَلَمْ يَكُنْ ذُو الْقُرُوحِ يَلْهَجُ بِالْ - مَنْطِقٍ: مَا نَوْعُهُ وَمَا سَبَبُهُ؟
ولم يكن ذو القروح (لقب امرئ القيس) يلهج (يتكلم) بالمنطق والفلسفة، والأسباب والنتائج

وَالشَّعْرُ لَمْحٌ تَكْفِي إِشَارَتُهُ وَلَيْسَ بِالْهَذَرِ طَوَّلُ خُطْبِهِ
الشعر لمح تكفي إشارته (تلميح بالمعنى وليس استقصاء منطقياً)، وليس بالهذر (اللغو) المطول.
ولو فتحت ديوان ابن الرومي - وهو المعروض به في هذه القصيدة - لوجدت قصائده تطول حتى
تبلغ المتي بيت والثلاثمئة

واللفظ حلِّي المعنى، وليس يُرَبِّـكَ الصُّفْرُ حُسْنًا يُرِيكَ ذَهَبَهُ

اللفظ حلية للمعنى. وليس يريك الصفر (نوع من النحاس) ذلك الجمال الذي يريك إياه الذهب. بيت ملتوي المعنى حصيلة: أن اللفظ والمعنى كليهما مهم، فالذهب فيه خواص دفيئة، وعليه رونق ظاهري ليسا كلاهما في النحاس

١٦٦ المدح المجاني

يمدح علي بن محمد بن الحسين بن الفياض كاتب ابن كنداج:

أَبْعَدَمَا أَعْلَقَ الْأَقْوَامُ مِيسَمَهُمْ بِصَفْحَتِي، وَقَتَلْتُ الْأَرْضَ عِرْقَانَا؟

هل بعد أن وضع كل قوم على وجهي ميسمهم (حديدتهم المحماة بالنار علامة الملكية)، وبعد أن قتلت الأرض معرفة بها..

يَرْجُو الْبَخِيلُ اغْتِرَارِي، أَوْ مُخَادَعَتِي، حَتَّى أَسُوقَ إِلَيْهِ الْمَدْحَ مَجَّانًا؟

.. أبعد ذلك يرجو البخيل اغتراري (خداعي) لكي أمدحه مجاناً؟ نعم، قد مدح البحترى بائعي البصل والبادنجان وهو صغير، ومدح صغار القواد، ونال العطايا بالدراهم القليلة، وتدرج إلى أن مدح سبعة خلفاء ضمن العشرات الذين مدحهم، فهذا التاجر الماهر في سوق المدح لم يعد يغتر بالبخلاء

١٦٧ اللياذ بالله

يمدح ابن الفياض:

كُلُّ مَاضٍ أَنَسَاهُ، غَيْرَ لَيَالٍ مَاضِيَاتٍ لَنَا (بِبَارَى) وَ(بِنَا)

مُغْرَمٌ بِالْمُدَامِ، أَتَرَعُ كَأْسًا سَاطِعًا ضَوْؤُهَا، وَأُنْرِفُ دَنَّا

أترع (أملأ)، أنرف دنا (أفرغ دنا)/والدن خاية الخمر الكبيرة

حَيْثُ لَا أَزْهَبُ الزَّمَانَ، وَلَا أُلْـ قِي إِلَى الْعَاذِلِ الْمُكْثَرِ أَذْنَا

يَزْعُمُ الْبِرَّ فِي التَّشَدُّدِ، وَالْأَسْـ مَحُ أَحْجَى لَأَنْ يُبَرَّ وَيُدْنَى

العاذل يزعم أنه مخلص في تشدده باللوم، ولكن الشخص السمع أحجى (أجدر) أن يبر (يُحَسَّنَ إليه) وبأن يكون صديقاً مقرباً

لَمْ تُلْمَنِي أَنِّي سَمَحْتُ، وَلَكِنْ، لُمْتُ أَنِّي أَحْسَنْتُ بِاللَّهِ ظَنًّا

فيا أيها المتشدد! أنت لا تلومني لسماحتي وتساهلي في شرب الخمر، ولكنك تلومني لأنني أحسن الظن بالله وغفرانه. وهكذا الشاربون الساكرون، يزعمون أن الله لا شغل له إلا أن يغفر لهم، والمتشددون المتوعدون يزعمون أن الله لا شغل له إلا عد الكؤوس على شاربها

١٦٨ ماوية وكثيبها

يمدح عبدون بن مَخْلَد:

خَيَالُ مَاوِيَّةَ الْمُطِيفُ أَرَقَ عَيْنَا لَهَا وَكَيْفُ
وَكَيْفُ (مطول دمع)

أَكْثَرَ لَوْمِي عَلَى هَوَاهَا رَكِبْتُ عَلَى دِمْنَةٍ وَفُوفُ
لامني على حبها الركب (الراكبون إيلهم) الذين وقفوا معي لتحية الدمنة (الخربة)

يَرْتَجُّ مِنْ خَلْفِهَا كَثِيبٌ يَغِيَا بِهِ خَصْرُهَا الضَّعِيفُ
ماوية هذه يرتج من خلفها كتيب (مؤخرة شبيهة في كبرها بكثيب الرمل)، وهذا الكتيب يعيا به (يتعب بسببه) خصرها الضعيف

وَاهْتَزَّ فِي بُرْدِهَا قَضِيبٌ مُعْتَدِلٌ قَدُّهُ قَضِيفُ
واهتز داخل بردها (ثوبها) قوامها الشبيه بالقضيب (الفصن) المعتدل القضيف (النحيل)

أَصْبَحَ فِي الْحَارِثِ بِنِ كَغِبٍ طَوْدٌ عَلَى مَذْجِجٍ مُنِيفُ
أصبح في (ممثلاً بـ) الحارث طود (جبل) منيف (مشرف) على قبيلة مذحج

تُرْجَى الرِّغِيَّاتُ فِي ذَرَاهُ وَيُؤْمَنُ الْحَادِثُ الْمَخُوفُ
الرغيات (العطايا)، ذراه (كفه)

لِلْهِ عَبْدُونَ! أَيُّ قَدْ! تَخِفُّ عَنْ وَزْنِهِ الْأَلُوفُ
فذ (متفرد) يوزن بالآلوف الناس

تَرَى أَجْلَاءَ كُلِّ قَوْمٍ وَهُمْ عَلَى رِفْدِهِ عُكُوفُ
على رفده عكوف (عاكفون على عطائه)

١٦٩ الإيوان: الزيارة الصغرى

يمدح عبدون بن مَخْلَد:

لَا جَدِيدُ الضُّبَا، وَلَا رَيْعَانَةٌ رَاجِعُ، بَعْدَمَا تَقْضَى زَمَانُهُ
ربعانه (أوله)

يَذْهَبُ الْبَرْقُ حَيْثُ شَاءَ بِلُبِّي إِنَّ بَدَا الْبَرْقُ، أَوْ بَدَا لِمَعَانُهُ
والبرق يذكر العاشق بحبيته التي رحلت في أيام البرق والرعد لأن قوما بدو رُحُل يلحقون المطر

وَإِذَا صَحَّتِ الرَّوِيَّةُ يَوْمًا فَسَوَاءٌ: ظَنُّ امْرِئٍ، وَعِيَانُهُ
إذا صحت الروية (التدبر) تساوى ظن المرء وعيانه (تقديره للأمور يصبح دقيقاً كأنه يراها عياناً)

إِنْ تَعَطَّى عَنْكَ الْأَصَادِقُ، تُبْدِي شِدَّةَ الدَّهْرِ، عَنْهُمْ، وَلِيَانُهُ
إذا تغطى عنك الصادقون ولم تعد تميز بين الناس،
فالذي يبرزهم تقلب الزمن بين شدة وليان (لين)

يُعْرِفُ السَّيْفُ بِالضَّرْبَةِ يَلْقَا هَا، وَيُنْبِي عَنِ الصَّدِيقِ امْتِحَانُهُ
السيف تُعرف جودته بالضربة (المضروبة/ العتق مثلاً)
وينبي (يخبر) عن حقيقة الصديق امتحانه في الأزمان

وَإِذَا مَا أَرَابَ دَهْرٌ، فَمِنْ أَعْدَاءِ شَاجِ بِرَيْبِهِ إِخْوَانُهُ
إذا ما أراب (أصاب) الدهرُ أحداً أصبح من أعداء هذا الشاجي (الحزين) إخوانه (أصحابه)
فَالَهُ عَنْ نَبْوَةِ الْأَخْلَاءِ، إِذْ كَانَتْ عَتِيداً فِي كُلِّ عَوْدٍ دُخَانُهُ
فاله (فعليك أن تلهو وتنسى) عن نبوة الأخلاء (انحراف الأصدقاء)، ولا تفكر في ذلك فعتيد
(موجود) في كل عود دخانه. نظرية القدماء أن الدخان الذي سيتصاعد من العود عند حرقه موجود
في داخله كامن ينتظر الفرصة للظهور

حَفِظَ اللَّهُ، حَيْثُ أَصْبَحَ عَبْدُ اللَّهِ، أَوْ حَيْثُ أَصْبَحَتْ أَوْطَانُهُ
ليحفظه الله أينما حل. يبدو أن عبد الله هذا سافر قبل قدوم البحري عليه بقليل فلم يتمكن من
لقائه (ولك في عبد الله النصب والرفع على اعتبارين متقاربين)
غَبْتُ عَنْهُ، فَعَابَ عَنِّي سُورِي إِنَّمَا يَجْمَعُ الشُّرُورَ مَعَانُهُ
معانه (منبعه)

نِيَّةٌ عَقَّبَتْ بِحِرْمَانِ حَظٍّ، رُبَّ نَاءٍ يَنْأَى بِهِ حِرْمَانُهُ
نويت مقابلته وحرمت منها، والنائي (البعيد) إنما ابتعد به حرمانه المقدور

سَعِدَ الشَّاهِدُ الْمُقِيمُ، وَمِنْ أَسَدِ عَدِ قَوْمٍ بِوَايِلِ حَيْرَانِهِ
الشاهد الذي حضر يسعد بالعطية، كالقوم الذين يكون وابل المطر قريباً منهم فيستفيدون منه

زُورَةٌ قُبِضَتْ لِإِيْوَانٍ كَسَرَى لَمْ يُرْذَهَا كَسَرَى، وَلَا إِيْوَانُهُ
قبضت (نهأت). لعل موقع هذه القصيدة بعد قصيدته السينية في إيوان كسرى (رقم ١٨٥). أم هي
زيارة أولى للإيوان؟

١٧٠ الخضاب بالمقراض

بمدح علي بن محمد بن الحسين بن الفياض كاتب ابن كنداج:
ليس يرضى عَنِ الزمانِ مُرَوٍّ فيه، إِلَّا عَنِ غَفْلَةٍ أَوْ تَغَاضٍ
مُرَوٍّ (متأمل)

والبَواقِي على اللَّيالي - وَإِنْ خَا لَفَنَ شَيْئاً - فَمُشَبِّهَاتُ المَوَاضِي
الأوقات المقبلة - وإن اختلفت قليلاً - فهي تشبه ما مضى

وَإِذَا مَا امْتَعَضْتُ مِنْ وَلَعِ الشَّيْءِ بِرَأْسِي لَمْ يَثْنِ مِنْهُ امْتِعَاضِي
شَعْرَاتٌ أَقْصَاهُنَّ، وَيَرْجِفُ نَ رُجُوعِ السَّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ
أقص الشعرات البيض ويرجعن للطلوع، كأنهن سهام في الأغراض (الأهداف).
للبيت ثلاثة تفسيرات عند المرتضى كما نقل الصيرفي. وأختار تفسيراً منها: الغرض
هو الهدف المنسوب للتدرب على الرماية، وهو - كما في حانات بلاد الإنجليز -
مصنوع من الفلين أو ما أشبهه، ويرمي الرامون سهامهم، ثم يتزعونها ثم يرمونها،
وتظل تقع على هذا الهدف غير مقلعة عنه

وَأَبَتْ تَرْكِيِ الْغُدَيَاتِ وَالْآ صَالٌ حَتَّى خَضَبْتُ بِالْمُقْرَاضِ
لم يتركني كر الزمن غُدَيَاتِ وآصَالاً (صباحات ومساءات) وبقيت حياً، وصرت
أخضب شعري بالمقراض (بالملقط). أي أنه بدل أن يصبغ شعره صار ينزع الشعرات
البيض بالملقط. وقولته (حتى خضبت بالمقراض) فيها خيال وصنعة. ونقل عن
البحري قوله: «مكثت في (خضبت بالمقراض) أربعين سنة حتى أتممتها»

١٧١ الدنيا وأحوالها

بمدح صاعد بن مخلد:

يُفَاوِتُ مِنْ تَأْلِيْفِ شِعْبِي وَشِعْبِهَا تَنَاهِي شَبَابِي، وَابْتِدَاءُ شَبَابِهَا
المعنى الذي ألمحه: يواعد شعبي (طريقي)
من طريقها أن شبابي وصل إلى نهايته بينما شبابها في أوله

مَتَى تَسْتَرِدُّ فَضْلاً مِنَ العُمَرِ تَغْتَرِفُ بِسَجْلِيكَ مِنْ شَهْدِ الخُطُوبِ وَصَابِهَا
إذا نلت فضلاً (زيادة) من العمر فسوف تغترف بسجلك (بِدَلْوَيْكَ) من شهد الأحداث ومن صابها
(مُرَّها)

يُسَرُّ بِعُمَرَانِ الدِّيَارِ مُضَلَّلٌ وَعُمَرَانِهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا
الذي يسره كون الديار عامرة مضلل (مخطئ)،
فالعمران مستأنف بعد خراب سابق، وبالطبع سيتبعه خراب

ولم أَرْضِ الدنيا أَوَّانَ مَجِيئِهَا فَكَيْفَ ارْتَضَائِهَا أَوَّانَ ذَهَابِهَا؟

لم أَرْضَ (لم أَرْضَ) الدنيا أَوَّانَ مَجِيئِهَا (عندما كنت شاباً) فكيف ارتضائي إياها وهي ذاهبة؟

١٧٢ البضاعة وصلت

قال لبعض ولد يزيد بن المهلب:

وَلَا مَجْدَ إِلَّا حِينَ تَحْسِنُ عَائِدًا، وَكُلُّ فَتَى فِي النَّاسِ يُحْسِنُ بَادِيًا

المجد الحقيقي أن تكرر الإحسان، فكل إنسان يبدأ بالإحسان مرة،

المهم ألا يندم عليها وأن يكررها

وَمَا لَكَ عُذْرٌ فِي تَأْخُرِ حَاجَتِي لَدَيْكَ، وَقَدْ أَرْسَلْتُ فِيهَا الْقَوَافِيَا

ليس لك عذر الآن بعد أن مدحتك. يجب تسديد الحساب

١٧٣ ارتقاب المكروه

أَجِدْكَ! مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا ارْتِقَابُهُ، وَأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ

واللَّوْ إن المكروه الحقيقي هو توقعه، وأبرح (أسوأ) مما حل حقاً ما يتوقع المرء حلوله. قال أحمد شوقي: (قد قال من علّمه اختباره/السعي للموت ولا انتظاراً)

١٧٤ القبول بالحد الأدنى

يعاتب العلاء بن صاعد:

شَرِطِي الْإِنْصَافَ لَوْ قِيلَ: اشْتَرِطْ وَعَدُوِّي مَنْ إِذَا قَالَ قَسَطْ

شرطي الإنصاف فقط ولا أريد زيادة، وعدوي من يقول قولاً ثم يقسط (بظلم)

أَدْعُ الْفَضْلَ فَلَا أَطْلُبُهُ حَسْبِي الْعَدْلُ مِنَ النَّاسِ فَقَطْ

أنا أترك طلب الفضل (الزيادة فوق الحق) وأريد فقط العدل

وَسَطُ الْإِخْوَانِ لَا يَدْخُلُ لِي فِي حِسَابٍ، وَأَخُو الدُّونِ الْوَسَطُ

الوسط من الصحاب لا يدخل في حسابي، فالوسط هو أخو الدون (مثل المنحط)

وَالْمُعْنَى مَنْ تَمَنَّى خَالِيًا نَقَلَ أَخْلَاقِي مِنْ بَعْدِ الشَّمْطِ

المعنى (المتعب) هو الذي يتمنى خالياً (بينه وبين نفسه) نقل أخلاقي (أن أغير طباعي) بعد الشمط (اختلاط بياض الشعر بسواده)

١٧٥ الحازم بالبدية

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ تَبْدَهُكَ بِالْحَزْمِ وَالْحِجَا قَرِيبَتُهُ، لَمْ تُغْنِ عَنْكَ تَجَارِبُهُ
إذا المرء لم تبدهك (تطالعك فوراً) قريته (بديته) بالحزم والحجا (العقل) - أي أنه كان حازماً
وعاقلاً على البدية وبطبعه - فلا تغني عنه كثرة تجاربه

١٧٦ قسمة المدح والذم

بمدح عبدون بن مَخْلَدٍ، ويعتذر إليه:

حَارَبْتَنِي الْيَّامُ، حَتَّى لَقَدْ أَضْجَحَ حَرْبِي مَن كُنْتُ أَعْتَدُّ سِلْمِي
حربي (عدوي)، سلمي (مسالماً لي)

غَيْرَ أَنِّي أَدَافِعُ الدَّهْرَ عَنِّي بِاخْتِقَارِي لِصَرْفِهِ الْمُسْتَدَمَّ
أدافع الدهر عني (أصد الزمن عني) باختقاري لصرفه المستدم (لأحداثه المذمومة)

وَحَدِيثِي نَفْسِي بِأَنْ سَوْفَ أَكْفِي حَيْفَ قَاضِيٍّ، وَاسْتَطَالَةَ خَصْمِي
وأصد الزمن بحدِيثي نفسي (بأن أقول لنفسي) أنني سوف أكفي حيف قاضي (سوف أجد ما يحميني
من ظلم القاضي الذي يفصل بيني وبين خصمي)، واستطالة (استقواء) خصمي

إِنْ أَحَسَّتْ تِلْكَ الْحَقَائِقُ حَظِّي، أَجْزَلْتُ هَذِهِ الْأَمَانِي قِسْمِي
إن أحست (قللت) الحقائق الواقعة حظي، فإن أمنياتي قد أجزلت (كثرت) قسي (نصبي)

وَإِذَا مَا أَبَى الْحَبِيبُ مُوَاتَا نِي تَبَلَّغْتُ بِالْخَيَالِ الْمُلِمِ
إذا رفض الحبيب موَاتاتي (مطاوعتي) تبلغت (تصبرت بالقليل)،
والقليل هو خيال المحبوب الذي يزورني ليلاً

مِنْ عَطَاءِ الْإِلَهِ بَلَّغْتُ نَفْسِي صَوْنَهَا، ثُمَّ مِنْ عَطَاءِ ابْنِ عَمِّي
مما أعطاني الله وصلت بنفسي إلى صونها (حفظها)، وكذلك من عطاء ابن عمي (يقصد الممدوح)

كُلَّمَا قُلْتُ: أَيْبَسَ الْمَحَلُّ أَرْضِي، وَلَيْسَنِي غَمَامَةٌ مِنْهُ تَهْمِي
كلما ظننت أن المحل (الفقط) سيجعل أرضي يابسة، وليتي (لحقتني) غمامة منه تهمي (تهطل)

فَلَهُ مِنْ مَدَائِحِي حُكْمُهُ الْأَوْفَى، وَلِي مِنْ نَوَالِهِ الْعَمْرِ حُكْمِي
له من قصائد المدح حكمه الأوفى (بقدر ما يريد)، ولي من نواله الغمر (عطائه الكثير) ما أشاء

بِأَبِي أَنْتَ عَاتِبًا، وَقَلِيلٌ لَكَ مِنِّي أَبِي، فِدَاءً، وَأُمِّي
بأبي أنت (أفديك بأبي) أيها العاتب علي، وقليل لك أن أفديك بأبي وبأمي أيضاً

لَمَتْنِي أَنْ رَمَيْتُ فِي غَيْرِ مَرَمِي؛ وَعَزِيزٌ عَلَيَّ تَضْيِيعُ سَهْمِي

لمتني لأنني رميت بلا هدف (أي مدحت غيرك)؛ وفعلاً، عزيز علي تضييع سهمي سدى

إِنْ أَكُنْ حُبْتُ فِي سُؤَالِ بَخِيلٍ، فَبِكْرْهِي ذَاكَ السُّؤَالُ وَرُغْمِي

إن كنت حبت (ظلمت نفسي) إذ سألت بخيلاً عطاء، فإن ذلك كان بكرهي ورغمي (رغماً عني)

وَالَّذِي حَطَّنِي إِلَى أَنْ بَلَغْتُ الْمَاءَ، مَا كَانَ مِنْ تَرْفُعِ هَمِّي

الذي حطني (أنزلني) حتى بلغت الماء واستطعت أن أشرب هو ترفع همي (علو طموحي)،

فالطموح الكبير جعلني فقيراً ومحتاجاً إلى النزول لكي أنال ما أبل به رمقي

ثُمَّ حَالَتْ حَالٌ، تَكَلَّفْنِي قِسْمَ حَمَّةٍ حَمْدِي، بَيْنَ الرَّجَالِ، وَذَمِّي

ثم تغيرت الأحوال فصرت أقسم مدحي وذمي بين الرجال، أمدح بعضهم وأمجو بعضهم

فَعَلَامَ التَّثَرِيبِ وَاللُّومِ، إِذْ عِنْدَ حُكِّ فِيمَا أَقُولُهُ مِثْلُ عِلْمِي؟

فعلام (على ماذا) التثريب (اللوم) وأنت تعلم الحال مثلما أعلمها أنا

وَكَأَنَّ الْإِعْرَاضَ عَنِّي قَضَاءٌ فَاصِلٌ عَنِ الْيَةِ مِنْكَ حَتْمٍ

كان إعراضك عني جاء بقضاء وقدر فاصل (صادر) عن آية (قسم) منك محترم

حِينَ لَا مَلْجَأَ سِوَاكَ أَرْجِي - تَجَهَّمْتَنِي، وَلَسْتُ بِجَهْمٍ

حينما لم يعد لي ملجأ سواك أرجي (كشرت في وجهي)، مع أنك لست كجهم

وَإِذَا مَا سَخِطْتَ وَالْمُخُّ رَارٌ، رَقٌّ عَنْ أَنْ يُطِيقَ سُخْطَكَ عَظْمِي

وإذا ما سخطت والمخ رار (حشو العظم جاف ذاهب/ كناية عن المحل والهزال جوعاً)

فعندئذ سيكون عظمي أرق من أن يحتمل سخطك

١٧٧ زيارة قصيرة

يمدح أحمد بن علي الإسكافي:

دَعِ الْمَطِيَّ مُنَاخَاتٍ بِأَرْحُلِهَا لَمْ يُنْصَ عَنْهُمْ تَضْدِيرٌ وَلَا حَقَبٌ

اترك المطي (الإبل) مناخات (باركات) بأرحلها (بمتاعها من كسوة وجبال)، لم يُنْصَ عنهم (لم

يُخْلَعْ عن الإبل) تصدير (حبل يشد إلى صدر البعير) ولا حقب (حبل مؤخرة البعير)

فَمَا تَزِيدُ عَلَى إِمَامَةٍ خُلِسَ بِأَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ، ثُمَّ تَنْقَلِبُ

فأنت لن تزيد عن إمامة خلس (زيارة خاطفة)، ثم تنقلب (ترجع) بعدها

قَضَاءٌ حَقٌّ، وَمَا نَقْضِي بِطَاقَتِنَا مِنْ ذَلِكَ الْحَقِّ، إِلَّا بَعْضَ مَا يَجِبُ
نَقْضِي الْحَقَّ (الواجب)، وَلَسْنَا نَقْضِي إِلَّا بَعْضَ الْوَاجِبِ.. بحسب طاقتنا

١٧٨ اجعلها ألفاً

يعاتب بعض إخوانه ويستبطئه:

دَاعَبَنِي بِالْمَظْلِ مُسْتَأْنِيًّا وَعَدَّهُ مِنْ فِعْلِهِ ظَرْفًا

داعبني بالمظل (المماطلة) مستأنيًا (طالبًا مني التمهّل)، وهو يعد ذلك ظرفاً منه. مثل
الذي تطلب منه حاجة فيمازحك ويقول لك: خلها للغد، ويضحك ويمرح لأنه يملك
تنفيذها ولكنه يداعبك ويتظارف عليك. ستجد أمثال هؤلاء الناس في كل مكان، وهم
في الطبقة الوسطى بين اللثام والكرام، والحر يراهم أقل على صدره من اللثام

قَدْ كُنْتَ مِنْ أَبْعَدِهِمْ هِمَّةً عِنْدِي، وَمِنْ أَجْوَدِهِمْ كَفًّا

كنت أعتبرك أكبر الناس همة (قدرًا) وأجودهم

الْمِئَةُ الدِّينَارُ مَنْسِيَّةٌ فِي عِدَّةٍ أَشْبَعَتْهَا خُلْفًا

المئة الدينار منسية، وهذا وعد أشبعته إخلافًا

إِنْ كُنْتَ لَا تَنْوِي نَجَاحًا لَهَا فَكَيْفَ لَا تَجْعَلُهَا أَلْفًا؟

إن كنت لا تنوي نجاحاً (تحقيقاً) للمئة الدينار، فليكن وعدك لي بألف دينار

هَلْ لَكَ فِي الصُّلْحِ، فَأَعْظِيكَ مِنْ نِصْفٍ وَتَسْتَأْنِفُ لِي نِصْفًا؟

هل لك في حل بيننا؟ ادفع لي نصف المئة فقط وأنا راضي. لمن يسأل عن نصب
(وتسأنف): على العطف على محل (فأعظيك)، التي وجب انتصابها بفاء السببية،
ولكن أبا عبادة أعفاها من الفتحة ضرورة. وعدم تحلية المضارع اليائي أو الواوي
بفتحة عندما يكون في محل نصب شنشنة وجدناها عند أبي تمام والمتنبي والبحري
وعند أحمد شوقي في مواضع قليلة. وهي ليست نادرة في شعر الأقدمين. أما عند
المعاصرين فحدث ولا حرج. انظر في مختاراتنا هذه بيت السينية فيه واو يبدو غير
ذات فتحة (يتظنى من الكآبة أن يـ/دو لعيني مصبح أو ممسي) (القصيد ١٨٥)

أَوْ تَشْرُكُ الْوُدَّ عَلَى حَالِهِ وَتَسْتَسْوِي أَقْدَامُنَا صَفًّا

أو حل آخر: نقي الود على حاله بيننا، ولكننا نصبح نذّين متساوين، فلا أحد متفضل
على الآخر. ولمن يفكر في إدانتنا لأننا نختار مثل هذا الشعر الذي فيه مقايضة
ومتاجرة بالشعر نقول: ويحك، هذه المعانيات والمتاجرات أثنى من قصائد المدح
الفخيمة العظيمة. وهنا تبرز النفوس، وهنا نرى طمع الشاعر وضيقة، وحرصه على
نصف كرامته، فهو قد فقد نصفها على باب الممدوح، ويحاول أن يقبض ثمن النصف
الباقى. هذه عواطف ومخاوف ومطامع ومواقع بشرية. وما الشعر إن لم يكنّها؟

١٧٩ القوافي قوارير الأمجاد

بمدح محمد بن العباس الكلابي:

عَجِبْتُ لِحَيْرَتِي وَضَلَالِ رَأْيِي؛ وَكُنْتُ أَرَادُ لِلرَّأْيِ الرَّشِيدِ

عجبت لضلالي، وكنت في الماضي أطلب لكي أزود الناس بالرأي السديد

وَمِنْ قَضْدِي لِرَأْسِ الْعَيْنِ أَسْعَى إِلَى حَظَرِ بَعْقَوْتِهَا زَهِيدِ

وعجبت من ذهابي للبلدة «رأس العين» ساعياً للحظر (شجر شائك) بعقوتها (بساحتها) زهيد (قليل النفع). ورأس العين قرية في الطريق بين منبج والموصل، وهي الآن في شمال سوريا على الحدود مع تركيا

وَبَعْضُ السَّغْيِ لِلْمُرْتَادِ حَيْنٌ وَبَعْضُ الصَّنْعِ فِي بَعْضِ الْقُودِ

بعض السعي يكون من الحين (الموت)، وبعض الصنع (الرشاد) يكون في المكوث في المكان

عُلِبْتُ عَلَى الصَّوَابِ، وَصَفَّدْتَنِي ضَرُورَاتُ الْمَطَامِعِ وَالْجُدُودِ

صفدتني (قيدتني)، الجدود (الحظوظ)

وَمَا تَرَكِي لِمُنْبِجٍ وَاخْتِيَارِي لِرَأْسِ الْعَيْنِ فِعْلٌ مِنْ مُرِيدِ

لم يكن تركي لمنبج وذهابي لرأس العين بإرادتي

وَمَا الْخَابُورُ لِي بَدَلًا رَضِيًّا مِنْ السَّاجُورِ، لَوْ كُنْتُ قُبُودِي

الخابور (نهر يمر برأس العين)، الساجور (نهر بمنبج)

أَلَا إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ حَبَانِي بِنُعْمَى أَظْهَرَتْ بُؤْسَى حَسُودِي

الممدوح ابن عباس جباني (منحني) بنعمى أبرزت بؤسى (حزن) حسودي

مَنَاقِبُ لَا يَزَالُ الشَّعْرُ فِيهَا طَوَالَ الدَّهْرِ فِي شُغْلٍ جَدِيدِ

له مناقب (مزايا) يظل الشعر مشغلاً في وصفها طول الزمن

وَأَلْفَيْتُ الْقَوَافِي كَالْأَوَاحِي ضَمِنَ غَوَايِرَ الشَّرَفِ التَّلِيدِ

وقد وجدتُ القوافي (القصائد) كالأواحي (الذمم) تضمن بقاء غواير الشرف (ما سلف من مجد) التليد (الموروث) وتجعله يستمر مذكوراً

نُضَيِّعُ فِي الْحَدِيثِ عَلَى أَنَاسٍ إِذَا قَدَّمْتُ، وَتُحَفِّظُ فِي النَّشِيدِ

غواير الشرف هذه تلاشى في الحديث (في الكلام المنثور) بالتقادم ويفقدها الورثة، ولكن النشيد (الشعر) يحفظها

وَلَمْ يَذْخَرْ لِأُسْرَتِهِ كَرِيمٌ عَتَاداً مِثْلَ قَافِيَةِ شُرُودِ

لم يذخر الكريم لأسرته من عتاد مثل قافية شرود (قصيدة سائرة ومشتهرة)

أَبَا مُوسَى! وَمَا بِكَ مِنْ نُبُوٍّ عَنِ الْحَقِّ الْمُلِمِّ، وَلَا جُمُودِ

يا أبا موسى! وليس بك نبو (ابتعاد) عن الحق الملم (الذي جاء وقت إحقاقه) ولا جمود (إهمال)

فَأَيْنَ بِحَاجَتِي عَنْ وَشْكِ نُجْجٍ وَقَدْ أَوْشَكَتَ حَاجَاتِ الْوُفُودِ؟

أفين وشك النجج (سرعة التنفيذ) عن حاجتي؟ وأنت قد أوشكت (سارعت بتلبية) حاجات الوفود (الوافدين عليك)

يُدَافِعُ (مُسْلِمٌ) عَنْهَا، وَيَكْنِي عَنِ الْإِقْرَارِ فِيهَا، بِالْجُحُودِ

ووكيلك «مسلم» يصدني عن نيل حاجتي، ويكني (يلمح تلميحاً) عن الإقرار فيها (بدلاً من الإقرار بشأنها) بالجهود (بنكرانها). فالوكيل يلح بالنكران تلميحاً

يُحِيلُ عَلَى سَعِيدٍ؛ وَاعْتِمَادِي عَلَى مِثَّتَيْكَ لَا مِثَّتِي سَعِيدِ

وهو يحيلني على أخيك سعيد، وأنا معتمد على مِثَّتِي الدينار التي وعدتني بها أنت لا التي وعدني بها سعيد

١٨٠ عافى الله من عافى

بمدح أبا جعفر الطائي:

تَصَدَّقْنَا الْمَنَعَ سَعْدَى حِينَ نَسْأَلُهَا نَيْلًا، وَتَكْذِبُنَا بَدَلًا وَإِسْعَافًا

حيث تمنعنا من الوصل تكون سعدى صادقة، وحين تكلم عن البذل والإسعاف تكذب

قَضَى لَنَا اللَّهُ بَلَوَى فِي نَوَاطِرِهَا تَقْضِي عَلَيْنَا، وَعَافَى اللَّهُ مَنْ عَافَى

قضى علينا الله أن نبلى ببلى تقضي علينا، والبلى موجودة في عينها الجميلتين. وعافى الله بعض الناس ممن لم يلاقوها، أو لم يقفوا في أسرها

١٨١ الطريق الطريق

يمازح علي بن جبير التميمي من أهل رأس العين:

زَائِرُ زَارَنِي، لَيْسَ أَلْ عَنْ حَا لِي، كَمَا يَسْأَلُ الصَّدِيقُ الصَّدِيقَا

كيف حالي، وقد غدا ابنُ جَبَبِرٍ لي، دُونَ الْجِيرَانِ، جَاراً لَصِيقَا؟

غادياً رايحاً عَلَيَّ، فَمَا يَشْ رُكْنِي أَنْ أُرِيحَ، أَوْ أَنْ أُفِيقَا

يَقْتَضِينِي الْعَدَاءُ، وَالشَّمْسُ لَمْ تَبْدُ زُرْغُ طُلُوعاً، وَلَمْ تَبْلُغْ شُرُوقاً
يقتضيني (يطالبني بـ)

مِفْدَةٌ أَوَّلِيَّةٌ كَرَحَى الْبُرِّ - تُلْقَى حَبًّا، وَتُلْقَى دَقِيقاً
معدته أولية (لعل معناها: شديدة، ولعل فيها تصحيفاً) مثل مطحنة القمح، تُلْقَى (تلقم) الحب
وتلقيه طحيناً

وَيَدُّ لَا تَزَالُ تَرْمِي بِأَحْجَا رِ مِنْ اللَّقْمِ تُعْجِزُ الْمَنْجَنِيْقَا
ويده ترمي في فمه باللقم التي يعجز عن حجمها المنجنيق

صَاحَ بُلْعُومُهُ، فَخَلَّنَا الْمُنَادِي صَاحَ فِي حَلْقِهِ: الطَّرِيقَ الطَّرِيقَا
وهو يأكل نجشاً من حلقة فظننا منادي الزعيم يصيح أمام موكبهِ: الطريق الطريق (افتحوا الطريق)

وَكَأَنَّ الْفَتَى يَطْمُ رَكَايَا قَدْ تَهَوَّرْنَ، أَوْ يَسُدُّ بُشُوقَا
كانه إذ يأكل يطم (يردم) ركايا (آباراً)، مهدومة، أو يسد بشوقاً (انهدامات في الأرض)

وَإِذَا جِيءَ بِالْخَوَانِ تَخَوَّفْتُ وَأَشْفَقْتُ أَنْ يَمُوتَ خَنِيْقَا
إذا حضر الخوان (السفرة) خفتُ عليه أن يموت اختناقاً لشدة أكله. تعليق أحمد عبد الرحيم:
«قطعة رديئة جداً»

١٨٢ العيش المؤبد

بمدح صاعد بن مخلد وابنه أبا عيسى:

عَيْشٌ لَنَا (بِالْأَبْرَقَيْنِ)، تَأَبَّدْتُ أَيَّامُهُ، وَتَجَدَّدْتُ ذِكْرَاهُ
تأبدت (خلدت)

وَالْعَيْشُ مَا قَارَقَتْهُ فَذَكَرْتُهُ لَهْفًا، وَلَيْسَ الْعَيْشُ مَا تَنْسَاهُ

١٨٣ يا علو لو شئت

يا علو لو شئت أبذلَّتِ الصُّدُودَ لَنَا وَضَلًّا، وَلَانَ لَصَبٌ قَلْبُكَ الْقَاسِي
علو (علوة الحلية حييته)

أَمْدُ كَفِّي لَأَخْذِ الْكَاسِ مِنْ رَشَاٍ وَحَاجَتِي كُلَّهَا فِي حَاوِلِ الْكَاسِ
رشاً (غزال). التسويد لأحمد عبد الرحيم

يَبْرُدُ أَنْفَاسِهِ أَشْفَى الْغَلِيلِ إِذَا دَنَا فَقَرَّبَهَا مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي
الغليل (العطش)

١٨٤ قتل القاتل

يمدح أبا عيسى العلاء بن صاعد:

أَقُولُ: أَرِيدَ مِنْ سُقْمِ قُودِي؟ وَهَلْ يَزْدَادُ مِنْ قَتْلِ قَتِيلٍ؟

هل زيد (ازداد) قلبي من السقم؟ هذا مستحيل فقد وصل غاية السقم، وهل يزداد القاتل من القتل؟

لِنَافِي كُلِّ دَهْرٍ أَصْدِقَاءُ تَعُودُ عِدَّتِي، وَحَالَاتُ تَحُولُ

تحول (تتحول)

وَمَا فُقِدَ الْجَمِيلُ لِقُرْبِ عَهْدٍ فَتَسْأَلُ عَنْهُ، بَلْ نُسِيَ الْجَمِيلُ

وَيَلُومُ سَائِلُ الْبُخْلَاءِ، حِرْصاً وَإِشْفَاقاً، كَمَا لَوْمَ الْبَخِيلِ

الذي يطلب المال من البخلاء لئيم مثلهم فهو حريص على العطية مشفق من الحرمان منها

١٨٥ وصف إيوان كسرى

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْتَسُّ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبْسٍ

صنت نفسي عما يدنسها، وترفعت عن جدا (عطاء) كل جبس (لئيم)

وَتَمَاسَكْتُ، حِينَ زَعَزَعَنِي الدَّهْرُ رُ التَّمَاسُأَ مِنْهُ لِتَفْسِي، وَنُكْسِي

وتماسكت عندما زعزعني الدهر (عصف بي) التماساً منه (سعياً منه) لتعسي ونكسي (إضعافي)

بُلَغَ مِنْ صُبَابَةِ الْعَيْشِ عِنْدِي، طَفَفَتْهَا الْأَيَّامُ تَطْفِيفَ بَخْسٍ

كانت عندي بلغ (بقايا) من صبابة العيش (من قليل المال)، طففتها الأيام (بدها الزمن) تطفيف

بخس (إنقاص)

وَبِمَعِيدٍ مَا بَيْنَ وَارِدِ رِفِهِ، عَلَلَّ شُرْبُهُ، وَوَارِدِ خَمْسٍ

الفرق كبير بين بعير يرد الماء ليشرب ورود رفه (يرد في أي وقت يشاء) ويكون شربه عللاً

(مضاعفاً)، وبين وارد خمس (وارد الماء في اليوم الخامس بعد عطش أربعة أيام)

وَكَأَنَّ الزَّمَانَ أَصْبَحَ مَحْمُومًا لَأَهْوَاهُ مَعَ الْأَخْسَرِ الْأَخْسَرِ

صار ميل الزمان باتجاه أخسر الناس. تخير القاضي عبد القاهر الجرجاني من أشعار

البحثري ما مقداره خمسون صفحة، (ضمن طرائف الميمني ٢ في طبعة لجنة التأليف

والترجمة والنشر)، ولم يعجبه في هذه القصيدة سوى هذا البيت. وأما ياقوت

الحموي في معجم الأدباء فقد أتى على أبياتها، رغم أن ترجمته للبحثري جاءت في

خمس صفحات فقط

وَاشْتَرَانِي الْعِرَاقَ خُطَّةً غَبْنٍ، بَعْدَ بَيْعِي الشَّامَ بَيْعَةً وَكُسٍ
شرائي العراق (ذهابي إليه) خطة غبن (أمر غلبت فيه) بعد بيعي الشام (مفارقة الشام) بيعه وكس
(بيع خسارة). فهو خسر عندما باع الشام وخسر عندما اشترى العراق

لَا تَرُزْنِي مُزَاوِلًا لاختِبَارِي، عِنْدَ هَذِي الْبَلْوَى، فَتُنْكَرَ مَسِي
لا ترزني (تفحصني، كما يروز المرء شيئاً بيده ليقدر وزنه) مزاولاً (ساعياً) لاختبار أحوالي في
وقت البلاء هذا، فإنك إذًا ستنكر مسي (ملمسي)

وَقَدِيمًا عَهْدَتْنِي ذَا هَنَاتٍ، آيَاتٍ، عَلَى الدَّنِيَّاتِ، شُمُسٍ
وكنْتَ تعهدني في الماضي صاحب هَنَات (مزايا) آيات على الدنيات (رافضات للقليل الخسيس)،
شُمُس (متمرة)

وَلَقَدْ رَابَنِي نُبُو ابْنِ عَمِّي، بَعْدَ لَبِنٍ مِنْ جَانِبِيهِ، وَأُنْسٍ
رابني (شككتني) نبو (تغير مشاعر) ابن عمي بعد أن كان جانبه لينا، وكان يأنس بي (ربما قصد
«بابن عمه» عبدون بن مخلد. وقد وصفه في قصيدة أخرى على النون بابن عمه)

وَإِذَا مَا جُفِيتُ كُنْتُ حَرِيًّا أَنْ أَرَى غَيْرَ مُضِجٍ حَيْثُ أُنْسِي
إذا ما جفيت (أحسست بالجفاء والتجهم لي) كنت حرياً (جديراً) أن لا أبيت في المكان نفسه، بل
أنصرف فوراً

حَضَرْتُ رَحْلِي الْهُمُومُ، فَوَجَّهْتُ إِلَى أَبْيَضِ الْمَدَائِنِ عُنْسِي
حضرت رحلي الهموم (أسرعت الهموم ركضاً وحُضراً بمتاعي)، فوجهت عنسي (إيلي) إلى أبيض
المدائن (القصر الأبيض في المدائن قرب بغداد)

أَتَسَلَّى عَنِ الْحُظُوظِ، وَأَسَى لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ، دَرَسٍ
أتسلى عن حظي الرديء، وأسى (أتعظ) بمحل لآل ساسان الفرس درسٍ (خرب)

ذَكَرْتَنِيهِمُ الْخُطُوبُ الثَّوَالِي، وَلَقَدْ تُذَكِّرُ الْخُطُوبُ وَتُنْسِي
ذكرتني بهم المصائب المتتالية؛ وقد تذكرنا الخطوب لكنها أيضاً قد تنسي

وَهُمْ خَافِضُونَ فِي ظِلِّ عَالٍ، مُشْرِفٍ يُخْسِرُ الْعُيُونَ، وَيُخْسِي
تذكرتهم إذ هم خافضون (متنعمون) في ظل قصر عالٍ، مشرف (مرتفع) يحسر العيون (يتعب النظر
لعلوه)، ويخسي (يخسي البصر: يتعبه)

مُغْلَقٍ بَابُهُ عَلَى جَبَلٍ (الْقَبْرِ حَقٍ)، إِلَى دَارَتِي (خِلَاطٍ) وَ(مَكْسٍ)
باب هذا القصر مغلق على جبل القبق (أي كأنه يضم داخله جبل القبق الكبير)، إلى (أي إضافة
إلى) دارتي «خِلَاط ومكس» (فهو عال ضخم، وواسع أيضاً كان في جوفه كل تلك المناطق)

حِلَلٌ، لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالِ سَعْدَى فِي قِفَارٍ مِنَ الْبَسَائِسِ، مُلْسِ
حل (أماكن) لم تكن (ليست) مثل أطلال سعدى (اسم بدوي لفتاة) في البسابس المقفرة الملساء
(الصحارى الجرداء)

وَمَسَاعٍ، لَوْلَا الْمُحَابَاةُ مِنِّي، لَمْ تُطِقْهَا مَسْعَاةٌ عَنَسٍ وَعَبَسٍ
ومساع (أمجاد) عظيمة للفرس؛ ولولا المحابة من جانبي لقلت إن مسعاة (مفاخر) قبيلتي عنس
وعبس لا تقارن بها

نَقَلَ الدَّمْرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الْجِدِّ - هَ، حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضَاءَ لُبْسٍ
هذه الأمجاد نقل الزمن عهدهن عن الجدة (صارت قديمة)،
حتى غدون (أصبحن) أنضاء لبس (نياقاً مهزولة في الظلام). يشبه الإنجازات المادية للفرس
(فصر كسرى بعد خرابه) بنياق مهزولة لكثرة سيرها لدى رؤيتك إياها عند اللبس (اختلاط الظلام)

فَكَأَنَّ (الْجِرْمَازَ)، مِنْ عَدَمِ الْإِنْسَانِ سِي وَإِخْلَاقِهِ، بَنِيَّةٌ رَفْسٍ
كَانَ الْجِرْمَازُ (اسم أطلقه القدماء على ذلك الأثر فيما يبدو) من عدم الإنس (عدم
وجود البشر)، ومن إخلاقه (خرابه) بنية رمس (بناء قبر). الجرماز: يقول الصيرفي
محقق ديوان البحري، ويتابعه إحسان عباس في تحقيقه لمعجم الأدباء لياقوت،
إن كرمازي بالفارسية تعني القصر، والصيرفي ينقلها عن القدماء. ويقول معجم
لغت نامه دهخدا (أوسع معاجم اللغة الفارسية) إن الجرماز مبنى كان موجوداً
بجانب الإيوان ولم يبق منه شيء. ويحيلنا المعجم الفارسي (وراجعهُ لي مشكوراً
الصادق الإيراني حسين شهيدى - إضافة لاحقة في يوليو تموز ٢٠١٦: توفي
الصادق حسين في أبريل/نيسان ٢٠١٤) إلى معجم البلدان وإلى تاج العروس،
فتأمل!

لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتِماً، بَعْدَ عُرْسٍ
كَانَ اللَّيَالِي (الزمن) جعلت فيه مأتماً بعد أن كان بهيجاً كان فيه عرساً

وَهُوَ يُنْسِبُكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ، لَا يُشَابُ الْبَيَانَ فِيهِمْ بِلَبْسٍ
ولكنه مع ذلك ينسبك (يخبرك) عن عجائب قوم لا يشاب (يختلط) البيان (القول) في شأنهم بأي
التباس، فعظمتهم لا شك فيها

فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا كِيَّةً، ارْتَعَتْ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسٍ
فإذا رأيت صورة مرسومة على الجدار للحرب في أنطاكية ارتعت
(أحسست بخوف) وأنت ترى جنود الروم والفرس. وتلك حرب بين الإمبراطوريتين
وقعت قبل الإسلام بنحو سبعين سنة

وَالْمَنَايَا مَوَائِلَ، وَأَنْشُورَ وَأَنْ يُزَجِّي الصُّفُوفَ، تَحْتَ الدَّرَفْسِ

وترى المنايا (الموت) موائل (حاضرات)، وترى كسرى أنوشروان يزجي (يرسل) صفوف العسكر وهو تحت الدرفس (الراية الضخمة). أنوشروان (وتعني الروح الخالد) أعظم ملوك الأسرة الساسانية/ وهو كسرى الأول العادل الذي روى العرب الكثير من قصص عدله وحكمته، وقد حكم أقل بقليل من خمسين سنة، بدأها بما سمي الصلح الدائم مع الرومان، وختمها بمساع للصلح معهم، وفيما بين الصلحين أنكه الطرفان قواهما حرباً وضرباً، كما يصف البحترى. قال أحمد شوقي في مقدمة نثرية لقصيدته التي يعارض بها هذه البحرية إن هذا البيت قد انعقد الإجماع على أنه البديع الفرد من أبياتها، وسأله زكي مبارك في كتابه الموازنة: ومن هو الذي عقد هذا الإجماع؟

فِي اخْضِرَارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْدَ فَرٍّ، يَخْتَالُ فِي صَبِغَةٍ وَرْسٍ

تراه في لباس أخضر مصفر، يختال في صبيغة (لباس مصبوغ) ورس (نبات يستعمل للصبغ)

وِعِرَاكُ الرَّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ، وَإِعْمَاضٍ جَرَسٍ

ويمثل لعينيك عراك الرجال بين يديه في خفوت منهم (بصمت)، وإعماض جرس (خفوت صوت)، ذلك أنك ترى اللوحة الجدارية فحسب. وهي صامته «تماماً» بالطبع، ولكن البحترى لشدة انفعاله بها تخيل أن الصوت فيها.. خافت

مِنْ مُشِيحٍ، يُهْوِي بِعَامِلِ رُمَحٍ وَمُليحٍ، مِنَ السَّنَانِ، بِثُرْسٍ

فهذا رجل مشيح (مقبل مائلاً جسمه مستقيماً رمحه) بعامل رمح (برأس رمح)، وذاك رجل مليح (ملوّح) بترسه ليتقي به السنان (سن الرمح)

تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جَدُّ أَحْيَا ءِ، لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةٌ خُرْسٍ

العين تراهم وكأنهم جد أحياء، ولكن يتكلمون بالإشارة، وهذا سبب انعدام الصوت

يَفْتَلِي فِيهِمْ ارْتِيَابِي، حَتَّى تَتَقَرَّاهُمْ يَدَايِ بِلَمْسٍ

يفتلي (يزداد) ارتيابي حتى تتقراهم يداي باللمس لأنأكد أنهم مجرد صور منقوشة نافرة

قَدْ سَقَانِي، وَلَمْ يُصَرِّدْ، أَبُو الْغُوْثِ ثِ، عَلَى الْعَسْكَرَيْنِ، شُرْبَةَ خَلْسٍ

لقد سقاني ولم يصرد (يقلل) ابني أبو الغوث، وأنا أشاهد العسكرين، شربة خلص (شربة خمر سريعة)

مِنْ مُدَامٍ، تَقُولُهَا هِيَ نَجْمٌ أَضْوَاءُ اللَّيْلِ، أَوْ مُجَاجَةٌ شَمْسٍ

سقاني من مُدام (خمر) تقولها (تحسبها) نجماً أضاء الليل، أو مجاجة (بصقة) من الشمس

وَتَرَاهَا، إِذَا أَجْدَتْ سُرُوراً وَارْتِيَا حَاً لِلشَّارِبِ الْمُتَحَسِّيِّ،

وترى الخمر إذا أجدت (جددت) السرور والارتياح لشاربها المتحسي (المتهمز عليها)..

أَفَرِغْتَ فِي الرَّجَاجِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ فَهِيَ مَحْبُوبَةٌ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ
.. تراها وكأنما هي عصارة قلوب الناس تم إفراغها في الكأس الزجاجية، ولذلك فكل قلب
يحبها لأن فيها منه شيئاً

وَتَوَهَّمْتُ أَنْ كَسْرَى أَبْرُوزٍ رَزْ مُعَاطِيٍّ، وَالْبَلَهَبُ أَنْسِي
لقد توهمت وأنا أشرب أن كسرى أبروز (خسرو بيرويز بالفارسية، هو عظيم الفرس الذي كتب إليه
النبي يدعوهُ إلى الإسلام) هو معاطي (الشارب معي، يعطيني خمرأً وأعطيه)، وتخيلت أن البلهبد
(مغني كسرى المشهور) أنسي (أنيسي)

حُلْمٌ مُطْبِقٌ عَلَى الشُّكِّ عَيْنِي، أَمْ أَمَانٌ عَبَّرَنَ ظَنِّي وَحَدَسِي؟
أهذا حلم يجعل عيني تنطبقان على شك، أم هي آمانيات غيرن ظني وحدي (جعلن تفكيري يخل)
وَكَأَنَّ الْإِيوَانَ، مِنْ عَجَبِ الصَّنْ مَعَةٍ، جَوَّبَ فِي جَنْبِ أَرْعَنَ جِلْسٍ
كان الإيوان (المجلس، المفتوح بلا باب من جهة واحدة) بنقوشه والصنعة العجيبة التي فيه جوب
(ترس) في جنب أرعن (جبل) جلس (راسخ) هو القصر نفسه

يُتَظَنَّى، مِنَ الْكَاتِبَةِ، أَنْ يَبْ ذُو لِعَيْنَيَّ مُصَبِّحٍ، أَوْ مُمَسِّي،
يتظن (يلوح) من كاتبته، وهو يبدو لعيني الشخص في الصباح أو في المساء..

مُرْعَبًا بِالْفِرَاقِ عَنْ أَنْسِي إِلْفٍ عَرَّ، أَوْ مُرْهَقًا يَنْطَلِيقُ عِرْسٍ
.. يلوح وكأنه مزعج بالفراق (مضطر للرحيل) عن أنس إلْف (اليف، ليف) عَرَّ (أصبح عزيزاً
ممتنعاً)، أو كأنه مرهق (مكتئب) بعد طلاق عرس (زوجة)

عَكَسَتْ حَظَّهُ اللَّيَالِي، وَبَاتَ الـ مُشْتَرِي فِيهِ، وَهُوَ كَوَكَبُ نَحْسٍ
عكس الزمن حظه، فبات المشتري واقعاً فيه وهو كوكب نحس. (هذا اليوم الذي
أدق في الشرح، ٥ يوليو تموز ٢٠١٦، شهد حلول مركبة فضاء - «المسبار جونو» -
في مدار حول كوكب المشتري.. نرجو ألا يلحقها نحسه المزعوم، وعند بعضهم أن
المشتري كوكب سعد، وزحل عندهم كوكب نحس)

فَهُوَ يُبْدِي تَجَلُّدًا، وَعَلَبِهِ كَلْكَلٌ، مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ، مُرْسٍ
فالقصر يظهر تجلداً (صبراً) بينما يقعي فوقه كلكل (صدر) من كلاكل الدهر الراسية.
وكانوا إذا أرادوا تصوير الهم الجاثم فوق القلب تخيلوا ناقة تقعد بصدرها فوق
الإنسان. مؤكداً أن الحدائين سيعجبهم هذا البيت لما فيه من تشخيص. وهو حلو،
فالبحتري يتكلم عن القصر وعن حظه التمس ويشفق عليه كأنه إنسان

لَمْ يَعْبه أَنْ بُزَّ مِنْ بُسْطِ الدِّيبِ بَاجٍ، وَاسْتُلَّ مِنْ سُتُورِ الدِّمَقْسِ
لم يعبه (يلحق به العار) أنه بز (انثرع) من بسط الديباج (الحرير)، واستل (انثرع) من ستائر
(الدمقس). وهل فرق بين أن يُنثرع القصر منها أو تُنثرع هي من القصر؟

مُشْمَخِرٌ، تَعْلُو لَهُ شُرَفَاتٌ رُفِعَتْ فِي رُؤُوسِ (رَضَوَى) وَ(قُدْسِي)
فهو مشمخر (عالٍ) وتعلو شرفاته المرفوعة كأنها مبنية على رؤوس الجبال كجبل رضوى وجبل قدس

لَا يَسَاتُ مِنَ الْبَيَاضِ، فَمَا تُبْ صِرُّ مِنْهَا إِلَّا فَلَاتِلَ بُرْسٍ
وشرفاته مرتدية اللون الأبيض، فلا ترى منها إلا فلاتل برس (شلال قطن)

لَيْسَ يُدْرَى: أَصْنَعُ إِنْسٍ لِحْنٌ سَكْنُوهُ، أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لِإِنْسٍ
لا تدري هل هو بناء بناه الإنس ليسكنه الجن (لوحشته وخلوه)، أم بناء الجن للبشر (لعظمته)،
والجن فيما نقل من أخبار النبي سليمان بناءون مهرة

عَبَّرَ أَنِّي أَرَاهُ يَنْهَدُ أَنْ لَمْ يَكْ بَانِيهِ، فِي الْمُلُوكِ، يَنْكُسِ
على كل حال فهو يشهد أن من بناء من الملوك لم يكن نكساً (ضعيفاً)

فَكَأَنِّي أَرَى الْمَرَازِبَ، وَالْقَوَ مَ، إِذَا مَا بَلَفْتُ آخِرَ حَسِي
إذ أنظر إلى المجلس أتخيل المرازب (قادة الفرس/المرزبان هو القائد الحدودي)،
وأتخيل القوم (الناس العاديين) موجودين فعلاً، هذا عندما أصل بخيالي إلى آخر حسي
(إلى الحد بين الحقيقة والوهم)

وَكَأَنَّ الْوُفُودَ ضَاحِينَ حَسْرَى، مِنْ وَقُوفٍ، خَلْفَ الزَّحَامِ، وَخُنْسٍ
كأنني أرى الوفود ضاحين (جالسين في الشمس قبل الدخول على كسرى) حسرى (كاشفي
الرؤوس)، بعضهم واقفون خلف الزحام، وبعضهم خنس (بعيدون عن الجمع)

وَكَأَنَّ الْقِيَانَ، وَسَطَ الْمَقَاصِبِ رَ، يُرَجَّحْنَ بَيْنَ حُوٍّ وَلُغْسٍ
وكأنني أرى القيان (المغنيات) وسط المقاصير (الغرف)، متأرجحات بين الحواء واللعساء (كلاهما
بمعنى التي في شفتيها سُمرة)

وَكَأَنَّ اللَّقَاءَ أَوَّلَ مِنْ أَمْسٍ سَ، وَوَشَكَ الْفِرَاقُ أَوَّلَ أَمْسٍ
وكأنه لقاء سريع مقتضب حدث قبل يومين وانتهى قبل يوم: نترك لأهل اللغة تفسير الفرق بين (أول
من أمس) وبين (أول أمس)

وَكَأَنَّ الَّذِي يُرِيدُ اتِّبَاعاً طَامِعٌ فِي لُحُوقِهِمْ صُنْعَ خَمْسٍ
ولقرب عهدهم فكأن المتخلف عن ركبهم والذي يريد اللحاق طامع أن يلحق بركبهم بعد أربعة أيام
ليصل صبح اليوم الخامس

عَمَرْتُ لِلْسُرُورِ دَهْرًا فَصَارَتْ لِلتَّعْزِي، رَبَاعُهُمْ، وَالتَّاسِي
رباعهم (ديارهم) كانت عامرة ملاً بالسرور دهرًا ثم صارت مكاناً للتعزي (ليعزي المرء نفسه عن
ظلم حاق به) والتاسي (الانعاظ)

فَلَهَا أَنْ أَعِينَهَا بِدُمُوعٍ مُوقَفَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ حُبْسٍ

لهذه الديار عليّ عهدٌ أن أساعدها بدموع عيني الموقفات (المكرسات) الحبس (المخصصات) للصباة (للشوق)

ذَاكَ عِنْدِي، وَلَيْسَتْ الدَّارُ دَارِي بِاقْتِرَابٍ مِنْهَا، وَلَا الْجِنْسُ جِنْسِي

هذا شأني والموطن ليس موطني (فموطني الشام غير قريب منها)،
ولا الجنس جنسي (فهم فارس وأنا عربي)

غَيْرَ نُعْمَى لِأَهْلِهَا عِنْدَ أَهْلِي غَرَسُوا مِنْ ذَكَائِهَا خَيْرَ غَرَسٍ

سوى النعمى (المساعدة) التي قدمها أهل هذه الدار لأهلي، فقد غرسوا من ذكائها (بركتها) أطيب غرس. والمساعدة المذكورة هي إمداد الفرس أهل اليمن بالعسكر لصد الاحتلال الحبشي الذي استمر سبعين سنة، والعون الفارسي الذي استجلبه سيف بن ذي يزن كان قبل الإسلام بنحو خمسين سنة. والبحتري من قبيلة طيء اليمانية الأصل

أَيَّدُوا مُلْكَنَا، وَشَدُّوا قُوَاهُ بِكُمَاةٍ، تَحْتَ السَّنَوَرِ، حُمُسٍ

أيد الفرس ملكك أهل اليمن بكماة (مسلحين) تحت السنور (العتاد)، حمس (أشداء)

وَأَعَانُوا عَلَى كَتَائِبِ (أَرِيَا ط) بِطَعْنٍ عَلَى النُّحُورِ، وَدَعَسِ

وأعانونا على كتائب القائد الحبشي أرياط، وذلك بحرب كان فيها طعن في النحور (أعالي الصدور) ودعس (طعن بالمداعس أي الرماح الغليظة).

وَأَرَانِي، مِنْ بَعْدُ، أَكْلَفُ بِالْأَشْرِ رَافٍ طُرّاً، مِنْ كُلِّ سِنْخٍ وَأَسٍ

واني لأرى نفسي أكلف (أغرم) بالأشراف طُرّاً (جميعاً) من كل سنخ (جنس) وأس (أصل)

١٨٦ بيت مالي في لساني

بمدح أبا العباس بن ثوابه:

لَا تَخَفْ عَيْلَتِي، وَتِلْكَ الْقَوَافِي بَيْتُ مَالٍ مَا إِنَّ أَخَافَ ذَهَابَهُ

لا تخف عيلتي (افتقاري) فالشعر بيت مال لدي لا يفتنى

قَدْ مَدَحْنَا إِيوَانَ كِسْرَى، وَجِئْنَا نَسْتَثِيبُ النُّعْمَى مِنْ ابْنِ ثَوَابِهِ

المدح كان لقصر كسرى، وجئنا لابن ثوابه نستثيب النعمى (نأخذ ثواباً على ما قدمنا من المدح).
قالها بعد أن كان وصف إيوان كسرى بقصيدة ليس في الدنيا أحلى منها
(القصيدة السابقة مباشرة، رقم ١٨٥)

وَإِذَا مَا أَلَطَ بِالْحَقِّ قَوْمٌ فَمِنَ الْحَقِّ أَنْ تَنْوِبَ الْقَرَابَةُ

وإذا ما ألتط بالحق بعضهم (منعوه)، فجدير بأقاربهم أن يتوبوا عنهم. وآل ثوابه من الفرس، فعليهم إذن أن يدفعوا ثمن مديح إيوان كسرى. حلوة هذه منك يا أبا عبادة، كنا امتدحنا كثيراً قولك تلك القصيدة البديعة التي ليس فيها شيء من المديح، فما أنت تطلب لها ثمناً. «يظل ذبل الكلب أعوج ولو وضعوه في سبعين قالبا» قولة عمة أبي

١٨٧ عبادة العباد

يعاتب العلاء بن صاعد:

مَلَّنَا، أَمْ نَبَا بِنَا، أَمْ جَفَانَا أَمْ قَلَانَا، فَأَعْتَاضَ مِنَّا سِوَانَا؟
سَاخِطٌ، نَبْتَغِي رِضَاهُ، وَلَا يَسْ أَلْ عَنْ سُخْطِنَا، وَلَا عَنْ رِضَانَا
مَا لَنَا نَعْبُدُ الْعِبَادَ، إِذَا كَا نَ إِلَى اللَّهِ فَقُرْنَا وَغِنَانَا؟

١٨٨ أواخر الشهوات

يمدح أبا العباس بن بسطام:

مَغَانِي سُلَيْمَى بِالْعَقِيقِ وَدُورَهَا أَجَدَّ الشَّجَى إِخْلَاقَهَا وَدُورَهَا
مغاني (ربوع) سليمة ودورها في «العقيق» أجده (جده) الشجى (الحنن) إخلاقها (خوابها) ودورها (اندثارها)

وَأَلْحَقَنِي بِالشَّيْبِ فِي عُقْرِ دَارِهِ مَنَاقِلُ فِي عُرْضِ الشَّبَابِ أُسِيرُهَا
وجعلني ألحق بالشيب في عقر داره (أي أشيب تماماً)، مناقل (مراحل) سرتها في عرض الشباب (وسطه)

مَضَتْ فِي سَوَادِ الرَّأْسِ أَوْلَى بَطَالَتِي فَدَعْنِي بِصَاحِبِ وَخْطَ شَيْبِي أَخِيرُهَا
مضت مرحلة بطالتي (استهتاري) الأولى أيام كان الشعر أسود، فدعني لأقضي أواخر أيام الاستهتار في وقتٍ وَخْطَ (أسرع) الشيب فيه في رأسي

وَمَا صَرَعَنِي الْكَأْسُ حَتَّى أَعَانَهَا عَلَيَّ بِعَيْنَيْهِ الْعَدَاةَ مُدِيرُهَا
ما صرعتني الكأس (ألقنتي أرضاً) إلا بعد أن ساعدها عليّ مديرها (ساقها) الذي يدور بها على (الشاربين) بنظرات عينه

لَقَدْ كُوْثِرَتْ مِنْكَ الْقَوَافِي بِمُنْعِمٍ يُكَابِلُهَا، حَتَّى يَقِلَّ كَثِيرُهَا
لقد كوثر (غلبت) القوافي (القصائد) من جانبك فأنت منعم عليّ يكيل لي العطايا مقابل القصائد حتى تبدو القصائد قليلة بجانب العطاء

أَحِبُّ انتظاراتِ المَوَاعِدِ؛ والتي تَجِيءُ اختلاساً لا يدومُ سرورها
أحب انتظار الوعد بالعتاء. فانتظار الأعطيات حلو. وأما العطاء الذي يأتي اختلاساً (فجأة) فلا
يكون السرور به طويلاً

وإنَّ جَمَامَ الماءِ يَزْدَادُ نَفْعُهَا إِذَا صَكَ أَسْمَاعَ الْعِطَاشِ خَرِيرُهَا
وجمام الماء (دقاته الكثيرة) يزيد نفعها عندما يسمع العطاش لها خريراً قبل الشرب

١٨٩ دنياوان

يرثي أبا عيسى العلاء بن صاعد:

أَخِي! مَتَى خَاصَمْتَ نَفْسَكَ فَاحْتَشِدْ لَهَا، وَمَتَى حَدَّثْتَ نَفْسَكَ فَاصْدُقْ

يا أخي إذا شددت الحساب على نفسك فاحشد لهذا التشديد كل قوتك، وكن صادقاً مع نفسك

أَرَى عِلَلَ الْأَشْيَاءِ شَتَّى، وَلَا أَرَى التَّـ. جَمْعَ إِلَّا عِلَّةً لِلتَّفَرُّقِ

أرى علل (أسباب) الأحداث شتى (متفرقة)، وأرى التام الشمل بحد ذاته سبباً للتفرق (كأن يقول
المرء إن الصحة هي سبب المرض)

أَرَى الْعَيْشَ ظِلًّا تُوْشِكُ الشَّمْسُ نَقْلَهُ فَكَيْسٌ فِي ابْتِغَاءِ الْعَيْشِ كَيْسُكَ، أَوْ مِقْ

أرى العيش مؤقتاً وغير حقيقي مثل الظل الذي توشك الشمس بحركتها أن تنقله وتذهب به، فكس
(كن كيساً حكيماً في طلب الرزق) بما أوتيت من حكمة، أو مق (كن مائتاً أحق) فلا فرق،
فالعيش كله ظل زائل

أَرَى الدَّهْرَ غَوْلًا لِلنَّفُوسِ، وَإِنَّمَا يَبْقِي اللَّهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ مَنْ يَبْقَى

فَلَا تُتْبِعِ الْمَاضِيَ سُؤَالَكَ لِمَ مَضَى؟ وَعَرِّجْ عَلَى الْبَاقِي فَسَائِلُهُ: لِمَ بَقِيَ؟

لا تسأل عن الشخص الماضي (الذاهب الميت) لِمَ (لِمَ) ذهب، فهذا هو الطبيعي، بل اسأل الباقي لِمَ بقي

وَلَمْ أَرْ كَالدُّنْيَا حَلِيلَةً وَامِقٍ مُحِبِّ، مَتَى تَحْسُنْ بِعَيْنَيْهِ تَطْلُقْ

لم أر مثل الدنيا حليلة وامق (زوجة رجل محب لها)، عندما يراها جميلة في عينيه يقع بينهما الطلاق

تَرَاهَا عِيَانًا، وَهِيَ صَنْعَةٌ وَاحِدٍ، فَتَحْسَبُهَا صُنْعِي لَطِيفٍ وَأَخْرَقَ

إنك لترى الدنيا بعينيك، وهي خلق الله الواحد، فتحسبها - لتبدل أحوالها - مِنْ خَلْقٍ اثْنَيْنِ
أحدهما لطيف (متقن)، والآخر أخرق (مهمل). هاج العامة على البحري بسبب هذا البيت
عندما فسره لهم بعض أعداء البحري بأنه ينم عن إيمان البحري بالثنوية، دين ماني نبي
الفرس القديم، فاضطر إلى ترك بغداد، والرجوع إلى بلده منبج. هاك ما أورده المرزباني
على لسان أبي الغوث ابن البحري: «كان أبي قد قال في قصيدته التي رثا فيها أبا عيسى بن
صاعد أبياتاً وجد بها بعض أعدائه عليه مقالاً فشنع عليه أنه ثنوي ودارت في الناس.
وكانت العامة حينئذ غالبية ببغداد، فخافهم على نفسه، فقال لي: قم بنا يا بني حتى نطفئ
عنا هذه الثائرة بخرجة نلم فيها بيلدنا، ونعود، قال: فخرجنا وأقام فلم يعد.» اهـ المرزباني

١٩٠ آخر زمن

يمدح إسماعيل بن بلبل، وكتب بها إلى المبرّد:

مَضَى جَعْفَرُ وَالْفَتْحُ، بَيْنَ مَرْمَلٍ وبين ضَجِيعِ بِالدَّمَاءِ مُضَرَّجٍ
رحل جعفر المتوكل (ال خليفة المقتول)، والفتح بن خاقان (وزيره الذي قتل معه)، بين مرمّل
(معفر) وبين ضجيع (مطروح أرضاً) مضرج بدمه

أَاطَلْتُ (أَنْصَاراً) عَلَى الدَّهْرِ، بَعْدَمَا تَوَى مِنْهُمَا فِي الدَّهْرِ أَوْسِي وَخَزْرَجِي
فهل أطلب «أنصاراً» على مصائب الزمن بعد أن توى (اندفن) منهما (ممثلاً في المتوكل والفتح)
أوسي وخزرجي (كل أنصاري على الزمن، كما أن الأوس والخزرج يشكلون كل الأنصار)

مَضَوْا أَمَّامًا قَصْدًا، وَخُلِفْتُ بَعْدَهُمْ أَخَاطِبُ بِالتَّامِيرِ وَالْيَ (مَنْبِجٍ)
كل أنصاري مضوا أمماً (قُدماً) قصداً (دغري، سيده، قُبْلَ)، وخلفت (أُقبِت) بعدهم لكي أخاطب
بالتأثير والي منبج (أقول له أيها الأمير) فيا لتغير الزمان، بعد أن كنت أقول للمتوكل: يا أمير
المؤمنين!

١٩١ البضاعة

يمدح أبا عبد الله محمد بن غالب الأصباهاني:

يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ! عَمَّرَكَ اللَّهُ لِيُعْرِفَ عَمَمَتْنَا بِاصْطِنَاعِهِ
أطال الله عمرك لمعروف شملتنا باصطناعه (ببذله)

إِنَّ هَذَا الْقَرِيضَ نَبْتُ مِنَ الْقَوِ لِيَزِيدَ الْفَعَالُ فِي إِينَاعِهِ
القریض (الشعر) مثل النبات لكنه نبات من كلام، والفعل (أي العطاء) يزيد في إيناعه (نضوجه)

هُوَ عَلِقُ تَاجِرَتْنِي فِيهِ بِالْحَبِ لِيَحْتِ غَبْنَتْنِي بِإِيتِيَاعِهِ
الشعر علق (جوهر ثمين) ساومتني فيه وتحاليت علي، حتى غبنتني (غلبتني) في شرائك إياه. أي
لم تعطني ما يكفي

١٩٢ كل مصيبة تهون

قال في غلامه:

عَسَى آيسٌ مِنْ رَجَعَةِ الْبَيْنِ يُوَصَّلُ وَدَهْرٌ تَوَلَّى بِالْأَحِبَّةِ يُقْبَلُ
رب آيس (يائس) من رجوع الحبيب بعد البين (الفراق) يوصل (يتصل بحبيبه)، ورب دهر ذهب
بالأحبة يقبل علينا ويعيدهم إلينا

فَلَا تَعْجَبَنَّ أَنْ لَمْ يَغْلُ جِسْمِي الضَّنَى وَلَمْ يَخْتَرِمِ نَفْسِي الْحِمَامُ الْمُعْجَلُ
لا تعجب إذا لم يغل (لم يقتل غيلة) الضنى (الهزال) جسمي، وإذا لم يخترم (يقتل) نفسي الموت
المعجل

فَقَبْلَكَ بَانَ الْفَتْحُ عَنِّي مُودِعًا وَفَارَقَنِي شَفْعًا لَهُ الْمُتَوَكِّلُ
فقبلك بان (فارق) الفتح بن خاقان قتيلاً، وفارقني شفعا له (تالياً له) المتوكل الخليفة قتيلاً، رمى
الفتح نفسه على المتوكل يحميه فقتل، ثم قتل المتوكل

فَمَا بَلَغَ الدَّمْعُ الَّذِي كُنْتُ أَرْتَجِي، وَلَا فَعَلَ الْوَجْدُ الَّذِي خِلْتُ يَفْعَلُ
فما بلغ دمعي ما كنت أرجو أن يبلغ في البكاء عليهما، ولا قلني الوجد (الحرقه) كما ظننت
وما كلُّ نيرانِ الجوى تُحْرِقُ الحشا ولا كُلُّ أدواءِ الصَّبَابَةِ تَقْتُلُ
أدواء (جمع داء)

١٩٣ علام التعب

من قصيدة يرثي فيها القائد الموفق ويمدح ابنه أبا العباس المعتضد، وبعد
القصيدة بأشهر يموت الخليفة المعتمد أخو الموفق فيتولى المعتضد الخلافة ٢٧٩هـ:
نَسَعَى، وَأَيْسَرُ هَذَا السَّعْيِ يَكْفِينَا، لَوْلَا تَكَلُّفُنَا مَا لَيْسَ يَغْنِينَا
نشقى بالسي في هذه الدنيا مع أن أقل السعي يكفيها، إلا أننا رغم ذلك نتكلف أموراً لا أهمية لها

نَرُوضُ أَنْفُسَنَا أَقْصَى رِيَاضَتِهَا عَلَى مُوَاتَاةٍ دَهْرٍ، لَا يُوَاتِينَا
نروض (نروض) أنفسنا ونعودها بأقصى ما نستطيع على مواتاة (مسايرة) زمن لا يسايرنا

١٩٤ غريب في موطني

يمدح جعفر بن عبد الغفار:

وَأَخِ رَابِنِي فَأَضْرَبْتُ عَنْهُ؛ أَيُّ إِخْوَانِكَ الَّذِي لَا يَرِيبُ؟
رب أخ (صديق) رابني (شككتني في مودته) فأضربت عنه (أهملت إساءته). وَمَنْ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ
لا يريب (يفعل الفعلات المريبة)؟

أَنَا بِالشَّامِ مَوْطِنِي، غَيْرَ أَنِّي بَعْدَ عَهْدِ الْعِرَاقِ فِيهَا غَرِيبُ
موطني الشام (والبخري من منبج بشمال سوريا الحديثة)، غير أنني أصبحت غريباً في وطني بعد
أن قضيت زمناً في العراق. التسويد لأحمد عبد الرحيم

نَبَوَاتٌ مِنَ الصَّدِيقِ يُرَوِّعُ عَنْ جَنَابِي، كَمَا يَرُوعُ الْمَشِيبُ
الآقي نبوات (تجاهلات/إهمالات) من الصديق يروعن جنابي (يُخَفِّنِي) مثلما يخيفني المشيب حين
أفاجأ بانتشاره

١٩٥ غراب الشباب

عَوَّلَ عَلَى الصَّبْرِ، وَاتَّخَذَ سَبَبًا إِلَى اللَّيَالِي، فَلِئِنَّهَا دُوَّلُ
عول (استند) إلى الصبر، واتخذ سبباً (طريقة) إلى الليالي (الزمن)، فالزمن يتداوله الناس يوماً لهذا
ويوماً لذلك. يقول: اصبر، واجتهد واصنع أسباب النجاح، فالزمن متقلب وستأتي فرصتك فكن
مستعداً لها

مَا أَبْعَدَ الْمَكْرُمَاتِ عَنْ رَجُلٍ عَلَى سُؤَالِ الرَّجَالِ يَتَّكِلُ
سؤال الرجال (طلب الحاجات منهم)

فَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ فَارِسًا بَطْلًا فَلِئِنَّمَا الدَّهْرُ فَارِسٌ بَطْلُ
طَارَ غُرَابُ الشَّبَابِ مُرْتَحِلًا وَحَلَّ شَيْبٌ فَلَيْسَ يَرْتَحِلُ
غراب الشباب (الشعر الأسود)

إِيَّاكَ وَالنَّاسَ أَنْ تُحْمِلَهُمْ فَوْقَ الَّذِي الْآدَمِيُّ يَحْتَمِلُ
إِيَّاكَ وَالْبُخْلَ عِنْدَ مَكْرُمَةٍ وَإِنْ رَأَيْتَ الرَّجَالَ قَدْ بَخِلُوا
وقالوا: كان البحري من أبخل خلق الله

١٩٦ لذیذة على كل حال

وينسب إلى البحري:

مُنَى، إِنْ تُكُنْ حَقًّا تُكُنْ أَعَذَبَ الْمُنَى، وَلَا فَقْدُ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا
الأماني، ويسمونها اليوم «أحلام اليقظة»، لا غنى لعائل عنها. البحري أحلام يقظته واقعية:
فإن تكن حقاً (واقعية، وتحققت) فهذا عذب جداً، وإلا (إن لم تتحقق) فقد عشنا بها
زمناً رغداً (سعيداً)

١٩٧ هاتِ عمراً للمال

ينسب إلى البحري:

يَا جَامِعًا مَانِعًا، وَالدَّهْرُ يَرْمُقُهُ مُفَكَّرًا أَيَّ بَابٍ فِيهِ يَطْرُقُهُ
يا جامع المال المانع لإتفاقه! الزمن يقف مفكراً من أي باب يدخل عليك لينكبك

جَمَعْتَ مَالاً، فَفَكَّرَ هَلْ جَمَعْتَ لَهُ ، يَا جَامِعَ الْمَالِ، أَيَّاماً تُفَرِّقُهُ؟

جمعت مالاً، فهل جمعت عمراً كي تنفق كل هذا المال فيه؟ الجواب طبعاً عند البحري نفسه: فقد جمع مالاً واشترى ضياعاً ودوراً خلّفها لأولاده. وأشبهت هجرته من منبج بشمال سوريا إلى بغداد هجرتنا إلى دول الخليج في فورة النفط؛ أثيناها وقلنا لأرباب العمل فيها: طال عمرك! ثم عدنا إلى بلداننا وبيننا بيوتاً سنموت عنها وتؤول إلى أولادنا، (وأنا أكتب هذه الكلمات في الدوحة في الأول من فبراير ٢٠١٠). وقد نهض البحري بأسرته، وأصبح أولاده وأحفاده نابهين في المجتمع، حتى لقد مدح المتنبي اثنين من أحفاد البحري، يَخِ يَخِ أبا عبادة!

١٩٨ أي الرجال المهذب؟

إِذَا مَا صَدِيقِي رَابِنِي سُوءٌ فَعَلِهِ وَلَمْ يَكْ عَمَّا رَابِنِي بِمُفِيقِ
رأبني (أزعجني)، مفیق (كاف)

صَبَرْتُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرِبْنِي مَخَافَةً أَنْ أَبْقَى بِغَيْرِ صَدِيقِ

١٩٩ شبهه الباطل

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا؛ كَأَنَّهُ، إِذَا مَا تَخَطَّطَهُ الْأَمَانِي، بَاطِلُ
ليس شيء محتوم كالموت، وفي الوقت نفسه عندما تتخطاه (تتجاوزه) آميات الإنسان يصبح كأنه باطل (غير مؤكد). يقول: الموت مؤكد، ولكننا برغباتنا، أو إن شئت بتفكيرنا الرغائبي، نجعله يبدو أمراً مشكوكاً في حدوثه

٢٠٠ عرفت خيرك

وَيَرْجِئُنِي إِلَيْكَ، وَإِنْ تَنَاءْتُ دِيَارِي عَنْكَ، تَجَرِبَةُ الرَّجَالِ
يرجعني إليك (يرجعني)، وإن تناءت (بعدت) دياري عنك، أنني أجرب الرجال وأرى ما عندهم من رديء الأفعال. التسويد لأحمد عبد الرحيم

٢٠١ بلدة مثل بلدة

إِذَا نِلْتُ فِي أَرْضٍ مَعَاشاً، وَإِنْ نَأْتُ، فَلَا تُكْثِرُنْ فِيهَا نِزَاعاً إِلَى الْوَطَنِ
نزاعاً (حينئذ)

فَمَا هِيَ إِلَّا بَلَدَةٌ مِثْلُ بَلَدَةٍ وَخَيْرُهُمَا مَا كَانَ عَوْنًا عَلَى الزَّمَنِ

٢٠٢ أعطنا حقنا أو تصدق علينا

إِيْهَذَا الْأَمِيرُ قَدْ مَسَّنَا الضَّرُّ - وَمُدَّتْ يَدُ الْخُطُوبِ إِلَيْنَا

وَلَدَيْنَا بِضَاعَةٌ مُّزْجَاةٌ قَلَّ خُطَابُهَا، فَبَارَتْ لَدَيْنَا

الضر (الجوع)، مزجاة (كاسدة)، وبضاعتنا قل خطابها (مريدوها) وبارت (كسدت). لا يجيز أهل العروض للشاعر مثل هذا الزحاف في عروض البيت، لكن البحري ارتكبه وارتكب غيره. وأبو تمام أستاذ له هنات عروضية، ذكرها القدماء في كتبهم. وكان أبو العتاهية عندما يراجعونه في شيء كهذا يقول: أنا أكبر من العروض

أَيُّ هَذَا الْأَمِيرُ أَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ لَ، بِمَا شِئْتُ، أَوْ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا

يقول: إن لم ترد مكافأتنا على الشعر، فتصدق علينا صدقة على الأقل. هذه الأبيات تنظم الآية: «فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز منا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين» يوسف ٨٨

٢٠٣ ضحك يوم بكاء سنة

ينسب إلى البحري:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْضَ مَا أَمَكَّنَهُ وَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَمْرِهِ أَزْيَنَهُ

إذا المرء لم يرض بالممكن المتاح، ولم يفعل الفعل الحسن

وَأُعْجِبَ بِالْعُجْبِ، فَاقْتَادَهُ وَتَاهَ بِهِ التَّيُّهُ، فَاسْتَحْسَنَهُ

وإذا أعجب بالعجب (التكبر) فقادته تكبره، وتاه (ضل) به تيهه (تكبره)، واستحسن التكبر

فَدَعُهُ، فَقَدْ سَاءَ تَدْبِيرُهُ سَيَضْحَكُ يَوْمًا، وَيَبْكِي سَنَةً

فاتركه عندئذ فقد ساء تدبيره، ويسعد يوماً ويبكي سنة

٢٠٤ عاقدة اللسان

وقال في الخمرة:

مَا أَبَالِي إِذَا شَرِبْتُ ثَلَاثًا مَنْ عَدَا رَاضِيًا، وَلَا مَنْ جَفَانِي

مِنْ سُلَافٍ عَنِيْقَةٍ سَلْسَبِيلٍ بِنْتُ عَشْرِ، تُجِيدُ عَقْدَ اللِّسَانِ

سلاف (خمر صافية)، سلسيل (صافية)، بنت عشر (معتقة عشر سنين)، والخمرة تحسب عقد اللسان فشاربها يبلغ الحروف ويمطها

تَرَكْنِي، عَلَى فَصَاحَةٍ تُطْقِي، وَأَنَا مُحَوَّجٌ إِلَى تَرْجُمَانٍ

تركتني الخمرة رغم فصاحتي وأنا محتاج إلى من يترجم كلامي لصحي كي يفهموني

هِيَ نَعَمَ الرَّفِيقُ لِي إِنْ دَهَنَنِي نَائِبَاتُ الزَّمَانِ وَالْأَحْرَانِ

فإذا ما أردت رُشدي، فخذ لي مِنْ صُرُوفِ الرَّدَى كِتَابَ الْأَمَانِ
 إذا أردتني أن أسلك سبيل الرشاد وأترك الخمرة فخذ لي من صُرُوفِ (مصائب) الزمان كتاباً
 بالأمان، وهذا مستحيل بالطبع، فسوف إذن أواصل شربها

٢٠٥ قاطعو النور

إِنَّ الزَّمَانَ زَمَانٌ سَوٌّ وَجَمِيعُ هَذَا الْخَلْقِ بَوٌّ
 سَوٌّ (سوء)، بَوٌّ (جلد مسلوخ، يحشى بالتبن، ويقرب من الناقة لتظن أنه ولدها الذي ذبحوه
 ليأكلوه، فيدر لبنها فيحلبها بنو آدم)، والبو على هذا زائف وكذا جميع البشر في رأي البحري
 لَوْ يَمْلِكُونَ الضَّوْءَ، بُخٌّ لَا لَمْ يَكُنْ لِلْخَلْقِ ضَوْ
 ذَهَبَ الْكَرَامُ بِأَسْرِهِمْ وَبَقِيَ لَنَا لَيْتٌ وَلَوْ
 بقي (بقي)

فهرس القوافي (القافية فرقم القطعة)

١٥	تَقْلِي	٣٦	عَزَاء
٢٠	خِضَابِ	٢٨	وَدَوَاء
٩١	مُعَرِّبِ	٢٦	اللَّهْنَاء
١٥٨	نَجِيبِ	٣١	والحمراءِ
١٤٢	والحُرُوبِ؟	٧٢	بُرْحَانِهِ
١٨٦	دَهَابُهُ	٤٠	بِعَمَائِهِ
١٦٢	أُجَاذِبُهُ	٩٨	أَسْتَرِيبَا
١٧٥	تَجَارِبُهُ	٤	قُرْبَا
١٦٤	طِلَابُهُ	١٠٢	مُهَذَّبَا
١١٦	عَبَاغِيهِ	١٧٧	حَقْبُ
١٦٥	نُوبُهُ	٦	غَرِيبُ
٦٩	إِيْجَابِهِ	٧	فَعَذُّبُوا
١٧١	شَبَابِهَا	١٩٤	يُرِيبُ؟
٥	قُوتُ	١٤٩	أَرَبِ
٣٥	كُنْتُ	٧٠	الْحِجَابِ
١٥٩	الْبَنَاتِ	١٢٣	المُسَاغِبِ
٧١	الثَّقَاتِ	١٣٦	تَجَارِيْبِي
١١٠	ذَلَّتِ	١٤	تَغْلِبِ

١٤٤	سَعِيد	١٠٣	سَكَرَاتِي
٤٥	عُتُود	٥٠	المَبَاهِجُ
١٤٣	لِلْخُلُودِ	١٩٠	مُضَرَّجٌ
٤٢	وَالنُّجُودِ؟	١٣٨	حَاجُهَا
٥٦	وَلَدِي	٧٦	وَتُطْرَحُ
١١	أَحَدُ	٧٣	النِّكَاحِ
١٣٣	السَّهْدِ	٨٧	بِصَالِحِ
١٤٦	قَدَرُ	٨٠	لِلْمِضْبَاحِ
٥٧	مَحِيدُهَا	٧٤	وَالرَّاحِ
١٠٠	إِرْعَادِهِ	٣٣	بِرَاحِ
٩٧	وَاتَّقَادِهَا	٩٦	بَرَدَى
٩	فَجَرَا	١٩٦	رَغْدَا
٦٢	وَالْوَقَارَا	١٥٣	عَبْدَا
٨٩	الْبِحَارُ	٨	فَزِيدَا
٥٢	حَجَرُ	١٥١	مُعَاوِدَا
٢٥	خَيْرُ	٧٨	وَأَبْدَا
٣٤	قِصَارُ	٥٣	أَزِيدُ؟
٨٣	وَأَعْذَرُ	٥١	السُّودْدُ
١٣٢	يَخْتَارُ	٦٨	تَجِدُ
٨٦	يَغُرُّ	١٨	سَعْدُ
١١١	النَّفِيرِ	٦٦	اعْتِمَادِي
١٩	تُنْصَرِ	١١٢	الْجِهَادِ
٥٩	غُورِي	١٠	الْجَدَادِ
٢٩	قَصِيرِ	١٧٩	الرَّشِيدِ
٥٥	وَحَمَّارِ	٥٤	بِحَامِدِ
١	وَعَرِ	٦٧	بِوَاحِدِ

١٧٣	يَتَوَقَّعُ	١١٨	يُسْرِ
٧٩	أَخَذَعِي	١٠٨	الْكِبَرُ
١٢٢	أَضْلَاعِي	١٢٥	أُضْمِرُهَا
١١٩	الْأَرْتَبَاعِ	١٠٧	تُعَاوِرُهُ
٤٩	تَرْجِعُ	١٦٣	جَارُهُ
٥٠	مَنِيْعٌ	١٨٨	وَدُثُورُهَا
١٤٠	طَائِعُهُ؟	٨٤	يُحَاذِرُهُ
٩٢	وَوُلُوعُهَا	٦٥	الْأَيْسُ
١٩١	بِاضْطِنَاعِهِ	٢٣	الْقِرْطَاسِ
١٥٧	سَخِيْفًا	٤٤	مُؤْنِسٌ
١٧٨	ظَرْفًا	٢٢	(بِطِّيَاسِ)
١٣	مُصَفًى	١٨٣	الْقَاسِي
١٨٠	وِإِسْعَافًا	١٨٥	جَبَسِ
١٤١	وَقَفًا	٤٣	مَرْمَرِيْسٍ
١٥٢	تَخَفْتُ	١٧٠	تَغَاضِي
١٦٨	وَكَيْفُ	٢٧	مُنْقَضُهُ
٤٨	أَنْفِي	١٠٥	الْقُنُوطُ؟
١٨١	الصَّدِيقَا	٧٤	فَسَطُ
٤٧	شَفِيقًا؟	١٤٨	وَإِخْطُهُ
٤٦	مُقَوِّفًا	٦٤	مَضْرَعًا
١٢٤	تَعْلُقُ	٢١	مَعَا
١٥٤	حُقُوقُ	٣٢	وَرُبُوعًا؟
١١٥	الْأَوْثَقِ	١٠٦	الْمُتَفَرِّعُ
١٣٥	الْعُسَّاقِ	٧٥	الْهَوَامِغُ
٩٥	الْمُتَعَلِّقِ	١٣٧	نُسْتَطَاعُ
١٩٨	بِمُفِيقِ	١٣١	رَعَاغُ

٩٤	أَشَأْمَا	١٨٩	فَاضِدُقِ
١٠١	السَّلَامَا؟	١٤٥	نَقَقُ
١٢٩	الْمُنَمَّنَمَا	١٩٧	يَطْرُقُهُ
١٣٠	عُومَا؟	١٣٤	عِرَاقُكَ
٣٠	وَعُمُومَا	١٢١	الْحِبَالَا؟
٨٥	الْمُنَجَّشُمُ	١٢٠	ثِقْلَا
٦٠	وَتَحْرِمُ	٢٤	مُطِيلَا
٨١	الْقَدِيمِ	٦٣	الْحَزِيلُ
٩٩	الْمَلَامِ	١١٧	الْعَجَلُ
١٧٦	سِلْمِي	١٩٩	بَاطِلُ
١٤٧	عَمَّ	١٠٩	تَبَخَلُ
٥٨	مُحَرَّمِ	١٩٥	دَوُلُ
١٢٧	وُجُومِ	١٨٤	قَتِيلُ؟
٧٧	تَحْتَكِمُ؟	٩٠	مَنْزِلُ
٨٢	مُبْهَمَةٌ	١٩٢	يُقْبِلُ
١٢٨	مُقِيمُهَا	٢٠٠	الرَّجَالِ
١٣٩	الْإِخْوَانَا	٣٧	الْمِسْحَلِ
٣٨	الْأَمِينَا	١٦١	شِمَالِي
٢٠٢	إِلَيْنَا	١٦٠	وَالْتَّسْهِيلِ
١٨٧	سِوَانَا؟	١٢	وَالْمَعَالِي
١٦٦	عِرْفَانَا؟	٣	وَالْمَنَاصِلِ
١٦٧	و(بِنَا)	١٥٦	أَخْوَالُهُ
١٩٣	يَعْنِينَا	١٥٥	بِحِيلَةٍ
١٧	الْأَقَانِينِ	٦١	بَاطِلُهُ
١٦	الْإِنْسَانِ	٩٣	سُؤَالُهَا
١١٤	إِمْكَانِي	١١٣	وِإِبْطَالِهِ؟

١٦٩	زَمَانُهُ	٢٠٤	جَفَانِي
٣٩	وَيَمَانِهِ	٨٨	رِضْوَانِ
١٨٢	ذِكْرَاهُ	١٢٦	شَانِي
٢٠٥	بَوَّ	٤١	وَالْطَّيْنِ
١٧٢	بَادِيَا	٢٠١	الْوَطَنِ
١٠٤	أَهْلِيهَا	٢٠٣	أَرْيَنَهُ

فهرس الأغراض (البحري) (الأرقام كلها أرقام القصائد لا الصفحات)

العشق والغزل وتوابعهما

جمال الدنيا: ١٩٦/١٤١/٨٦/٣٤/٢٩/٨

خمر ومجلسها: ٢٠٦/١٨٨/١٨٥/١٦٧/١١٧/١١٤/١٠١/٨٠/٤٢/٣٤/٣١/١٣

عذاب العاشق: ٩٠/٨٣/٧٥/٧٢/٦٨/٤٧/٣٢/٢٨/٢٤/٢١/٢٠/٧/٦/٤/٢

١٦٣/١٢٨/١٢٥/١٢٤/١٢٢/١٢١/١٢٠/١٠٩/٩٧/٩٥/٩٣/٩٢

غزل: ٨٨/٨٦/٨٣/٨٠/٧٨/٧٧/٦١/٥٠/٣٧/٣٣/٢٩/٢٤/٢٣/٢١/٢٠/٨

/١٨٨/١٨٢/١٨٠/١٦٨/١٣٣/١٢٥/١٢٤/١٠٨/١٠٤/١٠١/٩٩/٩٢/٩١/٩٠

٢٠٢/٢٠١

غناء: ١٢٥/٨٢/٨١

استهتار: ٢٠٦/١٨٩/١٦٧/١٤٠/١٢٥/١١٩/١٠٥/٩٩/٧٢/٦٢/٣٤/٨

فكاهة: ١٨١/١٤٥/١١٢/٨٨/٨٢/٧٣/٢٥ (هذه أرقام القصائد)

طبائع ومشاعر

غربة وترحال: ١٠/١٥/١٨/٤٤/٤٥/٥٣/٥٤/٥٩/٦٥/٦٦/١٧٩/١٨٥/١٩٤
(غربة في الوطن)/٢٠٣

حنين إلى الشام: ٢٢/٤٣/٦٥/٩٤/٩٦/١٠١/١٢٥/١٣٥/١٧٩/١٨٢/١٨٥
شكوى من الزمن: ١/٢٣/٣٤/٣٥/٤٩/٥٢/٥٤/٥٩/٨٥/٩٤/١٠٧/١٣٩/١٤٥
١٤٧/١٥٢/١٥٥/١٦١/١٦٣/١٦٥/١٧٠/١٧١/١٧٦/١٧٩/١٨٥/١٨٩
١٩٠/١٩٢/١٩٣/١٩٥/١٩٧

شيب: ٨/٢٠/٢٢/٣٥/٣٧/٥٢/٩٢/٩٥/١٠٣/١٤٨/١٧٠/١٧١/١٨٢/١٨٨
١٩٥

هجاء البشر: ٥٢/٥٣/٥٤/٥٨/٢٠٧ (هذه أرقام القصائد)
حكمة: ٩/١٨/٦٧/٧١/٨١/١٣٦/١٤٣/١٥٨/١٦٠/١٦٤/١٧٣/١٧٥/١٩٩
٢٠٠/٢٠٥

صديق: ٩/١٣/٢٧/٤٢/٤٤/٥٦/٦٤/٧١/٧٤/١١٨/١٣٤/١٣٩/١٦٢/١٦٩
١٧٤/١٧٨/١٨٤/١٩٤/١٩٨

مدح وقدح، وحرب وضرب

مدح: ١٦/٢٦/٢٨/٣٠/٣١/٣٨/٤٣/٤٤/٤٦/٤٧/٤٩/٥١/٦١/٦٦/٦٨/٧٤/٧٧/٨٣/٨٤/٨٩/٩٠/٩٦/١٠٠/١٠١/١٠٢/١٠٤/١٠٦/١٠٨/١١٥/١٢٠/١٢١/١٢٣/١٢٧/١٢٨/١٢٩/١٣٠/١٣٢/١٣٤/١٣٥/١٣٧/١٣٨/١٤٧/١٥٠/١٥١/١٦٠/١٦٨/١٦٩/١٧٦/١٧٧/١٧٩/١٩١/٢٠٠ (هذه أرقام القصائد)

مدح الفُرس: ٣٠/٦٥/١١٧/١٣٨/١٨٥

عتاب: ٥/٢٧/٣٩/٤٢/٤٨/٦٠/٦٣/٦٤/٧١/٩٤/٩٨/١٠٦/١١٠/١٦٥/١٧٦/١٨٧/١٧٨

مطالبة بالعطاء: ٢٥/٣٩/٤٠/٤٨/٦٠/٦٩/٧٦/٨٩/٩٤/٩٨/١٠٤/١١٠/١٢١/١٣٥/١٣٨/١٣٩/١٥٤/١٦٣/١٦٦/١٧٢/١٧٤/١٧٦/١٧٩/١٨٦/١٨٨/١٩١/٢٠٤

شكر: ٢٦/١٤٩/١٥٠/١٥٣

رثاء: ٣٤/٣٦/٥٨/١٠٧/١٥٩/١٨٩/١٩٢

سياسة: ٤٧/٤٩/٨٣/٨٤/٨٧/٩٠/١٠٤/١٠٥/١٠٦/١٠٧/١٠٨/١١٣/١١٦/١١٧/١٢٠/١٢١/١٢٣/١٣٢/١٤٣/١٦٠

تشيع: ٤٧/١١١/١٤٦ (هذه أرقام القصائد)

حرب وضرب وجيش: ٨/٢٨/٣١/٣٨/٨٣/٨٤/٩٢/١٢٣/١٢٦/١٨٥

شؤون القبائل: ١٩/٤٧/٤٩/٥٧/٩٢/١٢٣/١٤٢/١٥٦

ضد الروم: ٣/٢٨/٣٨/٨٤/٩٠/١٢٨

هجاء: ١٤/١٧/٤٠/٤١/٤٧/٥٥/٦٩/٧٠/٧٦/٨١/٨٢/١١٠/١١١/١١٢/١١٣/١١٦/١٣١/١٤٠/١٤٤/١٤٥/١٤٦/١٤٨/١٥٦/١٥٧/١٧٨

وصف

الحيوان: الأسد: ١٤٣/١٠٢، الذئب: ١٨، الحمار: ١٤٧/١٤٥/٥٥/٢٥،
البقر: ٥٢، البغل: ٥٣، الجمل: ٥٣/٥٩، الكلب: ٥٩، الخنزير: ٥٩،
السك: ١٠٤، الدلفين: ١٠٤، الجؤذر: ١٠٧، الطيبي: ١٠٧، الدجاج:
١١٦، القرد: ١٤٣

وصف الطبيعة: ١٦٩/١٣٨/١٣٠/١٠٤/١٠٢/١٠٠/٩٦/٨٣/٣٤/٣١ (هذه أرقام
القصاصد)

وصف العمران: ١٨٥/١٠٧/١٠٤

وضع المرأة: ١٥٩/٣٦/٢٨/٣

فخر

فخر بالشعر: ١٠/١١/٢٦/٣٩/٤٢/٥٢/٦٥/٧٩/٨٥/١٢٩/١٣٥/١٦١/١٦٥/

١٨٦

فخر بالقبيلة: ١/٨/١٢/٤٨/٥٧/١٠٣/١٢٦/١٤٧/

فخر بالنفس: ١٠/١٨/٤٥/٥٦/٧٠/١٠٣/١٠٧/١٤٩ (هذه أرقام القصائد)

فهرس القواني العام

أبواب الكتاب: ١ بشار ٢ العتاهي ٣ العباس ٤ مسلم ٥ أبو نواس ٦ دعل
٧ ديك الجن ٨ ابن الجهم ٩ أبو تمام ١٠ البحري

الموتى ١ العباس	اُنْتِشَاء ٣ أبو نواس
الأبناء ١ دعل	اُنْطَوَاء ٢ بشار
الأنواء ٥٤ أبو تمام	سَوَاء ٢٩ أبو تمام
الصفاء ١ أبو نواس	سَوَاء ٣ بشار
سَوَاء ٢ بشار	البلاء ٧٩ العتاهي
عزاء ٣٦ البحري	الخوراء ٤ بشار
هواء ٢ دعل	الخلفاء ١٣٩ أبو تمام
والبلوى ٢١ ابن الجهم	الشتاء ٢٢ ابن الجهم
ودواء ٢٨ البحري	الطائي ٤٤ ديك الجن
الإباء ١٨٣ أبو تمام	القضاء ١٩ ابن الجهم
الأرجوزة ٧٨ العتاهي	حَوْلَاء ٦ بشار
الأعداء ٥ بشار	سُجْرَائِي؟ ١١٩ أبو تمام
بهاء ٧٨ بشار	ضَرَاء ١ ديك الجن
الداء ٢ أبو نواس	قضائي ٣ العباس
الدَّهْنَاء ٢٦ البحري	والحمراء ٣١ البحري

لَهَا ١ بشار	فَنَاؤُهَا ٢ العتاهي
مُهَذَّبًا ١٠٢ البحتري	أَسْمَائُهَا ٤ أبو نواس
نَسَبًا ٢ مسلم	امْتَلَائُهَا ١٧٩ أبو تمام
نَشَبًا ٥ دعلج	بُرْحَانُهُ ٧٢ البحتري
وَأَعْرَبًا ٦ أبو نواس	بِعَمَائِهِ ٤٠ البحتري
وَالصَّابَا ٤٤ أبو تمام	صَفَائِهِ ٢ العباس
وَتُرْكِبًا ٢٨ ابن الجهم	غُلَوَائُهَا ٩ ابن الجهم
وَنُبًا ٢ بشار	غَنَائِكَا ٢ العتاهي
وَهَبًا ٢٠ بشار	ارْتِيَابًا ٢ بشار
وهويته رَيًّا ٥٧ بشار	أَسْتَرِيَا ٩٨ البحتري
أَتَوْتُبُ ١ بشار	الجوابا ٥ أبو نواس
الحاسِبُ ١ بشار	السَّيَا ١٨٠ أبو تمام
الحُبُّ ٧ العباس	الْكَلْبَا ٤٣ أبو تمام
الْخَطْبُ ٩٨ أبو تمام	المَغَارِيَا ١٥٤ أبو تمام
الْخُطُوبُ ١١ أبو نواس	المُهَذَّبَا ٢ بشار
الْخُطُوبُ ٦ العتاهي	بَابَا ٣ العتاهي
الْقَرَبُ ١٢ أبو نواس	تَابَا ٢ بشار
الْعَجَبُ ٨ أبو نواس	تُرِيَا ٢٧ أبو تمام
الْعَرَبُ ٢ العتاهي	تَصُوبَا ٨٢ أبو تمام
الْقَلْبُ ٩ أبو نواس	رَبًّا ١٠ بشار
الْكَاذِبُ ١ بشار	غَضِبَا ١١ العباس
الْكَنِيْبُ ٩ العتاهي	قُرْبَا ٤ البحتري
المُذْنَبُ ٢٦ ابن الجهم	كَذْبَا ٢ بشار

المكروب ١٧٢ أبو تمام

التَّحِيْبُ ٧ العتاهي

النَّوَادِبُ ٣ ديك الجن

أَهْيَبُ ٣ دعل

تُجِيبُ ٢ العتاهي

تُحَلِّبُ ٥ ديك الجن

تَشِيبُ ١٠ مسلم

تُؤَبُّ ١ العتاهي

جَدِيدُ ١٠٥ أبو تمام

حَقْبُ ١٧٧ البحري

ذَهَبُ ١ العتاهي

عَجَبُ ٥ العتاهي

عَذْبُ ٤٥ ديك الجن

عَرُبُ ٤ دعل

غَرِيبُ ١٣ بشار

غَرِيبُ ٦ البحري

قَالَئِبُ ٧ أبو نواس

فَعَذَّبُوا ٧ البحري

فَقْضِيْبُ ٤ ديك الجن

قِيْبُ ٤ العتاهي

كَيْبُ ١٠٤ أبو تمام

لَعَازِبُ ٢ بشار

مَذْهَبُ ١٨ بشار

نَصِيْبُ ٢ العتاهي

وَالْآدَابُ ٢٠ أبو تمام

وَالْعَتَابُ ٦ العباس

وَالْغَضَبُ ٦ أبو تمام

وَيْبُ ١٥٨ أبو تمام

وَيَغْضَبُ ٥ العباس

وَيَتَجِبُ ٢٤ ابن الجهم

وَيَنْشَعِبُ ١٠ أبو نواس

يَنْتَسِبُ ١٦ بشار

يُجِيبُ ١٢ العباس

يُرِيبُ ٢٥ ابن الجهم

يُرِيبُ؟ ١٩٤ البحري

أَثْرَابُ ١٨٥ أبو نواس

أَدِيبُ ١٢ أبو تمام

أَدِيبُ ١٥٧ أبو تمام

أَرَبُ ١٤٩ البحري

أَرَبِي ٦ ديك الجن

اِكْتِنَابُ ١٥ بشار

الأَحْسَابُ ١٢٧ أبو تمام

الأَدَبُ ٧ دعل

الترابُ ١١٧ أبو تمام

الثَّرَبُ ٢٣ مسلم

الْحِجَابُ ٧٠ البحري

حُبُّ ٢ بشار	الرَّاكِبِ ٢ العتاهي
خِصَابِ ٢٠ البحتري	السَّوَائِبِ ١٠٢ أبو تمام
خُطْبِ ٥٦ بشار	الشَّبَابِ ١ بشار
عَتَابِ ٧٧ أبو تمام	الظَّرَبِ ٨ ديك الجن
عَجَبِ ١٥٢ أبو تمام	العَرَبِ ٢١ بشار
عَذْبِ ١٥ أبو نواس	العِقَابِ ١ مسلم
غَرِيبِ ٧ ديك الجن	الغَالِبِ ١١ بشار
قَلْبِي ١٣ العباس	الكَرْبِ ١٠ العباس
قَلْبِي ٥٥ بشار	الكَعَابِ ٦ دعلج
قَلْبِي ٨ دعلج	المَرْكَبِ ٣٠ ابن الجهم
لِشْرَابِ ١٣ أبو نواس	المُشَاغِبِ ١٢٣ البحتري
لِلصَّوَابِ ٨٠ العتاهي	المُتَنَابِ ٩ بشار
لِلضَّبِّ ١٦ أبو نواس	بِالرَّكَّابِ ٢ بشار
مُثَقَّبِ ٧٥ أبو تمام	بِمَغْلُوبِ ١ بشار
مُرَاقِبِ ٩ العباس	تَبَابِ ٨ العتاهي
مُغَرَّبِ ٩١ البحتري	تَتَوْبِي ٢ العتاهي
مُنْقَلَبِ ٢٩ ابن الجهم	تَجَارِيبي ١٣٦ البحتري
نَجِيبِ ١٥٨ البحتري	تَجْرِيبِ ١٧ أبو نواس
نَضِيبي ١٧ بشار	تُسْكِبِ ٧ بشار
وَإَكْذِيبِي ١٢ بشار	تَعَبِ ١ العتاهي
وَالْحُرُوبِ ؟ ١٤٢ البحتري	تَغْلِيهِ ١٤ البحتري
وَالخُطْبِ ٢٧ ابن الجهم	تَقْلُوبِي ١٥ البحتري
وَالذِّيبِ ٢ بشار	جَوَابِي ٢ العتاهي

وَالْعَنْبِ ١٤ أَبُو نَوَاسٍ	تَجَارِيَةُ ١٧٥ الْبَحْثَرِي
وَالْقَضْبِ ١٤ الْعَبَّاسُ	جَانِيَةُ ١٩ بَشَّارٌ
وَالكَرْبِ ٦ الْعَبَّاسُ	خُطُوبُهَا ١٢ الْعَتَاهِي
وَاللَّعِبِ ١٤٠ أَبُو تَمَامٍ	طَالِيَةُ ١٠٨ أَبُو تَمَامٍ
وَالنُّوْبِ ١٦ أَبُو تَمَامٍ	طِلَابَةُ ١٦٤ الْبَحْثَرِي
وَبِالْعَنْبِ ١٨ الْعَبَّاسُ	عَبَّاعَةُ ١١٦ الْبَحْثَرِي
وَشُحُوبِي ٤ الْعَبَّاسُ	نُؤْيَةُ ١٦٥ الْبَحْثَرِي
وَشَيْبِ ١٧ مُسْلِمٌ	وَأُغَالِيَةُ ١٥ الْعَبَّاسُ
يُرْكَبِ ٢٨ ابْنُ الْجَهْمِ	وَتُرَاقِيَةُ ١ بَشَّارٌ
يَشِيبِ ٥٤ دَعْبِلٌ	وَتُقْلَبَةُ ١١ الْعَتَاهِي
أَدَبِ ١٠ الْعَتَاهِي	يُحْبَةُ ١٦ الْعَبَّاسُ
الْمَشِيبِ ١ مُسْلِمٌ	يُلَاعِيَةُ ٢٠ أَبُو نَوَاسٍ
وَالْكُتْبِ ٥٥ دَعْبِلٌ	إِهَابُهُ ٢٢ أَبُو نَوَاسٍ
وَجَبِ ٢ الْعَتَاهِي	إِيْجَابُهُ ٦٩ الْبَحْثَرِي
أَبْوَابُهَا ١٧ الْعَبَّاسُ	حِجَابُهُ ١ بَشَّارٌ
أَثْوَابُهَا ٢ دِيكَ الْجَنِّ	حِجَابُهُ ٢١ أَبُو نَوَاسٍ
ذَنْبُكَ ٣ ابْنُ الْجَهْمِ	حَسَبُهُ ٨ بَشَّارٌ
ذَهَابُهُ ١٨٦ الْبَحْثَرِي	شَبَابُهَا ١٧١ الْبَحْثَرِي
سِيَابَةُ ١٨ أَبُو نَوَاسٍ	عَوَاقِبُهَا ٧ ابْنُ الْجَهْمِ
هُدْبَةُ ٩ دَعْبِلٌ	وَحَاصِبُهَا ٢٣ أَبُو نَوَاسٍ
وَالِيَةُ ١٩ أَبُو نَوَاسٍ	وَصَبَةُ ١٢٣ أَبُو تَمَامٍ
أُجَاذِيَةُ ١٦٢ الْبَحْثَرِي	الْأَمْوَاتَا ١٥ الْعَتَاهِي
أَقَارِبُهُ ١٤ بَشَّارٌ	الْثَبَاتَا ١٩ الْعَتَاهِي

سَكَرَاتِي ١٠٣ البحري	الموتى ١ العباس
شَيْبَ ٢٢ بشار	فَتَمَّنَيْتَا ٢ العتاهي
صَبَابَاتِي ٢٦ أبو نواس	الْبَنَاتُ ١٠ ديك الجن
عَادَتِ ١٧ العتاهي	الموتُ ١ العتاهي
عَثَرَاتِي ١٤ العتاهي	أَنْعَتُ ٢ العتاهي
مُتَابَعَاتِ ٣١ ابن الجهم	سَيَّكَيْتُ ٢٤ أبو نواس
مُتَعَتَّ ٢ بشار	فُوتُ ٥ البحري
مَقْدِرَةَ ١٩ العتاهي	كَثِيرَاتُ ٢ العتاهي
وَالشُّبُهَاتِ ٢ العتاهي	كُمَيْتُ ٢٣ بشار
وَالْمَلَالِ ٢ العتاهي	كُنْتُ ٣٥ البحري
وَأَيَّتِ ١٢٤ أبو تمام	وَصَلْتُ ٩ ديك الجن
وَصَلَّتِ ٢٤ بشار	يَمُوتُ ٢ العتاهي
يُؤَاتِي ٢٥ أبو نواس	أَبَتْ ١١ دعلج
المماتُ ١٩ العباس	الْبَنَاتِ ١٥٩ البحري
طَلِبْتُ ٢٠ العباس	الثَّقَاتِ ٧١ البحري
هَوَيْتُ ١ بشار	الرَّزِيَّتِ ٢ بشار
وَعَنَتْ ١٣ العتاهي	الْعَرَصَاتِ ١٠ دعلج
فَدَيْتُهُ ٢٥ بشار	المماتِ ١٨ العتاهي
وَأَتَيْتُهَا ٢ العتاهي	بِالْعَفَارِي ٢ بشار
وَفَاتُهَا ٤٥ أبو تمام	بِمُؤَاتِ ١٦ العتاهي
بِعَبْرَتِي ٢ العتاهي	بَيْتِ ٣٢ ابن الجهم
تَأْتِيهَا ٢ العتاهي	تُؤَاتِي ٢٦ بشار
رَثَانًا ٧٦ أبو تمام	ذَلَّتِ ١١٠ البحري

تَفْرُحُ ٢٠ العتاهي	الأخَذْتُ ١ العتاهي
تَلُوحُ ٢٦ أبو تمام	حَاثُ ٢ العتاهي
رُوحُ ١١ ديك الجن	أَحْجَى ٥٦ أبو تمام
مَادِحُ ٢ العتاهي	الْفَرَجَا ٢٧ أبو نواس
وَتُطْرَحُ ٧٦ البحري	حَرَجَا ٨٨ أبو تمام
يَسْلَحُ ٣١ بشار	رَجَا ٢ العتاهي
السَّفَاحُ ٤٦ أبو تمام	المَبَاهِجُ ٥٠ البحري
المُدَّاحُ ١ العتاهي	تَأَجَّجُ ٢٩ بشار
النَّاحِجُ ١ بشار	حَجَّجُ ٢٧ بشار
النِّكاحُ ٧٣ البحري	دُعُجُ ٤٦ ديك الجن
النَّواحِي ٢ العتاهي	نَارُ تَأَجَّجُ ٢٨ بشار
بِصَالِحِ ٨٧ البحري	المُهَجِّجُ ٤٧ ديك الجن
عَدِ ١ العتاهي	زُجَاجُ ٢ بشار
لِلْمِضْبَاحِ ٨٠ البحري	مُضَرَّجُ ١٩٠ البحري
مَخْرُوجُ ٣٤ أبو نواس	حَاجُهَا ١٣٨ البحري
مِلَاحًا ١ بشار	جَرَحَا ٢ بشار
نَبَّاحُ ٢ بشار	جَرَحَا ٣٠ أبو نواس
والرَّاحُ ٧٤ البحري	صَدَحَا ٢٩ أبو نواس
بِرَاحِ ٣٣ البحري	طَاحَا ١ بشار
الْبَارِحَةُ ٣٥ أبو نواس	وَمَزَاحَا ٢٨ أبو نواس
رُوحُهَا ٢ بشار	الصَّبُوحُ ٣٣ أبو نواس
وَجَارِحُهُ ١٥ ابن الجهم	الْفُصْحُ ٣٢ أبو نواس
أُبْعَدَا ١٨ ابن الجهم	الْمَازِحُ ٣١ أبو نواس

أحدًا ٢٢ العتاهي	أحدُ ٢٣ العتاهي
الرَّدى ٣٩ بشار	أحمدُ ١ بشار
الرَّشدا ٨٢ العتاهي	أحمدُ ٨١ العتاهي
بردى ٩٦ البحري	أزیدُ؟ ٥٣ البحري
تعمَّدًا ٢ بشار	السُّوددُ ٥١ البحري
حمدًا ١٤ دعلب	العائدُ ٢٣ العباس
رُعْدًا ١٩٦ البحري	المِریدُ ١ بشار
رودًا ٣٧ أبو نواس	النَّقدُ ٢٥ أبو تمام
سَعیدا ٢٢ مسلم	إِيَّادُ ١٢ دعلب
شدًّا ٢٤ العتاهي	بعیدُ ٣٢ بشار
شهدًا ٣٣ بشار	بعیدُ ٥٩ بشار
عَبْدًا ١٥٣ البحري	تَجِدُ ٦٨ البحري
غدا ٢٤ العباس	تجوُّدُ ٢١ العباس
فَزِيدًا ٨ البحري	تَلَدُ ١ بشار
فَسَدًا ٢٢ العباس	جُدودُ ٤٠ بشار
فَنَدًا ١٥ دعلب	حُصِدُوا ٤٢ بشار
مُعَاوِدًا ١٥١ البحري	حَسودُ ١٢ ديك الجن
مَوَعِدًا ٢ بشار	خَالِدُ ٢١ العتاهي
وَأَبْدًا ٧٨ البحري	رَدُّ ١١٣ أبو تمام
والتَّوْحِيدًا ٣٥ ابن الجهم	رَقَدُوا ١٣ دعلب
وإِيرَادًا ٣٤ ابن الجهم	رَقَدُوا ٢٥ العباس
وَصُدودًا ١٠٠ أبو تمام	رَقَدُوا ٥٨ بشار
وَعِيدًا ٣٨ بشار	سَعْدُ ١٨ البحري

الحاشد ٤٢ أبو نواس	سعد ٢٨ العباس
الحدا ١٠ البحتري	شديد ٣٣ ابن الجهم
الحمد ٥٥ ابن الجهم	شهدوا ٦٠ بشار
الرشي ١٧٩ البحتري	عدد ٨٣ أبو تمام
الرعايد ١٣ مسلم	فؤاد ٤١ بشار
السود ٢٤ مسلم	قائد ١ بشار
الصمد ٣٤ بشار	معقود ٤٤ بشار
الفؤاد ١٦٣ أبو تمام	وترعد ٣٧ بشار
الفؤاد ٣٠ العباس	وساد ٤٥ بشار
القوم ١٠٩ أبو تمام	ولكوا ٣٣ أبو تمام
المجد ٢ العتاهي	يد ٢ العتاهي
المجد ٢١ أبو تمام	يريد ٢ العتاهي
المسترا ٣٨ أبو نواس	يزيد ٢٩ العباس
الوادي ١٩ أبو تمام	يغمد ١٠ ابن الجهم
الوخد ١٢١ أبو تمام	يود ٢ العتاهي
بالجر ٤٠ أبو نواس	أزد ٢ بشار
بالسد ٣٩ أبو نواس	اعتماد ٦٦ البحتري
بحايد ٥٤ البحتري	الأسود ٤٤ أبو نواس
بعود ٢ بشار	البلد ٤٣ أبو نواس
بقاسد! ١١٤ أبو تمام	البيد ١٣٢ أبو تمام
بفاقيد ١٨٢ أبو تمام	الجسد ٢ بشار
بمؤعودي ٤٥ أبو نواس	الجسد ٤٧ أبو تمام
بواحد ٦٧ البحتري	الجهاد ١١٢ البحتري

مَرْقَدِ ٨٧ أبو تمام	يُوسَاذِ ٣٦ ابن الجهم
مُشَرَّرِ ٢ مسلم	جَدِيدِ ٣٦ بشار
مَوْجُودِ ٢٧ العباس	جَلْدِي ٢ مسلم
مَوْدُودِ ٢ العتاهي	جِهَادِي ٢ بشار
مَوْعِدِ ١٣ ديك الجن	خُلُودِ ٨٣ العتاهي
نَوَاشِدِ ١٠١ أبو تمام	دَاوُدِ ٢ بشار
وَاحِدِ ١٩ دعبل	دَاوُدِ ٤٣ بشار
وَالجَسَدِ ١٤ ديك الجن	دُؤَادِ ١٦٤ أبو تمام
وَالجَسَدِ ٢٦ العباس	سَعِيدِ ١٤٤ البحري
وَالْمُؤَيَّدِ ٢ العتاهي	عَبَّادِ ١٧ دعبل
وَالنُّجُودِ؟ ٤٢ البحري	عُتُودِ ٤٥ البحري
وَتَالِدِ: ٩٩ أبو تمام	عُنْدِي ٢١ مسلم
وَتَغْتَدِي ٨٦ أبو تمام	عَهْدِ ١٥ ديك الجن
وَفْدِي ١٢٥ أبو تمام	عُؤَادِي ٢ بشار
وَلَدِي ٥٦ البحري	عِيْدِ ٨ ابن الجهم
يَدِ ١٨ دعبل	عَدِ ٢ العتاهي
يُعْدِي ٢ بشار	قَرَدَدِ ١٣٦ أبو تمام
أَحَدِ ١١ البحري	كَالْوَزْدِ ٤١ أبو نواس
الْأَسَدِ ١ بشار	لَبِيدِ ١٦٥ أبو تمام
الْخَرَائِدِ ٣٥ بشار	لِلْخُلُودِ ١٤٣ البحري
السَّهْدِ ١٣٣ البحري	لِلْعَبَادِ ٢ بشار
الْمُتَجَرِّدِ ٣٦ أبو نواس	مُحَمَّدِ ١٦ دعبل
قَدَدِ ٤٦ بشار	مُحَمَّدِ ٢ بشار

أَضْمَرَا ٢ مُسْلِم	قَدَرُ ١٤٦ الْبَحْتَرِي
اِقْتَرَى ٥٩ أَبُو نَوَاس	بَعْدَهَا ٢٥ الْعَتَاهِي
الْحَجَرَا ٢ مُسْلِم	عَادَةُ ٤٦ أَبُو نَوَاس
الْحُمَارَا ٥٨ أَبُو نَوَاس	كَبَلَهُ ٤٧ أَبُو نَوَاس
الْحَمْرَا ٦١ أَبُو نَوَاس	كُنْدَةُ ٤٨ أَبُو نَوَاس
الذِّكْرَا ١٩ مُسْلِم	وَاحِدَةُ ٥٦ دَعْبِل
الْقَدْرَا ١ مُسْلِم	وَجْدُهُ ٥٩ أَبُو تَمَام
الْكِبَارَا ١٧٥ أَبُو تَمَام	جَلُّهُ ٤٩ أَبُو نَوَاس
النَّهَارَا ٢ الْعَتَاهِي	جَدِيدُهَا ١٢ ابْن الْجَهْم
جَهْرَا ٦ مُسْلِم	مَجِيدُهَا ٥٧ الْبَحْتَرِي
حُرًّا ٢٠ دَعْبِل	هُجُودُهَا ١٤ ابْن الْجَهْم
سَهْرَا ١٧ دِيكَ الْجَنْ	إِرْعَادِهِ ١٠٠ الْبَحْتَرِي
ظُهِرَا ٦٢ أَبُو نَوَاس	خَدُّهُ ٦٠ أَبُو تَمَام
فَانْفَجَرَا ٨٦ الْعَتَاهِي	صُدُودُهُ ٥١ أَبُو نَوَاس
فَجَرَا ٩ الْبَحْتَرِي	وَاتَّقَادِهَا ٩٧ الْبَحْتَرِي
مِرَارَا ١٦ مُسْلِم	وَدَّهٖ ٩٧ أَبُو تَمَام
مِرَارَا ٢ الْعَتَاهِي	وَلَدُهُ ٢ الْعَتَاهِي
مَسْتَقَرًّا ٢ الْعَتَاهِي	يَدِيكَ ١٨٥ أَبُو تَمَام
مَطَرَا ٢ بَشَار	يُفَدُّهُ ٥٠ أَبُو نَوَاس
وَالْفِكْرَا ٦٠ أَبُو نَوَاس	ذَات الْأَمْثَال ٧٨ الْعَتَاهِي
وَالْوَقَارَا ٦٢ الْبَحْتَرِي	طَيْرِنَابَاذًا ٥٢ أَبُو نَوَاس
الْأُخْرُ ٢٨ أَبُو تَمَام	بَغْدَاذٍ ٥٣ أَبُو نَوَاس
الْأَزْهَرُ ٥ ابْن الْجَهْم	اسْتَطَارَا ٥٧ أَبُو تَمَام

الأوطار ٩١ أبو تمام	خبر ٥٢ بشار
البحار ٨٩ البحري	خبر ٢٥ البحري
الجهز ٦٥ أبو نواس	صذر ١٤ أبو تمام
الخنزير ١٠ أبو تمام	ضرب ٢ بشار
الخيار؟ ١١٥ أبو تمام	عذر ٣٥ أبو تمام
الدهر ٤٢ أبو تمام	عسير ٧٠ أبو نواس
السرا ٥١ بشار	عور ٦٨ أبو نواس
الصبر ٣٩ العباس	قبور ٢٦ مسلم
الصدور ٥ أبو تمام	قصار ٣٤ البحري
الفرا ٣٩ ابن الجهم	مذار ٣٣ العباس
القدر ١٣٧ أبو تمام	مستعار ٢٥ مسلم
القمر ٤٧ بشار	ندور ٦٧ أبو نواس
الكبير ٢٠ ابن الجهم	وأعذر ٨٣ البحري
النار ١ بشار	والحذر ١ العتاهي
باسور ٥٤ بشار	والخير ٦٩ أبو نواس
بحر ٦٤ أبو نواس	والخير ١١ أبو تمام
بشار ١ بشار	والعنب ٤٨ ديك الجن
تذكر ٣٧ ابن الجهم	والعنب ٦١ أبو تمام
توقر ٦٣ بشار	والفكر ٢٠ ديك الجن
جعفر ١٧ ابن الجهم	والنظر ٤٨ بشار
حجر ٤٢ العباس	وزر ٢٧ مسلم
حجر ٥٢ البحري	ومر ١ العتاهي
حضر ٦٣ أبو نواس	ويكر ٨٤ العتاهي

وَيَظْهَرُ ٣٧ العباس	الْفَاتِرِ ٦٢ أبو تمام
يَتَكَسَّرُ ١٤١ أبو تمام	الْفُجَّارِ ٢ بشار
يَخْتَارُ ١٣٢ البحري	الفَقْرِ ١ العتاهي
يَدُورُ ٦٦ أبو نواس	الفَقْرِ ١ العتاهي
يَسْتَرُّ ٣٨ ابن الجهم	القَبْرِ ١ مسلم
يَسْتُرُّ ١٨٨ أبو تمام	الْقَطْرِ ٦٤ بشار
يُغَرُّ ٨٦ البحري	الْكَبْرِ ٧٣ أبو نواس
أَثَرِي ٧٤ أبو نواس	الكَبِيرِ ٨٤ أبو نواس
أَدْرِي ٢ مسلم	الْكَدْرِ ٧٨ أبو نواس
أَدْرِي ٥٦ ابن الجهم	الْمُتَحَيِّرِ ١٢٩ أبو تمام
أَغْفَرِ ٢ أبو تمام	الْمُحَجَّرِ ٣٤ العباس
الْأَثَرِ ١ مسلم	الْمَحْبَرِ ١ مسلم
البَدْرِ ٨٨ العتاهي	النَّارِ ٢ العتاهي
التَّبَكُّيرِ ٤٩ بشار	النَّارِ ٣١ العباس
الْجَمْرِ ٢٣ ديك الجن	النَّفِيرِ ١١١ البحري
الجَوَارِ ٥٣ بشار	النَّوَارِ ٥٠ ديك الجن
الخَبْرِ ٧٢ أبو نواس	أَمْرِي ٩ مسلم
الْدَارِ ١ مسلم	بِالْتَّقْصِيرِ ٢٢ دعبل
الدَّفْرِ ٢٤ دعبل	بِالنَّظَرِ ٨١ أبو نواس
الدهرِ ٢٧ العتاهي	بِالْهَوَاجِرِ ٢١ ديك الجن
السَّفْرِ ٢ العتاهي	بِالْوَقَارِ ٨٥ أبو نواس
الصدورِ ٨٣ أبو نواس	بصري ٤٠ العباس
الطَّوَامِيرِ ٢٣ دعبل	تَدْرِي ٣٦ العباس

تَدْرِي ٧٧ أبو نواس	تَقْرِي ٢١ دَعْبِل
تُنْصِرِ ١٩ البَحْتَرِي	وَالْبَصْرِ ٤١ الْعَبَّاسُ
حَذَارِ ١٤٥ أبو تمام	وَالسَّدِيرِ ٨٧ الْعَتَاهِي
دَوْرِ ٣٢ الْعَبَّاسُ	وَحَمَّارِ ٥٥ الْبَحْتَرِي
سَقَرِ ٢ الْعَتَاهِي	وَحَمْرِ ٤٩ دِيكَ الْجَنِّ
شَاعِرِ ٢٨ مُسْلِم	وَحَمْرِ ٧٩ أبو نواس
صَبْرِي ٣٨ الْعَبَّاسُ	وَدِينَارِ ٥٧ دَعْبِل
طُفْرِ ٨٢ أبو نواس	وَعَرِ ١ الْبَحْتَرِي
عَصْرِ ٢ مُسْلِم	يَجْرِي ٧٥ أبو نواس
عُمَرِي ٢ الْعَتَاهِي	يُسْرِ ١١٨ الْبَحْتَرِي
عُورِي ٥٩ الْبَحْتَرِي	يُقْبِرُ ١ الْعَتَاهِي
فَاخِرِ ٨٩ أبو تمام	أَسْتَرُ ٥٥ أبو نواس
فَأْدَارِي ٧١ أبو نواس	الْبَصْرِ ٦٢ بَشَار
فَانْتَشِرِ ٢٢ دِيكَ الْجَنِّ	الْكَبْرِ ١٠٨ الْبَحْتَرِي
قَصِيرِ ٢٩ الْبَحْتَرِي	بَشَرِ ١ الْعَتَاهِي
قَوَارِيرِ ٢ بَشَار	تَغُورُ ٢ بَشَار
كَالْبَدْرِ ٧٦ أبو نواس	خَبَرُ ١٩ دِيكَ الْجَنِّ
لِلْحَشْرِ ٨٠ أبو نواس	وَالْخَطَرُ ٥٧ أبو نواس
لِلْفَخَارِ ٥٠ بَشَار	وَأَنْذَرُ ٢٦ الْعَتَاهِي
مَسْتَرِ ٣٥ الْعَبَّاسُ	وَنَصِيرُ ٥٤ أبو نواس
مَسِيرِ ٢ بَشَار	وَطَرُ ٥٦ أبو نواس
مَنْصُورِ ٢٣ ابْنُ الْجَهْمِ	ابْتِكَارَهَا ١٦ دِيكَ الْجَنِّ
مُنِيرِ ٢٦ دِيكَ الْجَنِّ	التَّجَارَةُ ٦١ بَشَار

الْمُذْرَّةُ ٢٦ دَعْبِل	الْأَنْسُ ٦٥ الْبَحْتَرِي
الْقَذْرَةُ ١٨ دِيك الْجَن	الْقِرْطَاسِ ٢٣ الْبَحْتَرِي
وَالْمَرَّةُ ٢٥ دَعْبِل	مُؤْنَسُ ٤٤ الْبَحْتَرِي
أُضْمِرُهَا ١٢٥ الْبَحْتَرِي	وَدَارِسُ ٨٨ أَبُو نَوَاس
أَمِيرُهَا؟ ١٧ أَبُو تَمَام	(بِطْيَاسِ) ٢٢ الْبَحْتَرِي
أَمِيرُهَا؟ ٩٢ أَبُو تَمَام	أُخْرَسِ ٢٧ دَعْبِل
أَنْهَمَارُهَا ١٧٠ أَبُو تَمَام	الْأَذْرَاسِ ١٤٨ أَبُو تَمَام
بَوَادِرَةُ ٨٥ الْعَتَاهِي	الْإِنْسِ ٢ الْعَتَاهِي
تَغَاوِرَةُ ١٠٧ الْبَحْتَرِي	الْقَاسِي ١٨٣ الْبَحْتَرِي
جَارَةُ ١٦٣ الْبَحْتَرِي	النَّاسِ ٤٣ الْعَبَّاس
مَصَادِرَةُ؟ ١٢٢ أَبُو تَمَام	النَّاسِ ٩٠ أَبُو نَوَاس
وَدُثُورُهَا ١٨٨ الْبَحْتَرِي	الثُّفُوسُ ٢ ابْنُ الْجَهْم
يُحَاذِرَةُ ٨٤ الْبَحْتَرِي	أَنْفَاسِي ٢٧ دِيك الْجَن
يَضْرُهُ ٢٩ الْعَتَاهِي	أَنْقَاسِ ٧٣ أَبُو تَمَام
أُمُورِهِ/الْأَرْجُوزَةُ الْعَتَاهِي ٧٨	بِرَاسِي ٩١ أَبُو نَوَاس
بَثَّارُهَا ٦ ابْنُ الْجَهْم	جَبْسِ ١٨٥ الْبَحْتَرِي
خَبِيرَةُ ٢٨ الْعَتَاهِي	رَاسِي ٤٤ الْعَبَّاس
خِذْرُو ٢٥ دِيك الْجَن	عَبَّاسِ ٨٩ أَبُو نَوَاس
سَمَرُهُ ٨٧ أَبُو نَوَاس	مَرْمَرِيْسِ ٤٣ الْبَحْتَرِي
لِخْضَرِهَا ٢٤ دِيك الْجَن	جَلَسَ ٩٢ أَبُو نَوَاس
وَقَارُهُ ٨٦ أَبُو نَوَاس	قَسَّهَا ٢ الْعَتَاهِي
قُدْمُوسَا ١٨ أَبُو تَمَام	رُقَاشُ ٩٣ أَبُو نَوَاس
إِبْلِيسُ ١ بَشَار	عَصَا ٢٨ دَعْبِل

مَضْرَعَا ٦٤ البحري	لِصَّ ٢٨ ديك الجن
مَعَا ٢١ البحري	عُمُضَا ١١ ابن الجهم
مَعَا ٣٠ دعل	فَمَضَى ٣٠ العتاهي
وَرُبُوعَا؟ ٣٢ البحري	مَضَى ٥٨ أبو تمام
وَمَضْنَعَا ٢ العتاهي	وَأَعْرَضَا ٢ بشار
يُنْبُوعَا ١٧٨ أبو تمام	الْقَرِيضُ ١ أبو تمام
أَتَجَرَّعُ ٢ بشار	جَرَضُ ٣ أبو تمام
أَرْقَعُ ٢ بشار	بِالْعَرَضِ ٤٨ أبو تمام
الْمُتَفَرِّعُ ١٠٦ البحري	تَغَاضٍ ١٧٠ البحري
الْمَزْرَعُ ٢ بشار	وَالْأَعْرَاضِ ١٦٦ أبو تمام
الْهَوَامِيعُ ٧٥ البحري	أَرْضَا ٢ العتاهي
تَبِيعُ ٩٥ أبو نواس	التَّغَاضِيَا ٢ العتاهي
تَقَعَّقُ ٣١ العتاهي	مُنْقَضُهُ ٢٧ البحري
تُسْتَطَاعُ ١٣٧ البحري	الْقُنُوطُ؟ ١٠٥ البحري
تَنْتَفِعُ ٢ العتاهي	تَسْخُطُوا ٢٩ دعل
جَازَعُ ١٥ أبو تمام	وَاسِطُ ٦٥ بشار
دُمُوعُ ١ العتاهي	قَسَطُ ١٧٤ البحري
رَعَاغُ ١٣١ البحري	وَإِخْطَةُ ١٤٨ البحري
مُتَسَّعُ ٣٥ العتاهي	بَلَقَعَا ٣١ أبو تمام
مَنْجَعُ ٢٩ مسلم	سَرِيعَا ٩٤ أبو نواس
مَهَيَّعُ ٨٤ أبو تمام	صَنَعَا ٤٠ ابن الجهم
وَتَصْنَعُ ٤٧ العباس	صَنَعَا ٤٥ العباس
يَتَسَّعُ ٣٤ العتاهي	ظَمَعَا ٢ بشار

وَيَرْقَعُهُ ٣٦ العتاهي	يَتَوَقَّعُ ١٧٣ البحري
بِاضْطِنَاعِهِ ١٩١ البحري	يَمْنَعُ؟ ٣٠ أبو تمام
سَخِيفًا ١٥٧ البحري	أُخْدَعِي ٧٩ البحري
ظَرْفًا ١٧٨ البحري	أَضْلَاعِي ١٢٢ البحري
لطيفا ٨٥ أبو تمام	الْأَرْيَاحُ ١١٩ البحري
مُصَفًى ١٣ البحري	الرَّبْعُ ٣١ دعل
وِإِسْعَافًا ١٨٠ البحري	بِشَافِعٍ ٤٦ العباس
وَقَفًا ١٤١ البحري	تَرْجِعُ ٤٩ البحري
وَقَفًا ٤٩ العباس	ذِرَاعِي ١٢٦ أبو تمام
وَمُعْتَرَفًا ٩٧ أبو نواس	مَمْنُوعٌ ٥٨ دعل
وَنَيْفًا ٤ أبو تمام	وَأَوْجَاعِي ٤٨ العباس
يُرْفًا ٩٨ أبو نواس	تَبَعُ ٣٢ العتاهي
تَخِفْتُ ١٥٢ البحري	زُرْعُ ٢ العتاهي
رَغِيفُ ١ العتاهي	مُضْطَنَعٌ ٣٢ دعل
لَحَائِفُ ٥٠ العباس	مَنِيعٌ ١٥٠ البحري
مَتَلَفُ ٢٩ ديك الجن	وَقَعَ ١ العتاهي
وَكَيْفُ ١٦٨ البحري	السَّاعَةُ ١ العتاهي
اعْتِسَافُ ٤١ ابن الجهم	الْمَنْفَعَةُ ٢ العتاهي
الْأَنُوفُ ١٣٣ أبو تمام	جَمَاعَةُ ١ العتاهي
التَّعَفُّفُ ٣٧ العتاهي	طَائِعَةٌ؟ ١٤٠ البحري
الْجَفَافُ ٣٠ ديك الجن	لِيَنْفَعَكَ ٢ العتاهي
الْخَوْفُ ٣٣ دعل	وَالدَّرَاعَةُ ٢ العتاهي
الْوَصْفُ ١٠٠ أبو نواس	وَوُلُوعُهَا ٩٢ البحري

لَأَحْمَقُ ٣٤ دعبل	أَنْفِي ٤٨ البحتري
وَالْعَرَقُ ٤٠ العتاهي	بِأَسْلَافِي ٣٨ العتاهي
وَصَدِيقُ ٢ بشار	طَرَفِ ٩٩ أبو نواس
الْأَوْثَقُ ١١٥ البحتري	فَقِيفِ ٢ العتاهي
التَّغْوِيْقُ ٤١ العتاهي	خَلَفَ ٩٦ أبو نواس
الْخَلْقُ ٣٩ العتاهي	نِصْفِهِ ٣١ ديك الجن
السَّخِي ٩١ العتاهي	الْأَرْقَا ١٠٢ أبو نواس
الْعُشَّاقِ ١٣٥ البحتري	الصَّادِقُ ١١١ أبو تمام
الْعَرَقِ ٣٥ دعبل	ق ١ الصَّدِيقَا ١٨١ البحتري
الْفِرَاقِ ٩٠ العتاهي	تَسْدُقُ ٢٤ أبو تمام
الْمُتَعَلِّقِ ٩٥ البحتري	حَقًّا ١٠١ أبو نواس
الْمُتَّقِي ١٠٧ أبو نواس	حَقًّا ٨٩ العتاهي
بِالتَّلَاقِي ٦٦ بشار	شَفِيقًا؟ ٤٧ البحتري
بِمُفِيقِ ١٩٨ البحتري	طَلَقًا ١ العتاهي
تَصْدِيقِي ١٠٨ أبو نواس	فِرْقَا ٥٧ العباس
تُطْقِي ١٠٧ أبو تمام	قَلَقًا ٥١ العباس
رَالسِّيَاقِ ٤٩ أبو تمام	مُفَوِّقًا ٤٦ البحتري
رَقِيقِ ١٠٩ أبو نواس	أَتَشَّقُّ ٥٣ العباس
صَفَاقِ ١٠٤ أبو نواس	أَتَشَّقُّ ٥٥ العباس
طَرِيقِ ٢ العتاهي	تَعَلَّقُ ١٢٤ البحتري
فَاضِدُ ١٨٩ البحتري	حُقُوقُ ١٥٤ البحتري
لِلْمُعَانِقِ ١٠٥ أبو نواس	رَمَقُ ٥٤ العباس
لِمُخَارِقِ ٣٦ دعبل	فَتَنَّقُ ١ مسلم

سِوَاكَ ١١٣ أَبُو نَوَاس

عَلَيْكَ ١ الْعَتَاهِي

فَقَاكَ ٦٣ أَبُو تَمَام

مِنْكَ ٢ الْعَتَاهِي

هَلَكَا ٣٧ دَعْبِل

مَلِكُ ١ الْعَتَاهِي

أَرْكَ ١ الْعَتَاهِي

الْفَلَكُ ٢ الْعَتَاهِي

الْمَسَاوِيكُ ٦٧ بَشَار

الْمَمَالِيكُ ٤٢ ابْنُ الْجَهْم

لِيَنْفَعَكَ ٢ الْعَتَاهِي

بَشَكَه ٤٤ الْعَتَاهِي

الْحَبَالَا ؟ ١٢١ الْبَحْتَرِي

أَمْلَا ١١٧ أَبُو نَوَاس

أَمْلَا ٢ الْعَتَاهِي

تَرْمِيَلَا ٣٢ دِيكَ الْجَن

تَفْعَلَا ٣٩ دَعْبِل

تَقْبَلَا ١١٦ أَبُو نَوَاس

يُقْلَا ١٢٠ الْبَحْتَرِي

حَبَالَا ١٨ مُسْلِم

حَبَالَا ٩٢ الْعَتَاهِي

ذَلِيلَا ٥٢ الْعَتَاهِي

سَبِيلَا ٦٣ الْعَبَّاس

مَمَرَّقِ ١٦٢ أَبُو تَمَام

وَالسَّاقِي ١٠٣ أَبُو نَوَاس

وَشَقَاتِي ٥١ دِيكَ الْجَن

يَتَفَرَّقِ ٢ الْعَتَاهِي

يَخْتَبِئِ ١٠٦ أَبُو نَوَاس

يُخْلَقِ ٨ الْعَبَّاس

الْعُشَّاقِ ١٨٤ أَبُو تَمَام

أَطِيقُ ٥٢ الْعَبَّاس

نَفَقُ ١٤٥ الْبَحْتَرِي

بِالرَّافِقَةِ ٥٦ الْعَبَّاس

تَفْقُهُ ٢ الْعَتَاهِي

تُؤَافِقُهُ ٣٠ مُسْلِم

خَالِقُهُ ٢ الْعَتَاهِي

يَظْرُقُهُ ١٩٧ الْبَحْتَرِي

عِرَاقُكَ ١٣٤ الْبَحْتَرِي

عُنْفُهُ ١١٠ أَبُو نَوَاس

أَذَاكَ ٢ الْعَتَاهِي

أَرَاكَ ١١٢ أَبُو نَوَاس

الضَّحَّاكَ ٨ مُسْلِم

الْفَلَكَا ٢ بَشَار

أَهْجُكَ ١١٤ أَبُو نَوَاس

وَالسَّمَا ١١٥ أَبُو نَوَاس

رَجَاكَ ١ مُسْلِم

أَهْلُ ٢ مُسْلِم	شَمُولَا ٧ مُسْلِم
أَهْلُ؟ ١٧٣ أَبُو تَمَام	طَوِيلَا ٢ الْعَتَاهِي
بَاطِلُ ١٩٩ الْبَحْتَرِي	طَوِيلَا ٦٤ الْعَبَّاس
بَعْلُ ٢ مُسْلِم	عَقَلَا ٩٠ أَبُو تَمَام
تَبَخَّلُ ١٠٩ الْبَحْتَرِي	قَالَآ ٩٣ الْعَتَاهِي
تَجُولُ ٧٠ بَشَار	مَأْمُولَا ١١٩ أَبُو نَوَاس
ثَمِلُوا ٢ بَشَار	مَجْهُولَا ٤٨ ابْن الْجَهْم
جَلِيلُ ٢ الْعَتَاهِي	مُطِيلَا ٢٤ الْبَحْتَرِي
جَلِيلُ ٢ بَشَار	مَغْفُولَا ٣٧ أَبُو تَمَام
حَالُ ١٦ ابْن الْجَهْم	مَهَلَا ١١٨ أَبُو نَوَاس
دَوَّلُ ١٩٥ الْبَحْتَرِي	نَوَالَا ٢ الْعَتَاهِي
سَبِيلُ ١٢٣ أَبُو نَوَاس	وَأَجُولَا ٦٨ بَشَار
سِيلُ ٤٧ ابْن الْجَهْم	وَالْمَوْلَى ١ الْعَتَاهِي
شَمَأُلُ ٤١ أَبُو تَمَام	يَأْفُلَا ١١٠ أَبُو تَمَام
عَسَلُ ١٢١ أَبُو نَوَاس	الْبَاطِلُ ٤٦ ابْن الْجَهْم
عَوِيلُ ٥٩ الْعَبَّاس	الشُّكْلُ ١٦٨ أَبُو تَمَام
قَائِلُ ٤٤ ابْن الْجَهْم	الْجَزِيلُ ٦٣ الْبَحْتَرِي
قَتِيلُ ٦٢ الْعَبَّاس	الرَّسُولُ ٣٣ دِيكَ الْجَن
قَتِيلُ؟ ١٨٤ الْبَحْتَرِي	الطَّوَلُ ١٤٦ أَبُو تَمَام
لَبَخِيلُ ٣٢ أَبُو تَمَام	الْعَجَلُ ١١٧ الْبَحْتَرِي
مُتَطَاوِلُ ٤٥ ابْن الْجَهْم	الْقُبْلُ ١٢٠ أَبُو نَوَاس
مَجْهُولُ ٣١ مُسْلِم	الْمَالُ ٥١ الْعَتَاهِي
مَشْغُولُ ١ الْعَتَاهِي	أَمِلُ ١٨٦ أَبُو تَمَام

العمل ١٣٤ أبو نواس	مُقْبِلُ ١٠٣ أبو تمام
الْمَتَزَمِّلِ ١٣٣ أبو نواس	مَنْزُولُ ٩٠ البحري
المُحْتَالِ ٤٦ العتاهي	مَوْئِلُ ٣٤ ديك الجن
المُسْبِلِ ١٦٧ أبو تمام	وَابْتَهَلُوا ١٢٢ أبو نواس
المُسْحَلِ ٣٧ البحري	وَتَعْدِلُ ٤٣ ابن الجهم
المُفْضَلِ ١٣ ابن الجهم	وَمُسْتَقْبَلُ ٣٨ دعبل
المُفْضِلِ ٤٠ دعبل	يَخْفِلُ ٣٥ ديك الجن
الْمَنَازِلِ ٢ بشار	يُقْبِلُ ١٩٢ البحري
الْهَلَالِ ٢ بشار	أُبَالِي ٦١ العباس
بالجهل ٥٨ العباس	أُتْكَلِ ٦٥ أبو تمام
يَتَوَالِ ١٥١ أبو تمام	الْأَسِيلِ ١٢٨ أبو نواس
يَزْلِيلِ ١٣٥ أبو نواس	الْأَكْلِ ١٣١ أبو نواس
يَطَائِلِ ٢٢ أبو تمام	التَّبَلِ ١٣ أبو تمام
يَقْطُرُبِلِ ١٢٧ أبو نواس	الرَّجَالِ ٢٠٠ البحري
جَمَلِي ١٣٢ أبو نواس	الرجال ٥٥ العتاهي
حَالِ ٣٧ ديك الجن	الرَّسُولِ ١٣٦ أبو نواس
حَالِ ٤٨ العتاهي	الرُّمْلِ ١٦٠ أبو تمام
خَالِي ٤٣ دعبل	السَّاحِلِ ٢ العتاهي
دَخْلِي ٥ مسلم	السَّرْبَالِ ١٢٤ أبو نواس
رَجَلِي ١٢٩ أبو نواس	الظَّلَالِ ٥٤ العتاهي
سَبِيلِ ٤٢ دعبل	العَاقِلِ ٢ بشار
سَبِيلِ ٤٩ ابن الجهم	العَدْلِ ٣ مسلم
سَلْسَبِيلِ ١٣٠ أبو تمام	العَقْلِ ٩٥ العتاهي

وَصِيَالِ ١٤٤ أَبُو تَمَام	شِمَالِي ١٦١ الْبَحْتَرِي
وَعَنْ قُلِ ٤ مُسْلِم	طَوِيلِ ٢ بَشَار
وَقَالَ ٤٩ الْعَتَاهِي	عَالِ ٥٢ دِيكَ الْجَن
يُسْلِي ٦٠ الْعَبَّاس	عِيَالِ ١٢٦ أَبُو نَوَاس
وَسِيلِي ٧ أَبُو تَمَام	غَزَلِ ٣٢ مُسْلِم
أَجَلُ ٥٩ دَعْبِل	فَعَالِ ١٢٥ أَبُو نَوَاس
الْجَمَلُ ٢ بَشَار	كَسَلِ ٢ الْعَتَاهِي
ثَقِيلُ ٤٧ الْعَتَاهِي	لِلرَّحِيلِ ٥٠ الْعَتَاهِي
قَتِيلُ ١ الْعَتَاهِي	مُغْفَلُ ١٢ مُسْلِم
أَخْوَالُهُ ١٥٦ الْبَحْتَرِي	مُقْبِلِ ٣٦ دِيكَ الْجَن
إِذْلَالُهَا ٩٤ الْعَتَاهِي	مَمِيلِ ٢ مُسْلِم
الْفَلَكَ ٢ الْعَتَاهِي	مُوَائِلِ ١٤٢ أَبُو تَمَام
بِحِيلَةٍ ١٥٥ الْبَحْتَرِي	وَأَجَالِ ٥٣ الْعَتَاهِي
تَنَالُكَ ٤٣ الْعَتَاهِي	وَاحْتِمَالِي ٩٦ الْعَتَاهِي
جَمَالَكَ ٤٢ الْعَتَاهِي	وَالْبَخِيلِ ٤١ دَعْبِل
لَعَلَّكَ ١١١ أَبُو نَوَاس	وَالْتَّسْهِيلِ ١٦٠ الْبَحْتَرِي
وَأَذْلُهَا ٥٧ الْعَتَاهِي	وَالْعَمَلِ ٢ الْعَتَاهِي
وَأَسْفَلُهَا ٧٨ أَبُو تَمَام	وَالْمَعَالِي ١٢ الْبَحْتَرِي
بَاطِلُهُ ٦١ الْبَحْتَرِي	وَالْمَعَالِي ٢ مُسْلِم
تُحَاوِلُهُ ١٤٧ أَبُو تَمَام	وَالْمَنَاصِلِ ٣ الْبَحْتَرِي
حَامِلُهُ ٤٤ دَعْبِل	وَالْهَزْلِ ١٣٠ أَبُو نَوَاس
سُؤَالُهَا ٩٣ الْبَحْتَرِي	وَحَلِيلِي ٢ الْعَتَاهِي
عَقْلُهُ ٢ الْعَتَاهِي	وَزَوَالِ ٤٥ الْعَتَاهِي

والهاما ٢ مسلم	قَنَابِلُهُ ٥٦ العتاهي
وَعُمُومًا ٣٠ البحري	مَرَاجِلُهُ ٨٠ أبو تمام
أَفْذَمُ ٨١ أبو تمام	نَبَالُهُ ٥٨ العتاهي
الإِلَامُ ١٣٨ أبو تمام	نِضَالُهُ ١٠٦ أبو تمام
الظَّلُومُ ٦٠ العتاهي	وَبِطَالُهُ؟ ١١٣ البحري
الْمُتَجَسِّمُ ٨٥ البحري	وفعله ١٨٧ أبو تمام
الْمَكَارِمُ ٢ العتاهي	أَشْأَمًا ٩٤ البحري
تُتَهُمُ ١٥٩ أبو تمام	السَّلَامَا ٦٧ العباس
تَرَحَّمُ ١٤٠ أبو نواس	السَّلَامَا ٩٨ العتاهي
تَسْتَنِيْمُ ١٧١ أبو تمام	السَّلَامَا؟ ١٠١ البحري
تُضَامُ ١٣٩ أبو نواس	الْمُنْمَنَمَا ١٢٩ البحري
تَلُومُ ٤٥ دعبل	تُنِيْمَا ٩٥ أبو تمام
حَرَامُ ٢ بشار	حَكَمًا ٤٦ دعبل
حَمِيْمُ ١٣٤ أبو تمام	دَمَا ٦٨ أبو تمام
دَسَمُ ١٤١ أبو نواس	رحيما ٣٤ أبو تمام
سَلَمُ ١٢٠ أبو تمام	رَزَمًا ٦٠ دعبل
سَلِيْمُ ٥٠ ابن الجهم	شَمِيْمًا ١٣٨ أبو نواس
سَهْمُ ٩٧ العتاهي	عِلْمًا ٢ العتاهي
ظَالِمُ ٦٩ العباس	عُومًا؟ ١٣٠ البحري
ظَلُومُ ٦٦ العباس	فَأَقِيْمَا ١٣٧ أبو نواس
عَالِمُ ١٦٩ أبو تمام	فَمَا ٢ مسلم
عَرَمَرَمًا ٤ ابن الجهم	قُدَمَا ١٧٧ أبو تمام
فَوْهُمُ ١٥٥ أبو تمام	مُتِيْمَا ٧٢ بشار

لَلْنِّيمُ ٩ أبو تمام	المَبَاسِمِ ١ بشار
مُحَرَّمُ ١٥ مسلم	المَكَارِمِ ٧٩ أبو تمام
مُحَكَّمُ ٢ العتاهي	المَلَامِ ٩٩ البحري
نَائِمِ ٢ بشار	المُلِمِّ ٢ بشار
نَتَكَلَّمُ ٦٧ أبو تمام	أَنَمِ ١٤٦ أبو نواس
وَالنَّعِيمِ ٢ العتاهي	بِالسَّلَامِ ٢٣ أبو تمام
وَتَحَرِّمُ ٦٠ البحري	بِسَالِمِ ٧٤ بشار
وَسَلَامُ ٥٩ العتاهي	بِسَلَامِ ١٤٢ أبو نواس
يَتَكَلَّمُ ٧٠ العباس	بِكَرِيمِ ١٧٤ أبو تمام
أَعْظَمُ ١٨٦ أبو نواس	بِمُحَرَّمِ ٧٧ بشار
يُرَآءُ ٧٥ بشار	تَسْلَمِ ٢ العتاهي
يَلُومُ ٦٥ العباس	تَسْنِيمِ ١ بشار
يَهْدِي ١ بشار	خَزَائِمِ ١٢٨ أبو تمام
الأَعْظَمِ ١١٦ أبو تمام	رَحِيمِ ٣٨ أبو تمام
الأيامِ ١٤٣ أبو نواس	سَعُومِ ١٣٥ أبو تمام
الأيامِ ٥١ ابن الجهم	سُقْمِ ١٤٧ أبو نواس
الجسمِ ٦٨ العباس	سِلْمِي ١٧٦ البحري
الْحَذِمِ ٩٣ أبو تمام	عَزَائِمِي؟ ٩٤ أبو تمام
الصيامِ ٣٨ ديك الجن	عَمِّ ١٤٧ البحري
الْقَدِيمِ ٨١ البحري	مُحَرَّمِ ٥٨ البحري
الكَرَمِ ١٤٤ أبو نواس	لَا زِمِ ١٤٥ أبو نواس
الكَرَمِ ٤٠ أبو تمام	مَلُومِ ١٤٨ أبو نواس
اللُّثَامِ ١ ابن الجهم	مُنْهَدِمِ ٧٤ أبو تمام

الإخوانا ١٣٩ البحري	نَسِيم ١٤٩ أبو نواس
الأربعينا ٤٨ دعل	نَظْمِي ١٥٣ أبو تمام
الأمينا ٣٨ البحري	هَمِّي ٧٦ بشار
الشمينا ١٥٧ أبو نواس	واكْتِنَام ٦٦ أبو تمام
المؤمنينا ١٥٨ أبو نواس	والسُّقْم ٢ العتاهي
إلينا ١٠٤ العتاهي	وأُمِّي ٩٩ العتاهي
إلينا ٢٠٢ البحري	وُجُوم ١٢٧ البحري
أينا ٣٠ بشار	وِذْمَام ١٤٩ أبو تمام
تَمَوْتِينَا ٥٣ ديك الجن	وَمَعْمُوم ٤٧ دعل
تَنْتَظِرِينَا ١٥٦ أبو نواس	الرَّحَام ١ بشار
خُرَاسَانَا ٧٦ العباس	العَلَم ٧١ بشار
راجِعُونَا ٥٢ أبو تمام	أَلَم ٧٣ بشار
سِوَانَا؟ ١٨٧ البحري	تَحْتَكِمُ؟ ٧٧ البحري
عِرْفَانَا؟ ١٦٦ البحري	والعَدَم ٢ العتاهي
عندَنَا ١٥٥ أبو نواس	يَذَمُّ ٢ العتاهي
فَأَحْسَنَا ٢ العتاهي	مُبْهَمَةٌ ٨٢ البحري
فَزِيدُونَا ٧١ العباس	دَمُهُ ٣٦ أبو تمام
كانَا ١٥٣ أبو نواس	مُقِيمُهَا ١٢٨ البحري
كانَا ٢ العتاهي	نَعِيمُهَا ١١٢ أبو تمام
و(بِنَّا) ١٦٧ البحري	يُكْرِمُهُ ٦١ دعل
ولسانا ١٥٤ أبو نواس	قَسَمِهِ ٨ أبو تمام
يَعْنِينَا ١٩٣ البحري	مُكْتَمِّهِ ١٥٠ أبو نواس
يَقْطَانَا ١٥٢ أبو نواس	أَحْيَانَا ٢ بشار

الْأَنْبِيَاءُ ٣٩ ديك الجن	الْإِنْسَانِ ١٦ البحري
الدِّينُ ١٤٣ أبو تمام	الثاني ٩٦ أبو تمام
الشُّجُونُ ٧٠ أبو تمام	الْحَيْنَانِ ٢ بشار
الْظُّعُنُ ١٤ مسلم	الْحَدَثَانِ ١٦٥ أبو نواس
الْكَفَرُ ١ العتاهي	الحسين ١٧٦ أبو تمام
الْهَوَانُ ١ بشار	الرَّزْجُونِ ١٧٠ أبو نواس
تَسَمُّنُ ٦٨ العتاهي	الْقِيَانِ ١٦٦ أبو نواس
تَكُونُ ٦٣ العتاهي	المعاني ٦٩ أبو تمام
جَرِينُ ١٦١ أبو نواس	الميزانِ ٢ بشار
عُيُونُ ٧١ أبو تمام	الْوَسْنِ ٥٣ أبو تمام
فَيْكُونُ ١٥٠ أبو تمام	الْيَمَنِ ٣٩ أبو تمام
لَيْسُ ٢ العتاهي	إِمْكَانِي ١١٤ البحري
مُعِينُ ٢ بشار	أَوَانِ ١٦٤ أبو نواس
مَكَانُ ١٥٩ أبو نواس	بِأَوْطَانِ ٥٠ أبو تمام
مَكَانُ ٢ العتاهي	جُرْجَانِ ٢ مسلم
وَالرَّزْمُنُ ٧٣ العباس	جَفَانِي ٢٠٤ البحري
يَمِينُ ١٦٠ أبو نواس	رِضْوَانِ ٨٨ البحري
يَهُونُ ٢ بشار	زَمَانِ ٦٥ العتاهي
أَبَانِ ١٦٢ أبو نواس	زَمَانِي ٦٤ العتاهي
أَعْطَانِي ١١ مسلم	سَكْنِ ٥٢ ابن الجهم
أَفْخَوَانِ ٣٣ مسلم	شَانِي ١٠٠ العتاهي
الْأَصْبَهَانِي ٦٩ بشار	شَانِي ١٢٦ البحري
الْأَفَانِينِ ١٧ البحري	ظَلْمُونِي ٦٢ العتاهي

يَقْطِينِ ٦٧ العتاهي	عَانِ ٥٤ ديك الجن
يَكْفِينِي ٧٠ العتاهي	عثمانِ ١٦٣ أبو نواس
الْحَزَنُ ١ العتاهي	غُصْنِ ٧٢ أبو تمام
الْحَزَنُ ٤٩ دعبِل	فابِئْكَانِي ٢ العتاهي
الرَّزْمَنُ ٢ العتاهي	فاسْقِنِي ١٦٩ أبو نواس
الْوَطْنُ ٢٠١ البحري	مُغْنٍ ٦١ العتاهي
حَسَنُ ٢ العتاهي	مَكَانِ ٢ مسلم
رَوَيْدُكَ ١٥١ أبو نواس	مَكَانِي ٤٠ ديك الجن
وَالصَّوْلَجَانُ ٢ بشار	مِئْنِي ٢ العتاهي
أَزْيَنَةُ ٢٠٣ البحري	مِئْنِي ٤٢ ديك الجن
أَمَانِيَا: ١٨١ أبو تمام	مِئْنِي ٦٦ العتاهي
بَلَّغْنَاهَا ٧٧ العباس	نُثْنِي ١٦٧ أبو نواس
تَمَنَّاهُ ٧٥ العتاهي	وأحزاني ١١٨ أبو تمام
تُهَيِّنَهَا ١٧٢ أبو نواس	وإخواني ١٥٦ أبو تمام
حَسَنَةُ ٢ العتاهي	والإثنينِ ٤١ ديك الجن
دُونَهَا ٧٣ العتاهي	والطَّيْنِ ٤١ البحري
زَمَانَهَا ٥١ أبو تمام	وأوطانِ ٢ مسلم
زَمَانُهُ ١٦٩ البحري	ودِينِ ٥٣ ابن الجهم
بِأَغْصَانِهِ ١٣١ أبو تمام	وطِينِ ١٧١ أبو نواس
سُلْطَانِهِ ٧١ العتاهي	وَلَيْلَتَيْنِ ٥٤ ابن الجهم
شَجِنَهُ ٧٥ العباس	يَتَشَابِهَانِ ٧٢ العباس
فُنُونُهُ ٧٢ العتاهي	يراني ٦٩ العتاهي
كَيْتَمَانِهِ ٧٤ العباس	يُغْنِي ١٦٨ أبو نواس

وَيَمَانِهِ ٣٩ البحري	بَطِي ١٦١ أبو تمام
اللَّهُ ١٧٤ أبو نواس	تَهْدِيهِ ١ بشار
بِذِكْرَاهَا ١٧٣ أبو نواس	أَثَافِيهَا ١٧٨ أبو نواس
تَمَنَّاها ١٧٥ أبو نواس	تِيهَا ١٧٦ أبو نواس
دَهَاها ٥٠ دعبل	فَقِيهَا ١٧٧ أبو نواس
فِيَنَعَاها ٢ بشار	القَافِيَةُ ٥٣ دعبل
أَقَمَاهُ ٢ العتاهي	زَانِيَةُ ١٨٣ أبو نواس
ذِكْرَاهُ ١٨٢ البحري	زَاوِيَةُ ٧٧ العتاهي
الَلَاهِي ١٧٩ أبو نواس	لِلرَّعِيَّةِ ١٠٣ العتاهي
إِلَيْهِ ١٨٠ أبو نواس	مُعَادِيَةُ ٤٣ ديك الجن
وَجْهُهُ ١ العتاهي	مَغَانِيها ٢٠ مسلم
فَعَضُّوا ١٨١ أبو نواس	نَاحِيَةُ ٢ العتاهي
خَلُّو ١٠١ العتاهي	نَاطِرِيكَا ٦٤ أبو تمام
بَو ٢٠٥ البحري	وَالدَّائِيَةُ ٥٢ دعبل
سِنُوهُ ٧٦ العتاهي	بِمُقْلَتِيهِ ١٨٤ أبو نواس
بَادِيَا ١٧٢ البحري	بِيَدِيهَا ٥٥ ديك الجن
بَقِيَا ١ العتاهي	أَهْلِيهَا ١٠٤ البحري
تَالِيَا ١ مسلم	حَوَاشِيهَا ٥١ دعبل
خَزِيَا ١٨٢ أبو نواس	عَلَيْهِ ١ العتاهي
لَدَيَا ١٠٥ العتاهي	لَدَيْهِ ٧٤ العتاهي
لِيَا ٢ العتاهي	يَدَيْهِ ٢ العتاهي
وَمَهْدِيَا ١٠٢ العتاهي	

تجدد الشعر العربي من بشار إلى المهدي

يضم هذا الكتاب ألفاً ومئتي قطعة. تكون القطعة بيتاً وتكون قصيدة كبيرة، أو أي شيء بينهما. هي أشعار انتخبناها من دواوين عشرة شعراء حملوا الشعر العربي وانطلقوا به عالياً كي يخلق في مدار جديد. البدء ببشار، الشاعر المتهتك المتمرد، وكل شعرائي متهتكون متمردون، جزئياً أو كلياً. ظل بشار «يتخيل» أنه يحن إلى دين أجداده عبدة النار «الأرض مظلمة والنار مشرقة/ والنار معبودة مذ كانت النار»، هذا رغم نشوئه في أحضان العربية لم يعرف لغة غيرها. كان بشار رغم عاه شهوانياً - ومن قال إن الأعمى أبعد عن الشهوانية من أخيه المبصر؟ -، وعبر بشار عن شهوانيته في أشعار كثيرة نقلنا منها الكثير. يحدثنا عن فتاته: «تقول وقد خلوتُ بها: تكلم واكفني يدك».

والمتهتك الثاني مجن سنوات قلائل ثم انعكس انعكاسة غريبة أنتجت لنا أطراف دواوين الشعر العربي. هذا أبو العتاهية. عاش طويلاً، وعاش وهو في مطلع كل صباح ومطلع كل قصيدة يذكر الموت. كان يعشق الحياة عشقاً أنساه أن يعيشها...

- كل باب مذيّل بفهرس للقوافي، وفي آخر الكتاب فهرس عام للقوافي

- مرفق مع الكتاب تسجيلات صوتية من قصائد «تجدد الشعر» بصوت المؤلف عارف حجاجوي، وهي مرقمة بحسب ترقيمها في الكتاب

- تم التسجيل في استديوهات مركز الجزيرة للتدريب الإعلامي. مهندس الصوت: محمد ماضي



القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashreq.books@gmail.com



9 781287 329992

